

إحياء علوم الدين

بلا مسام الغسزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بمقدم

الدكتور عبدوي طهانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

الجزء الرابع

دار الفکر للطباعة والنشر

مبنى الباني بطنين ويشركة

وَأَنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ،
(فَرَكَ كَرَمَ)

سُبْحَانَ اللَّهِ الْخَيْرِ الْخَيْرِ

(كتاب التوبة)

(وهو الأول من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي بجميده يستفتح كل كتاب . وبذكره يصدّر كل خطاب . وبعمده ينتم أهل النعم في دار الثواب . وبإيمه يتسل الأشتياؤه وإن أضرى دونهم الحجاب . وضرب بينهم وبين السمداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . وتوبت إليه توبة من يؤمن أنه ربّ الأرباب ومسبب الأسباب . وترجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب . ونمزع الحوف رجاءنا مزجهم لا يرتاب . إنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب . ونسئل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تتقدنا من هول للطلع يوم العرض والحساب . وتمجد لنا عند الله زلفى وحسن مكاب .

أما بعد : فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى سائر الصيوب وعلام التوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام الريدين ، ومفتاح استقامة السائرين ، ومطلع الاستغناء والاجتناء للقرينين ، ولأبنا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وما أجدد بالأولاد ، الاعتناء بالأباء والأجداد ، فلا غرو إن أذنب آدمي واجترم ، فحسى شغشة يرفها من أخزم ، ومن أشبه أباه لما ظلم . ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم ، فليكن التزوع إليه في كلا طرفي التني والاثبات والوجود والعدم ، ولقد قرع آدم سنّ الندم ، وتدم على ما سبق منه وتدم . فمن أغلته قدوة في الذنب دون التوبة قد زلت به القدم ، بل التجرد لحسن الخير دأب لللائكة للقرينين ، والتجرد للشر دون التلاني سجية الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين . فالتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الهان . والتجرد للشر شيطان ، وللتلاني للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان ، قد ازدوج في طينة الإنسان خاتبتان ، واضطرب فيه سجتان ، وكل عيد مصحح فسيه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان ، فالتائب قد أقام البرهان ، على صحة نبيه إلى آدم بلازمة حد الإنسان ، وللصبر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان ، فأما تصحيح النسب إلى اللائكة بالتجرد لحسن الخير فغارج عن سبيل الامكان ، فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم هجنا حكما لا يغلصه إلا إحدى النارين

(كتاب التوبة)

[الباب التاسع]

والأرجون في استقبال

النهار والأدب فيه

والعمل]

قال الله تعالى - وأتم

الصلاة طرق النهار -

أجمع القسرون على

أن أحد الطرفين

أراد به التجبر وأمر

بصلاة التجبر واختلفوا

في الطرف الآخر قال

قوم أراد به للثرب وقال

آخرون صلاة المشاء

وقال قوم صلاة الفجر

والظاهر طرف وصلاة

المصر وللثرب طرف

وزفا من الليل صلاة

المشاء ثم إن الله تعالى

أخبر عن عظيم بركة

الصلاة وشرف فائدها

ونعمتها وقال - إن

النجسات يلهيها

نار الندم أو نار جهنم ، فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان من خيالات الشيطان وإليك الآن اختبار أيهون التارين ، والبادرة إلى أخفى الشرين ، قبل أن يطوى بساط الاختيار ، ويساق إلى دار الاضطرار . إما إلى الجنة وإما إلى النار . وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا للوقع وجب تقديمها في صدر ربيع النجيات بصرح حقيقتها وشرورها وسببها وعلامتها وثمراتها والآفات للإساءة منها والأدوية للإسيرة لها ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان : الركن الأول في نفس التوبة ويان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال وأنها إذا صحت كانت مقبولة . الركن الثاني : فيما عنه التوبة وهو الذنوب ويان اهتمامها إلى صفاتها وكبارها وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى ويان كيفية توزيع الدرجات والدرجات على الحسنات والسيئات ويان الأسباب التي بها تعظم الصفات . الركن الثالث : في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ماضي من اللظام وكيفية تكفير الذنوب ويان أقسام التائبين في دوام التوبة . الركن الرابع : في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاحمرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل . الركن الأول : في نفس التوبة .

(بيان حقيقة التوبة وحدها)

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى يتنظم ويلتزم من ثلاثة أمور مرتبة : علم وحال وقول ، فالعلم الأول والحال الثاني والقول الثالث والأول موجب للثاني والثاني موجب للثالث إيجاباً انتضاء اطراد سنة الله في الملك والملكوت . أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب فإذا عرف ذلك معرفة عميقة يقين غالب على قلبه نار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فإن القلب مهما شعر بفوات محبوه تألم فإن كان فواته بضعه تأسف على الفشل للقوت فيسمى تألمه بسبب فله للقوت لمحبه ندماً فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصد إلى فعله لعل له بالحوال والماسخ وبالاستقبال أما تلقه بالحال فباتركه للذنوب الذي كان ملاساً وأما بالاستقبال فيالعزم على ترك الذنب للقوت للمحبيب إلى آخر العمر وأما بالماسخ فيتلافى ما فات بالجبر والقتضاء إن كان قليلاً للجبر فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الحيرات وأغنى بهذا العلم الايمان واليقين فإن الايمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب حموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيشمر نور هذا الايمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حيث يصير بإشراق نور الايمان أنه صار محبواً عن محبوه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسقط النور عليه بافتشاح سحاب أو انحسار حجاب فرأى محبوه وقد أشرق على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبث تلك النيران باراته لئلا تنهض لتتدارك فالعلم والندم والقصد التعلق بالترك في الحال والاستقبال والاتفاق للمعاشي ثلاثة معان مرتبة في الحصول فليقل اسم التوبة على مجموعها وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق وللقدمة والترك كالثمره والتابع للتأخر وبهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام « الندم توبة (١) » إذ لا يغلو الندم عن علم أو جهه وأثره وعن عزم يتبعه ويثوره فيكون الندم محموقاً بطريقه أغنى بثمرته وبثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ فإن هذا يمرض لجرد الألم ولذلك قيل هو نار في القلب تلهب وصديع

(١) حديث الندم توبة ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه إسناده من حديث ابن مسعود ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

السيئات بأي الصلوات
الحسن ينهين
الخطيئات ، وروى
أن أبا اليسر كتب
ابن عمرو الأنصاري
كان يبيع الترفأت
امرأة تبتاع خمر فقال
لها إن هذا الخمر ليس
يجيد وفي البيت أجود
منه فهل لك فيه رغبة
قالت نعم فذهب بها
إلى بيته فضمها إلى
نفسه وقبلها فقاتله
أتق الله فتركها وندم
ثم أتى النبي عليه
السلام وقال يا رسول
الله ما تقول في رجل
راود امرأة عن نفسها
ولم يبق شيء مما يفعل
الرجل بالنساء . إلا
ركبه غير أنه لم يجمعها
قال عمر بن الخطاب

في السكبد لا يتشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة إنه خلع لباس الجفاء وتشر بساط الوفاء وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة تبديل الحركات للثمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك إلا بالخوف والسمت وأكل الحلال وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة والأقوال في حدود التوبة لا تنحصر وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قبل في حدودها قاصر عن الأحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة .

(بيان وجوب التوبة وفضلها)

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار (١) والآيات وهو واضح بنور البصيرة عند من افتتحت بصيرته وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسمى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة . فالسالك إما أعمى لا يستغنى عن القائد في خطوه ، وإما بصير يهdy إلى أول الطريق ثم يهتدى بنفسه ، وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون بهذا الانقسام . فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر إلى أن يسع في كل قدم نصا من كتاب الله أو سنة رسوله وربما عوزه ذلك فينحصر . فسير هذا وإن طال عمره وعظم جده يختصر وخطاه قاصرة ومن سعى شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيقته بأدنى إشارة لسواك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة وشرق في قلبه نور القرآن ونور الإيمان وهو لشدة نور باطنه يحزى بأدنى بيان فسكانه يكاد زيته ينفى ولو لم تمسه نار فإذا مسته نار فهو نور على نور يهdy الله لنوره من يشاء وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة . فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولا بنور البصيرة إلى التوبة ما هي ثم إلى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لو صفة بكونه واجبا معني . وقول القائل صار واجبا بالإيجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا أجلا وعاجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغافنا به أو جبه علينا غيرنا أو لم يوجبه فإذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد وعلم أن لاسعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله تعالى وأن كل محبوب عنه يشقى لاهماله حول بينه وبين ما يشتهى يحترق بنار الفراق ونار الجحيم وعلم أنه لا مبدع عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأفئس بهذا العالم الفاني والأكاب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالحكمة على الله طلبا للأمن به بدوام ذكره والسمجة له بتمرة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم أن الذنوب التي هي إغراض عن الله واتباع لحباب الشياطين أعداء الله اليمدين عن حضرته سبب كونه محبوبا مبسدا عن الله تعالى فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البدواجب للوصول إلى القرب وإعماهم الانصراف بالملم والتدم والزم فانه مالم يعلم أن الذنوب أسباب اليمدين عن المحبوب لم يشم ولم يتوجع بسبب سواكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والزم فلا يحل في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب وهكذا يكون الإيمان الحاصل من نور البصيرة وأما من لم يترجع لئلا هذا القام للرفع ذروته عن حدود أكثر الخلق في التقليد والاتباع له

قد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ولم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه شيئا وقال أنتظر أمر ربي وحضرت صلاة العصر وصلى النبي عليه الصلاة والسلام العصر . فلما فرغ أتاه جبريل بهذه الآية فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أين أبو اليسر فقال هأنذا يا رسول الله قال هديت مناه هذه الصلاة قال نعم قال المذهب فانها كفارة لما عملت فقال عمر يا رسول الله هذا له خاصة أولا عامة ، فقال له بل للناس عامة . فيعتمد العبد لسلاة التمسخر باستكمال الطهارة قبل طلوع

(١) الأخبار الواردة على وجوب التوبة مسلم من حديث الأغر الذي يألها الناس توبوا إلى الله الحديث ولا بن عاصم من حديث جابر يألها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تحقوا الخلد وحديث ضعيف .

بحال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين
 فقد قال الله تعالى - وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحوا - وهذا أمر على العموم
 وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً - الآية ومعنى النصوح الخالص لله
 تعالى خالياً عن الشوائب مأخوذة من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى - إن الله يحب
 التوابين ويحب المتطهرين - وقال عليه السلام «التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن
 لا ذنب له» (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل
 في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب
 راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أومأ شاء الله قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه
 فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده لموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالتفت
 تعالى أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا راحلته» (٢) وفي بعض الألفاظ قال من شدته فرحه
 إذا أراد شكر الله : أنا ربك وأنت عبيد . وروى عن الحسن قال لما تاب الله عز وجل على آدم
 عليه السلام هنأته للآلثة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام قبالاً يأتمن قرت عينك
 بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامى فأوحى
 الله إليهما يا آدم ورثت ذؤيبك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعائى منهم ليبتك كالبيتك ومن
 سألنى الغفرة لم أجعل عليه لأنى قريب محبب يا آدم وأحضر الثائبين من القبور مستبشرين ضاحكين
 ودعائهم مستجاب والأخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الأمة على وجوبها لإنعاده
 العلم بأن الذنوب وللصالحات مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الإيمان ولكن
 قد تدهش الغفلة عنه فمضى هذا العلم لإزالة هذه الغفلة ولإخلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي
 في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال وذلك لا يشك
 في وجوبه وأما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلاقي
 فكيف لا يكون واجباً بل هو نوع ألم يحصل لأعانة عقيب حقيقة العرفه بما فات من العمر وضاع
 في سخط الله . فان قلت تألم القلب أمر ضرورى لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب .
 فاعلم أن سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله حيل إلى تحصيل سببه وبمثل هذا العلم دخل العلم
 تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم يخلق العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والقلم
 والارادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وقضه - والله خلقكم وما تعملون - وهذا هو الحق
 عند ذوى الأسرار وما سوى هذا ضلال . فان قلت أقليس للعبد اختيار في القلم والترك قلنا نعم
 وذلك لا يناقض قولنا إن الكل من خلق الله تعالى بل الاختيار أيضاً من خلق الله والعبد مضطر

(١) حديث التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ابن ماجه من حديث ابن مسعود
 بالسطر الثاني دون الأول وأما السطر الأول فروى ابن أبي الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتب
 الثواب من حديث أنس بسند ضعيف إن الله يحب التائبين . ولعبد الله بن أحمد في زوائد
 للسند وأبى يلى بسند ضعيف من حديث جلى إن الله يحب العبد المؤمن للثبات (٢) حديث
 أنه أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته المحدث متفق عليه من
 حديث ابن مسعود وأنس زاده مسلم في حديث أنس ثم قال من شدته الفرح لهم أنت عبيدى
 وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح ورواه مسلم رحمه الزيادة من حديث النعمان بن بشير وهو حديث
 لا يحرر به بخلافه .

الفجر ويستقبل الفجر
 بتجديد الشهادة كما
 ذكرنا في أول الليل ثم
 يؤذن إن لم يكن أجاب
 المؤذن ثم يصلى ركعتي
 الفجر يقرأ في الأولى
 بعد الفاتحة قل يا أيها
 الكافرون وفي الثانية
 قل هو الله أحد وإن
 أراد قرأ في الأولى
 - فسولوا آمنا بالله
 وما أنزل - الآية في
 سورة البقرة وفي
 الأخرى - ربنا آتنا
 بما أنزلت واتمنا
 الرسول - ثم يستغفر
 الله ويسبح الله تعالى
 بما يتيسر لهم العدد
 وإن اقتصر على كلمة
 استغفر الله إذنى
 سبحانه الله بحمد ربى
 آتى بالمقصود من

في الاختيار الذي له فإن الله إذا خلق اليد الصحية وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في
 للذة وخلق العلم في القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الحواطر للتعاضد في أن هذا
 الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا ثم خلق
 العلم بأنه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الأسباب تتجزم الإرادة الباعثة على التناول فأنجزم الإرادة بعد
 تردد الحواطر للتعاضد وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام أسبابه
 فإذا حصل أنجزم الإرادة بخلق الله تعالى إياها تحركت اليد الصحية إلى جهة الطعام لاجتماع إيدبعده
 تمام الإرادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله بعد
 حصول القدرة وأنجزم الإرادة وما أيضا من خلق الله وأنجزم الإرادة يحصل بعد صدق الشهوة
 والعلم بعدم الموانع وما أيضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه الحلوقات يترتب على البعض ترتيبا
 جرت به سنة الله تعالى في خلقه - ولن نجد لسنة الله تبديلا - فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة
 منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق إرادة مجزومة ولا يخلق
 الإرادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا يبعث هذا الليل أنبعاثا تاما ما لم يخلق علما بأنه
 موافق للنفس إما في الحال أو في المكالم ولا يخلق العلم أيضا إلا بأسباب أخر ترجع إلى حركة الإرادة
 وعلم فالعلم والليل الطبيعي أبدا يستتبع الإرادة الجازمة والقدرة والإرادة بدلا لستدرف الحركة وهكذا
 الترتيب في كل فعل والسلك من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فذلك يجب
 تقدم البعض وتأخر البعض كما لا يخلق الإرادة إلا بعد العلم ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة ولا يخلق
 الحياة إلا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لأن الحياة تولد من الجسم ويكون
 خلق الحياة شرطا لخلق العلم لأن العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم إلا إذا كان
 حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الإرادة لأن العلم يولد الإرادة ولكن لا يقبل الإرادة إلا الجسم حي
 عالم ولا يدخل في الوجود إلا يمكن والامكان ترتيب لا يقبل التنبيه لأن تغييره محال فهما وجد شرط
 الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الإلهي والقدرة الأزلية عند
 حصول الاستعداد ولما كان الاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى
 ترتيب والبدء جرى هذه الحوادث للربة وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كلي البصر
 ترتيبا كلياً لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى - إنا نكل شيء
 خلقناه بقدر - وعن القضاء الكلي الأزلي العبارة بقوله تعالى - وما أمرنا إلا بالواحدة كلم بالبحر -
 وأما المباد فاتهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب
 بعد خلق صفة عضوية في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد
 وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والسرعة فإذا ظهرت من باطن للكوكب هذه الأمور الأربعة
 على جسم بعد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحببون عن عالم النيب
 ولللكوت وقالوا يا أيها الرجل قد تحركت ورميت وكتبت ونودي من وراء حجاب النيب وسراقات
 لللكوت وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت إذ قتلت ولكن قاتلهم يمينهم الله بأيديكم
 وعند هذا تنبذ عقول القاعدين في بحوحة عالم الشهادة فمن قائل إنه جبر محض ومن قائل إنه
 اختراع صرف ومن متوسط مائل إلى أنه كسب ولو فتح لهم أبواب السماء فظفروا إلى عالم النيب
 ولللكوت لظفر لهم أن كل واحد صادق من وجهه وأن القصور شامل لجميعهم فلم يدركوا واحد منهم
 كنه هذا الأمر ولم يحيط عليه بجوانبه وتمام عليه ينال بشرق النور من كوة نافذة إلى عالم النيب

التسبيح والاستغفار.
 ثم يقول اللهم صل على
 محمد وعلى آل محمد اللهم
 إني أسألك رحمة من
 عندك تهدي بها قلبي
 وتجمع بها قلبي وتلم
 بها شعثي وترد بها
 الفتن عني وتصلح بها
 ديني وتحفظ بها غايبي
 وترفع بها شاهدي
 وتزكي بها عملي وتبيض
 بها وجهي وتلقي بها
 رعيدي وتصفيني بها
 من كل سوء اللهم
 أعطني إيمانا صادقا
 ويقينا ليس بسد
 كفر ورحمة أنال بها
 شرف حكرامتك في
 الدباد الآخرة اللهم إني
 أسألك التور عند
 القضاء ومنازل الشهداء
 وعيش السعداء

وأنت تعالى - عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول - وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الأسباب والسيئات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناسط تسلسلها بحسب الأسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يتأنا لا خالق إلا الله ولا مبدع سواه . فإن قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن إيصال ذلك إلى الأنفهام بئال ، فاعلم أن جماعة من الميان قد سمعوا أنه حل إلى البهية حيوان عجيب يسمى القيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفة بالهش الذي يقدّر عليه فطلبوه فلما وصلوا إليه لمسه وقع يد بعض الميان على رجله ووقع يد بعضهم على بابه ووقع يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سالمهم بقية الميان فاختلقت أجوبتهم فقال الذي لس الرجل إن القيل ماهو إلا مثل اسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألين منها وقال الذي لمس الباب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأمسس لخشونة فيه وليس في غلط الاسطوانة أصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الأذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق أحدهما فيه ولكن قال ماهو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذا أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة القيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف القيل ولكمهم يحلمتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة القيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فإنه مثال أكثر ما اختلف الناس فيه وإن كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك أمواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع إلى ما كنا بصده وهو بيان أن التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة العلم والتندم والترك وأن التندم داخل في الوجوب لكونه واقفا في جملة أفعال الله المحصورة بين علم البدو وإرادته وقدرته للتحلة بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب بشمسه .

(بيان أن وجوب التوبة على القور)

أما وجوبها على القور فلا يترتب فيه إزمعة كون للمعاصي مهلكات من نفس الإيمان وهو واجب على القور وللنفس عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن القيل المكروه فإن هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لاتصلح بمثل بل هي من علوم العامة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التنصيص عن عهده مالم يصير باعثا عليه فالعلم بفسر الذنوب إنما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقده لهذا الجزء من الإيمان وهو الراد بقوله عليه السلام ولا يزدني إثماني حين يزني وهو مؤمن (١) وما أراد به نفي الإيمان الذي يرجع إلى علوم المكاشفة كالعلم بالقدرة وحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فإن ذلك لا يفيقه الرثا والمعاصي وإنما أراد به نفي الإيمان لكون الرثا مبدعا عن الله تعالى موجبا للمقت كما إذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناولوا فإذ تناولوه يقال تناولوه وهو غير مؤمن لا يعني أنه غير مؤمن بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل للرأى أنه غير مصدق بقوله إنه سم مهلك فإن العالم بالسم لا يتناولوا أسلانا للمعاصي بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بابا أو إجمادا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها عبادة أن لا إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وبناؤه قول القائل ليس إلا إيمان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها إماطة الأذى عن البشرية بأن يكون مقصود الشارب بمقارن في البشارة عن الحب حتى يشيع عن البهايم للرسالة للغة بأروائها المستكرهة الصور بطول غالبها وأغلاها هذا لمطابق فالإيمان كالإيمان

(١) حديث لا يزدني إثماني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

والنصر على الأعداء
ومرافقة الأنبياء اللهم
إني أزل بك حاجتي
وإن قصرت رأى وصفت
عسلي واقترت إلى
رحمتك وأسألك
يا قاضي الأمور وباعثي
الصدور كما تحير بين
البحور أن تحيرت من
عذاب السعير ومن
دعوة الثور ومن قننة
القبور اللهم ما قصر
عنه رأى وصفت فيه
عسلي ولم يعلته نقي
وأمنتني من خير
وعدتني أحسدا من
عبادك أو خير أنت
مطيعي أحدا من خلقك
فأنا راضع إليك فيه
وأسألك إله يارب
العالين . اللهم اجعلنا
هادين مهدين غير

وقد شهادة التوحيد يوجد البطلان بالكلية كفقده الروح والذى ليس له إلا الشهادة التوحيد والرسالة هو كائن مقطوع الأطراف مفقود العينين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا أصل للروح وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فترابه الروح الضعيفة المنفردة التى تخلف عنها الأعضاء التى بعدها وتقومها فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصور فى الأعمال قريب من أن تقتلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة الحركة للإيمان فى مقدمة قدم ملك اللوت ووروده فكل إنسان لم يثبت فى اليقين أصله ولم تنتشر فى الأعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأحوال عند ظهور ناصية ملك اللوت وخيف عليه سوء الحاتمة لاما يسبق بالطاعات على توالى الأيام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصى للمطيع إنى مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنا شجرة وثقت شجرة وما أحسن جواب شجرة الصنوبر إذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم إذا صفقت ربيع الحريف فبذلك تنقطع أصواتك وتنتثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة فى اسم الشجرة مع الغفلة عن أسباب ثبوت الأشجار : وسوف ترى إذا أجهل التيار أقرس تحتك أم حمار . وهذا أمر يظهر عند الحاجة وإنما أقطع نياط المارقين خوفا من دواعى اللوت ومقدماته الحاتمة التى لا يثبت عليها إلا الأفعون فالعاصى إذا كان لا يخاف الخلود فى النار بسبب مصيئته كالصحيح للتمك فى الشهوات للضرورة إذا كان لا يخاف اللوت بسبب صمته وأن اللوت غالبا لا يقع لجأه فيقال له الصحيح يخاف الرض من إذا مرض خاف اللوت وكذلك العاصى يخاف سوء الحاتمة ثم إذا حتم له بالسوء والمياذ بالله وجب الخلود فى النار فالعاصى للإيمان كائنا كولات للضرورة فلا بد أن تزل تجتمع فى الباطن حتى تغير مزاج الأخطا وهو لا يشتر بها إلى أن يفسد المزاج فيمرض دفة ثم يموت دفة فكذلك للعاصى فإذا كان الخائف من الهلاك فى هذه الدنيا للفتنة يجب عليه ترك الصوم وما يضره من اللأ كولات فى كل حال وعلى القور الخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك وإذا كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن يتقيا ويرجع عن تناوله باطلاه وإخراجه عن المنة على سبيل القور والمبادرة تلافيا لبدته المشرف على هلاكه لا يموت عليه إلا هذه الدنيا الخاتمة فتناول صوم الدين وهى الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن مادام يبق لتداركه مهلة وهو العمر فإن الخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التى فيها النعيم القيم والملك العظيم وفى فواتها نار الجحيم والعذاب اللقيم الذى تصرم أعمار الدنيادون عشر عشر مده إذ ليس لدمه آخر أئنة فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل صوم الذنوب بروح الإيمان عملا يجاوز الأمر فيه الأطباء واختيارهم ولا ينفع بعده الاحتيا فلا ينفع بعد ذلك نصح التامحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من المالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى - إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذنان فهم مقصون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون . وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ولا يفرك لفظ الإيمان فتقول المراد بالآية الكافر إذ ينك أن الإيمان يضع ويسبون بأبواب الزنى لا زنى حين زنى وهو مؤمن فالجواب عن الإيمان الذى هو شعب وفروع ميجب فى الحاتمة عن الإيمان الذى هو أصل كما أن الشخص القائد لجميع الأطراف التى هى حروف وفروع يساق إلى الموت للمسلم للروح التى هى أصل فلا بقاء للأصل دون القرع ولا وجود للقرع دون الأصل ولا فرق بين الأصل والقرع إلا فى شيء واحد وهو أن وجود القرع وبقائه جميعا يستدعى وجود الأصل وأما وجود الأصل فلا يستدعى وجود القرع فبقاء الأصل بالقرع ووجود القرع بالأصل فصول المكشافة وعموم المعاملة متلازمة كتلازم القرع والأصل فلا يستثنى أحدهما عن الآخر وإن كان أحدهما فى رتبة للأصل والآخر فى رتبة

ضالين ولا مضلين حربا
لأعدائك وسلسا
لأولئك نهب عجبك
الناس ونمادى
بهدوتك من خائفك
من خلقك اللهم هذا
الدعاء منى ومنك
الاجابة وهذا الجهد
وعليك التكلان إن الله
وإنا إليه راجعون ولا
حول ولا قوة إلا بالله
الصلى العظيم ذى
الحبل الشديد والأمر
الرفيد أسألك الأمن
يوم الوعيد والجنة
يوم الخلود مع المقربين
الشهود والركع السجود
والموقنين بالسجود إنك
رحيم ودود وأنت فصل
عائده سبحانه من
سقطت بالزوال به
سبحان من لبس المجد

(بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد أئمة)

(بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد أئمة)

فلا تحسبن هذا لها القدر وحدها سحرة نفس كل فانية هند

(۲- احیاء - واپس)

وَتَكْرِمُهُ سُبْحَانَ اللَّهِ
لَا يَلْبِثُ التَّسْلِيمَ إِلَّا هـ
سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ
وَالنَّعِيمِ سُبْحَانَ ذِي الْجُودِ
وَالكَرَمِ سُبْحَانَ الَّذِي
أَحْسَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ
الْأَلِيمِ أَجْلَلُ نَوَافِلِ
قُلُوبِ نَوْرَانِي قُبْرِي
وَنَوْرَانِي هَمِي وَنَوْرَانِي
فِي بَصْرِي وَنَوْرَانِي
شَعْرِي وَنَوْرَانِي شَرِي
وَنَوْرَانِي لَحْمِي وَنَوْرَانِي
فِي دَمِي وَنَوْرَانِي عَظَامِي
وَنَوْرَانِي يَدَيَّ
وَنَوْرَانِي خُلُقِي وَنَوْرَانِي
عَنْ يَمِينِي وَنَوْرَانِي عَنْ
شِمَالِي وَنَوْرَانِي فَوْقِي
وَنَوْرَانِي تَحْتِي أَلْهِم
زِدْنِي نَوْرًا وَأَعْطِنِي
نُورًا وَاجْعَلْنِي نُورًا
وَهَذَا الدُّعَاءُ أَكْثَرُ
مَكْتُوبٍ وَمَأْرُوبٍ

في القادر فأما الأصل فلا بد منه ، ولهذا قال عليه السلام « إنه ليخاف على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة » (١) الحديث ، ولذلك أكرم الله تعالى بأن قال - ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره . فان قلت لا يخفى أن ما يطرأ على القلب من المعلوم والحواسر قص وأن الكمال في الخلق عنه وأن القصور عن معرفة كنه جلال الله قص وأنه كما ازدادت المعرفة زاد الكمال وأن الاتصال إلى الكمال من أحببب نقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لأفرائض وقد أطلقت القول بوجود التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة إذ إدراك الكمال غير واجب في الشرع فالراد بقوله التوبة واجبة في كل حال . فاعلم أنه قد سبق أن الإنسان لا يخفى في مبدأ خلقه من اتباع الشهوات أصلا وليس معنى التوبة تركها قط بل تعام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اجتباها الإنسان ارفع منها ظلة إلى قلبه كما يرفع عن نفس الإنسان ظلة إلى وجه المرأة الصليبة فان تراكت ظلة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرأة عند تراكمه خيلا كما قال تعالى - لا تلبسوا زِينة ما كانوا يَكْسِبُونَ - فاذا تراكم الزين صار طبعاً فيقطع على قلبه كالخشب على وجه المرأة إذا تراكم وطال زمانه فاس في جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل العقل بعده وصار كالطوبوع من الخشب ولا يكتفي في تداركها باتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لابد من هو تلك الأرباب التي انطبع في القلب كالإكثني في ظهور الصور في المرأة قطع الأضراس والبخارات السوداء لوجهها في المستقبل مالم يشغل بجموع ما انطبع فيها من الأرباب وكما يرتفع إلى القلب ظلة من العاصي والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات تسمى ظلة السعية بنور الطاعة وإليه الإغارة بقوله عليه السلام « أتبع السيرة الحسنة تبعها » (٢) فاذن لا يستغنى البعد في حال من أحواله عن عمو آثار السيئات عن قلبه مباشرة حسنة تضاد آثارها آثار تلك السيئات . هذا في قلب حصل أو لا صفاته وجلاله ثم أظهر بأسباب عارضة فأما التصديق الأول ففيه يطول السقل إذ ليس غفل السقل في إزالة السدل عن المرأة كغفلته في عمل أصل المرأة فهذه أفعال طوعية لا تقطع أصلا وكل ذلك يرجع إلى التوبة ، فأما قولك إن هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال . فاعلم أن الواجب له منيان : أحدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو امتثل به كافة الخلق لم يخرّب العالم فلو كلف الناس كلهم أن يقولوا الحق فماتوا تركوا للماضي ورفضوا الدنيا بالكيفية ثم يؤدى ذلك إلى بطلان التقوى بالكيفية فانه مهما فسدت للماضي لم يضرخ أحد التقوى بل غفل الحياة والحراثة والحز يستغرق جميع العمر من كل واحد فاحتاج إليه جميع هذه العرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين ولتقام الممود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول إليه كما يقال الطهارة واجبة في صلاة التطوع أى لمن يريد ما فاته لا يتوصل إليها بالإجاء فأما من رضى بالنقصان والحرامان عن غسل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لأجلها كما يقال العين والأذن واليد والرجل شرط في جود الإنسان يبنى أنه شرط لمن يريد أن يكون إنسانا كاملا

أحدا حافظ عليه إلا وعنده خير ظاهر وبر كذا هو من وصية الصادقين بعضهم بشا حفظه والمحافظة عليه منقول من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرؤه بين القرصة والسنة من صلاة التجرثم يقصد للسجد للصلاة في الجماعة ويقول عند خروجه من منزله : - وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا - ويقول في الطريق : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشى هذا إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء

(١) حديث إنه ليخاف على قلبي فأستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة مسلم من حديث الأضرار الزنى إلا أنه قال في اليوم مائة مرة وكذا عند أبي داود والبخارى من حديث أبي هريرة أني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وفي رواية البيهقي في الشعب سبعين لم يقل أكثر وتقدم في الأذكار والنعوات (٢) حديث أتبع السيرة الحسنة تبعها الترمذي من حديث أبي خزيمة في أولها أخره وقال حسن صحيح وقد تقدم في رياضة النفس .

ينفع بإنسانيته ويتوصل بها إلى درجات العلا في الدنيا فأما من قطع بأصل الحياة ورضى أن يكون
كلحم على وضغ وتكررة مطروحة فليس يشترط لئله هذه الحياة عين ويد ورجل فأصل الواجبات
الداخلية في قوى العامة لا يوصل إلا إلى أصل التجارة وأصل التجارة كأصل الحياة وما وراء أصل التجارة
من السمادات التي بها تنتهي الحياة يجري مجرى الأعضاء والآلات التي بها تنهي الحياة وفيه يسمى الأنياء
والأولياء والعلاء والأمثل فالأمثل وعليه كان حرصهم وحواله كان تطوافهم ولأجله كان رفضهم لاذ
الدنيا بالسلبية حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجرا في منامه فجاء إليه الشيطان وقال
أما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تتم في الدنيا فلم
لاتضع رأسك على الأرض فرى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الأرض وكان رمية الحجر
توبة عن ذلك التتم ، أقرى أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى
واجبا في قواي العامة . أقرى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لما شفه الثوب الذي كان عليه علم
في صلاته حتى نزع^(١) وشفه شركاء له الذي جده حتى أعاد الشركاء الخلق^(٢) لم يعلم أن ذلك
ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة عباده فإذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك إلا لأنه
راه مؤثرا في قلبه آرا بمنه عن بلوغ القيام المحمود الذي قد وعد به ، أقرى أن الصديق رضى الله
عنه بعد أن شرب اللبن وعلم أنه لم يغير وجهه أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه
ما علم من الفقه هذا القدر وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في قواي الفقه إخراج
فلم تاب عن شره بالتدارك على حسب إمكانه بخيلة للعدة عنه وهل كان ذلك إلا لسر وقر في صدره
عرفه ذلك السر أن قواي العامة حديث آخر وأن خطر طريق الآخرة لا يبره إلا الصديقون فتأمل
أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكمان التوروث بالله وإلزامه
واحدة أن تترك الحياة الدنيا وإياك ثم إياك ألف مرة أن يترك الله بالتوروث بالله وإلزامه
استنشق مبادئ روائعها علم أن لزوم التوبة التصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل
نفس من أنفاسه ولو عمر عمر نوح وأن ذلك واجب على الفور من غير مهلة ، ولقد صدق أبو سليمان
الداراني حيث قال لو لم يكن الناقل فيما بقي من عمره إلا على نفوت ماضى منه في غير الطاعة لكان
خليقا أن يحزنه ذلك إلى الممات ، فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بثقل ماضى من جهله وإنما
قال هذا لأن الناقل إذا ملك جوهره فقيسة وضاعت منه بشير قائمة بكى عليها لاحالة وإن ضاعت
منه وصار ضياعها مسبب هلاكه كان بكاءه منها أشد وكل ساعة من العمر بكل نفس جوهره فقيسة
لاخلف لها ولا بدل منها فاتها سالحة لأن توصلك إلى مسعدة الأبد وتقتدك من عقاوة الأبدوى جوهر
أفس من هذا فإذا ضيعتها في الفقة قد خسرت خسراتا مبيتا وإن صرقتا إلى مصيبة قد هلكك
هلاكا فاحشا ، فإن كنت لا تبكى على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك أعظم من كل
مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف الصواب بها أنه صاحب مصيبة فإن نوم الفقة يحول بينه وبين
معرفة الناس أيام فاذا ماتوا انتبهوا فندد ذلك ينكشف لكل مفلس إفلامه ولكل مصاب مصيبته
وقد رفع الناس عن التندارك . قال بعض المارفين : إن ملك للوثة عليه السلام إذا ظهر للعباد علته
أنه قد بقي من عمره ساعة وإنك لا تستأخر عنها طريقة عين فيبدو للعبد من الأسف والحسرة
ما لو كانت له الدنيا مجدافها فخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستتب فيها

(١) حديث نزع صلى الله عليه وسلم الثوب الذي كان عليه في الصلاة تدم في الصلاة أيضا (٢) حديث
نزع الشركاء الجديد وإعادة الشركاء الخلق تدم في الصلاة أيضا .

ولا مصحة خرجت انشاء
سخطك وإنشاء
مرضاتك أسألك أن
تقذفني من النار
وأن تقف لي ذنوبي
إنه لا يغفر الذنوب إلا
أنت . وروى أبو سعيد
الخدري أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« من قال ذلك إذا
خرج إلى الصلاة وكل
الله به سبعين ألف
ملك يستغفرون له
وأقبل الله تعالى عليه
بوجه الكرم حتى
يقضى صلاته » وإذا
دخل المسجد أو دخل
سجدة الصلاة يقول :
بسم الله والحمد لله
والصلاة والسلام على
رسول الله اللهم اغفر
لي ذنوبي واتقني

وتدرك ضررته فلا يجد إليه سبيلا وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - وإليه الإشارة بقوله تعالى - من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله شئاً إذا جاء أجله - فقيل الأجل القريب الذي يطلبه منه أنه يقول عند كشف القطاء للبد يملك الموت أخرني يوماً أعتذرفيه إلى ربى وأتوب وأتوب صالحاً لنفسى فيقول فينت الأيام فلا يوم فيقول فأخرنى ساعة فيقول فينت الساعات فلا ساعة فيقل عليه باب التوبة فينزع روجه وتردد أغاسه في شر أسفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على قضيت العمر فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال فإذا زهقت نفسه فإن كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الحاتمة وإن سبق له القضاء بالقسوة والبذاء بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الحاتمة، ولكل هذا يقال - وليست التوبة للذين يملكون السيئات حتى إذا حضر أحدكم الموت قال إني بعت آلان - وقوله - إنما التوبة على الله للذين يملكون السوء بمجاهة ثم يتوبون من قريب - ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندم عليها ويحس أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يترامق الرين على القلب فلا يقبل المحو ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أتبع السيئة الحسنة تمحها » ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بئسة ، ومن ترك للبادرة إلى التوبة بالتسوية كان بين خطيرين عظيمين : أحدهما أن يترامق الظلمة على قلبه من المصاعى حتى يصير ريناً وطبعاً فلا يقبل المحو . الثانى أن يجاهه للرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بهو ، ولذلك ورد في الخبر « إن أكثر صياح أهل النار من التسوية (١) » فما هلك من هلك إلا بالتسوية فيكون تسوية القلب قد جازت به الطاعة نسيئة إلى أن يخطفه الموت فيأتى الله قلب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ، فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والمعر أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة فمن خان في الأمانة ولم يتدارك حياته فأمره بخطر . قال بعض السافرين : إن لله تعالى إلى عبده سريراً يسرها إليه على سبيل الإلهام : أحدها إذا خرج من بطن أمه يقول له عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهراً نظيفاً واستودعتك عمرك واتممتك عليه ، فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر إلى كيف تلقانى . والثانى عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في أمانتى عندك هل حفظتها حتى تلقانى على العهد فألقاك على الوفاء أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب وإليه الإشارة بقوله تعالى - أو فوجئهم على عهدكم وبقره تعالى - والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون - .

(بيان أن التوبة إذا استجتمت شرائطها فهي مقبولة لأعمال)

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة فانا نظرون بنور البصائر للسمدون من أنوار القرآن علواً أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتمم في الآخرة في جوار الله تعالى ومستمد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى ، وعلواً أن القلب خلق سليماً في الأصل وكل مولود يولد على الفطرة وإمعا غوته السلامة بكسورة ترهق وجهه من غيرة الذنوب وبطلتها ، وعلواً أن نار الندم تحرق تلك الغيرة وأن نور الحسنات يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئات ولا يلا طاعة لنظام المصاعى مع نور الحسنات كالأطعمة لظلمة الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكسورة الوسخ مع يياض الصابون ، وكأن التوب الوسخ لا يقبله الله لأن يكون لياحه فالقلب للظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره ، وكأن أن استعمل التوب في الأعمال الحسنة يوسع التوب وغسله

(١) حديث إن أكثر صياح أهل النار من التسوية لم أجده أصلاً .

أبواب رحمتك ويقيم
رجله الخبي في الدخول
واليسرى في الخروج
من المسجد والسجدة
فسجدة الصوفى بمنزلة
البيت والمسجد ثم يصل
صلاة الصبح في جماعة
فاذا سلم يقول : لا إله
إلا الله وحده لا شريك
له ، له الملك وله الحمد
يعبى ويميت وهو حي
لا يموت يده الخبير
وهو على كل شئ قدير
لا إله إلا الله وحده
صدق وعده ونصر
عبده وأمر جنده
وهزم الأحزاب وحده
لا إله إلا الله أهل التهمة
والفضل والثناء الحسن
لا إله إلا الله ولا نبيد
إلا أياهم غلصين له الدين
ولو كره الكافرون
وشرأ هو الله الذى

بالصابون ولئلا الحار ينظفه لاحتال فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء السموع وحرقة الندم ينظفه ويظهره وزيه ، وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فاعلم عليك الزكية والتطهير . وأما القبول فيذول قد سبق به القضاء الأزلي الذي لا مرد له وهو للمسي خلاصاً في قوله - قد أفلح من زكاه - ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجل من للشاهدة بالمر أن القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثراً متضاداً يستمر لأحدهما لفظ الظلمة كما يستمر للجلل ويستمر للآخر لفظ النور كما يستمر للعلم وأن بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكأنه لم يبق من الدين إلا قشوره ولم يبق إلا أحماءه وقلبه في غطاء كشف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه من جهل نفسه فهو ضير أعجل وأعمى به قلبه إذ قلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه ، فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تخجل كن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول والتوب يسفل بالصابون والوسخ لا يزول إلا أن يفوس الوسخ لطول تراكمه في مجاوزات التوب وخلفه فلا يقوى الصابون على قلعه فمثل ذلك أن تراكم الذنوب حتى يصير طبعاً وريثاً على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب ، ثم قد يقول باللسان ثبت فيكون ذلك كنول القصار بلسانه قد غسلت التوب وذلك لا ينظف التوب أصلاً بل يفسد التوب باستعمال ما يضاف الوصف لتكسبه به فهذا حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق للقليل على الدنيا المرصين عن الله بالكيفية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قول التوبة ولكننا نضد جناحه بنقل الآيات والأخبار فكل استبصار لا يشهد الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال تعالى - وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات - وقال تعالى - غافر الذنب وقابل التوب - إلى غير ذلك من الآيات . وقال صلى الله عليه وسلم « الله أفرح بتوبة أحدكم » الحديث والقرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يبسط يده بالتيه ليمس اليد إلى التهار ويسمى التهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها (١) » . وبسط اليد كتابة عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب إلا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم « لو حملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم (٢) » وقال أيضاً « إن العبد ليدب الذنب فيدخل به الجنة فيقبل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عينه تألياً منه فاراً حتى يدخل الجنة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « كفارة الذنب التدامة (٤) » . وقال صلى الله عليه وسلم « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(١) حديث إن الله يبسط يده بالتيه ليمس اليد إلى التهار الحديث مسلم من حديث أبي موسى بنظير يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار الحديث ، وفي رواية للطبراني ليمس اليد إلى التوب بالنهار الحديث (٢) حديث لو حملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم ابن ماجه من حديث أبي هريرة وإسناده حسن بنظير لو أخطأتم وقال ثم تبتم (٣) حديث إن العبد ليدب الذنب فيدخل به الجنة الحديث ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرحلاً ولأبي نعم في الحلية من حديث أبي هريرة إن العبد ليدب الذنب فإذا ذكره أحزنه فلما نظر الله إليه أنه أحزنه فغفر له الحديث وفيه صالح المري ، وهو رجل صالح لكنه مضطرب في الحديث ولا ينأى الدين في التوبة فمن ابن عمر إن الله ليغفر العبد بالذنب بذنبه والحديث غير محفوظ قاله العقيلي (٤) حديث كفارة الذنب التدامة أحمد والطبراني وهو في الشعب من حديث ابن عباس وفيه شيء من عمرو بن مالك الديكري ضيف .

لا إله إلا هو الرحمن
الرحيم التسعة
والتسعين اسما إلى
آخرها فإذا فرغ منها
يقول : اللهم صل
على محمد عبدك
ونبيك ورسولك النبي
الأمرى وعلى آل محمد
صلاة تكون لهم رضاء
ولحقه أداء وأعطه
الوسيلة والمقام المحمود
الذي وعدته واجزه
عنا ما هو أهله واجزه
عنا أفضل ما جازيت
نبياً عن أمته وصل
على جميع إخوانه من
النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين .
اللهم صل على محمد
في الأولين وصل على
محمد في الآخرين وصل
على محمد إلى يوم الدين
اللهم صل على روح

ويروي « أن حبشيا قال لرسول الله إني كنت أعمل القواش فهل لي من توبة؟ قال نعم فولي ثم رجع فقال لرسول الله أكان يراني وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيأروحه^(١) » ويروي أن الله عز وجل لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا حجت عنه التوبة مادام الروح فيه^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ^(٣) » والأخبار في هذا لا تحصى . وأما الآثار : فقد قال سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى - إنه كان للأوابين غفورا -

في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب . وقال الفضل قال الله تعالى : بشر الذين بأنهم إن تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين أي إن وضعت عليهم عدلي عذبته وقال طلق بن حبيب : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا ثالئين وأمسوا ثالئين . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من ذكر خطبة ألم بها فوجل منها قلبه بحيث عنه في أم الكتاب . ويروي أن نبيان أنبياء بني إسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى إليه وعزتي لأن عدت لأعدتك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تصحني لأعودن فصممه الله تعالى وقال بعضهم إن العبد يذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول إبليس ليتني لم أوقفه في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول أما إني قد كنت مشفقا منه قال فيغفر له . ويروي أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم انفتت إليه فرأى عينيه تدرقان فقال له إن لجنة تخفية أبواب كلها فتفتح وتلق إلى باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا ينطق فاعمل ولا تيأس . وقال عبد الرحمن بن أبي قاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقل الله تعالى - إن يتهوا يغفر لهم ما قد سلف - فقال إني لأرجو أن يكون للسلم عند الله أحسن حالا ولقد بلغني أن توبة السلم كسلام بعد إسلام . وقال عبد الله بن سلام لأحدثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل إن العبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفه عين سقط عنه أسرع من طرفه عين . وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا إلى التوابين فانهم أرق أشدة وقال بعضهم أنا أعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال إذا تاب على وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم للغيرة أي للغيرة من لوازم التوبة وتوابها لا محالة ويروي أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصى عشرين سنة ثم نظر في المرأة فرى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال إلى أهلك عشرين سنة ثم عصى عشرين سنة فان رجعت إليك أقبلي فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا أحببتنا فأحببتنا وتركتنا فتركتنا وعصيتنا فأهملناك وإن رجعت إلينا قبلناك . وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى إن لله عبادا نصبوا أشجارا خطايا نصب روائق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير

(١) حديث أن حبشيا قال لرسول الله إني كنت أعمل القواش فهل لي من توبة قال نعم الحديث لم أجده له أصلا (٢) حديث إن الله لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد أن الشيطان قال وعزتك يارب لا أزال أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني أورده للشفيع ويروي كذا ولم يزه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد كرهه احتياطا (٣) حديث إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ لم أجده بهذا اللفظ وهو صحيح المعنى وهو يعني أبع السيئة الحسنة تمحها رواءه الترمذي وتقدم قريبا .

محمد في الأرواح وصل على جسد محمد في الأجساد واجعل شرائف صلواتك ونوايا برحمتك ورائك ورحمتك ونعمتك ورضوانك على محمد عبدك ونبيك ورسولك اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام غنا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت إذا الجلال والاعتراف اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أمالك دفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد خبري وأصبحت مرتها بعمل فلا تقبر أقر مني اللهم لا تشمت بي

جنون وتبدلوا من غيري ولا يكم ولهم ثم البقاء القصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكماس
الصفا فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولعت قلوبهم في اللسكوت وجالت أفكارهم من سر إلى صاحب
الجبروت واستغلوا تحت رواق الندم وقرعوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى
علو الزهد بلم الورع فاستملحوا مرارة الترك للدين واستلناوا خشونة الضمير حتى نظروا بعجل النجاة
وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العالما حتى أنماوا في رياض النعم وخاضوا في بحر الحيا فوردوا
خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا ببناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة
القطنة وأقلعوا برنج النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن المزا والكرامة فهذا
القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة فتبولة لاعامة . فان قلت أقول ما قلته للمرة من أن
قبول التوبة واجب على الله . فأقول لأعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله لا ما يريد القائل
بقوله إن التوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال
العطش وإنه إذا منع للماء مدة وجب العطش وإنه إذا دام العطش وجب للوت وليس في شيء من
ذلك ما يريد العزلة بالإيجاب على الله تعالى . بل أقول خلق الله تعالى الطاعة تكفيرة للمسيئة والحسنة
ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيل للعطش والقدرة متممة لخلافه لوسقت به للشيء فلا واجب على
الله تعالى ولكن ما سبق به إرادته الأزلية فواجب كونه لاعامة . فان قلت لما من تأب الإوهو
شاك في قبول توبته والشارب للماء لا يشاك في زوال عطشه فلم يشك فيه . فأقول شك في قبول
كشكه في وجود شرط الصحة فان للتوبة أركاناً وشروطاً دقيقة كما سيأتي وليس يتحقق وجود
جميع شروطها كالتي يشك في دواء شره للأسهال في أنه هل يسهل وذلك لشكه في حصول
شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبيعته وجودة عقاقيره
وأدويته فهذا وأمثاله موجب للتعرف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لاعامة على ما سيأتي
في شروطها إن شاء الله تعالى .

(الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغارها وكبارها)

اعلم أن التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته وإذا كانت التوبة واجبة كان ما
لا يتوصل إليها إلا به واجبا فمعرفة الذنوب إذن واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى
في ترك أو فعل وتخصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من أولها إلى آخرها وليس ذلك من
غرضنا ولكننا نشير إلى مجاميعها ورباط أقسامه والله للوفيق له سواب رحمة

(بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات البعد)

اعلم أن للإنسان أوصافاً وأخلاقاً كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوايه ولكن
تتجسر مثرات الذنوب في أربع صفات صفات ربوية وصفات شيطانية وصفات هيمية وصفات سبعة
وذلك لأن طبيعة الإنسان هيئت من أخلاط مختلفة فاتتضت كل واحد من الأخلاط في البجون بنه
أثراً من الآثار كما يقتضيه السكر والحل والغرغرة في السكينجين آثاراً مختلفة . فأما ما يقتضيه الزرع
إلى الصفات الربوية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحسب للنعم والثناء والتمني وحسب دوام
البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول أنا ربكم الأعلى وهذا يقتضيه منه جملة
من كبر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يندوها ذنوباً وهي الهلكات الطغية التي هي كالأمهات
لأن أكثر الناس كالمقتضين في ربح الهلكات . الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يقتضيه
الحسد والبغى والحيلة والحداد والأمر بالفساد وللشكر وفيه يدخل الفش والتفاق والبدعة إلى

عدوى ولائسي في
صديق ولا تجعل
مسيئ في ديني ولا
تجعل الدنيا أكبر همي
ولا تسلط على من
لا يرعني الله بهذا
خلق جديد فاتحه
على بطاعتك واخته
في بختك ورضوانك
وإزقي فيه حسنة
تقبلها مني وزكها
وضعها وعاملت فيه
من سيئة فاغفر لي إنك
غفور رحيم ودود
رضيت بالله رباً
وبالاسلام ديناً وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبياً
اللهم إني أسألك خير
هذا اليوم وخير
ما فيه وأعوذ بك من
شره وشر ما فيه
وأعوذ بك من شر

البدع والضلال . الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرس على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا والواط والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات . الرابعة الصفة السبية ومنها يتشعب الضرب والحدق والتهمج على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ويفرع عنها جل من الذنوب وهذه الصفات لها تدرج في القطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب أولاً ثم تتلوها الصفة السبية ثانياً ثم إذا اجتماعا استعمالا القتل والحدق والكفر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفقر والعز والموال وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه أمهات الذنوب ومنابعها ثم تنفجر الذنوب من هذه النابع على الجوارح فيضها في القلب خاصة بالكفر والبدة والنفاق وإظهار السوء للناس وبضها على العين والسمع وبضها على اللسان وبضها على البطن والفرج وبضها على البدن والرجلين وبضها على جميع البدن ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فإنه واضح . قسمة ثالثة : اعلم أن الذنوب تنقسم إلى ما بين اليد وبين الله تعالى وإلى ما يتعلق بحق العباد كترك الزكاة وقته النفس وغصبه الأموال وشمته والأوجبات الخاصة به وما يتعلق بحق الله تعالى كترك الصلاة والصوم والأعراض وكل متناول من حق الغير فاما همس أو طرف أو مال أو عرض أو دين أو جاهد أو تناول الدين بالأغواء والدعاء إلى البدة والترغيب في المعاصي وتهيج أسباب الجراءة على الله تعالى كأيضه بعض الرواط فتبليغ جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ وما بين العبد وبين الله تعالى إذا لم يكن شركاً فالعفو فيه أرحم وأقرب وقد جاء في الخبر «المواوين ثلاثة ديوان يغفر ديوان لا يغفر ديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى وأما الديوان الذي لا يترك لفظاً المباد (١) أي لا بد أن يطلب بها حتى يبقى عنها : قسمة ثالثة : اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر وقد كثرا اختلاف الناس فيها فقال قائلون لأصغرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضئيف إذ قال تعالى من اجتنبوا كبائر ما نهون عنه تكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مداخل كريمة - وقال تعالى - الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم - وقال (عليه السلام) «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة يكفرن ما بينهن» إن اجتنب الكبائر (٢) وفي لفظ آخر «كفارات لما بينهن» إلا الكبائر (٣) وقد قال صلى الله عليه وسلم في رواه عبد الله بن عمرو بن العاص «الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين القنوس (٤) واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة لما فوق ذلك فقال ابن مسعود «أربع وقال ابن عمر «سبع وقال عبد الله بن عمرو «سبع وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول «هن» إلى سبعين أقرب منها إلى سبع وقال مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما أوعده الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل إنها مبيعة لا يفرغ عددها كلية القدر وساعة يوم الجمعة . وقال ابن مسعود لما سئل عنها قرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عذوقه إن اجتنبوا كبائر ما نهون عنه فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى هنا فهو كبيرة . وقال أبو طالب السك

طوارق الليل والنهار ومن يفتات الأمور ولجأة الأقدار ومن شر كل طارق يطرُق إلا طارقاً يطرُق منك بخير يارحم الله الدنيا والآخرة ورحيمهما وأعوذ بك أن أزل أو أزل أو أضل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو أجهل على عز جارك وجل ثناؤك وقد ست أسماءك وعظمت نماؤك أعوذ بك من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يحرق فيها أعوذ بك من حسنة الحرس وشدة الطمع وسورة الضرب وسنة النقلة ومعالي الكلفة اللهم إني أعوذ من

(١) حديث الدواوين ثلاثة ديوان يغفر الحديث أحمد والحاكم ومعه من حديث عائشة وفيه صدقة بن موسى الدقيقي ضحه ابن معين وغيره ولما عاهد من حديث سلمان ورواه الطبراني (٢) حديث الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهن» إن اجتنب الكبائر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث عبد الله بن عمرو الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين القنوس رواه البخاري

الكبائر سبع عشرة جمعها من جملة الأخبار ^(١) وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم أربعة في القلب وهي الشرك بالله والإصرار على معصيته والقنوط من رحمة والأمن من مكروه

(١) الأخبار الواردة في الكبائر حتى للمصنف عن أبي طالب الليث أنه قال الكبائر سبع عشرة جمعها من جملة الأخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم الشرك بالله والإصرار على معصيته والقنوط من رحمة والأمن من مكروه وشهادة الزور وقذف المحسن واليهم النمس والسحر وشرب الخمر وللسكر وأكل مال اليتيم ظلماً وأكل الربا وإلزام الوطواط القتل والسرقة والقرار من الرخف وعقوق الوالدين انتهى . وسأذكر ما ورد منها مرفوعاً وقد تقدم أربعة منها في حديث عبد الله بن عمرو وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة اجتنبوا السبع اللواتي قالوا يارسول الله وما هي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحسنات اللواتي وهما من حديث أبي بكره ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قال قول الزور وهما من حديث أنس سئل عن الكبائر قال الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قال قول الزور أو قال شهادة الزور وهما من حديث ابن مسعود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنوب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولله عتاقة أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك وللطبراني من حديث سلمة بن قيس إنا هي أربع لا تتركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت يابوني حتى أن لا تتركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر وفيه موقفاً على عبد الله بن عمرو وأكبر الكبائر شرب الخمر وكلامها ضيف وللبزار من حديث ابن عباس بإسناد حسن أن رجلاً قال يارسول الله ما الكبائر قال الشرك بالله والإسراف من روح الله والقنوط من رحمة الله وله من حديث بريدة أكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل للنساء ومنع الفعل وفيه صالح بن حيان ضعه ابن معين والنسائي وغيرهما وله من حديث أبي هريرة الكبائر أو لمن الإشراف بالله وفيه الانتقال إلى الأعراب بعد هجرته وفيه خالد بن يوسف السمين ضيف والطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حنيفة في الكبائر والتعرب بعد الهجرة وفيه ابن لهيعة وله في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري الكبائر سبع وفيه الرجوع إلى الأعرابية بعد الهجرة وفيه أبو بلال الأشعري ضعه الدارقطني ولها كمن حدث عبيد بن عمير عن أبيه الكبائر تسع فذكر منها واستحلال البيت الحرام والطبراني من حديث وثقة إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على ما أكل وله أيضاً من حديثه إن من أكبر الكبائر أن يتنفي الرجل من ولده ولمسلم من حديث جابر بن الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والديه ولا بد من حديث سعيد بن زيد من أبي الربا الاستطالة في عرض السلم بنير حق وفي الصحيحين من حديث ابن عباس أنه عليه السلام سئل عن قبرين فقال لهما لعبدان وما عبدان في كبير وإنه لكبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله الحديث وللأحمد في هذا القصة من حديث أبي بكره أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس الحديث ولأن داود والترمذي من حديث أنس عرضت على ذنوب أمي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أو تها رجل ثم نسها سكنت عليه أبو داود واستخره البخاري والترمذي وروى ابن أبي شيبة في التوبة من حديث ابن عباس لأصغرية مع إصرار وفيه أبو شيبة الحراساني

مباهاة للكافرين
والإضرار على القايين وأن
أضر ظالمًا أو أخذ
مظلوماً وأن أقول في
العلم بشير علم أو أعمل في
الدين بشير يقين أعوذ
بك أن أشرك بك وأنا
أعلم وأستغفر لك لما
أعلم أعوذ بفوقك
من عقابك وأعوذ
برضائك من سخطك
وأعوذ بك منك
لأحصى ثناء بتليك
أنت كما أثبتت على
فكرك اللهم أنت ربى
لا إله إلا أنت خلقتني
وأنا عبدك وابن
عبدك وعلى عهدك
وعودك ما استطعت
أعوذ بك من شر
ما صنعت أبوء بعملك
على وأبوء بذنبي فأغفر لي

وأربع في اللسان ، وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين القموس ، وهي التي يحق بها بطلان أو يطل بها حقا ، وقيل هي التي يقطع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سوا كامن أراك . وصحبت غموسا لأنها تهمس صاحبها في التار . والسحر وهو كل كلام يغير الإنسان وسائر الأجسام عن موضوعات الحلقة . وثلاث في البطن وهي شرب الخمر والسكر من كل شراب وأكل مال اليتيم ظلما أو كل الربا وهو يلم . واثنان في الفرج هما الزنا والواط . واثنان في اليدين هما القتل والسرقة . وواحدة في الرجليين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من العشرين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين . قال وجمة عقوقهما أن يسبها عليه في حق فلا ير قسمهما وإن سألاه حاجة فلا يعطيهما وإن يسأه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء إذ يمكن الزيادة عليه والتقصان منه فاته جعل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهي جناية على الأموال ، ولم يذكر في كبائر النفوس إلا القتل فأما فقه الدين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأتباع العذاب فلم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه لا شك في أنه أكبر من أكل ماله ، كيف وفي الخبر من الكبائر « السبтан بالبسة ومن الكبائر استقالة الرجل في عرض أخيه للسلم ^(١) وهذا زائد على قذف المحصن . وقال أبو سعيد الحدرى وغيره من الصحابة : إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشرر كنا ننمدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر ^(٢) . وقالت طائفة : كل عمد كبيرة وكل مانهى الله عنه فهو كبيرة وكشف النطاء عن هذا أن نظر الناظر في السرقة أي كبيرة أم لا لا يصح ما لم يفهم معنى والحديث منكر يعرف به . وأما للوقوفات فردى الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال الكبائر الإشرار بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله . وروى البيهقي فيه عن ابن عباس قال الكبائر الإشرار بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وأكل الربا والسحر واليمين القموس الفاجر والقنوط ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتاب الشهادة وشرب الخمر وترك الصلاة متعمدا وأشياء مما فرضها الله ونقض العهد وقطعية الرحم . وروى ابن أبي الدنيا في التوبة عن ابن عباس كل ذنب أصر عليه البديك وفيه الويسع بن صبيح مختلف فيه . وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قوله لا صغيرة مع الإصرار وإنسانه جيد فقد اجتمع من الرفوعات وللوقوفات ثلاثة وثلاثون أو اثنان وثلاثون إلا أن بعضها لا يصح إنسانه كما تقدم وإنما ذكرت للوقوفات حتى يعلم ما ورد في الرفوع وما ورد في اللوقوف واليه في الشعب عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر سبع فقال هي إلى السبعين أقرب وروى البيهقي أيضا فيه عن ابن عباس قال كل مانهى الله عنه كبيرة ، والله أعلم ^(١) حديث من الكبائر السبتان بالبسة ومن الكبائر استقالة الرجل في عرض أخيه للسلم عزاه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس لأحمد وأبي داود من حديث سعيد بن زيد والذي عندهما من حديثه من أربى الربا استقالة في عرض للسلم بغير حق كما تقدم ^(٢) حديث أبي سعيد الحدرى وغيره من الصحابة إنكم تعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشرر كنا ننمدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر أحمد والبخاري بسند صحيح وقال من اللوحيات بدل الكبائر ورواه البخاري من حديث أنس وأحمد والحاكم من حديث عيادة بن قرص وقال صحيح الإسناد .

إنه لا يغير الذنوب إلا أمت . اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وآخره نجاحا وأوسطه فلاحا . اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكملة أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والكبرياء لله والجبروت والسلطان لله والليل والنهار وما سكن فيها لله الواحد القهار أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة آيينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان

الكبيرة والمراد بها كقول القائل السرقة حرام أم لا ، لا مطمع في تعريضه إلا بعد تحرر معنى الحرام أولاً ثم البحث عن وجوده في السرقة ، فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لأن الكبير والصغير من الصفات ومامن ذنب إلا هو كبير بالاضافة إلى مادونه وصغير بالاضافة إلى ما فوقه فالضاحجة مع الأجنبية كبيرة بالاضافة إلى النظرة صغيرة بالاضافة إلى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة إلى ضربه صغيرة بالاضافة إلى قتله ، نعم للانسان أن يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ، ونفى يوصفه بالكبيرة أن العقوبة بالنار عظيمة وله أن يطلق على ما أوجب الحد عليه مصيراً إلى أن ما جعل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب انتهى عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمته ثم يكون عظيماً وكبيرة لامحالة بالاضافة ، إذ منصوبات القرآن أيضاً تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من ألفاظ الصعابة يتردد بين هذه الجهات ولا يمد تزيلها على شيء من هذه الاحتمالات ، نعم من الجهات أن تعلم معنى قول الله تعالى - إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم - وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصلوات كفارات لما يشين إلا الكبائر» فان هذا إثبات حكم الكبائر والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يملأ استظامه إياها إلى ما يملأ أنها معدودة في الصفات وإلى ما يشك فيه فلا يدري حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن إلا بالسماح من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول إن أردت بالكبائر عشرة أو خمسة وفصلها ، فان لم يرد هذا بل ورد في بعض الألفاظ « ثلاث من الكبائر (١) » وفي بعضها « سبع من الكبائر (٢) » . ثم ورد « أن السبطين بالبسة الواحدة من الكبائر » وهو خارج عن السبع والثلاث علم أنه لم يقصد به العدد بما يحصر فكيف يطمع في عدد ما لم يمهده الشرع وربما قصد الشرع إبهامه ليكون العباد منه على وجل كما أنهم ليله القدر ليعظم جد الناس في طلبها ، نعم لنا سبيل كلّي يمكننا أن نعرف به اجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق . وأما أعيانها فتعرفها بالظن والتعريب ونعرف أيضاً أكبر الكبائر ، فأما أصغر الصغائر فلا يسهل إلى معرفته . ويانه أنا نعلم بقواعد الشرع وأنوار البصائر جميعاً أن مقصود الترائع كلها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقاءه وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسوله وإليه الإشارة بقوله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - أي ليعبدوا عبيداً لا وليا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية وشبهه بالبودية ولا بد أن يعرف نفسه وربه فهذا هو التصود الأقصى يمتنع الأنبياء ولكن لا يمتنع هذا إلا في الحياة الدنيا ، وهو الذي يقوله عليه الصلاة والسلام « الدين أمر عظيم (٣) » فصار حفظ الدنيا بضم مقصوداً تايهاً بالدين لا تمسك به إليه

(١) حديث ثلاث من الكبائر الشيخان من حديث أبي بكره ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً الحديث وقد تقدم (٢) حديث سبع من الكبائر طب في الأوسط من حديث أبي سعيد الكبائر سبع وقد تقدم وله في الكبير من حديث عبدالله بن عمر من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر الحديث ثم عددهن سبعاً وتقدم عن الصحيحين حديث أبي هريرة اجتنبوا السبع للوقات (٣) حديث الدنيا مزرعة الآخرة لم أجده بهذه اللفظ ، رفوعاً وروى الثعلبي في الضمراء وأبو بكر بن لاد في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشيم نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته الحديث وإسناده ضعيف .

لثان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد يا حي يا قيوم يا حي حين لا شيء في دعوته ملكه وقائه يا حي حيي للوفى يا حي محبت الأحياء ووارث الأرض والسماء ، اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم اللهم إني أسألك باسمك الأعظم الأجل الأعمز الأكبرم الذى إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت بأعظمت يا نور النور يا مدبر الأمور

وهذه الأربعة جدية بأن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها . وأما كل الرافضين في الإكراه على التبرع بالتراضي مع الإخلال بشرط وضعه الشرع ولا يمد أن تختلف الشرائع في مثله وإذا لم يحصل النصب الذي هو أكل مال الغير بشير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل رضا المالك ولكن دون رضا الشرع وإن عظم الشرع الربا بالترجعه عنه فقد عظم أيضا الظلم بالنصب وغيره وعظم الحياطة والصبر إلى أن أكل دائق بالحياة أو النصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك وأكثريه الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي أن يختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى كما ذكره أبو طالب للكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وغشوق الوالدين . أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضا لأن العقل معطو كذا أن النفس معطولة بل لا خير في النفس دون العقل فإزالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر فلا شك في أنه لو شرب ما فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك لإيجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم أمره فينبذ ذلك من الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع فان ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع وإلا فالتوقف فيه محال . وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض والأعراض دون الأموال في الرية وتناولها مراتب وأعظمها تناول بالقذف بالإضافة إلى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع أمره وأظن قلنا غالبا أن الصحابة كانوا يمدون كل ما يجب به الحد كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس وهو الذي تريده بالكبيرة الآن ولكن من حيث إنه يجوز أن تختلف في الشرائع فالقياس مجرد لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العدل الواحد إذا رأى إنسانا يزني فله أن يشهد ويجعل الشهود عليه بمجرد هدايته فان لم تقبل شهادته لحد ليس ضروريا في مصالح الدنيا وإن كان على الجحتمن الصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذن هذا أيضا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فأما من ظن أنه لا يشهد وحده أو ظن أنه يساعده على شهادة غيره فلا ينبغي أن يحصل في حقه من الكبائر . وأما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة وإلا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره . وأما الفرار من الزحف وغشوق الوالدين فهذا أيضا ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف وإذا قطع بأن سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم لهم بنصب أموالهم وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم وإجلالهم من أوطانهم ليس من الكبائر إذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكبر ما قيل فيه فالتوقف في هذا أيضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تمتع كبيرة فليحلق بالكبائر . فإذا رجح حاصل الأمر إلى أنا نعتي بالكبيرة مالا تكفره الصلوات بحكم الشرع وذلك مما اتهم إلى ما علم أنه لا تكفره قطعا وإلى ما ينبغي أن تكفره وإلى ما يتوقف فيه فالتوقف فيه بضه مظنون لثني والاثبات وبضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة وإن لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال . فان قلت فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده . فاعلم أن كل مالا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الإبهام لأن دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدين من حيث إنها كبيرة بل كل موجبات الحدود معلومة بأحكامها كالسرقة والزنا وغيرها وإنما حكم الكبيرة أن الصلوات الخمس لا تكفرها ، وهذا أمر يتعلق بالآخرة والإبهام ألقى به حتى يكون الناس على وجل وحذر

ياعزى يا جبار يا أحد
يا صمد يا ودود يا غفور
هو الله الذي لا إله إلا
هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم لا إله
إلا أنت سبحانك إنى
كنت من الظالمين
اللهم إنى أعوذ بك
للكون الخزون
للتزل السلام انظر
الظاهر القدوس للقدس
يادهر يادهور يادهار
يأبد بأزل يامن لا يزل
ولا يزال ولا يزول هو
يا هو لا إله إلا هو يامن
لا هو إلا هو يامن
لا يعلم ما هو إلا هو
يا كان يا كان
ياروح يا كائن قبل
كل كون يا كائن بعد
كل كون يا مكنون

فلا يتجهزون على الصغائر اعتياداً على الصلوات الحسن وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى - إن تعذبوا كيثاً ماتتوا عنه نكفر عنكم سيئاتكم - ولكن اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبا مع القدرة والارادة كن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فكيف نفسه عن الوقوع فيقتصر على نظر أو لمس فإن مجاهدة نفسه بالكف عن الوقوع أشد تأثيراً في تنوير قلبه من إقامته على النظر في إخلاله فهذا معنى تكفيره فإن كان عنينا أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للجز أو كان قادراً ولكن امتنع لحوف أمر آخر فهذا لا يصلح لتكفير أصلاً وكل من يشتهي الحرف بطبعه ولو أيسر له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسباح للاله والأوتار، ثم من يشتهي الحرف وسبح الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الحرف ويطبقها في السباح فجاهدته النفس بالكف ربما تنحو عن قلبه الظلمة التي ارتضت إليه من مصيبة السباح فكل هذه أحكام أخروية ويجوز أن يبقى بعضها في محل الشك وتكون من للشهات فلا يعرف تفضيلها إلا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بألفاظ مختلفة : فقد روي أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشراف بالله ترك السنة ونكث الصفقة (١) » قيل ما ترك السنة قيل الخروج من الجماعة ونكث الصفقة أن يبيع رجلاً ثم يخرج عليه بالسيف يقتله فهذا وأمثاله من الألفاظ لا يحيط بالعدد كله لا يدل على حد جامع فيبقى لأعمال مبهما . فإن قلت الشهادة لا تقبل إلا ممن يجنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطاً في قبول الشهادة وهذا من أحكام الدنيا . فاعلم أنا لا نخصم رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في أن من يسمع للاله ويلبس الدياج ويختم بختام الذهب وضرب في أواني الذهب والفضة لا تقبل شهادة ولم يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من الكبائر وقال الشافعي رضي الله عنه إذا شرب الخمر الحظي التوبة حذفته ولم أرد شهادته قد جعله كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على أن الشهادة فيما وإثباتاً لا تنور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تندفع في العداة إلا ما لا يخلو الإنسان عنه غالباً بضرورة مجاري العادات كالنية والتجسس وسوء الظن والسكذب في بعض الأحوال وسبح النية وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكل الشهات وسب الولد والظلم وضربها بحكم الغضب زائداً على الصلحة وإكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم أهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين فهذه ذنوب لا يتصور أن يترك الشاهد عن قليلها أو كبيرها إلا بأن يتزل الناس ويتجرذ لأمر الآخرة ومجاهدة نفسه مدة بحيث يبقى على معتمعه الخاطلة بعد ذلك ولو لم يقبل إلا قول مثله لمز وجوده وبطلت الأحكام والشهادات وليس ليس الحرير وسبح للاله والعب بالترد ومجالسة أهل التبر في وقت التبر والحلوة بالأجنبيات وأمثال هذه الصغائر من هذا القبيل قال مثل هذا للتياح ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة ورد هذا إلى الكبيرة والصغيرة ثم أعاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لولا وظ عليها لأمر رد الشهادة كن أخذ النية وتلب الناس حافة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما أن البياح يصير صغيرة بالمواظبة كالتب بالشرط والقرنم بالناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر .

(بيان كيفية توزيع الدرجات والدرجات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا)

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم القبر ولللكوت وأعني بالدنيا حالتي قبل

(١) حديث الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشراف بالله وترك السنة ونكث الصفقة الحديث الحاكم من حديث أبي هريرة نحوه وقال صحيح الأئمة .

لكل يكون أهيا
شراها . أدوناى
أسبوت يا عيلى عظام
الأمور - فان تولوا
قبل حسب الله لا إله
إلا هو عليه توكلت
وهو رب العرش
العظيم . ليس كنهه شيء
وهو السميع البصير .
الهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت
على إبراهيم وآل
إبراهيم وبارك على
محمد وعلى آل محمد كما
باركت على إبراهيم
وآل إبراهيم إنك
حميد مجيد اللهم إني
أعوذ بك من عيلى
لا يفتح وقلب لا يفتح
ودعاه لا يسمع اللهم إني
أعوذ بك من فتنة
الديال وهداب القبر

لثوت وبالأخرة حالته بعد الموت فدنياك وأخرتك صفاتك وأحوالك يسمى القريب الذي منها دنيا وللتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فاما الآن نتكلم في الدنيا وهو عالم للثوت وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم للثوت ولا يتصور شرح عالم للثوت في عالم للثوت لا يضرب الأمثال ولذلك قال تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وهذا لأن عالم للثوت نوم بالإضافة إلى عالم للثوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» (١) وماسيكون في القطة لا يتبين لك في النوم لا يضرب الأمثال المحوجة إلى التعبير فكذلك ماسيكون في نقطة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا إلا في كثرة الأمثال وأعيى بكثرة الأمثال ما تفرغه من علم التعبير ويكتفي منه إن كنت فطنا ثلاثة أمثلة فقد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال رأيت كأن في يدي خاتما أتم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال إنك مؤذن مؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر قال صدقت وجاء رجل آخر فقال رأيت كأنني أصب الزيت في الريتون فقال إن كان تحتك جارية اشتريتها فتش عن حالها فإن أمك سيئت في شرك لأن الزيتون اسفل الزيت فهو يرد إلى الأصل فنظر فإذا جاريته كانت أمه وقد سيئت في صفه وقال له آخر رأيت كأنني ألقه الدر في أعناق الخنازير فقال إنك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال والتعبير من أوله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال وإعما نهي بالمثل أداء للمنى في صورة إن نظر إلى معناه وجهه صادقا وإن نظر إلى صورته وجهه كاذبا فال مؤذن إن نظر إلى صورة الحاتم والحتم به على الفروج رآه كاذبا فإنه لم يحتم به قط وإن نظر إلى معناه وجده صادقا إذ صدر منه روح الحتم ومعناه وهو للنع الذي يراد الحتم له وليس للأنياء أن يتكلموا مع الخلق لا يضرب الأمثال لأنهم كلفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم أنهم في النوم والتأني لا يكشف له عن شيء إلا بمثل فإذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن للثوت صادق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وهو من للثال الذي لا يقبله إلا العالمون فأما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر للثال لجهله بالتعبير الذي يسمى تأويلا كما يسمى تفسير مابرى من الأمثلة في النوم تعبيرا فيثبت له تعالى يدا وأصابعه تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته» (٣) فإنه لا ينفهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة فيثبت له تعالى مثل ذلك، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . ومن ههنا زلة من زل في صفات إلهية حتى في الكلام وجماعه صوتا وحرقا إلى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد في أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها للحد بجمود نظره على ظاهر للثال وتناقضه عنده كقوله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالثوت يوم القيامة في صورة كبش أملح فذبح فيثور للحد الأحمر ويكذب» (٤) ويستدل به على كذب الأنبياء ويقول يا سبحان الله للثوت عرض والكبش جسم فكيف يتقلب العرض جسا وهل هذا إلا عيال ولكن الله تعالى عزله هؤلاء الحق عن معرفة أسرارهم فقال وما يعقلها إلا العالمون - ولا يندري السكين أن من قال رأيت في منامي أنه جى بكبش وقيل هذا هو الوياء الذي في البلد وذبح فقال للبر صدقت والأمم كما رأيت وهذا يدل على أن هذا الوياء ينقطع ولا يولد قط لأن

ومن قسمة الحيا واليات
اللهم إني أعوذ بك من
شر ما عادت وشر ما لم
أعلم وأعوذ بك من
شر محسوس وبصري
ولساني وقلمي اللهم إني
أعوذ بك من القسوة
والفقه والدل والسكة
وأعوذ بك من الفقر
والكفر والفسوق
والشقاق والنفاق وسوء
الأخلاق وضيق
الأرزاق والسمة
والرياء وأعوذ بك من
الصم والبكم والجنون
والجذام والبرص وسائر
الأمقام اللهم إني أعوذ
بك من زوال نعمتك
ومن تحويل عافيتك
ومن جفاف جفنتك ومن
جميع سخطك اللهم
إني أسألك الصلاة على

- (١) حديث الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا لم أجده مرفوعا وإنما يمزى إلى طي بن أبي طالب
- (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن تقدم (٣) حديث إن الله خلق آدم على صورته تقدم (٤) حديث يؤتى بالثوت يوم القيامة في صورة كبش أملح فذبح متفق عليه من حديث أبي سعيد .

للدبوح وقع اليأس منه فإن العبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته وترجع حقيقة ذلك إلى أن للوكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الأرواح عند النوم على مافي اللوح المحفوظ عرفة بما في اللوح المحفوظ بمثابة ضربه له لأن التألم إنما يحتمل للثال فكان مثاله صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل أيضا إنما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم فيوصلون للعاني إلى أنهم مالم يشأه حكمة من الله ولطفًا بعباده ويمسيرا لأدراك ما يجوزون عن إدراكه دون ضرب للثال لقوله يؤتى بالموت في صورة كبش أملع مثاله ضربه ليوصل إلى أنهم حصول اليأس من الموت وقد جبلت القلوب على التأثر بالأمثلة وثبوت للعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله «قلب للؤمن بين أربعين من أصابع الرحمن» عن سرعة التقليب . وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات فلترجع الآن إلى العرض فلنقصود أن نعرف توزيع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن إلا ضرب للثال فلنتهم من للثال الذي نضربه معناه لاصوره . فنقول : الناس في الآخرة ينقسمون أسنانا وتتفاوت درجاتهم ودركاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتًا لا يدخل تحت المحصر كما تفاوتوا في معادة الدنيا وشقاوتها ولا تشارك الآخرة في هذا للمنى أصلا أبته فإن مدبر الملك وللكوت واحد لا شريك له وسنقه الصادرة عن إرادته الأزلية مطردة لا يبدل لها إلا أن إن هجرت ناعن إحصاء آحاد الدرجات فلا نخرج عن إحصاء الأجناس . فنقول الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسامها الكين ومعدلين وتاجين وفائزين . ومثاله في الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقليم فيقتل بعضهم فهم المالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعدلون ويغلب بعضهم فهم التاجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فإن كان لللك عادلا لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق فلا يقتل إلا جاحدا لاستحقاق لللك معاندا له في أصل الدولة ولا يجذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يغلب إلا متغترفا له برتبة لللك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليعلم عليه ولا يخلع إلا على من أبلى عمره في الخدمة والفترة ثم يبنى أن تكون خلق الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة وإهلاك المالكين إما تحقيقا بحز الرقة أو توكيلا بالثلة بحسب درجاتهم في المعاندة وتعذيب للمعدلين في الخفة والشدة وطول للذة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لأخصى ولا تنحصر فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن معذب مدة ومن تاج يحل في دار السلامة ومن فاز والفائزون ينقسمون إلى من يحلون في جنات عدن أوجنات للأوى أوجنات الفردوس والمعدبون ينقسمون إلى من يعذب قليلا وإلى من يعذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار (١) كما ورد في الخبر وكذلك المالكون الأيسون من رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلندكر كيفية توزيعها عليها : الرتبة الأولى وهي رتبة المالكين ونعني بالمالكين الأيسين من رحمة الله تعالى إذ الذي قتله لللك في للثال الذي ضربناه آيس من رضا لللك وإكرامه فلا تقتل عن معاني للثال وهذه الدرجة لا تكون إلا للباحدين والراضين المتجودين في الدنيا المكذبين بالله ورسوله وكتبه فإن السعادة الأخروية في القرب من الله والنظر إلى وجهه وذلك ينال بالأسلا بالمرقة التي يبرئها

عهد وعلى آله وأسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك مأسألك عبدك ونييك عهد صلى الله عليه وسلم وأستعينك عما استعاذك منه عبدك ونييك عهد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا ترجحك يا أرحم الراحمين يا أقيوم ترجحك أستغث

(١) حديث إن آخر من يخرج من النار يعذب سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حديث قال فيه وأطولهم مكثا فيه مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة .

بالإيمان والتصديق والجاهدون هم المنكرون والمنكذبون هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبدال الآباد وهم الذين يكذبون رب العالمين وبآيياته للرسلين إنهم عن ربهم يومئذ لجوبون لاجلالة وكل عجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشبهه لاجلالة فهو لاجلالة يكون عترة نارجهم نارج الفراق ولذلك قال المارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاءنا للحدور المين وإنما مطالنا للقاء ومهرنا من الحجاب قط ، وقالوا من يمد الله يمد الله يمد الله فهو ثم كان يمد الله لطلب جنته أو خوف ناره بل المارف يمد الله فلا يطلب إلا ذاته قط ، فأما الحدور المين والقوا كما قد لا يشترها وأما النار فقد لا يشترها إذ نار القراق إذا استولت رجا غلبت النار المحرقة للأجسام ، فان نار القراق نار الله الوقدة التي تطلع على الأخدود ونار جهنم لاشغل لها إلا مع الأجسام وأما الأجسام تستحرق مع ألام القواد ولذلك قيل :

وفي قواد الحب نار جوى آخر نار الجحيم أربها

ولا ينبغي أن تنكر هذا في عالم الآخرة إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا قد يرى من غلب عليه الوجد فندا على النار وعلى أصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه ترى الضياع يستولى عليه النضب في القتال فتصفيه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لأن النضب نار في القلب ذل رسول الله صلى الله عليه وسلم « النضب قطعة من النار » (١) واحتراق القواد أشد من احتراق الأجساد والأشد يعلل الإحساس بالأنصف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيوف إلا من حيث إنه يفرق بين جزئين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكنة في الأجسام فالتأليف يفرق بين القلب وبين محبوبه الذي يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاما من تأليف الأجسام فهو أشد إيلا ما إن كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب ولا يعد أن لا يدرك من لالقلب له شدة هذا الألم ويستعقره بالإضافة إلى ألم الجسم فالسيوف لو خير بين ألم الحرمان على الكرة والصولجان وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلا ولم يعد ذلك أما وقال العدو في اليدان مع الصولجان أحب إلى من أفس سرير للسلطان مع الجلوس عليه ، بل من قلبه شهوة البطن لو خير بين المدرسة والخلواء وبين فعل جميل يقر به الأعداء ويفرح به الأصدقاء لأثر المدرسة والخلواء ، وهذا كله لفقد للمنى الذي بوجوده يسير الجاه محبوا بوجود للمنى الذي بوجوده يسير الطعام لذيذا وذلك لمن استرقت صفات البهائم والباع ولم تظهر فيه صفات اللائكة التي لا يناسبها ولا يلها إلا القرب من رب العالمين ولا يؤلفها إلا الممدوح والحياد وكما يكون الذوق إلا في اللسان والسمع إلا في الأذان فلا تكون هذه الصفة إلا في القلب ، فمن لالقلب له ليس له هذا الحس كن لا يسمع له ولا يصر ليس له لنة الألحان وحسن الصور والألوان وليس لكل إنسان قلب ولو كان لم يصح قوله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - فجعل من لم يذكر بالقرآن مفلسا من القلب ، ولست أعنى بالقلب هذا الذى تشكفته عظام الصدر ، بل أعنى به السر الذى هو من عالم الأمر وهو الأهم الذى هو من عالم الخلق وعشاه الصدر كرسية وسائر الأعضاء طاله وعلمكته وفي الخلق والأمم جميعا ، ولكن ذلك السر الذى قال الله تعالى فيه - قل الروح من أمر ربى - هو الأمير والملك لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق ترتيبا وعالم الأمر أمير على عالم الخلق وهو الأليفة التي إذا صلت صلت لها سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يتم البعد مبادئ روائع للمنى الطوى تحت قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته » ونظير بين

(١) حديث النضب قطعة من النار الترمذى من حديث أنى سعيد نحوه وقد تقدم .

لا تسكنى إلى تسمى
طرفة عين وأصلح لى
شأنى كله يا نور
السماوات والأرض
يا جمال السماوات
والأرض يا صمد
السماوات والأرض
يا ديع السماوات
والأرض إذا الجلال
والأكرام يا صريح
الصرخين يا غوث
السفينة يا منتهى
رغبة الراغبين
والفرح عن الكرويين
والروح عن القوميين
ومحبب دعوته
الفسطرين وكاف
السوء وأرحم الراحمين
وإله العالمين منزل
بك كل حاجة يا أرحم
الراحمين اللهم استر
عورائى وآسن روعائى

الرحمة إلى الماين له على ظاهر لفظه وإلى التمسعين في طريق تأويله ، وإن كانت رحمته للعالمين على النظم أكثر من رحمته للتمسعين في التأويل لأن الرحمة على قدر الصبغة ومصيبة أولئك أكثر وإن اختلفوا في مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكته يختص بها من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، ولعمد إلى الفرض فقد أرخينا الطول وطولنا النفس في أمر هو أعلى من علوم العالمات التي تصدها في هذا الكتاب فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين ، وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل تحت المحصر فذلك لم نوردها . الرتبة الثانية : رتبة للمذنبين وهذه رتبة من تحلى بأصل الإيمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فإن رأس الإيمان هو التوحيد وهو أن لا يبد إلا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ إلهه هواه فهو موحدها لانه لا حقيقة بل معنى قولك لا إله إلا الله معنى قوله تعالى - قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون - وهو أن تذبذبا بغير الله ، ومعنى قوله تعالى - الذين قالوا ربنا الله ثم استغماوا - ولما كان الصراط للستقيم الذي لا يكل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من الشرع وأحد من السيف مثل الصراط للوصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير إذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قاذح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط للستقيم فذلك يقتضي لاحالة قصصا في درجات القرب ومع كل قصصا ثارنا ثار الفراق لذلك الكمال القائم بالقصصا وثار جهنم كالمصفاة القرآن فيكون كل مائل عن الصراط للستقيم معذبا مرتين من وجهين ، ولكن شدة ذلك المذاب وخفته وضاوته بحسب طول اللذة إنما يكون بسبب أمرين : أحدهما قوة الإيمان وضعفه ، والثاني كثرة اتباع الهوى وقتله وإذ لا يخلو بشر في غالب الأمر عن واحد من الأمرين قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا - ولذلك قال الخائفون من السلف : إنما خوفنا لأننا نقتنا أنا على النار واردون وعكسنا في النجاة ، ولما روى الحسن الحبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان^(١) قال الحسن باليقني كنت ذلك الرجل . وأعلم أن في الأخبار ما يدل على أن آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وأن الاختلاف في اللذة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لذة وبين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والأسبوع والشهر وسائر الدد وأن الاختلاف بالشدة لانهاية لأعلاه وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب كأن ذلك قد يعذب بعض للتصمين في الأعمال بالمناقشة في الحساب ثم يفوقه يضرب بالسياط وقد يعذب بنوع آخر من العذاب ويتطرق إلى العذاب اختلاف ثالث في غير اللذة والشدة وهو اختلاف الأنواع إذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط من يعذب بأخذ المال وقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الأقارب والضرب وقطع اللسان واليد والأنف والأذن وغيره ، فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الإيمان وضعفه وكثرة الطاعات وقتلها وكثرة السيئات وقتلها . أما شدة العذاب فبشدة قبس السيئات وكثرتها وأما كثرة قبسها وأما اختلاف أنواعها فاختلاف أنواع السيئات وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو الحق بوجهه تعالى - وما ربك بظلام للعبيد - وبجمله تعالى - اليوم تجزي كل نفس

وأقلني عثاني ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغفل عن تحتي ، اللهم م إلى ضيف قو في رضاك ضيفي وخذني إلى الخير بناصبي واجعل الإسلام منتهى رضاي ، اللهم إلى ضيف قدوتي اللهم إلى دليل فأعزني ، اللهم إلى فقير فأغني برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم إنك تعلم سرى وعلايتي فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلتي وتعلم مالي فغفر لي ذنوبي ، اللهم إلى أسألك إيمانا يسأش قلبه وقيتنا صادقا حتى أعلم

(١) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان أحمد وأبو يعلى من رواية أبي ظلال الصملي عن أنس وأبو ظلال ضيف واسمه هلال بن ميمون .

بما كسبت - وبقوله تعالى - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - وبقوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الأعمال وكل ذلك بمعدل لا ظلم فيه وجانب الغنى والرحمة أرفع ، إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم « سبقت رحمى غضبي » (١) وقال تعالى - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما - فلذلك هذه الأمور الكليتين ارتباط الدرجات والدرجات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة ، فأما التفصيل فلا يعرف إلا بظنا ومستندة ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بين الاعتبار فنقول: كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع القرائن : أعنى الأركان الخمسة لم يكن منه إلا صفات متفرقة لم يصر عليها فيشبه أن يكون عذابه المتناقضة في الحساب قط فانه إذا حوسب رجعته حسناته على سيئاته إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن ، وكذلك اجتناب الكبائر يحكم نص القرآن مكفر للصفات وأقل درجات التكفير أن يدفع الذناب إن لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله قد قلت موازينه ، فينبغي أن يكون به ظهور الرجحان في الإيمان وبعدم الفراغ من الحساب في عيشة راضية ، نعم التحاقه بأصحاب الإيمان أو بالقرين ونزوله في جنات عدن أوفى الفردوس الأعلى فكذلك يتبع أصناف الإيمان ، لأن الإيمان إيمانان تقليدي كإيمان العوام يصدقون بما يستمعون ويستمررون عليه ، وإيمان كشفى يحصل بانفتاح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيضخ أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله ، فهذا الصنف هم للقرينون النازلون في الفردوس الأعلى وهم على غاية القرب من اللائ الأعلى وهم أيضا على أصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم ، وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات العارفين في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر إذ الإحاطة بكنهه جلالة لا غير ممكنة ومجر المعرفة ليس له ساحل وعمق وإعما يخص فيه التواصون بقدر قوامه وقدر ماسبق لهم من الله تعالى في الأزل ، فالطريق إلى الله تعالى لانهائية لمنازله فالسالكون سبيل الله لانهائية لدرجاتهم . وأما المؤمن إيمانا تقليديا فهو من أصحاب الإيمان ودرجته دون درجة القرين وهم أيضا على درجات فالأعلى من درجات أصحاب الإيمان تقارب رتبته رتبة الأدنى من درجات القرين ، وهذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى القرائن كلها : أعنى الأركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلوة والزكاة والصوم والحج ، فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتائب المحمولى كالمى لم يتوسخ أصلا وإن مات قبل التوبة فهذا أمر غخطر عند الموت إذ ربما يكون موته على الإصرار سببا لنزول إيمانه فيقتله بمسوء الحاتمة لاسميا إذا كان إيمانه تقليديا ، فان التقليد وإن كان جزما فهو قابل للأغلال بأدنى شك وخيال والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الحاتمة ، ولا بما إن مات على الإيمان يذب أن لا أن يخاف الله عذابا يزيد على عذاب المتناقضة في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات وعند انقضاء مدة المذاب ينزل به المفلدون في درجات أصحاب الإيمان والعارفون المستبصرون في أعلى عليين ،

أنه لن يصيبني إلا ما كتب لي والرضا بما قسمت لي وإذا الجلال والاكرام اللهم ياهادي المضلين وياراحم المذنبين ومقبل عثرة العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم جميعين واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من التدين والصدقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات تلقى الروح بأمرى على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا اله إلا هو أنت الوكيل

في الخبر « آخر من يخرج من النار يسطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف (١) » فلا تظن أن المراد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام كأن يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بعشرين فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال بل هذا كقول القائل أخذ منه جملا وأعطاه عشرة أمثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنائير فأعطاه مائة دينار فإن لم يفهم من لثقل إلا التل في الوزن والتثقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة للزان والجمل في الكفة الأخرى عشر غيره بل هو موازن لثقله في الأجسام وأرواحها دون أشخاضها وهياكلها فإن الجمل لا يقصد ثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لما يثقله من حدة السالبة وجسمه اللحم والنفس ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسدية وهذا صادق عند من يعرف روح السالبة من الذهب والفضة بل لو أعطاه جوهره وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال أعطيته عشرة أمثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهريون فإن روح الجوهرية لا تدرك بمجرد البصر بل يغطى أخرى وراء البصر فذلك يكذب به الصبي بالقرى والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل ألف ألف مثقال فقد كذب في قوله إنني أعطيته عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل إلى تحقيق ذلك عنده إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن يحصل في قلبه النور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأرواح فنحن بذلك نكشف له الصدق والعارف عاجز عن فهمه للقليل القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة إذ يقول صلى الله عليه وسلم « الجنة في السموات (٢) » كما ورد في الأخبار والسموات من الدنيا كيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يحسنه البالغ عن فهم الصبي تلك الموازنة وكذلك فهم البدوي وكان أن الجوهرى مرحوم إذا بلى بالبدوي والقرى في فهم تلك الموازنة فالعارف مرحوم إذا بلى بالبلد الأبله في فهم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ارحموا ثلاثة علماء من الجهال وغنى قوم افتقر وعزير قوم ذل (٣) » والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب ومقامهم قصور عقول الأمة فتنة لهم وإستحسان وإبتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيده القضاء الأزلي وهو الحق بقوله عليه الصلاة والسلام « البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة (٤) » فلا تظن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن فإن بلاء نوح عليه السلام أيضا من البلاء العظيم إذ بلى بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فرارا ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال « رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصر (٥) » فاذن لا تخلو الأنبياء عن الابتلاء بالجاهدين ولا تخلو الأولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلنا يفتك الأولياء عن ضروب

وإليك للصبر يامن
لا يشغله شأن عن شأن
ولا يشغله سمع عن سمع
ولا تشبه عليه
الأصوات ويا من
لا تغلظه السائل ولا
تختلف عليه القات
ويامن لا يترحم بإلحاح
المليح أذقنى برد
عفوك وحلاوت رحمتك
اللهم إني أسألك قلبا
سليبا ولسانا صادقا
وعملا متقبلا أسألك
من خير ما تعلم وأعوذ
بك من شر ما تعلم
وأستغفرك لما تعلم ولا
أعلم وأنت علام
الغيب . اللهم إني
أسألك إيمانا لا يرتد
ونفسا لا ينفذ وقرة عين
الأبد ومراقبة نيك
محمد وأسألك حيك

(١) حديث إن آخر من يخرج من النار يسطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث كون الجنة في السموات الخ من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فإذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن (٣) حديث ارحموا ثلاثة علماء من الجهال الحديث ابن حبان في الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس وعيسى بن ميمون ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال عالم تلاب به الصبيان وفيه أبو الهيثم، وإمه وهب بن وهب أحد الكذابين (٤) حديث البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قد كره دون ذكر الأولياء ولطبراني من حديث فاطمة أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون الحديث (٥) حديث رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصر البخاري من حديث ابن مسعود .

من الإبداء وأنواع البلاد بالأخراج من البلاد والسعاية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب أن يكون أهل المعرفة عند أهل الجبل من الكافرين كما يجب أن يكون للفاضل عن الجبل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من البذرين الضيعين. فاذكرت هذه الله فأتى بقوله عليه الصلاة والسلام «إنه يسطى آخر من يخرج من النار مثل الله نابعشمرات وإياك أن تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حماراً برجلين لأن الحمار يشارك في الحواس الخس وإما أنت مفارق للحمار بسر إلى عرض على السموات والأرض والجبال فأين أن يحملك وأشفقن منه فليدرك ما يخرج عن عالم الحواس الخس لا يصادف إلا في عالم ذلك السر الذي فارق به الحمار وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة البهائم ولم عاوز الحسوسات فهو الذي أهلك نفسه بتعطيلها ونسبها بالإعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسي الله إذ ليس ذات الله مدرك في هذا العالم بالحواس الخس وكل من نسي الله أنساه الله لاهلاكه نفسه ونزل إلى رتبة البهائم وترك الترقى إلى الأفق الأعلى وخان في الأمانة التي أودعه الله تعالى وأتم عليه كافراً لأنهم ومترعنا فتمتة إلا أن أسوأ حال من البهائم أن البهائم تتخلص بالموت. وأما هذا فعنده أمانة ترجع لاهلاكه إلى مودعها فإليه مرجع الأمانة ومسيرها وهاك الأمانة كالشمس الزاهرة وإما هبطت إلى هذا القالب الثاني وغربت في هبوطها هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود إلى بارئها وخالفها بإمظلمة منكسفة وإما زاهرة مشرقة. والزاهرة المشرقة غير محبوبة عن حضرة الربوبية والمظلمة أيضاً راجعة إلى الحضرة إذ المرجع والمصير للكل إليه إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عيين إلى جهة أسفل ساغين ولذلك قال تعالى - ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم - فيبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون قد انحلت وجوههم إلى آفتيتهم وانكست رؤوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يمهده طريقه ، فعنوه باق من الضلال والتزلزل إلى منازل الجبال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويسطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار إلا بالموحد . ولست أعنى بالتوحيد أن يقول بلسانه لا إله إلا الله فإن اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع إلا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأبدى الضامعين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة بحيث لا يبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان وإنما ينفع الصدق في التوحيد وكال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله . وعلمته أن لا ينضب على أحد من الخلق بما يجري عليه إذ لا يرى الوسائط وإنما يرى مسبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من فهم التوحيد مثل الجبال . ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردقة وذرة فمن في قلبه مثقال دينار من إيمان فهو أول من يخرج من النار . وفي الخبر يقال «أخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من إيمان» (١) وآخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وما بين المثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا في الموازنة بين بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا في الموازنة بين أعيان الأموال وبين النقود وأكثر ما يدخل للوحدن النار مظالم الباطل ديوان الباطل ديوان الذي لا يترك فأما بقية السيئات فيستارع الفو والتكفير إليها في الأثر إن الباطل يوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فيقتضى من حسناته حتى لا يبقى له حسنة ، فتقول

(١) حديث أخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من إيمان الحديث تقدم .

وحبة من أحبك
وحبة عمل يقرب إلى
حك . اللهم بملك
الطيب وقدرتك على
خلقك أحق ما كانت
الحياة خيراً لي وتوفى
ما كانت الوفاة خير لي
أسألك خشيتك في
الطيب والشهادة وكلة
العدل في الرضا والضب
والصدق في النفي والفقر
ولذة النظر إلى
وجهك والشوق إلى
لقاءك وأعوذ بك من
ضراء مضرة وقتنة
مضرة . اللهم اقم لي
من خشيتك ما تحول
به بيني وبين مصيبتك
ومن طاعتك ما يدخلني
جنتك ومن اليقين
ماتهمون به علينا
مصائب الدنيا . اللهم
ارزقنا حزن خوف

اللائكة ياربنا هذا قد فئت حسناته وبقى طالبون كثير فيقول الله تعالى : ألقوا من سيئاتهم على سيئاتهم وصكوا له صكا إلى النار وكما يهلك هويته غيره بطريق القصص فكذلك ينحو الظالم بحسنة الظالم إذ ينقل إليه عوضا عما ظلم به وقد حكى عن ابن الجلاء أن بعض إخوانه اغتابه ثم أرسل إليه يستلمه فقال لأفضل ليس في صيفي حسنة أفضل منها فكيف أعوها وقال هو وغيره ذنوب إخواني من حسناتي أريد أن أزين بها صيفي فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف الباد في اللعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر أسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لاعماله ولا يقبل العلاج على مريض آخر بأن عارضه خفيف وعلاجه هين فان ذلك ظن يصيب في أكثر الأحوال ولكن قد تنوق إلى التشرف على الملاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يساق إلى ذي العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه وذلك من أسرار الله تعالى الخفية في أرواح الأحياء ونحو الأسباب التي رتبها مسبب الأسباب بقدر معلوم إذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهه فكذلك النجاة والقيوم في الآخرة لهما أسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها مبرع ذلك السبب الخفي للنفس إلى النجاة بالنعو والرضا وما يغضى إلى الملاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر الشيعة الإلهية الأزلية التي لا يطلع الخلق عليها فذلك يجب علينا أن نجوز النعو عن العاصي وإن كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على الطمع وإن كثرت طاعاته الظاهرة فإن الأضداد على التقوى والتقوى في القلب وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لا حق عن عبد إلا بسبب خفي فيه يقتضى النعو ولا غضب إلا بسبب باطن يقتضى البعدن الله تعالى ولولا ذلك لم يكن النعو والغضب جزاء على الأعمال والأوصاف ولولا ذلك لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولولا ذلك لم يصح قوله تعالى - وما ريك بظلال للعبد - ولا قوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة - وكل ذلك صحيح ليس للإنسان إلا ما سعى وسماه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة فلما زاغوا زاغ الله نفوسهم ولما غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافا واضحا من للشاهدة بالبراز البصر يمكن القاطع فيه إذ قدرى البعد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن القاطع فيها وإنما الشأن في اقتراح بصيرة القلب وإلا فإيرى بها بعد الاقتراح فلا تصور فيه الكذب وإليه الإشارة بقوله تعالى - ما كذب الفؤاد ما رأى - . الرتبة الثالثة : رتبة الناجين وأغنى بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والقيوم وهم قوم لم يخدموا فيخلق عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه أن يكون هذا حال المجانين والسيان من الكفار والمتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جانية تعدم لهم من أهل الجنة ولا من أهل النار بل يتزلون في منزلة بين الترتين ومقام بين اللقامين عبر الشرع عنه بالأعراف وحلول طائفة من الخلق^(١) فيه معلوم يقينا من الآيات والأخبار

الوعيد وسرور
رجاء للوعد حق
نجد ثقة ما نطلب
وخوف مامته تهرب
الهم ألبس وجوها
منك الحياة وأمل
قلوبنا بك فرحا وأسكن
في قوسنا من عظمتك
هابة وذلل جوارحنا
لخدمتك واجعلك
أحب إلينا مما هو لك
واجعلنا أخشى لك من
سواك نسألك محام
التمعة بشام التوبة
ودوام العافية بدوام
الصمة وذم الشكر
حسن البادة اللهم
إني أسألك بركة الحياة
وخير الحياة وأعوذ بك
من شر الحياة وشر
الوفاة وأسألك خير
ما بينهما أحبي حياة

(١) حديث حول طائفة من الخلق الأعراف البراز من حديث أبي سعيد الخدري سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لا يأبهم فنتهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنهم العصية أن يدخلوا الجنة وهم على سور بين الجنة والنار الحديث وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ورواه الطبراني من رواية أبي مشر عن يحيى بن شبيل عن عمر بن عبد الرحمن اللذي عن أبيه مختصرا وأبو مشر ينجح السندى ضعيف ويحيى بن شبيل لا يعرف وللحاكم عن حديثه قال أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار

ومن أنوار الاعتبار فأما الحكم على العبد كالحكم مثلاً بأن الصياني منهم فهذا مظلون وليس بمستحقين والاطلاع عليه تحقيقاً في عالم البتوة ويعد أن ترتقي إليه رتبة الأولياء والعلاء والأخبار في حق الصياني أيضاً متعارضة حتى قالت عائشة رضي الله عنها لما مات بعض الصياني صفور من صفافير الجنة فأفكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما يدريك (١) فالن لا شك كالواشتباه أعظم في هذا المقام . رتبة الرابعة : رتبة الفائزين وهم المارقون دون القديين وهم الذين السابقون فإن القله وإن كان له فوز على الجنة بتمام في الجنة فهو من أصحاب الجنتين وهؤلاء هم الذين سبقوا وما يلي هؤلاء يجاوز حسد البيان والقدر للكنن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي أحله قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - وقوله عز وجل أعددت ليأبدى الصالحين ملاعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والمارقون مطهرون تلك الحالة التي لا تصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم . وأما المصور والتصور والفاكهة واللبن والصل والنحر والحلى والأساور فاتهم لا يجرسون عليها ولو أعطوها لمقتضاها ولا يطلبون إلا لائقه النظر إلى وجهه الله تعالى الكريم فهي غاية السعادة وثباتها اللذات

وقصرت سيئاتهم عن الجنة الحديث وقال صحيح على شرط الشيخين وروى الثعلبي عن ابن عباس قال الأعراف موضع عال في السراط عليه لباس وحمة وعلى وجف الحديت هذا كذب موضوع وفيه جماعة من الكذابين (١) حديث عائشة أنها قالت لما مات بعض الصياني صفور من صفافير الجنة فأفكر ذلك وقال ما يدريك روله مسلم قال الصنف والأخبار في حق الصياني متعارضة . قلت روى البخاري من حديث حمزة بن حنبل في روى التي صلى الله عليه وسلم وفيه وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فابراهيم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قيل يارسل الله وأولاد للشر كين قال وأولاد للشر كين ولطبراني من حديثه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد للشر كين فقال هم خدمة أهل الجنة وفيه عباد بن منصور الناجي قاضي البصرة وهو ضعيف برويه عن عيسى بن هيب وقد ضعفه ابن حبان ولفسان من حديث الأسود ابن سريج كنا في غزاة لنا الحديث في تسلي القرية ، وفيه إلا أن خياركم أبناء للشر كين ثم قال لا تنقلوا ذرية وكل نسمة تولد على الفطرة الحديث وإسناده صحيح ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كل مولود يولد على الفطرة الحديث وفي رواية لأحمد ليس مولود يولد إلا على هذه الفطرة ولأن داود في آخر الحديث فقالوا يارسل الله أن رأيت من يموت وهو صغير فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي الصحيحين من حديث ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد للشر كين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين ولطبراني من حديث ثابت بن الحرث الأنصاري كانت يهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا هو صديق فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذبت يهود مامن نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه غنى أو سعيد الحديث وفيه عبد الله بن لبيبة ولأن داود من حديث ابن مسعود الوائدة والمودة في النار وله من حديث عائشة قلت يارسل الله ذراري المؤمنين فقال سمع آباءهم قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فذراري المشركين قال سمع آباءهم قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين ولطبراني من حديث خديجة قلت يارسل الله أن أطفالاً منك قال في الجنة قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فأين أطفالاً قبلك قال في النار قلت بلا عمل قال لا تدع الله ما كانوا عاملين وإسناده منقطع بين عبد الله بن الحرث وخديجة وفي الصحيحين من حديث السبل بن جماعة في أولاد المشركين ثم من آباءهم وفي رواية م منهم .

السعداء حياة من تحب بقاءه وتوفى وفاة القهداء وفاة من تحب لبقائه ياخير الرازيين وأحسن التوابين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ورب العالمين ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحمهم واخلفهم واغفر ما قبلت وطيب ما برزقت وتمام ما نعمت وشبيل ما استعملت واحفظ ما استخفظت ولا تهتك ما سترت فانه لا اله إلا أنت أستغفرك من كل لذة يبرذ كرك ومن كل راحة يشير خدشك ومن كل سرور يشير قربك ومن كل فرح يشير مجالستك ومن كل

ولذلك قيل لرابية البدوية رحمة الله عليها كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهو لاء قوم
شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن أنفسهم ومثلهم مثال العاشق
للسهر يمشوقه للسوق همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاستراقاق غافل عن نفسه
لا يحس بما يصيبه في بدنه ويبر عن هذه الحالة بأنه فني عن نفسه ومعناه أنه صار مستغرقا بغيره
وصارت همومه ما واحدا وهو محبوه ولم يبق فيه منفس لتبر محبوه حتى ينفث إليه لافسه ولا غير
نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قرة عين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر
كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأصم والأفك أنه إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه
وبصره فتد ذلك يدرك حاله ويحس قطعا أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته فانه لا يحجب
على التحقيق وبصره ينكشف التطاء فتد ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وإن الدار الآخرة لمحي
الحيوان لو كانوا يملكون فهذا القدر كاف في بيان توزيع الدرجات على الحسنات والله للوفيق بطلغه.

(بيان ما تعظم به الصغار من الذنوب)

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب . منها الاصرار والولادة ولذلك قيل لاصغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع
استغفار فكيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان الفوع غنيا أرجى من صغيرة يواظب
العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب
عليه دفعة واحدة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله ﷺ « خير الأعمال أدومها وإن قل »^(١) والأشياء
تستبان بأحداها وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكثير للنصرم قليل النفع في تنوير
القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب إلا أن الكبيرة قلما
يتصور المجوم عليها بنية من غير سوابق ولواحق من جملة الصغار قلما يذئ الزاني بنية من غير
مرادة ومقدمات وقلما يقتل بنية من غير مشاحنة ساقطة ومعاداة فكل كبيرة تكنتها صفائر
ساقطة ولا حقة ولو تصورت كبيرة وحدها بنية لم يثقي إليها عود بما كان العفو فيها أرجى من صغيرة
واظب الإنسان عليها عمره . ومنها أن يستصغر الذنب فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه
صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه
وكرهيته له وذلك النفور يمنع من شدة تأثيره به واستصغاره يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة
الأثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحدور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤخذ بما
يجري عليه في النفلة فإن القلب لا يتأثر بما يجري في النفلة وقد جاء في الخبر « المؤمن يرى ذنبه كالجبل
فوقه يخاف أن يقع عليه وللناثق يرى ذنبه كذباب مر على أنه فطاره »^(٢) وقال بعضهم الذنب
الذي لا يغفر قول العبد ليت كل ذنب عملته مثل هذا وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لملحه بحال
الله فإذا نظر إلى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة وقد أوحى الله تعالى إلى جنس أنبيائه لا تنظر
إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها
وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لاصغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة

شغل بشير معاملتك
اللهم إني أستغفرك من كل
كل ذنب ثبت إليك
منه ثم عدت فيه اللهم
إني أستغفرك من كل
عقد عقده ثم لا أوف
به اللهم إني أستغفرك
من كل فمة أمنت
بها على قنوت بها على
معصيتك اللهم إني
أستغفرك من كل عمل
عملته غفلا لم أليس
لك اللهم إني أسألك أن
تصلي على محمد وعلى
آل محمد وأسألك
جوامع الخير وفوائده
وخوائمه وأعوذ بك من
جوامع الشر وفوائده
وخوائمه اللهم احفظنا
فيها أمرتنا واحفظنا
عما نهيتنا واحفظ لنا
ما أعطيتنا يا حافظ

- (١) حديث خير الأعمال أدومها وإن قل متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحب وقد تقدم
- (٢) حديث المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه الحديث البخاري من رواية الحرث بن سويد قال حدثنا
عبد الله بن مسعود حديثين أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم والآخر عن نفسه فذكر هذا
وحديث له أخرجه توبة العبد ولم يبين المرفوع من الموقوف وقد رواه البيهقي في الشعب من هذا
الوجه موقوفا ومرقوما .

رضى الله عنهم للتائبين إنكم لتعملون أعمالا هي في أعينكم أدق من الشر كننا نعدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اللوقات إذ كانت معرفة الصحابة بحلال الله أمم فكانت الصغار عندهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى من الكبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العاصي في أمور لا يتجاوز في أمثاله عن العارف لأن الذنب والمخالفة بغير قدر معرفة الخائف . ومنها السورور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التحكك من ذلك نعمة والفئة عن كونه سبب الشقاوة فكما غابت حلالة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها في تسويد قلبه حتى إن من اللذنين من يمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بقارفته إياه كما يقول أمارأيتني كيف مزقت عرشه ويقول الناظر في مناظرته أمارأيتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى أخجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه ويقول للعامل في التجارة أمارأيت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف قبضته في ماله وكيف استحقتته فهذا وأمثاله تكبره بالصغار فان الذنوب مهلكات وإذا دفع العبد إليها ونظر الشيطان به في الحل عليها فيبغى أن يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه ويسبب بده من الله تعالى فالمرض الذي يفرح بأن ينكسر إناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شره لا يرجي شفاؤه . ومنها أن يهاون بسترائه عليه وحله عنه وإجماله إياه ولا يدري أنه إنما يعمل مقنا ليزداد بالامهال إنما فيظن أن تمكنه من العاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لأنه من مكر الله وجهه بكمائن التورور بها كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يذنبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المرء - ومنها أن يأثم الذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتيه في مشهد غيره فان ذلك جنايته على ستر الله الذي سده عليه وتحريك رغبة الشرقيين أحسنه ذنبه أو أعده فله فما جنايتان انضمتا إلى جنايته فقلقت به فان انضاف إلى ذلك التزغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتخاصى الأمر وفي الخبر « كل الناس معافي إلا الجاهرين ببيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف سترائه ويتحدث بذنبه ^(١) » وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجليل ويستر القبيح ولا يهتك السر فلاظهار كفران لهذه النعمة . وقال بعضهم لا تذب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذب ذنين ولذلك قال تعالى - للتائقون وللناقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف - وقال بعض السلف ما تبهك لاء من أخيه خربة أعظم من أن يساعده على مصيبتهم بموتها عليه . ومنها أن يكون للذنب طالما يقتدى به فاذا فعله حيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الأبريس وركوبه مراكب الذهب وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده عليهم ومساعدته إياهم بترك الإنكار عليهم وإطلاق اللسان في الأعراض وتعدية باللسان في المناظرة وقصد الاستخفاف واشتغال من العاوم بما لا يصدمه إلا الجاه كالم الجدول والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويقتى شره مستطير في العالم آمادام تطاوله فطوى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه وفي الخبر « من سن سنة سيئة فليعه وزرها ووزر من عملها لا ينقص من أوزارهم شيء ^(٢) » قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - والآثار ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الأتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم

(١) حديث كل الناس معافي إلا الجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ كل أمي وقد تقدم (٢) حديث من سن سنة سيئة فليعه وزرها ووزر من عملها الحديث مسلم من حديث جرير بن عبيد الله وقد تقدم في آداب السكيب .

الحافظين وإفلا كر
الذاكرين وإشأ كر
الشاكركين بدرك
ذكروا وبفضلك
شكروا وإغياث ياغيث
يا مستغاث ياغيث
للسفيتين لا تكفى إلى
نفسى طرفة عين
فأهلك ولا إلى أحدمن
خلقك فأصعب الأثام
كلادة الوليد ولا تحمل
عنى وتولى عما تولى به
مبادك الصالحين أنا
عبدك وابن عبدك
ناصيقي بيدك جار في
حكرك عدل في
نضاؤك نالفيك مشيشك
إن تعذب فأهل ذلك
أنا ، وإن رحم فأهل
ذلك أنت فاهل اللهم
يا مولاي يا الله يا رب
مآلت لأهل ولاضلع

مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تفرق ويفرق أهلها . وفي الاسرائيليات : إن عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فعمل في الإصلاح دهرًا فأوحى الله تعالى إلى نبيه قل له إن ذنبك لو كان فينا بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أشئت من عبادي فأذختم النار . فهذا يتضح أن أمر العلماء يحظر فعلهم وظفقتان : إحداهما ترك الذنب والأخرى إخفاؤه كاستعاضف أوزارهم على الذنوب فكذلك يستعاضف ثوابهم على الحسنات إذا أتوا فإذا ترك التجمل لليل إلى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدى به العلماء والعوام فيكون له مثل ثوابهم وإن مال إلى التجمل مالت طباع من فونه إلى التشبه به ولا يقدر على التجمل إلا خدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرمل ويكون هو السبب في جميع ذلك فخر كانت العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالبرع وإما بالخرسان وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها .

(الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر)

فد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم أورثه العلم بكون العاصي حائلا بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم ودوام ونعمان ولتألمها علامة ولدوامها شرط وطولا بد من يائها . أما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسببها . وأما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بآفات المحبوب وعلاته طول الحسرة والحزن وانكباب الدمع وطول البكاء والفكر فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو يعض أعزته طال عليه مصيبته وبكائه وأى عزيز أعز عليه من نفسه وأى عقوبة أشد من النار وأى شيء أدل على نزول العقوبة من العاصي وأى عجز أصدق من الله ورسوله ولوحده إنسان واحد يسمى طبيبا أن مرض ولده للربض لا يبرأ وأنه سيموت منه لطال في الحال حزنه فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ولا اللوت بأشد من النار ولا اللرض بأدلى على لوت من العاصي على سخط الله تعالى والتعرض بها للنار فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى فعلمة حمة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر « جالسوا التوابين فأنهم أرقق أفندة ^(١) » ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة شرة . وفي الاسرائيليات : إن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بصدان اجتهد سنين في العبادة ولم يرقبول توبته فقال وعزني وجلالي لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه . فان قلت فالذنوب هي أعمال مشبهة بالطبع فكيف يجد مرارتها ؟ فأقول من تناول عملا كان فيه سم ولم يدر كنهه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتآثر شره وقلجبت أعضائه فإذا قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا ؟ فان قلت لافيه وجد للشهادة والضرورة بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم أيضا المشبه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلمه بأن كل ذنب فذوقه ذوق السمل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بعمل هذا الاعيان ولما عز مثل هذا الاعيان عزت التوبة والتائبون فلا تترى إلا معرضا عن الله تعالى مهاتوا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم ويغني أن يدوم إلى اللوت

(١) حديث جالسوا التوابين فأنهم أرقق أفندة لم أجده مرفوعا وهو من قوله عون بن عبد الله رواه ابن أبي الدنيا قال التوبة قال جالسوا التوابين فان رحمة الله إلى النادم أقرب وقال أيضا فالعظمة إلى قلوبهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب وقال أيضا التائب أسرع دمة وأرق قلبا .

اللهم يارب يا الله
ما أنا له أهل إنك أهل
التقوى وأهل للفرقة
يا من لا تضمره الذنوب
ولا تنقصه المغفرة هب
لي ما لا يضرك وأعطني
مالا ينقصك ياربنا
أفرغ علينا صبرا
وتوفنا مسلمين توفي
مسلمنا وألحقني
بالصالحين أنت ولينا
فاغفر لنا وارحمنا وأنت
خير التافرين ربنا
عليك توكلنا وإليك
أبنا وإليك المصير
ربنا اغفر لنا ذنوبنا
وإسرافنا في أمرنا
وثبت أقدامنا وانصرنا
على القوم السافرين
ربنا آتنا من لدنك
رحمة وهي لنا من
أمرنا رشدا ربنا

ويغني أن يجد هذه اللزاة في جميع الذنوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجدها تناول السم في الصل الثفرة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم إذ لم يكن ضرره من السل بل بمخافه ولم يكن ضرر التائب من سرقة وزناه من حيث إنه سرقة وزنا بل من حيث إثم من مخالفة أمر الله تعالى وذلك جار في كل ذنب . وأما التصد الذي ينبعث منه وهو إرادة التدارك فله تعالى بالحال وهو واجب ترك كل معذور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعالى بالمضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك العصية إلى اللوت . وشروط معتنافها بتعلق بالمضي أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه بالنسب أو الاحتلام ويفتق عها مضي من عمره سناتة وشهر اشهرها ويوما يوما وشفا قنسا وينظر إلى الطاعات الماتى قصر فيه منها وإلى المامى الماتى قارة منها فإن كان قد ترك صلاة أو صلاها في ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهل بشرط النية فيقضيا عن آخرها فإن شك في عدد فاته منها حسب من مدة بلوغه وتركه القدر الذي يستيقن أنه أداه ويقضى الباقي وله أن يأخذ فيه فباب الظن ويصل إليه على سبيل التحري والاجتهاد . وأما الصوم فإن كان قد تركه في سفر ولم يقضه أو أفطر عمدا أو نسي النية بالليل ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتمل بقضائه . وأما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه لكان من زمان البلوغ فإن الزكاة واجبة في مال المصطفى يؤدى ماعلم فباب الظن أنه في ذمته فإن أداه لاهل وجهه يوافق مذهبه بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية أو أخرج البلد وهو على مذهب الشافعى رحمه الله تعالى فيقضى جميع ذلك فإن ذلك لا يهزمه أصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك بطول وعنتاج فيه إلى تأمل شافى ويلازمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من الطماء . وأما الحج فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد أفلس فعليه الخروج فإن لم يقدر مع الافلاس فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد فإن لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما يجهج به فإنه إن مات قبل الحج مات صاعيا قال عليه السلام « من مات ولم يجهج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا » (١) والجهز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج بهذا طريق غشيه عن الطاعات وتداركها . وأما للمامى فيجب أن يفقش من أول بلوغه عن حمله وبصره ولسانه وبطنه ويدورجه وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صفاتها وكبائرها ثم ينظر فيها لما كان من ذلك عنه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلة البعاد كنظر إلى غير محرم وقعود في مسجد مع الجناة ومس مصحف وبير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاء وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم البعاد فالتوبة عنها بالقدم والتحصن عليها وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث اللذة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتى من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذا من قوله ﷺ « اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها » (٢) بل من قوله تعالى - إن الحسنات يذهبن السيئات - فيكفر صماح للاله ببيع القرآن وبجبال الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبيا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر من الصنف عمدنا بآرام الصنف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تعبه بأن يكتب مصحفا ويحمله وقفا ويكفر شرب الخمر بالصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب إليه وعد جميع المامى غير ممكن وأما القصد سادوك

(١) حديث من مات ولم يجهج فليمت إن شاء يهوديا الحديث تقدم في الحج (٢) حديث اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها الترمذى من حديث أبى ذر وصححه وتقدم أوله في آداب الكسب ويضه في أوائل التوبة وتقدم في رياضة النفس .

أتا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا العون على الطاعة والعصمة من العصية وإفراغ الصبر في الخدمة وإيداع الشكر في النعمة وأسألك حسن الخاتمة وأسألك اليقين وحسن المعرفة بك وأسألك المحبة وحسن التوكل عليك وأسألك الرضا وحسن الثقة بك وأسألك حسن القلب إليك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد فرجا عاجلا ربنا اغفر

الطريق المضادة فإن للرض يالج يشده فكل ظلمة ارتفعت إلى القلب بمصيبة فلا يحسها إلا نور يرفع إليها بحسنة تضادها وللتضادات هي للتساويات فلذلك ينبغي أن تحس كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فإن البياض زال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدرج والتحقيق من التلطيف في طريق الحق فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من البادات وإن كان ذلك أيضا مؤثرا في الحق فهذا حكم مائنه وبين الله تعالى . ويدل على أن الشيء يكفر بصدده أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والحنين إليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم يذو بسية قلبه عن الدنيا يكون كفارة له إذ القلب يتجاف بالمهموم والتموم عن دار المهموم قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا المهموم (١) » وفي لفظ آخر « إلا المهم بطلب العيشة » وفي حديث عائشة رضي الله عنها « إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه المهموم فتكون كفارة له (٢) » وقال إن المهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرف هو ظلمة الذنوب والمهم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهول اللطم . قال قنقلم الإنسان غالبا بما له وولاه وجهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة . قاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تتبع به تحت الخطيئة فقد روي أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكتيب فقال قد خزن عليك حزن مائة تسكلى قال لسا له عند الله قال أجرامانة شهيد فاذن المهموم أيضا مكفرات حقوق الله فهذا حكم مائنه وبين الله تعالى . وأما مظالم العباد فحقها أيضا معصية وجنابة على حق الله تعالى فإن الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضا فيلحق منه بحق الله تعالى تداركه بالتمسك والتحصن وترك مثله في المستقبل والائتيان بالحسنات التي هي أضعافها فيقابل بإبداءه الناس بالاحسان إليهم ويكفر غصب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناول أعزاضهم بالنية والقبح فيهم بالثناء على أهل الدين وإظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لأن ذلك إحياء إذ العبد ممتود لنفسه موجود لسيده والاعتاق إجماد لا يقدر الإنسان على الأكثر منه فيقابل الإعدام بالإيجاد وهذا يحرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القاتل باعتاق رقيقته إذا فعل ذلك كله لم ينجح ولم يكنه مالم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إبانى النفوس أو الأموال والأعراض أو القلوب أعنى به الإبداء المحض . أما النفوس فإن جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم العبدية ووصولها إلى التسحق لإمامته أو من غافلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وإن كان محمدا موجبا للتقصص فالتقصص فإن لم يحرف فيجب عليه أن يعرف عند ذل في الله ويحكمه في روحه فإن شاء غفا عنه وإن شاء قتله ولا تسقط عهدة الإجماد ولا يجوز له الإخفاء وليس هذا كالأوزن أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يجب عليه فيمحد الله تعالى فإنه لا يلزمه في التوبة أن يفضض نفسه ويهتك ستره ويتسمن من الوالى استيفاء حق الله تعالى بل عليه أن يستتر بستر الله تعالى ويقيم حدا على نفسه بأنواع المجاهدة والتضيق فالتمس في محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين التاميين فإن رفع أمر هذه إلى الوالى حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روى « أن ما عزن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لنا ولا خواتنا الذين سبقونا بالإيمان ولا نجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم اللهم اغفر لي ولوالدي ولبن توبنا وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر لأعمامنا وعماتنا وأخواتنا وخالاتنا وأزواجنا وذرياتنا وجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات بالرحم الرحيمين يا خير الغافرين - ولما كان الدعاء مع العبادة أحببنا أن نستوفى من ذلك قسما صالحا نرجو بركته وهذه الأدعية استخرجها الشيخ

- (١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا المهموم وفي لفظ آخر إلا المهم في طلب العيشة طس وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص من حديث أبي هريرة بسند ضعيف تقدم في السكاح (٢) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال تكفرها أدخل الله عليه التعموم وتقدم أيضا في السكاح وهو عند أحمد من حديث عائشة بلفظ ابتلاه الله بالحزن .

قال يارسول الله إني ظلمت نفسي وزنيبت وإني أريد أن تطهرني فرده فلما كان من القد أنه
 قال يارسول الله إني قد زنيبت فرده الثانية فلما كان في الثالثة أمر به فخره فخره ثم أمره بفرج
 فكان الناس فيه فرحين فقال يقول قد هلك وأحاطت به خطيئته وقال يقول مأونة أصدق من
 توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو قسمتهم (١) وجاءت
 القادمة فقالت « يارسول الله إني قد زنيبت تطهرني فردها فلما كان من القد قال يارسول الله إني قد زنيبت
 لملك تريد أن تردني كما رددت معاذاً فوالله إني لحبلى فقال صلى الله عليه وسلم أما الآن فأذهبي حتى
 تقضي فلما ولدت أنت بالصبي في خرفة قالت هذا قد ولدته قال أذهبي فأرضيه حتى تقضي فلما فطمت
 أنت بالصبي وفي يده كسرة خبز قالت إني الله قد فطمته وقد أكل الطعام فذبح الصبي إلى رجل من
 المسلمين ثم أمر بها فخر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجوها فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى
 رأسها فتشيع الدم على وجهه فسبحا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها فقال مهلا ياخاله
 فوالله الذي نفسي بيده قد تاب توبة لو تابها صاحب مكس كفر له ثم أمر بها فاضلى عليها ودفنت (٢).
 وأما القصاص وحده القذف : فلا بد من تحليل صاحبه للتحقيق فيه وإن كان للتلطل مالا تناوله
 بنصب أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبس كترجيع زائف أو ستر عيب من البيع أو قص أجرة
 أجبر أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يفتنى عنه لامن حد بلوغه بل من أول مدة وجوده فإن
 ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراجها بعد البلوغ إن كان الولي قد قصر فيه فإن لم يفعل كان
 ظالماً مطالباً به إذ يستوى في الحقوق السالبة الصبي والبالغ ولحاسب نفسه على الحيات والذوائق من
 أول يوم حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة وليناقش قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه
 في الدنيا طال في الآخرة حساباً فإن حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه
 وليكتب أسامى أصحاب اللطام واحداً واحداً وليطوف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم أو يؤد
 حقوقهم وهذه التوبة تنقضي على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب اللطامين كلهم ولا على
 طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما قدر عليه فإن هزم فلا يبقى له طريق
 إلا أن يكفر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب
 اللطام ولكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن لم تف بها حسناته حمل من السيئات أرباب
 اللطام فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد اللطام وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات
 لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الأجل قريباً فينبغي
 أن يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق أشد من تشميره الذي كان في للعاصي في متسع الأوقات
 هذا حكم اللطام الثابتة في ذمته . أما أمواله الحاضرة فليرد إلى السالك ما يبرف له مال كما مينا وما لا يبرف
 له مال كما فليه أن يتصدق به فإن اختلط الحلال بالحرام فليه أن يبرف قدر الحرام بالاجراء ويتصدق
 بذلك للتدار كاسبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام . وأما الجناية على القلوب بمشافة الناس
 بما يسوؤهم أو بسيم في النية فيطلب كل من تعرض له بلسانه أو أذى قلبه بفعله من أفعاله وليستحل
 واحداً واحداً منهم ومن مات أو غاب قد فات أمره ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه
 عوضاً في القيامة وأما من وجد وأجله بطيب قلب منه فذلك كفارته وعليه أن يعرف قدر جنايته

(١) حديث اعتراف معاذ بالثنا ورده صلى الله عليه وسلم حتى اعترف أرباباً وقوله لقد تاب توبة
 الحديث مسلم من حديث بريدة بن الحصيب (٢) حديث القادمة واعترافها بالثنا وردها وقوله صلى
 الله عليه وسلم : لقد تاب توبة الحديث مسلم من حديث بريدة وهو بعض الذي قبله .

أبو طالب المسكر رحمه
 الله في كتابه قوت
 القلوب وحلى قلبه كل
 الاعتقاد وفي البركة
 فليصحب هذه الدعوات
 منفرداً أو في الجماعة
 إماماً أو مأموماً
 ويختصر منها ما يشاء
 [الباب الخمسون في
 ذكر العمل في جميع
 التهار وتوزيع
 الأوقات]

فمن ذلك أن يلازم
 موضعه الذي صلى هو
 فيه مستقبل القبلة إلا
 أن يرى انتقاله إلى
 زاوية أسلم ليدته لئلا
 يحتاج إلى حديث
 أو التفات إلى شيء فإن
 البسكويت في هذا الوقت
 وترك الكلام له أثر
 ظاهر بين عباده أهل

وتمرسه له بالاستحلال اللهم لا يكتفى وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال
 وادخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو محمته من سيئاته فإن كان في جملة جنائبه على
 الغير مالم يذكره وعرفه لتأذى بمرقته كرتاه بجاريته أو أهله أو نسبه باللسان إلى عيب من خفايا
 عيوبه يعظم أذاه مهما شوقه به فقد اتسد عليه طريق الاستحلال فليس له إلا أن يستعمل منها ثم
 تبقى له مظلة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلة اللبث والتائب . وأما الذكر والتعريف فهو سيئة
 جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنائبه وعرفه المحقق عليه فلم يسمح نفسه بالاستحلال
 بقيت المظلة عليه فإن هذا حقه فليه أن يتلطف به ويسعى في مهماته وأغراضه ويظهر من
 حبه والشفقة عليه ما يستعمل به قلبه فإن الإنسان عبد الاحسان وكل من نقر بسيرة مال بحسنة
 فادأطاب قلبه بكرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فإن أبي إلا الاصرار فيكون تلطفه به
 واعتذاره إليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنائبه وليكن قدر سعيه في فرجه
 وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في أذاه حتى إذا قام أحدهما الآخر أو زاد عليه أخذ ذلك
 منه عوضا في القيامة يحكم الله به عليه كمن ألتف في الدنيا مالا فجاء بثقه فامتنع من له السال من
 القبول وعن الإبراء فإن الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء أم أبي فكذلك يحكم في صعيد القيامة
 أحكم الحاكمين وأعدل القسطين وفي التلطف عليه من الصالحين عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله
 صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم
 أهل الأرض فدل على راهب فأثاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ قال لا
 فقتله فشكل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة نفس
 فهل له من توبة ؟ قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها
 أناسا يجيدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا
 نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة
 جاء تابيا مقبلا قبله إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط فاتمام ملك في صورة آدمي
 فجعلوه حكما بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيها كان أدنى فهو له فقاوسوا فوجدوه أدنى
 إلى الأرض التي أراد قبضته ملائكة الرحمة (١) » وفي رواية : فكان إلى القرية الصالحة أقرب
 منها بشبر فجعل من أهلها . وفي رواية : فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تشرى
 وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر ففتر له ، فهذا تعرف أنه لاخلص للإبرحجان
 ميزان الحسنات ولو بمقال ذرة فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد للتعلق بالماضي .
 وأما الزم للربط بالاستقبال فهو أن يسجد مع الله غدا مؤكدا وبجاهده بهد وثيق أن لا يعود
 إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها كالذي يعلم في مرضه أن الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جازما
 أنه لا يتناول الفاكهة مالم يزل مرضه فإن هذا الزم يتأكد في الحال وإن كان يتصور أن تظله
 الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تابيا مالم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور أن يتم ذلك فالتائب
 في أول أمره إلا بالزلة والصمت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال فإن كان له مال موروث
 حلال أو كانت له حرفة يكتب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فإن رأس الغاصي أكل الحرام
 فكيف يكون تابيا مع الاصرار عليه ولا يكتفى بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات

(١) حديث أبي سعيد الخدري للتحقق عليه كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا
 عن أعلم أهل الأرض الحديث هو متفق عليه كما قال للصف من حديث أبي سعيد .

للعامة وأرباب القلوب
 وقد ندب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إلى
 ذلك ثم يقرأ الفاتحة
 وأول سورة البقرة إلى
 للفلقون والآيتين
 والحكم الواحد وآية
 الكرسي والآيتين
 بعدها وآمن الرسول
 والآية قبلها وشهد الله
 وقال اللهم مالك للكل
 وإن ربكم الله الذي
 خلق السموات
 والأرض إلى الحسين
 ولقد جاءكم رسول إلى
 الآخر وقل ادعوا الله
 الآيتين وآخر الكهف
 من إن الذين آمنوا
 وذا التور إذ ذهب
 مغاضبا إلى خير الوارئين
 فسبحان الله حسين
 تحسون حين تصبحون

في اللأ كولات ولللبوسات وقد قال بعضهم من صدق في ترك الشهوة وجاهد نفسه لله سبع مرار لم يبتل بها . وقال آخر من تاب من ذنب واستقام سبع سنين لم يعد إليه أبدا . ومن مهمات التائب إذا لم يكن عالما أن يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وإن لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة للطلقة إلا أن يتوب عن بعض الذنوب كالتي يتوب عن الشرب والزنا والنصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس إن هذه التوبة لا تصح وقال قانون صح ولفظ الصحة في هذا المقام يحمل بل قول لمن قال لا تصح إن نيت به أن تركه بعض الذنوب لا يفيد أصلا بل وجوده كدمه لما أعظم خطأك فانا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقتها سبب لقلته وقول لمن قال تصح إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة أو الفوز فهذا أيضا خطأ بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولنا تشكم في خفايا أسرار عفو الله قال من ذهب إلى أنها لا تصح إن أردت به أن التوبة عبارة عن الندم وإنما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل أن يندم عليها دون الزنا إن كان توجسه لأجل اللصية فإن الملة شاملة لها إذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لأن توجسه بفوات محبوه سواء كان بالسيف أو بالسكين فكذلك توجع العبد بفوات محبوه وذلك بالصيغة سواء عصى بالسرقة أو الزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة يوجبها العلم بكون اللصية مفوتة للمحسوب من حيث إنها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصي دون البعض ولو جاز هذا لحاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدين دون الآخر فإن استحال ذلك من حيث إن اللصية في الخمرين واحد وإنما الدنان ظروف فكذلك أعيان المعاصي آلات للمعصية وللصية من حيث مخالفة الأمر واحدة فاذن معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لا تتأهل إلا بالندم ولا يتصور الندم على بعض التائبين فهو كالمالك المرتب على الإيجاب والقبول فانه إذا لم يتم الإيجاب والقبول قول إن القتل لا يصح أي لم ترتب عليه العقوبة وهو الملك وتحقق هذا أن عمدة الترتيب أن ينقطع عنه عقاب ما تركه وعمدة الندم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم إلا لكونها معصية وذلك يتم جميع المعاصي وهو كلام مفهوم واقع يستلحق المنصف بتفصيل به يكشف الغطاء . فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا تغلوا إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة . أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فأمر ممكن لأنه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسلط الله ومقته والصغائر أقرب إلى تطرق العفو إليها فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتندم عليه كالذي يغني على أهل الملك وحرمة ويغني على دابته فيكون خائفا من الجناية على الأهل مستحقرا للعناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله تعالى وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثرت التائبون في الأعصار الحالي ولم يكن أحد منهم معصوما فلا تستدعي التوبة المعصية والطبيب قد يحذر المريض الصل تحذيرا هديدا ويحذر السكر تحذيرا أخف منه على وجه يشعر به أنه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلا فيتوب المريض بقوله عن السل دون السكر فهذا غير محال وجوده وإن أكلهم جميعا بحكم شهوته ندم على أكل السل دون السكر . الثاني أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضا ممكن لاعتقاده أن بعض الكبائر أهد وأظلم عند الله كالذي يتوب عن القتل والتهب والظلم ومظالم العباد لعله أن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يسارع العفو إليه فهذا أيضا ممكن كافي خلاص

وسبحان ربك إلى آخر
السورة ولقد صدق الله
وأول سورة الحديد إلى
بدأت الصدور وآخر
سورة الحشر من
لو أنزلناهم بسبع ثلاثا
وثلاثين وهكذا محمد
مثله وركب مثله وشمها
مائة بلاه إلا الله وحده
لا شريك له فإذا فرغ
من ذلك يشتغل بتلاوة
القرآن حفظا أو من
المصحف أو يشتغل
بأنواع الأذكار ولا
يزال كذلك من غير
قصور وقصور وناس
فإن النوم في هذا الوقت
مكروه جدا فإن غلبه
النوم فليقم في صلاة
قائما مستقبل القبلة
فإن لم ينهض النوم
بالتيام غطو خطوات

الكبائر والصغائر لأن الكبائر أيضا متفاوتة في أعسها وفي اعتقاد مرتكبها ، ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لاتتملق بالباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا ، إذ يتضح له أن الخمر مفتاح الشرور وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فبحسب ترجيح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل وندما على الماضي . الثالث أن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة كالذي يتوب عن التوبة أو عن النظر إلى غير المحرم أو ما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضا يمكن ووجه إمكانه أنه مأمون مؤمن إلا وهو خائف من معاصيه ونام على فعله ندما إما ضعيفا وإما قويا ولكن تكون له نفسه في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والتفلة وأسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه ، فان سلم عن شهوة أقوى منه بأن لم يمارسه إلا ما هو أضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها وأوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتد ضراوة القاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه وتكون له ضراوة ما بالقيية وطلب الناس والنظر إلى غير المحرم وخونه من الله قد بلغ مبلغا يقطع هذه الشهوة الضعيفة دون القوة فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا القاسق في نفسه : إن قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي أن أخضع العذار وأرخص العنان والكليّة بل أجاهده في بعض المعاصي فسأني أغلبه فيكون قهرى له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ، ولو لم يتصور هذا لما تصور من القاسق أن يضلي ويصوم وقليل له إن كانت صلاتك لغير الله فلا تصح وإن كانت لله فترك التسقي لله فان أمر الله فيه واحد فلا يتصور أن قصد بصلاتك التقرب إلى الله تعالى ما لم تقرب بترك التسقي وهذا محال بأن يقول لله تعالى على امرأتين على الخافقة فيهما عقوبتان وأنا على في أمدهما بغير الشيطان عاجز عنه في الآخر فأنا أقهره فيها أقدر عليه ، وأرجو بمجاهدتي فيه أن يكفر عن بعض ما هجرت عنه بفرط شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم . إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له إلا هذا وإذا فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب يمكن وجودها ، والخوف إذا كان من فعل ماضٍ أورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « الندم توبة » ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني تبين سقوط قول القائل إن التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لأنها متناهية في حق الشهوة وحق التعرض إلى سخط الله تعالى ، نعم يجوز أن يتوب عن شرب الخمر دون التوبة لثاوتها في اعتقاد السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لأن لكثرة الذنوب تأثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه وترك بعض شهوته لله تعالى كالمرض الذي حذره الطبيب القاهكة فانه قد يتناول قليلا ولكن لا يستكثر منها قد حصل من هذا أنه لا يمكن أن يتوب عن شيء ولا يتوب عنه شيء إلا بدوان يكون مائتاب عنه عما قاله السابق عليه إما في شدة المعصية وإما في غلبة الشهوة وإذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب فتصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب ووقاه بمنعه على الترك بلحقة بمن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع الأوامر والنواهي . فان قلت هل تصح توبة العتيد من الزنا الذي طارفه قبل طريان الصلة . فأقول لا ، لأن التوبة عبارة عن ندم يثبت العزم على الترك فإني بقدر على فعله ومالا يقدر على فعله قد اندم بنفسه لا بتركه إياه ولكني أقول لو طرأ عليه بعد الصلة تكسيف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذي طارفه وثار منه احتراق وتعسر وندم بحيث لو كانت شهوة للوقاع به باقية

تحو القسبة ويتأخر بالخطوات كذلك ولا يستدبر القبلة في إدامة استقبال القبلة وترك الكلام والنوم ودوام الذكر في هذا الوقت أكبر . وبركة غير قليلة . وجدنا ذلك بحمد الله ونوصي به الطالبين ، وإثر ذلك في حق من يجمع في الأذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر وهذا الوقت أول النهار والنهار مظنة الآفات فإذا أحكم أوله بهتد الرعاية فقد أحكم بنيانه وبنتى أوقات النهار جميعا على هذا البناء فإذا قارب طلوع الشمس يشتد بهجاء السجرات الشر

لكانت حرقة الندم تضع تلك الشهوة وتغلبها فاني أرجو أن يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته إذ لاخلاف في أنه لو تاب قبل طريان العلة ومات عقيب التوبة كان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه تائب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغا أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذن لا يستحيل أن تبلغ قوة الندم في حق الذين هذا البليغ إلا أنه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه بأدنى خوف والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه ففساد قلبه منه بل الظاهر أنه يقبله والحقيقة في هذا كله ترجع إلى أن ظلمة العصبية تملح عن القلب بشيئين : أحدهما حرقة الندم ، والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محال أن يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة ولولا هذا لقننا إن التوبة لا تقبل مالم يرضى التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلا. فان قلت إذا فرطنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن الزنوع إلى الذنب والآخر بقى في نفسه زنوع إليه وهو يجاهدها وينمنا فأيهما أفضل ؟ . فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه ، فقال أحمد بن أبي الخوارى وأصحاب أبي سليمان الداراني إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد. وقال علماء البصرة ذلك الآخر أفضل لأنه لو قرى في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة القصور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والخلق فيه أن الذي انقطع زنوع نفسه له حالتان : إحداهما أن يكون انقطاع زنوعه إليها بفقر في نفس الشهوة فقط فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه بالمجاهدة قد بدل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين ، وأعلى بقوة الدين قوة الإرادة التي تنبثق بإشارة اليقين وتضع الشهوة النبتة بإشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل إن هذا أسلم إذ لو قرى لا يعود إلى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ وهو كقول القائل المنيب أفضل من البطل لأنه في أمن من خطر الشهوة والعصبية أفضل من البالغ لأنه أسلم وللنفس أفضل من الملك القاهر القاصم لأعدائه لأن للنفس لاعنوه وللكل ربما يئلب مرة وإن غلب مرات وهذا كلام. رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بأن الزنوع في الأخطار وأن العوشر طه اقتحام الاغراب بل كقول القائل الصياد الذي ليس له فريس ولا كلب أفضل في صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفريس لأنه آمن من أن يجمع به فرسه فتتكسر أعضائه عند السقوط على الأرض وآمن من أن يضنه الكلب ويمتد على هذه خطأ بل صاحب الفرس والكلب إذا كان قويا عالما بطريق تأديبهما أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد . الجلالة الثانية : أن يكون بطلان الزنوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذ بلغ مبلغا قطع هيجان الشهوة حتى تأدبت بأدب الشرع فلا تهيج إلا بالإشارة من الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا أعلى رتبة من المجاهد للقاصي لهيجان الشهوة وقسمها ، وقول القائل ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لئنه بل للتصود قطع ضراوة المدوحي لاستجراك إلى شهواته وإن يهزم عن استجراكك لا يصديك عن سلوك طريق الدين فاذا أقهرته وحصلت للتصود قد ظفرت وما دامت في المجاهدة غاشت بمدني طلب الظفر ومثاله كئال من قهر المدو واسترقه بالإجفانة إلى من هو مشغول بالمجاهد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله أيضا مثال من علم كلب السيد وراض الفرس فهما تائبان عنده بعد ترك الكلب الضرباوه والفرس بالاجح بالاضافة إلى من هو مشغول بمقاساة التأديب يسوق لقتل

وهي من تعليم الخضر
عليه السلام عليها
ابراهيم التبيي وذكر
أنه تعلمها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ،
وبناله بالمداومة عليها
جميع المنصرف في
الأذكار والدعوات ،
وهي عشرة أشياء
سبعة سبعة القاتحة
والعوذتان وقل هو
الله أحد وقل يا أيها
الكافرون وآية
الكرسى وسبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر والصلاة
على النبي وآله وسبح
نفسه ولولاه
وللمؤمنين وللمؤمنات
وقول سبحان الله
في بهم عاجلا وأجلا
في الدين والدنيا والآخرة

في هذا فريق فظنوا أن الجهد هو المقصود الأقصى ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق. وظن آخرون أن قمع الشهوات وإمالتها بالسكينة مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فنجز عنه فقال هذا عمال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربيع الهللكات . فان قلت فإني أتأنيب أحدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكير فيه والآخر جمعه نصب عينه ولا يزال يتفكر فيه ويمرر ندماعليه فأيهما أفضل . قائل أن هذا أيضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك .

وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وكل واحد من اللذنيين عندنا حق ولكن بالاضافة إلى حالين وكلام التصوفة أبدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد منهم أن يخبر عن حال نفسه فقط ولا يجمع حال غيره فتختلف الأجوبة لاختلاف الأحوال وهذا نقصان بالاضافة إلى الهمة والارادة والجديت يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يجمع أمر غيره إذ طريقه إلى الله نفسه ومنازله أحواله وقد يكون طريق المبدأ إلى الله العلم فالطريق إلى الله تعالى كثيرة وإن كانت مختلفة في القرب والبعد والله أعلم .

هو أهدى سبيلا مع الاشتراك في أصل الهداية . فأقول تصور الذنب وذكره والتفجع عليه كالفي حق التبتدي لأنه إذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته واتباعه لسلك الطريق ولأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع إلى مثله فهو بالاضافة إلى التأمل كالو لكنه بالاضافة إلى سالك الطريق نقصان فإنه شغل مانع عن سلك الطريق بل سالك الطريق ينبغي أن لا يجرى على غير السالك

فان ظهر له مبادئ الوصول وانكشف له أنوار المعرفة ولواعيب الغيب استغرق ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ما سبق من أحواله وهو الكمال بل لو عاق السافر عن الطريق إلى بلد من البلاد نهر حاجز طال تعب للسافر في عبوره مدة من حيث إنه كان قد خرب جسره من قبل فلو جلس على شاطئ النهر بعد عبوره يسكن متأسفا على تخريبه الجسر كان هذا ما لنا آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع ،

نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلا فتصذر السالك أو كان على طريقته أثار وهو يخاف على نفسه أن يمر بها فيقتل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليثا كيد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله فان حصل له من التبتية ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلك الطريق أولى بمن الاشتغال

بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه إلا من عرف الطريق وللتصديق والماتق وطريق السالك وقد أشرنا إلى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربيع الهللكات بل قول شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر في التبتية في الآخرة لتزيد رغبته ولكن إن كان شابا فلا ينبغي أن يطيل فكره في كل

ماله نظير في الدنيا كالخور والقصور فان ذلك الفكر بما يكره رغبته فيطلب المجاهدة ولا يرضى بالأجلة بل ينبغي أن يتفكر في لذة النظر إلى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالبتبتية أيضا قد يستغربه فيكون النسيان أفضل له عند ذلك ولا

يصدقك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكي لك من بكاء داود ونياحته عليه السلام فان قياسك نفسك على الأنبياء قياس في غاية الاعوجاج لأنهم قد يترنون في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات الالفة بأمرهم فانهم ما يشاءوا إلا لأمر شادم عليهم التلبس بما تنفعهم بعشاهته وإن كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريد به نوع رياضة إلا ويغرض معه فيها وقد كان

مستخيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس تسهلا للأمر على الريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أما إني لا أنسى ولكني أنسى لأشعر » (١) وفي لفظ « انسا أسهو لأسن » .

(١) حديث « أما إني لا أنسى ولكني أنسى لأشعر ذكره مالك بلاغا بشير إسناد وقال ابن عبد البر

مائت له أهل ولا فعل ربنا يسولانا ما نحن له أهل إنك غفور حلیم جواد كريم ردوف رحيم . وروي أن إبراهيم التيمي لما قرأ هذه بعد أن تعلمها من الحضر رأى في المنام أنه دخل الجنة ورأى للالكه والأنبياء عليهم السلام وأكل من طعام الجنة وقيل إنه مكث أربعة أشهر لم يطعم وقيل له كان ذلك لكونه أكل من طعام الجنة فاذا فرغ من المسبات أقبل على التلخيص والاستفصار والتلاوة إلى أن تطلع الشمس قدر رمح .

ولا تعجب من هذا فإن الأمم في كنف شفقة الأنبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكلما واثق في كنف الرعاة أما ترى الأب إذا أراد أن يستنطق ولده الصبي كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي كاذل صلي الله عليه وسلم للحسن « كع كع »^(١) لما أخذ تمره من تمر الصدقة ووضهها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه لما علم أنه لا ينهم منقطه ترك الفصاحه ونزل إلى لكتته بل الذي يعلم شاة أو طائرا بصوت به رغاء أو صفيرا تشبها بالبحر والطارط لطفان في تلميحها فإياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق فانها منزلة أقدم المارقين فضلا عن العاقلين ، نسأل الله حسن التوفيق ببلغه وكرمه .

(بيان أقسام العباد في دولم التوبة)

اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات . الطبقة الأولى : أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا لآلئ التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة على التوبة وصاحبها هو السابق بالخيرات السديد بالنيات حسنت واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس السائكة النفس الطمئة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « سبق للفرودن للسترون بذكر الله تعالى وضع الله كره عنهم أو زارهم فورود القيامة خفافا »^(٢) فان فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضها الله كره عنهم وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع إلى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المراقبة فزاعها ولم يشغله عن السلوك صرعها وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه على مجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع أيضا بالكثرة والقلّة وباختلاف اللذة وباختلاف الأنواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن عظم عيوت قريبا من توبته يخط على ذلك سلامته وموته قبل الفترة ومن عمل طال جهاده وصبره ومعدات استقامته وكثرت حسناته وحال هذا أعلا وأفضل إذ كل سيرة فاعلم أعوجها حسنة حتى قال بعض العلماء إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشترط هذا بعيد وإن كان لا ينكر عظم أثره لو فرض ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق قبيح الشهوة ونحضر الأسباب حتى يتمكن ثم يطعم في الانكشاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على العصية ويتنقض توبته بل طريقها الفرار من ابتداء أسبابه للبصرة له حتى يجد طريقها على نفسه ويسمى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلم توبته في الابتداء . الطبقة الثانية : تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك كباثر القواحي كلها إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تتربه لآعن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري أحواله من غيره أن يقدم عزمه على الإقدام عليها ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وتدم وتأسف وجدد عزمه على أن يشتمر للاحتراز من

لا يوجد في اللوطا إلا مرسل لا إسناد له وكذا قال حمزة الكناني إنه لم يرد من غير طريق مالك وقال أبو طاهر الأنعماطي وقد طال بحثي عنه وسؤالي عنه لائحة والحفاظ فلم أظفر به ولا صحت عن أحد أنه ظفر به قال وادعى بعض طلبة الحديث أنه وقع له مسندا (١) حديث أنه قال للحسن كع كع لما أخذ تمره من الصدقة ووضهها في فيه البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في كتاب الحلال والحرام (٢) حديث سبق للفرودن للسترون بذكر الله الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه وقد تقدم .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لأن أقصد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة القنادة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعق أربع رقاب » ثم صلى ركعتين قبل أن ينصرف من مجلسه قد قل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان صلى الركعتين وبهاتين الركعتين تبين فائدة رطابة هذا الوقت وإذا صلى الركعتين جمع هم وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرأ يجد في باطنه أورا ونورا وروحا وأنسا إذا كان سادقا والذي يجده

أسبابها التي تعرض لها وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس اللوامة إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال السيئة لآعن تصميم عزم وتخمين رأى وقصد وهذه أيضا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر محبوس بطينة الآدى قلما ينفك عنه وإنما غاية سعيه أن يفلح خيره شره حتى يتقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فأما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى - الذين يغضبون بكثير الإثم والقوا حاشي إلا اللهم إن ربك واسع الغفرة - فكل للمسلم بقية صغيرة لآعن توطئ نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللهم الغفو عنه قال تعالى والذين إذا ضلوا أحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - فآثني عليهم ثم ظلمهم لأنفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه على بن كرم الله وجهه «خيركم كل مفتق تواب (١)» وفي خبر آخر «للمؤمن كالسنبلة ينفذ أحيانا ويميل أحيانا (٢)» وفي الخبر «لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة (٣)» أي الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لإقتض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة الصيرين ومن يؤس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناول من القواكه والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يؤس للتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفثوره عن التكرار والتقليق في أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المحتطفات قال النبي ﷺ «كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون المستغفرون (٤)» وقال أيضا «تؤمن واه راقع غيرهم من مات على رقة (٥)» أي واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وودعوا بالحسنة السيئة فلما وصفهم بعدم السيئة أصلا. الطبقة الثالثة : أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلب الشهوات في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لسجده عن قهر الشهوة إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك لجملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة والشهوات وهو يود لو أقدره الله تعالى على قبحها وكفها شرها هذا أميته في حال قضاء الشهوة وعند الفراق يتندم ويقول ليتني لم أقصه وسأجوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم فيهذه النفس هي التي تسمى النفس السولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم - وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عموما صالحا وآخر سيئا فقامرهم من حيث مواظبته على الطاعات وكرهته لما عاظمه رجوا

(١) حديث على بن خازم كل مفتق تواب البهيقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث اللؤم كالسنبلة تنفذ أحيانا ويميل أحيانا أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس والطبراني من حديث عمار بن ياسر والبيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسل وكلها ضعيفة وقالوا قوم بدل تنفي وفي الأمثال للرامهرمزي إسناد جيد لحديث أنس (٣) حديث لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة (٤) حديث كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون الترمذي واستخره والحاكم وصححه وإسناده من حديث أنس وقال التوابون بدل للمستغفرون - قلت فيه على بن مسعدة ضعفه البخاري (٥) حديث اللؤم واه راقع غيرهم من مات على رقة الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف وقالوا لا يصيد بدل غيرهم .

من البركة ثواب
معدل له على عمله هذا
وأحب أن يقرأ في
ه تين الركعتين في
الأولى آية الكرسي
وفي الأخرى آمين
الرسول والله نور
السماوات والأرض
إلى آخر الآيات وسكون
نيتة فيها الشكر لله
على نفسه في يومه
وليلته ثم يصل ركعتين
أخرتين يقرأ في الأولى
فيها في كل ركعة
سورة وتكون صلاته
هذه ليستبد بالله
تعالى من شر يومه
وليلته ويذكر بعد
هاتين الركعتين كلمات
الاستعاذة فيقول أعوذ
باسمك وكلتك التامة
من شر السامة والمأثم

تضيق على مثلي ومصيبي ليست تغفره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الأوعار في طلب الدنار وإذ قيل إن الله كريم ودنانير خزائنه ليست تنصر عن قهرك وكملك بترك التجارة ليس يضرك فأجلس في بيتك فساء رزقك من حيث لا تحسب فيستحق قائل هذا الكلام ويستهيء به ويقول ما هذا المحوس السماء لا تنظر ذهباً ولا فضة وإنما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره مسبب الأسباب وأجرى به سنة ولا يتبدل لسنة الله ولا يعلم التوروث أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن سنة لا يتبدل لها فيه ما جئنا وأنه قد أخبر إذ قال - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فكيف يستقدأه كريم في الآخرة وليس بكرم في الدنيا وكيف يقول ليس مفضي الكرم القنور عن كسب اللال ومقتضاة القنور عن العمل لملك للقيم والنعيم الدائم وأن ذلك يحكم الكرم يعطيه من جهد في الآخرة وهذا ينمعه مع شدة الاجتهاد في غالب الأمر في الدنيا وينسئ قوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - فتعوذ بالله من العمى والضلال لما هذا إلا انكاس على أم الرأس والقماس في ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بأن يكون داخلًا تحت قوله تعالى - ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لنعمل صالحاً - أي أبصرنا أنك صدقت إذ قلت - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فأرجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه المذاب فتعوذ بالله من دواحي الجهل والشك والارتباب السائق بالضرورة إلى سوء القلب واللباب.

(يان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب إما

عن قصد وشهوة غالية أو عن إلمام بحكم الاضاق)

اعلم أن الواجب عليه التوبة والتندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كذا كرنا طريقة فإن لم تساعد النفس على العزم على الترك لعلبة الشهوة فقد حمز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني وهو أن يبدأ بالحسنة السيئة ليحوها فيكون من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فأحسنات للكفرة للسيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق بأسيئها فأما بالقلب فليتكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال المغفرة والشفو ويتذكر ذلك للبسد الأبق ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيها بينهم لما للبسد الأبق للذنب وجه للتكبر على سائر العباد وكذلك يضرر بقلبه الخيرات للسليدين والعزم على الطاعات . وأما باللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما أوردناه في مכתبات الدعوات والأذكار . وأما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات وفي الآثار ما يدل على أن الذنب إذا أتبع بشيئة أعمال كان الغفر عنه مرجوا أربعة من أعمال القلوب وهي التوبة أو العزم على التوبة أو حب الافلاخ عن الذنب وتغفو عن العقاب عليه ورجاء المغفرة له وأربعة من أعمال الجوارح وهي أن تصلي عقب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدها سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم ومحمد مائة مرة ثم تصدق بصدقة ثم تصوم يوماً وفي بعض الآثار تسبغ الوضوء وتدخل للمسجد وتصل ركعتين^(١) وفي بعض الأخبار تصلي أربع ركعات^(٢)

لا يرجو اللهم إلى أعوذ بك من الذنوب التي تزيل النعم وأعوذ بك من الذنوب التي توجب النقم ثم يصلي ركعتين أخريين بنية الاستخارة لكل عمل يعمل في يومه وليتله وهذه الاستخارة تكون بمعنى الدعاء على الإطلاق وإلا فلا استخارة التي وردت بها الأخبار هي التي يصليها أمام كل أمر يريد ويقرأ في هاتين الركعتين - قل يا أيها الكافرون - وقل هو الله أحد - ويقرأ الدعاء الاستخارة كما سبق ذكره في غير هذا الباب ويقول في نفسه كل قول وعمل أريده

(١) أثر إن من مكفريات الذنب أن تسبغ الوضوء وتدخل للمسجد وتصل ركعتين أصحاب السنن من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصل ثم يستغفر الله إلا غفر الله له فقط أي داود وهو في الكبرى للسنائي مرفوعاً وموقوفاً فلعل للصنف غير بالآخر لارادة الوقوف قد كثره احتياطاً وإلا فالآثار ليست من شرط كتابي (٢) حديث التكفير بسلاة أربع ركعات ابن مردويه في التفسير واليهيقي في الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل

وفي الخبر « إذا عملت سيئة فأنتبهها حسنة تكفرها السر بالسر والملاينة بالملاينة (١) » وتلا ذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار ، وفي الخبر الصحيح « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنى طالبت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا اللبس فاقض على بحكم الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أو ماصليت معنا صلاة القداة قال بلى فقال صلى الله عليه وسلم إن الحسنات يذهبن السيئات (٢) » وهذا يدل على أن مادون الزنا من معالجة النساء صغيرة إذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس كفارات لما يبينهن إلا الكبائر » فعلى الأحوال كلها ينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويبتدئ في دفعها بالحسنات ، فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الأصرار ، وفي الخبر « للستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالستريزه ، يأتي الله (٣) » وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قولي أستغفر الله ، وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين ، وقالت رابعة العدوية : استغفارتنا يحتاج إلى استغفار كثير . فاعلم أنه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الأذكار والندوات حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - وما كان الله ليذهبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون - فكان بعض الصحابة يقول كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار معنا فإن ذهب هلكنا (٤) . فنقول : الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله وكما يقول إذا سمع صفة النار نفوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه ، وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وإنهاله في سؤال الغفرة عن صدق إرادة وخصوصية ورغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح لأن تدفع بها السيئة ، وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة (٥) » وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللثبوتية

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يهوى امرأة الحديث وفيه قلما رأها جالس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فإذا هو مثل المهدبة ققام نادما فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل أربع ركعات فأنزل الله عز وجل - وأقم الصلاة طرقي النهار - الآية وإسناده جيد (١) حديث إذا عملت سيئة فأنتبهها حسنة تكفرها السر بالسر والله الآية بالملاينة البيهقي في الشعب من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه الطبراني من رواية عطاء بن يسار عن معاذ ولم يلقه بلفظ وما عملت من سوء فأحدث الله فيه توبة السر بالسر الحديث (٢) حديث إن رجلا قال يارسول الله إنى طالبت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا اللبس الحديث في نزول - إن الحسنات يذهبن السيئات - متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله أو ماصليت معنا صلاة القداة ورواه مسلم من حديث أنس وفيه هل حضرت معنا الصلاة قال نعم ومن حديث أبي أمامة وفيه ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم الحديث (٣) حديث للستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالستريزه ، يأتي الله ابن أبي الدنيا في التوبة ومن طريقه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس يلفظ كالستريزه برهوسنده ضيف (٤) حديث بعض الصحابة في قوله تعالى - وما كان الله ليذهبهم وأنت فيهم - الآية كان لنا أمانان ذهب أحدهما أحمد من قول أبي موسى الأشعري ورضه الترمذي من حديثه أنزل الله على أماني الحديث وضفه وابن مردويه في تحفهم من قول ابن عباس (٥) حديث ما أصر من استغفر الحديث تقدم في الندوات .

في هذا اليوم أجل فيه
الحجرة . ثم يصلي
ركعتين أخريين يقرأ
في الأولى سورة الواقعة
وفي الأخرى سورة
الأعلى ويقول بعدها
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد واجعل
حبك أحب الأشياء
إلى وخشيتك أخوف
الأعياء عندي واقطع
عني حاجات الدنيا
بالشوق إلى قالك وإذا
أقربت أسعين أهل
الدنيا بدنيام فأقرر
عيني بهباتك واجعل
طاعتك في كل شيء
معي يا أرحم الراحمين
ثم يصلي بعد ذلك
ركعتين يقرأ فيهما
شيئا من حبه من
القرآن ثم بعد ذلك

والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها ، وكذلك سهل لا بد له في كل حال من مولاة فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء فإن عصى قال يارب أسير على فإدا فرغ من العصية قال يارب تب على فإذا تاب قال يارب رزقني العصمة وإذا عمل قال يارب تقبل مني وسئل أيضا عن الاستغفار الذي يكرر القلوب والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الحلق ثم يستغفر الله ثم يقصده الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم ينتقل إلى الاتقار ثم الثبات ثم اليان ثم الفكر ثم المعرفة ثم النجاة ثم الصفاة ثم اللوالة ثم محادثة السرو هو الحلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله إليه فيرضه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش ، وسئل أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم « التائب حبيب الله » قال إنما يكون حبيباً إذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى لا يتوبون العابدون - الآية . وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه ، وللقصود أن للتوبة مرتبتين إحداها تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له . والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيباً ولكن تكفير أيضاً درجات فيضه نحو لأصل الذنب بالكيفية وجسه تخفيفه ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدبر بالحسنة وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة أصلاً فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لا ريب فيها أن قول الله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره - صدق وأنه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر كلالها وخلوها شعيرة تطرح في الميزان عن أثر ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر لكانت الثانية مثلاً ولكن لا يرجع الميزان بأعمال الذرات وذلك بالضرورة بحال بل ميزان الحسنات يرجع بمرات الخير إلى أن يثقل تفرغ كفة السيئات فإياك أن تستغفر درات الطاعات فلا تأتيتها وذرات للعاصي فلا تنفها كالرأه الخرافة تكسل عن القزل تملأ بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خطي واحد وتقول أي غنى يحصل غيظ وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المتوبة أن ثياب الدنيا اجتمعت خطاياها وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيق عند الله أصلاً بل أقول الاستغفار باللسان أيضاً حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بنية مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون نقصاناً بالاضافة إلى عمل القلب . ولذلك قال بعضهم لشيعته أبي عثمان الغري : إن لسانى في بعض الأحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل . فقال أشكر الله إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعود الفضول وما ذكره حتى فإن تعود الجوارح للخير حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من للعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه إلى ما تود فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه إلى قول ما أحقك وما أقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادىء الشر من شرير قال بحكم سبق لسانه ليعوذ بالله وإذا تعود الفضول قال لهنه الله فيصيح في إحدى الكلمتين ويسلم في الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - ومعاني قوله تعالى - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً - فانظر كيف ضاعفها إذ جعل الاستغفار في النفقة عادة اللسان حتى دفع بذلك العادة شر الصيان بالنية واللحن والفضول هذا تخفيف في الدنيا لأذن الطاعات وتضعيف الآخرة كقولوا

إن كان متفرقا ليس له شغل في الدنيا ينتقل في أنواع العمل من الصلاة والتسلاوة والذكر إلى وقت الضمى وإن كان ممن له في الدنيا شغل إما لنفسه أو لغيره فأيضاً من حاجته ومهامه بعد أن يصل ركعتين لخروجه من المنزل وهكذا ينبغي أن يفعل أبداً لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن يصل ركعتين ليقب الله سوء الخرج ولا يدخل البيت إلا بعد ركعتين ليقب الله سوء الدخول بعد أن يسلم على من في المنزل من الزوجة وغيرها وإن لم يحضرا في البيت

يملكون - فإياك وأن تلصق في الطاعات مجرد الآفات فتقترب رغبتك عن العبادات فإن هدمك كيد روجها الشيطان بلمت على للزورين وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر وأهل التنطق بالحق والسرائر فأشخى في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فأقسم الخلق في هذه السكيدة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالهيرات . أما السابق فقال صدقت ياملون ولكن هي كلفه حتى أردت بها باطلا لا جرم أعديك مرتين وأرغم أشك من وجهين فأصيف إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر اللص عليه . وأما الظالم للزور فاستعصر في نفسه خيلاء القطنة لهذه البديعة ثم هجر عن الإخلاص بالقلب فترك مع ذلك تمويده اللسان بالذكر فأصعب الشيطان وتدلى بهجلاً غروره وتمت بينهما للشاركة والواقعة كاقبل : وافق شن طيقه . واقفه فاعتقه . وأما للمقتصد فلم يقدر على إرضائه بشاركة القلب في العمل وتخطى لنقصان حركة اللسان بالاضافة إلى القلب ولكن اعتدى إلى كاله بالاضافة إلى السكوت والنضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشارك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك الذي ذمت حيا كته قركها وأصبح كاتباً والظالم للتخلف كالذي ترك الحياكة أصلاً وأصبح كناساً والمقتصد كالذي هجر عن الكتابة فقال لأنكر مقدمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالاضافة إلى الكاتب لا بالاضافة إلى الكناس فاذ هجرت من الكتابة فلا ترك الحياكة كذلك قالت رابعة المدوية استغفارتنا محتاج إلى استغفار كثير فلا تظن أنها تلتم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله بل تلم غفلة القلب فهو محتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فإن سكنت عن الاستغفار باللسان أيضاً احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد فهكذا ينبغي أن تفهم ما يندم وما يمدح ما يعمد والإجتهاد معنى مقال القائل الصادق: حسنت الأبرار سيئات للقرين . فإن هذه أمور تثبت بالاضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة بل ينبغي أن لا تستعجز ذرات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق إن الله تعالى خبياً ثلاثاً في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئاً فاعلم رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئاً فاعلم غضبه فيه وخبياً ولأيته في عبادته فلا تحقروا منهم أحداً فله ولي الله تعالى وزاد وخبياً إجابته في دعائه فلا تتركوا الدعاء فربما كانت الأجابه فيه .

(الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار)

اعلم أن الناس قسبان : شاب لاصبوه له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجب ربك من شاب ليست له صبوة ^(١) » وهذا عز نادى : « القسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون إلى مصريين وإلى تائبين وغرضنا أن تبين العلاج في حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه . فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الدواء إذ لا معنى للدواء إلا مناضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وإبطاله ولا يطل الشفاء إلا بشفده ولا سبب للإصرار إلا الغفلة والشهوة لا ينادى الغفلة إلا العلم ولا ينادى الشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال تعالى - وأولئك هم المنافقون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون - فلا دواء إذن لتوبة إلا بمعجون يسجن من حلالة العلم وحرارة الصبر وكما يجمع السكجيين بين حلالة السكر وحموضة الحلى وقصد بكل منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما فقمع الأسباب الهيجية للصبراء فهكذا ينبغي أن تفهم علاج القلب مما به من مرض الإصرار فاذن لهذا الدواء أصلاً : أحدهما العلم والآخر الصبر ولا يضمن بينهما .

(١) حديث يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة أحمد والطبراني من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن لهيعة .

أحد يعلم أيضاً يقول
السلام على عباد الله
الصالحين المؤمنين وإن
كان متفرغاً فأحسن
أشغاله في هذا الوقت
إلى صلاة الصبح الصلاة
فإن كان عليه قضاء
صلى صلاة يوم أو
يومين أو أكثر وإلا
فليصل ركعات يطولها
ويقراً فيها القرآن فقد
كان من الصالحين من
يغتم القرآن في الصلاة
بين اليوم واليلة وإلا
فليصل أعداداً من
الركعات خفيفة بأعانة
الكتاب وقل هو الله
أحد وبآيات التي في
القرآن وفيها الدعاء
مثل قوله تعالى ربنا
عليك توكلنا وإليك
أنبتنا وإليك المصير -

فان قلت أينفع كل علم لحل الإصرار أم لا بد من علم مخصوص . فاعلم أن العلوم يجملتها أدوية لأعراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما أن علم الطب نافع في علاج الأمراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الإصرار . فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة تعرض الأبدان ليكون أقرب إلى الفهم ، فقول : يحتاج المريض إلى التصديق بأمور : الأول أن يصدق على الجملة بأن للمرض والصحة أسبابا يتوصل إليها بالاختيار على مآربه مسبب الأسباب وهذا هو الإيمان بأصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه عما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أن السعادة في الآخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا هو العصية وهذا هو الإيمان بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق أو تخليد وكلاهما من جملة الإيمان . الثاني أنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يبر عنه لا يلبس ولا يكذب فان إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرد دون هذا الإيمان ، ووزانه عما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خاف . الثالث أنه لا بد أن يصنى إلى الطبيب فيها بحذرته من تناول القواكه والأسباب للضرر على الجملة حتى يخلب عليه الخوف في ترك الإحتياط فتكون شدة الخوف باعثا له على الإحتياط ووزانه من الدين الأصناف إلى الآيات والأخبار للشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى إلى صممه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث بها لحوف للقوى على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج . الرابع أن يصنى إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الإحتياط عنه ليعرفه أولا فخصيل ما يضره من أمثاله وأحواله وما كرهه ومشروبه فليس على كل مريض الإحتياط عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين أن كل عبد فليس يتقرب بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة وإنما حاجته في الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب ثم إلى العلم بآفاتهما وقد ضررها ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فالعالمى إن علم عسياته فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وإن كان لا يدري أن ما يرتكبه ذنب ضل العالم أن يعرفه ذلك ، وذلك بأن يتكفل كل عالم بالقلوب أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم ويميز ما يضرهم مما ينفعهم وما يشقهم عما يسددهم ولا يبنى أن يصبر إلى أن يستل عنه بل يبنى أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه فاتهم ورثة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا ليرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما أن الذى ظهر على وجهه رص ولا مرآة معه لا يعرف رصه عالم يعرف غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفى كل محلة قريبا متدينا يعلم الناس دينهم فان الحق لا يورثون إلا جهلا فلا بد من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والقرع والدنيا دار للرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا سقيم ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار للرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم إلى السلطان ليكلف شره كما يسلم الطبيب للمريض الذى لا يحتمى أو الذى غلب عليه الجنون إلى القيم ليقبده بالسلل والأغلال ويكلف شره عن نفسه وعن سائر الناس وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان ثلاث علل : إحداها أن المريض به لا يدري أنه مريض . والثانية أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن

وأمثال هذه الآية يقرأ
في كل ركعة آية منها
إما مرة أو يكررها
مهما شاء ويشعر
لطلاب أن يصل بين
الصلاة التي ذكرناها
بعد طلوع الشمس
وصلاة الضحى مائة
ركعة خفيفة وقد كان
في الصالحين من ورده
بين اليوم واليلة مائة
ركعة إلى مائتين إلى
خمسائة إلى ألف
ركعة ومن ليس
له في الدنيا شغل وقد
ترك الدنيا إلى أهلها
فسا باله يطل ولا يتنعم
بخدمة الله تعالى قال
سهل بن عبد الله
القتري لا يكمل شغل
قلب عبد بالله الكريم
وله في الدنيا حاجة فاذا
ارتفعت الشمس

فإن عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه وما بعد الموت غير مشاهد وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم فقلت النفرة عن الذنوب وإن علمها تركها فذلك تراه بشكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال . والثالثة : وهو الداء الضال فقد الطبيب فإن الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار مرضا عديدا عجزا وعن علاجه وصارت لهم سادة في عموم الأرض حتى لا يظهر قصاصهم فاضطروا إلى إغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لأن الداء للهالك هوجب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استكفا من أن يقال لهم فبالكم تأمرون بالعلاج وتفسون أنفسكم فهذا السبب عم على الخلق الداء وعظم الواء واقطع الدواء وهلك الخلق لفقده الأطباء بل اشتغل الأطباء بغنن الإغواء فليتهم إذ لم ينصحوا إلى شوا وإذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فاتهم إذا تكلموا لم يهجم في مواعظهم إلا ما يرضى الموم ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء وتقليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك ألد في الأسماع وأخف على الطباع فتصفر الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا من درجة على العاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلا أو خائنا أهلك بالدواء حيث يشاء في غير موضعه فالرجاء والخوف دواء آن ولكن لشخصين متضادى الملة أما الذى غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكليّة وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكليّة فكسر سورة إسراره في الخوف يذكر أسباب الرجاء ليعود إلى الاعتدال وكذلك للصبر على الذنوب للتبشّر للثوبة للمتع عنها بحكم القنوط واليأس استظاما للذنوبه التي حبت يالج أيضا بأسباب الرجاء حتى يقطع في قبول التوبة فتتوب ، فأما معالجة الشرور للشرور المتسل في العاصي يذكر أسباب الرجاء فيضاهى بمعالجة الشرور بالعمل طلبة للشفاء وذلك من دأب الجهال والأغبياء فاذن فساد الأطباء هي العلة التي بالتي لا تقبل الدواء أصلا . فإن قلت : فأذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في طريق الوعظ مع الخلق . فأعلم أن ذلك بطول ولا يمكن استقصاؤه ، فم تشر إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي أربعة أنواع : الأول أن يذكر مافي القرآن من الآيات المحفوة للذين والعاصين ، وكذلك ماورد من الأخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم « من يوم طلع فجره ولالية غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما : يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ، فيقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا علموا بما علموا ^(١) » وفي بعض الروايات « ليتهم تجالسوا فتذكروا ما علموا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يعلموا بما علموا تابوا بما علموا » وقال بعض السلف إذا أذنب العبد أمر صاحب الجين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرغ القلم عنه ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكن عليه وإن لم يستغفر كتبها . وقال بعض السلف ما من عبد يصلى إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به أو استأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا ، فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفيا عن عبدي وأمهلها فانكبا لم تخفاه ولو خلقناه لرحمناه ولطف يتوب إلى فأغفر له ولطف يستبدل صالحا فأبده له حسنات

(١) حديث ما من يوم طلع فجره ولالية غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات فيقول أحدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا الحديث غريب لم أجده هكذا . وروى أبو منصور الدبلى في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند صحيح إن لله ملكا يتأدى في كل ليلة أنباء الأرمين زرع قد دنا حصاده الحديث وفيه ليت الخلاق لم يخلقوا ولتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فتجالسوا بينهم فذاكروا الحديث .

وتتصف الوقت من صلاة الصبح إلى الظهر كما يتصف العصر بين الظهر والغروب يصل الضحى فهذا الوقت أفضل الأوقات لصلاة الضحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الضحى إذا رمضت الفصال وهو أن ينام التفصيل في ظل أمه عند حرّ الشمس . وقبل الضحى إذا ضحيت الأقدام بحر الشمس وأقلّ صلاة الضحى ركعتان وأكثها اثنتا عشرة ركعة ويجعل نفسه دعاء بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ثم بذلك إن كان هناك

فذلك معنى قوله تعالى - **إِنَّ اللَّهَ بِمَكَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتْ إِذْنُ أَمْكَمَهَا مِنْ**
أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ - وفي حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه «الطابع معلق بقائمة العرش فإذا
 انتهكت الحرمات واستطحت المحارم أرسل الله الطابع فيقطع على القلوب بمافيها^(١)» وفي حديث
 جهماد «القلب مثل الكف للفتوحة كما أنزب اليد ذنبا أقبضت أصبح حتى تنقبض الأصابع
 كلها فيسد على القلب فذلك هو الطبع^(٢)» وقال الحسن : **إِنَّ بَيْنَ الْيَدِ وَبَيْنَ اللَّهِ حُدُودًا مِنْ**
الْعَامَى معلوما إذا بلغه اليد طبع الله على قلبه فلم يوقفه بعدها لغير الأخبار والآثار في قدم للعاصي
 ومعد التائبين لأعصى فينبى أن يستكثر الواظع منها إن كان وارث رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فإنه ما خلف دنارا ولا درهما إنما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه^(٣) .

النوع الثاني : حكايات الأنبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من الصائب بسبب ذنوبهم فلذلك شديد الوقع ظاهر الفتح في تقوب الحلق مثل أحوال آدم صلى الله عليه وسلم في عصيانه وما ليعلم من الأخراج من الجنة حتى روى أنه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلال عن جسده وبنت عورته فاستعيا التاج والإكليل من وجهه أن يرضاه عنه فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحلّ الإكليل عن جبينه ونودى من فوق العرش : احبظا من جوارى فانه لا يجاورني من عساني قال فالتفت آدم إلى حواء يا كيا وقال هذا أول ذم للصية أخرجا من جوار الحبيب، وروى أن سليمان بن داود عليها السلام لما عوفى على خطيبته لأجل الختان الذي عبد في داره أربعين يوما وقيل لأن المرأة سأته أن يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب قلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمساكنها منه قلب ملكه أربعين يوما فحرب تأنها على وجهه فكان يسأل بكفه فلا يعطهم فإذا قال أطعموني فاني سليمان بن داود هيج وطرد وضرب . وحكى أنه استظم من بيت لامرأته فطردته وبسقت في وجهه . وفي رواية أخرجت حمور جرة فيها بول فصبت على رأسه إلى أن أخرج الله الحاتم من بطن الحوت قلبه بعد افضاء الأربعين (أيام التوبة) قال فجات الطيور ونسكت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر إليه بعض من كان جنى عليه فقال لا ألومك فيا فلان من قبل ولا أحدكم في عنذك الآن إن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه . وروى في الاسرائيليات أن رجلا تزوج امرأة من بلة أخرى فأرسل عبده ليحملها إليه فأودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستصم قال فبدأ الله يركه فتراه فكان نيبا في بني إسرائيل وفي قصص موسى عليه السلام أنه قال فاحضر عليه السلام به أطلقك الله صلى على النبي قال بتر كي الناصي لأجل الله تعالى . وروى أن الرع كانت تسير سليمان عليه السلام فظفر إلى قصبة نظرة وكان جديدا فكانه أبيه قال فوضته الرع فقال لم قلت هذا ولم أتركك ؟ قالت إنما نطيك إذا أخطت الله .

(١) حديث عمر الطابع معلق بقائمة من قوائم العرض فإذا انتهكت الحرمان الحديث ابن عدي وابن حبان في النسخة من حديث ابن عمر وهو منكر (٢) حديث مجاهد القلب مثل الكف للفتوح . قلت هكذا قال الصف وفي حديث مجاهد وكأنه أراد يقول مجاهد وكذا ذكره السرخسون من قوله وليس بمرفوع وقد روته في شعب الإيمان للبيهقي من قول حذيفة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم ما خلف ديناراً ولا درهماً وإنما خلف العلم والحكمة البخاري عن حديث عمرو بن الحارث قال مارك: رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً ولمسلم من حديث عائشة مارك ديناراً ولا درهماً ولا أمةً ولا عبداً وفي حديث أبي الترداء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم الحديث وقد تقدم في العلم .

حق غشى عما نلب
إليه من زهرة وعادة
يعنى فيه وإلا فيذبح
العمل لله تعالى من غير
تسور ظاهرا وباطنا
وقلبا وقالباً وإلا باطناً
وتروى بذلك أنه يصل
بأقدام مفسر حاشيه
عجبة فان سم عز من
الصلاة إلى التلاوة فان
مجرد التلاوة أخفى على
النفس من الصلاة فان
سم التلاوة أيضاً ذكر
الله بالقلب واللسان فهو
أخف من القراءة فان
سم الله ذكر ينفع ذكر
اللسان ولازم قلبه
القراءة وللإقية علم
القلب بنظر الله تعالى
إليه لما قدم هذا العلم
فيلازماً قلبه فهو
مراتب وللإقية عين

وروى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف ؟ قال لا . قال لتوكل لإخوته - أخاف أن يأكله الذئب وأنهم عنه غافلون - لم خفت عليه الذئب ولم ترجى ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له وتندري لم رددته عليك ؟ قال لا قال لأنك رجوتني وقلت - عسى الله أن يأتيني بهم جميعا - وبما قلت - اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا - وكذلك لما قال يوسف لصاحب اللك - اذكرني عند ربك - قال الله تعالى - فأناشد الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين - وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار ورود الأسرار بل القرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الأنبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب الكبيرة، نعم كانت مساعدتهم في أن عوجوا بالقنوة ولم يؤخروا إلى الآخرة والأعستاء يمهلون ليزدادوا إثمًا ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر ، فهذا أيضا مما ينبغي أن يكثر جنبه على أسباع الصبرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة . النوع الثالث : أن يقرر هدمه أن تصيل القنوة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يصيب العبد من اللصا فلهو بسبب جناياته فرب عبد يتسافل في أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا أكثر لفرط جهله فينبغي أن يخوف به فان الذنوب كلها تصيل في الدنيا مؤمها في غالب الأمر كما حكى في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى إنه قد ضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولى عليه أعداؤه قال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه (١) » وقال ابن مسعود إنى لأحسب أن العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه وهو معنى قوله عليه السلام « من ظارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا (٢) » وقال بعض السلف ليست اللثة مودا في الوجه وتقصا في السال إنما اللثة أن لا تخرج من ذنب إلا وقت في مثله أو شر منه وهو كما قال لأن اللثة هي الطرد والإجاد فإذا لم يوفق للتغير وسرله الشر فقد أبعد والحرم من رزق التوفيق أعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد عن رزقه النافع من مجالة العلماء للنكرين للذنوب ومن مجالة الصالحين بل يمتن الله تعالى ليقتله الصالحون . وحكى عن بعض المارفين أنه كان يعيش في الوحل جامعا ثيابه عتزا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط ققام وهو يعيش في وسط الوحل ويبكى ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوق الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنين فتندبها بغوض في الذنوب خوفا وهو إشارة إلى أن الذنوب تصيل عقوبته بالانجرار إلى ذنب آخر ولذلك قال التفضيل ما أنكرت من ضمير الزمان وجاء الإخوان فذنوبك ورثتك ذلك وقال بعضهم إنى لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال آخر أعرف القنوة حتى في قار يتي وقال بعض صوفية الشام نظرت إلى غلام نصراني حسن الوجه فوفقت أنظر إليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقي فأخذ يدي فاستحييت منه فقلت يا أبا عبد الله سبحانه الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة الحسكة كيف خلقت للشار قمقم يدي وقال لصيدين عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة . وقال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا يفتون أحدا صلاة جماعة إلا بذنب يذنبه وفي الخبر « ما أنكرت من زمانك فيما غيرتم من أعمالكم (٣) » وفي الخبر « يقول الله تعالى إن أدنى ما أصنع

الذكر وأفضله فان هجر
عن ذلك أيضا وتعلمت
الوساوس وتزاحم في
باطنه حديث النفس
فليتم في النوم السلامة
وإلا ففكرة حديث
النفس تنسى القلب
كثرة الكلام لأنه
كلام من غير اسان
فيحترز عن ذلك قال
سهل بن عبد الله أسوأ
للناس حديث النفس
والطالب يريد أن يتغير
باطنه كما يتغير ظاهره
فانه بحديث النفس
وما يتخيل له من ذكر
ما مضى ورأى وضع
كشخص آخر في باطنه
فيقيد الباطن بالمراقبة
والرأية كما يقيد الظاهر
بالعمل وأنواع الذكر
وتعبد للمطالب المجيد

(١) حديث إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ابن ماجة والحاكم وصححه إسناده واللفظه إلا أنه
قال الرجل بئله العبد عن حديث ثوبان (٢) حديث من ظارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا تقدم
(٣) حديث ما أنكرت من زمانك فيما غيرتم من أعمالكم البهقي في الزهد من حديث أبي الدرداء

بالبد إذا أثر شهوته على طاعته أن أحرمه لذينة مناجاني (١) . وحكى عن أبي عمرو بن علاون في قصة يطول ذكرها قال فيها كنت قائما ذات يوم أصلى غماما قلبي هوى طاووته فسكرتني حتى تولد منه شهوة الرجال فوصفت إلى الأرض واسود جسدي كله فاستترت في البيت فلم أخرج ثلاثة أيام وكنت أعالج غسله في الحمام بالصابون فلا يزداد إلا سوادا حتى انكشف بعد ثلاث غفلة الجنبه وكان قد وجه إلى فأخصني من الرقة فلما أتيته قال لي أما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فصاررت تسك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدي الله تعالى فلولا أني دعوت الله لك وتبت إليه عنك لقيت الله بذلك القون قال فسجبت كيف علم بذلك وهو يفتاد وأنا بالرقه . واعلم أنه لا يذنب البعد ذنبا إلا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا أظهر السواد على ظاهره ليترجر وإن كان شقيا أخفى عنه حتى ينمك ويستوجب النار والأخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شؤم الذنوب في الدنيا على الجملة أن يكسب ما يهدمه فان ابتلى بشيء كان عقوبة له ومحرم جميل الرزق حتى يضامف شقاؤه وإن أصابته نعمة كانت استدراجا له ومحرم جميل الشكر حتى يقاب على كفرانه وأما للطبع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزءا على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفرته لذنوبه وزيادة في درجاته . النوع الرابع : ذكر ماورد من القويات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والقيصة والكبر والحد وكل ذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير أهله وضع السواد في غير موضعه بل يبنى أن يكون العالم كالطبيب الخائف فيستدل أولا بالنقص والسحنة ووجود الحركات على الليل الباطنة ويشغل بعلاجها فيستدل بقرائن الأحوال في خفايا الصفات وليرضى لما وقف عليه اقتداء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد « أوصني يا رسول الله ولا تكثر على قال لا تنصب (٢) » وقال له آخر « أوصني يا رسول الله فقال عليه السلام عليك باليأس مما في أيدي الناس فان ذلك هو التقي وإياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع وإياك وما يستدر منه (٣) » وقال رجل لعمد بن واسع أوصني فقال أوصيك أن تكون ملكا في الدنيا والآخرة قال وكيف لي بذلك قال ازم الزهد في الدنيا فكأنه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الأول غايل التضب قتهاه عنه وفي السائل الآخر غايل الطمع في الناس وطول الأمل وتغيل محمد بن واسع في السائل غايل الحرس على الدنيا وقال رجل لماذ أوصني فقال كن رحيما كن لك بالجنز عيا فكأنه تفرس فيه آثار القضاة والغلظة . وقال رجل لابراهيم بن آدم أوصني فقال: إياك والناس عليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي الناس وما أرام بالناس بل غمخوا في ماء اليأس فكأنه تفرس فيه آفة الخاطلة وأجبر عما كان هو التالب على حاله في وقته وكان التالب إذاه بالناس والكلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنها أن اكثري لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكسبت إليه من عائشة إلى معاوية سلام عليك أما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال غريب تهرده به هكذا القيلي وهو صيد الله بن هانف . قلت : هو متهم بالكذب قال ابن أبي حاتم روى عن أبيه أحاديث بواطيل (١) حديث يقول الله إن أدنى ما صنع بالبد إذا أثر شهوته على طاعته أن أحرمه لذنة مناجاني غريب لم أجبه (٢) حديث قال رجل أوصني ولا تكثر على قال لا تنصب تقدم (٣) حديث قال له آخر أوصني قال عليك باليأس الحديث ابن ماجه والحاكم وقد جهم .

أن يصل من صلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل من ذلك عشرون ركعة يصلها خفيفة أو يقرأ في كل ركعتين جزءا من القرآن أو أقل أو أكثر والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى وجد الفراغ من أعداد آخر من الركعات حسن . قال سفيان كان يصحهم إذا فرغوا أن يتأما طلبا للسلامة وهذا النوم فيه فوائد منها أنه يجين على قيام الليل ومنها أن النفس تستريح ويصلو القلب ببقية النهار والصل في النفس إذا استراحت عادت جديدة فبعد الإنتباه

«من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس سخط الله برضا الناس وكفه الله إلى الناس» (١) وللسلام عليك فانظر إلى قهها كيف تعرضت لآفة التي تكون الولاية بصددها وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت إليه مرة أخرى : أما بعد : فائق الله فانك إذا اتيت الله كفة الناس وإذا اتيت الناس لم يفتونا عنك من الله شيئا والسلام . فاذن لي كل ناصح أن تكون عنايته مصروفة إلى تفرس الصفات الخفية وتوسم الأحوال اللائقة ليكون اشتغاله بهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بوعظه بما هو مستثنى عن التوعظ فيه تضييع زمان . فان قلت : فان كان الواعظ يتكلم في جميع أوساله من لا يدري باطن حاله أن يحظه فكيف يفعل . فاعلم أن طريقه في ذلك أن يحظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم وإما على الأكثر فان في علوم الشرع أغذية وأدوية فالأغذية للسكافة والأدوية لأرباب الملل . ومثاله ما روي أن رجلا قال لأبي سعيد الخدري أوصني قال عليك بتقوى الله عز وجل فانها رأس كل خير . عليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام . عليك بالقرآن فانه نور لك في أهل الأرض وذكر لك في أهل السماء . عليك بالصمت لإيمان خير فانك بذلك تغلب الشيطان . وقال رجل الحسن أوصني فقال أعز أمر الله عزك الله . وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء برأيك ولتبادلهم فيمتنوك وخذ من الدنيا بلاغك وأحق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعتاق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة أفضل من الصوم ولا تجالس السفه ولا تخاطب ذا الوجهين . وقال أيضا لابنه يا بني لاتضحك من غير هج ولا تمسح في غير أرب ولا تسأل عمالينيك ولا تضييع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني إن من يرحم يرحم ومن يهمل يهمل ومن يغل الخير ينهم ومن يغل الشر يأنهم ومن لا يملك لسانه ينهم وقال رجل لأبي حازم أوصني فقال كل مال واجرك للوت عليه قرأت في غيبة فالزمه وكل مال واجرك للوت عليه قرأت في غيبة فاجتنبه . وقال موسى للخضر عليه السلام أوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن شاعا ولا تكن ضرارا وأنزع عن اللجاج ولا تمسح في غير حاجة ولا تضحك من غير هج ولا تصر الخطاين غضاياهم وإبك على خطيتك يا ابن عمران . وقال رجل لعمد بن كرام أوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد الغلاف أوصني فقال اجعل لديك غلافا كغلاف الصحف أن تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال تركك طلب الدنيا إلا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام إلا ما لا بد منه وترك مخالطة الناس إلا ما لا بد منه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : أما بعد ، غف محافوك الله وأحذر مما حذرَكَ الله وخذ مما في يدك لما بين يديك فند اللوت يأتيك الخبر اليقين والسلام ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله أن يحظه فكتب إليه : أما بعد ، فان المهول الأعظم والأمور للقطعات أممك ولا بد لك من مشاهدة ذلك إمام النجاة وإمام العطب ، واعلم أن من جاسب غصه ربع ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غم ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم فاذا زلت فارجع وإذا نمت فأقلم وإذا جهلت فأسألو وإذا غضبت فأمسك . وكتب مطرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد ، فان الدنيا دار غشوة ولها جمع من لا عقل له وبها يتر من لا علم عنده فكُن فيها يأمر للمؤمنين كالمدوي جرحه يصبر

(١) حديث عائشة من التمس رضا الناس بسخط الله وكفه الله إلى الناس الحديث الترمذي والحاكم وفي مسند الترمذي من لم يسم .

من نوم النهار تجدد في الباطن نشاطا آخر وشفا آخر كما كان في أول النهار فيكون للصادق في النهار بهاران يستنهما بخدمة الله تعالى والذوق في العمل وينبغي أن يكون ابتباهه من نوم النهار قبل الزوال بساعة حتى يتمكن من الوضوء والطهارة قبل الاستواء بحيث يكون وقت الاستواء مستقبل القبلة ذا كرا أو مسبحا أو تاليا قال الله تعالى - وأنتم الصلاة تطرفي النهار - وقال - فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - قيل قبل طلوع الشمس صلاة الصبح

على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء . وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عدى بن أريطة أما بعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله فأما أولياؤه فمقتهم وأما أعداؤه فزمتهم . وكتب أيضا إلى بعض عماله : أما بعد ، فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك ، واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئا إلا كان زائلا عنهم باقيا عليك ، واعلم أن الله عز وجل يأخذ للظالمين من الظالمين والسلام . فهكذا ينبغي أن يكون وعظ السامة ووعظ من لا يدرى خصوص واقته فهذه الواظ مثل الأغذية التي يشترك الكافة في الانتفاع بها ولأجل قد مثل هؤلاء الواظ انعم باب الانتفاع وغلبت للعاصي واستكرى الفساد وبلى الخلق بواظ يخرقون أسباعا وينشدون أياها ويتكفون ذكر ما ليس في معة عليهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العاصي وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليعمل إلى القلب بل القائل متصلف وللمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف ، فإذا كان طلب الطبيب أول علاج للرضي وطلب العلماء أول علاج للعاصي فهذا أحد أركان العلاج وأصوله . الأصل الثاني الصبر ووجه الحاجة إليه أن الرضي إنما يطول مرضه لتناوله ما يضره وإنما يتناول ذلك إما تفتله عن مضرته وإما لشدة غلبة شهوته فله سبيلان فإذا كرهناه هو علاج التفتله فيتحل علاج الشهوة وطريق علاجه قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس . وحاصله أن المريض إذا اعتدت ضراره لما كره مضرا فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم يفيب ذلك عن عينه فلا يغمضه ثم يمسك عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصير قوة الخوف على الألم الذي يتألم في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك علاج الشهوة في العاصي كالشباب مثلا إذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه أو حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقرى الخوفات التي جاءت فيمن كتاب الله تعالى وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا اعتد خوفه تباعد من الأسباب للبهجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور للشهية والنظر إليه وعلاجه الحرب والمزلة ومن داخل تناول الداء لا تأطعمه ولا علاج الجوع والسوم الدائم وكل ذلك لا يفي إلا بصبر ولا يصبر إلا عن خوف ولا يخاف إلا عن علم ولو لا علم إلا عن بصيرة واتسار أو عن معاصي وتقليد فأول الأمر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف إلى السماع ثم التفكير فيه لتمام الفهم وينبت من تمامه لعمالة خوفه وإذا قوى الخوف تيسر بمعونه الصبر وانبت الدواعي لطالب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فمن أعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فائق وانتظر الثواب وصدق بالحسن فسييسره الله تعالى ليسرى ، وأما من غفل واستغنى وكذب بالحسن فسييسره الله ليسرى فلا يخفى عنه ما تشغل به من ملذات الدنيا معها هلك وتردى ومات الأنياء لا يشرح طرق الهدى وإعماله الآخرة والأولى . فان قلت فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر عنه والصبر لا يمكن إلا بمعرفة الخوف والخوف لا يكون إلا بالعلم والعلم لا يحصل إلا بالتصديق بظلم ضرر الذنوب والتصدق بظلم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان فكأن من أصبر على الذنب لم يصبر عليه إلا لأنه غير مؤمن . فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الإيمان بل يكون لنصف الإيمان اذ كل مؤمن مصدق بأن للصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور : أحدها أن العقاب للوعود غيب ليس محاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر فتأثرها بالموعود ضعيف بالخائفة إلى تأثرها بالحاضر . الثاني : أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالخلق وقد قوى ذلك واستولى عليها بسبب الاعتداء والإلف والمادة طيبة خائفة والتزوع عن

وقبل غروبها صلاة
المصر - ومن آتاه
الليل فبصب - أراد
المساء الأخيرة
سواطراف النهار أراد
الظهر والليل لأن
الظهر صلاة في آخر
الطرف الأول من
النهار وآخر الطرف
آخر غروب الشمس
وفيها صلاة للليل
فصار الظهر آخر
الطرف الأول للليل
آخر الطرف الآخر
فيستقبل الطرف الآخر
بالبقعة والله كرم
استقبل الطرف الأول
وقد عاد بنوم النهار
جديدا كما كان بنوم
الليل وصلى في أول
الزوال قبيل السنة
والقرص أدبر كرات

المابل خوف الأجل شديد على النفس ولقد قال تعالى - كلاب تحبون الماجة وتندرون الآخرة - وقال عز وجل - بل تؤثرون الحياة الدنيا - وقد عبر عن شدة الأمر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » (١) وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى خلق النار فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها فقال وعزتك لايسمع بها أحد فدخلها فخرجها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر إليها فخطر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد لإدخالها وخلق الجنة فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها فخطر فقال وعزتك لايسمع بها أحد لإدخالها فخرجها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر إليها فخطر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد » (٢) فإذا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخراً إلى اللآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول أصل الايمان فليس كل من يشرب في مرضه ماء التلج لشدة عطشه مكلباً بأصل الطب ولا مكلباً بأن ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز فيهن عليه الألم للتأمل. الثالث أنه مامن مذهب مؤمن إلا وهو في الثواب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بأن ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث جاءه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الايمان. الرابع أنه مامن مؤمن موقن إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجاباً لا يمكن العفو عنها فهو يذنب ويتنظر العفو عنها انكلا على فضل الله تعالى فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الايمان ، ثم قد يقدم للذنب بسبب خامس قدح في أصل إيمانه وهو كونه شاكاً في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يعتز به الطبيب عن تناول ما يضره في المرض فان كان المحدث ممن لا يحتج فيه أنه عالم بالطب فيكذبه أو يشك فيه فلا يبال به فهذا هو الكفر. فان قلت فما علاج الأسباب الخمسة ؟ فأقول هو الصبر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آت آت وأن غداً للتأخيرين قريب وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شركائه فما يدرى له ليل الساعة قريب وللتأخر إذا وقع صار ناجزاً ويؤيد كرقسه أنه أبداً في دنياه يتعب في الحال لخوف أمر في الاستقبال إذ يركب البحار ويقاسي الأسفار لأجل الربح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت وكان لئاء البارد ألد الأشياء عنده تركه مع أن الموت إلى اللحظة إذا لم يخف ما بعده ومفارقة الدنيا لا بد منها فكأن نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزلاً وأبداً فليتأمل كيف يبادر إلى ترك ملاذته بقول ذي لم تهم معجزة على طبعه فيقول كيف يليق بقول أن يكون قول الأنبياء للتوابعين بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعى الطب لنفسه بلا معجزة على طبعه ولا يشهد له الإعوام بالخلق وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة يتقار حزين ألف سنة من أيام الدنيا وهذا التفكير بينه وماج اللغة التالية عليه ويكلف نفسه تركها ويقول إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهي أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبداً لا أبداً وإذا كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتنقصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعم الآخرة وأما تسويف التوبة فيما جبه بالسكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف لأن للسوف بيني الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء قلعه لا ياتي وإن بقي

(١) حديث حفت الجنة بالمكاره الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن الله خلق النار فقال لجبريل اذهب فانظر إليها الحديث أبو داود والترمذي والحاكم ومحمد بن حنبل في أبي هريرة وقدم فيه ذكر الجنة.

بتسليمة واحدة كان يصليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه صلاة الزوال قبل الظهر في أول وقتها وعتاج أن يراعى لهذه الصلاة أول الوقت بحيث يظن للوقت قبل للذين حين يذهب وقت الصحراوية بالاستواء فيشرع في صلاة الزوال ويسمع الأذان وقد توسط هذه الصلاة ثم يستعد لصلاة الظهر فإن وجد في بطنه كدراً من عاطلة أو مجاسة انضمت يستغفر الله تعالى ويتضرع إليه ولا يشرع في صلاة الظهر إلا بعد أن يجد الباطن عائداً إلى حاله

فلا قدر على الترك غذا كما لا يقدّر عليه اليوم قلت سمري هل عجز في الحال إلا لتلبة الشهوة والشهوة ليست تهاقره غذا بل تضاعف إذ تتأكد بالاعتقاد قايسة الشهوة التي أكدّها الإنسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك للسوفون لأنهم يظنون الفرق بين التائبين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبداً خاقوماء مثال السوفون إلا مثال من احتاج إلى قطع شجرة فراحقوبة لا تتطلع إلى بشقة شديدة قال أخرها سنة ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كما بقيت ازداد رسوخها وهو كما طال عمره ازداد ضعفه فلا حقاقة في الدنيا أعظم من حماقة إذ عجز مع قوته عن مقاومها ضيف فأخذ ينتظر القلبة عليه إذا ضف هو في نفسه وقوى الضعيف. وأما الثاني الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فصلاحه ما سبق وهو كن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله قراء منتظرا من فضل الله تعالى أن يرزقه الثور على كثر في أرض خربة فإن إمكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من يتوقع الثوب من الظلمة في بلمه وترك ذخائر أمواله في صحن داره وقدر على دفعها وإخفائها فلم يفعل وقال أنتظر من فضل الله تعالى أن يسقط عقبة أو عقوبة على الظالم الناهب حتى لا يتضرع إلى داري أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار فإن الموت ممكن والشفقة ممكنة. وقد سكر في الأمصار أن مثل ذلك وقع فأننا أنتظر من فضل الله مثله فنظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه في غاية الحماقة والجهل إذ قد لا يمكن ولا يكون. وأما الخامس وهو شك فهذا كفر وعلاجه الأسباب التي تضره صدق السبل وذلك بطول ولكن يمكن أن يبالغ بلم قريب يليق بعد عقه فيقال له ما قاله الأنبياء للذين يبدون بالمعجزات أهل صدقة يمكن أو تقول أعلم أنه حال كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فإن قال أعلم استحالة كذلك فهو أخرق متعوه وكأنه لا وجود لثل هذا في الضلاء وإن قال أنا هلك فيه فيقال لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة أنه وقت فيه حيا أو قتت جميعا فهو جوزت صدقه لم تأكله أو تركه وإن كان أنه الأملمة فيقول إن تركه لا محالة لأنني أقول إن كذب فلا يغتوى إلا هذا الطعام والصبر عنه وإن كان شديدا فهو قريب وإن صدق فضوتى الحياة واللوت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاخته هديد فيقال له يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الأولياء والطهارة والحكام بل جميع أصناف العقلاء ولست أعني بهم جهالة العوام بل لدى الألباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء إلا من صدق اليوم الآخر وأثبت ثوبا وعقبا وإن اختلفوا في كيفية فإن صدقوا قد أشرفت على عذاب يبق أبداً الآباد وإن كذبوا فلا يغوتك إلا بعض شهوات هذه الدنيا القانية للكسرة فلا يبقى له توقف إن كان قاعلا مع هذا الفكر إذ لانبية لمدة العمر إلى أبداً الآباد بل لو قدرت الدنيا بمحومة بالقدرة وقدرنا طرائقنا في كل ألف سنة حبة واحدة منها فتنيت القدرة ولم ينقص أبداً الآباد شيئا فكيف يقتر رأى المائل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تسمى أبداً الآباد ولذلك قال أبو الملامد أحمد ابن سليمان التتوخى للمرى :

قال التتبع والطبيب كلاما
لا تبت الأموات قلت إليك
إن صحت قولك فليست بخاسر
أو صحت قولى فالحاسر عليكما

ولذلك قال على رضى الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان غافا كان صبحا مائلت قد تخلصنا جميعا وإلا قد تخلصت وهلكت أى المائل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال. فإن قلت هذه الأمور جلية ولكنها ليست تنال إلا بالتفكير فما بال القلوب هجرت التفكير فيها واستعقلت وما علاج القلوب لردّها إلى التفكير لاسيا من آمن بأصل الشرع وتخصيه. فاعلم أن اللبغ من التفكير

من الصفاء والذوق
حلاوة الناجاة لا بد أن
يجدوا صفو الألس في
الصلاة ويشكرون
يسير من الاسترسال
في الباع وصير على
واجبهم من ذلك عقد
وكدرو قد يكون ذلك
عجزا للحاللة والمجالسة
مع الأهل والولد مع
صكون ذلك عبادة
ولكن حسنة الأبيار
سببات للفرق فلا
يدخل الصلاة إلا
بهد حل الشد
وإذهاب الكد وحل
العقد بسدق الاتابة
والاستغفار والتضرع
إلى الله تعالى ودواء
ما يحدث من الكسرة
بجبالسة الأهل والولد إن
أن يكون في مجالسته

أمران : أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأما هو الآخر وحسرات العاصي في الحرمان عن التمتع القيم وهذا فكر لئلا يؤلم القلب فينفر القلب عنه وتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة . والثاني أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وممان إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقت نصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت له تله في طلب الحيلة فيه وفي مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك ، وأما علاج هذين اللانين فهو أن يقول لقلبي ما أعد غدا فتوكل في الاحتراز من الفكر في اللوت وما بعده تألما بذلك كرهه واستحقر ألم موافقته فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير اللوت وما بعده وتألم به ، وأما الثاني وهو كون الفكر مفتونا بالذات الدنيا فهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فأنه لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سرحة الدور وهي مشوبة بالمسكدرات فما فيها لذة صافية عن كدور وفي التوبة عن المعاصي والإقبال على الطاعة تلذذ بمنجاة الله تعالى واستراحة بمرته وطاعته وطول الأثر به ولو لم يكن للطبع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلوة الطاعة وروح الأثر بمنجاة الله تعالى لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف إليه من نعم الآخرة ، نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنها بعدما يسر عليها مبددة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قائمة ما عودتها تهم ودواخير عادة والشر لاجبة ، فاذن هذه الأفكار هي للهيجة الخوف للبهج بقوة الصبر عن الذات ومهيج هذه الأفكار وعظ الوطاط وتنبهات تنفع للقلب بأسباب تنفع لا تدخل في الحصر فيصير الفكر مواتقا للطبع فيميل القلب إليه وسر عن السبب الذي أوقع الواقعة بين الطبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق إذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين الملقى الذي هو طاعة نافذة في الآخرة وقدر في حديث طويل أنه قام عمار بن ياسر فقال لمي بن أبي طالب كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين أخبرنا عن السكر على ماذا ينبغي ، فقال على رضى الله عنه بنى على أربع دعائم : على الجفاء والعنى والنفقة والشك ، فمن جفا احترق الحق وجهر بالباطل ومقت المساء ومن عنى نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد ومن شك فرته الأمانى فأخذته الحسرة والندامة وبدأ له من الله ما لم يكن يحتسب ، فما ذكرناه يبين لبعض آفات النفقة عن التفكير وهذا القدر في التوبة كاف وإذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فتذكره في كتاب مفرد إن شاء الله تعالى .

﴿ كتاب الصبر والشكر ﴾

(وهو الكتاب الثاني من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله أهل الحمد والثناء المنفرد بداء الكبرياء ، التوحد بصفات الجود والملاء ، للؤ بصفوة الأولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاد والنعماء . والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى أصحابه بإسادة الأضياف وعلى آله قادة البررة الأضياف صلاة عمرومة بالدوام عن الفناء ، ومصونة بالتأق من التصرم والاهتداء [أما بعد] فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر ^(١) كما وردت به الآثار وشهدت به الأخبار وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى وإسمان من أسماءه الحسنى إذ معنى صبره صبره أو شكوره أو جمل حقيقة الصبر والشكر جهل بكل شطري الإيمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن

﴿ كتاب الصبر والشكر ﴾

(١) حديث الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من

غير راكن إليهم كل
الركون بل يسترق
القلب في ذلك نظرات
إلى الله تعالى فتكون
تلك النظرات كثرة
لتلك المجالسة إلا أن
يكون قوى الحال
لا يجبه الخلق عن
الحق فلا يتعد على
باطنه عقدة فهو كما
يدخل في الصلاة
لا يجبهها ويجد باطنه
وقلبه لأنه حيث
استروحت نفس هذا
للك المجالسة كان
استرواح نفسه منفرعا
بروح قلبه لأنه يجالس
وخالط وعين ظاهره
ناظرة إلى الخلق وعين
قلبه مطالعة للحسنة
الإلهية فلا يتعد على
باطنه عقدة وصلاة

ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان وكيف يتصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة مآبه الإيمان ومن به الإيمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك مآبه الإيمان فما أخرج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لا يرتبط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى . الشطر الأول في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أقسامه باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى .

(بيان فضيلة الصبر)

قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نصف وسبعين موضعاً وأضاف أكثر العجرات والحجرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل - وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا - وقال تعالى - وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بمصابروا - وقال تعالى - ولننجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون - وقال تعالى - وأولئك يؤتون أجرهم مرتين بمصابروا - وقال تعالى - إنما يوفى الصابرون وأجرهم غير حساب - فمن قرأه لا أوجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر قال الله تعالى «الصوم لى وأنا أجزى به» فأضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى - واصبروا إن الله مع الصابرين - وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى - لى إن صبروا وتقوا وبأوتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين - وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى - أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - فلهذه والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول . وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصبر نصف الإيمان ^(١) » على ما سياتى وجه كونه نصفاً وقال صلى الله عليه وسلم «من أكل ما أوتيتم اليقين وعزعة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاتة من قيام الليل وصيام النهار ولأن صبروا على ما أتم عليه أحب لى من أن يوافنى كل امرئ منكم بثل حمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بضعكم بضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى - جاعدكم بشفه وما عند الله باق ولنجزى الذين صبروا أجرهم - ^(٢) الآية وروى جابر أنه سئل ^(٣) عن الإيمان فقال «الصبر والسباحة» ^(٤) وقال أيضاً «الصبر كزمن كنوز الجنة» ^(٥) وسئل مرة «ما الإيمان قال الصبر» ^(٦) وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم «الحج عرفة» ^(٧) معناه معظم الحج عرفة

رواية يزيد الرقاشى عن أنس ويزيد ضعيف (١) حديث الصبر نصف الإيمان أبو نعيم والطبيب من حديث ابن مسعود وضم في الصوم (٢) حديث من أقل ما أوتيتم اليقين وعزعة الصبر الحديث بطوله تقدم في العلم مختصراً ولم أجده هكذا بطوله (٣) حديث جابر مثل عن الإيمان فقال الصبر والسباحة الطبرانى في معارج الأخلاق وابن حبان في الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن النكدر ضعيف ورواه الطبرانى في الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده (٤) حديث الصبر كزمن كنوز الجنة غريب لم أجده (٥) حديث مثل مرة عن الإيمان قال الصبر أبو منصور الديلمى في مستند القردوس من رواية يزيد الرقاشى عن أنس مرفوعاً الصبر من الإيمان عزلة الراس من الجسد ويزيد ضعيف (٦) حديث الحج عرفة تقدم في الحج .

الزوال التي ذكرناها

تحل المسند وتبي

الباطن لصلاة الظهر

فيتراً في صلاة الزوال

عنددار سورة البقرة

في النهار الطويل وفي

القصر ما يتيسر من

ذلك قال الله تعالى :

وعشا وحين تظهرون -

وهذا هو الإظهار فان

انتظر بسد السنة

حضور الجماعة للفرض

وقرأ الدعاء الذى بين

الفرضة والسنة من

صلاة الفجر لحسن

وكذلك ماورد أن

رسول الله صلى الله

عليه وسلم دعا به إلى

صلاة الفجر ثم إذا

فرغ من صلاة الظهر

يقرأ الفاعية وآية

الحكوى ويسبح

وحمد وبكى لئلا
 وثلاثين كما وصفنا ولو
 قدر على الآيات كلها
 التي ذكرناها بسد
 صلاة الصبح وعلى
 الأدعية أيضا كان ذلك
 خيرا كثيرا وفضلا
 عظيما ومن له همه
 ناهضة وعزرة صادقة
 لا يستكثر خيضا لله
 تعالى ثم يهيى بسين
 الظهر والصبر كما يهيى
 بين الصائين على
 الترتيب الذى ذكرناه
 من الصلاة والتلاوة
 والذكر والربابة
 ومن دام سهره بنام
 نومة خفيفة فى النهار
 الطويل بين الظهر
 والصبر ولو أجا بين
 الظهر والصبر ركعتين
 يقرأهما ربع القرآن

(١) حديث أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس لأصله مرفوعاً وإجماعاً هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس (٢) حديث عطاء عن ابن عباس دخل على الأنصار فقال أؤمنون أنهم فسكروا فقال عمر نعم بإيعاز الحديث الطبراني في الأوسط من رواية يوسف بن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء (٣) حديث في الصبر على ما تكره خبر كثير الترمذي من حديث ابن عباس وقد تهم (٤) حديث لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً الطبراني من حديث عائشة وفيه مسيح بن دينار ضعفه العقلي .

عليهم السلام فإنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صاردة عنها حتى محتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجد آخر يفلب الصوارف . وأما الانسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا الشهوة الغداه الذي هو محتاج إليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة التكاثر على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة ، إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبر إلا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله تعالى بفضله وسعته جوده أكرم بني آدم ورفع درجاتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال خصه بمقاربة البلوغ ملكين : أحدهما جهدي . والآخر يقويه فخير بمحنة للكلين عن البهائم ، واختص بصفتين : إحداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة الصالح للتعاقة بالواجب وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف ، فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصلحة الواجب بل إلى مقتضى شوائبها في الحال فقط فذلك لا يطلب إلا اللذني . وأما الدواب النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطلبه ولا تفر فصار الانسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له منيات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يصره الانسان كالارض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فاقتر إلى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بذلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بمجنود لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوة فثاره ضحك هذا الجند وتارة يقوى ذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد فجاء نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنفس هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قبح الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنفس مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب البعد ، ومدد باعث الدين من اللائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى ، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وإن تخاذل وضف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين ، فإذا ترك الأفعال للفتاة عمل يشمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال شمرها للفرقة بمداوة الشهوات ومضادتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة فإذا قوى يقينه أعنى للفرقة التي تسمى إيمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا فاطمأن الطريق إلى الله تعالى قوى ثبات باعث الدين وإذا قوى ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تقتاضاه الشهوة فلا تترك الشهوة إلا أهوة باعث الدين للشد لباعث الشهوة وقوة للفرقة والامعان تنجيب منية الشهوات وسوء عاقبتها وهذان للكلان مما للتكفلان بهذين الجندين بإذن الله تعالى وتسخيره إياهما ، وهما من الكرام المكاتبين وهما للكلان للوكلان بكل شخص من الأدميين . وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك للقوى لم ينف عليك أن جانب الإيمان هو الذي أشرف الجانبين من جنبي الدست ، ينبغي أن يكون مسلما له فهو إذن صاحب الإيمان والآخر صاحب الشك . ولعل طوران في التفتة والتمسك وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالتفتة معرض عن صاحب الإيمان ومسى إليه فيكتب أغراضه سيئة وبالحكم مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب إيمانه حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسى إليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جوده فيثبت له به حسنة وإنما ثبتت هذه الحسنت والسيئات بآياتهما فذلك صيا كراما

أوغرا ذلك في أربع ركعات فهو خير كثير وإن أراد أن يحى هذا الوقت بمائة ركعة في النهار الطويل لم يكن ذلك أو يشرين ركعة يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة في كل ركعة خمسين وستة قبل الزوال إذا كان سائما وإن لم يكن سائما فأى وقت تخير فيه التيم . وفي الحديث « السواك مطهرة للنفوس مرساة الرب » وعند القيام من الفراش يستحب قبل أن الصلاة بالسواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعا ، وقيل هو خير وإن أراد أن يقرأ بين

كاتبين أما الكرام فلا تنفع الصبر بكرهما ولأن للانسكة كلهم كرام بررة وأما الكاتبون فلا يتها
الحسنات والسيئات وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع
عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطبهما وصحافتها وجملة ما تعلق بهما من جملة عالم القلوب وللصوت
لأمن عالم الشهادة وكل شيء من عالم للصوت لا تدركه الأبصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف
للطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى وأنى بالقيامة الصغرى حالة
للموت إذ قال صلى الله عليه وسلم « من مات قد قامت قيامته ^(١) » وفي هذه القيامة يكون البدو حده
وعندها يقال - ولقد جتمعونا فرادى كما خلقناكم أول مرة - وفيها يقال - كفى بنفسك اليوم عليك
حسباً - أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملا من
الخلق وفيها يساق للثقلون إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمراً لا أحاداً والمولود والمولود هو هول القيامة
الصغرى وجميع أحوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلاً فإن ارتك
الحامسة بك زلزلة في الموت فانك تعلم أن الزلزلة إذا زلزلت يلهة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وإن
لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لأنما ينضجر
عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فخصته من الزلزلة قد توفرت من غير
تقصان . واعلم أنك أرضى غلوق من التراب وحطك الخاص من التراب بدتك قطعاً ما بدتك غيرك
فليس يحطك والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدتك طرف ومكان وإنما تخاف من زلزلة
أن يتزلزل بدتك بسببه وإلا فالهواء أبداً متزلزل وأنت لا تحسها إذ ليس يتزلزل به بدتك فخطك من
زلزلة الأرض كلها زلزلة بدتك قطع فهي أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك
سماء أرضك وقلبك شمس أرضك وسمك وبصرك وسائر خواصك نجوم مائك ومفيض العرق من
بدتك بحر أرضك وعضورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا إلى جميع أجزائك فإذا اتهم
بالموت أركان بدتك قد زلزلت الأرض زلزالها فإذا انفصلت العظام من اللحوم قد حلت الأرض
والجبال فدكتا دكة واحدة فإذا رمت العظام قد نسفت الجبال نسفاً فإذا أظلم قلبك عند الموت قد
كورت الشمس تكويراً فإذا بطل سمك وبصرك وسائر خواصك قد انكدرت النجوم انكداراً فإذا
انشق دماغك قد انشقت السماء انشقاقاً فإذا انجبرت من هول الموت عرق جبينك قد جفرت البحار
تفجيراً فإذا التفت إحدى سابقك بالأخرى وما مطيتك قد عطلت المشار تطلعا فإذا فارقت الروح
الجسد قد حلت الأرض فدت حتى ألفت ما فيها وتخلت ولست أطول بجميع موازنة الأحوال والأحوال
ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ولا يؤثرتك من القيامة الكبرى شيء مما
يخصك بل ما يخص غيرك فإن بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انشترت خواصك التي بها
تنتفع بالنظر إلى الكواكب والأعمى يستوفى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاء الأمانها
قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حسنة منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق رأسه قد
انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لا رأس له لا سماؤه فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فإنه
هي القيامة الصغرى والخوف بعد أسفل والمولود بعد مؤخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى ولا رضع
الحصوص وبطلت السموات والأرض ونسفت الجبال ونمت الأحوال . واعلم أن هذه الصغرى وإن
طولنا في وصفها فانا لنذكر عشر عشر أو صانها وهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة
إلى الولادة الكبرى فإن للإنسان ولادتين: إحداها الخروج من الصلب والتراب إلى مستودع الأرحام
(١) حديث من مات قد قامت قيامته ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس بن شبيب .

الصلابن في صلاته في
عشرين ركعة في كل
ركعة آية أو بعض آية
تقرأ في الركعة الأولى
- ربنا آتينا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب
النار - ثم في الثانية
- ربنا أفرغ علينا صبراً
وثبت أقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين -
ثم - ربنا لا تؤاخذنا
بإثر السورة ثم ربنا
لا تزعقلونا - الآية
- ربنا إنا معتنا ناديا
ينادي للإيمان - الآية
ثم - ربنا آتينا بما
أنزلت - ثم - أنت
ولينا فاغفر لنا - ثم
فاطر السموات
والأرض أنت ولي -
ثم - ربنا إنك تعلم

فوق في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نقطة وعلقة وموضعة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم كنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه البعد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم بل أوسع وأعظم قسم الآخرة إلى الأولى فما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين وإليه الاشارة بقوله تعالى - وننشئكم فيها لئلا تعلمون فالحق القارياتين مؤمن بالم التيب والشهادة وموقن بالملك وللكرات ولقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين الموراء إلى أحد المالمين وذلك هو الجهل والضلال والافتداء بالأعور الدجال ، فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك للسكين وبين يديك هذه الأحوال فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الأنبياء « كفى بالموت واعظا (١) » أو ما سمعت بكبره عليه السلام عند الموت حتى قال صلى الله عليه وسلم « اللهم هون على محمد سكرات الموت (٢) » أو ما سمعت من استبطائك هجوم الموت اقتداء برطاع الغافلين الذين لا ينظرون إلا الصبغة واحدة تأخذهم وهم يظنون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذيرا من الموت فلا يفرجون ويأتيهم الشيب رسولا منه فما يتبرون فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون أفيظنون أنهم في الدنيا خالدون أو لم يروا كم أهلكنا قباهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون أم يحسبون أن اللوق سافروا من عندهم فهم ممدومون كالأين كل ما جميع له يناحضرون ولكن ما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وذلك لأننا جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولترجع إلى الفرض فإن هذه تلوحيات تشير إلى أمور هي أعلى من علوم العامة . فنقول قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصة الأديمين لما وكل بهم من الكرام الكائين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين إذ قد ذكرنا أن الحسنه في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا يتصور منهما إقبال وإعراض وما لا يكتبان إلا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والإعراض والعمري إنه قد تظهر مبادئ إشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدرج إلى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضار الآخرة بل إلى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب على تركها في الآخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق إن كان من الأبرار وكان على سمعت الكرام الكائين البررة الأخيار أن يكتب على الصبي سيئته وحسنه على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالترغيب ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا حسنه في حق الصبي فقد ورث أخلاقه للاستملاء في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب المالمين كما ناله للاستملاء فيكون مع النبيين والقرين والصدقين وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث كفى بالموت واعظا البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الريح بن بدر ضعيف ورواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد (٢) حديث اللهم هون على محمد سكرات الموت الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم واليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ اللهم أعني على سكرات الموت .

ما غنني وما نطن -
الآية ثم - وقال رب
زدني علما - ثم لا إله
إلا أنت سبحانك ثم
- رب لا تدركني فردا -
ثم - وقال رب اغفر
وارحم وأنت خير
الراحمين - ثم ربنا
هب لنا من أزواجنا -
ثم - رب أوزعني إن
أشكر نعمتك التي
أنعمت على وعلى
والذي وأن أعمل صالحا
ترضاه وأدخلني برحمتك
في عبادك الصالحين -
ثم - على خاتمة الأعيان
وما غنني الصدور ثم -
- رب أو زعني أن
أشكر نعمتك التي
أنعمت على - الآية
من سورة الأحقاف ثم
- ربنا اغفر لنا

«أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»^(١) وأشار إلى أصبيه الكريمتين صلى الله عليه وسلم .

(بيان كون الصبر نصف الإيمان)

اعلم أن الإيمان تارة يختص في إطلاقة التصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللعارف أبواب وللأعمال أبواب ولا غش ولا غشال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الإطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد فمن رجع العبادات ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقه : أحدهما أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعا فيكون للإيمان ركنان : أحدهما اليقين والآخر الصبر وللراديقين للعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن للصية منارة والطاعة نافعة ولا يمكن تركه للصية وللواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والسكسل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال «من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر» الحديث إلى آخره . الاعتبار الثاني أن يطلق على الأحوال للثمرة للأعمال لاطى للعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيها وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شرطى الإيمان بهذا الاعتبار كأن اليقين أحد الشرطين بالاعتبار الأول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضى الله عنه الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر مبرا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين . باعث من جهة الشهوة ، و باعث من جهة الغضب فالشهوة يطلب القديد والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهى شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار «الصبر نصف الصبر» لأن مكال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان فهكذا ينبغي أن تختم تحذيرات الشرع بحدود الأعمال والأحوال ونسبتها إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان فإن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة .

(بيان الأسامي التي تتجدد للصبر بالإضافة إلى ما عنه الصبر)

اعلم أن الصبر ضربان : أحدهما ضرب بدنى كتحمل للشاق بالبدن والثبات عليها وهو إما بالقمل كصاطفى الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها وإما بالاحتياك للصبر عن الضرب الشديد وللرض العظيم والجراحات المائلة وذلك قد يكون محمدا إذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسى عن مشتبات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب إن كان صبرا على شهوة البطن والفرجسمى عفة وإن كان على أحواله مكروهه أساميه عند الناس باختلاف للسكره الذى غلب عليه الصبر فإن كان فى مصيبة اقتصر على اسم الصبر وقضاه حالة تسمى الجزع والملاح وهو إطلاق دعائى الهوى ليستقر على رفح الصوت وضرب الحدود وشق الجيوب وغيرها وإن كان فى احتيال النفسى على ضبط النفس وقضاه حالة تسمى البطور وإن كان فى حرب ومقاومة على شجاعة ويضاده الجبن وإن كان فى كظم التيط والغضبسمى حلا ويضاده التذمى وإن كان فى نابية من نوائب الزمان مضجرةسمى سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وإن كان فى إخفاء كلامسمى كتمان السر وسمى صاحبه كتوما وإن كان عن فضول الميئسسمى زهدا ويضاده

(١) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين البخارى من حديث سهل بن سعد وقدم .

ولا خواتنا الدين -
الآية ثم - ربنا عليك
توكلنا - ثم رب اغفر
لى ولوالدى ولن دخل
ببقى مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات ولا تزد
الظلمين إلا تبارا -
مهما يصل ليقربهم
الآيات وبالحنيفة على
هذه آيات فى الصلاة
مواعيد للقلب واللسان
يوشك أن يرقى إلى
مقام الاحسان ولوردد
فرد آية من هذه فى
ركعتين من الظهر أو
العصر كان فى جميع
الوقت مناجيا لمولاه
وداعيا وتاليا وصليا
والدؤوب فى العمل
واستيعاب أجزاء التبار
بلذاته وحلاوة من
غير سامة لا يصح

الحرس وإن كان صبرا على قدر يسير من المخطوط ممي قناعة وبضادة الشره فأكثر أخلاق الأيمان داخل في الصبر وقدك لما سئل عليه السلام مرة عن الأيمان قال «هو الصبر» لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال «الحج عرفة»^(١) وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى السلك صبرا قال تعالى «والصابرين في البأساء - أي الصيبة - والضراء - أي الفقر - وحين البأس أي المهاربة وأولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون» - فاذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ للماني من الأسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحققاتها من حيث رأى الأسامي مختلفة والذي يسلك الطريق السقيم وينظر بنور الله يلحظ للماني أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامي فاتها وضمت دالة على للماني هي الأصول والألفاظ هي التواضع ومن يطلب الأصول من التواضع لا بد وأن يزل وإلى التريقين الإشارة بقوله تعالى «أذن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم» - فإن الكفار لم يسلطوا فيها غلطا في الإيهام هذه الانكسارات، نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه.

(بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف)

اعلم أن باعث الدين بالاضافة إلى باعث الهوى ثلاثة أحوال : أحدها أن يهزم داعي الهوى فلا يبقى له قوة للنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون إلى هذه الرتبة هم الأقول فلا يجرم هم الصديقون للقرين الذين قالوا ربنا اللههم استقاموا فلم يلازموا الطريق للسقيم واستووا على الصراط القويم وأطمأنت قلوبهم على مقتضى باعث الدين وإيما ينادى للنادى - بأن يأنف النفس للتمشية أرجى إلى ربك راضية مرضية - . الحالة الثانية أن تطلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين ولا يجاهد لياسه من المهادنة وهؤلاء هم النافلون وهم الأكثرون وهم الذين استرقهم شهواتهم وغلبت عليهم شهواتهم فحكروا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله وإليه الإشارة بقوله تعالى - ولوشئنا لأنتما كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة غشرت صفقتهم وقيل لمن تصدقوا شادهم - فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - وهذه الحالة علامة اليأس والقنوط والفرور بالأمان وهو غاية الحق كما قل صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونهى على الله»^(٢) وماحب هذه الحالة إذا عوط قال أنما متشاقى إلى التوبة ولكنها قد تمددت على فلست أطمع فيها أولم يكن مشتاقا إلى التوبة ولكن قال إن الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به إلى توبتي وهذا السكين قد صار عقله رقيقا لشبهته فلا يستعمل عقله إلا في استبطاق دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته فقد صار عقله في بدشهوته كسمل أسير في أيدي الكفار فهم يستخرونه في رباة الخنازير وحفظ الجحور وحملها وعمله عند الله تعالى محل من يهزم مسلما ويسلمه إلى الكفار ويجهل أسيرا عندهم لأنه فحاش جانيته يشبه أنه سخر ما كان حقه أن لا يستسخر وسلط ماحقه أن لا يتسلط عليه وإيما استحق السلم أن يكون مقلطا لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإيما استحق الكفار أن يكون مسلطا عليه لما فيه من الجول بالدين وباعث الشياطين وحق السلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه فهما سخر للنبي الشريف

إلا ليد تزكت نفسه بكمال التقوى والاستقامة في الزهد في الدنيا واتزبع منه متابعة الهوى ومقربى على الشخص من التقوى والزهد والهوى بقية لا بدوم روحه في العمل بل ينشط وقتا ويسأم وقتا ويتأوب النشاط والكل فيه لبقاء متابعة شيء من الهوى بنقصان تقوى أوعبة دنيا وإذا صح في الزهد والتقوى فإن ترك العمل بالجوارح لا يفر عن العمل بالقلب فمن دام دوام الروح واستحالة الدؤوب في العمل فليجسم مادة الهوى والهوى روح النفس لا يزول ولكن

(١) حديث الحج عرفة أصحاب السنن من حديث عبد الرحمن بن يسر وتقدم في الحج

(٢) حديث الكيس من دان نفسه الحديث تقدم في ذم الفرور .

الذي هو من حزب الله وجند لللائكة المعنى الحسيس الذي هو من حزب الشياطين البعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً لكافر بل هو كمن قصد الملك النعم عليه فأخذ أعز أولاده وسله إلى أبهى أعدائه فانظر كيف يكون كفراته لثمته واستيغابه لثمته لأن الهوى أبهى إله عبد في الأرض عند الله تعالى والمقل أعز موجود خلق على وجه الأرض . الحالة الثالثة أن يكون الحروب سجالات بين الجندين فخارة له اليد عليها وثارة لها عليه وهذا من المجاهدين يد مثلاً لمن الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق إليه أيضاً ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه : فانه إما أن يطلب جميع الشهوات أو لا يطلب شيئاً منها أو يطلب بعضها دون بعض وتزليل قوله تعالى - خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً - على من هجر عن بعض الشهوات دون بعض أولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالأضام بل هم أضل سبيلاً إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطاه فهو الناقص حقاً للدير يقينا وذلك قيل :

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كتنقص القادرين على التحمل

وينقسم الصبر أيضاً باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بمجهود وتعب شديد ويسمى ذلك صبراً وإلى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحمل على النفس ونحس ذلك باسم الصبر وإذا دامت التقوى وقوى التصديق بما في المآقية من الحسن تيسر الصبر وذلك قال تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسن فستيسره لليسر - ومثلاً هذه القسمة قدرة للصارع على غيره فان نزل الرجل القوى يقدر على أن يصبر على الضيف بأدنى حيلة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعة إعياء ولا لثوب ولا يضطرب فيه نفسه ولا ينهر ولا يقوى على أن يصبر على الشدائد إلا بالتعب ومزيد جهد وعرق جبين فكذلك تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود اللائكة وجنود الشياطين ومهما أذعنت الشهوات واضمعت وتسلطت باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول اللواظبة أورد ذلك مقام الرضا مكسياً في كتاب الرضا فالرضا أعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خبر كثير (١) » وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات : أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين . وثانيها الرضا بالقدر وهذه درجة الزاهدين . وثالثها المحبة لما يصنع بملأه وهذه درجة الصديقين وسينين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على الصائب والبلايا . واعلم أن الصبر أيضاً ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض وتلق ومكره ومحرم . فالصبر عن المخطورات فرض وعلى الكارهة نقل والصبر على الأذى المخطور محظور . كمن تقطع يده أو يده وده وهو صبر عليها كما لو كان يقصد حرقه بشهوة محظورة فترجحه غيره فبصر عن إظهار التبرية ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم والصبر للكره هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليسكن الشرع محكم الصبر فكون الصبر نصف الإيمان لا ينبغي أن يغفل إليك أن جميع محمود بل المراد به أنواع من الصبر خصوصاً :

(بيان مظان الحاجة إلى الصبر وأن البعد لا يستثنى عنه في حال من الأحوال)

اعلم أن جميع ما يلحق البعد في هذه الحياة لا يغلو من نوعين : أحدهما هو الذي يوافق هواه .

(١) حديث أغيد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خبر كثير الترمذي من

حديث ابن عباس وقد تقدم .

نزول متابعته والتي عليه السلام ما استماد من وجود الهوى ولكن استماد من متابعته فقال « أعوذ بك من هوى متبع » ولم يستمد من وجود الشغ فانه طبيعة النفس ولكن استماد من طاعته فقال وودع مطاع « ودع لقي متبعة الهوى تقيين على قدر صفاء القلب وعلو الحال فقد يكون متبعاً للهوى باستملاء محالة الخلق ومكالتهم أو النظر إليهم وقد يقع الهوى بتجاوز الاعتدال في النوم والأكل وغير ذلك من أقسام الهوى للتعبد وهذا دخل من ليس له دخل إلا في الدنيا

والأمر هو الذي لا يوافق به بركه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو إذن لا يستغنى قط عن الصبر . النوع الأول : ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والئال والجاه وكثرة العشرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا وما أوحى البعد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاشتغال والركون إليها والانهماك في ملاذها للباحة منها أخرجه ذلك إلى البطر والطفيلان فإن الإنسان لطيفي أن رآه استغنى حق قال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه للؤمن والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق . وقال سهل : الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضى الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبنا وإبتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله - وقال عز وجل - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - وقال صلى الله عليه وسلم « الولد مبخة مبخنة عزنة (١) » . ولما نظر عليه السلام إلى ولده الحسن رضى الله عنه يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - إني لما رأيت ابني يتعثر لم أملك نفسي أن أخذه (٢) » ففي ذلك عبرة لأولي الألباب فإن لكل رجل من الرجال صبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويعمل أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يبرسل نفسه في الفرج بها ولا ينهمك في التمتع واللذة واللهو واللغو وأن يرعى حقوق الله في ماله بالاتفاق وفي بدنه ينزل للمونة للخلق وفي لسانه يبذل الصدق وكذلك في سائر ما أتم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدره ومن الصصة أن لا تشدر والصبر على الحجامة والتصد إذا نولاه غيرك أيسر من الصبر على صدك نفسك وحجامتك نفسك والجامع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء . النوع الثاني ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار البعد كالأطاعات والمعاصي أو لا يرتبط باختياره كالصالح والتوابع أو لا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام : القسم الأول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وما ضربان . الضرب الأول : الطاعة والبعد يحتاج إلى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهره فرعون من قوله - أنا ربكم الأعلى - ولكن فرعون وجده مجالا وقولا فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه وما من أحد إلا وهو يدعى ذلك مع عبدهم وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وإن كان مجتمعا من إظهاره فإن استعاضته وغيبته عند تصغيرهم في خدمته واستبداده ذلك ليس جبر إلا عن إضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فاذن العبودية هامة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالأصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببها جميعا كالصبر والجهد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج للطبع إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال : الأولى قبل للطاعة وذلك في تصحيح التيقن والاحلاس والصبر عن شوائب الرياء

ثم يسلى البعد قبل الصبر أربع ركعات فإن أسكنه تعجيد الوضوء لكل فريضة كان أكمل وأتم ولو اغتسل كان أفضل فكل ذلك له أثر ظاهر في تنوير الباطن وتكثير الصلاة وقربا في الأربع قبل الصبر إذا زلزلت والعبادات والقارعة والماسك ويسلى العصر ويصل من قراءته في بعض الأيام والساعات البروج وصحت أن قراءة سورة البروج في صلاة العصر أمان من الدماميل ويقرأ بعد العصر ما ذكرنا من الآيات والادعاء ما يتيسر له من ذلك فإذا صلى

(١) حديث الولد مبخة مبخنة عزنة أبو جلي الوصل من حديث أبي سعيد وتقدم (٢) حديث لما نظر إلى ابنه الحسن يتعثر في قميصه نزل عن المنبر الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذي حسن غريب .

ودواعي الآفات وعقد الزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عندما يصرّف حقيقة البلية والاخلاص وآفات الرياء ومكاييد النفس ، وقد نه عليه صلوات الله عليه إذ قال « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » (١) وقال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل ، فقال تعالى - إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات -

الحالة الثانية : حالة العمل كي لا يخل عن الله في أثناء عمله ولا يشكامل عن تحقيق آدابه ومنه ويودوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلزم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ ، وهذا أيضا من شدائد الصبر ولله اللراء بقوله تعالى - لم أجر العاملين الذين صبروا - أي صبروا إلى تمام العمل . الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن إفساده والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بين الحب وعن كل ما يطل عمله ويحبط أثره كما قال تعالى - ولا تبطلوا أعمالكم - وكما قال تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم باللغو والأذى - فمن لم يصبر بعد الصدقة عن اللغو والأذى فقد أبطل عمله . والطاعات تقسم إلى فرض وقيل وهو يحتاج إلى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في قوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى - فالعدل هو القرض ، والإحسان هو النفل ، وإيتاء ذي القربى هو الروضة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج إلى صبر . الضرب الثاني للعاصي لما أوجح العيد إلى الصبر عنها ، وقد جمع الله تعالى أنواع للعاصي في قوله تعالى - وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقال صلى الله عليه وسلم « للهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه » (٢) وللعاصي مقتضى باعث الهوى . وأشد أنواع الصبر عن للعاصي الصبر عن للعاصي التي صارت مأوفة بالسادة فإن المادة طيبة خامسة إذا انضافت المادة إلى الشهوة تظاهر جندنا من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ، ثم إن كان ذلك الفعل مما يتيسر فيه كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من النية والكذب ولئراء والثناء على النفس تعرضا وتصرفها . وأنواع الزبح للؤدى للقاب وضروب الكلمات التي يقصدها الأزرار والاستقرار وذكر اللوق والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فإن ذلك في ظاهره غية وفي باطنه تناء على النفس فلتنفس فيه شهوات : إحداها نفى الخير والأخرى إثبات نفسه وبها تم له الربوية التي هي في طبعه ، وهى ضد ما أمر به من البيودية ولا اجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معنادا في المحاورات يصبر الصبر عنها ، وهى أكبر للوبيقات حتى يطل استنكارها واستيقاها من القاب لكثرة تكريرها وعموم الأتس بها قرى الانسان بلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ماورد في الخبر « من أن التية أهد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه الزلة والاعتراف » (٣) فلا ينجيه غيره فالصبر على الاعتراف أهون من الصبر على السكوت مع المحافظة وتختلف هذه الصبر في آحاد للعاصي باختلاف داعية تلك البصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الحواطر باختلاج الوسواس فلا جرم يبق

الصبر يذهب وقت
التفعل بالصلاة وبق
وقت الأذكار والتلاوة
وأفضل من ذلك
مجالسة من يزهده
في الدنيا ويسدد
كلامه عرا التقوى
من العلماء الزاهدين
للتكلمين بما يقوى
عزائم للؤدين فإذا
صحت لية القائل
والسمع فهذه المجالسة
أنضل من الافراد
وللداومة على الأذكار
وإن صعبت هذه
المجالسة وتصرفت
فليتروح بالتفعل في
أنواع الأذكار وإن
كان خروجه لمواجهه
وأمر معاشه في هذا
الوقت يكون أفضل
وأولى من خروجه

(١) حديث إنما الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث للهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه ابن ماجه بالشرط الأوكد والنسائي في الكبرى بالشرط الثاني كلاهما من حديث فضالة بن عبيد بإسنادين جيدين وقد تقدم (٣) حديث إن التية أشد من الزنا تقدم في آفات اللسان .

حديث النفس في العزة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً إلا بأن يغلب على القلب ثم آخر في الدين يستفرقه
 كن أصبح وهو مغموم ثم واحد وإلا فإن لم يستعمل الفسك في شيء معين لم يتصور فنور الوجود
 عنه . القسم الثاني ما لا يرتبط بهجومه باختياره وله اختيار في دفعه كالأذى بفعل أو قول وجنى
 عليه في نفسه أو ماله ، فالصبر على ذلك يترك للكفاة تارة يكون واجباً وتارة يكون فضيلة . قال
 بعض الصحابة رضوان الله عليهم : ما كنا نعد إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأذى ، وقال
 تعالى : « ولصبرن على ما أوتيناهن وعلى الله فليتوكلن » وقسم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مرة مالا ، فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه تسعة ما أريد بها وجه الله فأخبر
 به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر
 من هذا نصبر ^(١) ، وقال تعالى : « ودع أذاهم وتوكل على الله » وقال تعالى : « واصبر على ما يقولون
 ولا يضرهم هجراً جليلاً » وقال تعالى : « ولقد علم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد
 ربك » الآية وقال تعالى : « ولتسمن من الذين أوتوا الكتاب من قبلك ومن الذين أشركوا
 أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » أى تصبروا عن الكفاة ولذلك مدح
 الله تعالى الصابين عن حقوقهم في القصص وغيره فقال تعالى : « وإن طابتم لبقاؤكم فبما عاقبتكم
 به ولئن صبرتم لهو خير للصابين » وقال صلى الله عليه وسلم « صل من قطعك وأعط من حرمك
 وأعط من ظلمك ^(٢) » ورأيت في الأجيل قال عيسى ابن مريم عليه السلام قد قيل لكم من
 قبل إن السن بالنسب والألق بالألق وأنا أقول لكم لا تخافوا الشر بالشر بل من ضرب خديك
 الأيمن فحول إليه الخد الأيسر ومن أحد رءاسك فاعطه إزارك ومن سخر لك سير معه ميلاً فسير
 معه ميلاً وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى ، فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه
 يتناول فيه باعث الدين و باعث الشهوة والنضب جميعاً . القسم الثالث : ما يدخل تحت حصر
 الاختيار أوله وآخره كالصائب مثل موت الأزعة و هلاك الأموال و زوال الصحة بالمرض وعنى الصبر
 وفساد الأعضاء وبالجملة سائر أنواع البلاد فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر . قال ابن عباس
 رضى الله عنهما : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء فرائض الله تعالى لله ثلثة درجات
 وصبر عن محارم الله تعالى لله ثلثة درجات وصبر على الصيبة عند الصدمة الأولى لله ثلثة درجات
 وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهى من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على
 الصبر عن المحارم . فأما الصبر على بلاه الله تعالى فلا يقدّر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فإن ذلك
 شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أسألكم من اليقين ما نهون على به صائب الدنيا ^(٣) »
 فهذا صبر مستند حسن اليقين . وقال أبو سليمان « والله ما نصبر على ما نهى فكيك نصبر على ما نكره
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبة فبذنه أو ماله
 أو أولاده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحسنت منه يوم القيامة أن أنصب مني أنا وأشره لديوانا ^(٤) »

في أول النهار ولا
 يخرج من المنزل إلا
 وهو على الوضوء .
 وكره جمع من العلماء
 تحية الطهارة بعد
 صلاة العصر وإجازة
 للشايخ والصالحون
 ويقول كما خرج من
 منزله بسم الله ما شاء
 الله حبس الله لاقوة
 إلا بالله ، اللهم
 إليك خرجت وأنت
 أخرجني ، وليقرأ
 القاضية والموذنين ولا
 يدع أن يصدق كل
 يوم بما يتيسر له ولو
 تمر أو لمة فإن
 القليل يضمن النية
 كثير . وروى أن
 عائشة رضى الله
 عنها أعطت السائل

(١) حديث قسمه مرة مالا وقول بعض الأعراب هذه تسعة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق
 عليه من . حديث ابن مسعود وقد تقدم (٢) حديث صل من قطعك الحديث تقدم (٣) حديث
 أسألكم من اليقين ما نهون به على مصائب الدنيا الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث ابن عمر
 وحسنه الترمذي وقد تقدم في الدعوات (٤) حديث قال الله إذا وجهت إلى عبد من عبيدى
 مصيبة فبذنه أو ماله أو أولاده ثم استقبل ذلك بصبر جميل الحديث ابن عدى من حديث أنس
 بسند ضعيف .

وقال صلى الله عليه وسلم « انتظار الفرج بالصبر عبادة ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مؤمن أصيب بخصية فقال كما أمر الله تعالى - إنا فؤادنا إليه راجعون - اللهم أفرجني في مصيبي وأعطيني خيرا منها إلا فعل الله به ذلك ^(٢) » وقال أنس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل قال يا جبريل ماجزاه من سلبت كرمته قال سبحانه لا أعلم لنا إلا ما علمتنا قال تعالى جزاؤه المخلود في داري والنظر إلى وجهي ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبدي بيلاء فصر ولم يشكني إلى عواده أبدته لما خيرا من حله ودعا خيرا من دمه فإذا أبرأته ما أبرأته ولا ذنب له وإن توفيته فإني رحي ^(٤) » وقال داود عليه السلام : يارب ماجزاه المزين الذي يصبر على الصاب ابتداء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان فلا أزعه عنه أبدا. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خطبته ما أكرم الله على عبد لمة فأنزعها منه وعوضه منها الصبر إلا كان ما عوضه منها أفضل مما أنزع منه وقرا - إنما يوفى الصابون أجراهم بشير حساب خوشل فضيل عن الصبر قال هو الرضا بقضاء الله ، قيل وكيف ذلك ؟ قال الرضا لا تشق فوق منزلته ؛ وقيل حبس الشئيل رحمه الله في السارستان فدخل عليه جماعة فقال من أتم قالوا أحياءك جاءوك وأزرين فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهرون فقال لو كنتم أحيائي لصبرتم على بلائي ، وكان بعض المرافقين في جيرة يرميها كل ساعة ويطلبها وكان فيها - وأصبر لحكم ربك فانك ؟ يفتنا - وقال إن امرأتك ألقت اللو على عرتك فاقطع ظفرها فضعكت فقيل لها أما تجدن الوجع قالت إن لمة توابه أزاله عن قلبي مرارة وجهه وقال داود لسلطان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم يدل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات ؛ وقال تينبا صلى الله عليه وسلم « من أجل الله ومعرفة نفسه أن لا تشكو وجهك ولا تذكر مصيبتك ^(٥) » وروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوما في كربة صرة فافتقدتها فإذا هي قد أخذت من كره قال برك الله له فيها له أحوج إليها منى وروى عن بعضهم أنه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتل وبه رمق قتلته أسفك ما قال فقال جرتي قليلا إلى العدو واجعل للئام في الترس فإني صائم فان عشت إلى الليل شربته فبكدا كان صبر السالك طريق

(١) حديث انتظار الفرج بالصبر عبادة القضاعي في مسند الشهاب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة من حديث علي بن دؤن قوله بالصبر وكذلك رواه أبو سعيد الخدري في مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة ولقد مر من حديث ابن مسعود أفضل العبادة انتظار الفرج وتهدم في المنوعات (٢) حديث مامن عبد أصيب بخصية فقال كما أمره الله - إنا لله وإنا إليه راجعون - الحديث مسلم من حديث أم سلمة (٣) حديث أنس بن مالك قال قال جبريل ماجزاه من سلبت كرمته الحديث الطبراني في الأوسط من رواية أبي ظلال القسطل وأحمد معلقا أحسنه عن أنس ورواه البخاري بلفظ إن الله عز وجل قال إذا ابتليت عبدي بخصيئة فصر وعوضته منها الجنة رواه ابن عدي وأبو يوسلف إذا أخذت كرمتي عبدي لم أرض له ثوبا دون الجنة قلت يا رسول الله وإن كانت واحدة قال وإن كانت واحدة وفيه سعيد بن سالم قال ابن عدي ضعيف (٤) حديث يقول الله إذا ابتليت عبدي بيلاء فصر ولم يشكني إلى عواده أبدته لما خيرا من حله الحديث مائة في اللوطا من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد انتهى وعباد بن كثير ضعيف ورواه البيهقي موقوفا على أبي هريرة (٥) حديث من أجل الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجهك ولا تذكر مصيبتك لم أجده مرفوفا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في الرض والكفارات من رواية غفان عن بعض الفقهاء قال من الصبر أن لا تحدث بخصيتك ولا بوجهك ولا تركي نفسك .

عبدة واحدة وذلك إن فيها ثلثا قيل ذر كثير . وجاء في الخبر « كل امرئ يوم القيامة تحت ظل صدقته » ويكون من ذكره من الصبر إلى اللرب مائة مرة إلا أنه وحده لا شريك له في ذلك وله الحمد وهو على كل شيء قدير قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عند الله عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة وحيث عنه مائة سيئة وكانت له حزا من الشيطان يومه ذلك حتى يسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به

الأخرة على يلاء الله تعالى . لأن قالت فإذا تمال درجة الصبر في الصائب وليس الأمر إلى اختياره فهو مضطر شاء أم أبى فإن كان المراد به أن لا تكون في نفسه كراهية للصبيّة فذلك غير داخل في الاختيار . فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الحدود والبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير المائدة في اللبس وللقرش ولطم هذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يحتجب جميعا ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد أن ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روى عن الرميضاء أم سليم رحمها الله أنها قالت توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة فتابت قممت فسجنته في ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقامت فبكت له إظهاره لجل بأكل فقال كيف الصبي قلت بأحسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة ثم قصت له أحسن ما كنت أصنع له قبل ذلك حتى أصاب مني حلبة ثم قلت ألا تصب من جيراننا قال ما لم قلت أعيروا طارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بشي ما صنعوا قلت هذا ابنك كان طارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه فحمد الله وأسترجع ثم خذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال اللهم بارك لهما في لياهما ^(١) قال الراوي فلقد رأيت لهم بهذا في السجدة صبيحة كلهم قد قروا القرآن ، وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيته دخلت الجنة فإذا أنا بالرميضاء امرأة أبي طلحة ، وقد قبل الصبر الجليل هو أن لا يعرف صاحب الصبيّة من غيره ولا يخرج من عند الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالسمع إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل اللوت سواء ولأن البكاء توجع القلب على الميت فإن ذلك مقتضى البشرية ولا يخاف الإنسان إلى اللوت ولذلك لما مات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم فاشت عيناه فقيل له « أما نهيتنا عن هذا فقال إن هذه حقوقي أعياير رحم الله من عباده الرحماء » بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالقدم على الحجاب ما لو التصدرض به وهو متالم بسببه لاهلها وقد قبض عيناه إذا عظم الله وسأى ذلك في كتاب الرضا إن شاء الله تعالى ، وكتب ابن أبي نجيب يرمي بعض الخلفاء إن أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما آياه . واعلم أن الساضي قبله هو الباقي والباقي بدلك هو للأجور فيك . واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما ينافون منه فاذن مهمادف الكراهة بالتفكير في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين ، ثم من كمال الصبر كتمان الرضا والفرق وسائر الصائب ، وقد قيل من كنوز البر كتمان للصائب والأوجام والصدقة قد ظهر لك بهذه التفتيات أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأفعال فأن الذي كتم الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغنى عن الصبر على العزلة والافراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاخ الحواطر لا يسكن وأكثر جولان الحواطر إنما يكون في فائت لا تدرك له وفي مستقبل لا بد وأن يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان ضئيف زمان وآلة العبد قلبه وضاعته عمره فإذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستعيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستعيد به معرفة بالله تعالى يستعيد بالمعرفة بحجة الله تعالى فهو مغبون هنا إن كان فكره ووساوسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتذكر في وجوه الحيل قضاء الشهوات إذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم أنه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أمارة له منه بل يتدبرها لئلا يخلص الناس في حبه حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يفكر في كيفية زجرهم وكيفية تهمهم ووجوبهم بحمايتهم له

(١) حديث الرميضاء أم سليم توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة فتابت قممت فسجنته في ناحية البيت الحديث طب ومن طريقه أبو نعيم في الحلية والقصة في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف .

إلا أحد حمل أكثر من ذلك ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين قد ورد أن من قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين لم يصل أحد في يومه أفضل من عمله ويقول مائة مرة سبحان الله والحمد لله مرة مائة مرة سبحان الله ومحمد سبحان الله العظيم ومحمد استغفر الله ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين ومائة مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما تضرع استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو المحي القيوم وأسأله التوبة ومائة

في محالته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جندان جنديطير وجنديسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صصال كالفضار والفضار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة فلا يتصور نار مشتتة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبيعتها وقد كلف اللعنون الخالق من النار أن يطمئن عن حر كنهه ساجدا لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستصصى وعبر عن سبب استصصائه بأن قال - خلقتني من نار وخلقته من طين - فأذن حيث لم يسجد للعنون لأعينا آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا ينبغي أن يطمع في سجوده لأولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه قد أظهر اهتداده وإذعانه وإقباته بالأذعان سجود منه فهو روح السجود وإعما وضع الجبهة على الأرض قلبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح ولوجعل وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما أن الابتطاح بين يدي العظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقصر القلب عن القلب فتكون عن يده عالم الشهادة بالسكينة عن عالم القلب وتحقق أن الشيطان من النظيرين فلا يتواضع لك بالكشف عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصحبه وهو مكرم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجذب اللعنون بجلا فبك فصد ذلك تكون من عباد الله الخاصين الداخلين في الاستثناء من سلطنة هذا المعين ولا تظن أنه غلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القصد فأنك إن أردت أن غلو القصد عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو ينيره قد طمعت في غير مطعم بل بقدر ما غلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب للشغول يشكرهم في الدين لا يغلو عن جولان الشيطان وإلا فمن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان ولذلك قال تعالى - ومن يش عن ذكر الرحمن فيض له شيطاناً فهو له قرين - وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يفيض الشاب الفارغ» (١) وهذا لأن الشاب إذا طمعت عن عمل يشغل باطنه يباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يشغله فيه الشيطان ويبيض ويغري ثم تزوج أفراده أيضا وتبيض مرة أخرى وتخرج وهكذا يتوالى نسل الشيطان تولدا أسرع من تولد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار وإذا وجد الحلقاء اليابسة كثرت تولده فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسري شيئا فشيئا على الاتصال بالشفوة في نفس الشاب للشيطان كالحلقاء اليابسة للنار وكما لا تبتق النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبق للشيطان مجال إذا لم تكن شهوة فأذن إذا تأملت علمت أن أعدى عدوك هو توكه وهي ممة تصك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان صلب وقد سئل عن التصوف ما هو فقال هي نفسك إن لم تشغلها فشغلت فأذن حقيقة الصبر وكأله الصبر عن كل حركة بخومة وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه إلا الموت نسأل الله حسن التوفيق بمه وكراهه .

(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)

اعلم أن الذي أزل الداء أزل الدواء ووعد الشفاء بالصبر وإن كان شاقا أو عنتا فخصه يمكن عمون العلم والعمل فالعلم والعمل هما الأخلاط التي منها تتركب الأدوية لأبراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض إلى علم آخر وعمل آخر وكما أن أقسام الصبر مختلفة فأقسام الملل المانة منه مختلفة وإذا اختلفت الملل اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة العلة وقبها واستيفاء ذلك بمطاول

(١) حديث إن الله يفيض الشاب الفارغ لم أجده .

مرة ما شاء الله لا قوة إلا بالله ورأيت بعض الفقهاء من القرب بمكة وله سبعة فيها ألف حبة في كبس له ذكر أن ورده أن يدبرها كل يوم اثني عشرة مرة بأنواع الذكر . ونقل عن بعض الصحابة أن ذلك كان ورده بين اليوم واليلة ونقل عن بعض التابعين كان ورده من التسبيح ثلاثين ألفا بين اليوم واليلة وليل مائة مرة بين اليوم واليلة هذا التسبيح سبحان الله العلي الدين سبحان الله شديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ومأى بالناهار

ولكننا نعرف الطريق في بعض الأمثلة - فقول إذا افتقر إلى الصبر عن شهوة الواقع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس يملك معها فرجة أو يملك فرجة ولكن ليس يملك عينه أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه إذ لا تزال تحذره بمقتضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن الواظبة على الذكر والفكر والأعمال الصالحة - فنقول قد قدمنا أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين أردنا أن يذلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا تقوية من أردنا أن يكون البايد العليا وتضعيف الآخر فإزمنة ههنا تقوية باعث الدين أو تضعيف باعث الشهوة فأماباعث الشهوة فسيذل تضعيفه ثلاث أمور : أحدها أن ننظر إلى مادة قوتها وهي الأغذية الطيبة المحرمة كاللشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم ^(١) والدين مع الاقتصاد عند الإفطار على طعام قليل في نفسه ضئيف في جنسه فيحترز عن اللحم والأطعمة الهيجة للشهوة - الثاني قطع أسباب الهيجة في الحال فإنه لا يهيج بالنظر إلى هطان الشهوة إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالمرقة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور للشهوات والقرار منها بالكفاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسموم من سهام إبليس ^(٢) » وهو سهم يسدده للعلو ولا ترس يمنع منه إلا تمضيض الأجناف أو الحرب من صوب رمية فانه إن لم يهرب من هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلب عن صوب الصور لم يسبك سهمه - الثالث تسلية النفس بالباح من الجنس الذي تشبهه وذلك بالكبح فان كل ما يشبهه الطبع في الباحيات من جنسه ما ينشأ عن المحظورات منه وهذا هو العلاج الأقم في حق الأكثر فان قطع الغذاء يفض عن سائر الأعمال ثم قد لا يسمع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فليصوم فان الصوم له وجاء ^(٣) » فهذه ثلاثة أسباب للعلاج الأول وهو قطع الطعام ضاهي قطع الملق عن الهيجة الجوع وعن الكلب الضاري ليضعف فسقط قوته - الثاني ضاهي تقييد ^(٤) اللحم عن الكلب وتضييق الشعر عن البهيمه حتى لا يتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها - والثالث ضاهي تسليتها بشئ قليل بما يعمل إليه طبعها حتى يبق معها من القوة ما يصبر به على التأديب - أو أماقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين أحدهما إسطامه في فوائد المجاهدة ونعماتها في الدين والدنيا وذلك بأن يكثر فكره في الأخبار التي أوردناها في فصل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الأثر : إن ثواب الصبر على الصلوة أكثر بمئات وإنه بسبب ذلك مقبوض بالمصيبة إذ فاته ما لا يبق معه إلا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبدا الدهر ومن أسلم خسيما في قيس فلا يشقى أن يحزن لقوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان قارة يضيغ وتارة يقوى فان قوى قوى باعث الدين وهيجته تهيجا شديدا وإن ضيف ضغفه وإمقاوة الإيمان يجبر عنها باليقين وهو المحرك لزعزعة الصبر وأقل ما ألون الناس القين وعزيمة الصبر والثاني أن يهود هذا الباعث بمصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة النظر بها فيستجري عليها وتقوى منه في مصارعها فإن الاعتناء والممارسة للأعمال الشاقفة تدقق في أدق القوى التي تصدر منها تلك الأعمال ولذلك تزيد قوة الخائفين والفلاحين وللقاطنين وبالجملة فتدقق للمارسين للأعمال الشاقة تزيد في قوة الخائطين والمطاردين والتقهاء والصالحين وذلك لأن قوامهم متأكد بالممارسة فالعلاج الأول ضاهي أطعمه للصارع بالخلقة عند الغلبة ووعده بأنواع العكرامة كما وعد فرعون سحرته عند إغرائه بإمام موسى حيث قال - وإنكم إذا لن للقرين - والثاني ضاهي تمويد الصبر

سبحان من لا يشغله شأن عن شأن - سبحان الله الحنان للذنان - سبحان الله السميع في كل مكان - روى أن بعض الأبدال بات على شاطئ البحر فسمع في هذه الليل هذا التمسيح فقال من الذي أسمع صوته ولا أرى شخصه فقال أنا ملك من الملكة موكل بهذا البحر أسمع الله تعالى بهذا التمسيح منذ خلقت فقلت ما سمعك فقال مهلبها اسئل فقلت ما ثواب هذا التمسيح قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة ^(٥) روى له - وروى أن عثمان رضي

(١) حديث النظره سهم مسموم من سهام إبليس تقدم غير مرة (٢) حديث عليكم بالباءة لمن لم يستطع فليصوم الحديث تقدم في النكاح .

الذي يراد منه الصارعة وماتة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأتي موته يستجري عليه وتؤتى فيه منته فمن ترك السكينة المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهادة وإن منفت ومن عود نفسه غائلة الهوى عليها مهما أراد فهذا منهج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفائه وإنما أشدها كلف الباطن عن حديث النفس وإنما يشتد ذلك على من نغره له بأن وقع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فإن الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب إلى جانب وهذا لا علاج له البتة إلا قطع الملائق كلها ظاهرا وباطنا بالقرار عن الأهل والولد واللذات والجاه والرفقاء والأصدقاء ثم الاعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوة وبعد التنازع بشم كل ذلك لا يكتفي ما لم تصر المهوم ها واحدا وهو الله تعالى ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكتفي بذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير الباطن في ملكوت السموات والأرض وهما ثبوت صانع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك بجاذبة الشيطان ووسوسه وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينسجه إلا الأوراد المتواصلة للتربية في كل لحظة من القراءة والأذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور فإن الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الأوقات إلا بضها إذ لا يخلو في جميع أوقاته عن حوادث تتجدد تنفضه عن الفكر والذكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان وطغيان من مخالط إذ لا يستغنى عن مخالطة من يمينه في بعض أسباب العبثة فهذا أحد الأنواع الشاغلة. وأما النوع الثاني فهو ضروري أشد ضرورة من الأول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب الشهوة فإن تهيئة ذلك أيضا تخرج إلى عقل إن تولاه بنفسه وإن تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب عن يتولاه ولكن بعد قطع الملائق كلها يسلم له أكثر الأوقات إن لم يهجم ممددة أو واقعة في تلك الأوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والأرض ما لا يقدر على عشر عشرة في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالملائق والالتفات إلى هذا هو أقصى التمامات التي يمكن أن تنال بالاكتساب والمجاهدة فأما مقادير ما ينكشف وبالمع ما يرد من لطف الله تعالى في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقديرا قليلا الجهد ومجمل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ للمولود ورا هذا الاجتهاد على جذبته من جذبات الرحمن قائم اتوازي أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار البعد، فيم اختيار البعد أن يتعرض لتلك الجاذبة بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المجدوب إلى أسفل سافلين لا يجذب إلى أعلى عليين وكل مسموم بالدنيا فيومنجذب إليها فقطع الملائق الجاذبة هو الراد بوجهه عليه السلام « إن لم يكن في أيام دهركم ضحكات لا تضرشوا لها » وذلك لأن تلك التفرجات والجذبات لها أسباب مجاورة إذ قال الله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وهذا من أعلى الأنواع الرزق والأمور السالوة فائبة عنا فلا ندري متى يسر الله تعالى أسباب الرزق فما علينا إلا تفرغ الحمل والانتظار لزول الرحمة وبوغي الكتاب أجله كالذي يصلح الأرض وينتهي من الحشيش ويبت البئر فيها وكل ذلك لا ينفعه إلا مطر ولا يدري متى يغدر الله أسباب المطر إلا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته أنه على سنة من مطر فكذا قلبنا غناؤه وشهره ويوم من جذبته من الجذبات ونفحة من التفرجات فينبغي أن يكون البعد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وينزف به بذر الإرادة والإخلاص وعرضه لمهاج الرياح الرحمة كما يتوى انتظار الأمطار في أوقات الريح وعند ظهور القيم فيقوى انتظار تلك التفرجات في الأوقات الشريفة وعند اجتماع المهم وتساعد القلوب كاليوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فان المهم والأحاسب أسباب حكم تهيئة الله تعالى لاستدراجه رحمة حتى

الله عنه سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عن تفسير قوله تعالى
- له مقادير السموات
والأرض - فقال سألتني
عن شيء عظيم سألتني
غيره هو إلا الله
والله أكبر وسبحان الله
والحمد لله ولا حول
ولا قوة إلا بالله عز وجل
وأستغفر الله الأول
الأخر الظاهر الباطن
له الملك وله الحمد لله
الحير وهو على كل شيء
قدير من قلها عشرا
حين يصيح وحسين
عيسى أعطيت خصال
فأول خصلة أن يهرس
من إبليس وجنوده
الثانية أن يعطى قطارا
من الأجر الثالثة يرفع
له درجة في الجنة

تستدر بها الأمطار في أوقات الاستسقاء وهي لاستندار أمطار الكاشفة لطوائف المعارف من خزائن
 للكوثر أشد مناسبة منها لاستندار قطرات الماء واستعجار التيوم من أقطار الجبال والبحار بل
 الأحوال والكاشفات حاضرة معك في قلبك وإنما أنت مشغول عنها بملاتك وشهواتك فصار ذلك
 حجاباً بينك وبينها فلا تحتاج إلا إلى أن تترك الشهوة وترفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من
 باطن القلب واضمار ماء الأرض بحفر القنأ أسهل وأقرب من استرسال إليها من مكان بعيد منخفض عنها
 ولكونه حاضراً في القلب ومنياً بالشفل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الأعيان تذكرة فقال تعالى
 - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - وقال تعالى - ولتذكر أولوا الألباب وقال تعالى - ولقد
 يسرنا القرآن لذكر فهل من مدكر - فنهاه عن علاج الصبر عن الوسواس والشواغل وهو آخر درجات
 الصبر وإنما الصبر عن الملائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر - قال الجنيد رحمه الله السير من الدنيا
 إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد والسير من النفس إلى الله تعالى صعب
 شديد والصبر مع الله أشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق وأعد الملائق
 على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فإن الله الرأفة والعلية والاستعلاء والاستيعاب أغلب الذات في
 الدنيا على قوس القلاء وكيف لا تكون أغلب الذات ومطلوبها من صفات الله تعالى وهي الروبوية
 والروبوية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لأمر الروبوية وعنه البصيرة بقوله تعالى
 - قل الروح من أمر ربي - وليس القلب مذموماً على حد ذلك وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب
 تقرير الشيطان للعين للبعد عن عالم الأمر إذ حسده على كون من عالم الأمر فاضله وأغواه وكيف يكون
 مذموماً عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب الإبقاء لافاء فيه عزاً لادل فهو أماناً لا خوف فيه
 وغنى لا فقر فيه ولا كالا نقصان فيه وهذه كلها من أوصاف الروبوية وليس مذموماً على طلب ذلك بل
 حق كل عبد أن يطلب ملكاً عظيماً آخره وطلب الملك طالب العلو والمز والكامل بالحق والمحال ولكن الملك
 ملكان ملك مشوب بأنواع الآلام ويحرق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك عذله
 دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الإنسان مجبوراً راضياً بالمعالجة فجاء
 الشيطان ونوسل إليه بواسطة العجلة التي طبعه فاستغوا بالمعالجة وزين له الحاضرة وتوسل إليه بواسطة
 الحق فوعده بالفرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال **عليه السلام** «والأحق من أن يبيع نفسه
 هواها وتعي على الله الأمان» فأنزع المحدثول يترور واستغل بطبع الدنيا وملكها على قدر إمكانه ولم
 يتدل الموقف يحيل غروره إذ علم مداخل مكره فأعرض عن المعالجة فصر عن المحدثولين بقوله تعالى - كلا
 بل يحبون العاجلة ويتفرون الآخرة - وقال تعالى - إن هؤلاء يحبون العاجلة وينفرون إبراهيم يوما
 قليلاً - وقال تعالى - فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم -
 ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق أرسل الله الملائكة إلى الرسل وأوحوا إليهم ما تم على الخلق
 من إهلاك العدو وإغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا أصل
 له إن سلم ولا دوام له أصلاً فادوا فيهم - يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل
 الله اثنا قلم إلى الأرض أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل -
 فاتتورة والإيمان والزيور والفرقان **وحجف موسى وإبراهيم** وكل كتاب منزل ما تزل إلا لدعوة
 الخلق إلى الملك الدائم الخالد وللإراد منهم أن يكونوا ملوكاً في الدنيا ملوكاً في الآخرة أما الملك الدائم
 فأنزه فيها والقناعة بالسير منها وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بهاء لافاء فيه وعزا
 لاذل فيه وقرعة عين أخفيت في هذا العالم لا تلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم إلى ملك
 الدنيا لطمه بأن ملك الآخرة غيوت به إذ الدنيا والآخرة ضربتان وللمه بأن الدنيا لا تسلم له أيضاً

الرأفة بوجه الله من
 الحور العين الخامسة
 اثنا عشر ملكا
 يستفرون له السادسة
 يكون له من الأجر كمن
 حج واعتمر وقول
 أيضاً في هذا الوقت وفي
 أول النهار اللهم أنت
 خالقني وأنت هادي
 وأنت تلمني وأنت
 تقيني وأنت تمني
 وأنت تحييني أنت ربي
 لا رب لي سواك ولا
 إله إلا أنت وحدك
 لا شريك لك ويقول
 ما شاء الله لا قوة إلا بالله
 ما شاء الله كل نعمة
 من الله ما شاء الله الخير
 كله بيد الله ما شاء الله
 لا يصرف السوء إلا الله
 ويقول حسبي الله لا إله
 إلا هو عليه توكلت

ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يخون عن النازعات والكدرات وطول المهوم في التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه ثم مها تسلم وتم الأسباب ينقض العمر - حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أنوارها فجندنا حسيداً كأن لم تكن بالأمس - فغضب الله تعالى لها مثلاً فقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كأن زلزاله من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيأ تذروه الرياح - والزهد في الدنيا لما أن كان ملكاً حاضراً حسده الشيطان عليه قصده عنه ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوة وغضب فيقتادان لباعث الدين وإشارة الإيعان وهذا ملك بالامتثال في ذي صبر صاحبه إجماعاً واستيلاء الشهوة عليه يصير عبداً لفرجه ويطنه ويسائر أغراضه فيكون مسخراً مثل البهجة يملكو كما يستجروهم زمام الشهوة أخذاً بعنقته إلى حيث يريد وهوى فما أعظم اغترار الإنسان إذ ظن أنه ينال للملك بأن يصير مملوكاً وينال الربوبية بأن يصير عبداً ومثل هذا هل يكون إلا معكوساً في الدنيا منكوساً في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة أقال كيف أطلب منك حاجة وملكي أعظم من ملكك فقال كيف قال من أنت عبده فهو عبدي فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك ويطنك وقد ملكك هؤلاء كلهم فهم عبدي فهذا إذن هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق إلى الملك في الآخرة فالحمد لله ووعود بفرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعاً والدين وقوا للاشتداد على الصراط المستقيم فازوالدنيا والآخرة جميعاً فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل اللطفي ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبسه يسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والأعراض عنه والصبر عند فوائته إذ تصير بتركه ملكاً في الحال وترجوه ملكاً في الآخرة فمن كوشف بهذا الأمر بعد أن ألف الجاه وأسس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكتفي في العلاج بحر العالم والكشف بل لابد وأن يشتغل إلى العمل لعمله في ثلاثة أمور : أحدها أن يهرب عن موضع الجاه كي لا يشاهد أسبابه فيفسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبة الشهوة من مشاهدة الصور المحركة ومن يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في بيعة الأرض إذ قال تعالى - ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني أن يكلف نفسه في أعماله أعمالاً مخالفة لما يعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وضل في مسكن وملبس ومطعم وقوام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي أن يبدلها بغيرها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل باعتياده ضد فلامنى المعالجة بالإضافة . الثالث أن يراعى في ذلك التلطيف والتدرج فلا يتقلد دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل فإن الطبع ثور ولا يمكن قتله عن أخلاقه إلا بالتدرج فيترك البعض ويسئ نفسه ببعض ثم إذا قمت نفسه بذلك البعض ابتداء بترك البعض من ذلك البعض إلى أن يقطع بالبقية وهكذا يفضل شيئاً فشيئاً إلى أن يجمع تلك الصفات التي رسخت فيه وإلى هذا التدرج الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا يتيسر إلى نفسك عبادة الله فان التبت لأرضاً تطاع ولا تطهرا أبقي » (١) وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « لا تشادوا هذا الدين فان من شاده بغيره » (٢) فاذن ما ذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه ما نضفه إلى ما ذكرناه من قوانين طرق الجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربيع الهلكتات فاعتنه مستورك لشرف به علاج الصبر في جميع الأنعام التي فضلناها من قبل فان تفصيل الأحاديث يطول ومن راعى التدرج ترقى إلى العمل إلى حال يشق عليه الصبر

(١) حديث إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق الحديث أحمد من حديث أنس والبيهقي من حديث جابر وتقدم في الأوراد (٢) حديث لا تشادوا هذا الدين فانه من شاده بغيره تقدم فيه .

وهو رب العرش العظيم ثم يستعد لاستقبال الليل بالوضوء والطهارة وقرأ للمسبقات قبل التسربوب ويدبم التيسيع والاستغفار بحيث تقيب الشمس وهو في التيسيع والاستغفار وقرأ أخذ الغروب أيضاً والشمس والليل وللوعدين ويستقبل الليل كما استقبل النهار قال الله تعالى - وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً - فكما أن الليل يقبب النهار والنهار يقبب الليل ينبغي أن يكون العبد بين الذكر والشكر يقبب أحدهما الآخر

وقد أنزل الله تعالى على - إن في خلق السموات والأرض - (١) الآية وهذا يدل على أن الكافرين ينبغي أن لا ينقطع أبداً وإلى هذا السر يشير ما روي أنه من بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتسحب منه فأطلقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى - وقودها الناس والحجارة - فأنا أبعث من خوفه فسأله أن يحبره من النار فأجابه ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب البعد كالحجارة أو أشد حسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعاً . وروى عنه عليه السلام أنه قال « ينادي يوم القيامة ليقم المحادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قبل ومن المحادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال (٢) وفي لفظ آخر « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمد رداء الرحمن (٣) » وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام في رضىته بالشكر مكافأة من أوليائه في كلام طويل وأوحى الله تعالى إليه أيضاً في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدم وبالنظر إلى أزيدهم ولما نزل في السكور ما نزل . قال عمر رضى الله عنه « أي اللال تتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لساناً إذا كرا قلباً شاكر (٤) » فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلاً عن اللال . وقال ابن مسعود الشكر نصف الإيمان .

(بيان حد الشكر وحقيقته)

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضاً ينظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل ، فأما العلم فهو معرفة النعمة من اللهم والحال هو التوجه الحاصل بالنامة والعمل هو القيام بما هو مقصود اللتم وعجوبة ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح واللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاطاحة بحقيقة الشكر فإن كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاطاحة بكامل معانيه . فالأصل الأول : العلم وهو علم ثلاثة أمور بين التعلل ووجه كونها نعمة في حقها وبذات اللتم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل إليه النعمة من اللتم بقصد وإرادة فهذه الأمور لا بد من معرفتها لدى حق غير الله تعالى فأما في حق الله تعالى فلا يتم إلا بأن صرف أن التتم كلها من الله وهو اللتم والوسائط لم يسفرون من جهته وهذه للرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان التقديس ثم إذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمته منقطع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والاشهاد بالفضل وعن هذا خبر

(١) حديث عطاء دخلت على عائشة فقلت لها أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت وأي أمر لم يكن هيباً الحديث في بكائه في صلاة الليل أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله عليه السلام ومن طريقه ابن الجوزي في الوفاء وفيه أبو جناب واسمه يحيى بن أبي حبة ضعه الجمهور وزواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الله بن أبي سليمان عن عطاء دون قولها وأي أمره لم يكن هيباً وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصر على آخر الحديث (٢) حديث ينادي يوم القيامة ليقم المحادون الحديث الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ أول من يدعى إلى الجنة المحادون الحديث وفيه قيس بن الربيع ضعه الجمهور (٣) حديث الحمد رداء الرحمن لم أجده أصلاً وفي الصحيح من حديث أبي هريرة السكور رداء الحديث وتقدم في العلم (٤) حديث عمر ليتخذ أحدكم لساناً إذا كرا قلباً شاكر الحديث تقدم في النكاح .

الله مبيع علم . -
 روى عن عبد الله بن
 الزبير قال قدم ولد
 على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من بني تميم
 فقال أبو بكر أمر
 القعقاع بن معبد وقال
 عمر بل أمر الأقرع
 بن حابس قال أبو بكر
 ما أردت إلا خلافي
 وقال عمر ما أردت
 خلافاً قتيلاً حتى
 ارتضت أصواتهما
 فأنازل الله تعالى أيها
 الذين آمنوا - الآية
 قال ابن عباس رضى
 الله عنهما لا تقدموا
 لا تتكلموا بين يدي
 كلامه وقال جابر كان
 ناس يضحون قبل
 رسول الله ثم هو عن
 تقديم الأصحية على

رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ذل « من قال سبحان الله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله عشره حسنة ومن قال الحمد لله ثلثون حسنة ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله ^(٢) » وقال « ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله ^(٣) » ولا تفتن أن هذه الحسنات يضاعفها الله لك من غير حصولها معها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا إله إلا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات يضاعفها هذه المعارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين . واعلم أن تمام هذه للرفقة بنى الشرك في الأفعال ، فمن أتم عليه ملك من الملوك شيء فإن رأى لو زيره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وإرساله إليه فهو إشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك ، ثم لا ينش من توحده في حق الملك وكامل شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه الذي كتبه قبله وبالكافد الذي كتبه عليه فإنه لا يفرح بالتم والكافد ولا يشكرها لأنه لا يثبت لها دخلا من حيث ما موجودان بأنفسهما بل من حيث ما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل للوصول والحازن أيضا مضطربان من جهة الملك في الإيصال وأنه لو رد الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاب وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم إليه شيئا فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الحازن للوصول كمنظره إلى التلم والكافد فلا يورث ذلك شركا في توحده من إضافة النعمة إلى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فإن الله تعالى هو السلط للادعوى عليها لتفعل شأته أم أبت كالحازن المضطرب الذي لا يجد سبيلا إلى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطرب فسلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة أن يطعك ما أعطاك وأن غرضه المقصود عنده في الحاق وللكمال لا يحصل إلا به وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا إلى تركه فهو إذن إنما يطعك لترضى نفسه لا لترضى ولو لم يكن غرضه في الطاعة لما أعطاك ولو لم يعلم أن نفسه في منفعة لما طعك فهو إذن إنما يطعك نفع نفسه بغيره فليس منمعا عليك بل أنتخذ وسيلة إلى نعمة أخرى وهو يرجوها وإنما الذي أتم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطربا إلى الإيصال إليك فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت نفسه وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه العرفة بمجرد ما شاكرا وقد لك قاله موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي خلقت آدم يديك وفعلت فكيف شكرتك فقال الله عز وجل اعلم أن كل ذلك متى فكانت معرفته شكرا فاذن لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه فان خالجت ريب في هذا لم تكن عارفا بالنعمة ولا بالتم فلا تفرح بالتم وحده بل بغيره فيقتصان معرفتك يقتص حالك في القبح ويقتصان فرحك يقتص عملك فهذه يان هذا الأصل . الأصل الثاني: الحال للنعمة من أصل العرفة وهو القبح بالتم مع هيئة الخنوع والتواضع وهو أيضا في نفسه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان يقوم ويقول لو أنزل في كذا وكذا فذكره الله ذلك وقالت عائشة رضي الله عنها أي لا تمسوا قبل أن يصوم نبيكم . وقال الكشي لا تسبقوا رسول الله بقول ولا فصل حتى يكون هو الذي يأمركم به وهكذا دأب الريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله إلا بإجاعة الشيخ وأمره وقد استوفينا ههنا المعنى في باب المشيئة وقيل لا تخدموا لآتموا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى

(١) حديث من قال سبحان الله عشر حسنات الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث أفضل الله لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليله وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر (٣) حديث ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله أجدهم فروقا وإجماعا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن إبراهيم النخعي يقال إن الحمد أكثر الكلام ضعيفا .

شكر على تجربته كما أن العرفة شكر ولكن إنما يكون شكرا إذا كان حاويا لشرطه، وشرطه أن يكون فرحك بالتمتع بالنعمة ولا بالإتيان، ولعل هذا مما يتصور عليك فهمه فضرربك متلفظون: الملك الذي يريد الخروج إلى سفر فأقيم فرس على إنسان يتصور أن يفرح التمتع عليه بالفرس من ثلاثة أوجه: أحدها أن يفرح بالفرس من حيث إنه فرس وإنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وإنه جواد نفيس وهذا فرح من لاحظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجد في صحرَاء فأخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرح. الوجه الثاني أن يفرح به لامن حيث إنه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وهففته عليه وإهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاء غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائاه عن الفرس أصلا أو استحقاقه له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك. الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه ليخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال خدمته رتبة القرب منه وربما يرتقي إلى درجة الوزارة من حيث إنه ليس يتعجب بأن يكون محله في قلب الملك أن يعطيه فرسا ويستغنى به هذا القدر من العناية بل هو طالب لأن ينعم الملك به من ماله على أحد إلا بواسطته، ثم إنه ليس يريد من الوزارة أيضا بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات، فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس بالباطني، وهذا حال كل من فرح بتمتع من حيث إنها لذيذة ومواقفة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر، والثانية داخلة في معنى الشكر من حيث إنه فرح بالتمتع ولكن لامن حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تمتعته بالإنعام في المستقبل، وهذا حال الصالحين الذين يبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وإعما الشكر التام في الفرح الثالث، وهو أن يكون فرح العبد بتمتع الله تعالى من حيث إنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى والوصول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا. وأما رتبة أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للأخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تليه عن ذكر الله تعالى وتصفه عن سبيله لأنه ليس يريد النعمة لأنها لذنية كما لم يرد صاحب الفرس القرس لأنه جواد ومهلج بل من حيث إنه يعمل في حبة الملك حتى تتدوم مشاهدته له وقربه منه، ولذلك قال الشبل رحمه الله: الشكر رؤية النعم لا رؤية النعمة. وقال الخواص رحمه الله: شكر العامة على الطعام واللبس والشرب، وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الخواص من الألوان والأصوات وخلع عن لذة القلب فإن القلب لا يتلقى حال الصفة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته وقلقه وإعما يتلذذ به. إذا مرض بسوء الماديات كما يتلذذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض الرضى الأشياء الحلوة ويستحل الأشياء المرة كما قيل:

ومن يك قائم مر مرض يجد موأبه لئلا يزال

فإن هذا شرط الفرح بتمتع الله تعالى، فإن لم تكن إبل قمري، فإن لم يكن هذا فالفرجة الثانية. أما الأولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يرد الملك القرس ومن يرد القرس الملك، وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليعمل بها إليه. الأصل الثالث: العلم بموجب الفرح الحاصل من معرفة النعم وهذا العلم يتلقى بالقلب واللسان والجوارح. أما بالقلب قصد الخير وإعما فكافة الحلق. وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتمجيدات الدالة عليه. وأما بالجوارح: فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والوفاء من

أبو الشراء قال كنت
أمشي أمام أبي بكر
فقال لي وحول الله
صلى الله عليه وسلم
تمشي أمام من هو خير
منك في الدنيا والآخرة
وقيل نزلت في أقوام
كانوا يحضرون
مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فإذا سئل الرسول
عليه السلام
عن شيء خاضوا فيه
وتحسروا بالقول
والفتوى فهو عن
ذلك وهكذا أديب
للريد في مجلس الشيخ
ينبغي أن يلزم السكوت
ولا يقول شيئا يحضره
من كلام حسن إلا
إذا استأمر الشيخ
ووجد من الشيخ
فصلح ذلك وهان

الاستعانة بها على معصيته حتى إن شكر العيّن أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل: كيف أصبحت قال: غير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة: غير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي أردت منك (١) وكان السلف يتساءلون ونيهم استخراج الشكر: هل تعالى ليكون الشاكر مطعياً وللمستطيق له به مطعياً وما كان تصدق الرّياء باظهار الشوق وكل عيب سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية فيجوز من أهل الدين وكيف لا يقبض الشكوى من ملك للولك ويده كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو للبي والقادر على إزالة البلاء وذلك البعد لولاه عز والشكوى إلى غيره ذلك وإظهار البلاء للعبد مع كونه عبداً مثله ذلك فيجب قال الله تعالى: - إن الذين يعبدون من دون الله لا يعلمون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له - وقال تعالى: - إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - فالشكر باللسان من جملة الشكر . وقد روى أن وفداً قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليبتكلم فقال عمر الكبر الشكر فقال يأمر المؤمنين لو كان الأمر بالنسب لبكان في السلبين من هو أسنّ منك فقال تكلم فقال لنا وقد الرغبة ولاوفاً الرغبة أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك وأما الرغبة فقد آمنتنا منها عدلك وإيماننا وفداً الشكر جثاكنك بالشكر باللسان وتصرف . فلهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته . فأما قول من قال: إن الشكر هو الاعتراف بنعمة للنعمة على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب . وقول من قال: إن الشكر هو التناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان وقول القائل: إن الشكر هو الاحتكاك على بساط الشهود بإدلة حفظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان وقول حمدون التصار شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طليفاً إشارة إلى أن معنى العرفة من معاني الشكر فقط وقول الجند الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة إشارة إلى حال من أحوال القلب على المحسوس وهؤلاء أقوالهم متروك عن أحوالهم فذلك يختلف أجوبتهم ولا تنطبق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة الحالية عليهم اشتتالاً بما يهيمهم عماليهمهم أو يتكلمون بما يرونه لاحقاً بحال السائل اقتصاراً على ذكر القدر الذي يحتاج إليه وإعرافاً بما لا يحتاج إليه فلا ينبغي أن نقتنّ أن ما ذكرناه طين عليهم وأنه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحتها كانوا يشكرونها بل لا يظنّ ذلك بمائل أصلاً إلا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني أم يقتل بعضها مقصوداً وبجية المعاني تكون من توابسه ولو أزمه ولنا قصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء والله للوفى برحمة .

المرید فی حاضرة
الشيخ كمن هو قاعد
على ساحل بحر ينظر
رزقا يساق إليه فظلمه
الى الاستماع وما يرزق
من طريق كلام الشيخ
يفتح مقام إرادته وطلب
واستزادته من فضل الله
وتعلمه الى القول برده
عن مقام الطلب
والاستزادة الى
مقام إثبات شيء
لنفسه وذلك جناية
المرید . وينبغي أن يكون
تعلمه الى مبهم من حاله
يستكشف منه
بالسؤال من الشيخ
على أن الصادق
لا يحتاج الى السؤال
باللسان في حاضرة
الشيخ بل يباديه بما
يمد له لأن الشيخ يكون
مستقفاً لقلقه بالحق

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم لرجل: كيف أصبحت قال: غير فأعاد السؤال حتى قال في الثالثة: غير أحمد الله وأشكره فقال هذا الذي أردت منك الطبراني في المعجم من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعاً نحوه قال في الثالثة: أحمد الله وهذا مضطرب ورواه في المعجم الكبير: من حديث عبد الله بن عمرو ليس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله إليك وفيه راشد بن سعد ضعفه الجمهور لرسوء حفظه ورواه مالك في الرضا موقوفاً على عمر باسناد صحيح .

(بيان طريق كشف التطاء عن الشكر في حق الله تعالى)

لعلك يخطر ببالك أن الشكر إنما يقتل في حق من هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر المولود
إما بالتاء ليزيد علمهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي
هي إئانة لهم على بعض أغراضهم أو بالتوليد بين أيديهم في صورة الخدمة وذلك تكبير لسوادم وسبب
زيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم إلا شيء من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجوبه
أدعها أن الله تعالى منزّه عن الخطيوط والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإئانة وعن
نشر الجاه والخشمة بالتاء والإطراء وعن تكبير سواد الخدم بالتوليد بين يديه ركعا سجدا فشكرنا
إياه بما لاحظ له فيه ضاهي شكرنا للآلئ التلم علينا بأن تام في يوتنا أو نسجد أو نركع إذا لاحظ
لعلك فيه وهو غائب لاعم له ولا حظ له تعالى في أضافتنا كلها الوجه الثاني أن كل ماتنا طامنا اختيارنا
فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعيتنا وسائر الأمور التي هي
أسباب جركتنا ونقص حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة نعمة ولو أعطانا
للك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر له وركبناه أو أعطانا للآلئ مركوبا آخر لم يكن الثاني شكر الأول
منا بل كان الثاني محتاج إلى شكر كما يحتاج الأول ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي
إلى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولنا نذكر في الأمرين جميعا
والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع . فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر له وأودع عليه السلام وكذلك
لوس عليه السلام قال هل يب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك
وفي لفظ آخر وشكرك لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت
هذا قد شكرتني وفي خبر آخر إذا عرفت أن النعمة متى رويت منك بملك شكرا . فان قلت قد
فهمت السؤال وهمتي فاصر من إدراك معنى ما أوحى إليهم فاني أعلم استحالة الشكر في حق الله تعالى فاما
كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان
الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر قد شكر وأن قبول الخلة الثانية من للآلئ شكر فخللة الأولى
والنعم فاصر عن ذلك السرفه فان أمكن تريف ذلك بثال فهو مهم في نفسه . فاعلم أن هذا
فرج باب من المارف وهي أعلى من علوم السامعة ولكننا نصير منها إلى ملامح وهو هنا نظران
نظر بين التوحيد المحض وهذا النظر يفرق قطعا أنه الشاكر وأنه للشكور وأنه المحب وأنه
المحبوب وهذا ينظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق
في كل حال أولا وأبدا لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجوده
بل هو محال أن يوجد إذ الوجود الحق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه
وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم ينتفت إلى غيره لم يكن له وجودا لئبنة
وإنما للوجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قلنا بعدم غيره بقي موجودا فان كان مع
قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا يقوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك
فأذن ليس في الوجود غير الحق القيوم وهو الواحد الصمد فإذا نظرت من هذا المقام عرفت أن
الكلام منه مصدره وإليه ترجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هنا
نظر نجيب بن أبي حبيب حيث قرأ - إنا وجدناه صابرا ثم العبد إنه أواب - وقال والعبد أعطى
وأنتي إشارة إلى أنه إذا أتى على إعطائه فعل نفسه أتى فهو المتي وهو الملقى عليه ومن هنا نظر
الشيخ أبو سعيد البجلي حيث قرئ - بين يديه - بهم ومحبوته - قال لمعري بهم وده بهم

وهو عند حضور
الصادقين برقع قلبه
إلى الله ويستعطر
ورساق لم فيكون
لسانه وقلبه في القول
والتلق مأخوذين إلى
مهم الوقت من أحوال
الطالبين المحتاجين إلى
ما يستع به عليه لأن
الشيخ مسلم تطلع
الطالب إلى تسبوه
واعتداده بقوله
والتقول كاليد يقع في
الأرض فإذا كان
اليد فاسدا لا يثبت
وفساد الكلمة بدخول
الموى فيها فالشيخ
يقى بئر الكلام من
شوب الموى ويسله
إلى الله ويسأل الله
الموت والسداد ثم يقول
فيكون كلامه بالحق

فيحق بحجهم لأنه إنما يجب نفسه أشار به إلى أنه الحب وأنه المحبوب وهذه رتبة عالية لانفهمها إلا بمثال على حد عقلك فلا يغني عليك أن للصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع إذا أحب صنفته فقد أحب نفسه والوالد إذا أحب ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه وكل مافي الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنفته فإن أحبه لما أحب إلا نفسه وإذا لم يجب إلا نفسه فيحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بين التوحيد وتعب الصوفية عن هذه الحالة فناء النفس أي فني عن نفسه وعن غير الله فلم يزل إلا الله تعالى فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فني وطول ظله أربعة أذرع ولله يأكل في كل يوم أرطالا من الخبز فيضحك عليهم الجبال لجلبهم بمعنى كلامهم وضرورة قول المارفين أن يكونوا متحكة للجاهلين وإليه الإشارة بقوله تعالى - إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهم وإذا رأوم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلاهم عليهم حافظين - ثم بين أن ضحك المارفين عليهم غدا أعظم إذ قال تعالى - فالزوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأراكل ينظرون - وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة قال - إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون - فهذا أحد النظرين . النظر الثاني نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسان قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يبد وهؤلاء هم العميان للنكوسون وعمام في كلنا العيين لأنهم ثنوا ما هو الثابت تحقيقا وهو التوهم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم قائم به ولم يقتصر على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لغوا عنهم من حيث هم م لا ثبات لهم ولا وجود لهم وإنما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا ورفق بين الوجود وبين للوجود وليس في الوجود إلا الموجود واحد وموجد فالوجود حق وللوجود باطل من حيث هو هو الوجود قائم وقوم وللوجود هالك وفان وإذا كان كل من عليها فان فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام . القريق الثاني ليس بهم عبي ولكن بهم عور لأنهم يصرون بأحدى العينين وجود للوجود الحق فلا ينكروونه والذين الأخرى إن تم صحتها لم يصير بها فناء غير للوجود الحق فأثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما أن الذي قبله جاحد تحقيقا فان جاوز حد المعنى إلى المعنى أدركنا فاعونا بين الوجودين فأثبت عبدا وربما فهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص من الوجود الآخر دخل في حد التوحيد ثم إن كل بصرة بما يزيد في أنواره فيقل عشمه وقدر ما يزيد في بصرة يظهره نقصان ما أثبتته سوى الله تعالى فان بقى في سلوكه كذلك فلا يزال يغشى به النقصان إلى المحو فيمنعي عن رؤية ماسوى الله فلا يرى إلا الله فيكون قد بلغ كال التوحيد وحيث أدركه قصا في وجود ماسوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينه درجاته لأنقص فهذا تفاوت درجات الموحدين وكتب الله الميزة على ألسنة رسله هي الكحل الذي به يحصل أنوار الأيمان والأنيامم السكاليون وقد جلدوا داعين إلى التوحيد المحض وترجمته قول لا إله إلا الله ومحمد نبي لا يرى إلا الواحد الحق والراسلون إلى كاله التوحيد هم الأقليون والجاهلون والمشركون أيضا قليلون وهم على الطرف الأقصى المقابل لطرف التوحيد إذ عبدة الأوثان قالوا ما نصدمم إلا يقرجوننا إلى الله زلفى - فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولا ضيقا والمتوسطون هم لك أكثرون وفيهم من تنتفع بصيرته في بعض الأحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالمقرب للمحاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم وللنوام فيه عزير .

من الحق الحق فالشيخ
لمريدن أمين الإلهام
كما أن جبريل أمين
الوحى فكما لا يغون
جبريل في الوحى
لا يغون الشيخ في
الإلهام وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
لا ينطق عن الهوى
فالشيخ مقتد برسول
الله صلى الله عليه وسلم
ظاهرا وباطنا لا يتكلم
بهوى النفس . وهوى
النفس في القول
بشيئين : أحدهما طلب
استجلاب القلوب
وصرف الوجوه إليه
وما حسنا من شأن
الشيخ . والثاني ظهور
النفس باستحلاء
الكلام والمحب وذلك
خيانة عند المحققين

لكلّ إلى غاؤ الملا حر كات ولكن عزيز في الرجال ثبات

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب قيل له - واسجد واقترب - قال في سجوده « أعوذ بفنوك من عقابك وأعوذ برضائك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ^(١) » قوله صلى الله عليه وسلم « أعوذ بفنوك من عقابك » كلام عن مشاهدة فعل الله قط فكانه لم ير إلا الله وأفاضه فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب فثنى عن مشاهدة الأفاضل وترقى إلى مصادر الأفاضل وهي الصفات فقال « أعوذ برضائك من سخطك » وهاهنا ثمر يرى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب ورتقى من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال « وأعوذ بك منك » وهذا فراز منه إليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى شمه فاراً منه إليه ومستنيهاً وشيئاً فثنى عن مشاهدة شمه إذ رأى ذلك نقصاناً واقترب فقال « لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » قوله صلى الله عليه وسلم « لأحصى » خبر عن فناء شمه وخروج عن مشاهدتها وقوله « أنت كما أثنيت على نفسك » بيان أنه لثنى ولثني عليه وأن الكل منه بدا وإليه يعود وأن - كل شيء هالك إلا وجهه - فكان أول مقاماته نهاية مقامات اللوحدين وهوان لا يرى إلا الله تعالى وأفاضه فيستفيد بفعل من فعل فانظر إلى ماذا انتهت نهايته إذا انتهى إلى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرى من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى يبدأ بالاضافة إلى الثانية فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك صفاتاً ساوكة وتقصيرا في مقامه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة ^(٢) » فكان ذلك ترقيه إلى سبعين مقاما بعضها فوق البعض أولها وإن كان مجاوزا أنهى غايات الخلق ولكن كان نقصاناً بالاضافة إلى آخرها فكان استغفاره لذلك، ولما قالت عائشة رضي الله عنها « أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهاهنا البكاء في السجود وماهنا الجهد الشديد قال أفلا أكون عبداً شكورا ^(٣) » معناه أفلا أكون طالباً للزيد في اللطامات فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - وإذا تاملنا في بحار الكشف فانهض العنان ، ولترجع إلى ما يليق بعلوم العامة ، فنقول : الأنبياء عليهم السلام يشوا لله عروة الخلق إلى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات عديدة وإنما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك اللتام بالاضافة إلى تلك المشاهدات الشكر والشاكر وللشكور ولا يبرف ذلك إلا بتأمل ، فأقول : يمكنك أن تعلم أن ملكاً من الملوك أرسل إلى عبده قدس منه مكرماً ومليوساً وهذا لأجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد وقرب من حضرته لذلك ثم يكون له خالين : إما أحدهما أن يكون قصده من وصول البعد إلى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له رعاية في خدمته ، والثانية أن لا يكون الملك حظه في البعد ولا حاجة به إليه بل حضوره لا يزيد في ملكه

(١) حديث قال في سجوده أعوذ بفنوك من عقابك وأعوذ برضائك من سخطك الحديث مسلم من حديث عائشة أعوذ برضائك من سخطك وهاهناك من عقوبتك الحديث (٢) حديث إنه ليغان على قلبي الحديث تقدم في التوبة وقوله في الدعوات (٣) حديث عائشة لما قالت له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهاهنا البكاء الحديث رواه أبو الشيخ وهو بقية حديث عطاء عنها ما تقدم قبل هذا بقية أحاديث وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصراً وكذلك هو في الصحيحين مختصراً من حديث المقرئ بن حجة .

والشيخ فيها يجرى على لسانه راقداً النفس تشفه مطالعة نعم الحق في ذلك فاذا لحظ من فوائد ظهور النفس بالاستسلام والسجود فيسكون الشيخ لما يجرىه الحق سبحانه وتعالى عليه عسماً كأحد للسمعين وكان الشيخ أبو السعود رحمه الله يتكلم مع الأصحاب بما يلقي إليه وكان يقول أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم فأشكلك ذلك على بعض الحاضرين وقال إذا كان الحال هو يعلم ما يقول كيف يكون أكتسمع لا يعلم حتى يسمع منه ثم خرج إلى منزله فرأى ثلثة

لأنه لا يقوى على القيام بخدمة تفي فيه غناه وغنيته لاتنقص من ملكه فيكون قصد من الإتيان عليه بالركوب والزيادة أن يحظى العبد بالقرب منه ويثاب سعادة حضرته ليتضع هو في نفسه لا يتضع الملك به ويتضاعف فثقل البعاد من الله تعالى في للزلة الثانية لافي للزلة الأولى فان الأولى على الله تعالى والثانية غير حال . ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكرًا في الحالة الأولى بمجرد الركوب والوصول إلى حضرته ما لم يقع بخدمته التي أرادها الملك منه . وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج إلى الخدمة أصلاً ومع ذلك بصورة أن يكون شاكرًا وكافرًا ويكون شكره بأن يستعمل ما أشهد إليه مولا في أحب إليه لأجل نفسه وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطيه أو يستعمله فيما يزيد في بدمه من غيرها ليس العبد الثوب وركب القوس ولم ينق الزاد إلا في الطريق قد شكره مولا وإذا استعمل نعمته في محبة: أي في أحب إليه لمولاه لنفسه وإن ركب واستدبر حضرته وأخذ يعد منه فقد كفر نعمته: أي استعملها فيما كرهه مولا لعبده لأنفسه وإن جلس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضًا نعمته إذ أعطاه وعطاه وإن كان هذا دون ما هو بدم منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرته يحتاجون إلى استعمال الضوابط لتكمل بها أبادتهم فيمدون بها عن حضرة مولا في مساعدتهم في القرب منه فأعزتهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بدمهم وقرهم عبر الله تعالى إذ قال - لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا - الآية فاذن نعم الله تعالى آلات يرقى العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غني عنه قرب أم بعد والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد عسكر لمواظبة عبة مولا وبين أن يستعملها في مصيته فقد كفر لانتقامه ما يكرهه مولا ولا يرصاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والفسية وإن عطاه ولم يستعملها في طاعة ولا مصيبة فهو أيضًا كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آية للعبد ليوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالنسية والطاعة تشملهما للشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه . ووراء يان هذه الحقيقة سر القدر الذي يمنع من إفشائه وقد أغفل هذا الاشكال الأول وهو أنه إذا لم يكن للشكور حظ فكيف يكون الشكر ، وهذا أيضًا ينحل الثاني فان لم يكن بالشكر إلا انصراف نعمة الله في جهة عبة الله فإذا انصرفت النعمة في جهة المحبة . فبعل الله قد حصل للراد وفضلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله قد أنت عليك وثناؤه نعمة أخرى منه إليك فهو الذي أعطى وهو الذي أنت وصار أحد فضله سببا لانصراف فضله الثاني إلى جهة عبه فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى أنك عمل للمنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجب له كما أنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للعالم وموجبه ولكن بمعنى أنك عمل له وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك فوصفك بأنك عاكر إثبات شيئا لك وأنت شيء إذ جعلك خالق الأشياء شيئا وإنما أنت لاشيء إذا كنت أنت خائنا لنفسك شيئا من ذاتك فأما باعتبار النظر إلى الذي جعل الأشياء شيئا فأنت شيء إذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لاشيء حقيقة وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» (١) لما قيل له يا رسول الله فقيم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل فتبين أن الخلق مجارى قدرة الله تعالى وعمل أفعاله وإن كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله عمل لبعض وقوله اعملوا وإن كان جاريا على

في اللتام كان قال
يقول له أليس القواس
يخوس في البحر لطلب
المر ويجمع الصدف
في غلاته والبر قد
حصل معه ولكن
لا يراه إلا إذا خرج
من البحر ويشاركه
في رؤية المر من هو
على الساحل ففهم
بالتام إشارة الشيخ
في ذلك فأحسن أدب
الريد مع الشيخ
الصكوت والجمود
والجمود حتى يادته
الشيخ بما فيه من
الصالح قولاً وفعلاً
وقيل أيضاً في قوله
تعالى - لا تقربوا بين
يدي الله ورسوله -
لا تطلبوا بركة وراء
منازلته ، وهذا من

(١) حديث اعلموا فكل ميسر لما خلق له متفق عليه من حديث علي وعمر بن حنبل .

لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من أفضاله وهو سبب لعملي الخلق أن العمل نافع وعلمهم فعل من أفضاله الله تعالى والتم سبب لانيات داعية جازمة إلى الحركة والطاعة وإنبات الداعية أيضا من أفضاله الله تعالى وهو سبب لحركة الأعضاء وهي أيضا من أفضاله الله تعالى ولكن بعض أفضاله سبب لبعض أي الأول شرط للثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرش إذ لا يخلق العرش قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الإرادة والكل من أفضاله الله تعالى وبعضها سبب للبعض : أي هو شرط ومعنى كونه شرطا أنه لا يستمد لقبول فعل الحياة إلا جوهرا ولا يستمد لقبول العلم إلا ذو حياة ولا لقبول الإرادة إلا ذو علم فيكون بعض أفضاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أن بعض أفضاله موجد لغيره بل يمهّد شرط للحصول لغيره وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذي ذكرناه . فان قلت فلم قال الله تعالى إصموا وإلّا فأنتم معاقبون مذمومون على العصيان وما لنا نأثم فكيف ندّم وإنما الكفر إلى الله تعالى . فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقادنا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار التورود ، وذلك سبب للوصول إلى جوار الله والله تعالى مسبب الأسياب ومرتبها فمن سبق له في الأول السعادة يسر له هذه الأسياب حتى يقوده بسلسلتها إلى الجنة ويصير عن مثله بأن كلامه ليس لما خلق له لوم لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فإذا لم يسمح لم يعلم وإذا لم يعلم لم يخف وإذا لم يخف لم يترك الكون إلى الله تعالى والكون إلى الدنيا يتي في حزب الشيطان وإن جهنم لموعدهم أجمعين ، فإذا عرفت هذا تبجيت من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسياب وهو تسلط العلم والخوف عليه وما من مخدول إلا وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسلط النفاق والأمن والتورود عليه فالمتقون يساقون إلى الجنة قهرا والمجرمون يقادون إلى النار قهرا ولا قهر إلا الله الواحد القهار ولا قادر إلا الملك الجبار وإذا انكشف الغطاء عن أعين الناظرين فشهدوا الأمر كذلك صمواعند ذلك نداء للنادي - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - وقد كان للملك في الواحد القهار كل يوم لذلك اليوم على الخصوص ولكن الناظرين لا يسمعون هذا النداء إلا ذلك اليوم ، فهو نيا عما يتجدد للناظرين من كشف الأحوال حيث لا يتفهم الكشف ، فتمود بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فإنه أصل أسباب الهلاك .

(بيان تبيين ما يحبه الله تعالى عما يكرهه)

اعلم أن فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعركة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه إذ معنى الشكر استعمال بعينه تعالى في محابه ومعنى الكفر تقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها في مكارهه وتبيين ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدر كان : أحدهما السمع ومستنده الأيات والأخبار . والثاني بصيرة القلب وهو النظر بين الاعتبار وهذا الأخير غير وهو لأجل ذلك عزيز ، فلهذا أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبئ على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فمن لا يطلع على أحكام الشرع في جميع أفضاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلا . وأما الثاني وهو النظر بين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه إذ ما خلق شيئا في العالم إلا وله حكمة ونعت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وذلك الحكمة منقسمة إلى جليّة وخفية . أما الجليّة فكأنهم بأن الحكمة في خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار ماضيا والليل لباسا لتبين الحركة عند الإصدار والسكون عند الاستقرار فهنا من جملة حكم الشمس كل الحكمة فيها

محاسن الآداب
وأعزها ويغني للعريد
أن لا يحدث نفسه
بطلب منزلة فوق
منزلة الشيخ بل يحب
للشيخ كل منزلة عالية
ويتقنى للشيخ عزز
للشع وغرائب اللواهب
وبهذا يظهر جوهر
للريدى حسن الإرادة
وهذا يميز للريدين
فإرادته للشيخ تعطيه
فوق ما يمتنى لنفسه
ويكون دائما بأدب
الإرادة . قال السرى
رحمه الله حسن الأدب
ترجمان العقل . وقال
أبو عبد الله بن حنيفة
قال لى روم يابى
اجعل عملك ملحا
وأدبك دقيقا . وقيل
التصوف كله أدب

بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في النعم ونزول الأمطار وذلك لانشقاق الأرض
 بأنواع النبات مطعما للخلق ومرعى للأنعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحملها
 أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقتصرون عن فهمه إذ قال تعالى - أنا صينا السماء مباهتهم شققنا الأرض
 شققا فأنبتنا فيها حيا وعبا - الآية . وأما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت خفية لا يطلع
 عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق أنها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر إليها وأشار إليه
 قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - بجميع أجزاء العالم حافوه وكواكبه ورياحه
 وبهاره وجباله ومعادته ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من خداته عن حكم كثيرة من
 حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف إلى عشرة آلاف وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلى ما يعرف حكمها
 كالمعلم بأن العين لا يبصر إلا بالبطش واليد لا تلمس إلا بالمشى والرجل لا تمشي إلا بالمشى فاما الأعضاء الباطنة من
 الأمعاء والبراز والقيح والكلية وآحاد المرق والأعصاب والعضلات وما فيها من التجاوب والانتفاخ
 والاعتباك والانحراف والخلط وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس والذين يعرفونها
 لا يعرفون منها إلا قدرا يسيرا بالإضافة إلى ما في علم الله تعالى - وما أوتيتهم من العلم الا قليلا - فاذن كل من
 استعمل شيئا في جهة غير الجلية التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى فمن
 ضرب غيره يده قد كفر نعمة اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه
 لا يهلك بها غيره ومن نظر إلى وجه غيره المحرم قد كفر نعمة العين ونعمة الشمس إذا إلبسها
 وإنما خلقتنا ليصير بها ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقى بها ما يضره فيها فقد استعملها في غير
 ما أريد بها وهذا لأن الراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بهما على الوصول
 إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به في الدنيا والتجافي عن غرورها والدنيا لا أنس إلا بدوام
 الذكر ولا عجة إلا بالمعرفة الخاصة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن
 ولا يبقى البدن إلا بالبقاء ولا يتم البقاء إلا بالأرض وللأرض والسموات والأرض
 وخلق سائر الأعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية النفس والراجع إلى الله
 تعالى هي النفس المطمئنة بطول البقاء والرفقة فذلك قال تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
 ما أريد منهم من رزق - الآية فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله قد كفر نعمة الله في جميع
 الأسباب التي لا يد منها لإقدامه على تلك العصية . ولذا ذكر مثلا واحدا للحكم الخفية التي ليست في
 غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريقة الشكر وال كفران على النعم فيقول : من ثم الله تعالى خلق
 البراهم والدنانير وبها قوام الدنيا وبها حيران لا منفعة في أعيانها ولكن يشغل الخلق إليها من
 حيث إن كل إنسان يحتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يسجد عما يحتاج
 إليه ويملك ما يستغنى عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو يحتاج إلى جل يركبه ومن يملك الجلبدر بما
 يستغنى عنه ويحتاج إلى الزعفران فلا بد بينهما من معاونة ولا بد في مقدار العوض من تقدير إذا زيد
 صاحب الجلبدر حله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجلبدر حتى قال يعطى منه مثله في
 الوزن أو الصورة وكذا من يشتري دارا بشتى أو عبدا بخفض أو دقيقا بخمار فينبهه الأشياء لا لتسلب فيها
 فلا يدري أن الجلبدر كم يسوى بالزعفران فتعذر المماثلة جدا فلا تغيرت هذه الأعيان للتناقير
 للتباعدة إلى متوسط بينهما يحكم فيها بحكم عدل يعرف من كل واحد رتبته ومنزله حتى إذا
 تفرقت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي خلق الله تعالى الدنانير
 والبراهم حاكين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تعذر الأميال بينهما فيقال هذا الجلبدر يسوى

لكل وقت وأدب لكل
 حله أدب ولكل مقام
 أدب لمن يتم الأدب
 يبلغ مبلغ الرجال ومن
 حرم الأدب فهو بعيد
 من حيث يظن القرب
 وهرود من حيث
 يرجى القبول ومن
 تأدب الله تعالى أصحاب
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قوله تعالى
 - لا ترفوا أصواتكم
 يقول صوت للنبي - كان
 غابت بن قيس بن قيس
 نفي أذنه وفر وكان
 جمهور الصوت فكان
 لها كلم أنسا جهر
 بصوته وربما كان
 يكلم النبي صلى الله عليه
 وسلم بقلبي بصوته
 فأقول الله تعالى الآية
 تأديته وتسميه .

مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث إنهما مساويان شيء واحد إذن مساويان وإنما أمكن التمديل بالتقدين إذ لا غرض في أعيانها ولو كان في أعيانها غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا يتنظم الأمر فإذن خلقهما الله تعالى لتداولهما الأبدى ويكونا حاكبين بين الأموال بالعدل والحكمة أخرى وهى التوصل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عززان في أنفسهما ولا غرض في أعيانها ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوباً فإنه لم يملك إلا الثوب فلو احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في دابة مثلاً فاحتاج إلى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في معناه كأنه بكل الأشياء والشيء إنما تستوى نسبتة إلى المختلقات إذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها خصوصاً كالمرآة لا لون لها ونحكي كل لون فنذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فلهذه هى الحكمة الثانية وفيهما أيضاً حكم بطول ذكرهما فكل من حمل فيهما عملاً لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فإذن من كفرهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لأنه إذا كثر قد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت البرام والله تعالى عز وجل خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لا غرض للأحاد في أعيانها فلهما حيران وإنما خلقا لتداولهما الأبدى فيكونا حاكبين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فأخبر الله تعالى الذين يسجدون عن قراءة الأسطر الإلهية للكتابة على صفحات للوجودات غلط إلى لا عرف فيه ولا صوت الذى لا يدرك بين البصر بل بين البصيرة أخبر هؤلاء العاجزين بكلام مسموع من رموه صلى الله عليه وسلم حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت الذى همزوا عن إدراكه فقال تعالى - والذين يكذبون الذهب والفضة ولا يفتقونها في سبيل الله فيشرهم بذاب آلم من أخذ من البرام والله تعالى آية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالاً ممن كثر لأن مثال هذا مثال من استعصر حاكم البلد في الحياة والكس والأعمال التى يقوم بها أعضاء الناس والحيس أهون منه وذلك أن الحرف والحديد والرصاص والنحاس تتوب مناب الذهب والفضة في حفظ اللامات عن أن تبدد وإنما الألوان لحفظ اللامات ولا يكتفى الحرف والحديد في التصود الذى أريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له من شرب في آية من ذهب أو فضة فسكاً ما يجرى في بطنه نار جهنم ^(١) وكل من عامل معامل البرام والله تعالى عز وجل النعمة وظلم لأنهما خلقا لتبرهما لأنفسهما إذ لا غرض في عيניהما فإذا أبحر في عيניהما فقد أخذها مقصوداً على خلاف وضع الحكمة إذ طلب النقد شئ مأموع له ظلم ومن منه ثوب ولا قد معه قد لا يقدر على أن يشتري به طعاماً ودابة إذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو مخطور في يده بقدر آخر ليحصل النقد فينصه إلى مقصوده فلهما وسيلتان إلى التبر لا غرض في أعيانها ومقصودهما في الأموال كوضع الحرف من الكلام كما قال النحويون إن الحرف هو الذى جاء لمن في غيره وكوضع للرأى من الألوان فأما من منه قد فوجز له أن يبيعه بالنقد فيقتض التعامل على التقديرات عمله فيبقى النقد مقبداً عنده ويترن منزلة للكونز وتزيد الحاكم والبريد الوصول إلى التبر ظلم

(١) حديث من شرب في آية من ذهب أو فضة فسكاً ما يجرى في بطنه نار جهنم متفق عليه من حديث أم سلمة ولم يصرح للصنف بكونه حديثاً.

أخبرنا ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي
قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
الترياقى قال أنا أبو محمد
الجسراسى قال أنا
أبو النحاس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى
الترمذى قال أنا محمد
ابن النسي قال أنا محمد
ابن إسماعيل قال أنا فافع
ابن عمر بن جميل الجعفى
قال حدثني حابس بن
أبي مليكة قال حدثني
عبد الله بن الزبير أن
الأفراح بن حابس قدم
على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال أبو بصير
استمعنى على قومه فقال
عمر لا تستمع لبارحول
الله فكلمنا عبد الله
صلى الله عليه وسلم

كما أن حبه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا أخذ النقد مقصودا للدخار وهو ظلم . فان قلت : فلم جاز بيع أحد التدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله . فاعلم أن أحد التدين يخالف الآخر في مقصود التوصل ، إذ قد تيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدرهم تنفرق في الحاجات قليلا قليلا في النفع منه ما ينشوق المقصود الخاص به ، وهو تيسر التوصل به إلى غيره . وأما بيع الدرهم بدرهم بمائه فجاز من حيث إن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساوى ولا يشتغل به تاجر فانه عيب يجري مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذ بهينه فلا تنفع مما لا تشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه ، إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينظم العقد وإن طلب زيادة في الرديء ، فذلك مما قد يقصده فلا جرم نفعه منه ونحكم بأن جيدها ورديءها سواء لأن الجودة والرداءة ينبئ أن ينظر إليهما فيما يقصد في عينه ، وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته وإنما الذي ظلم هو الذي ضرب النقد بمختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقا أن لا تصد . وأما إذا باع درهما بدرهم مثله نسبة فاعلم إن بيع ذلك لأنه لا يقدر على هذا إلا مسامح قاصد الإحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة الساعحة فيكون له حمد وأجر . والمأثرة لأحد فيها ولا أجر فهو أيضا ظلم لأنه إضاعة خصوص الساعحة وإخراجها في مرض المأثرة وكذلك الأطعمة خلقت ليغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تعرف على جهتها فان فتح باب للعامة فيها يوجب تضيدها في الأبدى ويؤخر عنها الأكل الذي أريد له فما خلق الله الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبئ أن نخرج عن يد المستغنى عنها إلى المحتاج ولا يامل على الأطعمة إلا مستغنى عنها ، إذ من معه طعام ظم لا يأكله إن كان محتاجا ولم يحمله بضاعة تجارة وإن حمله بضاعة تجارة فليصم عن طلبه بوض غير الطعام يكون محتاجا إليه . فأما من يطلبه حين ذلك الطعام فهو أيضا مستغنى عنه ولهذا ورد في الشرع لمن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب ، نعم باع البر بالتمر معذور إذ أحدهما لا يفسد مسد الآخر في العرض وبائع صاع من البر يصاع منه غير معذور ولكنه ثابت فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى بها صاحب الجيد . وأما جيز يردئين فقد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوى الرديء في أصل الفائدة وبخلافه في وجوه التتم أسقط الشرع غرض التتم فيما هو القوام فله حكمة الشرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنلتحق هذا بغير التفهيمات فانه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالأطعمة دون للكيلات إذ لو دخل الجبس فيه لكلفت الثياب والدواب أولى بالخول ولولا للتحل لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذهب فيه إذ خصه بالآوقات ولكن كل معنى يرماه الشرع فلا بد أن يضبط بعد وتحديد هذا كان ممكنا بالتوت وكان ممكنا بالمطوم قرأى الشرع التحديد بمنس المطوم أخرى لكل ما هو ضرورة البقاء ومحددات الشرع قد تحيط بأطراف لا بقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يعد التحجير الحلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص فينبئ المعنى بكيفية مختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فيكون الحد ضروريا فذلك قال الله تعالى - ومن بعد حدود الله فقد ظلم نفسه -

حتى علت أصواتهما
فقال أبو بكر لعمر
ما أردت إلا خلافا وقال
عمر ما أردت خلافا
فأنزل الله صالى الآية
فكان عمر بعد ذلك
إذا تكلم عند النبي
صلى الله عليه وسلم
لا يسمع كلامه حتى
يستفهم . وقيل لما نزلت
الآية آلى أبو بكر أن
لا يتكلم عند النبي
صلى الله عليه وسلم إلا
كأن السراير فهكذا
ينبغي أن يكون المريد
مع الشيخ لا يسيط
يرفع الصوت وكثرة
الضحك وصعوبة
الكلام إلا إذا بسطه
الشيخ فرغ الصوت
تحتية جلباب الوار
والوار إذا سكن

ولأن أصول هذه العاني لا تخلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يجد شرع عيسى ابن مريم عليه السلام تحريم الحجر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس السكر لأن تلبسه يدعو إلى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل اللبي بالجملة الأصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم التقنين فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكثراتها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من قد عرف الحكمة سون من وثقت الحكمة قد أدنى خيرا كثيرا - ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزايل الشهوات وملابح الشياطين بل لا يتذكر إلا أولو الألباب وقلقه قال صلى الله عليه وسلم «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء» (١) وإذا عرفت هذا لكأن قص عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فانه إما شكر وإما كفر إلا يصور أن يفك عنها وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تاطق به عوام الناس بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب التلويح موصوف بالحظر - فأقول مثلا لو استجبت باليمين فقد كفرت نعمة الدين إذ خلق الله لك الدين وجعل لإحداها أقوى من الأخرى فاستحق الأقوى مزيد جلاله في الثواب التشريف والتفضيل وتفضيل الناصر عدول عن العدل والله لا يأمر إلا بالعدل ثم أوجبك من أعطاك الدين إلى أعمال بعضها شريف كأخذ للصحف وبعضها خسيس كالزلة النجاسة فإذا أخذت للصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت التشريف بما هو خسيس فضضت من حقه وظلته وعدلت عن العدل وكذلك إذا بصقت مثلا في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سمة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متسكة في حركتك وقسم الجهات إلى مالم يصرفها وإلى ما صرفها بأن وضع فيها بيتا أضافه إلى حقه استقالة قلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بذلك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذ أصابت ربك وكذلك أقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورعى البصايا فإذا ربيت بصايتك إلى جهة القبلة قد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لأن الخف وافية لرجل فلرجل فيه حظ والبداهة في المخلوط ينبغي أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة وتفضله ظم وكفران لنعمة الخف والرجل وهذا عند الغافلين كبيرة وإن ساء التقيي مكروها حتى إن بعضهم كان قد جمع أكرارا من الخطية وكان يتصدق بها قسطنطين عن سببه فقال لبست للداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سوا فأريد أن أكفره بالصدقة - نعم التقيي لا يشتر على خضم الأمر في هذه الأمور لأنه ممكن بل بإصلاح العوام الذين تقرب درجاتهم من درجة الأنعام وهم مضمونون في ظلمات ألم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها فتبيح أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القدر يسلمه قد تعدى من وجوبين : أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ومن باع خمر في وقت النداء يوم الجمعة فتبيح أن يقال خان من وجوبين : أحدهما بيع الخمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فتبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجتين حيث إنه لم يحل القبلة من بينه فالناس كلهم ظلمات بعضها فوق بعض فيصنع بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بشره لانه ولكن لو قتل بذلك السكين أعز أو ألام لم يرق

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء فخدم في الصوم .

القلب عقل اللسان
ما يقول وقد ينزل
باطن بعض الرديين
من الحرمة والوفاء من
الشيخ ما لا يستطيع
الرد أن يشيع النظر
إلى الشيخ وقد كنت
أحم فيدخل على عبي
وشيخي أبو العجيب
السروردي رحمه
الله فيترفع جسدي
عرفا وصككت أعمى
الصرق لتخلف الحمى
فكنت أجد ذلك
عند دخول الشيخ
على ويكون في قدميه
بركة وغفاء وكنت
ذات يوم في البيت
خاليا وهناك مندبل
وهبه لي الشيخ وكان
يصمم به فوقع قسبي
على التبدل أضافا فتألم

لاستعمال السكين ينير إذنه حكم ونسكاً في نفسه فشكل مارعاء الأنبياء والأولياء من الآداب وتسامحنا فيه في القه مع المرام فسيبه هذه الضرورة وإلا فشكل هذه الكثرة عدول عن العدل وكفران لنعمة وتعمان عن المراجعة للبعد إلى درجات القرب ، ثم بعضها يؤثر في البعد بقصان القرب وأخطاط للتركة وبعضها يخرج بالكيفية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر حضنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير حاجة غرض محسب فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الأشجار وخلق اليد . أما اليد فأنها لم تخلق للعب بل للطاعة والأعمال للعبطة على الطاعة . وأما الشجر فأنما خلقه الله تعالى وخلق له المروق وساق إليه الماء وخلق فيه قوة للاغتناء والجماء ليلعب منتهى نشوة فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوة لاطي وجه ينتفع به عباده مخالفة لقصد الحكمة وعدول

عن العدل فإن كان له غرض صحيح فله ذلك إذا الشجر والحوان جلا فداء لأغراض الإنسان فأنها جميعاً فإنيان هالكان فأناء الأخس في بقاء الأشر فمدتها أقرب إلى العدل من تضييعها جميعاً وإليه الإشارة بقوله تعالى - وسفر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه - ثم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضاً وإن كان محتاجاً لأن كل شجرة بينهما لا تفي بحاجات عباد الله اللهم بل تفي بحاجة واحدة ولو خص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظالماً فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الأرض وساق إليه الماء وقام بالتهدي فهو أولى به من غيره فيرجع جانباً بذلك ، فإن ثبت ذلك في موات الأرض لا يسي آدمي اختص بفقره أو يفرسه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه فله السابق خاصة السابق . فالعدل هو أن يكون أولى به ، وعبر القهاء عن هذا الترجيح بالملك ، وهو مجاز عمن ، إذ لا ملك إلا للملك الذي له مافي السموات والأرض ، وكيف يكون البعد مالكا وهو في نفسه ليس بملك نفسه بل هو ملك غيره ، ثم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله وقد أفن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم كل ملك نصب مائدة لبيده ، فمن أخذ لقمة يمينه واحتوت عليها براجه فجاء عبد آخر وأراد انزاعها من يده لم يمكن منه لأن اللقمة صارت ملكاً له بالأخذ باليد فإن اليد وصاحب اليد أيضاً مملوك ولكن إذا كانت كل لقمة بينهما لا تفي بحاجة كل المريد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والأخذ اختصاص يفرد به البعد فنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته ، فهكذا ينبغي أن نهم أمر الله في عباده وملكه قول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكثره وأمسكه وفي عباده الله من محتاج إليه فهو ظالم وهو من الدين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وإنما سبيل الله طاعت وزاد الخلق في طاعته أموال الدنيا ، إذ بها تدفع ضروراتهم وترفع حاجاتهم ، ثم لا يدخل هذا في حداثى الفقه لأن مقدار الحاجات خفية والنفس في استفسار التقوى في الاستقبال مختلفة وأواخر الأعمار غير معلومة فتكليف الموم ذلك يعجز عن تكليف السيان الوافر والتؤدة والسكرت عن كل كلام غير مهم ، وهو بحكم قصاصهم لا يطبقونه قركنا الاعتراض عليهم في القرب واللبو وإحتنا ذلك أيام لا يدل على أن اللبوء والعب حق فكذلك إحتنا لعلوم حفظ الأموال والاقتصر في الاتفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جابوا عليه من البخل لا يدل على أنه غلب الحق . وقد أشار القرآن إليه إذ قال تعالى - إن يسألكموها فيحكمم تبخلوا - بل الحق الذي لا كيد في والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباده من مال الله إلا بقدر زاد الرأكب فشكل عباده وكاب لمطاي الأبدان إلى حضرة الملك المهيمن . فمن أخذ زيادة عليه ثم منه عن رآكب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعدل وسائر الأسباب التي بها يعرف أن ماسوى زاد الرأكب وبال عليه

باطنى من ذلك وهاتئ
الوطء بالقسم على
متنديل الشيخ وانبث
من باطنى من الاحترام
ما أرجو بركته . قال
ابن عطاء في قوله تعالى
- لا ترفعوا أصواتكم -
زجر عن الأدنى لكلا
يتخطى أحد إلى مافوقه
من ترك الحرمة وقال
سهل في ذلك لا خاطبوه
الإستغنيين . وقال
أبو بكر بن طاهر
لا يبدوه بالخطاب ولا
تحيوه إلا على حدود
الحرمة ولا تجهروا له
بالقول كبحر بمنكم
ليمن أى لا تملطوا له
في الخطاب ولا تبادوه
بعبه يا محمد يا محمد كما
يتأدى بمنكم بشا
ولكن غصوه

في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج إلى عجلات ثم لانفي إلا القليل وإنما أردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى - وقليل من عبادي الشكور - وفرح إبليس لأنه الله بقوله - ولا تعبدوا أكثر مما كرتن فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأمورا أخرى وأذلك تنفي الأعمار دون استقصاء مباديها ، فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وهذا يقتضي لك الفرق بين اللفظ والتفسير . فان قلت قد رجع حاصل هذا الكلام إلى أن الله تعالى حكمة في كل شيء وأنه جل ومن أفعال العباد سببا لتعام تلك الحكمة وبإوغها غاية الراد منها وجعل بعض أفعالها مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انماقت الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف مقتضى الأسباب من أن تنساق إلى الغاية للزادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الأشكال باقوهو أن فعل العبد النقص إلى ما يتم الحكمة وإلى ما يرفضها هو أيضا من فعل الله تعالى فإن العبد في الدين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا أخرى . فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تبارع عظيم من علوم للكشفات وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات بمباديها ونحن الآن نبر بعبارة وجيزة عن آخرها غايتها في فهمها من عرف منطق الطير ومجدها من هجر عن الإضاع في السير فضلا عن أن يحول في جوال السكونت جولان الطير فنقول : إن لله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة على وأجل من أن تلخصها عين واضع اللغة حتى يبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها واحطاط رتبة واضع اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم إلى مبدئ إشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الحفائض عن نور الشمس لاعتوض في نور الشمس ولكن لضعف في أبصار الحفائض فاضطر الدين تحت أبصارهم للملاحظة جلالها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم للتناطين باللغات عبارة تفهم من مبادئ حقائقها شيئا ضميغا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرت بسبب استعانتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ومصدر اتسام هذه الأقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة للمشيئة فهي توم منها أمرا مجالا عند المتناطقين باللغات التي هي حروف وأصوات التفاهين بها وقصور لفظ المشيئة من الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة إلى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها وإلى ما يوقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها تم القسمة والاختلافات فاستعير لصفة البالغ غاية عبارة المحبة واستعير لصفة الواقف غاية عبارة الكراهة وقيل إنها مجيما داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوم لفظ المحبة والكراهة منها أمرا مجالا عند طالقي القوم من الألفاظ واللغات ثم اتسم عباده الذين هم أيضا من خلقه واختراعه إلى من سبقت له المشيئة الأزليتان يستعمله لاستيقاف حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الواسع والبواحث عليهم وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها في بعض الأمور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة فاستعير لصفة المستملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة التضب فظهر على من غضب عليه في الأزل لفعل وقت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأوردف ذلك بقصة الأمن والمنسخر لإدق النكال وظهر على من ارتضاه في الأزل فعل انماقت بسببه الحكمة إلى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وأردف

واحترموا وقولوا له:
يا أيها الله يا رسول الله
ومن هذا القليل
يكون خطاب المرید
مع الشيخ وإذا سكن
الوقار القلب علم اللسان
كيفية الخطاب . ولما
كلفت النفوس بمعجة
الأولاد والأزواج
وتمكنك أهوية
النفوس والطباع
استخرجت من اللسان
عبارات خفية وهي
تحت وقها صاغها
كلف النفس وهوها
فاذا استلأ القلب حرمة
ووقار تعلم اللسان
العبارة . وروى لما
نزلت هذه الآية قد
ثابت بن قيس في
الطريق يكن ثوبه
حاصم بن عدى فقال

غلبة الثناء والإطراء، زيادة في الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجلال ثم أنفى وأعطى التكامل ثم قبح وأردى وكان مثله أن ينظف للآل عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فإذا تم زينته قال يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحققة هو المجل وهو اللئى على الجلال فهو اللئى عليه بكل حال وكأنه لم يكن من حيث اللئى إلا على نفسه وإنعاب المبدهدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الأمور في الأزل وهكذا تسلسل الأسباب والسيئات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب ولم يكن ذلك على اتفاق وبحسب بل عن إرادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل إنه كلف بالبصر أو هو أقرب ففاضت بحار التقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لقرتب أحاد القددورات بمضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بإزاء الأمر الواحد الكلى ولفظ القدر بإزاء التفصيل للتأدى إلى غير نهاية وقيل إن شيئا من ذلك ليس خارجا من القضاء والقدر فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل وكان بعضهم لقصوره لا يطبق ملاحظة كنه هذا الأمر والاحتواء على مجامعه فألجوا عما لم يطبقوا خوض فخرته بلجام اللع وقيل لهم اسكتوا لما لهذا خلقتم لا يستل عما يفعل وهم يستأثرون وامتنأت مشكاة بضمهم نورا مقتبسا من نور الله تعالى في السموات والأرض وكان زينهم أولا صافيا يكاد يضيء ولو لم تحس نار فسته نار فاشتعل نورا على نور فاشتعلت أقطار للسكرات بين أيديهم ينور ربها فأدر كوا الأمور كلها كما هي عليه قليل لهم تأدبوا بأداب الله تعالى واسكتوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا (١) فإن للحيطان آذانا وحواليكم صفاء الأبصار فسيروا بسير أضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا بأخلاق الله تعالى وازلوا إلى صماء الدنيا من متنى علومكم ليأنس بكم الضمغاء ويقسبوا من بقايا أنواركم للشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والسكرات كى في جنح الليل فيجلبها بحياة عتمتها شخصه وحاله وإن كان لا ينجح به حياة للتردد بين كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم :

شربنا شرابا طيبا عند طيب هكذا شراب الطيبين يطيب
شربنا وأهرقنا على الأرض فضلة وللأرض من كأس الكرام نصيب

فكذلك كان أول هذا الأمر وآخره ولا يفهمه إلا إذا كنت أهلا له وإذا كنت أهلا له تحت العين وأبصرت فلا تحتاج إلى قائد يقدوك والأعمى يمكن أن يناد ولكن إلى حد ما فإذا اتقى الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشر قدر الطائر أن ينظر عليه لم يقدر على أن يستجور وراه أعمى وإذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يكن الصبور إلا بالسباحة فقد يقدر الساهر بصعته السباحة أن يعبر نفسه وربما لم يقدر على أن يستجور وراه آخر فهذه أمور نسبة السير عليها إلى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة اللئى على اللئى إلى اللئى على الأرض والسباحة يمكن أن تعلم فأما اللئى على الماء فلا يكسب بالتعليم بل ينال بقوة اليقين ، ولذلك قيل لاني صلى الله عليه وسلم « إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم لو ازداد بقينا لئى على الماء (٢) » فهذه

(١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا الطبراني من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم ولم يصرح بالسنن بكونه حديثا (٢) حديث قيل له يقال إن عيسى مشى على الماء قال لو ازداد بقينا لئى على الماء واهذا حديث منكر لا يعرف هكذا والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزني قال قد الحواريون نبيهم قليل له توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه . فلما اتهموا إلى البحر

مايكيك يا ثابت قال
هذه الآية أخوف أن
تكون زلت في أن
يحبط أعمالكم وأنتم
لا تمشرون - وأنا
ربيع الصوت على النبي
صلى الله عليه وسلم
أخاف أن يحبط عملي
وأكون من أهل النار
فضى حاصم إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وغلب لاجبا البكاء
فأبى امرأته جميلة بنت
عبد الله بن أبي بن ساول
فقال لها إذا دخلت
بيت فرسى فدى على
الضبة بمسار فضربت
بمسار حتى إذا خرجت
عظمتها وقال لا أخرج
حتى يتوفاني الله أو
يرضى عني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما

رموز وإشارات إلى معنى السكر اهنة والحبوة والرضا والتضيق والشكر والسكران لا يليق بعلم العامة كثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريرا إلى أفهام الخلق إذ عرف أنهم ما خلقوا الجن والإنس إلا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر أن له عبيدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين ويغض الآخر واسمه إبليس وهو اللعين النفر إلى يوم الدين ، ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى - قل زله روح القدس من ربك بالحق - وقال تعالى - يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده - وأحال الإغواء على إبليس فقال تعالى - ليلضل عن سبيله - والإغواء هو استيقاف المباد دون بلوغ غاية الحكمة فانتظر كيف نسب إلى العبد الذي غضب عليه والارشاد سباقه لهم إلى الغاية فانتظر كيف نسب إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فالمثل إذا كان محتاجا إلى من يقيه الشراب وإلى من يحميه ويظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يمين للحجامة والتنظيف إلا أتبعهما وأخسهما ولا يغوض محل الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما وأكلهما وأحبهما إليه ولا ينيش أن يقول هذا فعل ولم يكن فله دون فعل فإنك أخطأت إذ أضفت ذلك إلى تشك بل هو الذي صرف دعايتك لتخصيص الفعل للكره باله الشخص للكره والتعلل المحبوب بالشخص المحبوب إنما للعدل فإن عدله تارة يتم بأمور لا تدخل في بابا تارة يتم فيك فانك أيضا من أفضاله فدعايتك وقدرتك وعلمك وعملك وسائر أسباب حرمانك في التحيي هو نفعه الذي رتبته بالعدل ترتيبا تصدر منه الأفضال للصلة إلا أنك لا ترى إلا تشك تخطن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم اليب واللكوت فذلك نضيفه إلى تشك وإعما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلا إلى لعب للشهد الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزغق وتقوم وتهدو هي مؤلفة من خرق لا تتحرك بأنفسها وإعما تحركها خيوط شعرة دقيقة لا تظهر في ظلام الليل وروءها في يد للشهد وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظهورهم أن تلك الحرق ترقص وتلعب وتقوم وتهدو ، وأما الفلاء فانهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحريك ولكن ربما لا يعلمون كيف تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه للشهد الذي الأمر إليه والجاذبة يدمه فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها تتحرك فيجولون عليها ، والعلماء يعلمون أنهم محركون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا العارفون والعلماء الراسخون فانهم أدبروا بجهة أبصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متقبضة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهتة الأبصار الظاهرة ثم شاهدوا رموس تلك الخيوط في مناطات لها معلقة بها وشاهدوا تلك اللطائف متماض هي في أيدي ملائكة المحركين للسماوات وشاهدوا أيضا ملائكة السماوات مصروفة إلى حملة العرش ينظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يصوا الله الأمرهم ويضعون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن وقيل - وفي السماء رزقكم وما تنوعدون - وعبر عن انتظار ملائكة السماوات لما ينزل إليهم من القدر والأمر فقيل - خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما ليؤمنن أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما - وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص

أتى حاصم النبي وأخبره
بخبره قال اذهب
فادعه فجاء حاصم إلى
السكان الذي فيه رآه
فلم يجد له جاء إلى أهله
فوجده في بيت القرس
فقال له إن رسول الله
يدعوك فقال اكسر
الضبة فأبى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ما يبكيك
فأبى فقال أنا صليت
وأخاف أن تكون هذه
الآية نزلت في قال له
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أما ترضى أن
تمشي سيدا وتقتل
شيئا وتدخل الجنة
فقال قد رضيت بشرى
الله تعالى ورسوله ولا
أرضى سوى أبدا على

إذا هو قد أجبل عيسى على الله قد ذكر حديثا فيه أن عيسى قال : لو أن لآدم من اليقين هجرة
مشى على الماء وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل
لو عرفتم الله حق معرفته لشيتم على البحور وزالت بدعاتكم الجبال

الراسخين في العلم يعلمون لاحتمالها أنهم الخلق حيث قرأ قوله تعالى - ينزل الأمرينهن - فقال لو ذكرت ما عرفه من معنى هذه الآية لرجعتوني وفي لفظ آخر قلتم إنه كافر . ولتقتصر على هذا القدر وقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بمل الماملة مالميس منه فلترجع إلى مقاصد الشكر فتقول: إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون المبد مستعملا في إجماع حكمة الله تعالى فأشكر المباد أحيم إلى الله وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله لللائكة ولهم أيضا ترتيب ومانهم إلاله مقام معلوم وأعلام في رتبة القرب ملك اسمه إسرائيل عليه السلام وإمما علو درجتهم لأنهم في أنفسهم كرام وررة وقد أصلح الله تعالى بهم الأنبياء عليهم السلام وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض وبلى درجتهم درجة الأنبياء فأنهم في أنفسهم أخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق وعم بهم حكته وأعلام رتبة نبينا ﷺ وعليهم إذ أكل الله به الدين وحتم به النبيين وليمهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فأنهم في أنفسهم سالحو وقد أصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السالطين بالعدل لأنهم أصلحو دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولأجل اجتناب الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكل الله به صلاح دينهم ودنيائهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء ثم يلي العلماء والسالطين الصالحون الذين أصلحو أدينتهم ونفوسهم فقط فلم يتم حكمة الله بهم بل فيهم ومن عدا هؤلاء فجميع رفاع . واعلم أن السلطان بقوام الدين فلا ينبغي أن يستحق وإن كان ظالما فاسقا . قال عمرو بن الماس رحمه الله : إمام غشوم خير من فتنة يندوم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتتكرون ويغشون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فليتهم الوزر وعليكم الصبر (١) » . وقال سهل من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن آذاه من غير دعوة فهو جاهل . وسئل أي الناس خير قال السلطان قيل كناري أن شر الناس السلطان قال مهلا إن لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى علامة أبدانهم فيقطع في سجيته فيغفره جميع ذنبه وكان يقول الخشب السود للعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصيقصون .

(الركن الثاني من أركان الشكر ماعليه الشكر)

وهو النعمة فلندكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها وجامعها فيما يخص ويم فإن إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - فنقدم أمورا كلية تجري القوائين في معرفة النعم ثم نستعمل بذكر الأحاد والله الموفق للصواب .

(بيان حقيقة النعمة وأقسامها)

اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي

(١) حديث سيكون عليكم أمراء يغشون وما يصلح الله بهم أكثر الحديث مسلم من حديث أم سلمة يستعمل عليكم أمراء تعرفون وتتكرون ورواه الترمذي بلفظ سيكون عليكم أمراء قال حسن صحيح وللبزار بسند ضعيف من حديث ابن عمر السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر وإن جار أو خاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر وأما قوله وما يصلح الله بهم أكثر فلم أجده بهذا اللفظ إلا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فزع إليه الناس لما أنكروا سيرة الوليد بن عتبة فقال عبيد الله اصبروا فان جور إمامكم خمسين سنة خير من هرج شهر فأتى صحت رسول الله صلى الله عليه وسلم قول قد كرم حديثا والإمارة الفاجرة خير من الهرج رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به .

رسول الله فأنزل الله تعالى - إن الذين يفتنون أصواتهم عند رسول الله - قال أنس كنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يشي بين أيدينا فلما كان يوم الجمعة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهمزت طائفة منهم فقال أف هؤلاء وما يصنعون ثم قال ثابت لسان بن حذيفة ما كنا نقابل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم نبينا ولم يزالا يتقاتلان حتى قتل واستشهد ثابت كما وعد رسول الله

السعادة الآخروية وتسمية ماسواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تبني على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقاً ولكن يكون إطلاقه على السعادة الآخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويمن عليها إما بواسطة واحدة أو بواسطة فان تسميته نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يقضي إلى النعمة الحقيقية والأسباب للنية والذات للسعادة نعمة تشرعها بتسبيحات [القسم الأول] أن الأمور كلها بالإضافة إلى النيات تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعاً كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيها جميعاً كالجهل وسوء الخلق وإلى ما ينفع في الحال ويضر في الآل كاللذات بتأنيع الشهوات وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في الآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فانافع في الحال والآل هو النعمة تحقيقاً كالعلم وحسن الخلق والضرر فيها هو البلاء تحقيقاً وهو ضدهما والنافع في الحال للضرر في الآل بلاء محض عند ذوي البصائر وتظن الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلاً فيه سم فإنه يمد نعمة إن كان جاهلاً وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه والضرر في الحال النافع في الآل نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأقسام وجال الصحة والسلامة فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والمائل يمد نعمة ويتقده المنة عن يديه إليه وبقربه منه ويحب له أسبابه فلذلك تمنع الأم ولها من الحجابة والأب يدعو إليها فإن الأب لكامل عقله يلح العاقبة والأم لقرط حياء وقصورها تلتقط الحال والسي لجهل يتقده منة من أمه دون أبيه ويأنس إليها وإلى شفقتها ويقدر الأب عدواً له ولو عقل لعم أن الأم عدو باطن في صورة صديق لأن منبهاً إليها من الحجابة يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجابة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك تعمل به مالا يعمل به العدو [قسم ثانياً] اعلم أن الأسباب الدنيوية محتاجة قد امتازت خيرها شرها قلما يصفو خيرها كمالها والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب ولكن تنقسم إلى مانعة أكثر من ضرر كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب وإلى ما ضره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع وإلى ما يكافئ ضرره نفسه وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب إنسان صالح يستمتع بالمال الصالح وإن كثرت فنفقه في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حق من إنسان يستشعر القليل أيضاً إذ لا يزال مستصراً له شاكياً من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه [قسم ثالث] اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لذاته لا لغيره وإلى مؤثر لغيره وإلى مؤثر لذاته لا لغيره . فالأول ما يؤثر لذاته لا لغيره كمنه النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه ، وبالجملة سعادة الأخرى التي لا انتهاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها . الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض لأصل ذاته كالإمام والذاتير فان الحاجب لو كانت لا تنفعي بها لكانت هي والحصاة بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة إلى الذات سرية إلى الصالح إليها صارت عند الجهال محبوبة في نفسها حق . يجمعونها ويكثرونها ويصارفوا عليها بالرأى ويظنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصاً فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه من في حبه الرسول محبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولاً بتعبد الرسول ورماته وتقدمه وهو غاية الجهل والخلل . الثالث ما يقصد لذاته وليس له كالمصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بها على الله كره والتعبد الموصولين إلى لقاء الله تعالى أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات الدنيا لو قصد أيضاً لذاتها فان الإنسان وإن استغنى عن الشيء الذي أراد سلامة الرجل لأجله فربما أخذ سلامة الرجل

صل الله عليه وسلم
وعليه درع فراه
رجل من الصحابة بعد
موته في المنام فقال له
اعلم أن فلان رجلاً من
المسلمين تزج درعي
فلذهب بها وهو في
ناحية من العسكر
وعنده فرس يستن
في طيه وقد وضع على
درعي بركة فالتفت خالد
ابن الوليد فأخبره
حتى يتردد درعي وأنت
أبا بكر خليفة رسول
الله عليه السلام قتل
له إن طي ديناً حتى
يقضى عنى وفلان من
عبيدي عتيق فأخبر
الرجل خالداً فوجد
الدرع والفرس طي
ما وصفه فاسترد الدرع
وأخبر خالد أبا بكر

من حيث إنها سلامة فإذن لا يؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقاً وما يؤثر لذاته وتبنيه أضافه
 نعمة ولكن دون الأول فأما ما لا يؤثر إلا لتبنيه كالتقديس فلا يوصفان في أنفسهم من حيث إنهما
 جوهران بأنهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمراً ليس يمكنه
 أن يتوصل إليه إلا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة وبمهالكها التي هي ضرورة حياته استوى عنده
 الذهب والذئب فكان وجودهما ومنعهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شقته وجودهما عن الفكر
 والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة [قصة رابعة] اعلم أن الحيريات باعتبار آخر تنقسم
 إلى نافع ولذيد وجميل فاللذيد هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في الآل والجميل
 هو الذي يستحسن في مائر الأحوال . والشئور أيضاً تنقسم إلى ضار وقيح ومؤلم وكل واحد من
 القسمين ضربان مطلق ومقيد . فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم
 والحكمة فانهما ناعمة وجميلة ولذيدة عند أهل العلم والحكمة وأما في الشر فكالجهل فانه ضار وقيح
 ومؤلم وإنما يحس الجاهل بالجملة إذا عرف أنه جاهل وذلك بأن يرى غيره عالماً ويرى نفسه
 جاهلاً فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذينة ثم قد يمنه الحسد والكبر والشهوات
 البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه فانه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك نقصان
 وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذلك التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في
 عذاب دائم لا نهاية . والضرب الثاني للقيح وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض فرب
 نافع ومؤلم كقطع الأصبع للتأكل والسلمة الخارجة من البدن ورب نافع تيسر كالحق فانه بالإضافة
 إلى بعض الأحوال نافع فقد قيل استراح من لاعتله فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال إلى أن
 يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق
 فانه ضار للمال نافع لنفس في نجاتها والنافع قبحان ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الإيصال
 إلى سعادة الآخرة وأغنى بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما وإلى ما لا يكون ضرورياً
 كالسكنجبين مثلاً في تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها أيضاً بما يقوم مقامه [قصة خامسة]
 اعلم أن النعمة يبر بها عن حصيل لذيد والذلات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها
 أو مشاركتها لتبنيه ثلاثة أنواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع
 الحيوانات أما العقلية فكليلة العلم والحكمة إذ ليس يستلذه السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن
 ولا القروح وإنما يستلذه القلب لاختصاصه بصفة يبر عنها بالقل وهذه أقل اللذات وجوداً وهي
 أشرفها أما قلها فلأن العلم لا يستلذه إلا عالم والحكمة لا يستلذه إلا حكيم وما أقل أهل العلم والحكمة
 وما أكثر للتسكين بأحسهم ولترميم رسومهم وأما شرفها فلائها لازمة لاترول أبداً لافي الدنيا ولا
 في الآخرة ودائمة لأعمل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الواقع يفرغ منها فتستقل العلم والحكمة
 قط لا يتصور أن تعل وتستقل ومن قدر على الشريف الباقي أبداً الأباد إذا رضى بالحسب الثاني
 في أقرب الأماد فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وإدباره وأقل أمر فيه أن العلم والعقل لا يحتاج
 إلى أعوان وحفظه بخلاف المال إذ العلم يحرصك وأنت تحرص المال والعلم يزيد بالإغنى والمال
 ينقص بالإفلاق والمال يسرق والولاية يزول عنها والعلم لا تمتد إليه أيدي السراق بالأخذ ولا يبدى
 السلاطين بالزول فيكون صاحبه في روح الأمن أبداً وصاحب المال والجاء في كرب الخوف أبداً
 ثم العلم نافع ولذيد وجميل في كل حال أبداً والمال غارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب إلى النجاة
 ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وإن ساء خبراً في مواضع وأما قصوراً كثر الخلق

بتلك الرؤيا فأجاز
 أبو بكر وصيته قال
 مالك بن أنس رضى
 الله عنهما لا أعلم وصية
 أجيزت بعد موت
 صاحبها إلا هذه فهذه
 كرامة ظهرت لكاتب
 بحسن تقواه وأدبهم
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فليعتبر
 المرید الصادق ويعلم
 أن الشيخ عنده
 تدكر من الله ورسوله
 وأن الذي يعتمد مع
 الشيخ عوض ما لو كان
 في زمن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم واعتمده
 مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فلما قام القوم
 بواجب الأدب أخبر
 الحق عن حالهم وأثنى
 عليهم فقال - أولئك

عن إدراك لذة العلم فلما لعدم الدوق فن لم يذق لم يعرف ولم يشفق إذ الشوق تبع الدوق وإما الفساد أمرتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمرض الذي لا يدرك خلاوة العسل ويره مرأ وإما لقصور فطنتهم إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السنان ولا يستلذ إلا اللبن وذلك لا يدل على أنها ليست لذبة ولا استطابتة اللبن تدل على أنه ألد الأشياء فاقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة إما من لم يحى بطنه كالطفل وإما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى - في قلوبهم مرض - إشارة إلى مرض العقول وقوله عز وجل - لننذر من كان حيا - إشارة إلى من لم يحى حياة بطنه وكل حى بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من اللوث وإن كان عند الجاهل من الأحياء ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وإن كانوا موتى بالأبدان . الثانية لذة يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلفة الرياضة والقلية والاستيلاء وذلك موجود في الأسود والفيل وبعض الحيوانات . الثالثة يشارك فيها سائر الحيوانات كلفة البطن والفرج وهذا كثرها وجودا وهي أحسنها ولذلك اشترك فيها كل مذهب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تثبت به لذة القلبية وهو أعدها التصاقا بالناقلين فان جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لاسيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين ولا يتأهل تمامها إلا بالفرج استيلاء حب الرياضة من القلب وأخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرياضة وأما شمر البطن والفرج فكمه مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياضة لا تقوى على كسرهما إلا الصديقون فأما قهها بالسكية حتى لا يقع بها الإحساس على الصوم وفي اختلاف الأحوال فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر ، نعم تطلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الإحساس بلذة الرياضة والقلبية ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تقربه القترات فتعود إليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام قلب لا يجب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري مائدة المعرفة وماعنى الأنس بالله وإيمانه بالجهاد والرياضة والدال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بعرفته والفكر فيه ولكن قد يمتريه في بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويمتريه في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الأول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية العدم وأما الثاني فالدنيا طائفة به وأما الثالث والرابع فوجدان ولكن على غاية التدور ولا يتصور أن يكون ذلك إلا نادرا شاذا وهو مع التدور يشاؤ في القلة والكثرة وإيمانه تكون كثرته في الأعصار القريبة من أعصار الأتيام عليهم السلام فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب في أن تحرب الساعة ويغضى الله أمرا كان مغفولا وإنما وجب أن يكون هذا نادرا لأنه مبادئ ملك الآخرة والملك عزز واللوك لا يكثران فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال إلا نادرا وأكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فإن الدنيا مرآة الآخرة فانها عبارة عن عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم القيب وعالم الشهادة تابع لعالم القيب كما أن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فانها أولى في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة أولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فالقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة والقلب التأخر متقدما وهذا نوع من الإنعكاس

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - أي اختبر قلوبهم وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه وكان اللسان ترجمان القلب وتهدب اللفظ لتأدب القلب فهذا ينبغي أن يحكون السريد مع الشيخ . قال أبو عبيان الأديب عند الأكاير وفي مجالسة السادات من الأولياء يبلغ صاحبه إلى الدرجات الصلا والحري في الأولى والعقبي الأتري إلى قول الله تعالى - ولواهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم - وبما علمهم الله تعالى قوله سبحانه - إن الذين ينادونك من وراء الحجرات

ولكن الانعكاس والانعكاس ضرورة هذا العالم فذلك عالم الملك والشهادة عماك لعالم الغيب ولللكوت فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويصير به إلى عالم لللكوت فيسمى عبوده عبدة وقد أمر الحق به فقال - فاعتبروا يا أولي الأبصار - ومنهم من سميت بصيرته فلم يتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستفتح إلى حيسه أبواب جهنم وهذا الحبس محلول فأنار من فأتها أن تطلع على الأئمة إلا أن بين إدراك أهلها حجابا فإذا رفع ذلك الحجاب بالوت أدرك وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين فذلك قال الله تعالى - لا توتلون علم اليقين لترون الجحيم - أي في الدنيا - ثم لترونها عين اليقين - أي في الآخرة فإذا قد ظهر أن القلب الصالح للملك الآخرة لا يكون إلا عزرا كالشخص الصالح للملك الدنيا .

(قصة سادسة حاوية لمجامع النعم)

اعلم أن النعم تنقسم إلى ما هي فاية مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية أما الغاية فأنها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور : بقاء لافناء ولوسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر بيده وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يعيش إلا يعيش الآخرة » وقال ذلك مرة في الشدة تسلياً للنفس وذلك في وقت خسر الخندق في حدة الضر وقال ذلك مرة في السرور منافع للنفس من الركون إلى سرور الدنيا وذلك عند إحدائق الناس به في حبة الوداع وقال رجل « اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهل تعلم تمام النعمة قال لا قال تمام النعمة دخول الجنة » وأما الوسائل فتقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني وإلى ما يليه في القرب ويجاوز إلى غير البدن كالأسباب اللطيفة بالبدن من اللال والأهل والعشيرة وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجية عن النفس وبين الحاصلات للنفس كالترقيق والمهادنة فهي إذن أربعة أنواع : النوع الأول وهو الأخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشغال أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق وتنظيم الإيمان إلى علم للكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسوله وإلى علوم للعامة ، وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين ترك مقتضى الشهوات والنفس وبهمة العفة ومراعاة الصلوات والكف عن مقتضى الشهوات والإقدام حتى لا يمتنع أصلاً ولا يقدم كيف شاء بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان البديل الذي أنزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إذ قال تعالى « أن لا تطغوا في اللبازان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا اللبازان » فمن خشي نفسه ليزل شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والأمن من الآفات أو ترك الأكل حتى يضره من الباردة والذكر والفكر قد أضر اللبازان ومن أهمل في شهوة البطن والفرج فقد طغى في اللبازان وإنما البديلان غلاوزة وتقديره عن الطغيان والحسرة تقتبدل به كفتا اللبازان فإذا انقضت الحاسة بالنفس القربة إلى الله تعالى أربعة علم مكشوفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا لنوع الثاني وهو الفضائل البدنية

أكثرهم لا يقولون -
وكان هذا الحال من
وقد بنى تيمم جاء إلى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنادوا يا محمد
أخرج إلينا فان مدحنا
زين وذمنا حين قال
فسمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم غرغ
إليه وهو يقول « إنما
ذلكم الله الذي ذمه
حين ومدحه زين » في
صفة طويلة وكانوا أنوا
بشاعرهم وخطيبهم
فطلبهم حسان بن ثابت
شعبان الهاجري
الأصبار بالحطبة وفي
هذا تأدب للبريد في
الدخول على الشيخ
والإقدام عليه وتركه
الاستئجال وصبره إلى
أن يخرج الشيخ من

- (١) حديث قوله عند خسر الحق في لا يعيش إلا يعيش الآخرة متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث قوله في حبة الوداع لا يعيش إلا يعيش الآخرة الشافعي مرسلاً والحاكم متصلًا وصححه وتقدم في الحج
- (٣) حديث قال رجل اللهم إني أسألك تمام النعمة الحديث الترمذي من حديث معاذ بن سعد بن حسن

وهي أربعة الصحة والدوة والجمال وطول العمر ولا تنبأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي التمس الخارجة للطيفة بالبدن وهي أربعة للال والأهل والجاه وكرم العشرة ولا يتنوع شيء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة : هداية الله ورشده وتسيده وتأييده ، فجموع هذه التمس ستة عشر إذا قسمناها إلى أربعة وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة . أما الحاجة الضرورية فمكساجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سييل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة البتة إلا بهما فليس للإنسان إلا ما سمي وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا فمكساجة حاجة الفضائل النفسية التي تكسب هذه العلوم وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن ضروري . وأما الحاجة النافعة على الجملة فمكساجة هذا العلم لنفسه والبدنية إلى التمس الخارجة مثل للال والمز والأهل فان ذلك لو عدم ربما بطرق الخلل إلى بعض التمس الداخلة فان قلت : فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى التمس الخارجة من للال والأهل والجاه والعشرة . فاعلم أن هذه الأسباب جارية مجرى الجناح البالغ والآلة السهلة المقصود . أما للال فاقتير في طلب العلم والكمال وليس له كفاية : كساع إلى الميضا بغير سلاح ، وكبلازى يوم الصيد بلا جناح ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « نعم للال الصالح للرجل الصالح ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « نعم اللون على تقوى الله للال ^(٢) » وكيف لا ومن عدم للال صار مستغرق الأوقات في طلب الأوقات في تهيئة لباس والسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لأبواب من الأذى تشغله عن الذكر والقسر ولا تتدفع إلا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفانسة الخيرات . وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما التمس فقال : التقى فاني رأيت الفقير لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال الأمن فاني رأيت الخائف لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال العافية فاني رأيت للمرض لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال الشباب فاني رأيت الهرم لا يعيش له ، وكان ما ذكره إشارة إلى تيمم الدنيا ولكن من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافى في بدنه آمنأى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بهذا » وأما الأهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعم اللون على الدين المرأة الصالحة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم في الولد « إذا مات السيد انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له ^(٤) » الحديث وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح ، وأما الأقارب فبعضها أكثر أولاد الرجل وأقاربها كانوا له مثل الأعين والأيدي فيستبره في بينهم من الأمور الدينية المهمة في دينه ما لو اتوا به بطال شغله وكل ما يفرغ قلبه عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو إذن نعمة . ولما لمز

موضع خلوة . سمعت أن الشيخ عبد القادر رحمه الله كان إذا جاء إليه فقير زائر يخرج بالفقير ليخرج ويشتت جانب الباب ويصانع الفقير ويسلم عليه ولا يجلس معه ويرجع إلى خلوة . وإذا جاء أحد ممن ليس من زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه غطرا لبعض الفقراء نوع إنكار تركه الخروج إلى الفقير وخروجه لتسير الفقير فانهى ما خطر للفقير إلى الشيخ فقال الفقير رابقتا معه رابطة كلية وهو أهل وليس عند أبيه فكنيت به بموافقة الفقير

(١) حديث نعم للال الصالح للرجل الصالح أحمد وأبو يلى والطبراني من حديث عمرو بن الحارث بسند جيد (٢) حديث نعم اللون على تقوى الله للال أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر ورواه أبو القاسم البغوي من رواية ابن المنكدر من سلاطين طريقه رواه القضاة في مسند الشهاب هكذا من سلا (٣) حديث من أصبح معافى في بدنه كسأ في سربه الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث عبيد الله بن حسن الأنصاري وقد تقدم (٤) حديث نعم اللون على الدين المرأة الصالحة لم أجده إسناداً ولمس من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في مسند أبيه وغيره منافع الدنيا من (٥) حديث إذا مات السيد انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبي هريرة في النكاح .

والجاء فيه يدفع الإنسان عن نفسه القتل والضمير ولا يستغنى عنه مسلم فإنه لا ينفعك عن عدو يؤذيه وعظم يشوش عليه عمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وإنما تدفع هذه الشواغل بالزوال والجاه وكذلك قيل الدين والسلطان توأمان . قال تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - ولا معنى للجاه إلى ملك القلوب كالألماع التي لا يملكها إلا الله ومن ملك الدرهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه فكما يحتاج الإنسان إلى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج أيضاً إلى من يدفع الشر به عن نفسه ، وعلى هذا التصديان الأنبياء الذين لا يملك لهم ولا سلطة راعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لاطمئنان قصد التناول من خزانهم والاستئثار والاستكثار في الدنيا بما يتيسر ولا تظن أن نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكل دينه وأظهره على جميع أعدائه ويمكن في القلوب جبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى اختفى إلى الحرب والهجرة (١) ، فإن قلت كرم العشرة وشرف الأهل هو من النعم أم لا ؟ أقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » (٢) ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة في نسب آدم عليه السلام (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « تغيروا لتظنكم الأكرام » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم وخضراء الدين ، قتل وما خضراء الدين » قال للراة الحسناني للنبى السوء (٥) « فهذا أيضاً من النعم ولست أعنى به الاتساع إلى الظلمة وأرباب الدنيا بل الاتساع إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة السوء وإلى الصالحين والأرباب للتوصيى بالعلم والعمل . فإن قلت لما معنى الفضائل البدنية . فأقول لاختفاء بشدة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى

وقنع بها عن ملاقة
الظاهرة بهذا القدر
وأما من هو من غير
جنس التسقراء فهو
واقف مع العادات
والظاهر ففى لم يوف
حقه من الظاهر
استوحش خلق للرب
عمارة الظاهر والباطن
بالأدب مع الشيخ ،
قيل لأن منصور
للشعرى كم صحبت
أبا عثمان قال خدمته
لاصبته فالصبية مع
الإخوان والأقران
ومع الشايع الخدمة
وينبى للمريد أنه كل
أشكى عليه شيء من
حال الشيخ يدكر قصة
موسى مع الحضر عليهما
السلام كيف كان
الحضر يفعل الأشياء

(١) حديث ما ناله صلى الله عليه وسلم من الأذى ونحوه حتى اختفى إلى الحرب والهجرة البخارى ومسلم من حديث عائشة أنها قالت لنبى صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم القبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد الله بن الحديث والترمذى وصحبه وابن ماجه من حديث أنس لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوديت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه يبط بال قال الترمذى معنى هذا حين خرج إلى مكة هارباً من مكة ومعه بلال وللبخارى عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أحد ما صنع للشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبى معيط جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يسلى فوضع رداءه في عنقه تخففة خفاشاً يدعى أبو بكر فدفعه عنه الحديث ولينزل وأنى على من حديث أنس قال لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشى عليه فقام أبو بكر فجعل ينادى ويلكم اتقوا رجلاً أن يقول ربي الله وإسناده صحيح على شرط مسلم (٢) حديث الأئمة من قريش النسائي والحاكم من حديث أنس باسناد صحيح (٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم من أكرم أرومة في نسب آدم . الأرومة الأصل هذا معلوم فروى مسلم من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم وفى رواية الترمذى إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والطلب بن ربيعة وصححه والطلب بن أبى وداعة وحسنه إن الله خلق الخلق فبصلنى من خيرهم وفى حديث ابن عباس بما يال أقولم ينتدولون أصلى فوالله أنا أفضلهم أصلاً وخيرهم موصفاً (٤) حديث تغيروا لتظنكم ابن ماجه من حديث عائشة وتقدم في التكاثر (٥) حديث إياكم وخضراء الدين تقدم فيه أيضاً .

طول العمر إذ لا يتم علم وعمل إلا بهما ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى ^(١) » وإنما يستحق من جملة أمر الجلال فيقال يكنى أن يكن بدن سلبا من الأمراض الشاغلة عن تحرى الخيرات ، ولعمري الجلال قليل التناء ولكنه من احيرات أيضا أما في الدنيا فلا يخفى فقه فيها وأما في الآخرة فمن وجهين : أحدهما أن القبيح مذموم والطابع عنه نافرة وحاجات الجليل إلى الاجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه يحتاج مبلغ كماله والجاه إذ هو نوع قدرة إذ يقدر الجليل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فعين على الآخرة بواسطتها . والثاني أن الجلال في الأكثر يدل على فضيلة النفس لأن نور النفس إذا تم إشراقه تآدى إلى البدن فالنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب القراسة في معرفة مكارم النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ، ولذلك يظهر فيه أثر التضبط والسرور والنعم ، ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان مافي النفس ، وقيل مافي الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن مافي ، واستعرض للأمو ن جيبشا فرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فإذا هو السكن فأسقط اسمه من الاديوان وقال الروح إذا أشرقت على الظاهر فصباحة أروى الباطن فصباحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا الخير عند صباح الوجوه ^(٢) » وقال عمر رضي الله تعالى عنه : إذا بشتم رسولا فاطلبوه حسن الوجه حسن الاسم . وقال الفقهاء : إذا تساوت درجات المصلين فأحسنهم وجها أولا ثم بالامامة ، وقال تعالى « محتابك وزاده بسطة في العلم والجسم » - ولنا نرى بالجمال ما يعرك الشهوة فان ذلك أنوثة وإنما نرى به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الأعضاء وتتأصف خلقه الوجه بحيث لا يتجاوز الطباع عن النظر إليه . فان قلت قد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم ، وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) وكذا العلماء قال تعالى - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - وقال عز وجل - إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال صلى الله عليه وسلم : الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه ، وقيل لله نفسه لأبويه فله معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرما . فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألفاظ للنقولة للوثة والمهمات المختصة كان الضلال عليه أغلب مالم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك العلوم على ما هي عليه ثم ينزل النقل على وفق مظهره منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا يميل إلى جدها إلا أن فيها فتنا وخاف ، فثال للمال مثال الحية التي فيها تريق نافع وسم نافع فان أصابها للعزم الذي يرف وجه الاحتراز عن مهاب وطريق استخراج تروايقها النافع كانت نعمة وإن أصابها السوادى أضر فهي عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذي تحت أمتاف الجواهر والألآء فمن ظفر باليسر فان كان عالما بالسباحة وطريق التوصل وطريق الاحتراز عن

(١) حديث أفضل السعادة طول العمر في عبادة الله غريب بهذا اللفظ ولترمذى من حديث أبي بكر أن رجلا قال يا رسول الله أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح (٢) حديث اطلبوا الخير عند حسن الوجوه أبو يعلى من رواية إسماعيل بن عياش عن خيرة بنت عهد بن ثابت بن سباع عن أمها عائشة وخيرة وأما لا أعرف حالهما ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء واليهيقي في الشعب من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضعيفة (٣) حديث ذم المال والجاه الترمذى من حديث كعب بن مالك ما ذبان جالمان أرسلوا في غم فأفسد لهما من حب المال والتصرف له به وقد حمى في ذم المال والبخل

يشكرها موسى وإذا أخبره الخبر بسرهما يرجع موسى عن إنكاره لما ينصكره الريد لقلعه بحقيقة ما يوجد من الشيع فليشيخ في كل شيء عسدر بلسان العلم والحكمة - سأل بعض أصحاب الجنيذ مسألة من الجنيذ فأجابه الجنيذ فعارضه في ذلك فقال الجنيذ فان لم تؤمنوا لى فاعتزلوا وقال بعض الشاع من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك الأدب ، وقيل من قال لأستاذ لا ، لا يخلع أبدا . أخبرنا شيخنا ضياء الدين عبد الوهاب بن حلى

مهلكات البحر فقد ظفر بتممه ، وإن خاضه جاهلا بذلك فقد هلك فذلك مدح الله تعالى السال
وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « نعم المون على تقوى الله تعالى المال »
وكذلك مدح الجاه والعز إذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بأن أظهره على الدين كله
وحبه في قلوب الخلق وهو اللقي بالجاه ولكن للتقوى في مدحهما قليل وللتقوى في ذم اللال والجاه
كثير ، وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه ، إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب . ومعنى الجاه ملك
القلوب وإنما كثر هذا وقل ذلك لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لجة اللال وطريق
التوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم اللال قبل الوصول إلى ترياقه ويهلكهم
عساح بحر الجاه قبل الشور على جواهره ولو كانت في أيها مدمومين بالإضافة إلى كل أحد لما
نصرو أن يضاف إلى النبوة لذلك كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولأن يضاف إليها النقي كما كان
لسليان عليه السلام فالناس كلهم صبيان والأموال حيات والأنبياء والعارفون معزومون قد يضر الصبي
ملا يضر للزعم ، نعم اللزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لأجل
ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية إذا رآها ليحب بها فربك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ
الولد فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغيره في حفظ الولد ، فإذا كان يقدر على الصبر عن
الترياق ولا يستر به ضررا كثيرا ، ولو أخذها لأخذها الصبي وعظم ضرره بهلاكه فواجب
عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها ويشير على الصبي بالمهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرفه أن
فيها ساءا قاتلا لا ينجو منه أحد ولا يجده أصلا بما فيها من قبح الترياق فان ذلك ربما يضره فيقدم عليه
من غير تمام المعرفة وكذلك القواس إذا علم أنه لو طاف في البحر جبرأئيل من ولده لا يمهو هلك فواجب
عليه أن يجلد الصبي ساحل البحر والنهر ، فان كان لا ينجو الصبي بمجرده الرجوع مهما رأى والده
يعوم حول الساحل فواجب عليه أن يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه يدين فذلك
الأمة في حجب الأنبياء عليهم السلام كالصبيان والأغنياء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم
مثل الولد لولده ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تنهاون على النار تنهاون على القرائش وأنا أخذ
بحجزكم ^(٢) » وحظهم الأوفر في حفظ أولادهم عن الهالك فانهم لم يشعروا إلا ذلك وليس لهم في اللال
حظ إلا بقدر القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وماضى فلم يمكوه بل أنهموه فان الاتفاق
فيه الترياق وفي الامساك السلم ولو فتح للناس باب كسب اللال ورغبوا فيه مالوا إلى سم الامساك
ورغبوا عن ترياق الاتفاق فذلك قبض الأموال وللغنى به تيسير إمساكها والحرس عليها الاستكثار
منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون إلى الدنيا ولذاتها فأما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفائض
إلى الخيرات فليس بعموم وحق كل مسافر أن لا يحمل إلا بقدر زاده في السفر إذ اضمم الزعم على أن
يغنص بما يحمله . فأما إذا صحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرقاء فلا بأس بالاستكثار
وقوله عليه الصلاة والسلام « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزادراك ^(٣) » معناه لا تقسم خاصة

قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
الترياق قال أنا أبو محمد
الجراسمي قال أنا
أبو السباس المحبوبي قال
أنا أبو عيسى الترمذي
قال حدثنا هناد عن
أبي معاوية عن
الأعمش عن أبي صالح
عن أبي هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « أتروني
ما تركتكم وإذا
حدثتكم غلظوا على
فإنما هلك من كان
قبلكم بكثرة سؤالهم
واختلافهم على أنبيائهم »
قال الجنيد رحمه الله
رايت مع أبي حفص
التيسابوري إنسانا
كثير الصمت لا يحكم
قلبت لأصحابه من هذا

- (١) حديث إنما أنا لكم مثل الولد لولده مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله لولده وقد تقدم
- (٢) حديث إنكم تنهاون على النار تنهاون على القرائش وأنا أخذ بحجزكم صحيح من حديث
أبي هريرة بلفظ مثل ومثل الناس . وقال مسلم ومثل أمي كمثل رجل استوفد نارا فجعلت للدواب
والقراش يقطن فيه فأنا أخذ بحجزكم وأنهم يقتحمون فيه ولمسلم من حديث جابر وأنا أخذ بحجزكم
عن النار وأنهم ضلثون من يدى (٣) حديث ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزادراك وأبى ابن ماجه

والإله كان فيمن يروي هذا الحديث ويعمل به من بأخذ مائة ألف درهم وموضع واحد وبغفرها في موضعه ولا يمسك منها حبة » ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه فأذن له فزل جبريل عليه السلام ، وقال : مره بأن يطعم المسكين ويكسو العاري ويرى الضيف (١) الحديث. فأذن النعم الدينية مشوبة قد امتزج دواؤها بدائها ومرجوها بمخوفها ونفسها بغيرها فمن وثق يصبرته وكالم معرفة فله أن يقرب منها متيقا داءها ومستغربا دواها ، ومن لا يثق بها فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الأخطار فلا تبدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وم المخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهدهاء لطرئته . فان قلت : فما معنى النعم التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتسديد . فاعلم أن التوفيق لا يستثنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلقيق بين إرادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما أن الإلحاد عبارة عن الليل يخص بمن مال إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق ولذلك قيل :

إذا لم يكن عون من الله لفتى فأكثر ما يفتي عليه اجتاده

فأما الهداية فلا سبيل لأجد إلى طلب السعادة إلا بها لأن داعية الانسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن أين ينفعه مجرد الإرادة فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية ولذلك قال تعالى سبحانه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وقال تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكن منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكن من يشاء - وقال صلى الله عليه وسلم « ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى أي بهديته فليل ولا أنت يا رسول الله قال ولانا (٢) . » وللهداية ثلاث منازل : الأولى معرفة طريق الخير والشر للشار إليه بقوله تعالى - وهديناه النجدين - وقد أتم الله تعالى به على كافة عباد به بشة بالعقل وببشه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى - وأما عود فقد ينهم فاستجوا للصمى على الهدى - فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصار العقول وهي مبدولة ولا يمنع منها إلا الجسد والكبر وح الله بنا والأسباب التي تسمى القلوب وإن كانت لا تسمى الأبصار قال تعالى - فاتها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور - ومن جملة النعميات الإلف والعادة وح استحبابها وعنه البشارة بقوله تعالى

والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال بلغة وقال مثل زاد الراكب وقال صحيح الاسناد . قلت هو من رواية أبي سليمان عن أبيه عن غير مسمين وقال ابن ماجه عهد إلى أن يكفى أحدكم مثل زاد الراكب (١) حديث استئذان عبد الرحمن بن عوف أن يخرج عن جميع ما يملكه لما ذكر أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة فأذن له فزل جبريل فقال مره أن يطعم المسكين الحديث الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد . قلت : كلا فيه خلاف بن أبي مالك ضيف جدا (٢) حديث ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله متفق عليه من حديث أبي هريرة أن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتخمدني الله بفضلته ورحمة وفي رواية لمسلم ما من أحد يدخل عمله الجنة الحديث وافقنا عليه من حديث عائشة ولقرد به مسلم من حديث نيار وقد تنعم .

قيل لي هذا إنسان يصحب أبا حفص وعشمتنا وقد أتفق عليه مائة ألف درهم كانت له واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه ما يسوغ له أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة وقال أبو زيد البسطامي صحبت أبا حفص السندی فكنيت ألقبه ما يقم به فرضه وكان يطلى التوحيد والحقائق صرفا . وقال أبو عثمان صحبت أبا حفص وأنا غلام حدث فطردني وقال لا تجلس عندي فلم اجعل مكانا في له على مكانه أن أولى ظهري إليه فاضرفت أمه إلى خلف ووجسي مقابلة له حتى خبت

- إنا وجدنا آباءنا على أمة - الآية وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى - وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - وقوله تعالى - أيسرا منا واحدا نتبعه فنهذه للعبيات هي التي منعت الاعتداء والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي عد الله تعالى بها العبد حالا بمد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو للراغب قوله تعالى: - والذين اعتنوا زادهم هدى - والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بمد كمال المجاهدة فيبتدى بها إلى ما لا يبتدى إليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وإيمان تكامل العلوم وهو الهوى للطلق وماعده حجاب له ومقدماته وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكل من جهة تعالى فقال تعالى - قل إن هدى الله هو الهدى - وهو للمسمى حياة في قوله تعالى - أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس - والعنى بقوله تعالى - فأشرف الله صدره للإسلام فهو في نور من ربه - وأما الرشد فعنى به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجيهه إلى مقاصد تقوية على ما فيه صلاحه وتثبته عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى - ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عاقلين - فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها فالشيء إذا بلغ خيرا يحفظ للال وطرق التجارة والاستقاء ولكنه مع ذلك يندرج ولا يرد الاستقاء لا يسمى رشدا لعدم هدايته بل قصور هدايته عن تحريك داعيته فكيف من شخص يقدم على ما يميل أنه يضره فقد أعطى الهداية وميزها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره ولكن ما أعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة . وأما التسديد فهو توجيه حركاته إلى صوب اللطوب وتيسرها عليه ليستد في صوب الصواب في أسرع وقت فان الهداية بمجرد ذلك لا تكفي بل لابد من هداية محركة لداعية وهي الرشد الذي لا يمكن بل لابد من تيسر الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم الراد مما انبثت الداعية إليه فالهداية هي التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتسقيط وتتحرك والتسديد إمانة ونصرة بتحريك الأعضاء في صوب السداد وأما التأيد فكأنه جامع لكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالصبر من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو الراد بقوله عز وجل - فإذا يدتك بروح القدس - وتقرب منه الصمة وهي عبارة عن وجود إلهي يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخيرو تجنب الشر حتى يصير كإنع من باطنه غير محسوس وإلاه عنى بقوله تعالى - ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه - فهذه هي جامع التعم . ولأن تثبت الإيجاب قوله الله من التعم الصافي الثاقب والسع الواعي والقلب البصير للتواضع للرأى ولعلم الناصح وللأل الرائد على ما يقصر عن الهبات بقلته الله عز وجل يشغل عن الذين بكثرة العلم الذي يصونه عن سفة السفاه وظلم الأعداء ويستدعى كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسبابا وتستدعى تلك الأسباب أسبابا إلى أن تنتهي بالآخره إلى دليل التحيرين وملجأ المضطرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاء فلقد ذكر منها أمودجا ليعلم معنى قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - والله التوفيق .

(بيان وجه التأمؤج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء)

اعلم أنا جمعا التعم في ستة عشر ضربا وجعلنا محبة البدن نعمة من التعم الواضحة في الرتبة للآخره فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصى الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لم تقدر عليها ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلقد ذكر نعمة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل فلا يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لابد لها من جسم متحرك هو لها ولا بد لها من قدرة على

عنه واعتقدت أن أحسبر لنفسى بئرا على بابها وأزل وأقد فيه ولا أخرج منه إلا بأذنه ففأرى ذلك منى قريبي وقبلى وصيرنى من خواص أصحابه إلى أن مات رحمه الله ومن آدابهم الظاهرة أن للريد لا يسقط سجداته مع وجود الشيخ إلا لوقت الصلاة فان للريد من شأنه التبتسل للخدمة في السجادة إعاء إلى الاستراحة والتعز ولا يتحرك في السماع مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حد التقيز وهيبة الشيخ تملك المسريد عن الاسترسال في السماع وتقيده واستغراقه في

الحركة ولا بد من إرادة الحركة ولا بد من علم بالمراد وإدراك له ولا بد للأكل من مأكل ولا بد للأكل من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فان ذكر أسباب الادراك ثم أسباب الارادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب للأكل على سبيل التلويح لاطى سبيل الاستقصاء .
(الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك)

اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجوده من الحجر وللحجر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنبى ولا تنفذ فإن النبات خلق فيه قوة بها يجذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في الأرض وهي له آلات فيها يجذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة ثم تلتصق أصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب إلى عروق شعيرة تنبسط في أجزاء الورقة حتى تخب عن البصر إلا أن النبات مع هذا الكمال ناقص فانه إذا أعوزته غذاء يساق إليه ويمس أصله جف وليس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فإن الطلب إنما يكون بعمرة الطلوب وبالاتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الادراك فأولها حاسة اللمس وإبما خافت لك حتى إذا مسكت نار عمرة أوسيف جرح تحس به قهره منه وهذا أول حس خلق للحیوان ولا تصور حیوان إلا ويكفون له هذا الحس لأنه لم يحس أصلاً فليس بحیوان وأقصى درجات الحس أن يحس بما لا يلاصقه ويمسه فإن الاحساس مما يمد منه إحساس أهم لأحواله وهذا الحس موجود لكل حیوان حتى الدودة التي في الطين فانها إذا فرز فيها إبرة اقتضت للهرب لا كالبات لأن النبات قطع فلا يقبض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم تخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصاً كالبدوة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يحس بدتك تحس به فتجذبه إلى نفسك قطعاً فافترض إلى حس تدرك به ما يد عنك خلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدرك أيها جات من أي ناحية فتحتاج إلى أن تطوف كثيراً من الجوانب فرمما تشر على الغذاء الذي شممت ورمم على ما تشر فتكون في غاية نقصان لو لم تخلق لك إلا هذا خلق لك البصر لتدرك به ما يد عنك وتدرك جهته فتفسد تلك الجهة بينما إلاته لو لم تخلق لك إلا هذا لكنت ناقصاً إذ لا تدرك به ما وراء الجدران والحجب تبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدواً لا حجاب بينك وبينه وأما بينك وبينه حجاب فلا تبصر وقد لا يكشف الحجاب إلا بعد قرب العدو فتعجز عن الحرب فتخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لأنك لا تدرك بالبصر إلا شيئا حاضراً وأما القالب فلا يعنك معرفته إلا الكلام ينظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت إلى حاجتك فتخلق لك ذلك ويمرت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان في نفسك لو لم يكن لك حسن التدقيق فيبذل الغذاء إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يسب في أصلها كل مانع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكتفيك لو لم تخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر يسمى حساً مشتركاً تأدى إليه هذه الحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الأمر عليك فانك إذا أكلت شيئاً أسفر مثلاً فوجدت مراً عاقلاً لك قتر كته فاذا رأيت مرة أخرى فلا ترفهاً مراً مضراً مالم تذوقه ثانياً لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك الرائحة فكيف تتجمع عندك التدقيق يدرك الرائحة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفرة والرائحة جميعاً حتى إذا أردت الصفرة حكم بأنه من قيمت عن تناوله ثانياً وهذا كله تشاركك فيه الحيوانات إذ لا شأن هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك إلا هذا لكنت ناقصاً فإن البهيمة يحتمل عليها فتؤخذ لتدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف

الشيخ بالنظر إليه ومطالعة موارد فضل الحق عليه أنجح له من الإساءة إلى السامع ومن الأدب أن لا يكتم على الشيخ شيئاً من حاله ومواقب الحق عنده وما يظهر له من كرامة وإجابة وحكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه وما يستحي من كشفه يذكره إماماً وتمريراً فان الريد متى انطوى ضميره على شيء لا يكشفه الشيخ تمريراً أو تمريراً بصير على باطنه منه عقدة في الطريق وبالقول مع الشيخ تحل العقدة وتزول ومن الأدب أن

تخلص إذ اقتيدت وقد تلقى نفسها في بئر ولا تدرى أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال تمرض وتموت إذ ليس لها إلا الاحساس بالحاضر فأما إدراك العواقب فلا يترك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرى كضرر الأطلمة وينفعها في الحال والكل وبه تدرى كيفية طبخ الأطلمة وتأليفها وإعداد أسباغها فتشبع بعقلها في الأكل الذي هو سبب هتكه وهو أحسن فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة في عاله وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار للوكيلين يوحى للملكة وقد وكلت كل واحدة منها بأمر يخص به فواحدة منها بأخبار الألوان والأخرى بأخبار الأصوات والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار الطعوم والأخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة واللاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتصون الأخبار من أقطار الملكة ويسلونها إلى الحس المشترك الحس المشترك قاعدة في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب في باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي عتومة ويسلمها لإدليس له إلا أخذها وحسها وحفظها فأما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير ولللك سلم الإتيان آت إليه عتومة فيفتشها لللك ويطلع منها على أسرار الملكة ويحكم فيها بأحكام محيية لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يوافق لمن الأجسام والصالح محرك الجنود وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الحرب ومرة في إتمام التدبيرات التي تعين له فهذه سياقة نعمته الله عليك في الإدراكات ولا تظن أن استوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الإدراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركب العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الأغشية كأنها نسج الضيכות وبعضها كالشمعة وبعض تلك الرطوبات كأنه يابس والبصر وبعضها كأنه الجلد ولكل واحدة من هذه الطبقات الشئ صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أوصفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وهجز عنه الألباء والكاحلون كلهم فهنا في حس واحد قصص بعاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع أن جملة لا تزيد على جوة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وهما به نعمته الله تعالى في خلق الإدراكات.

(الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الارادات)

لا يدخل في صفة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قيم تأديبه وتهذيبه وأنه أقوم بالتأديب من غيره ومضى كان عند الريد تطلع إلى شيخ آخر لاتفوه صيته ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ إليه فان الريد كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته والمجبة والتألف هو الواسطة بين للزيد والشيخ وعلى قدر قوة المجبة تكون سراية الحال لأن المجبة علامة التماثل والتماثل علامة الجنسية والجنسية جالبة للريد حال الشيخ أو بعض حاله

اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرى به الغذاء من يدوم لخلق لك لسان الطبع وشوق إلى الشهوة تستحق على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو أشفق الأشياء له وقد سقط شهوته فلا يتناول فيبقى البصر والإدراك معطلا في حقه فاضطرت إلى أن يكون له ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة وشرة مما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطانها عليك ووكالها بك كالتفاضي الذي يضطررك إلى تناول حتى تتناول وتغذى فتبقى الغذاء وهذا مما يشارئك فيه الحيوانات دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكك فسك فخلق الله لك الكراهة عند التسبع لخلق الأكل بها لا كالزروع فإنه لا يزال يحتلب الماء إذا أصب في أسفه حتى يسعد فيحتاج إلى آدمي يسعد غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقط عنه الماء أخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى بعد ذلك خلق لك شهوة الجماع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك هجاب صنع الله تعالى في خلق الرحم وتعلق

دم الحيز وتأليف الجبين من التي ودم الحيز و ذيفه خالق الأشدين والعروق السالكة اليها من القادر الذي هو مستقر النطفة وكيفية اضباب ماء المرأة من التراب بواسطة العروق وكيفية اقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتة في بعضها فتتشكل بشكل الإناث وكيفية إدارتها في أطوار خلقها مضغة وعقلة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ويد ورجل وبطن وظفر وساير الأعضاء فضيت من أنواع ثم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكننا لسنا نريد أن نعرض إلا لنعم الله تعالى في الأكل وحده كي لا يطول الكلام . فاذن شهوة الطعام أحد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تأنيك الهلكلات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يصادك ولا يوافقك لقيت عرصة اللات ولأخذت كل ما حصلت من الغذاء فان كل واحد يشتبه ما في يديك فنتحتاج إلى داعية في دفعه ومقاومته وهي داعية الغضب الذي به تدفع كل ما يصادك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعوان إلا إلى ما يضر وينفع في الحال وأما في اللآل فلا تمكن في هذه الارادة فخلق الله تعالى لك إرادات أخرى مسخرة تحت إشارة العقل للعروف والمواق كخلق الشهوات والغضب مسخرة تحت إدراك الحس للدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل إذ كان مجرد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلا تفكر لا ينبغي في الاحتراز عنها مالم يكن لك ميل إلى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة أفردت بها عن البهايم كراما لبني آدم كما أفردت بمعرفة المواق وقد سمينا هذه الارادة باعثة دينيا وفضله في كتاب الصبر تفصيلا أولى من هذا .

(الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة)

اعلم أن الحس لا يفيد إلا الإدراك والارادة لا مضي لها إلا الليل إلى الطلب والمهرب وهذا الكمية فيه مالم تكن فيك آلة الطلب والمهرب فكم من مريض مشتاق إلى شيء يبعد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه أن يمشي إليه فقد رجه أولا يمكنه أن يتناوله فقد يده أو قلعج وخدر فيها فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهية هربا فذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التي تنظر إلى ظاهرها ولا تحرف أسرارها فتماهاو للطلب والمهرب كالرجل للانسان والجنح والطيروالقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوان وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فعنها مايكثر أعداؤه ويعد غذاؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجنح لطير يسرعونها ما خلق له أربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الأعضاء التي بها يتم الأكل قسط ليقاس عليها غيرها فقول : رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تمكني مالم تمكن من أن تأخذه فانفرت إلى آلة باطنة فأتم الله تعالى عليك بخلق الدين وما طويلتان تمتدان إلى الأشياء ومشتلتان على فواصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتعد وتنش إليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جل رأس اليد عرضا فخلق السكف ثم قسم رأس السكف خمسة أقسام هي الأصابع وجعلها في صفين حيث يكون الإبهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعا وضمانا بسطها كانت لك حجرة وإن مجتمعت كانت لك مفرقة وإن جمعت كانت لك آلة للضرب وإن شترتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها أظفارا وأسند إليها دوس الأصابع حتى لا تفتت وتخى تلتصق بها الأشياء الدقيقة التي لا تحوسها الأصابع فتأخذها برؤوس أظفارها ثم هب أنك أخذت الطعام باليد فمن أين يكفيك هذا مالم يصل إلى اللعنة وهي في الباطن فلا بد أن يكون من الظاهر

أخبرنا الشيخ الفقه
أبو الفتح محمد بن
سليمان قال أنا أبو الفضل
حميد قال أنا الحافظ
أبو نعيم قال تأسليان
ابن أحمد قال تأسلي
ابن أسلم قال تأسلية
ابن رزيق عن أبي
أمامة الباهلي عن
رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال « من علم
عبدا آية من كتاب
الله فهو مولاه ينبغي
له أن لا يخذله ولا
يستأثر عليه فمن فعل
ذلك فقد قصص عروة
من عمر الاسلام » ومن
الأدب أن يراعى
خطرات الشيخ في
جريئات الأمور
وكليتها ولا يستعظم
كرهه الشيخ البه

دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه فبصل القم منفذا إلى اللدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا الطعام إلى اللدة ثم إن وضعت الطعام في القم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك الحيين من عظمين وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس العليا على السفلى لطحن بهما الطعام طحنا ثم الطعام تارة محتاج إلى الكسر وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك قسم الأسنان إلى عريضة طواحين كالأضراس وإلى حادة قواطع كالربابيات وإلى ما يصلح للكسر كالآنياب ثم جعل مفصل الحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرعي ولولا ذلك لما تيسر للأضراس أحد ما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فبصل اللحي الأسفل متحرك كاحر كدوربة واللحي الأعلى ثابت لا يتحرك فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى فإن كل رعي صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى إلا هذا الرعي الذي صنعه الله تعالى إذ يدور منه الأسفل على الأعلى فبجانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء القم فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان أو كيف تستجرح الأسنان إلى قسما أو كيف يتصرف باليد في داخل القم فانظر كيف أنعم الله عليك فخلق اللسان فانه يطوف في جوانب القم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالجرفة التي ترد الطعام إلى الرعي هذا مع ما فيه من فائدة الدوق وهجائب قوة النطق والحكم التي لسانا نطعن بكرها ثم هب أنك قطعت الطعام واطعته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن يترقى إلى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يغضب اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينحدر به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فانك ترى الطعام من بعد فيثور الحنك من الخدعة وينصب اللعاب حتى تتحلب أهدايقك والطعام بعد بيدك ثم هذا الطعام الطامعون للتمتع من يوصله إلى اللدة وهو في القم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا في اللدة حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالى للرءى والخجعة وجعل على رأسها طبقات تتفتح لأخذ الطعام ثم تطبق وتتضغط حتى يتقلب الطعام ينضغط فيه يهوى إلى اللدة فيدهليز للرءى فاذا ورد الطعام إلى اللدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لأن يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لا بد وأن يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه أجزاؤه فخلق الله تعالى اللدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوى عليه وتعلق عليه الأبواب فلا يزال لا يثا فيها حتى يتم الحضم والنضج بالحارة التي تحيط باللدة من الأعضاء الباطنة إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال ومن قدام التراب ومن خلف لحم الصلب فتعدي الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير ما شاء من شأنها يصلح للنفوذ في تجاويف المروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه أجزائه ورتقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجارى من المروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فيلتهى إلى الكبد والكبد معمجة من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شمعية منتشرة في أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصينه بلون الدم فيستقر فيها ريشا يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لتغذية الأعضاء إلا أن حرارة الكبد هي التي تضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما ينطبخ إحداها شبيهة بالدردي والسكر وهو الخاطب السوداوى والأخرى عقيمة بالرغبة وهى الصفراء ولو لم تحصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى للراءة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا معدودا إلى الكبد داخلًا في تجويفه

حركاته معتمدا على حسن خلق الشيخ وكآله ومدراته. قال إبراهيم بن شيان كنا لسحب أبا عبد الله للبرقي ونحن شبان وسافر بنا في البراري والفلوات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صبه سبعين سنة فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتسير عليه حال الشيخ تشفع إليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا إلى ما كان. ومن أدب الريد مع الشيخ أن لا يستقل بوقائه وكشفه دون مراجعة الشيخ فإن الشيخ علمه أوسع وبابه للتفوق إلى الله أكبر

فجذب للارادة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال المكر السوداء فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لمافيه من اللآينة ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولأخرج منها متصاعدا إلى الأعضاء غلظ الله سبحانه الكتيتين وأخرج من كل واحدة منها عفا طويلا إلى الكبد ومن عجاب حكمة الله تعالى أن عتقهما ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدة الكبد حتى يجذب مايلها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد إذ لو اجتنب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق فاذا اتصلت منه اللآينة قد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث هيا من كل ما بعد الغذاء ، ثم إن الله تعالى أطلع من الكبد عروفا ثم قسمها بعد الطلوع أقساما وشعب كل قسم شعب وانتشر ذلك في البدن كله من الترقى إلى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل إلى سائر الأعضاء حتى تصير العروق للنقمة شجرة كمروق الأوراق والأشجار بحيث لا تدرك بالأبصار فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الأعضاء ولوحظت بالمرآة قفة فتم جذب الفضلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الأمراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحجرة وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الحائط السوداء حتى حدثت الأمراض السوداء في القلب والجذام والماليغوليا وغيرها وإن لم تدفع اللآينة نحو السكبي حدثت الاستسقاء وغيره ، ثم انظر إلى حكمة القاطر الحكيم كيف رتب النافع على هذه الفضلات الثلاث الحسية أما للارادة فانها تجذب بأحد عتقها وتدف بالبقى الأخرى الأنعام ليحصل له في قعر الطعام رطوبة مزقة ومعدت في الأمعاء قيع يخرجها للدفع فتضغض حق يدفع الثقل وينزلق وتكون صفرة ذلك وأما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة إحدالة ليحصل بها فيه حموضة وقبح ثم يرسل منها كل يوم شيئا إلى فم اللعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبها وشيها ويخرج الباقي مع الفضل وأما السكبي فانها تقتضى بما في تلك اللآينة من دم وترسل الباقي إلى اللآنة وتقتصر على هذا القدر من يان نعم الله تعالى في الأسباب التي أعدت للأكل ولو ذكرنا كيفة احتياج الكبد إلى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء الرئيسية إلى صاحبه وكيفة انشعاب العروق الضواريب من القلب إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفة انشعاب العروق السواكن من الكبد إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفة تركب الأعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك محتاج إليه للأكل ولأمور أخر سواه بل في الأدمى آلاف من العضلات والعروق والأعصاب مختلفة بالصفرو والكبر والدقة والظلف وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها إلا وفيه حكمة أو اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جبلت عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر إلى نعمة الله تعالى عليك أولا فتقوى بدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا الأكل وهو أخسها ثم لا تعرف منها إلا أنك تجوع فأكل والحار أيضا لم أنه يجوع فأكل ويتب قتيام ويشتهي فيجوع ويستب فينبض ويرمع فاذا لم تعرف أنت من نفسك إلا ما يعرف الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك وهذا الذي مرنا إليه على الإيجاز قطرة من بحر واحد من بحر نعم الله قطر قس على الاجمال ما أملىناه من حجة ما عرفناه حذرا من التطويل ووجه ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطر من بحر إلا أن من علم شيئا من هذا أدرك نعمته من معاني قوله تعالى - وإن تمدوا نعم الله لأحصوها - ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وأدراكها وقواها بخيار لطيف تصاعدهم الأخطا والأربعة ومستقره القلب ويسرى في جميع البدن بواسطة العروق الضواريب فلا تنبى إلى جزء من أجزاء البدن

فإن كان واقعة للريد من الله تعالى يواقه الشيخ وعصها له وما كان من عند الله لا يختلف وإن كان فيه شبهة زول شبهة الواقعة بطريق الشيخ ويكتسب للريد علما بصحة الوقوع والكشوف فالريد لعله في واقعة غابره كون إرادة في النفس فيشتبك كون الارادة بالواقعة مناما كان ذلك أوقيطة ولهذا سر هيب ولا يقوم للريد باستكمال شأنة الكامن في النفس وإذا ذكره الشيخ لنا في الريد من كون إرادة النفس مفقود في حق الشيخ فان

إلا وجدت عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من قوة حس وإدراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل إلى جزء إلا يحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سبباً له بحكته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الأطباء الروح ومحل القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالسرجة والدم الأسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكان السراج إذا انتقطع زيته انطفأ فسراج الروح أيضاً ينطفئ مهما انقطع غذاءه وكان الفتيلة قد احترق فتضيق وماذا حيث لا تقبل الزيت فينطفئ السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تشبه به هذا البخار في القلب قد احترق بفطر حرارة القلب فينطفئ مع وجود الغذاء فإنه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً فتشبهت النار به وكان أن السراج تارة ينطفئ بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كرمح عاصف فكذلك الروح تارة تنطفئ بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكان انطفاء السراج بقاء الزيت أو فساد الفتيلة أو برح عاصف أو بإطفاء إنسان لا يكون إلا بأسياب مقدرة في علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكان انطفاء السراج هو متى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكان أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح إذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقه أنواره التي كان يستفيد منها الروح هي أنوار الاحساسات والقدرة والارادات وسائر ما يجسمها معنى لفظ الحياة فهذا أضرار مزوج إلى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وهجاب صنعه وحكته ليعلم أنه لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي - عز وجل فصلا لمن كفر بالله تصا وسحقا لمن كفر نعمته مسحقا. فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله ﷺ «سئل عن الروح فلم يزد عن أن قال سئل الروح من أمر ربي» (١) فلم يصف لهم على هذا الوجه. فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمان كثيرة لا تطول بذكرها ونحن إنما وصفنا من جعلها جماً لطيفاً تسميه الأطباء روحاً وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سيرانه في الأعضاء وكيفية حصول الاحساس والتفوق في الأعضاء به حتى إذا خدر بعض الأعضاء علواً أن ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يصلحون موضع الخدر بل منابت الأعصاب ومواقع السدة فيها يصلحونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ في شبك الصب ويوصله يتأذى من القلب إلى سائر الأعضاء وما يرتقى إليه معرفة الأطباء فأمره سهل نازل. وأما الروح التي هي الأمل وهي التي إذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة في وصفه إلا بأن يقال هو أمر رباني كما قال تعالى «سئل الروح من أمر ربي» والأمور الربانية لا تخضع للقول وصفها بل تحجب فيها عقول أكثر الخلق وأما الأوهام والخيالات قصارة عنها بالضرورة فتصور البحر عن إدراك الأصوات وتزول في ذكر مبادئ وصفها معاقدة العقول للقيدة بالظهور والمرض الهبوسة في مضيقها فلا يدرك بالقلبي من وصفه بل ينور آخر أعين وأشرف من العقل بشرق ذلك. الثور في عالم النبوة والولاية تنسب إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق أطواراً فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك العقول لأن ذلك طور لم يلقه بعد فكذلك يدرك البالغ العقول ولا يدرك ما وراءها لأن ذلك طور لم يلقه بعد

(١) حديث أنه سئل عن الروح فلم يزد على أن قال الروح من أمر ربي متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح هجاب القلب.

كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ وإن كان يفرح وانتهى إلى كون هوى النفس نزول وتبرأ ساحة الريد ويجعل الشيخ قتل ذلك لقوة حاله وحمة إيوائه إلى جناب الحق وكال معرفته ومن الأدب مع الشيخ أن للريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دينه لا يستجيب بالإقدام على مكلمة الشيخ والمجموع عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسان كلامه وقوله متفرغ فكأن للدعاء أوقاتاً وأدباً وشروطاً لأنه مخيلة الله تعالى

وإنه لتمام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الإيمان واليقين وذلك الشرب أعز من أن يكون شرعة لكل وأرد بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد ولبناج الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى أول اللبدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال أن يصل اللبدان فكيف بالانتهاء إلى ماوراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وإن صادف هذا في خزنة الأقطاب ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل للعنى المسمى روحا عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالكرة التي يحررها صولجان للكل بالإضافة إلى ذلك فمن عرف الروح الطيبى فظن أنه أدرك الأمر الرباني كان كمن رأى الكرة التي يحررها صولجان للكل فظن أنه رأى للكل ولا يشك في أن خطاه فاحش وهذا الخطأ أخفى منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا فتولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئا ولكن ذكر نسبتهم له ولم يذكر ذاته أما نسبته ففي قوله تعالى - من أمر ربى - وأما فقد ذكر في قوله تعالى - يأتينا النفس الطمعة ارجى إلى ربك راضية مرضية فادخل في عبادى وادجلى جنى - وترجع الآن إلى الترضى فإن القصد ذكر ثم الله تعالى في الأكل فقد ذكرنا بعض ثم الله تعالى في آلات الأكل -

(الطرف الرابع : في ثم الله تعالى في الأصول التي يحصل منها الأطعمة

وتصير صالحة لأن يصلحها آدمى بعد ذلك بصنعه)

اعلم أن الأطعمة كثيرة والله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لأخصى وأسباب متواليه لا تنهاى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فإن الأطعمة إما أدوية وإما فواكه وإما أخذية فلنأخذ الأخذية قائما الأصل ولنأخذ من جعلتها حلبة من البر ولنضع حائل الأخذية فنقول : إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فميتت وبقيت جامعا لها أحوجاك إلى أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تنفج تمام حاجتك غلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوي ما يتخذى به كالحق فيك فإن النبات إنما يشارك في الحس والحركة ولا يشارك في الاعتناء لأنه يتغذى بالماء ويحتجب إلى باطنه بواسطة المروى كما يتغذى أنت وتحتجب ولستنا نطعن في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء إلى نفسه ولكن نشير إلى غذائه . فنقول : كما أن الحطب والتراب لا يذيقك بل تحتاج إلى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تتغذى بكل شيء بل تحتاج إلى شيء مخصوص بدليل أنك لو تركتها في البيت لم تزد لأنه ليس يحيط بها إلا الهواء ومجرد الهواء لا يصلح لتغذيتها ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم تزد بل لابد من أرض فيها ماء يخرج ماؤها بالأرض فيصير طينا وإليه الإشارة بقوله تعالى - فليظن الإنسان إلى طعامه أنا صبينا لما صبا ثم غرقنا الأرض فحقا فأنبثنا فيها حبا واعتناو فضبا وازرعوا فلو غللا - ثم لا يكتفى للماء والتراب إذ لو تركت في أرض ندية صلبة لم تزد كما كتبت لقد الهواء فيحتاج إلى تركها في أرض رخوة متخلقة يتخلل الهواء إليها ثم الهواء لا يتركها إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتحضر بهجر وعصف على الأرض حتى ينفذ فيها وإليه الإشارة بقوله تعالى - وأرسلنا الريح للعالم - وإنما الإشارة في إشباع الازدواج بين الهواء والماء والأكبر من كل ذلك لا يشك لو كان في برد مفرط وغتاء جات فيحتاج إلى حمارقار ريح والعصف قد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة فانتظر إلى ماذا يحتاج كل واحد إذ يحتاج الماء لينساق

فلقول مع الشيخ أيضا
آداب وشروط لأنهم
معامة الله تعالى وسأل
الله تعالى قبل الأكل
مع الشيخ التوفيق
لما يجب من الأدب
وقد نهى الحق سبحانه
وتعالى عن ذلك نهيًا
به أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
عاطيته قال - يا أيها
الذين آمنوا إذا ناجيتم
الرسول قدموا بين
يديكم سجدة
قال عبد الله بن عباس
سأل الناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فأكروا حتى غرقوا
عليه وأخفوه بالمسقة
فأدبهم الله تعالى
ونظمهم عن ذلك

إلى أرض الزراعة من البحار والعيون والأنهار والسواقي فانظر كيف خلق الله البحار وبجر العيون وأجرى منها الأنهار ثم الأرض ربما تكون مرصعة والياه لا ترضع إليها فانظر كيف خلق الله تعالى النجوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها بإذنه إلى أقطار الأرض وهي سحب يقال حوامل الماء ثم انظر كيف يرسله مدورا على الأراضي في وقت الريح والحريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه فتجبر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لثقلت البلاد وهلك الزرع والواشي ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن إحصاؤها وأما الحرارة فاتها لا تحصل بين الماء والأرض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الأرض مسخرة للأرض في وقت ذون وقت ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد والحر عند الحاجة إلى الحر فهذه إحدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان في القواكه اعتقاد وصلابة فتضطر إلى رطوبة تضجها فانظر كيف خلق القمر ووجله من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو يضيئ القواكه ويصيفها، بتقدير القاطر الحكيم ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى إن الشجرة الصغيرة تضمد إذا ظلتها شجرة كبيرة وتعترف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتظلم على رأسك الرطوبة التي يمر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب القواكه أيضا ولا نقول فيها لامتطع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء قد سخر لنوع فائدة كسخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا تخلو واحد منهما عن حكم كثيرة لاتفق قوة البشر بإحصائها ولولم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وبطلا ولم يصح قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا بطلا - وقوله عز وجل - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا فائدة - وما أنه ليس في أعضاء بدنك عضوا لفائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة والعالم كله كشيء واحد وأحد أجسامه كالأعضاء له وهي متاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك وتبرح ذلك يطول ولا ينبغي أن نظن أن الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله سبحانه في أمور خفيت أسبابها لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق النجميين وعن علم النجوم (١) بل للنهي عنه في النجوم أمران : أحدهما أن تصدق بأنها فاعلة لأنهارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر . والثاني تصديق النجميين في تفصيل ما يجربون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في ذكرها لأنهم يقولون ذلك عن جبل فإن علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق إلا ما هو غلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بخلاف الله تعالى في الأرض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قاذح في الدين ولذلك إذا كان ملك ثوب غسسته وتريد تخفيفه فقال لك غيرك أخرج الثوب وبأسطه فإن الشمس قد طلمت وجهي النهار والموايد لا يملك تكذيبه ولا يملك الإنكار عليه بجوالة حمى

وأمرهم أن لا يتاجروه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الأغنياء يأتون النبي عليه السلام ويطلبون الفقراء على المجلس حتى كره النبي عليه السلام طول حديثهم ومناجاتهم فأمر الله تعالى بالصدقة عند الحاجة فلما رأوا ذلك اتبعوا عن مناجاته فأما أهل الفسرة فلاهم لم يجدوا حينا وأما أهل اليسرة فبخلوا ومنعوا فاعتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزلت الرخصة وقال تعالى - أفأنتم أن تصدقوا - يعني يدي نجواكم صدقات - وقيل لما أمر الله تعالى بالصدقة

(١) حديث النبي عن تصديق النجميين وعن علم النجوم أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد . ولطبراني من حديث ابن مسعود وثوبان إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإن زادها ضيف وقد تضمن في العلم ولعلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله أمورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان قال فلا تأتوا الكهان الحديث .

الهواء على طلوع الشمس وإذا سألت عن تسيير وجه الإنسان فقال قرعني الشمس في الطريق فأسود وجهي لم يتركه تكذيبه بذلك وقس بهذا سائر الآثار إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم يشبه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذن الكواكب ما خلقت عبثاً بل فيها حكم كثيرة لأعمى ولهذا «نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فتننا عذاب النار - ثم قال صلى الله عليه وسلم : ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته (١) ومتعاند أن يقرأ ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضاً فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فله تعالى في ملكوت السموات والأقاليم والأخس والجوانات هجاب يطلب معرفتها المجهول لله تعالى فإن من أحب عالماً فلا يزال مشغولاً بطلب تصانيفه ليزداد مجيئاً الوقوف على هجاب علمه جبالاً فكذلك الأمر في هجاب صنع الله تعالى فإن العالم كله من تصنيفه بل تصنيف الصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فإن تصنيفه فلا يصيب من تصنيفه فلا يصيب من تصنيفه بل من الذي - مخر الصنف لتصنيفه بما أتم عليه من هدايته وتسميده وجره كما إذا رأيت لب للشعور ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا يصيب من القلب فاتها خرق حركة لا متحركة ولكن تصيب من خلق للشعور الحركة لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار فاذن التصود أن غذاء النبات لا يتم إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك إلا بالأنفلاك التي هي مركزية فيها ولا تتم إلا بالأنفلاك الإلهي كائناً ولا تتم حركاتها إلا بالأنفلاك الجاهلي كائناً وكذلك يتأدى ذلك إلى أسباب بيضاء تركنا ذكرها تنبيهاً بما ذكرناه على ما علمناه ولتقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات .

(الطرف الخامس : في نعم الله تعالى في الأسباب للوصلة للأطعمة إليك)

اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الأرض وقد تجمد عنهم الأطعمة ومحو عنهم دينهم والبحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى البحار وسلط عليهم حرس حب الله وشهوة الربيع مع أنهم لا يذنبون في غالب الأمر شيء بل يجمعون فلما أن خرق بها السفن أوتيتها قطاع الطريق أو جمعوا في بعض البلاد فيأخذها السلاطين وأحسن أحوالهم أن يأخذوا رتبهم وهم أشد أعدائهم لو عرفوا ، فانظر كيف سلط الله الجهل والفتنة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الرغ وركبوا الأخطار ويفرروا بالارواح في ركوب البحر فيحتملون الأطعمة وأنواع الحوامج من أنسى الشرق والترب إليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والجل في البراري وانظر إلى الأبل كيف خلقت وإلى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة وإلى الحمار كيف جعل صبوراً على التعب وإلى الجمل كيف قطع البراري وتطوى للراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سخر الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليجعلوا إليك الأطعمة وسائر الحوامج وتأمل ما يحتاج

(١) حديث قرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فتننا عذاب النار به ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته أي ترك تأملها التلوي من حديث ابن عباس يلقظ ولم يتسكرو فيها وفيه أبو جناب يحيى بن أبي حبة ضعيف ..

لم ينج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على ابن أبي طالب قدم ديناراً قصدني به وقال علي في كتاب الله آية ما عمل بها أحديكم ولا يعمل بها أحد بعدى وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية دعا علياً وقال ماترى في الصدقة كم تكون ديناراً قال علي لا يطبقونه قال كم قال علي تكون حبة أو عميرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لو هدمت الرخوة ونسفت الآية ومات به الحق عليه بالأمر بالصدق ومات به من حسن الأدب وتقييد اللفظ والاحترام

إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعقلها وما يحتاج إليه السفن قد خلق الله تعالى جميع ذلك إلى حد الحاجة وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن ويتمادي ذلك إلى أمور خارجة عن الحصر ترى تركها طلبا للإيجاز .

(المطرف السادس : في إصلاح الأظمة)

اعلم أن الذي يثبت في الأرض من النبات وما خلق من الحيوانات لا يمكن أن يضم ويؤكل كل وهو كذلك بل لابد في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتطيف بإلقاء البعض وإبقاء البعض إلى أمور آخر لأخص واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلتبين رغبا واحدا ونظرا إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدبر ويصلح للأكل من بعد إلقاء البذر في الأرض فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي يثير الأرض والقصدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التعمد ببقى الماء مدة ثم تقي الأرض من الحشيش ثم الحصاد ثم القرفة والتفتية ثم الطحن ثم السحن ثم الحبر فتأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج إليها من الحديد والحطب والحجر وغيره وانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح آلات الحراثة والطحن والحجر من نجار وحذاء وغيرهما وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحد يدور الحراس والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار وللحادن وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة ، فإن قشقت علت أن ريفاً واحدا لا يستدبر بحيث يصلح لأكله يمسكين عالم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فأدعى من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة اللاتسكة حتى تنسب التوبة إلى عمل الإنسان ، فإذا استدبر طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصناع التي بها تتم مصلحة الخلق ، ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان في تلك الآلات حتى إن الآلة التي هي آلة صغيرة فالتدبها خياطة اليباس الذي يمنع البرد عنك لا تسكل صورتهما من حديقة تصلح للآلة لا بعد أن تمر على يد الأبري خمساً وعشرين مرة ويتماطي في كل مرة منها عملاً ، فلو لم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر اليباد واخترت إلى عمل للنبات الذي تحصد به البر مثلاً بعد نباته لتد حركه وهزمت عنه . أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نقطة قدرة لأن يعمل هذه الأعمال المصيبة والصانع النريه فانظر إلى القراض مثلاً وبما جفان متطابقان يطبق أحدهما على الآخر فيشاولان التي . مما وقطعانه بسرعة ولولم يكشف الله تعالى طريق أخذه فضله وكرمه لمن قبلنا واخترنا إلى استنباط الطريق فيه فبكرنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل للقراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوى أكل القول قصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وسدنا فضلا عن غيرها ، فنبهان من الحق ذوي الألبار البعيان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان . فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطعام مثلاً أو عن الحداد أو عن الحجام الذي هو أحسن العيال أو عن الخائف أو عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تنضطرب عليك أمورك كلها ، فنبهان من سخر بسن اليباد بعض حتى قللت به مشيته ونمت به حخته . ولتو جز القول في هذه الطبقة أيضا فان الررض التنبية على الصم دون الاستقصاء .

(المطرف السابع : في إصلاح الصالحين)

اعلم أن هؤلاء الصناع الصالحين للأظمة وغيرهم لو شرفت أرواحهم وتوافرت طباعهم بتأثير طباع الوحي لتبدوا وتباعدا ولم يقع بعضهم بعض بل كانوا كالحوافر لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم فرض واحد ، فانظر كيف أثب الله تعالى بين قلوبهم وسلطان الأنس والمهية عليهم ولو أخفت على الأرض جميعا

مانسح ، والقاعدة
باقية . أخبرنا الشيخ
الثقة أبو الفتح محمد
ابن سلمان قال أنا
أبو الفضل أحمد قال
أنا الحافظ أبو نعيم
قال حدثنا سليمان
ابن أحمد قال حدثنا
مطلب بن عبيد قال
حدثنا عبد الله بن صالح
قال ثنا ابن لمية
عن أبي قيل عن
عبد الله بن الصامت قال
صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول " ليس منا من
لم يعمل كبيراً ورحم
صغيراً ويعرف لساننا
حظه فاحترام العلماء
توفيق وهداية وإجمال
كل ذلك حللنا وعقوق

ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فلاجل الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا واتلفوا وبنيوا للدين والبلاد وربوا للساكن والهدور متقاربين متجاورين وربوا للأسواق والخانات وسائر أصناف البقاع مما يطول إحصاؤه ثم هذه الحبة تزول بأغراض يترجمون عليها وينفخون فيها في جبهة الإنسان النيط والحسد وللنافة وذلك مما يؤدي إلى القتال والتناحر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدهم بالقوة والعدة والأسباب وألقى رعيهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكراهة كيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى ربوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فربوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الأسواق واضطروا الخلق إلى قانون العدل وأزموهم للتساعدا والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقتاب والحجاز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحداد ينتفع بالحرث والحراث بالحداد وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بث الأنبياء عليهم السلام حتى أصلحوا السلاطين للصالحين للربا يعرفون قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة أحكام التقى ما اعتدوا به إلى إصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم إليهم من إصلاح الدين وانظر كيف أصلح الله تعالى الأنبياء باللامكة وكيف أصلح اللامكة بعضهم بعضا إلى أن ينتهي إلى الملك للتقرب الذي لا وسطة بينه وبين الله تعالى فالجبار يغيب العيين والطحان يضلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح آلات الحراثة والتجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات للصالحين آلات الأطمعة والسلطان يصلح الصناع والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين واللامكة يصلحون الأنبياء إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك ثم من رب الأرباب ومسبب الأسباب ولولا فضله وكرمه إذ ذل تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا - لما اعتدنا إلى معرفة هذه التيلة اليسيرة ثم نعم الله تعالى ولولا عزه وإمانه أن عن نطمع بين الطمع إلى الإحاطة بكنهه نعمه لتشوقنا إلى طلب الإحاطة والانتصاف ولكنه تعالى عزنا عن حكم القهر والقدرة فقال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - فإن تكلمنا في إفاضة نعمة الله علينا وان سكتنا فقهره انتفضنا - إذ لا معطى لما منع ولا مانع لما أعطى لأننا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بجمع القلوب نداء الملك الجبار - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - فالحداد لله الذي ميزنا عن الكفار وأسمنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار .

(الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق اللامكة عليهم السلام)

ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله في خلق اللامكة بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهذا يتم وتبلغ الوحي إليهم ولا تظن أنهم مقتصرين في أنصافهم على ذلك القدر بل طبقات اللامكة مع كثرتها ورتبها مراتبها تتعصر بالجهة في ثلاث طبقات : لللامكة الأرضية والسواوية وجملة العرش . فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك غيا يرحم إلى الأكل والنفاء الذي ذكرناه من ما يجوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما . واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يتنفس إلا بالأن يوكل بمسبب من اللامكة هو أفع إلى عشرة إلى مائة إلى ماوراء ذلك ويانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء بمقام جزء من تلك نفوس ذلك الغذاء صير نعمة في آخر الأمر ثم يصير لها وعظما وإذا صار لها وعظمت لم يقتدوا الله والهم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتجسس بأعصابها ولا تتشعر بأغصانها ولا تطعم لا يكفي في تردد ذلك أطوارها كما أن الله بنفسه لا يصير طعنا ثم يمينا ثم خيرا مستديرا مخبورا بالإصناع فكذلك الله بنفسه لا يصير لها

[الباب الثاني والخمسون]

في آداب الشيخ وما يستمد مع أصحابه والتلامذة

أهم الآداب : أن

لا يعرض الصادق

للقدم على قوم ولا

يتعرض لاستعجاب

بواطنهم بلطف الرفق

وحسن الكلام عجة

للاستبصار فإذا رأى

أن الله تعالى يثبت

إليه السريدين

والمتشردين بحسن

الظن وصدق الإرادة

يجدر أن يكون ذلك

ابتلاء وامتحانا من

الله تعالى والنفوس

مجيولة على عجة إقبال

الخلق والشهرة وفي

الحجون السلامة فلا يلبس

الكتائب أجه وتمكن

وعظما وعروفا وعصبا إلا بصناع والصناع في الباطن هم لللائكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تنفل عن نعمه الباطنة . فأقول لا بد من ملك يجلب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة اللحم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم ولا بد من خامس يدفع الفضل القاضل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلقى ما اكتسب صفة العظم بالمظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع رعى للتأديرات في الإصاقي فيلحق بالمستدير مالا يطل استدارته وبالمريض مالا يزيل عرضه وبالمجوف مالا يطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على غنمه لكبر أهوه وبطل تجويفه وتنفوحت صورته وخلقت له بل ينبغي أن يسوق إلى الأجنان مع رفقته وإلى الحديقة مع صفاتها وإلى الأغلاذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منهن من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة وربما بعض للواضع وضف بعض للواضع بل لو لم يرع هذا الملك العدل في التسمية والتقسيم فساق إلى رأس الصبي وسائر يده من الغذاء ما ينوبه إلا إحدى الرجلين مثلا بقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وفقر رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فرامة هذه الهندسة في هذه القصة مفهومة إلى ملك من الللائكة ولا تظن أن الله بطيئه يهندس شكل نفسه فان جعل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فلهذه هي لللائكة الأرضية وقد خلقوا بك وأنت في النوم تستريح وفي الفتنلة تردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خير لك منهم وذلك في كل جزء من أجزاءك التي لا يتجزأ حتى يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك تركنا فضيل ذلك للإيجاز ولللائكة الأرضية مدد من الللائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى ومدد الللائكة السماوية من حملة العرش والقمم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد للمعين القدوس المنفرد بالملك والمسلوك والفزة والمجبروت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام وبالأخبار الواردة في الللائكة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب إلى جانب (١) أكثر من أن تحصى فذلك تركنا الاستشهاد به . فان قلت فهلا فوضت هذه

العبد من حاله وعلم
بشرف الله إياه أنه
مهدي بالارهاق والطلم
للمريد فيكملهم
حيث كلام الناس
للمشقق والوالد له بما
يقفه في دينه ودينه
وكل مرید ومسترشد
ساقه الله تعالى إليه
يراجع الله تعالى في
معناه ويكثر الجاه إليه
أن يتولاه فيه وفي
القول معه ولا يتكلم
مع المرید بالكلمة
إلا وقله ناظر إلى الله
مستعين به في الهداية
لصواب من القول
ختمت هيئتها بالتعجب
السهر وردى رحمة الله
يوصي بعض أصحابه
ويقول لاسكنكم أحدا
بين القنار إلا في أمني

(١) حديث الأخبار الواردة في الللائكة الموكلين بالسموات والأرضين وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب إلى جانب انتهى . ففي الصحيحين من حديث أبي ذر في قصة الاسراء قال جبريل لحازن السماء الدنيا اتق وقه حتى أتى السماء الثانية فقال لحازنها اتق الحديث ولها من حديث أبي هريرة إن لله ملائكة سياحين يلقون عن أمق السلام وفي الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضة نفسه على عبد ياليل فنادى ملك الجبال إن عثقت أن أطبق عليهم الأخشبين الحديث ولها من حديث أنس إن الله وكل بالرحمة الحديث وروى أبو منصور أنه يلقى في مسند القردوس من حديث بريدة الأسلمي ما من نبت نبت إلا هو مع ملك موكل حتى يحصد الحديث وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو هريرة البكر أوى وأسمه عثمان بن جندار عن وكلامه شريف والطبراني من حديث ابن البرداء يندب شريف إن لله ملائكة يزولون في كل ليلة يحسون السكالات عن دواب النزلة إلا ذابة في عتقا جرس ولاترملى وجنته من حديث ابن عباس قال اليهودي بالانسان أخيرا عن الرعد قال ملك من الللائكة موكل بالسحاب ولمن من حديث أبي هريرة عينا رجل يلا من الأرض سمع صوتا من سحابة اسق حديقة فلان فتش ذلك السحاب فأفرغ منه في حرة الخويث

الأنفال إلى ملك واحد ولم أقصر إلى سبعة أملاك والحنطة أيضا تحتاج إلى من يطحن أولاهم إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ، ثم إلى من يصب للآء عليه ثالثا ، ثم إلى من يعجن رابعا ، ثم إلى من يقطعه كرات مدورة خامسا ، ثم إلى من يرقها رغفانا عرضة سادسا ثم إلى من يسلطها بالتور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد يستقل به فهلا كانت أعمال اللائكة باطنا كأعمال الانس ظاهرا ؟ . طالع أن خلقه لللائكة تخالف خلقه الانس وامن واحد منهم لا هو وحدثني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البنية فلا يكون لكل واحد منهم الاصل واحد ، وإليه الإشارة بقوله تعالى - وامننا لإله مقام معلوم - فذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعيين مرتبة كل واحد منهم وقوله مثال الخواص المحسن فان البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم يزاحم البصر ولا هما يزاخمان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش بأصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والحجز فان هذا نوع من الاعوجاج والدولود عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك نرى الانسان يطيع الله مرة ويصعبه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع اللائكة بل هم مجبولون على الطاعة لأعمالهم المصمية في حقهم فلا جرم لا يصون الله مأسرهم وضغون ما يؤمرون ويسجون الليل والنهار لا يخشون والراحم منهم راحم أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقائم قائم أبدا لاختلاف في أفعالهم ولا تخور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لأعمالهم لخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أمراك لك ، فانك مهما جزمت الإرادة ففتح الأجفان لم يكن للبحر الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومصيبتك أخرى بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك ينتفع وينطبق متصلا بإشارتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه إذا الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا وإطباقا ولللائكة أحياء مألومون بما يعملون فاذن هذه نعمة الله عليك في اللائكة الأرضية والسموية وحاجتك إليها في غرض الأكل فقط دون ماعدها من الحركات والحاجات كلها فانا لنطول بذكرها فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن إحصاؤها فكيف أحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات ، فاذن قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال - وذروا ظاهر الإثم وباطنه - فترك باطن الإثم بالاعتراف بالخلق من الخسود وسوء الظن والبدة وإظهار الشر للناس إلى غير ذلك من آتام القلوب هو الشكر لنعم الباطنة وترك الإثم الظاهر بالجوارح شكر لنعمة الظاهرة ، بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو في طرفة واحدة بأن فتح جفنه مثلا حيث يجب غش البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والأرض وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حق لللائكة والسموات والأرض والحيوانات والنبات بجملة نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وإن انتفع غيره أيضا به فان لله تعالى في كل طرفة بالجنف نعمتين في نفس الجنف إذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم اغضاض الجنف الأعلى وارتفاع الجنف الأسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله تعالى في سوادها أنها تجمع عروق العين إذا البياض يفرق الضوء والسواد يجمع ونعمة الله تعالى في ترتيبها صفا واحدا أن يكون ما تعالاهو ام من الله يذهب إلى باطن العين ومتشبها للأقدام التي تتناثر في الهواء وله في كل شرة منها نصتان من حيث لين أصلها ومع العين قوام نسبها وله في اشتداد الأهداب نعمة أعظم من الكل وهو أن غبار الهواء قديم من قشع العين ولو طوى لم يضر فيجمع الأضغان معتكرا ما تشابه الأهداب فينظر من وراء شبك الشعر فيكون شبك الشعر ماضيا من وصول القذى من تخارج وغير ما تم من امتداد البصر من داخل ثم إن أصاب الحدقة غبار فقد خلق

أوقاتك ، وهلموصية
نافعة لأن الكلمة تفع
في مع البرد الصادي
كالمية جمع في الأرض
وقد ذكرنا أن الحبة
القاسدة تهلك وتضيع
وفساد حبة الكلام
بالهوى وقطرة من
الهوى تكدر مجرا
من العلم فسد الكلام
مع أهل الصدق
والإرادة ينبغي أن
يستمد القلب من الله
تعالى كما يستمد اللسان
من الجنان وكما أن
اللسان ترجمان القلب
يكون قلبه ترجمان
الحق عند السيد
فيكون ناظرا إلى الله
مصليا إليه متقلبا
ما ريد عليه مؤدبا
للأمانة فيه ثم ينبغي

أطراف الأجنان خادمة منطبقة على الحدة كالمصقلة للراة فيقطعها مرة أو مرتين وقد انصقلت الحدة من التبار وخرجت الأذنء إلى زوايا العين والأجفان والقباب لما لم يكن لحدته جفن خلقه له يدين قراء على الدوام يسبح بها حقيقته ليصقلها من التبار وإذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لا تقتاره إلى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ، ولعلنا نستألفه كتاباً مقصوداً فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسبحه بحجاب صنع الله تعالى ، فلنرجع إلى غرضنا فنقول : من نظر إلى غير محرم قد كفر بنعم العين نعمة الله تعالى في الأجفان ولا تقوم الأجفان إلا بالعين إلا بالبرأس ولا الرأس إلا بجميع البدن ولا البدن إلا بالقضاء ولا القضاء إلا بالآلاء والأرض والهواء والطر والشمس والقمر ولا يقوم شيء من ذلك إلا بالسماوات ولا السماوات إلا باللائكة فإن الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه ببعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فإذا كفر كل نعمة في الوجود من منتهى الثريا إلى منتهى الثرى فلم يبق ذلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد إلا ولايته ولذلك ورد في الأخبار أن البقعة التي يجتمع فيها الناس إما أن تلهم إذا غرقوا أو تستغفرهم (١) وكذلك ورد أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر (٢) وأن اللائكة يلعنون العصاة (٣) أن ألفاظ كثيرة لا يمكن إحصاؤها وكل ذلك إشارة إلى أن الماصي بطريقة واحدة جن على جميع مآلى الملك واللكوت وقد أهلك نفسه إلا أن يتبع السنة بحسنة يمحوها فيقبل اللعن بالاستغفار فصى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام : يا أيوب مامن عبدى من الآدميين إلا وعهه مسكان فإذا شكرنى على نعمائى قال للسكان اللهم زده نعماً على نعم فانك أهل الحمد والشكر فكس من الشاكرين قريباً فكفى بالشاكرين علو رتبة وعندى آنى أشكر شكرهم وملائكتى يدعون لهم والباق عجبهم والآثار تبكى عليهم ، وكأعرفت أن فى كل طرفة عين نعمة كثيرة فاعلم أن فى كل شئ يتبسط ويتبعض نعتين إذا تبسطا خرج السخان المحترق من القلب ولولم يخرج لهلك وباقباضه يجمع روح الهواء إلى القلب ولوسد متنفسه لاحترق قلبه باقطاع روح الهواء وبرود عنه وهلك بل اليوم والبالى أربع وعشرون ساعة وفى كل ساعة قريب من ألف شئ وكل شئ قريب من عشر لحظات فليكن فى كل لحظة آلاف آلاف نعمة فى كل جزء من أجزاء بدنك بل فى كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور إحصاء ذلك أم لا ، ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوة تعالى - وإن صدوا نعمة الله لا تحسوها - قال لهم كيف أشكره ولك فى كل شجرة من جسدى نعمتان أن لىنت أصلاها وأن طمست رأسها وكذا ورد فى الأثر أن من لم يعرف نعم الله إلا فى مطعمه وشربه قد قفل على حضر عذابه وجميع مآذركناه يرجع إلى اللطم والشرب فاعتبر ماسواه من النعم به فان البصر لا تقع عينه فى العالم على شئ ولا يلم خاطره بوجوده إلا ويحقق أن الله فيه نعمة عليك فلترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع فى غير مطعم .

(بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر)

اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجبل والنملة فاتهم بنموا بالجبل والنملة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها ، ثم لهم ان عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ، ولم يعرفوا أن نفعى الشكر أن يستعمل النعمة فى إتمام الحكمة التي أريدت بها وهى طاعة الله عز وجل فلا يتبع من الشكر بعد حصول هاتين المقتضيتين إلا غلبة الشهوة

(١) حديث إن البقعة التي اجتمع فيها الناس تلهم إذا غرقوا أو تستغفرهم لم أجده أصلاً (٢) حديث إن العالم ليستغفره كل شيء حتى الحوت فى البحر تقدم فى العلم (٣) حديث إن اللائكة يلعنون العصاة مسلم من حديث أبى هريرة اللائكة تلعن أحداً إذا أشار إلى أخيه عديداً وإن كان أخاه لأبيه وأمه

للشيخ أن يعتبر حال الريدن ويتفرس فيه بنور الإيمان وقوة العلم والعرفه ما يتأتى منه ومن صلاحته واستعداده لمن الريدن من يصلح لتعبد الحسن وأعمال القلوب وطريق الأبرار ومن للريدن من يكون مستعداً صالحاً للتقرب وسلكه طريق للريدن للرادين بحسنة القلوب والعاملات السنة ولكل من الأبرار وللريدن مبادونهم ليات فيسكون الشيخ صاحب الاشراف على المواطن يعرف كل شخص وما يصلح له والسبب أن الصراوى

واستلاء الشيطان . أما النعمة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها أن الناس بمجهلهم لا يدون مايم
الحق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة فذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لأنها عامة
للخلق منذولة لهم في جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا يمد نعمة ولا
ترام يشكرون الله على روح الهواء ولو أخذ بمحتتهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو جسوا في
بيت حمام فيه هواء حار أو في بئر فيه هواء قتل برطوبة الماء ماتوا غمافان ابتلى واحد منهم بشئ ومن
ذلك ثم نجار بما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجمل لإصدار شكرهم بموقوفه على أن تسلب
عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الأحوال والنعمة في جميع الأحوال الأولى بأن تشكر في بعضها فلا يرى
البصير يشكر صحة بصره إلا أن تسمى عنه فقد ذلك لو أعيد عليه بصره أحس به وشكره وعده نعمة
ولما كانت رحمة الله واسعة عمم الخلق وبذل لهم في جميع الأحوال فلم يمد الجاهل نعمة وهذا الجاهل
مثل البعد السوء حقه أن يضرب دائما حتى إذا ترك ضربه ساعة تهدأ به منة فأن تركه ضربه على الدوام
غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون إلا للال الذي يطرُق الاختصاص إليهم من حيث
الكثرة والقلية وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما يشكوا بغيرهم قهره إلى بعض أبواب البصائر وأظهر
شدة انهماجه به قال لا يسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم قال لا قال يسرك أنك أعمى أنك أعمى
ولك عشرة آلاف درهم قال لا قال لا يسرك أنك أقطع الدين والرجلين ولك عشرة آلاف قال لا قال لا
قال لا يسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم قال لا قال لا تستحي أن تشكو مولاه وله
عندك عروس وخمسين ألفا . وحكي أن بعض القراء اشتد به الفقر حتى مات به ذرعا فرأى في المنام
كان قائلا يقول له تود أنا أن نبتلك من القرآن سورة الأنعام وأن لك ألف دينار قال لا قال سورة
هود قال لا قال سورة يوسف قال لا فمد عليه سورة ثم قال فمك قيمة مائة ألف دينار وأنت تشكو
فأصبح وقد سرى عنه . ودخل ابن السكك على بعض الخلفاء ويده كوز ماء فشر به قاله عظمى قال
لو لم تعط هذه الشربة إلا يبدل جميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال نعم قال لو لم
تعط إلا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فهذا بين أن
نعمة الله تعالى على البعد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها وإذا كانت الطباع مائلة
إلى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة ، وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر إشارة وجيزة إلى النعم
الخاصة فتقول ما من عبد إلا ولو آمن النظر في أحواله رأى من الله نعمة أو نعمة كثيرة تخصه لا يشاركه
فيها الناس كافة بل يشاركه عند يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها أحد وذلك يترقب به كل عبد
في ثلاثة أمور : في العقل والخلق والملم أما العقل فما من عبد لله تعالى إلا هو راض عن الله في عقله يعتقد
أنه أعدل الناس وقل من يسأل الله العقل وإن من شرف العقل أن يفرح به الخالي عنه كما يفرح به
للتصف به فإذا كان اعتقاده أنه أعدل الناس فواجب عليه أن يشكره لأنه إن كان كذلك فالشكر
واجب عليه وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كثر نعمة الأرض فهو
يفرح به ويشكر عليه فإن أخذ الكثير من حيث لا يدري فيق فرحه بحسب اعتقاده ويق شكره لأنه
في حقه كالباقي وأما الخلق فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوباً يكرهها أو أخلاقاً يذمها أو أفعالاً يذمها من
حيث يرى نفسه بريئا عنها فإذا لم يشتغل بنعم الغير فبئس أن يشتغل بشكر الله تعالى لإحسان خلقه
وابتلى غيره بالخلق السيء ، وأما العلم فما من أحد إلا ويرى من بواطن أمور تسمى خفايا فيكره
ما هو منصرف به ولو كشف النطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق لا تفتيح فكيف لو اطلع الناس كافة
فأذن لكل عبد علم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر سر الله الجليل الذي
أرسله على وجه مساو به فأظهر الجليل وسر القبيح وأحق ذلك عن أمين الناس وخصم عليه به

يعلم الأراضي والفرس
ويعلم كل فرس وأرضه
وكل صاحب صنعة يعلم
منافع صنعه ومضارها
حتى للزاد تعلم قتلها
وما يتأذى منه من القتل
ودقه وغلظه ولا يعلم
الشئ حال للريد
وما يصلح له . وكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكلم الناس
على قدر عقولهم
وبأمر كل شخص بما
يصلح له فهم من كان
بأمره لا فاق ومنهم من
أمره بالإسك ومنهم
من أمره بالكسب
ومنهم من قرره على
ترك الكسب كالحباب
الصفه فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم

حتى لا يطلع عليه أحد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يشرف بها كل عبد إما مطلقاً وإما في بعض الأمور فلتنزل
عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أعم منها قليلاً فنقول : ما من عبد إلا وقد وزقه الله تعالى في صورته وأو
شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقربه أو وعده أو جاهدته أو في
سائر عابه أموراً لو سلب ذلك منه وأعطى ما يخص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل أن جعله مؤمناً
لا كافراً أو حياً لا مماتاً وإنساناً لا بهيمة وذكرنا لأشئ وصحياً لا مريضاً وسليماً لا مريضاً فإن كل هذه
خصائص وإن كان فيها عموم أيضاً فإن هذه الأحوال لو بدلت بأضدادها لم يرض بها بل له أمور
لا يبدلها بأحوال الآدميين أيضاً وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدله بأخص به أحد من الخلق أو لا يبدله
بما خص به إلا أكثر فإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فإذا حاله أحسن من حال غيره وإذا كان
لا يبرف شخص يرتضى لنفسه حالة بدلاً عن حال نفسه إما على الجمل أو إماماً أو مريضاً فإذا نزل الله تعالى عليه
نعم ليست له على أحد من عباده سواء وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فليتنظر إلى
عدد التبوطين عنده فانه لا محالة يرام أقل بالإضافة إلى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير
مما هو فوقه لما به ينظر إلى من فوقه ليزدرى نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر إلى من دونه ليستعظم نعم
الله عليه وما به لا يسوى ديناه بدينه أليس إذا لامته نفسه على منيته يقارنها بمتنزل إليها بأن في الساق
كثرة فينظر أبداً في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فإذا كان
حال أكثر الخلق في الدين خيراً منه وحاله في الدنيا خيراً من حال أكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتب
الله صابراً وشاكراً ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الدين إلى من هو دونه لم يكتب الله صابراً ولا
شاكراً (١) » فإذا كل من اعتبر حال نفسه وتلقى عما خص به وجدته تعالى على نفسه نعماً كثيرة لاسيما
من خص بالسنة والإيمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والأمن وغير ذلك وذلك قيل :

من شاء عيشاً رحيماً يسطيع به في دينه ثم في دينه إقبالاً

فليتنظر إلى من فوقه ورعاً ولينظر إلى من دونه مالا

وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله (٢) » وهذا إشارة إلى نعمه العلم وقال
عليه السلام « إن القرآن هو التي لا غنى بعده ولا قرمه (٣) » وقال عليه السلام « من أعان الله
القرآن فظن أن أحداً أغنى منه قد استهزأ بآيات الله (٤) » وقال عليه السلام « ليس من آمن لم يتغن بالقرآن (٥) »
وقال عليه السلام « كفى باليقين غنى (٦) » وقال بعض السلف يقول الله تعالى في بعض الكتب للزلة

(١) حديث من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتب الله صابراً وشاكراً
الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه لحن في الصباح ضعيف (٢) حديث
من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله لم أجده بهذا اللفظ (٣) حديث إن القرآن هو الفناء الذي لا غناء بعده
ولا قرمه أبو بلى والطبراني من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ إن القرآن غنى لا قرمه ولا غنى
دونه قال المصنف في رواه أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن الحسن مرسل وهو أشبه
بالصواب (٤) حديث من أعان الله القرآن فظن أن أحداً أغنى منه قد استهزأ بآيات الله البخاري في
التاريخ من حديث جابر القتيبي بلفظ من آتاه الله حفظ كتابه بوطن أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد
صغر أعظم النعم وقد تقدم في فضل القرآن وجاء عتق في صحتهم ووعد من حديث عبد الله بن عمرو وجابر
والبراء حمزة وكلها ضعيفة (٥) حديث ليس من آمن لم يتغن بالقرآن تقدم في آداب التلاوة (٦) حديث كفى
باليقين غنى الطبراني من حديث عتبة بن عامر ورواه ابن أبي الدنيا في القناعة مؤتمراً وقد تقدم

جرف أو ضاع الناس
وما يصلح لكل واحد
فأما في رتبة الدعوة
فقد كان يعمم الدعوة
لأنه مبعوث لإثبات
الحجة وإيضاح المحجة
يدعو على الإطلاق ولا
يخص بال دعوة من
يغفر فيه الهداية
دون غيره . ومن
أدب الشيخ أن يكون
له خلوة خاصة ووقت
خاص لا يسعه فيه
معاونة الخلق حتى
يغيب على جلوته فالدنة
خلوته ولا تدعى نفسه
قوة ظناً منها أن
استدامة المحاطة مع
الخلق والكلام معهم
لا يضره ولا يأخذ منه
وأنة غير محتاج إلى
الخلوة فإن رسول الله

إن عبدا أغنيته عن ثلاثة لقد أعمت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه وطيب يدأويه وعما في يد أخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال :

إذا ما لقوت يأتيك هكذا الصحة والأمن
وأصبحت أبا حزن فلا فارقت الحزن

بل أشرق البارات وأضهر الكلمات كلام أضحى من نطق الصادق عسى الله عليه وسلم عن هذا للفقير فقال « من أصبح آمنا في سربه معافي في مدته عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (١) » ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الأمان الذي به وصلهم إلى النعم القيم ولذلك العظيم بل البصير ينبغي أن لا يفرح إلا بالبرقة واليقين والإيمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من للشرق إلى الغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضا عن علك بل عن عشر عشر علك لم يأخذها وذلك لرجائه أن نعمة العلم تضي به إلى قرب الله تعالى في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ما تجو به كما خلفه هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاتك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذها لعله بأن نعمة العلم دأمة لا تقطع وباقي لا تسرق ولا تصب ولا ينافس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لا يرى ما جوها بخوفها ولا لذتها بألمها ولا فرحها بنمها هكذا كانت إلى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان إن ما خلقت لذات الدنيا إلا لتجلب بها القول الناقصة وتخدع حتى إذا أخذت وتقيدت بها تبت عليها واستصحت كالمرأة الجليل ظاهرها تزين للشباب الشبق النقي حتى إذا تقيدها قلبه استصحت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في تمب قائم وعناء دائم وكل ذلك باغتراره ببلدة النظر إليها في لحظة ولو عقل وفض البصر واستبان تلك اللفة سلم جميع صوره فكذلك وقت أرباب الدنيا في شبك الدنيا وجبالها ولا ينبغي أن يقول إن العرض عن الدنيا متالم بالصبر ضها فان للقلب عليها إضامات بالصبر عليها وحفظها وتحصلها ودفع اللصوص عنها وتالم للعرض بغض إلى لفة في الآخرة وتالم للقلب بغض إلى الألم في الآخرة فليقرأ للعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى - ولا تنهوا في ابتناء القوم إن تكونوا تأملون فأنهم يأملون كما تأملون وترجون من الله ما لا يرجون - فإذا نجا من طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة . فإن قلت لما علاج هذه القلوب النافقة حتى تشمر بنعم الله تعالى فصاها تشكر . فأقول أما القلوب البسيرة فملاجها التأمل فيما مرنا إلى اليمن أمنا في نعم الله تعالى العامة وأما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة إلا إذا خصها أو شعرت بالبال معها فليس عليه أن ينظر أبدا إلى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية إذا كان يحضر كل يوم دار للرضى والقيام وللواضع التي تهم فيها الحدود فكان يحضر دار للرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيحضر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره بلاء الأمراض ويشكر الله تعالى ويشاهد الجنة الذين يتلون وقطع أطرافهم ويذوبون بأنواع المذبذبة ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنائيات ومن تلك الصوفيات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن ويحضر للقيام فيعلم أن أحب الأشياء إلى الله تعالى أن يردوا إلى الدنيا ولو يوما واحدا أما من صلى الله فليتدارك وأما من أطاع فليزد في طاعته فإن يوم القيامة يوم الثواب فالطبع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فلما أعظم غنى إذ ضيعت بعض الأوقات في اللباحات ، وأما الهامى فحينه ظاهرا فإذا هاد للقيام

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه الحديث تقدم غير مرة .

صلى الله عليه وسلم مع
كل حاله كان له قيام
الليل وصلوات يصلها
وبدوم عليها وأوقات
يغلو فيها فطبع البشر
لا يستغنى عن السيادة
قل ذلك أو كثر
لطف ذلك أو كثر
وكم من مغرور قائم
بالسير من طيبة القلب
أخذ ذلك رأس
ماله واغتر بطيبة
قلبه واسترسل في
للمازجة والمخالطة
وجعل نفسه مناعة
لبطالين بقمة تؤكل
عنده ويرفق بوجود
منه فيقصده من ليس
قصده الدين ولا يشته
سلوك طريق التفتين
فافتن وأفتن وبق في
خلة التصور ووقع في

وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل
التبوء العود لأجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى في بقية العمر بل في الامم التي كل نفس من الأقسام
وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق المرء لأجله وهو التزوّد من الدنيا والآخرة
فهذا علاج هذه القلوب النافعة لتشعر بنعم الله تعالى فصاحوا تشكروا وقد كان الريح بين خيم مع تمام
استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيذا للنعمه فكان قد حفر في داره قبراً فكان يضع غلا في حفته ويؤتمن
في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلّي أعمل ما أحسنه ويقول يا ربي قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن
تسأل الرجوع فلا ترد . وما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر
زالت ولم تد . ولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول : عليك علامة الشكر على النعم قل : نعمة
زالت عن قوم فسادت إليهم . وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدها بالشكر وعلى الخير « ما عظمت
نعمه الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه » (١) فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال
وقال الله سبحانه وتعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فهذا تمام هذا الركن .
الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر
(بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد)

لعلك تقول ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى أن البلاء
لا وجوده أصلاً فإمعن الصبر إذ وإن كان البلاء موجوداً فإمعن الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أنا
نشكر على البلاء فضلاً عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر
عليه والصبر على البلاء يستدعي ألماً والشكر يستدعي فرحاً وما يتضادان وماه في ماذكرتموه من أن
قد تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول
بإثبات النعمة يوجب القول بإثبات البلاء لأنهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد
سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فمساعدة الصبر بالتزول في جوار
الله تعالى وأما في الدنيا فكلاهما وحسن الخلق وما يمين عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه
دون وجه كمال الذي يصلح الدين من وجه ويضربه من وجه فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق
ومقيد أما المطلق في الآخرة فالعبد من الله تعالى إمامة وإمّا أبداً وأما في الدنيا فالكفر والنسبة وسوء
الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق وأما للقيد فكالفقر والمرض والحول وسائر أنواع البلاء
التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة وأما البلاء المطلق في الدنيا
فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا النسبة بل حق الكافر أن يترك
كفره وكذا حق العاصي ثم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علقوه ولا يتألم بسبب غشية
أوغرها فلا يصبر عليه والمعاصي يعرف أنه عاص فله ترك النسبة بل كل بلاء يقدر الإنسان على
دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فالو ترك الإنسان السوء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر
عليه بل يؤمر بإزالة الألم وإعانة الصبر على ألم ليس إلى البلاء إزالته فاذن يرجع الصبر في الدنيا إلى
ما ليس بلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر
والشكر فإن الشيء مثلاً يجوز أن يكون سبباً لهلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ما له فيقتل ويقتل أولاده

(١) ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه الحديث ابن عدى وابن حبان في
الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلفظ إلا عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك لئلا في الحديث
ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال إنه موضوع على ججاج الأعور .

دائرة القنور فاستغنى
الشيخ عن الاستعداد
من الله تعالى والتضرع
بين يدي الله قبله إن لم
يكن قبالة قلبه فيكون
له في كل كلمة إلى الله
رجوع وفي كل حركة
بين يدي الله خضوع
وإنما دخلت الفتنة على
الفرورين المدعين للقوة
والاسترسال في الكلام
والخاطلة قسلة
مفرقة صفات النفس
واغترارهم بيسير من
الوهبة وقلة تأديهم
بالشيوخ . كان الجليل
رحمه الله يقول لأصحابه
لو علمت أن صلاة
ركعتين لي أفضل من
جائوس معكم ما جلست
عندكم فإذا رأى
الفضل في الخلوة غلوا

والصحة أيضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم النبوية إلا ويجوز أن يصير بلاء ولكن بالإضافة إليه فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حاله فربما تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبني قال الله تعالى - ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض - وقال تعالى - كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليحصى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحصى أحدكم مريضه ^(١) » وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فانها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضدادها إذن لها في حقهم إذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون قددها نعمة مثاله جهل الإنسان بأجله فانه نعمة عليه إذ لو عرفه ربما تنصص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضره الناس عليه من معارفه وأقارب نعمة عليه إذ لو عرفها لستر وأطلع عليه لطلال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات للدمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفها أبغضه وأذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالحاصل الحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانته ولو عرف ذلك وأدنى كان إثمه لأعظم فليس من أدنى نيا أو وليا وهو يعرف كمن أذى وهو لا يعرف. ومنها إيهام الله تعالى أمر القيامة وإيهامه ليله القدر وساعة يوم الجمعة وإيهامه بعض الكبار في الفلك ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعي على الطلب والاجتهاد فيهله وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا إن الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل أحد ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق التائب بها فان لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من اللصبة كقطعه يد نفسه وشمه جبرته فانه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لأن مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله تعالى خلق المذاب وعذب بمطاعته لعارف للثعتمون قدر نعمة ولا أكثر فرحهم بها فخرج أهل الجنة إنما يتضاعف إذا شكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليها من حيث إنها عامة مبدولة ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في عمارته ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذن قد صح ما ذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا وفيه حكمة ولا خلق شيئا إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم فاذن في خلق الله تعالى البلاد نعمة أيضا إما على اللبث أو على غير اللبث فاذن كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجمع فيها على العبد وظيقتان الصبر والشكر جميعا . فان قلت فيما مضى فاني فكيف يجتمعان إذ لا مبرر لإلا في غم ولا شكر إلا على فرح . فاعلم أن الشيء الواحد قد يجمع به من وجه وخرج به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الانتقام والشكر من حيث الفرح وفي كل قرر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل بها ويشكر عليها . أحدها أن كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها إذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضيفا الله تعالى وزادها ماذا كان يده ويحجزها فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا. الثاني أنه كان يمكن أن تكون مصيبته في دينة . قال رجل لسهل رضي الله تعالى عنه دخل الحص بيتي

(١) حديث إن الله ليحصى عبده الدنيا الحديث الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وقد تقدم .

وإذا رأى الفضل في
الجلوة يجلس مع
الأصحاب فتكون جلوته
في حاية خلوته وجاوته
مزيدا لخلوته في هذا
سر وذلك أن الأدي
ذو تركيب يختلف فيه
تضاد وتباين على
ما أسلفنا من كونه
مترددا بين السفلى
والعلوى ولما فيه من
التباين له حظ من
القنور عن الصبر
على صرف الحق ولهذا
كان لكل عامل
فترة والفترة قد تكون
تارة في صورة العمل
وتارة في عدم الروح في
العمل وإن لم تكن في
صورة العمل ففي وقت
الفترة للمريد
والسالكين تضييع

وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولعلك استأذ عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه إذ قال : اللهم لا تجعل مصيقي في ديني، وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ما اجتليت يلاء إلا كان الله تعالى على فيه أربع نعم إذ لم يكن في ديني وإذا لم يكن أعظم منه وإذا لم أحرم الرضا به وإذا أرجو الثواب عليه . وكان لبعض أرباب القلوب صديق خبيثه السلطان فأرسل إليه يله ويشكو إليه فقال له اشكر الله فصر به فأرسل إليه يله ويشكو إليه فقال اشكر الله فجاءه بمجوسى خبيث عنده وكان مبطونا قعيد وجعل حلقة من قيده في رجليه وحلقة في رجل المجوسى فأرسل إليه فقال اشكر الله فكان المجوسى يحتاج إلى أن يقوم صبرات وهو يحتاج إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته فكتب إليه بذلك فقال اشكر الله فقال إلى متى هذا وأى بلاء أعظم من هذا فقال لو جعل الزائر الذى في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فاذن مامن إنسان ند أصيب يلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أدبه ظاهر أو باطنا في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وأجلا ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق عليك أن يقطع يديك فترك إحداها فهو مستحق للشكر ولذلك من بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ماهذه السجدة فقال كنت أنتظر أن تصب على النار فالاقصا على الرماد نعمة . وقيل لبعضهم ألا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتجست الأمطار فقال أنت تسبئون للطر وأنا أستبطىء الحجر . فان قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت مصيبتهم على مصيقتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى السكار . فاعلم أن الكافر قد خيى له ما هو أكثر وإنما أوهم حتى يستكثروا من الآثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى - إنما على لهم ليزدادوا إثما - وإنما للعاصي فمن أين تعلم أن في العالم من هو أعصى منه ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأظم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله - ونحسبونه هينا وهو عند الله عظيم - فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك ثم لعله قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وهجأت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو أنه مامن عقوبة إلا وكان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخر تهون للصيبة فيخفف وقصها ومصيبة الآخرة تدوم وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلى إذ أسباب التسلى مقطوعة بالسكينة في الآخرة من المذنبين ومن هجأت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابته شدة أو بلاء في الدنيا فأنه أكرم من أن يعذبه ثانيا » (١) الرابع أن هذه الصيبة والبلى كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لا بد من وصولها إليه وقد وصلت ووقع القتراف واستراح من بعضها أو من جميعها فهذه نعمة . الخامس أن ثوابها أكثر مما كان فان مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين : أحدهما الوجه الذى يكون به الدواء السكرية نعمة في حق المريض ويكون للنعم من أسباب اللب نعمة في حق السبي فانه لو خلى واللب كان بمنه ذلك عن العلم والأدب فكان يخسر جميع عمره فكذلك السال والأهل والأقارب

ولاسترواح النفس
وركون إلى البطالة فمن
بلغ رتبة للشبهة
انصرف قسم قترته إلى
الحلق فأطلع الحلق
بقسم قترته وما ضاع
قسم قترته كضباغة في
حق للردين فالمرید
يود من الفترة بقوة
الشدة وحدة الطلب إلى
الإقبال على الله والشيخ
يكسب الفضيلة من قعر
الحلق بقسم قترته
ويعود إلى أوطان
خلوة وخاص حاله
بنفس مشربة أكثر
من عود الفقير بحدة
إرادته من قترته فيعود
من الحلق إلى الخلوة
متنوع التنوع قلب
متعطش وفر النور
ودرج متخلصة عن

(١) حديث إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابه شدة وبلاء في الدنيا فأنه أكرم من أن يعذبه ثانيا
الترمذى وابن ماجه من حديث جى من أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به فأنه أعد لمن أن يفي عقوبته
على عبده الحديث فقط ابن ماجه وقال الترمذى من أصاب حدا فمجل عقوبته في الدنيا وقال حسن
والشيخين من حديث عبادة بن الصامت ومن أصاب من ذلك شيئا فموجب به نكفارة له الحديث.

والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون سببا لهلاك الإنسان في بعض الأحوال بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سببا لهلاكه فاللجنة غدا يتمنون لو كانوا بجانبين أو صبيانا ولم يتصرفوا بمقتولهم في دين الله تعالى فسامن شيء من هذه الأسباب يوجد من البدن إلا يتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فليعلم أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فإن حكمة الله واسعة وهو بصالح العباد أعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا إنذارا وأواب الله على البلايا كاشكر الصبي بعد النقل والبلوغ أستاذ وأباه على ضربه وتأديبه إذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أمته وأوفر من عنايته الآباء بالأولاد فقد روى «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تنه الله في شيء قضاء عليك» (١) ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء فضحك فسل فقال هببت لقضاء الله تعالى للمؤمن إن قضى له بالسراء رضى وكان خيرا له وإن قضى له بالضراء رضى وكان خيرا له (٢) ع الوجه الثاني أن رأس الخطايا للهلكة حب الدنيا ورأس أسباب النجاة التجاني بالقلب عن دار القربى ومواناة النعم على وفق للراد من غير امتزاج بلاء ومصيبة توارث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وألمه بها حتى يصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقتها وإذا كثرت عليه المصائب أزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأمن بها وصارت سببا عليه وكانت نجاة منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (٣) والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضى بها وأطمأن إليها وللمؤمن كل منقطع قلبه عن الدنيا هديد الحنين إلى الخروج منها والكفر بضده ظاهر وبضده خفي ويقدر حب الدنيا في القلب يسرى فيه الشرك الحق بل للوحد المطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق فاذن في البلاد نعم من هذا الوجه فيجب القرح به وأما التألم فهو ضروري وذلك يشاهي فرحك عند الحاجة إلى الحجابة بمن يتولى حجاتك عجائبا أو سقيك دواء ناعما بشما عجائبا فانك تألم وتفرح فتصير على الألم وتشكره على سبب القرح فكل بلاء في الأمور الدينية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للفتنة وعلم أنه يخرج منها لا محالة فرأى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالا وبلاء عليه لأنه يورثه الأذى بمنزلة لا يمكنه القيام فيه ولو كان عليه في القيام خطر من أن يطلع عليه لذلك فيعذبه فأصابه مايكره حتى قرره عن القيام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرجم وهم خارجون عنها من باب الحد فكل ما حقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصوّر منه أن يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاد لم يتصور منه الشكر لأن الشكر يربط معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بأن ثواب الصلوة أكبر من الصلوة لم يتصور منه الشكر على الصلوة. وحكى أن أعرابيا عزي ابن عباس على أبيه قال :

(١) حديث قال له رجل أوصني قال لا تنه الله في شيء قضاء عليك أحمد والطبراني من حديث عبادة بن زياد في أوله وفي إسناده ابن أبي عمير (٢) حديث نظر إلى السماء فضحك فسل فقال هببت لقضاء الله للمؤمن الحديث مسلم من حديث صريب دون نظره إلى السماء وضحك جميعا لأمر المؤمنين إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وللنساء في اليوم واليلة من حديث سعد بن أبي وقاص هببت من رضا الله للمؤمن إن أصابته خير حمدته وشكر الحديث (٣) حديث الدنيا نعيم للمؤمن وجنة للكافر مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

مضيق مطالعة الأغيار
قائمة بحمة شغفها إلى
دار القربى . ومن
وظيفة الشيخ حسن
خلقه مع أهل الأربعة
والطلب والتزول من
حقه فيما يجب من
التبجيل والتعظيم
للسانج واستعماله
التواضع . حكى الرقي
قال كنت بمصر وكنا
في المسجد جماعة من
الفقراء جلوسا فدخل
الرفاق فقام عند
أسطوانة يركع قلنا
يفسر الشيخ من
صلاته وهم نسل عليه
فنافرغ جاء إلينا وسلم
علينا قلنا نحن كنا
أولى بهذا من الشيخ
قال ما هذا

اصبر تكن بك صابرين قائما صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس أجزك بعده والله خير منك للعباس
قال ابن عباس ما عزاني أحد أحسن من عزيتي. والأخبار الواردة في الصبر على الصائب كثيرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم «من يرد الله بخيرا يصبر منه» (١) وقال عليه السلام قال الله تعالى «إذا وجهت إلى عبد
من عبيدي مصيبة في بدته أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن
أضرب له ميزانا أو أفسره ديوانا. وقال عليه السلام «ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى
- إن الله وإننا إليه راجعون - اللهم أجرني في مصيبي وأعقبني خيرا منها لافعل الله ذلك به وقال صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى «من سلبت كرمته غزاهه الخلود في داري والنظر إلى وجهي» وروى أن
رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي قال عليه السلام «لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه
إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره» (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل تكون
له الدرجة عند الله تعالى لا يلبثها بعمل حتى يبتلى بلاء في جسمه فيلبثها بذلك» (٣) وعن خباب بن
الأرتاء قال أئمتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برداه في ظل الكعبة فشكونا إليه
قلنا يا رسول الله ألا تدعو الله تستصره لنا جلس محمرا لونه ثم قال «إن من كان قبلكم يؤذي بالرجل
ينخرل في الأرض خفرة ويحاه بالمشاة فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين ما يصبر فذلك عن دينه» (٤)
وعن علي بن كرم الله وجهه قال: أيما رجل حبسه السلطان ظلمات فهو شهيد وإن ضربه لقات
نور شهيد. وقال عليه السلام «من أحل الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وحكم ولا تذكر مصيبتك»
وقال أبو البرداء رضى الله تعالى عنه: تولد دون الموت وتمرون بالخراب ونحوه على ما يخفى وتظنون
ما بقى الأحبدا للكرهات الثلاث الفقر والمرض والوفاة. وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم «إذا أراد الله بعبده خيرا وأراد أن يضافه صب عليه البلاء صبا ونجحه عليه نجا فإذا دعاه قالت
للأنيسة صوت معروف وإن دعاه ثانيا فقال يارب قال الله تعالى ليبيك عبيدي وسعدك لتأسأني
غيتا لإعاصيتك أودعت عنك ما هو خير وأدخرت لك عندي ما هو أفضل منه فإذا كان يوم القيامة
جره بأهل الأعمال فوفوا أفعالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى بأهل البلاء
فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا

(١) حديث من يرد الله به خيرا يصبر منه البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أن
رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه
إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من حديث
أبي سعيد الخدري بإسناد فيه لين (٣) حديث أن الرجل يكون له الدرجة عند الله لا يلبثها بعمل
حتى يبتلى بلاء في جسمه فيلبثها بذلك أبو داود في رواية ابن داسه وابن العبد من حديث محمد بن
خالد السلمي عن أبيه عن جده وليس في رواية الأوزاعي ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من هذا
الوجه ومحمد بن خالد لم يروعه إلا أبو الليث الحسن بن عمر الرقي وكذلك لم يروعه خالد إلا ابنه محمد
وذكر أبو نعيم أن ابن منده سمى جده اللجلاج بن سليم فله أعلم وعلى هذا فإنه خالد بن اللجلاج
الغازي ذلك مشهور زوى عنه جماعة ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة من
رواية عبد الله بن أبي إياس بن أبي قاطمة عن أبيه عن جده ورواه البيهقي من رواية إبراهيم
السلمي عن أبيه عن جده فله أعلم (٤) حديث خباب بن الأرتاء أئمتنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو متوسد برداه في ظل الكعبة فشكرونا إليه الحديث تقدم.

قلمي بهذا فطحي
ما تحيت بأن أحترم
وأقصد. ومن آداب
الشيخ التزول إلى
حال للبردين من
الرفق بهم وبسطهم.
قال بعضهم: إن لرايت
الفقر الله بالرفق ولا
تلقه بالعلم فإن الرفق
بؤنسه والعلم بوحشه
فاذا فصل الشيخ
هذا للفق من الرفق
يتدرج للبريد ببركة
ذلك إلى الانتفاع
بالعلم فيأمل حيث
يصبر العلم. ومن
آداب الصبر
التنظف على الأصحاب
ونساء حقوقهم في
الصحة والمرض ولا
يترك حقوقهم اعتادا
على إرادتهم وصدقهم

فيود أهل المافية في الدنيا لو أنهم كانت تعرض أجسادهم بالمقارض لما يرون ما يذهب به أهل البلاد من التواب » فذلك قوله تعالى - إنا عوفي الصابرون أجرهم بغير حساب (١) - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنها قال شكنا في من الأنبياء عليهم السلام إلى ربّه قال يارب السبل للؤمن يطعمك ويغتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاد ويكون العبد الكافر لا يطعمك ويغترى عليك وعلى معاصيك تزوي عنه البلاد وتبسط له الدنيا فأوحى الله تعالى إليه إن العباد لي والبلاد لي وكل يسبح بحمدي فيكون للؤمن عليه من الثواب فأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاد فيكون كفارة توبه حتى يلقى فأجزبه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق وأزوي عنه البلاد فأجزبه بحسناته في الدنيا حتى يلقى فأجزبه بسيئاته . وروى أنه لما نزل قوله تعالى من حمل سودا يحوز بمقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر ألست تعرض ألست بصيكت الأذى ألست تحزن ففذه مما يحزون به (٢) » يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لتوبتك . وعن عتبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا زأتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على مصيئته فاعلموا أن ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به نتخنا عليهم أبواب كل شيء (٣) » يعني لما تركوا ما أمروا به نتخنا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرغوا عما أوثروا بما أعطوا من الخير أخذناهم بقتة . وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يرفها في الجاهلية فكلما هم تركها فبعل رجل يلتفت إليها وهو يحس فصدته حائل فأتى في وجهه فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبده خيرا لم يجعل له عاقبة ذنبه في الدنيا (٤) » وقال على كرم الله وجهه ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى قرأ عليهم - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير - فالصواب في الدنيا بكسب الأوزار فإذا عاقبه الله في الدنيا فله أكرم من أن يذبه ثانيا وإن عفا عنه في الدنيا فله أكرم من أن يذبه يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة صبر الرجل لها ولا قطرت قطرة (٥) »

(١) حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا وأراد أن يصاحبه صب عليه البلاد صبا الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الرض من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس أخضر منه دون قوله فإذا كان يوم القيامة إلى آخره وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان ورواه الأصفهاني في الترفيع والترهيب بتسمائه وأدخل يمين بكر وبين الرقاشي ضرار بن عمرو وهو أيضا ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - من يعمل سودا يحوز بمقال أبو بكر الصديق كيف الفرح بعد هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر ألست تعرض » الحديث من رواية من لم يسم عن أبي بكر ورواه الترمذي من وجه آخر بلفظ آخر وضعفه قال وليس له إسناده صحيح وقال الدارقطني وروى أيضا من حديث عمر ومن حديث الزبير قال وليس فيها شيء ثبت (٣) حديث عتبة بن عامر إذا زأتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على مصيئته فاعلموا أن ذلك استدراج الحديث أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن (٤) حديث الحسن البصري في الرجل الذي رأى امرأة فبعل يلتفت إليها وهو يحس فصدته حائل حديث وفيه إذا أراد الله بعبده خيرا لم يجعل له عاقبة ذنبه في الدنيا أحمد والطبراني بإسناده صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن مفضل مرفوعا ومتصلا ووصله الطبراني أيضا من رواية الحسن عن عمار بن ياسر ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقد روى الترمذي وابن ماجه للرفع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي .

قال بعضهم لا تضع حق أخيك بما بينك وبينه من اللوة . وحكى عن الجبري قال وأنت من الحج فابتدأت بالجند وسلفت عليه وقتلت حتى لا يبقى ثم أتيت منزلي فما صليت القداة التفت وإذا بالجند خلفي قتلت ياسدي إنما ابتدأت بالسلم عليك لكيلا تنفي إلى ههنا فقال لي يا أبا محمد هذا حقلك وذاك فضلك . ومن آداب الشيوخ أنهم إذا علوا من بعض السمر تدين ضعفا في مرأحة النفس وقهرها واتخذ صدق العزيمة أن يرقوا

أحب إلى الله من قطرة دم أهرقت في سبيل الله أوقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يرله إلا الله ، وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة القرصة وخطة إلى صلة الرحم (١) . وعن أبي الدرداء قال : توفي ابن سليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأقامه ملكان فحبسا بين يدي في زى الخصوم ، فقال أحدهما : بذرت بذرا القمح استحصد مر به هذا فأفسده ، فقال للآخر ما تقول ، فقال أخضت الحادة فأثيت على زرع فنظرت بينا وشبلا فاذا الطريق عليه ، قال سليمان عليه السلام ولم يذرت على الطريق أما علمت أن لا بد للناس من الطريق . قال فلم تحزن على ذلك أما علمت أن اللوت سبيل الآخرة كتاب سليمان إلى ربه ولم يزعج على ولد بعد ذلك . ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض ، فقال يابى : لأن تكون في ميزان أحب إلى من أن أكون في ميزانك ، فقال يابى : قال يابى : لأن من أن يكون مأحب . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نسي إليه ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله تعالى ومؤنة كفأها الله وأجر قد ساقه الله ثم نزل فصل ركتين ثم قال قد صنعنا ما أمر الله تعالى . قال تعالى - واستعينوا بالصبر والصلاة - . وعن ابن المبارك أنه مات له ابن فزاه مجوس يعرفه ، فقال له يبنى للعالم أن يفعل اليوم ما يغضب الجاهل بعد خمسة أيام ، فقال ما بين الباركة كتبوا عنه هذه . وقال بعض العلماء إن الله يبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يعيش على الأرض وما له ذنب . وقال الفضيل : إن الله عز وجل ليتعاهد عبده اللؤم بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير . وقال حاتم الأصم إن الله عز وجل يخرج يوم القيامة على الخلق بأربعة أقس على أربعة أجناس على الأغنياء سليمان وعلى الفقراء بالسبح وعلى السيد يوسف وعلى الرضى بأيوب صلوات الله عليهم . وروى أن ذكره عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل واختفى في الشجرة فصرقوا ذلك فمضى بالمشاعر فتشترت الشجرة حتى بلغ للنصارى إلى رأس ذكرى فأن منه أنه فأوحى الله تعالى إليه يا زكريا لأن صعدت منك أنه ثانية لأهونك من ديوان النبوة فضض ذكرى عليه السلام على أمه حتى قطع شطرين . وقال أبو السمود البلخي : من أصيب بمصيبة ففرق ثوبا أو ضرب صدره فافكها أخذ رعا يريد أن يقاتل به ربه عز وجل . وقال لقمان رحمه الله لابنه : يابى إن الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء فاذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن رضى الله الرضا ، ومن سخط الله السخط . وقال الأحف بن قيس : أصبحت يوما أشتكى ضرسى ، فقلت لعلى ماتت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا . قال : لقد أكثرت من ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد . وأوحى الله تعالى إلى عزير عليه السلام إذا نزلت بك بلية فلا تشكى إلى خلقى وإنك إلى كالأشوك إلى ملائكتي إذا صعدت مساويك وفضاحك نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجليل في الدنيا والآخرة .

(١) حديث أنس مخرج عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر الجرعتين وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر باسناد جيد ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبدا إثناء وجه الله وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة ماطر في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أوقطرة دمع في سواد الليل الحديث وفيه محمد بن صدقة ، وهو الفدكي منكر الحديث .

به ويوقوه على حد الرخصة ففي ذلك خير كثير وما دام العبد لا يتخطى حصرم الرخصة فهو حرم إذا ثبت وخالف الفقهاء وتدرج في لزوم الرخصة يدرج بالرفق إلى أوطان الرخصة . قال أبو سعيد بن الأعرابي كان شاب يسرف بإبراهيم السائق وكان لأبيه نصبة فاقطع إلى الصوفية وصحب أبا أحمد التلاني فربما كان يقع يد أبي أحمد شيء من الدرهم فكان يشتري له الرقاق والشواء والحلواء ويؤثره عليه ويقول هذا خرج من الدنيا وقد تمود

(بيان فضل النعمة على البلاء)

لملك تقول هذه الأخبار تدل على أن البلاء خير في الدنيا من النعم فهل لنا أن نسأل الله البلاء .
فأقول لوجه ذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان يستعبد في دعاته من
بلاء الدنيا وبلاء الآخرة (١) » وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام « ربنا آتانا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة (٢) » وكانوا يستعينون من شجاعة الأعداء وغيرها (٣) . وقال على كرم الله وجهه
الأمم إنني أسألك الصبر قال صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله البلاء فأسأله العافية (٤) » وروى
الصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سألوا الله العافية فما
أعطى أحد أفضل من العافية إلا اليقين (٥) » وأشار باليقين إلى عافية القلب عن مرض الجمل والشك
عافية القلب أطن من عافية البدن . وقال الحسن رحمه الله الحير الذي لا شرف فيه العافية مع الشكر
فكم من منعم عليه غير شاكر . وقال مطرف بن عبد الله لأن عافى فأشكر أحب إلى من أن أبخل فأصبر
وقال صلى الله عليه وسلم في دعاته « وعافيتك أحب إلى (٦) » وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل
واستشهاد وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبار : « أحدها » بالإضافة إلى ما هو أكثر منه إياها الدنيا وفي
الدين ، « والآخر » بالإضافة إلى ما يرجو من الثواب فينفي أن نسأل الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما هو من
البلاء وبسالة الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فإنه قادر على أن يعطى على الشكر ملا يطيه
على الصبر . فإن قلت : فقد قال بعضهم أود أن أكون جسرا على النار يسير على الخلق كلهم
فينجون وأكون أنا في النار . وقال الجنون رحمه الله تعالى :

وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

فهذا من هؤلاء سؤال لبلاء فاعلم أنه حكى عن جنون الحب رحمه الله أنه لم يبد هذا البيت بملة الحصر
فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاتب ويقول للصبيان : ادعوا العمك الكذاب . وأما صيغة الإنسان
ليكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكنة ولكن قد قلب المصيبة على القلب بحسن نظر الحب بنفسه
حبا لمثل ذلك فمن شرب كأس الحمية سكر ومن سكر توسع في الكلام ولوزايله سكره علم أن ما غلب
عليه كان حالة لاحقة لها فاستمعت من هذا الفن فهو من كلام المشائقي الذين أفرط عليهم وكلام المشائقي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يستعبد في دعاته من بلاء الدنيا والآخرة أحمد من حديث
بشر بن أبي أرطاة بلفظ أجرتنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وإسناده جيد ولأن داود من حديث
عائشة اللهم إني أعوذ بك من شيق الدنيا وشيق يوم القيامة وفيه بقة وهو مدلس ورواه بالنعنة
(٢) حديث كان يقول هو والأنبياء عليهم السلام ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار البخاري ومسلم من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعوها التي صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم آتنا في الدنيا الحديث ولأن داود والنسائي من حديث عبد الله بن السائب قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين الركنين ربنا آتانا الحديث (٣) حديث كان يستعبد من شجاعة
الأعداء تضم في الدعوات (٤) حديث قال على رضي الله عنه اللهم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم
لقد سألت الله البلاء فأسأله العافية الترمذي من حديث معاذ في أثناء حديث وحسنه لم يسلم عليه أو لم يسم
قال سمع رجلا وله ولنسائي في اليوم واليلة من حديث على كنت ساكنًا في رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنا أقول الحديث وفيه فإن كان بلاء صبرني فضره برجله وقال اللهم عافني واشغوق قال حسن
صحيح (٥) حديث أبي بكر الصديق سألوا الله العافية الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة استناد
جيد وقد تقدم (٦) حديث وعافيتك أحب إلى ذكره ابن إسحق في السيرة في دعاته يوم خرج إلى
الطائف بلفظ وعافيتك أوسع لي وكذا رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء من رواية حسان بن عطية مراسلا

النعمة فيجب أن نرتقى
به ونؤثره على غيره .
ومن آداب الشيوخ
التزهد عن مال الريد
وخدمته والارتفاق
من جانبه بوجه من
الوجوه لأنه جاء الله
تعالى فيجعل نفسه
وإرشاده خالصا لوجه
الله تعالى فما يسدى
الشيخ للسريد من
أفضل الصدقات .
وقد ورد « ما تصدق
متصدق بصدقة أفضل
من علم يسه في الناس »
وقد قال الله تعالى
تنبيه على خلوص
ماله وحراسته من
الشوائب فما نفعكم
لوجه الله لا تريد منكم
جزا ولا شكور ولا تقلا
ينفي الشيخ أن يطلب

يستدل سماعه ولا يجوز عليه كما حكى أن فاختة كان يراودها زوجها فتحمته فقال ماله الذي يملك عنى ولوأردت أن أقلب لك الكونين مع ملك سليمان ظهرا لبطن لعلته لأجلك فسمعه سليمان عليه السلام فاستدماه وعابته فقال يابني الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال ، وقال الشاعر :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

وهو أيضا لعمل ومناهة أن يريد ما لا يريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر فكيف أراد الهجر الذي لم يرد به بل لا يصح هذا الكلام إلا بتأويلين : أحدهما أن يكون ذلك في بعض الأحوال حتى يكتب بمرضاة الذي يتوصل به إلى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجر أن وسيلة إلى الرضا والرضا وسيلة إلى وصال المحبوب والوسيلة إلى المحبوب محبوبة فيكون مثله مثال عجب لئلا إذا أسلم درهما في درهمين فهو عجب الدرهمين يترك الدرهم في الحال . الثاني أن يصبر مرضاة عنده مطلوبان حيث إن مرضاة تقطو يكون له قسوة في استعصاء مرضاة محبوبة منه تزيد تلك القسوة على ما تفي مشاهدته مع كراهته فتندك في تصور أن يريد ما فيه الرضا فلا بد أن تنهي حال بعض المحبين إلى أن صار تفتنه في البلاغ استعصاء مرضاة عنهم أكثر من تفتنه في العافية من غير شعور الرضا فيؤلاه إذ فقدوا رضاء في البلاء صار البلاء أحب إليهم من العافية وهذه الحالة لا يمدد وقوعها في غلبات الحب ولكنها لا تثبت وإن ثبتت مثلا فهل هي حالة صحيحة أم حالة اقتضاها حالة أخرى وردت على القلب فالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى لأن يفضله على جميع خلقه العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين .

(بيان الأفضل من الصبر والشكر)

أعلم أن الناس اختلفوا في ذلك فقالوا من الصبر أفضل من الشكر وقال آخرون الشكر أفضل وقال آخرون هما سايان وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الأحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب يبعد عن التحصيل فلا يصح للتطويل بالنقل بل للبادرة إلى إظهار الحق أولى فنقول في بيان ذلك مقامان : المقام الأول البيان على سبيل التساهل وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش بحقيقته وهو البيان الذي ينبغي أن يغضب به عوام الخلق قصورا فهمهم عن درك الحقائق النافذة وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي أن يستمدد الوعاظ إذ مقصود كلامهم من عنابة العوام إصلاحهم والنظر للشفقة لا ينبغي أن تصلح العمى الطفل بالطيور السجان وضروب الحلاوات بل باللبين اللطيف وعليه أن تخرج عنه أطيب الأطعمة إلى أن يصير عتلا لها بقوة ويفارق الضعف الذي هو عليه في بيته فتقول : هذا المقام في البيان يأني البحث والتفصيل ومقتضاه النظر إلى الظاهر للفقوم من موارد الشرع وذلك ينبغي تحصيل الصبر فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة في فضله فالذا أضيف إليه ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر بل فيه ألفاظ صريحة في التفضيل كقوله صلى الله عليه وسلم « من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزة الصبر »^(١) وفي الخبر « يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزى الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأبصر أهل الأرض فيقال له : أما ترى أن يجزى كما جزينا هذا الشاكر ، فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى : كلا أنمت عليه فشكر وإيتيتك فصبرت لأضعن لك الأجر عليه فيعطى أضاف جزاء الشاكرين »^(٢) وقد قال الله تعالى - إنما يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب - وأما قوله « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »^(٣)

ورواه أبو عبد الله بن منده من حديث عبد الله بن جعفر مستندا وفيه من يجهل (١) حديث من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزة الصبر هدم (٢) حديث يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزى الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأبصر أهل الأرض الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

على صدقه جزاء إلا أن يظهر له في شيء من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى في قبول الفرق منه أو صلاح يترأى للشيخ في حق الريد بذلك فيكون التلبس بماله والأرتفاق بخدمته لمصلحة تعود على الريد مأمونة الغالبة من جانب الشيخ قال الله تعالى - يؤتىكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيضكم تبسئوا ويخرج أضغانكم - معنى يفسدكم أي يجهدكم وبلغ عليكم . قال قتادة : علم الله تعالى أن في خروج المال لإخراج الأضغان وهذا

فهو دليل على أن القضية في الصبر إذ ذكر ذلك في معرض للبيان لرفع درجة الشكر فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولو لا أنه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم «الجمعة حجج» للساكنين وجهاد للراء حسن التعلل (١) وكقوله صلى الله عليه وسلم «شاب الحجر كابد الوثن» وأيدا للشبه به ينبغي أن يكون أعلى رتبة فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «الصبر نصف الإيمان» لا يدل على أن الشكر منه ، وهو كقوله عليه السلام «الصوم نصف الصبر» فإن كل ما ينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفاً وإن كان بينهما تفاوت كما يقال الإيمان هو العلم والعمل فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل ذلك على أن العمل يساوي العلم ، وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم «آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليها السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبدالرحمن بن عوف لمكان غناه» (٢) وفي خبر آخر «يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً» (٣) وفي الخبر «بواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فانه مصراع واحد وأول من يدخله أهل البلاء أمامهم أيوب عليه السلام» (٤) وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لأن الصبر حال الفقر والشكر حال الثنى، فهذا هو اللقاع الذي يفتح العوام ويكفيهم في الوعظ والاتق والتصرف لمخفيه صلاح دينهم . للقام الثاني : هو البيان الذي قصد به تعريف أهل العلم والاستبحار بحقائق الأمور بطريق الكشف والابتنافح فنقول فيه : كل أمرين مبهمين لا يمكن للوازنة بينهما ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على أقسام لا يمكن للوازنة بين الجملة والجملة بل يجب أن تفرّد الأحاد بالوازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر أقسامهما وشبههما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان

(١) حديث الجمعة حجج للساكنين وجهاد للراء حسن التعلل الحارث بن أبي أسامة في مسنده بالشرط الأول من حديث ابن عباس بسند ضعيف أو الطبراني بالشرط الثاني من حديثه بسند ضعيف أيضاً أن امرأة قالت كتب الله الجهاد على الرجال فأبى ذلك من أعمالهم من الطاعة قال طاعة لأزواجهن وفي رواية ماجزاء غزوة للراء قال طاعة الزوج الحديث وفيه القاسم بن نياض وثقه أبو داود وضعفه ابن معين وباتى رجاله ثقات (٢) حديث شارب الحجر كابد الوثن ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ مدمن الحجر ورواه بلفظ شارب الحارث بن أبي أسامة من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف وقال ابن عدى إن حديث أبي هريرة أخطأ فيه محمد بن سليمان بن الأسهاني (٣) حديث آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبدالرحمن بن عوف لمكان غناه الطبراني في الأوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الأنبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاماً وقال لم يروه إلا شبيب بن خاله وهو كوفي ثقة ، وروى البزار من حديث أنس أول من يدخل الجنة من أغنياء أمية عبدالرحمن بن عوف وفيه أغلب بن عجم ضعيف (٤) حديث يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً تقدم حديث معاذ قبله ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية ديثار عن أنس بن مالك وديثار الحبشي أحد الكذابين على أنس والحديث منكر (٥) حديث أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فانه باب واحد الحديث لم أجده أصلاً ولا في الأحاديث الواردة في مصاريع أبواب الجنة مخففة ، فروى مسلم من حديث أنس في الشفاعة والتي غس محمد يده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى وفي الصحيحين في خطبة عتبة بن غزوان وقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كعظيم من الزحام .

تأديب من الله الكريم
والأدب أدب الله .
قال جعفر الحلي جاء
رجل إلى الجنيدي وأراد
أن يخرج عن ماله
كله وجلس معهم
على الفقر قال له الجنيدي
لا تخرج من مالك
كله احبس منه مقدار
ما يكفيك وأخرج
الفصل وتهوت بما
حبست واجتهد في
طلب الحلال لا تخرج
كل ما عندك فلست
آمن عليك أن
تطالبك تسك وكان
الذي عليه السلام إذا
أراد أن يعمل عملاً
تثبت وقد يحكون
الشيخ يعلم من حاله
للريد أنه إذا خرج
من الشيء يكسبه من

والقصان مع الأجمال فتقول : قد ذكرنا أن هذه القامات تنظم من أمور ثلاثة : علوم وأحوال وأعمال والشكر والصبر وسائر القامات هي كذلك وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها البعض لاجل الناظرين في الظواهر أن العلوم تراد للأحوال والأحوال تراد للأعمال والأعمال هي الأفضل. وأما أرباب الصائم فالأمر عندهم بالعكس من ذلك فإن الأعمال تراد للأحوال والأحوال تراد للعلوم فالأفضل العلوم ثم الأحوال ثم الأعمال لأن كل مراد لغيره فذلك التغير لاجلها أفضل منه. وأما أعداد هذه الثلاثة فالأعمال قد تساوى وقد تفاوتت إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا أحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا أحاد المعارف وأفضل المعارف علوم الكاشفة وهي أرفع من علوم العامة بل علوم العامة دون العامة لأنها تراد للعامة فتألف منها إصلاح العمل وإتمامها للعالم بالعامة على العابد إذا كان عليه تمامهم فصح ، فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل وإلّا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر فتقول : نالدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب وفائدة إصلاح حال القلب أن ينكشف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله فأرفع علوم الكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فإن السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة فهي للآخرة التي لا قيد عليها ولا تنقيد بشيء هاوكل ماعداها من المعارف عبيد وخدم بالإضافة إليها فإنها إعتراذ لأجلها ولما كانت مرادة لأجلها كان تفاوتها بحسب ضمها في الإفضاء إلى معرفة الله تعالى فإن بعض المعارف يقضي إلى بعض إما بواسطة أو بوسائل كثيرة فكلما كانت الوسائل يتنوع بين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل . وأما الأحوال فنحن بها أحوال القلب في تصفيتها وتطهيره عن شوائب الدنيا وشوائب الحلق حتى إذا طهر وصفا انضج له حقيقة الحق فاذا نضج الأحوال بقدر تأثيرها في إصلاح القلب وتطهيره وإعدادها لأن تحصل له علوم الكاشفة ، وكما أن تفصيل الرؤية يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال المرءة بعضها أقرب إلى الصفاة من بعض فكل ذلك أحوال القلب فالخالة القريبة أو القريبة من صفاة القلب هي أفضل مما دونها لاجلها بسبب التقرب من القصور وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكيد صفاة القلب وجلب الأحوال إليه وكل عمل إيمان يجلب إليه حالة مأمنة من الكاشفة موجبة لظلمة القلب - جاذبة إلى زخارف الدنيا وإما أن يجلب إليه حالة مهينة للكاشفة موجبة لصفاء القلب وقلم علائق الدنيا عنه واسم الأول العصية واسم الثاني الطاعة وللمعاشي من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في توير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال ، وذلك إنا نقول بالطلاق ربما حول الصلاة النافعة أفضل من كل عبادة نافعة وأن الحج أفضل من الصدقة وأن قيام الليل أفضل من غيره ولكن التحقيق فيه أن التني الذي معه ما لو قد غلبه البخل وحسب اللال على إمساكه فاخراج الدرهم له أفضل من قيام ليل وصيام أيام لأن الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرهما أومنه الشبع عن صفاء السكر من علوم الكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع فأما هذا الدبر إذا لم تكن حاله هذه الحال فليس يستغفر بشهوة بطنه ولا هو مشغل بوجع فكر يمنه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره وهو كالمرضى الذي يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به بل حقه أن ينظر في اللبك الذي استولى عليه والشح للطاع من جملة اللبكات ولا يزال صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة مذكرة بل لا يزاله لإخراج اللال فلهذا أن يتصدق بما معه ، وغضيل هذا مما ذكرناه في ربيع اللبكات فليرجع إليه قاذن باعتبار هذه الأحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب للطلق فيه خطأ

الحال لا يتطالع به إلى اللال حينئذ يجوز له أن يفسح للرديد في الخروج من اللال كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وقبل منه جميع ماله ، ومن آداب الشيخ إذا رأى من بعض الرديين مكروها أو علم من حاله أعوجاجا أو أحسن منه يدعو أو رأى أنه داخله حجب أن لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم مع الأصحاب ويشير إلى المكروه الذي يعلم ويكشف عن وجه للذمة بحال يحصل بذلك الفائدة للكل فهذا أقرب إلى الإدارة وأكثر أثرا لتألف

إذ لو قال لنا قائل الخير أفضل أم اللاء لم يكن فيه جواب حتى لأن الخير للعباد أفضل ولللاء للعطشان
فضل فإن اجتمعا فليُنظر إلى الأغلب فإن كان العطش هو الأغلب فاللاء أفضل وإن كان الجوع
أغلب فالخير أفضل فإن تساوى فهما متساويان وكذا إذا قيل السكين أفضل أم شراب البنيون فمر
بصح الجواب عنه مطلقا أصلا ، نعم لو قيل لنا السكين أفضل أم عدم الصفاء . فنقول : عدم
الصفاء لأن السكينين مراد له وما يراد لغيره فذلك النبر أفضل منه لأحالة فاذن في بند المال عمل
وهو الإشفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب وتيسر القلب بسبب
خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وجهه فالأفضل للفرقة ودونها الحال ودونها العمل . فإن قلت
قد رُحِّس الشرع على الأعمال وبالحق في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوة - من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا - وقال تعالى - وبأخذ الصدقات - فكيف لا يكون العمل والأشفاق هو الأفضل .
فاعلم أن الطبيب إذا أتى على الدواء لم يدل على أن الدواء مراد له أنه أفضل من الصحة
والشفاء بإجماليه بل ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب بما لا يشعر به إلا فهو كبرس
على وجه من الامراض معه فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به والسيل مع البالغة في التناء على غسل
الوجه بماء الورد مثلا إن كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحس فرط التناء على الواظبة عليه فيزول
مرضه فانه لو ذكر له أن للتصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا عيب
فيه ولنضرب مثلا أقرب من هذا فنقول : من له ولد علمه والعلم والقرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه
بحيث لا يزول عنه وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليقب له عفو ظا فقال له عفو ظوا لا حاجة
إلى تكرار ودراسة لأنه يظن أن ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبدا وكان له عيدا فأمر الولد بتعليم
البيد ووعده على ذلك بالجليل لتوفر دواعيه على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي للسكين
أن للتصود تعليم البيد والقرآن وأنه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الأمر فيقول ما لي قد
استخدمت لأجل البيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد وأعلم أن أبي لو أراد تعليم البيد لقد
عليه دون تسكين به وأعلم أنه لا قصاص لأبي يفقد هؤلاء البيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن فربما
يتكامل هذا للسكين فيترك تعليمهم اعتقادا على استغناء أبيه وعلى كرمه في الفوعة فيفسى العلم
والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد انخدع بمثل هذا الخيال طامعة وسلوكا طريق
الإباحة وقالوا إن الله تعالى غنى عن عبادته وعن أن يستقرض منا فأى معنى لقوله - من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا - ولو شاء الله إطعام الساكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم
كما قال تعالى حكاية عن الكفار - وإذا قيل لهم اقفوا ما رزقكم الله قالوا الذين كفروا الذين آمنوا أنطم
من لو يشاء الله أطعمهم وقالوا أيضا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا فانظر كيف كانوا صديقين في كلامهم
وكيف هلكوا بصديقهم فسبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجمل يصل به كثير أبدي
به كثير أفعولا لما ظنوا أنهم استخدموا لأجل الساكين والقرءاء أول أجل الله تعالى ثم قالوا لاحظنا
في الساكين ولا حظ له فينا وفي أموالنا سواء أعتقنا وأمسكتنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود
الوالد استخدامه لأجل البيد ولم يشعر بأنه كان للتصود ثبات صفة العلم في تصدوقا كمدق قلبه حتى
يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وإنما كان ذلك من الوالد تلطفا به في استمراره إلى ما في مسامحته
فهذا الثلاث بين لك مثلا من ضل من هذا الطريق فاذن للسكين الآخلاق يستوفى بواسطة الثلاث حيث
البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج من خروج الدم الملة
الهلكة من باطنك فالجمام خادم لك لأنك خادم للجمام ولا يخرج الجمام عن كونه متخدما بأن يكون له

القلوب وإذا رأى من
الريد تصير في خدمة
نبيه إليها يعمل قصيره
ويصفو عنه ويحرسه
على الخدمة بالرفق
واللين وإلى ذلك نذب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما أخبرنا
شياه الدين عبد الوهاب
ابن أبي قال أنا أبو الفتح
الكرخي قراءة عليه
قال أنا أبو نصر الترياق
قال أنا أبو محمد الجراسي
قال أنا أبو الباس
الحوي قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال ثنا تميم
قال ثنا رعد بن
سعد عن أبي هلال
الحولاف عن ابن
عباس بن جليد
الحجري عن عبد الله بن

غرض في أن يجمع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للأولاد ومن كماله عن خبايا الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها (١) كما نهى عن كسب الحجام وبماها وأوساخ أموال الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها (٢) والقصد أن الأعمال مؤثرات في القلب كاسبق في ربح الهلكات والقلب بحسب تأثيرها مستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكافي والقانون الأصلي الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف ولترجع الآن إلى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فتقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدها بالحال أو العمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بظنيره حتى يظهر التناسب وبه التناسب يظهر الفضل ومهما قبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربحا رجلا إلى معرفة واحدة إذ معرفة الشاكر أن يرى نعمة المنيق مثلا من الله تعالى ومعرفة الصابر أن يرى العمى من الله ومهما عرفنا متلازمان متساويين هذا إن اعتبرنا في البلاء والمصائب وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن العيب وفيما يتجدد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو للقصد منها بالحكمة والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه إيمان لسمى واحد باعتبارين مختلفين ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالإضافة إلى باعث الهوى ويسمى شكرا بالإضافة إلى باعث الدين إذ باعث الدين إنشاؤه لهذه الحكمة وهو أن يصبر به باعث الشهوة وقد صرفه إلى مقصود الحكمة بهما عيارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذن مجازي الصبر ثلاثة: الطاعة والعصية والبلاء وقد ظهر حكمهما في الطاعة والعصية وأما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة إما أن تقع ضرورة كالعينين مثلا وإما أن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما العيان فغير الأعمى عنها بأن لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى في بعض الماهى وشكر البصير عليهما من حيث العمل بأمرين: أحدهما أن لا يستعين بهما على مصيبة والآخر أن يستعملهما في الطاعة وكل أحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر فإن الصبر فإن الصبر عن الصور الجميلة لأنه لا يراها والبصير إذا وقع بصره على جميل فصر كان شاكرًا لنعمة المنيق وإن أبغى النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذا إذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد أيضا فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر إلى محاب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شبيب عليه السلام مثلا وقد كان ضريرا من الأنبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء لأنه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلا ولكان الكمال في أن يسلب الإنسان الأطراف كلها ويترك كلهم على وضوء وذلك محال جدا لأن كل واحد من هذه الأعضاء آلة في الدين فبوت بهذا ذلك الركن من الدين وشكرها باستعمالها فيا هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون إلا بصير وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فإنه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو محتاج إلى ما ورده ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقر ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف إلى الخيرات أو أن لا تستعمل في العصية فإن أنصف الصبر إلى الشكر الذي هو صرف إلى الطاعة فالشكر أفضل لأنه تضمن الصبر أيضا وفيه فرح بنعمة الله

(١) حديث التبي عن كسب الحجام تقدم (٢) حديث امتنع من الصدقة وصلها أو ساع الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها مسلم من حديث عبد اللطيف بن ربيعة إن هذه الصدقة لأجل لنا إنما هي أوساخ القوم وإنما لأجل الحمد ولا لآل محمد وفي رواية له أوساخ الناس .

عمر قال جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله كم أعفو عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة وأخلاق للشيخ مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وم أحق الناس بأحياء سلته في كل ما أمر وندب وأنكر وأوجب ومن جملة مهام الآداب حفظ أسرار المرئيين فيما يكاشفون به ويعتصمون من أنواع للنسح فسر المرئيد لا يتعدى ربه وشيخه ثم هقر الشيخ في نفس المرئيد بما جده في خلوته من كشف أو سماع خطاب أو شيء من خوارق العادات يعرفه

تعالى وفيه احتمال أن يصرفه إلى الفقراء وترك صرفة إلى التتم للباح وكان الحاصل يرجع إلى أن شيتين أفضل من شيء واحد وأن الجملة أطي رتبة من البعض وهذا فيه خلل إذ لا يصح الموازنة بين الجملة وبين أبعاضها وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية بل يصرفه إلى التتم للباح للصبر فهو أفضل من الشكر والفقير الصابر أفضل من التقى للمسك ماله الصارف بإياه إلى للباحات لادن التقى الصارف ماله إلى الخيرات لأن الفقير قد جاهد نفسه وكسر نعمتها وأحسن الرضا بل يلاؤه تعالى وهذه الحالة تستدعي لأعماله قوة والتي أتبع نعمته وأطاع شهوده ولكنه انحصر على للباح وللباح فيه مندوحة من الحرام ولكن لابد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا إلا أن القوة التي عنها يصدر صبر الفقير أطي وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الانحصار في التتم على للباح والشكر تلك القوة التي يبدل العمل عليها فإن الأعمال لا تتراد إلا لأحوال القلوب وتلك القوة حالة القلب تختلف بحسب قوة اليقين والإيمان فبالله على زيادة قوة في الإيمان فهو أفضل لأعماله وجميع ما ورد من فضيل أجر الصبر على أجر الشكر في الآيات والأخبار إنما أريد به هذه الرتبة على المحصر لأن السابق إلى أفهام الناس من النعمة والأموال والتي بها والسابق إلى الأفهام من الشكر أن يقول الإنسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على الصلة لأن يصر فيها إلى الطاعة ، فإذن الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي يفهمه العامة أفضل من الشكر الذي يفهمه العامة وإلى هذا التقى على الخصوص أمار الجنيده رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس مدح التقى بالوجود والامدح الفقير بالعدم وإنما للبح في الاثنين قيامهما بشرط ما عليهما فشرط التقى يصحبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته ونعمتها والفقير يصحبه فيما عليه أشياء ثلاث صفته ونقصها وتزجها فإذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي ألم صفته وأزجها أتم حالا ممن متع صفته ونعمتها والأمر على ماله وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الأخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواء ويقال كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال التقى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيده فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وإتلاف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيده أصابني ورجع إلى فضيل الفقير الصابر على التقى الشاكر ومهما لاحظت الساني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجها في بعض الأحوال فرب فقير صابر أفضل من غني عاكر كالمسقى ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر وذلك هو التقى الذي يرى نفسه مثل الفقير إذ لا يمسك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو عسكه على اعتقاد أنه خازن للسجاجين والسالكين وإنما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف إليهم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا تقليد منة بل أداء لحق الله تعالى في تحقيد عبادته فهذا أفضل من الفقير الصابر . فإن قلت فهذا لا يثبت على النفس والفقير يشغل عليه الفقر لأن هذا يستشعر للذة القدرة وذلك يستشعر ألم الصبر فإن كان متألما بفراق اللال فينجبر ذلك بقلته في القدرة على الاتحاق . فاعلم أن الذي نراه أن من يتفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالا ممن يتفق وهو ينفق به وإنما يقتطمع من نفسه فقيرا وقد ذكرنا فضيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فإيلاهم النفس ليس مطلوب بالعين بل لتأديها وذلك يشاهي ضرب كلب الصيد والكلب للتأديب أكل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج إلى الإيلاهم والمجاهدة في البداية ولا يحتاج إليهم في النهاية بل التوبة أن يصير مكان مؤلما في حقه لذبة عنده كما يصير التعل عند الصبي العاقل للذبة وقد كان مؤلما له أولا ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأقلين في البداية بل قيل البداية بكثير كالمسيان أطلق الجنيده القول بأن الذي يؤتم صفته أفضل وهو كما قال صحيح فإراد من عموم الخلق ، فلذلك كنت لا تحصل الجواب وتطلقه لإرادة أكثر

فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر فانه صحيح الخلفى السابق إلى الأهمام فاذا أردت التحقيق
فصل فان للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر
وراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا إذا صبر مع التألم والرضا عن كماله ولا فرح والشكر
لا يمكن إلا على محبوب مفروح به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أخصاها ويدخل في جملتها
أمر دونها فان حياة البدن من تابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر
والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظم حلم الله وكنف ستره شكر والاعتراض بأن النعم
ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والعلم بأن الشكر أيضا نعم من نعم الله وموهبة منه شكر
وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر وشكر الواسط شكر إذ قال عليه السلام «من لم يشكر
الناس لم يشكر الله (١)» وقد ذكرنا حجة ذلك في كتاب أسرار الزكاة والاعتراف وحسن الأدب
بين يدى النعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وما يندرج من الأعمال
والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن إجمال القول
بتفصيل أحدها على الآخر إلا على سبيل إردافا مخصوص باللفظ العام كأورد في الأخبار والآثار وقد روى
عن بعضهم أنه قال رأيت في بعض الأسفار شيئا كبيرا قد طعن في السن فأسألت عن حاله فقال إني كنت
في ابتداء عمرى أهوى ابنة عمى وهى كذلك كانت تهوى فأتقوا أنها زوجت منى فليقل زفافها نلت
تعالى حتى نحى هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جنى فليقلنا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا إلى صاحبه
فما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فليقلنا طول الليل فليقلنا سبعين أو مائتين سنة نحن على تلك
الحالة كل ليلة أليس كذلك فليقلنا قالت المجوز هو كما يقول الشيخ فانظر أليها لوصبر على بلاء
الفرقة أن لو لم يجمع الله بينهما وأنسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك أن
هذا الشكر أفضل فاذا نزلت على حقائق الفضلات لا تضيق كما سبق والله أعلم .

(كتاب الخوف والرجاء)

(وهو الكتاب الثالث من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه الخوف مكره وعقابه الذى عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساقطهم
بلطائف آلائه إلى التزول بفناءه والصدول عن دار بلاء التى هى مستقر أعدائه وضرب بسيات
التخوف وزجره العنيف وجوه للراضين عن حضرة إلى دار ثوابه وكرامته وصدمهم عن الترض
لأنهم والهدف لسخطة وهمته قودا لأصناف الخلق يسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق واللطف
إلى حبيته ، والصلاة على محمد سيد أنبيائه وخير خلقيته وعلى آله وأصحابه وعترته .

[أما بعد] فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير للربوب إلى كل مقام محمود مطيعان بهما يقطع
من طرق الآخرة كل عتبة كشود فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء تقبل
الأعباء محفوا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء ولا يصدر عن نار الجحيم والعذاب
الأليم مع كونه محفوا بلطائف الشهوات ومحايبات الذات لإسباط التخوف وسطوات التعنيف
فلا بد إذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادهما وتمازجهما ونحن

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تهم في الزكاة .

(كتاب الرجاء والخوف)

منظهرت الأسرار
فكامل العقل كمال
طالت القوة الفعل
قيدها ووزنها بالعقل
حتى يضمها في مواضعها
فبجل حال الشيوخ
عن إذاعة الأسرار
لرؤايتهم عقولهم وينفى
للريد أن يحفظ سره
من به في ذلك صوته
وسلامته وتأييد الله
سبحانه وتعالى له
بشدارك الريد
الصادقين في مورد
ومصدر .

[الباب الثالث
والحسنون في حقيقة
الصعبة وما فيها من
الحير والتميز]
للتعنى للصعبة وجود
الجنسية وقد يدعو
إليها أعم الأوصاف

يجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الأول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف أما الشطر الأول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي يجتنب به الرجاء .

(بيان حقيقة الرجاء)

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وإنما يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأتم وإنما يسمى حالاً إذا كان عارضاً سريع الزوال وكذا أن الصفة تنقسم إلى ثابتة كصفة الذهب وإلى سريفة الزوال كصفة الرجل وإلى ماهو بينهما كصفة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضاً يتم من حال وعلم وعمل فالعلم بسبب بشر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسماً من جملة الثلاثة ويانه أن كل ما يلائقك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى متظر في الاستقبال فإذا خطر إليك موجود فيما مضى ممي ذكرنا وتذكرا وإن كان ما خطر قبلك موجوداً في الحال ممي وجدنا وذوقاً وإدراكاً وإنما ممي وجدنا لأنها حالة نتجها من نفسك وإن كان قد خطر إليك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك ممي انتظارا وتوقفاً فإن كان للنتظر مكروها حصل منه ألم في القلب ممي خوفاً وإشفاقاً وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح ممي ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب للتوقع لا يد وأن يكون له سبب فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وإن كان ذلك انتظارا مع اغترام أسبابه واضطرارها فاسم التورود والحق عليه أصدق من اسم الرجاء وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التقي أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتدرج فيه أما ما يقطع به فلا ، إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لأن ذلك مقطوع به ، نعم يقال أرجو نزول للطر وأخاف انقطاعه وقد علم أن باب التورود أن الدنيا مزروعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى خلب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها والقلب للستر بالدنيا للستر في كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان ولما ينفع الإيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد للثمرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير غفن ولا موسوس ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق للماء إليه في أوقاته ثم نقي الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات للفسحة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته ممي انتظاره رجاء وإن بث البذر في أرض صلبة سبخة مرضعة لا ينصب إليها للماء ولم يشتغل بتهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه ممي انتظاره حمياً وغرورا لارجاه وإن بث البذر في أرض طيبة لكن لاماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تقلب الأمطار ولا يجتمع أيضاً ممي انتظاره تنمياً لارجاه ، فالذي اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى يصرف التواضع والقصداً فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات

وقد يدعو إليه أخص الأوصاف فالدعاء بأعم الأوصاف كليل جنس البشر بعضهم إلى بعض والدعاء بأخص الأوصاف كليل أهل كل صفة بعضهم إلى بعض ثم أخص من ذلك كليل أهل الطاعة بعضهم إلى بعض وكليل أهل النصية بعضهم إلى بعض فالذا علم هذا الأسئل وأن الجاذب إلى السجدة وجود الجنسية بالأعم تارة وبالأخص أخرى فليفتقد الإنسان نفسه عند الليل إلى سجة شخص وينظر ما الذي يعيل به إلى محبته ويزن أحواله من يعيل إليه بيزان الصرع فإن

وطهر القلب عن عوكة الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تثبيتته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة للنفسية إلى النفرة كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعنا له على اللواظبة والقيام بقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب النفرة إلى الموت وإن قطع عن بذل الإيمان تهمده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر النفرة فانتظاره حق وغرور قال صلى الله عليه وسلم «الأحمق من أتبع نفسه هواها ونهى على الله الجنة (١)» وقال تعالى - خلف من يهدم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً - وقال تعالى - خلف من يهدم خلف ورتوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - ودم الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال - ما ظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً - فاذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير حقيق بأن يرجو قبول التوبة وأما قبول التوبة إذا كان كارهها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشهى التوبة ويشاقق إليها حقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة لأن كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجرى مجرى السبب الذي قد يقضى إلى التوبة وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب ولذلك قال تعالى - إن الذين آمنوا والذين هاجروا واجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - معناه أولئك يستقون أن يرجوا رحمة الله وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضاً قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يزم على التوبة والرجوع فرجاؤه للنفرة حق كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتعمده بسقى ولا تقيّة - قال يحيى ابن معاذ من أعظم الاعتقار عندى القادى في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة يبذر النار وطلب دار الطميين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمنى على الله عز وجل مع الافراط :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليأس

فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومطلته فقد علمت أنها حالة أعمرها العلم بجريان أكثر الأسباب وهذه الحالة تتميز الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان فإن من حسن بذر وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاءه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتهديها وتنحية كل حشيش يثبت فيها فلا يفر عن تهديها أصلاً إلى وقت الحصاد وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التصديق أن عرف أن الأرض سبخة وأن اللاء معوز وأن البذر لا يثبت فيترك لأعماله تفقد الأرض والتعب في تهديها والرجاء محمود لأنه باعث واليأس مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل والخوف ليس بضده للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتى بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذن حال الرجال يورث طول المجاهدة بالأعمال واللواظبة على الطاعات كيما تقبلت الأحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتتم بتجاراته والتلطف في التعلق به فإن هذه الأحوال لا بد وأن تظهر على كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فإن كان لا يظهر فليست له به على الحرمان عن مقام الرجاو والنزول في حضيض الثرور والتمنى فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أعمره من العلم ولما استثمر منه من العمل (١) حديث الأحمق من أتبع نفسه هواها الحديث تقدم غير مرة .

رأى أحواله مسددة
فليشتر نفسه بحسن
الحال فقد جعل الله
تعالى مرآته مجسوة
يلوح له في مرآة أخيه
جمال حسن الحال وإن
رأى أفعاله غير مسددة
فليرجع إلى نفسه بالأمّة
والإتيام قد لاح له في
مرآة أخيه سوء حاله
فبالجدير أن يفر منه
كفراره من الأسد
فاتها إذا اصطحبا
ازدادا ظلمة واعوجاجا
ثم إذا علم من صاحبه
الذى مال إليه حسن
الحال وحكم نفسه
بحسن الحال طالع ذلك
في مرآة أخيه فليعلم أن
الليل بالوصف الأعم
مركز في جبلته والليل
بطرفه واقع وله

ويدل على إيماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأبجنت ثوابه وإذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحنت إليه قال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أراذك للأخري هياك لهائم لا يبالى في أي أوديتها هلكت فقد كرمك الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير فمن ارتجى أن يكون مراد بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور (١)».

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه)

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأن أقرب السبيل إلى الله تعالى أحبه له والحب ينلب الرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاء ثوابه وقد ورد في الرجاء وحسن الظن «رغاب لاسيا في وقت اللوت قال تعالى - لا تشعظوا من رحمة الله - غرم أصل اليأس وفي أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لأنك قلت أخاف أن يأكله الذئب وأتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجى ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له وقال صلى الله عليه وسلم «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء (٣)» «ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في الترع فقال كيف تجدك فقال أجدي أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتماع في قلب عبد في هذا الوطن إلا أعطاه الله مارجاً وأمنه مما يخاف (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «أخرج الله الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه بإهدا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك» وقال سفيان : من أذنب ذنبا فسر أن الله تعالى قد رده عليه ورجا غفرانه غفر الله ذنبه قال لأن الله عز وجل عير قوماً فقالوا ذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم - وقال تعالى - وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً يورسون وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يقول للعيد يوم القيامة ما منكم إذ رأيتم للنكر أن تذكروا فأنقذ الله حجتهم قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرت لك (٥)» وفي الخبر الصحيح «أن رجلاً كان يدين الناس فيسمع الفتي ويتجاوز عن السر قلبي الله ولم يعمل خيراً قط قال الله عز وجل من أحق بذلك منا (٦)» فها هو عن حسن ظنه ورجائه أن يغفر عنه مع إفلاسه عن الطاعات وقال تعالى - إن الذين يتلون كتاب الله

(١) حديث قال زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد الحديث الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وفيه أنه قال أنت زيد الخير وكذا قال ابن أبي حاتم صاه النبي ﷺ الخير ليس يروي عنه حديث وذكره في حديث يروي قيام زيد الخير قاله رسول الله الحديث سمعت أبي يقول ذلك (٢) حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله مسلم من حديث جابر (٣) حديث أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ابن حبان من حديث والثقة بن المقفع وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة دون قوله فليظن بي ما شاء (٤) حديث دخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في الترع فقال كيف تجدك الحديث الترمذي وقال غريب والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أنس وقال النووي إسناده جيد (٥) حديث إن الله يقول للعيد يوم القيامة ما منكم إذ رأيتم للنكر أن تذكروا الحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد وقد تقدم في الأمر المعروف (٦) حديث أن رجلاً كان يدين الناس فيسمع الفتي ويتجاوز عن السر قلبي الله ولم يعمل خيراً قط قال الله عز وجل من أحق بذلك منا وكان نوسراً فكان بأمر غفاته أن يتجاوزوا عن السر قال الله عز وجل نحن أحق بذلك بمجاوزوا عنه وأحقا عليهم من حديث حذيفة

بحسبه أحكام ولانفس بسببه سكون وركون فيسلب الليل بالوصف الأعم جدوى الليل بالوصف الأخس ويحير بين النصائح استرواحات طيبة وتلد ذات جلية لا يفرق بينها وبين خلوص الصعبة لله إلا العلماء الزاهدون وقد بنفسه للريد الصادق بأهل الصلاح أكثر مما بنفسه بأهل الفساد ووجه ذلك أن أهل الفساد علم فساد طريقهم فأخذ حذره وأهل الصلاح غره صلاحهم فقال اللهم بمنجية الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات طيبة جلية حالت بينهم وبين

وأقاموا الصلاة وأنفقوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ - ولما قال صلى الله عليه وسلم
 ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتجارون إلى
 ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال إن ربك يقول لك لم تهبط عبادي غرَجَ عليهم ورجام
 وغوثهم (١) وفي الخبر «إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أجبي وأحب من يحبني وحبيبي إلى
 خلقي فقال يارب كيف أجيبك إلى خلقك قال اذكرني بالحسن الجليل واذكر الآثي وإحساني وذكرهم
 ذلك فاهم لا يرسفون مني إلا الجليل (٢) ورؤي أبان بن أبي عياش في النوم وكان يذكر أبواب الرجاء
 فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك قلت أردت أن أجيبك إلى خلقك فقال
 قد غفرت لك ورؤي يحيى بن أكرم بعد موته في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني الله بين
 يديه وقال يا شيخ السوء ضلت وضلت قال فأخذني من الرعب ما يملئ الله ثم قلت يارب ما هكذا
 حدثت عنك فقال وما حدثت عنى قلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن
 نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنك قلت أنا عند ظن عبيدي في فيلظن في ما شاء
 وكنت أظن بك أن لاتعذبني فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبي وصدق أنس وصدق
 الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فألبست ومشى بين يدي الولدان إلى الجنة
 قلت يا لها من فرحة . وفي الخبر «أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال
 فيقول له الله تعالى يوم القيامة اليوم أوسعك من رحمتي كما كنت تهبط عبادي منها (٣) وقال صلى الله
 عليه وسلم «إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى
 لجبريل اذهب فالتقي بعبدي قال فيجيبه به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك
 فيقول شرمكان قال فيقول ردوه إلى مكانه قال فيمشي ويبلغت إلى ورائه فيقول الله عز وجل إلى
 أي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت أن لاتعذبني إليها بعد إذ أخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا
 به إلى الجنة (٤) فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته نسأل الله حسن التوفيق بلفظه وكرمه .

(بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويقال)

اعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة وإما رجل غلب
 عليه الخوف فأسرف في اللواظفة على العبادة حتى أضر نفسه وأهله وهذان رجلان مائلان عن
 الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفریط فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال فأما العاصي للفرور
 للتمسك على الله مع الاعراض عن العبادة واتحام للعاصي فأدوية الرجاء تغلب مومها مهلكة في حقه
 وتنزل منزلة السمل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل
 للفرور لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأبواب للبهجة له فلهاذا يجب أن يكون واعظ الخلق
 متعلقا ناظرا إلى مواقع السمل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان الطلوع هو العدل

وأي هريرة بنحوه (١) حديث لوتعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الحديث وفيه فهبط جبريل
 الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة أنه قال قلت لعنه من حديث أنس ورواه يزيد بن جريح
 إلى الصعدات أحمد والحاكم وقد تقدم (٢) حديث إن الله تعالى أوحى إلى عبده داود عليه السلام
 أجبي وأحب من يحبني الحديث لم أجده أصلا وكأنه من الاسرائيليات كالذي قبله (٣) حديث أن رجلا
 من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم الحديث رواه البيهقي في الشعب عن زيد بن أسلم
 فذكره مقطوعا (٤) حديث إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان
 الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله والبيهقي في الشعب وضمعه من حديث أنس .

حقيقة الصبغة له
 فاكسب من طريقهم
 النشور في الطلب
 والتخلف عن بلوغ
 الأرب فليتبه الصادق
 لهذه الحقيقة وبأخذ
 من الصبغة أصنى
 الأقسام ويدرس منها
 مايسد في وجهه للرام
 قال بعضهم هل رأيت
 شرايط إلا نحن نعرف
 ولهذا بلغنا أنكر
 طائفة من السلف
 الصبغة ورأوا الفضيلة
 في العزلة والوحدة
 كإبراهيم بن آدم
 وداود الطائي وفضيل
 ابن عياض وسليمان
 الخواص وسكى عنه
 أنه قيل له جاء إبراهيم
 ابن آدم أما لقاها قال
 لأن ألقى سبعا ضاربا

والقصد في الصفات والأخلاق كلها وحير الأمور أوساطها فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عوج سارده إلى الوسط لاجبا يزيد في ميه عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء بل للبالغة في التخوف أيضا تكاد أن لاتردم إلى جادة الحق وسنن صواب فأما ذكر أسباب الرجاء فيهلكهم ويردهم بالسكية ولكها لما كانت أخف على القلوب وأشد عند النفوس ولم يكن غرض الوعظ إلا استئالة القلوب واستنطاق الخلق بالتأنيب كفيما كانوا مالوا إلى الرجاء حتى ازداد الفساد فسادا وازداد التهمكون في طغيانهم تناديا قال على كرم الله وجهه إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنون من مكر الله . ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف للرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق للاستعمال الآخر الذي يظن أن كل شيء من الأدوية صالح لكل مريض كفيما كان . وحال الرجاء يوجب بشيئين أحدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات والأخبار والآثار . أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع ماذكرناه في أصناف النعم من كتاب السكر حتى إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا ومحاسن حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعد في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كالأكل والشرب وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار وما هو زينة له كاستقوال الحاسنين واختلاف ألوان السينين وحرارة الفنتين وغير ذلك مما كان لا ينظم يفقده غرض مقصود وإنما كان غوث به مزية جلال فالغاية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن خوتهم الزايد وللزايا في الرتبة والحاجة كيف يرضى بساتهم إلى الهلاك المؤبد بل إذا نظر الإنسان نظرا شافيا علم أن أكثر الخلق قد هوي به لأسباب السعادة في الدنيا حتى إنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وإن أخبر بأنه لا يوجب بعد الموت أبدا مثلاً ولا يعسر أصلا فليست كراهتهم لعدم إلا لأن أسباب النعم أغلب لا محالة وإنما الذي يمتنع الموت نادر ثم لا يتصالح إلا في حال نادرة وواقعة هاجمة غريبة فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا القالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا إذا تؤمل حق التأمل قوى به أسباب الرجاء ومن الاعتبار أيضا النظر في حكمة الشرية وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض المارفين يرى آية اللدانية في البقرة من أقوى أسباب الرجاء فليل له وما فيها من الرجاء فقال الله تعالى كلها قليل ورزق الإنسان منها قليل والذين قليل عن رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى فيها أطول آية ليهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عرض له منه .

الفن الثاني استقراء الآيات والأخبار : لما ورد في الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تنظروا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يالي إنه هو الغفور الرحيم ^(١) وقال تعالى - والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض - وأخبر تعالى أن النار أعداها لأعدائه وإنما خوف بها أوليائه فقال - لهم من فوقهم ظلم من النار ومن تحمهم ظلم ذلك بخوف الله به عباده - وقال تعالى - واتقوا النار التي أعدت للكافرين - وقال تعالى - فأندرتكم نار انظروا لا يصلاحها ^(٢) حديث قرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تنظروا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد وقال حسن غريب .

أحب إلى من أن أتق
إبراهيم بن آدم قال
لأنني إذا رأيت أحسنه
كلاني وأظهر نفسي
بأظهار أحسن أحوالها
وفي ذلك الفتنة وهذا
حكاية عالم نفسه
وأخلاقها وهذا واقع
بين المتصالحين لإمن
عصمه الله تعالى . أخبرنا
الشيخ الثقة أبو الفتح
محمد بن عبد الباقي
إجازة قال أنا الحافظ
أبو بكر محمد بن أحمد
قال أنا أبو القاسم
إسماعيل بن مسعدة قال
أنا أبو عمرو محمد بن
عبد الله بن أحمد قال
أنا أبو سليمان أحمد بن
محمد الخطابي قال أنا
محمد بن بصير بن
عبد الرزاق قال حدثنا

إلا الأخفى الذي كذب وتولى - وقال عز وجل - وإن ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم - ويقال « إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أزلت عليك هذه الآيات وإن ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم - (١) وفي تفسير قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - قال لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول أنهم أهل العراق يقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطروا من رحمة الله - الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - وأما الأخبار فقد روى أبو موسى عليه السلام أنه قال « أمي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة جعل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمي رجل من أهل الكتاب فليل هذا فداؤك من النار (٢) وفي لفظ آخر « يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فداؤك من النار فيلقي فيها (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمى من فيج جهنم وهي حظ المؤمن من النار (٤) » وروى في تفسير قوله تعالى - يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه « أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام أني أجعل حساب أمتك إليك قال لا يارب أنت أرحم بهم مني فقال إذن لا تخزيك فيهم (٥) » وروى عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمة فقال يارب اجعل حسابهم إلى ثلاث يطلع على مساوئهم غيري فأوحى الله تعالى إليهم أمتك وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم إلى غيري ثلاث تنظر إلى مساوئهم أنت ولا غيرك (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « حياتي خير لكم وموتي خير لكم أما حياتي فأفسد لكم السنن وأشجع لكم التراجع ، وأما موتي فإن أعمالكم تمرض على ما رأيتم منها حسنا حدث الله عليه وما رأيتم منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم (٧) »

(١) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أزلت عليك وإن ربك لدو مغفرة للناس على ظلمهم لم أجده بهذا اللفظ وروى ابن أبي حاتم والعللي في تفسيرهما من رواية علي بن زيد بن جعدان عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزة ما هنا أحد العيش الحديث (٢) حديث أبي موسى أمة مرحومة لا عذاب عليها جعل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفتن الحديث أبو داود دون قوله فإذا كان يوم القيامة الخ فرواها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وفي صحيحه من حديث أبي موسى كما سيأتي ذكره في الحديث الذي يليه (٣) حديث يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلى جهنم الحديث مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وفي رواية له لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا (٤) حديث الحمى من فيج جهنم وهي حظ المؤمن من النار أحمد من رواية أبي صالح الأخرى عن أبي أمامة وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه (٥) حديث إن الله أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أني أجعل حساب أمتك إليك قال لا يارب أنت خير لهم مني الحديث في تفسير قوله تعالى - يوم لا يخزي الله النبي - ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله (٦) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمة فقال يارب اجعل حسابهم إلى ثلاثة على أصل (٧) حديث حياتي خير لكم وموتي خير لكم الحديث الزبارة من حديث عبد الله بن مسعود رجلاه رجال الصحيح إلا أن عبد الحميد بن عبد العزيز بن أبي داود وإن أخرجه مسلم وهما بن مسعود والنسائي قد ضفاه كثيرون ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف.

سليمان بن الأعمش قال ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك أن يكون خير مال للمسلم غنابلق بها شعاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه عن الفتن » قال الله تعالى إخبارا عن خليله إبراهيم - وأعرض لكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى - استظهر بالمرأة على قومه . قيل : المرأة نوحان فريضة وفضيلة قاله فريضة المرأة عن الشر وأهله

وقال صلى الله عليه وسلم يوما «يا كرم الله وجهه فقال جبريل عليه السلام أتدري ما تضرب يا كرم الله وجهه فقال هو إن عفا عن السيئات برحمة بعد إحسانتك بركمه (١)» ومعنى التي صلى الله عليه وسلم جبريل قول «والله إنني أسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما مقام النعمة ؟ قال لا ، قال فادخل الجنة (٢)» قال العلماء قد أتم الله علينا نعمته برضاه للإسلام لنا إذ قال تعالى - وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - وفي الخبر «إذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر الله يقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبدٍ أذنب ذنباً فسلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالدين أشهدكم أني قد غفرت له (٣)» وفي الخبر «لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عتات السماء غفرتها له ما استغفروا ورجاني (٤)» وفي الخبر «لو تقبى عبدى بقراب الأرض ذنوباً بقيت بقراب الأرض مغفرة (٥)» وفي الحديث إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتب عليه وإلا كتبها سيئة (٦)» وفي لفظ آخر «فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب الجنتين لصاحب النكال وهو أمير عليه ألقى هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة تضعيف العشر وأرفع له تسع حسنات فتلقى عنه السيئة» وروى أنس في حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال «إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه فقال أعرابي وإن تاب عنه قال عي عنه قال فإن عاد قال النبي صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال الأعرابي فإن تاب قال عي من سيئته قال إلى متى ؟ قال إلى أن يستغفر ويثوب إلى الله عز وجل إن الله لا يل من للفرقة حتى يعل العبد من الاستغفار فإذا تم العبد بحسنة كتبها صاحب الجنتين حسنة قبل أن يعملها فإن عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى إلى سبعائة ضعف وإذا تم بخطيئة لم يكتب عليه فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراجها حسن عفو الله عز وجل (٧)» وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم يوماً يا كريم الله فقال جبريل تدرى ما مضى يا كريم الفؤ الحديث لم أجده من النبي صلى الله عليه وسلم والوجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وبين جبريل هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة من قول عتبة بن الوليد ورواه البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال حدثني بعض الزهاد فذكره (٢) حديث سمع رجلاً يقول اللهم إني أسألك محام النعمة الحديث تقدم (٣) حديث إذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى لا لكنته انظر وإلى عدى أذنب ذنباً فلم أن له رباً يغفر الذنوب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ أن عبداً أصاب ذنباً فقال أي رب أذنبت ذنباً فاغفر لي الحديث وفي رواية أذنب عبد ذنباً قال الحديث (٤) حديث لو أذنب العبد حتى يبلغ ذنوبه عنان السماء الحديث الترمذي من حديث أنس بن مالك آدم بولفت ذنوبك عنان السماء ثم استغفر حتى غفرت لك وقال حسن (٥) حديث لو لقيت عدى جرباب الأرض ذنوباً لقيته جربابها مغفرة مسلم من حديث أبي ذر ومن لقيت جرباب الأرض خطيئة لا يشركني فيها لقيته بخطيئة مغفرة والترمذي من حديث أنس بن مالك قبله يابن آدم لو لقيت الحديث (٦) حديث إن ذلك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتب عليه الحديث قال وفي لفظ آخر فإذا أذنب عليه وجعل حسنة قال صاحب النجاة صاحب النجاة وهو أمير عليه ألقى هذه البيعة حتى ألقى من حسنة واحدة من تصفيف الشعر الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند صحيح لين اللفظ الأول ورواه أيضاً الطبري منه وفيه إن صاحب النجاة أمير على صاحب النجاة وليس فيه أنه يلحق صاحب النجاة بالقاء البيعة حتى يلقى من حسنة واحدة ولم أجد ذلك خلاصاً (٧) حديث أنس إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه قال أعزاني قال ذهب عنه قال نعم حسنة قال فإن عاد الحديث وفيه إن الله لا يمل من التوبة حتى يمل التائب من الاستغفار

والقضية علة التشوُّب
وأهله وبجوزان يقال
الحلوة غير الزمة
فالحلوة من الأغيار
والزمة من النفس وما
تدعو إليه وما يشغل
عن الله فالحلوة كثيرة
الوجود والزمة قليلة
الوجود ، قال أبو بكر
الوراق ما ظهرت لفظة
الإباحة لمن لدن آدم
عليه السلام إلى يومنا
هذا وما سلم إلا من
جانب الحلوة وقيل
السلامة عشرة أجزاء
تسعة في الهمت وواحد
في الزمة وقيل الحلوة
أصل والحلقة عارض
فلا يملك الأصل ولا يملك
الإيجاز الحاجة وكذا
حائط لا يملك إلا
عمدة والإباحة لا يملك

«يارسول الله إني لأصوم إلا الشهر لأزید عليه ولا أصلي إلا الخس لأزید عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع : أين أنا إذ كنت قتبم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : نعم ممي ، إذا حفظت قلبك من اثنتين : القل والحسد ، ولسانك من اثنتين : الفية والكذب ، وعينك من اثنتين : النظرة إلى محارم الله ، وأن تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين (١) » وفي الحديث الطويل لأنس « أن الأعرابي قال يارسول الله من يلى حساب الخلق ؟ قال الله تبارك وتعالى قال هو نفسه ؟ قال نعم قتبم الأعرابي فقال صلى الله عليه وسلم ضحكك يأعرابي قال إن الكرم إذا قدر عفا وإذا صاحب سامح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الأعرابي ألا أكرم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين ثم قال لله الأعرابي (٢) » وفيه أيضا « إن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولأن عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقت ما بالغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى . قال الأعرابي ومن أولياء الله تعالى قال للؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت قول الله عز وجل - الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور - » وفي بعض الأخبار « للؤمن أفضل من الكعبة (٣) » « واللؤم طيب طاهر (٤) » « واللؤم أكرم على الله تعالى من اللاتكة (٥) » وفي الخبر « خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده إلى الجنة (٦) » . وفي خبر آخر « يقول الله عز وجل

الصمت فانه أصل
والسلام طارح ولا
يتكلم إلا بحجة غطر
الصعبة كثير يحتاج
البد في إلى مزيد
علم والأخبار والآثار
في التحذير عن
المخالطة والصعبة

الحديث البهقي في الشعب بلفظ جاء رجل ، فقال يارسول الله : إني أذنبت ذنبا ، قال استغفر ربك قال فاستغفر ثم أعود . قال فإذا عدت فاستغفر ربك ثلاث مرات وأرأيت . قال فاستغفر ربك حتى يكون الشيطان هو للسجور المسور وفيه أبو بدر يسار بن الحكم المصري . منكر الحديث وروى أيضا من حديث عتبة بن عامر أحدنا يذنب . قال يكتب عليه قال ثم يستغفر ويتوب قال يغفره ويتوب عليه قال فيعود الحديث وفيه لا يعل الله حتى تمحوا وليس في الحديثين قوله في آخره فاذهم البد بحسن الخ وهو في الصحيحين بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه فن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسئنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة زاد مسلم في رواية أو عاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك ولهما نحوه من حديث أبي هريرة (١) حديث جاء رجل ، قال يارسول الله إني لأصوم إلا الشهر لأزید عليه ولا أصلي إلا الخس لأزید عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع الحديث تقدم (٢) حديث أنس الطويل قال أعرابي يارسول الله من يلى حساب الخلق قال الله تبارك وتعالى قال هو نفسه قال نعم قتبم الأعرابي الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث للؤمن أفضل من الكعبة ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ ما أعظمك وأعظم حرمتك والذى تقضى يده لحمة للؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به الإخرا ، وشيخه نصر ابن محمد بن سليمان الحمصي ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان وقد تقدم (٤) حديث للؤمن طيب طاهر لم أجده بهذا اللفظ . وفي الصحيحين من حديث حذيفة للؤمن لا ينس (٥) حديث للؤمن أكرم على الله من اللاتكة ابن ماجه من رواية أبي الهزم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة بلفظ للؤمن أكرم على الله من بعض اللاتكة وأبو الهزم تركه شعبة وضعفه ابن معين ورواه ابن حبان في الضعفاء والبهقي في الشعب من هذا الوجه بلفظ للصف (٦) حديث خلق الله من فضل رحمته سوطا يسوق به عباده

كثيرة والكعب بها
مبسحونة . وأجمع
الأخبار في ذلك ما أخبرنا
الشيخ الثقة أبو الفتح
باسناده السابق إلى
أبي سليمان قال حدثنا
أحمد بن سليمان
التجاذ قال ثنا محمد
ابن يونس السكري
قال ثنا محمد
ابن منصور الحمصي
قال ثنا مسلم بن سالم
وقال ثنا البصري
ابن عيسى عن الحسن بن

إنما خلقت الخلق ليرجوا على ولم أخلقهم لأربع عليهم ^(١) » وفي حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله تعالى شيئا إلا جعل له ما قبله وجعل رحمته تغلب غضبه ^(٢) » وفي الخبر المشهور « إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق إن رحمته تغلب غضبه ^(٣) » وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ^(٤) » . « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار ^(٥) » . ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ^(٦) » . ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ^(٧) » وفي خبر آخر « لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد ^(٨) » ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقال لأدم عليه الصلاة والسلام قم فابست بئس النار من ذريتك فيقول كم يقال من كل ألف تسعائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة قال فأبلس القوم وجعلوا يكون وتطاولوا يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم أنتم في الأمم أين تاويل وثاريت ومنسك وأجوج وماجوج أم لا يحصيها إلا الله تعالى إنما أنتم في سائر الأمم كالشجرة البيضاء في جبال النور الأسود وكالرقعة في ذراع

إلى الجنة لم أجده هكذا وبقي عنه ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يباهونهم إلى الجنة في السلاسل (١) حديث قال الله إنما خلقت الخلق ليرجوا على ولم أخلقهم لأربع عليهم لم أتف له على أصل (٢) حديث أبي سعيد ما خلق الله شيئا إلا جعل له ما قبله وجعل رحمته تغلب غضبه أبو الشيخ ابن جبان في الثواب وفيه عبد الرحمن بن كردم جهله أبو حاتم وقال صاحب البرز أن ليس بواه ولا بمجهول (٣) حديث إن الله كتب على نفسه نفسه قبل أن يخلق الخلق : إن رحمته تغلب غضبه متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث معاذ وأنس من قال لا إله إلا الله دخل الجنة الطبراني في الدعاء بلفظ من مات يشهد وتقدم من حديث معاذ وهو في اليوم واليلة للأنبياء بلفظ من مات يشهد وقد تقدم من حديث معاذ من حديث أنس أيضا وتقدم في الأذكار (٥) حديث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار أبو داود والحاكم وصححه من حديث معاذ بلفظ دخل الجنة (٦) حديث من لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار الشيخان من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لحاذ مامن عبد يشهد أن لا إله إلا الله أن محمدًا عبده ورسوله إلا حرمه الله في النار يورثه البخاري صادقًا من قلبه وفي رواية له من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ جعله الله في الجنة ولقناني من حديث أبي عمرة الأنصاري في أثناء حديث قال أنشد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله لا يلقى الله عبد يؤمن بهما إلا حجب عن النار يوم القيامة (٧) حديث لا يدخلها من في قلبه وزن ذرة من إيمان أحمد من حديث سهل بن يضاء من شهد أن لا إله إلا الله حرمه الله على النار وفيه إقطاع وله من حديث عثمان بن عفان أني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًا من قلبه إلا حرم على النار قال عمر بن الخطاب هي كلمة الإخلاص واستاده صحيح ولكن هذا نحوه شاذ مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من المؤمنين النار وإخراجهم بالشفاعاة ، ثم لا يلقى في النار من في قلبه ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه فمن وجدته من قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه . وقال مسلم بن خير بدل من إيمان (٨) حديث لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد متفق عليه من حديث أبي هريرة .

عن أبي الأحوص
عن عبد الله بن مسعود
قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يأتين على الناس زمان
لا يسلم لدى دين دينه
إلا من فردينه من
قرية إلى قرية ومن
شاهق إلى شاهق ومن
جبر إلى جبر كالغلب
الذي يورغ قالوا موق
ذلك يارسل الله قال
إذا لم تنل الميعة إلا
بمصاصي الله فإذا كان
ذلك الزمان حلت
العزوبة قالوا وكيف
ذلك يارسل الله وقد
أمرتنا بالزواج قال إنه
إذا كان ذلك الزمان
كان هلاك الرجل على
يد أبويه فان لم يكن به
أبوان فلي بمل زوجته

الدابة (١) « فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء إلى الله تعالى إذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال إلى إفراط اليأس داوأم بدو الرجاء وردهم إلى الاعتدال والتصد والآخر لم يكن منافضا للأول ولكن ذكر في الأول ما أكد سبيل الشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا إلى المالحة بالرجاء ذكر تمام الأمر . فقل الواعظ أن يقتدى بسيد الواعظ فينتاطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة الملل الباطلة وإن لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه ، وفي الخبر « لو لم تذبذبو خلق الله خلقا يذبذبون فيغير لهم (٢) « وفي لفظ آخر « ذهب بك وجاء خلق آخر يذبذبون فيغير لهم إنه هو الثفور الرحيم « وفي الخبر « لو لم تذبذبو خشيت عليكم ما هو شر من الذنوب . قيل وما هو قال العجب (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده أنه أرحم بعبده للؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها (٤) « وفي الخبر « ليفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى إن إبليس ليتناول لها رجاء أن تصيبه (٥) « وفي الخبر « إن الله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسع وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فيها يتراحم الخلق فتحن الوالدة على ولدها وتعطف البهية على ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض قال فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك (٦) « وفي الخبر « ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجي من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته (٧) « وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « اعلموا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجي عمله (٨) « وقال صلى الله عليه وسلم « إني أخشأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمي أن يؤمنوا بالمطيعين للفقير بل هي المعتنقون المخلطين (٩) »

(١) حديث لما نالا - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أتبدرون أي يوم هذا الحديث الترمذي من حديث عمران بن حصين ، وقال حسن صحيح . قلت هو من رواية الحسن البصري عن عمران ولم يسمع منه ، وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد (٢) حديث لو لم تذبذبو خلق الله خلقا يذبذبون ليفرن لهم ، وفي لفظ ذهب بك الحديث مسلم من حديث أبي أيوب واللفظ الثاني من حديث أبي هريرة قريبا منه (٣) حديث لو لم تذبذبو خشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال التهب الزار وابن جابر في الضميمة واليه في الشعب من حديث أنس وتقدم في فم الكبر والعجب (٤) حديث والذي نفسي بيده أنه أرحم بعبده للؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب (٥) حديث ليفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله من حديث ابن مسعود بزيادة ضيف (٦) حديث إن الله تعالى مائة رحمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٨) حديث اعلموا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجي عمله تقديم أيضا (٩) حديث إني أخشأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمي الحديث التبرجاني من حديث أبي هريرة ليسكن بني دعوة وإن خيأت دعوتي شفاعة لأبي ، ورواه يونس بن عيسى ، والترمذي . من حديث وصحه وابن ماجه من حديث جابر شفاعتي لأهل الكبائر من أمي ، وابن ماجه من حديث ابن موسى ، وأحمد بن محمد بن حنبل بن عمر خير بن الشفاعة وبين أن يدخل نفسه أمي الجنة فاجترحت الشفاعة لأنها أم وأكفى آرونها للمعتنقين الحديث وفيه من لم يسم .

وولده فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فليبد قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يمر به بنشق العيشة فيسكف ما لا يطيق حتى يوردوه مولود الملسكة . وقد رغب جمع من السلف في الصبغة والأخوة في الله ورأوا أن الله تعالى من على أهل الإيمان حيث جعلهم إخوانا فقال سبحانه وتعالى - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبتم بمنعمة إخوانا - وقال تعالى - هو الذي أيدك بقصره وبالمؤمنين وألف

وقد عليه الصلاة والسلام «بشت بالخنية السمحة السهلة»^(١) وقال صلى الله عليه وسلم على كل عبد معطى «أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا ساحة»^(٢) ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم - ولا تعمل علينا إصرًا - وقال تعالى - ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم - وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنهم أنه قال «لما نزل قوله تعالى - فاصنع الصنيع الجليل - قال يا جبريل وما الصنيع الجليل قال عليه السلام إذا عفوت ممن ظلك فلنأمنه قتال يا جبريل فافقه تعالى أكرم من أن جانب من عفا عنه فبكي جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعت الله تعالى إليهما ميكايل عليه السلام وقال إن ربكما يترككما السلام ويقول كيف أمانت من عفوت عنه هذا ملا يشبه كرمي»^(٣) . والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى . وأما الآثار : فقد قال علي كرم الله وجهه : من أذنب ذنباً فستره الله عليه في الدنيا فافقه تعالى أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنباً فوقب عليه في الدنيا فافقه تعالى أعدل من أن يقي عقوبته على عبده في الآخرة . وقال الثوري مالحب أن يجعل حساني إلى أبوي لأنني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما . وقال بعض السلف : للؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار اللاتسكة كيلاً تراء فتشهد عليه . وكتب محمد بن صعب إلى أسود بن سالم بخطه إن العبد إذا كان مسرفاً على نفسه فرغ يديه بدعو ويقول : يارب حبيت للاتسكة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى إذا قال الرابعة ياربى قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيره أشهدكم أني قد عفرت له . وقال إبراهيم بن آدم رحمة الله عليه خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في اللزوم عند الباب قلت : ياربى اعصمني حتى لا أعصيك أبداً ففتفت بي هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون مني ذلك فإذا عصمتهم ضلوا من أفضل ولم أغفر ، وكان الحسن يقول : لو لم يذنب للؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى فقه بالذنوب . وقال المجيد رحم الله تعالى : إن بدت غيب من الكرم أغفقت للشيخين بالمحسنين . ولقي مالك بن دينار أبانا فقال له إلى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى إلى لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تحرق له كناراً هذا من القرح . وفي حديث رضى بن حراش عن أخيه ، وكان من خيار التابعين ، وهو ممن تكلم بعد الموت . قال لما مات أمي سمعني يقول وألقينه على نمشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعداً . وقال : إنى لقيت ربى عز وجل فحياى بروح وريحان وربى غير غضبان وإنى رأيت الأمر أيسر مما ظننوني فلا تقفروا وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ينظرني وأصحابي حتى أرجع إليهم . قال ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصة وقعت في طشت لحفناه ودعاه . وفي الحديث

(١) حديث بشت بالخنية السمحة السهلة أحمد من حديث أبي أمامة بسمند ضعيف دون قوله السهلة وله في طبائري من حديث ابن عباس أحب الدين إلى الله الخنية السمحة وفيه عديد من إسحق زرواء بالضم (٢) حديث أصيب أن يعلم أهل الكتاب أن في ديننا ساحة أبو حنيفة في غريب الحديث وأخيه (٣) حديث محمد بن الحنفية عن علي لما نزل قوله تعالى - فاصنع الصنيع الجليل - قال يا جبريل وما الصنيع الجليل قال عليه السلام ميكايل عليه السلام وقال إن ربكما يترككما السلام ويقول كيف أمانت من عفوت عنه هذا ملا يشبه كرمي . والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى . وأما الآثار : فقد قال علي كرم الله وجهه : من أذنب ذنباً فستره الله عليه في الدنيا فافقه تعالى أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنباً فوقب عليه في الدنيا فافقه تعالى أعدل من أن يقي عقوبته على عبده في الآخرة . وقال الثوري مالحب أن يجعل حساني إلى أبوي لأنني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما . وقال بعض السلف : للؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار اللاتسكة كيلاً تراء فتشهد عليه . وكتب محمد بن صعب إلى أسود بن سالم بخطه إن العبد إذا كان مسرفاً على نفسه فرغ يديه بدعو ويقول : يارب حبيت للاتسكة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى إذا قال الرابعة ياربى قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيره أشهدكم أني قد عفرت له . وقال إبراهيم بن آدم رحمة الله عليه خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في اللزوم عند الباب قلت : ياربى اعصمني حتى لا أعصيك أبداً ففتفت بي هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون مني ذلك فإذا عصمتهم ضلوا من أفضل ولم أغفر ، وكان الحسن يقول : لو لم يذنب للؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى فقه بالذنوب . وقال المجيد رحم الله تعالى : إن بدت غيب من الكرم أغفقت للشيخين بالمحسنين . ولقي مالك بن دينار أبانا فقال له إلى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى إلى لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تحرق له كناراً هذا من القرح . وفي حديث رضى بن حراش عن أخيه ، وكان من خيار التابعين ، وهو ممن تكلم بعد الموت . قال لما مات أمي سمعني يقول وألقينه على نمشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعداً . وقال : إنى لقيت ربى عز وجل فحياى بروح وريحان وربى غير غضبان وإنى رأيت الأمر أيسر مما ظننوني فلا تقفروا وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ينظرني وأصحابي حتى أرجع إليهم . قال ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصة وقعت في طشت لحفناه ودعاه . وفي الحديث

بين قلوبهم لوافقت
مالي الأرض جميعا
مألفت بين قلوبهم
ولكن الله ألق
بيهم . وقد اختار
الصعبة والأخوة في
الله تعالى سعيد
ابن السبب وعبد الله
ابن المبارك وغيرهما .
وقالته الصعبة أنها
غضت مسلم الباطن
ويكتب . الإنسان
بها علم الحوامث
والموارض . قيل :
أعلم الناس بالآفات
أكثرهم . آفات
ويصلب . الباطن
برزق العلم ويصنع
الصدق بطروق
هوب الآفات ثم
التخلص منها بالإيمان
وشح بطريق

«أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً وكان يظله ويحرمه فكان يقول دعني وربي أبشت على رقيقاً حتى رأته ذات يوم على كبيرة فغضب وقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة : أيسطيع أحد أن يحظر رجلي على عبادي اذهب أنت فقد غفرت لك ثم يقول للعابد وأنت قد أوجبت لك النار قال فوالذي نفسى بيده لقد تكلم بكلمة أمسكت دنياه وآخرته^(١)» وروى بضأن لساناً كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة فر عليه عيسى عليه السلام وخلفه حابد من عباد بني إسرائيل من الحوارين فقال للص في نفسه هذا نبي الله يمر وإلى جنبه حواريه لو زلت فكنت معها ثالثاً قال فقل فجل يريد أن يدنو من الحوارى ويزدى نفسه تملياً للحوارى ويقول في نفسه مثلى لايتقى إلى جنب هذا العابد قال وأحسن الحوارى به فقال في نفسه هذا يعنى إلى جانبي فضم نفسه ومثى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام فثنى جنبه فبقى الص خلفه فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام قل لها ليستأنها العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالها أما الحوارى فقد أحبطت حسناته لبعجه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه فأخبرها بذلك وضم الص إلى في سياحته وأوجهه من حواريه . وروى عن مسروق أن نيا من الأنبياء كان ساجداً فوطئ عنقه بعض الصاة حتى أثرت الحصى بجبهته قال فرغ من النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مضطرباً فقال اذهب فكن يغفر الله لك فأوحى الله تعالى إليه تعالى طي عبادى إني قد غفرت له . ويقرب من هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يثنت على الشركيين ويلعنهم في صلاته فقل عليه قوله تعالى لا ليس لك من الأمر شيء» - الآية ترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للإسلام^(٢)» وروى في الأثر أن رجلاً كان من العابدين متساوياً في العبادة قال فإذا أدخلت الجنة رفعت أحدهما إلى الدرجات العلى على صاحبه فيقول يارب ما كان هذا في الدنيا بأكثر من عبادة فرفعتنى على عليين فيقول الله سبحانه إنه كان يسألى في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألى النجاة من النار فأعطيت كل عبده وله هذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل لأن المحبة أغلب على الراجى منها على الخائف فكيف من فرق في اللوكن بين من يخدم اخاء لقابووين من يخدم ارتجاءاً لنامهوا كرامه ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن وقيل قال ﷺ «سألو الله الدرجات العلى فاستألوكم كرمها^(٣)» وقال «إذا سألت الله فأعظموا الرغبة واسألو الفردوس الأعلى فإن الله تعالى لا يتعاطى شيء^(٤)» وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على

الصحة والأخوة
التواضع والتواضع
وتتوى جنود القلب
وتستزح الأرواح
بالشام وتتقى في
التوجه إلى الرفيق
الأعلى ويصير مثلاً
في الشاهد كالصوات
إذا اجتمعت خرفت
الأجرام وإذا خردت
فصرت عن بلوغ
المرام . ورد في الخبر
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم «لاؤمن
كثير بأخيه» وقال
الله تعالى عبداً ممن
لا صديق له فلانسان
شافعين ولا صديق
حميم والجميع في الأصل
المعيب إلا أنه أبطل
الدعاء بالحاء قرب
مخرجها إذا ما من

(١) حديث أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٢) حديث ابن عباس كان يثنت على الشركيين ويلعنهم في صلاته فقل عليه قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - ترك الدعاء عليهم الحديث البخارى من حديث ابن عمر أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول اللهم المن فلانا وفلانا بما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله عز وجل - ليس لك من الأمر شيء - إلى قوله : فاتهم ظالمون - وزواه الترمذى ومماهم وأسفيان والحرث بن هشام وصوفان بن أمية وزاد كتاب عليهم فأسلموا بحسن إسلامهم وقال حسن غريب وفي رواية أربعة ثم ولم يسمهم وقال فهداهم الله للإسلام وقال حسن غريب صحيح (٣) حديث سأل الله الدرجات العلى فاستألوكم كرمها لم أجده بهذا اللفظ ولترمذى من حديث ابن مسعود سأل الله من فضله فإن الله يحب أن يستل وقال هكذا روى حماد بن واقد وليس بالحافظ (٤) حديث إذا سألت الله فأعظموا الرغبة واسألو الفردوس الأعلى فإن الله لا يتعاطى شيء مسلم من حديث أبي هريرة إذا دعا أحدكم فلا يقبل اللهم

مالك بن أنس في العشي التي قبض فيها قتلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدري ما أقول لكم إلا أنكم ستأمنون من غفوة الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما ربحا حتى أنعمضناه. وقال يحيى بن زكريا من أذني مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يشلب رجائي إليك مع الأعمال لأنني أعتد في الأعمال على الإخلاص وكيف أحرصها وأنا بالآفة معروف وأجدني في الذنوب أعتد على عفوكم وكيف لا تفرها وأنت بالجو مدعوف. وقيل إن جوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال إن أسلمت أضفك في الجحيم فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتخير دينه ونحن من سبعين سنة تطعمه على كغره فلو أضفناه ليله ماذا كان عليك فر إبراهيم يسمى خلف الجوسى فرده وأسانه فقال له الجوسى ما السبب فيما بذلك فذكر له قال له الجوسى أهكذا يماضي ثم قال اعرض على الإسلام فأسلم . ورأى الأستاذ أبو سهر الصلوكي أبا سهل الرامزي في المنام وكان يقول بوعيد الله بك قال كيف حالك فقال وجدت الأمر أهون مما توهمنا . ورأى بعضهم أبا سهل الصلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا أستاذي قلت هذا فقال بحسن ظني برؤي . وحكى أن أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كان القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء قال بقاءوا ثم قال ماذا علمتم فما علم قال قلنا يارب قصرنا وأسانا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت أمانا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تنفخ مادونه فقال اذهبوا به فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك ثلاث ليال . وقيل كان رجل شرب جمع قوما من نملائه ودفع إلى خلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئا من القواكة للمجلس فر التلام ياب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لتغير شيئا ويقول من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع التلام إليه الدرام فقال منصور ما الذي تريد أن ادعوك فقال لي سيد أريد أن أخلف منته فدا منصور وقال الأخرى قال أن خلف الله على دراهمي فدا ثم قال الأخرى قال أن يتوب الله على سيدي فدا ثم قال الأخرى قال أن يغفر الله وليسيدي ولك وللقوم فدا منصور فرجع التلام فقال له سيده ما أبطأت قصص عليه القصة قال وبم دعا فقال سألت نفسي التقي فقال له اذهب فأنت حر قال وأبش الثاني قال أن خلف الله على الدرام قال لا أريد آلاف درهم وأبش الثالث قال أن يتوب الله عليك قال ثبت إلى الله تعالى قال وأبش الرابع قال أن يغفر الله لي ولك ولقوم قال هذا الواحد ليس إلى قضا بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قال يقول له أنت فعلت ما كان إليك أقرى أي لا أفضل ما إلى قد غفرت لك وللقلام ولنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين . وروى عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي قال رأيت ثلاثة من الرجال وأمر أن يعاملون جائزة قال فأخذت ثوبا للرداء وذهبت إلى القبرة وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت للمرأة من كان هذا البيت منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صفروا أمره قلت وأبش كان هذا قالت غشيت قال فرحمتها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحطلة وثيابا قال فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه التمر ليله البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرني فقلت من أنت فقال الخنث الذي دفتنوني اليوم رحمني ربى باحترام الناس يا أي . وقال إبراهيم الأطروش كنت غمودا بينداعم معروف الكرخي على دجلة إذ مر أحداث في زورق يضربون بالله فوشربون ويلبسون فقالوا المعروف أم إبراهيم يصون الله مجاهدين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال ألمي كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة فقال اغفر لي إن شئت ولكن ليحرم وليطمع الرغبة فإن الله عز وجل لا يثماظله شيء أعطاه البخاري من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فإذا سألتهم الله فأبأوه المقدوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة ورواه الترمذي من حديث معاذ وعبد بن الصامت

حروف الحلق والمهم

مأخوذ من الاهتمام

أي يهتم بأمر أخيه

فالاتهام بهم الصديق

حقيقة الصداقة . وقال

عمر إذا رأى أحدا

وفا من أخيه

فلتشمك به ففدا

يسبب ذلك وقد قال

القائل :

وإذا صفاك من زمانك

واحد

فهو للراد وأين ذلك

الواحد

وأوحى الله تعالى إلى

داود عليه السلام

قال يا داود مالي أراك

متبذرا وحده قال

إلهي قلت الخلق من

أجلك فأوحى الله إليه

يا داود كن يتظالا

مرتادا فنضك أخوك

القوم إنما سألناك أن تدعو عليهم فقال إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم ، وكان بعض السلف يقول في دعائه يا رب وأى أهل دهر لم يصولك ثم كانت نعمتك عليهم سائفة ورزقك عليهم دارا سبحانه ما أحلكم وعزتك إنك تصي ثم تسبخ النعمة وتدر الرزق حتى كأنك ياربنا لا تنضب فبهذه هي الأسباب التي بها يغلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والأيمن ، فأما الحق للثرورون فلا ينبغي أن يسموا شيئا من ذلك بل يسمون ما سنوده في أسباب الخوف فإن أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف كالبد السوء والصبي العرم لا يستقيم إلا بالسوط والصبا وإظهار الحشونة في الكلام . وأما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا .

(النطر الثاني من الكتاب في الخوف)

وفي بيان حقيقة الخوف وبيان درجاته وبيان أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الأفضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان أحوال الخائفين من الأنياء صلوات الله عليهم والصالحين رحمة الله عليهم ، ونسأل الله حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الخوف)

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحترقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال ، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن أسى بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فلما جاء زمان يمتحن النفس عن الخروج إلى رعواتها ، وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال : الخوف حجاب بين الله وبين العبد . وقال أيضا إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضائل جاء ولا خوف وبالجملة فالحب إذا اشتغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف التفراق كان ذلك قصبا في الشهود وإعنادا في الشهود غاية للقامات ، ولكننا الآن إنما نتكلم في أوائل اللقائات فنقول : حال الخوف ينتظم إيمان علم وحال وعمل . أما العلم فهو العلم بالسبب للنفس إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز الضو والإفلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب للنفس إلى قتله وهو تفاحش جنايته وكون ذلك في نفسه حقودا غشويا منتظما وكونه عقوقا بمن يحث على الانتقام خاليا عن يتشفع إليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك فالملك يظهر هذه الأسباب بسبب قوة الخوف وعدة تألم القلب بحسب ضعف هذه الأسباب ينضف الخوف وقد يكون الخوف لإعني سبب جناية فارقتا الخائف بل عن صفات الخوف كالذي وقع في محال سبيح فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرصه وسطوته على الاقتراس غالبا وإن كان اقتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبيلة للمخوف منه تكوف من وقع في جبرى سيل أو جوار حريق فإن الساء يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق وكذا النار على الإحراق فالملك بأبواب المكروه هو السبب الباعث للثر لإحراق القلب وتألمه وذلك الإحراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأعماله أهلك العالمين لم يبال ولم يخش منه وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد عقارفة للماضي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعبود نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستخفافه وأنه لا يسهل عما يفعل وهم يشعرون تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وربه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : أنا أخوفكم ^(١) وكذلك قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ثم إذا كنت للفرقة

(١) حديث أنا أخوفكم البخاري من حديث أنس والله إلى أخفكم له وأخفكم له ولشقيين

وكل خدن لا يوافق على سترى فلا تصبه فانه عدو يمس قلبك ويملكه منى . وقد ورد في الخبر « إن أحبك إلى الله الدين بالفسون ويؤلفون قالوا من ألقى بالوف وفي هذا دقة وهي أنه ليس من اختار العزة والوحدة لله ينهب عنه هذا الوصف فلا يكون ألقا ما لولا فإن هذه الإهارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلق الجليل ، وهذا الخلق يكمل في كل من كان أتم معرفة وقبلا ولهم عقل والنبأ أهلية واستعدادا وكان أول الناس عتلا

أورثت جلال الخوف واحترق القلب ثم يغض أثر الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات . أما في البدن فبالتحول والصفار والتشبه والزرقه والبيضاء وقد تشقق به الرأه فيفضى إلى الموت أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى فيورث التنوط واليأس . وأما في الجوارح فيكفها عن العاصي وتقيدها بالطاعات ثلاثا لما فرط واستعدا للمستقبل ، وذلك قيل ليس الخائف من يبيك ويوسع عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه . وقال أبو القاسم الحكيم من خف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب إليه ، وقيل لدى التو من يكون المبد خائفا إذا نزلت نفسه منزلة السقيم الذي يجتمى مخافة طول السقام . وأما في الصفات فبأن يجمع الشهوات ويكدر الذلذات تصير للعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشربه إذا عرف أن فيه صائنا تحرق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب اللبول والخشوع والتهلة والاستكانة وغارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب المم بخوفه والنظر في خطراته فلا يفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا للرابية والمجاهدة والفضلة بالأقتباس والمحطات ومؤاخلة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في محالب سبع حار لا يدري أنه يضل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متع فيه لغيره ، هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة الرأية والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحترائه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبسبب النفس وما بين يديها من الأخطار والأحوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف المحاصل عن المحظورات ورجاها زادت قوته كف مما يطرق إليه إمكان التحريم فكيف أيضا عما لا يقين تحريمه ويسمى ذلك تقوى إذ التقوى أن يترك ما يريه إلى ما لا يريه وقد جمعه على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فإذا انضم إليه التجرد للخدمة صار لا يبتى ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها خارقة ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفسا من أفعاله فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع السفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة ، فاذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والإندام وتجده له بسبب الكف اسم السفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أهم لأنه كف عن كل محظور ، وأعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ودرامه اسم الصديق والتقرب وتجري الرية الآخرة مما قبلها مجرى الأخس من الأعم فاذا ذكرت الأخس قد ذكرت الكل كما أنك تقول الانسان إما عري وإما هيمى والعري إما قرشى أو غيره والقرشى إما هيمى أو غيره والهيمى إما علوى أو غيره والعلوى إما حسنى أو حشنى فاذا ذكرت أنه حسن مثلاً فقد وصفته بالجميع وإن وصفته بأنه علوى وصفته بما هو فوقه بما هو أهم منه فكذلك إذا قلت صديق فقد قلت إنه تقى وورع وعفيف فلا ينبغي أن تنظر إلى كثرة هذه الأسماء تدل على معاني كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلط على من طلب للماني من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ للماني فهذه إشارة إلى جامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب الما كالمعرفة للوجبة ومن جانب السفلى كالأعمال الصائفة منه كفا وإقداما .

من حديث عائشة والله إلى لأعلمهم بالله وأهدم له خشية .

من هذا الوصف
الأنبياء ثم الأولياء
وأنهم الجميع في هذا
نبينا صلوات الله عليه
وكل من كان من
الأنبياء ثم أمة كان
أكثر بها وثينا
صلى الله عليه وسلم
كان أكثرهم أمة
وأكثرهم بها وقال
وتأخروا تذكروا
فاني مكالر بكم الأمم
يوم القيامة وقد نبه
الله تعالى على هذا
الوصف من رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قال - ولو كنت نفا
غليظ القلب لا تفوضوا
من حوائك - وإنما
طلب النزهة مع وجود
هذا الوصف ومن
كان هذا الوصف فيه

(بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف)

اعلم أن الخوف محمود وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى الواظبة على العمل والعمل لبناولهما رتبة القرب من الله تعالى والأصلح للبهمة أن لا تغلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على أن البهائم في الضرب محمود وكذلك الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فأما التاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عندهم آية من القرآن فيورث اليكاه وتقيض المصوح وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذغاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى القنعة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالضبيب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلها المأبر حافا ليسوقها إلى القصد ولا يصلح لرايتها وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء ولست أعني بالعلماء للترميمين برسوم العلماء وللتسمين بأسمائهم فأنهم أبعد الناس عن الخوف بل أعني العلماء بالله وبآياته وأفعاله وذلك عما قد عز وجوده الآن ، ولذلك قال الفضيل بن عياض إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم كذبت وأشار به إلى أن الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويغدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفا . وأما للفرط فانه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضا لأنه يمنع من العمل وقد يخرج الخوف أيضا إلى الرض والضعف وإلى الوله والبهشة وزوال العقل ، فالمراد من الخوف ما هو اللراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كالا لأنه بالحقيقة نقصان لأن منشأ الجبل والعجز . أما الجبل فانه ليس يدرى عاقبة أمره ولوعرف لم يكن خائفا لأن الخوف هو الذي يردديه . وأما العجز فهو أنه متمرض للحدور لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالإضافة إلى قص الأدمى وإنما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس بكافي في ذاته وإنما يصير محمودا بالإضافة إلى نقص هو أعظم منه كما يكون احتمال ألم الداء محمودا لأنه من ألم المرض وللتوت لما يخرج إلى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف أيضا إلى المرض والضعف وإلى الوله والبهشة وزوال العقل وقد يخرج إلى اللوت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يعرضها أو يكسر عضوا من أعضائها وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء وأكثر منها فيالج به صدمة الخوف للفرط للنقص إلى القنوط أو أحد هذه الأمور فكل ما يراذل أمر فالحمود منه ما يقضي إلى اللراد للتصود منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم وقائمة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الأسباب اللوصة إلى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يندفع في هذه الأسباب فهو مذموم . فان قلت من خاف فتاب من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما . فاعلم أن معنى كونه شهيدا أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لومات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالإضافة إليه فضيلة فأما بالإضافة إلى تهاذير بقاءه وطول عمره في طاعة الله وسواك سه فليس بفضيلة بل للهالك إلى الله تعالى بطريق السكر والمجاهدة والورق في درجات للمار في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ، ولولا هذا لكانت رتبة شهيد يقتل أو يجنن يفترسه سبع أعلى من رتبة نبي أوولى يموت ختب الله وهو محال فلا ينبغي أن يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما يبطل العمر أو العقل أو الصحة التي تعطل العمر تعطيلها فهو حيران ونقصان بالإضافة إلى أمور وإن كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة

أقوى وأهم كان طلب العزلة فيه أكثر في الابتداء ولهذا المعنى حب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلو في أول أمره وكان يغلو في غار حراء ويتحدث الليالي ذوات العدد وطلب العزلة لا يسلب وصف كونه آقفا ما لوفا وقد غلط في هذا قوم ظنوا أن العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلبا لهذه الفضيلة وهذا خطأ وسر طلب العزلة لمن هذا الوصف فيه أهم من الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ما أسلفنا في أول الباب إن في الانسان ميلا إلى المجلس بالوصف

إلى أمور أخر كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة إلى مدونها لا بالإضافة إلى درجة التيقن والصدقين فاذن الخوف إن لم يؤثر في المبل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حره الدابوق إن أترقه درجات بحسب ظهور أثره فان لم يعمل إلا على السعة وهى الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فاذا أخرج الورع فهو أعلى وأقصى درجاته أن يثمر درجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يلقى لغير الله تعالى فيه متسع فهذا أقصى ما محمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه إن قدر عليه ولو كان محمودا لمواجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدن لللازمين الجوع أياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولى ناقص العقل .

(بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه)

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا باننظار مكروه وللكره إيمان أن يكون مكروها في ذاته كالنار وإيمان أن يكون مكروها لأنه يقضى إلى السكروه كما تمكره للعاصي لأدائها إلى مكروه في الآخرة كما يكره للرضع القواكه الضرة لأدائها إلى اللوث فلا بد لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروها من أحد الصنفين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يجرى قلبه بسبب استحضاره ذلك للكره ومقام الخافين يختلف فبا يثلب على قلوبهم من الكروها والمحدورة فالذين يثلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لتزيه كالذين يثلب عليهم خوف اللوث قبل التوبة أو خوف نقص التوبة ونكث العهد أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بحدام حقوق الله تعالى أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة أو خوف الليل عن الاستقامة أو خوف اسبلاء العادة في اتباع الشهوات للألوفة أو خوف أن يكلف الله تعالى إلى حسنة التي اتكل عليها وتعرض بها في جباد الله أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بتواتر النعم أو خوف انكشاف غوائل طاعته حيث يدوله من الله ما لم يكن محسب أو خوف تبعات الناس عنده في التبية والحيانة والنش وإضمار السوء أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بقية عمره أو خوف تمثيل القوية في الدنيا والافتضاح قبل اللوث أو خوف الاغترار بخلاف الدنيا أو بخوف اطلاع الله على سريره في حال غفلته عنه أو خوف الحتم له عند اللوث بخيانة السوء أو خوف السابقة التي سميت له في الأزل ، فهذه كلها أعانوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الخلد حما يقضى إلى الخوف فن يخاف استيلاء العادة عليه فيؤاظب على الطعام عن العادة ، والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريره يشتغل بظهر قلبه عن الوسواس وهكذا إلى بقية الأقسام وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف الحانة فان الأمر فيه خطر وأعلى الأقسام وأدناها على كمال العرفة خوف السابقة لأن الحانة تتبع السابقة وفتح يتزع عنها بعد تخلل أسباب كثيرة فالحانة نظير ماسبق به القضاء في أم الكتاب والخائف من الحانة بالإضافة إلى الخائف من السابقة كرجلين وقع لللك في حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حرز الرقية ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع إليها بعد فربط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وأنه عما إذا يظهر ويربط قلب الآخر بحالة توقيع لللك وكيته وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا الغفاب إلى السبب فهو أعلى من الالتفات إلى ما هو فرغ فكذلك الالتفات إلى القضاء الإزلى الذي جرى بتوقيه القلب أعلى من الالتفات إلى ما يظهر في الأبد وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان على للتبر فقبض كفه اليمنى ثم قال : « هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأعمالهم وأعمالهم لا يزادهم ولا ينقص من قبض كفه اليسرى

الأعم فلما علم الخدائق ذلك ألهمهم الله تعالى عبدة الخلوة والزلة لتصفية النفس عن الليل بالوصف الأعم لترتقي المهم العالية عن ميل الطباع إلى تألف الأرواح فاذا وفوا التصفية حقها اشترأت الأرواح إلى جنسها بالتألف الأسلى الأولى وأما دعا الله تعالى إلى الخلق ومخالطتهم مصفاة واستنارت النفوس الطاهرة بأنوار الأرواح وظهرت صفه الجيلة من الألفة الكلفة آتفة مألوفة فصارت العزلة من أهم الأمور عند من

وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزداد فيهم ولا ينقص وليعلم أن أهل السعادة بمنزل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم ثم يستقدم الله قبل الموت ولو بقواق ناقة وليعلم أن أهل الشقاوة بمنزل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بقواق ناقة السيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقى بقضاء الله والأعمال بالخواتيم (١) وهذا كاسم الخائفين إلى من يخاف مصيبتهم وجنابته وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التي تفضي إليه لاجلها فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين وأما الآخر فهو في عرصة السرور والأمن وإن واطب على الطاعات فالخوف من النصبة خوف الصالحين والخوف من الله خوف اللوحدين والصدقين وهو عجرة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جنابة بل الماصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يحك مصيبتهم ولولا أنه يخوف في نفسه لما سخره للمصيبة ويسر له سبيلها ومهد له أسبابها فان يسير أسباب النصبة إيراد ولم يسبق منه قبل النصبة مصيبة استحق بها أن يسخر للمصيبة وتجري عليه أسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسر له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالماضي قد قضى عليه بالنصبة عام أم أبى وكذا للطبع الذي يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عِلِّيِّين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع أباه جهنم في أسفل سافلين من غير جنابة سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه لصفة جلالة قان من أطاع الله أطاع بأن سلب عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لأنه سلب عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه وما الذي أوجب إهانة الآخر وإمادته بتسليط دواصي النصبة عليه وكيف يحال ذلك على العبد وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء للأزلي من غير جنابة ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا للمنى سر القدر الذي لا يجوز إقضاؤه ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله إلا بمثال لولا إذن الشرع لم يستجرب على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر « إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام بإدواؤ خفي كما يخاف السبع الضاري (٢) »

فهذا المثال يفهمك حاصل للمنى وإن كان لا يقف بك على سببه فإن الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يتكلف ذلك إلا لأهله . والحاصل أن السبع يخاف لا لجنابة سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وخطه وكبره وذهيته ولأنه يفعل ما يفعل ولا يبالى فإن قتلك لم يرق قلبه ولا يتألم بقتلك وإن خللك لم يخلك شفقة عليك وإبقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت إليك حيا كنت أو ميتا بل إهلاكك ألب منك وإهلاك عملة عنده على وثيرة . واحدة إذ لا يفتخ ذلك في عالم سببته وما هو مؤخوف به من قدرته وسلطوته وله التلئ الأعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجل من المشاهدة الظاهرة أنه صادق في قوله وهو لا يبالى إلى الجنة ولا إلى جهنم ولا إلى النار ولا إلى لا ويكتفيك بين متوجبات الجنة والخوف للفرقة بالاستثناء وعدم المبالاة.

(١) حديث هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم الحديث القرمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال حسن صحيح غريب (٢) حديث إن الله تعالى أوحى إلى داود بإدواؤ خفي كما يخاف السبع الضاري لم أجده أصلا ولعل المتن قصدا لإزالة الشبهة من الأسرار الخفية فانه غير عنه بقوله جاء في الخبر وكثيرا ما يبرر بذلك عن الأسرار الخفية التي هي غير مرفوعة .

يألف فيؤلف ومن أدله الدليل على أن الذي اعتزل آلف مألوف حتى يذهب الغلط عن الذي غلط في ذلك ودم العزلة على الإطلاق من غير علم بحقيقة الصيحة وحقيقة العزلة فصارت العزلة مرغوبا فيها في وقتها والصعب مرغوبا فيها في وقتها قال محمد بن الحنفية رحمه الله ليس بحكيم من لم يماشر بالمعروف من لا يجيد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . وكان بشر بن الحارث يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله تعالى من يؤنبه فالأنبس يوبسه الله

الطبقة الثانية من الخائفين : أن يشغل في أنفسهم ما هو للكره وذلك مثل سكرات الموت وعذته أو سؤال منكر ونكير أو عذاب القبر أو هول اللطاع أو هزيمة للوقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف السر والسر والسر والسر أو الخوف من الصراط وحذره وكيفية العبور عليه أو الخوف من النار وأغلاها وأهولها أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار التيمم. ولذلك القيم وعن قصص الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الأسباب مكرهة في نفسها فهي لإعانة مخوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها وأغلاها رتبة هو خوف القرائق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين ومقابل ذلك خوف العاملين والمجاهدين والزاهدين وكافة العالمين ومن لم تكمل معرفته ولم تفتح بصيرته لم يشعر بقلعة الوصال ولا يألم بالبعد والقرائق وإذا ذكر له أن العارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتجنب منه في نفسه وربما أنكر لغة النظر إلى وجهه الكريم لولامع الشرع إياه من إنكاره فيكون اعتناؤه به بالسان عن ضرورة التقليد والإفراط لا يصدق به لأنه لا يعرف إلا الله العليين والفرج والعين بالنظر إلى الألوان والوجوه الحسان وبالجملة لكلة تشاركه فيها البهائم فأما لغة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهله ومن كان أهله استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره فإني هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين لسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه .

(بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه)

اعلم أن فضل الخوف تارة يرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والأخبار . أما الاعتبار فسيهله أن فضيلة التي " بقدر غناها في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة إلا ما قصد سوى السعادة ولا سعادة بعدد إلا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما جان عليه الله فضيلة وفضيلة بقدر غايته وقد ظهر أنه لا يوصل إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبة والأنس به في الدنيا ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام التسكير ولا يحصل الأنس إلا بالهبة ودوام الذكر ولا يتيسر اللواظبة على الذكر والفكر إلا بتطاع حب الدنيا من القلب ولا يقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك الشهوات إلا بقمع الشهوات ولا تقمع الشهوة شيئا كما تقمع نار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فان بخصيته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف عن اللعاس ويحتمل على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذاتية وبه تحصل المنفعة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال القاضية المحمودة التي تجرب إلى الله تعالى . وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار فنورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر ونأهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والمير والرضوان وهي مجاميع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى - وهدي ورحمة للذين هم لربهم يرهبون - وقال تعالى - إنما يخشى الله من عباده النبلاء - وصفهم بالمحسين وقال عز وجل - رضى الله عنهم ورجبنا عنه ذلك لمن يشي به - وكل ما يدل على فضيلة العلم دلالة على فضيلة الخوف لأن الخوف يحرق العلم ولذلك يحام في خير موسى عليه أفضل الصلاة والسلام وأما الخائفون فان لم يرق الرقيق الأعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف أفردهم بمراقبة الرقيق الأعلى وذلك لا يتم إلا بالعباد والثناء لهم رتبة بمراقبة الأنبياء لأنهم ورتبة الأنبياء وبمراقبة الرقيق الأعلى إلا بالثناء ومن يخشى الله ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين إتيان الدنيا وبين القدوم على الله

لصادقين رتقا من الله تعالى وثوابا للبعد معيلا والأئیس قد يكون مفيدا كالمشايخ وقد يكون مستفيدا كالصريدين فصحيح الخلو والزملة لا يترك من غير أئیس فان كان قاصرا يؤنس الله عن يتم حاله به وإن كان غير قاصر يقين الله تعالى لمن يؤنس من المریدین وهذا الأئیس ليس فيه ميل بالوصف الأعم بل هو بالله ومن الله وفي الله . وروى عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وللنحايون في الله على محمود من يقوم به عزاء في راس المومنين .

تمالى كان يقول أسألك الرقيق الأمل^(١) « فاذن إن نظر إلى مثمره فهو العلم وإن نظر إلى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ماورد في فضائلهما حتى إن العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها كما صار الحمد مخصوصاً بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله أجمعين وقد خصص الله تعالى التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال تعالى - لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم - وإنما التقوى عبارة عن كسب بمقتضى الخوف كما سبق وذلك قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وذلك أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى - ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله - وقال عز وجل - وخافون إن كنتم مؤمنين - فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان فذلك لا يتصور أن يفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليقام يوم معلوم فإدام بصوت أخصام كما يسمع أذانهم فيقول - يا أيها الناس إني قد أنصت لكم منذ خلقكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم إنما هي أعمالكم ترد عليكم - أيها الناس إني قد جعلت نسباً وجعلت نسباً موضعتم نسبى ورفعت نسبكم - قلت - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وأيمت إلا أن تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فالقوم أضغ نسبكم وأرفع نسبى أين التقوى فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب^(٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « رأس الحكمة مخافة الله^(٣) » وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود « إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بى^(٤) » وقال الفضيل : من خاف الله دله الخوف على كل خير . وقال الشبل رحمه الله : ماخفت الله يوماً إلا رأيت له باباً من الحكمة والعبرة مارأيت قط . وقال عجي بن معاذ : ما من مؤمن بعمل سيئة إلا وبالحكمة حستان خوف العقاب ورجاء العفو كغلب بين أسدين . وفي خبر موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب ونقشت بها في يده إلا الورعين فإني استعفى منهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب والورع والتقوى أسام اشتقت من معان شرطها الخوف فإن خلعت عن الخوف لم تسم بهله الأسامى وكذلك ماورد في فضائل الذكر لا يخفى وقد جمعه الله تعالى مخصوصاً بالخاصين فقال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « قال عز وجل وعزنى يحيى - وقال تعالى - ولئن خاف مقام ربه جتان - وقال صلى الله عليه وسلم « قال عز وجل وعزنى

ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة يحيى حسنه لأهل الجنة كما تضى الشمس لأهل الدنيا يقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى التحابين في الله عز وجل فاذا أشرفوا عليهم أضاء حسنه لأهل الجنة كأنضى الشمس لأهل الدنيا عليهم فياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء التحابون في الله عز وجل » وقال أبو إدريس الخولاني لما دى إن أجبك في الله فقال له أشرتم أشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطافة من الناس كراسي حول

- (١) حديث لما خبر في مرض موته كان يقول أسألك الرقيق الأمل متفق عليه من حديث عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح إنه لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم غير فلما نزل به ورأسه في حجرى غشى عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال اللهم الرقيق الأمل فقلت أنه لا يغتارنا وعرف أنه الحديث الذى كان يحدثنا وهو صحيح الحديث
- (٢) حديث إذا جمع الله الأولين والآخرين ليقام يوم معلوم نادى بصوت يسمعه أخصام كما يسمع أذانهم فيقول يا أيها الناس إني قد أنصت إليكم منذ خلقكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم إنما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس إني جعلت نسباً الحديث الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک بسند ضعيف والتبلي في التفسير مقتصر على آخره إني جعلت نسباً الحديث من حديث أبي هريرة (٣) حديث رأس الحكمة مخافة الله أبو بكر بن لال الفقيه في مكالم الأخلاق والبيهقي في الشعب ووضفه من حديث ابن مسعود ورواه في دلائل النبوة من حديث عقبه بن عامر ولا يصلح أيضاً (٤) حديث إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف سدى قاله لابن مسعود لم أتفه له على أصل.

لأجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة (١) « وقال صلى الله عليه وسلم » من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء (٢) « وقال **عليه السلام** » أتاكم عقلا شدة خوفة الله تعالى وأحكم فيها أمر الله تعالى به ونهى عنه نظرا (٣) « وقال يحيى بن معاذ رحمه الله عليه مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة . وقال ذو النون رحمه الله تعالى من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد بهوص له . وقال ذو النون أيضا ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب . وكان أبو الحسين الضرير يقول : علامة السعادة خوف الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع المالكين . وقيل يحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا فقال أهدم خوفه اليوم . وقال سهل رحمه الله لا نجد الخوف حتى تأكل الحلال . وقبل الحسن بأبأسيد كيف نصنع بحال أقواما يخوفوننا حتى نتكاد قلوبنا تطير فقال والله إنك إن خالط أقواما يخوفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى يدركك الخوف . وقال أبو سليمان النخعي رحمه الله ما فارق الخوف قلبا إلا خرب وقالت عائشة رضى الله عنها « قلت يا رسول الله - الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجعل هو الرجل يسرق ويؤذي قال لا ، بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه (٤) « والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك نشأ على الخوف لأن منعمة التي تشاء على ضده الذي ينفية وضد الخوف الأمن كما أن ضد الرجاء اليأس وكادت منعمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل منعمة الأمن على فضيلة الخوف للضاد له بل قول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان فإن كل من رجأ عبويا فلا بد وأن يخاف قوته فإن كان لا يخاف قوته فهو إذا لا يجبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل اشتراك أحدهما عن الآخر نعم يجوز أن يلبس أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لفتلته عنه وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه إذ للعلم لا يرجى ولا يخاف فاذن المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لاهالة تقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتبادلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر للنتظر مشكوكا فيه نعم أحد طرفي الشك قد يرجع على الآخر بمنشور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفي الخوف بالإضافة إليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى - وبدعونا رغبا ورهبا - وقال عز وجل - يدعون ربهم خوفا وطعما - ولذلك العرب على الخوف بالرجاء فقال تعالى - ما لكم لا ترجون لله وقارا - أي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى

- (١) حديث لأجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن بن مسروق
- (٢) حديث من خاف الله خافه كل شيء الحديث أبو الشيخ ابن حبان في كتاب التوابين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين بإسناد ضعيف معضل وقد تقدم
- (٣) حديث أتاكم عقلا شدة خوفة الله الحديث لم أقف له على أصل ولم يصح في فضل العقل شيء
- (٤) حديث عائشة قلت يا رسول الله - الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجعل هو الرجل يسرق ويؤذي قال لا ، بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه - قلت بل منقطع بين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعد بن وهب قال الترمذي وروى عن عبد الرحمن بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة .

العرش يوم القيامة
وجوههم كالقمر ليلة
البدر يفرح الناس
ولا يزعجون ويخاف
الناس ولا يخافون وهم
أولياء الله الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون
تقبل من هؤلاء
يا رسول الله ؟ قال
التحابون في الله عز
وجل . وروى عبادة
ابن الصامت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال « يقول الله عز وجل
حق محقق للمتحابين
في وللازواجين في
والتباضعين في
والتصادقين في »
أخبرنا الشيخ
أبو القحح محمد بن
عبد الباقي بإجازة قال
أنا أحمد بن الحسين

الخوف وذلك لتلازمهما إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلزمه بل أقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفظة الخشية فإن البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى - فليضحكوا قليلاً ولينكوا كثيراً - وقال تعالى - يكونون يزعمون خشوعاً وقال عز وجل - آمن هذا الحديث تجيرون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون - وقال عليه السلام « ما من عبد مؤمن يخرج من عينه دمة وإن كانت مثل رأس الدواب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئاً من حروجه إلا حرمه الله على النار ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا انقشر قلب المؤمن من خشية الله تحانت عنه خطاياه كما تنحدر من الشجرة ورقها ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يلبغ النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللابن في الصرع ^(٣) » وقال عقبة بن عامر « ما النجاة بإرسول الله قال أسسك عليك لسانك وليسمك بيتك وابك على خطيئتك ^(٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها « قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم أمريقت في سبيل الله سبحانه وتعالى ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم ارزقني عيني هطالين تشفيان ^(٧) » [١] بنزوف الدمع قبل أن يصير الدموع دماً والأخراس جمر ^(٨) » وقال عليه السلام « سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم رجلاً ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ^(٩) » وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتبأك . وكان محمد بن السكندر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول: بلقي أن النار لا تأكل موضعاً من الدموع . وقال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أيكوا فان لم تبكوا فبكوا فوالله الذي نفسي بيده لو لم أعلم أحدكم لكسر حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما فرغت عين بعمائها إلا لم يرهق وجه صاحبها قطرة ولا ذلة

(١) حديث ما من مؤمن يخرج من عينه دمة وإن كانت مثل رأس الدباب الحديث الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث إذا انقشر جلد المؤمن من خشية الله تحانت عنه ذنوبه الحديث الطبراني والبيهقي فيه من حديث العباس بسند ضعيف (٣) حديث لا يلبغ النار عبد بكى من خشية الله الحديث الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة (٤) حديث قال عقبة بن عامر ما النجاة بإرسول الله قال أسسك عليك لسانك الحديث تقدم (٥) حديث عائشة قلت يدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى لم أفن له أضل (٦) حديث ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمة من خشية الله الحديث الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وقد تقدم (٧) حديث اللهم ارزقني عيني هطالين تشفيان بنزوف الدمع الحديث الطبراني في الكبير وفيه عموماً أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند حسن ورواه الحسين بن الرزوي في زيادته على الزهد والرقائق لابن المبارك من روايات ابن عبد الله بن عمر بن مسعود ذكر الله وذكر النار قطعي في العمل أن من قال فيه عن أبيه وهم أنما هو عن سالم بن عبد الله بن مسعود قال أبو عبد الله يشبه أنه يكون سالم بن عبد الله البخاري وليس بابن عمر انتهى وما ذكره من أنه سالم المخزومي هو الذي يدل عليه كلام البخاري في التاريخ ومسلم في التكملة وابن أبي حاتم عن أبيه وإن أحمد الحاكم في فضائل الراوي له عن سالم بن عبد الله أبو سلمة وإسماعيل بن عمار في رواية عن سالم البخاري والله أعلم بكم حقاً وإنه يصرح في تاريخه الخلاف في أن القسري بن زكريا عن سالم البخاري أو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

ابن خيرون قال أنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الهاملي قال أنا أبو القاسم عمر بن جعفر ابن محمد بن سلام قال أنا أبو اسحق إبراهيم بن اسحق الحارثي قال حدثنا حماد عن يحيى ابن سعيد عن سعيد ابن السبيعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة قالوا وما هو قال إصلاح ذات البين وإياكم والبضعة فاتها هي الخائفة وبأسناد إبراهيم الحارثي عن عبيد الله بن عمر عن أبي أمامة عن عبد الله بن الوليد عن عمران ابن رباح قال سمعت

[١] قوله تشفيان بنزوف الدمع الذي في الجامع الصغير تشفيان القلب بنزوف الدمع من خشية الله

يوم القيامة فان سالت دموعه أنطقاً الله بأول قطرة منها يحاراً من التيران ولو أن رجلاً بكى في ثمة ما عذبت تلك الأمة . وقال أبو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطرب من الشوق . وقال كعب الأحبار رضى الله عنه والذى تسمى يده لأن أبكى من خشية الله حق نليل دموعى على وجهي أحب إلى من أن أتصدق بجبل من ذهب . وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لأن أجمع دعة من خشية الله أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار . وروى عن حنظلة قال وكنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها البيون وعرفنا أنفسنا فرجست إلى أهلي فذفت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا ففسيت ما كسا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه قللت في تسمى قد تأنقت حيث تحولت عنى ما كنت فيه من الخوف والركة فخرجت وجعلت أنادى نافع حنظلة فاستجابني أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال كلام يوافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافع حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلام يوافق حنظلة قللت بإرسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجاءت منها القلوب وذرفت منها البيون وعرفنا أنفسنا فرجست إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا حنظلة لو أنكم كنتم أبداً على تلك الحالة لداخلكم لللاشكة في الطرق وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة (١) فاذن كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم وعلمة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف لأن جملة ذلك متعلقة به إما تلقى السبب أو تلقى السبب .

(بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدلهما)

اعلم أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر إليها فيترقبه في أن الأفضل أهما وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد يشأه قول القائل الخبر أفضل أم اللاء وجوابه أن يقال الخبر أفضل للراجع واللاء أفضل للمطمان فان اجتماعاً نظر إلى الأغلب فان كان الجوع أغلب فالخبر أفضل وإن كان العطش أغلب فاللاء أفضل وإن استويا فهما متساويان وهذا لأن كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة إلى مقصوده إلى أي نفسه والخوف والرجاء دوا آن يدأوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الهاء الوجود فان كان الطالب على القلب دام الأمن من مكر الله تعالى والاختار به فالخوف أفضل وإن كان الأغلب هو اليأس والتبؤ من رحمة الله فالرجاء أفضل وكذلك إن كان الغالب على البعد للصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلقاً الخوف أفضل على التأييد الذي يقال فيه الخبر أفضل من السكينة إذ يبلغ الخبر مرض الجوع والسكينة مرض الصفراء ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة إلى الخبر أكثر فهو أفضل فهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لأن المعاصي والاختار على الخلق أغلب وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه يستمى من بحر الرحمة ويستمى الخوف من بحر التضرع ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضى الملقصود الرحمة كانت المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام . وأما الخوف فستقدم الالتفات إلى الصفات التي تقتضى التنفيع فلا يمازجه المحبة بمازجها الرجاء . وعلى الجملة فما يراد بقره يتغير أن يستعمل فيه فقط الأصلح لا فقط الأفضل فتقول : أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء وذلك لأجل غلبة المعاصي . فأما التمسك الذى يترك ظاهر الآثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يتبدل خوفه ورجاءه ولذلك

(١) حديث حنظلة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا الحديث وفيه نافع حنظلة الحديث وفيه ولكن يا حنظلة ساعة وساعة مسلم مختصراً .

أبا مسلم يقول صحت
أبا هريرة يقول الخبر
وفي الخبر تحذير عن
البخسة وهو أن يخفو
المحتل الناس مقتنا لهم
هوسه ظن بهم وهذا
خطأ وإنما يريد أن
يخفو مقتنا نفسه
وعلى بما في نفسه من
الآفات وحذرا على
نفسه من نفسه وعلى
الحق أن يعود عليهم
من شره فمن كانت
خوفه بهذا الوصف
لا يدخل تحت هذا
الوعيد والاعارة
بالحاجة بمعنى أن البخسة
حالة الدين لأنه نظر
إلى المؤمنين والمسلمين
بين القس . وأخبرنا
الشيخ أبو القاسم
بسنائه إلى إبراهيم

قبل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا اعتدلا وروى أن علياً كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت به حسنات أهل الأرض لم يقبلها منك وأرج الله رجاءاً ترى أنك لو أتيت به سيئات أهل الأرض غفرها لك ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس لإرجل واحد لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس لإرجل واحد لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غلبة الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوى خوفه ورجاؤه فأما العاصي إذا ظن أنه الرجل الذي استقى من الدين أمراً ويدخل النار كان ذلك دليلاً على اغترابه . فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يشاوي خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلب رجاءه كما سبق في أول كتاب الرجاء وأن قوته ينبغي أن تكون بحسب قوت أسبابه كمثل البزرع والبدر ومعلوم أن من بث البذر الصحيح في أرض تربة وواظب على تهذيبه وجاء به ثمرة وطازرة أعظم من جميعها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساوياً لرجائه فهكذا ينبغي أن تكون أحوال للتقنين . فاعلم أن من يأخذ للعارف من الألفاظ والأمثلة يكثر زله وذلك وإن أوردناه مثلاً فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لأن سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة إذ علم بالتجربة صحة الأرض وقاؤها وحمه البدر وحمه الهواء وقلة الصواعق للهلكة في تلك البقاع وغيرها وانما مثل مسألنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم جدوا الزرع ولم يجربها وهي في بلاد ليس يدري أكثر الصواعق فيها أم لأقل هذا الزرع وإن أدى كنه مجهود وجاء بكل مقدورة فلا يغلب رجاءه على خوفه والبذر في مسألته والإيمان وشرط صحته دقة والأرض القلب وخفايا خفيه وصفاته من الشرك الحفي والتفاني والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب إليها في مستقبل الزمان وإن سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة إذ قد يمرض من الأسباب ما لا يطاق عاقبته ولم يجرب مثله والصواعق هي أحوال السكرات والوث واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب مثله ثم الحصاد والإدراك عند التصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضعيف القلب جبالاً في نفسه غلب خوفه على رجائه لأعماله كما سيحكي في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وإن كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فأما أن يغلب رجاءه فلا وقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تخشع قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئاً إذا كان قد خصه رسول الله ﷺ يعلم للتقنين (١) فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الحفي وإن اعتقد تهاه قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتبليس حاله عليه وإخفاء عيه عنه وإن وثق به فمن أين يثق بيقينه على ذلك إلى تمام حسن الحاققة وقد قال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر» (٢) ، و رواية «لا قدر فوق

الحرب قال حدثنا
يعقوب بن إبراهيم
قال حدثنا أبو عاصم
عن ثور عن خالد بن
مصدق قال إن الله
تعالى ملكاً نصفه
من نار ونصفه من
ثلج وإن من دعاه
الله فكما ألت بين
هذا الثلج وهذه النار
فلا تلتج بقلبي النار
ولا النار تذيب الثلج
ألف بين قلوب عبادك
الصالحين وكيف
لا تتألف قلوب الصالحين
وقد وجدتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في وقته العزيز يقاب
قوسين في وقت لا يسأ
فيه شيء لطف حال
الصالحين وجدتم في
ذلك لقام العزيز

- (١) حديث إن حذيفة كان خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم للتقنين مسلم من حديث حذيفة في أصحاب اثنا عشر مناقباً تمامه لا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجبل في سم الحياض الحديث
- (٢) حديث إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر وفي رواية لا قدر فوق

أية فيسبق عليه الكتاب فيتم له بعمل أهل النار» وقدر فوق الناقلة عتلا الجوارح إنما هو
 بمقدار خاطر يخلق في القلب عند اللوث فيقتضي شاعة البوء فكيف يؤمن ذلك فاذن أقصى غايات
 الزمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء في غالب الناس تكون مستمدة للاغتراروقلة المعرفة لذلك
 جمع الله تعالى بينهما في وصف من أتى عليهم فقال تعالى - يدعون ربهم خوفا وطمعا - وقال عز وجل
 - ويدعوننا رغبا ورهبا - وأين مثل عمر رضي الله عنه فالحق للوجود في هذا الزمان كلهم الأصح
 لهم غلبة الخوف بشرط أن لا يخرجهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من المنفعة فيكون ذلك سببا
 للتكامل عن العمل وداعيا إلى الاتهامك في الماضي فإن ذلك قنوط وليس بخوف إنما الخوف هو الذي
 يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعو إلى التجافي عن
 دار التورر فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون اليأس للوجوب
 للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق في بحار الأنكار ومن عبده بمحض
 الرجاء تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محبة الأدار . وقال مكحول
 الدمشقي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجعي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق
 ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد فاذن لا بد من الجمع بين هذه الأمور وغلبة الخوف هو
 الأصح ولكن قبل الاشتراف على اللوث أما عند اللوث فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لأن الخوف
 جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضت وقت العمل فالتشرف على اللوث لا يقدر على العمل ثم
 لا يطق أسباب الخوف فإن ذلك يقطع يباط قلبه ويحتمل على تسجيل موته وأما روح الرجاء فانه يوقى
 قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاءه ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا بحب الله تعالى ليكون عبا للقاء
 الله تعالى فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه والرجاء تقاربه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب
 وللقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تتم المعرفة المحبة فإن اللصير إليه والتقدم بالموت
 عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محبته وعذابه لهما
 كان القلب الغالب عليه عند اللوث حب الأهل والولد والوالد والسكن والمقار والرقاء والأصحاب
 فهذا رجل محاببه كلها في الدنيا فالدنيا جنة إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموتة خروج
 من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهي ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهي فاذا لم يكن له محبوب
 سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والتسكرفه والدنيا وعلاقتها شاغلة عن المحبوب فالدنيا إذ
 سجنه لأن السجن عبارة عن البقعة السائمة للمحبوس عن الاسترواح إلى محاببه فموتة تقدم على محبوبه
 وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن وخلق بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر
 فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والقباب فضلا عما أئنه الله لعباده
 الصالحين بما لم تره عين ولم تسمه أذن ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما أئنه الله تعالى للذين استنجروا
 الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها وأطاعوا إليها من الأنكال والسلاسل والأغلال وضروب الحزى
 والنكال فنسأل الله تعالى أن يوفقنا مسلمين وبلحقنا بالصالحين ولا مطمع في إجابة هذا الدعاء إلا
 باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل إليه إلا باخراج حب غير من القلب وقطع الملاق عن كل ما سوى
 الله تعالى من جاه ومال ووطن فالأولى أن تدمو بما دعا به نيتنا صلى الله عليه وسلم إذ قال اللهم ارزقني
 حبك وحب من أحببك وحب ما قربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من لقاء البارء (١) والغرض

وقال السلام علينا
 وعلى عباد الله الصالحين
 فهم مجتمعون وإن
 كانوا متفرقين
 وصحبهم لازمة
 وعزيتهم في التواصل
 في الدنيا والآخرة
 جائزة . وعن عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه
 لو أن رجلا سلام التبار
 وقام الليل ونسحق
 وجاهد ولم يحب في
 الله ولم ينس في
 ما حقه ذلك . أخبرنا
 رضي الدين أحمد بن
 اسمعيل بن يوسف
 إجازة إن لم يكن معا
 قال أنا أبو الظفر عن
 والده أبي القاسم
 القشيري قال سمعت
 أبا عبد الرحمن السلي
 يقول سمعت عبد الله

ليس فيه تخدير زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شر ولا فوق ناقة (١) حديث . اللهم ارزقني
 حبك وحب من أحببك الحديث الترمذي من حديث معاذ ويضم في الأذكار والدعوات .

أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجاب للمعجزة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق نار الشهوات وأقم لهبة الدنيا عن القلب ولذلك قال **عليه السلام** « لا يموت أحدكم إلا وهو بحسن الظن بربه » وقال تعالى « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء » ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لا يناميني حدثي بالرخس وإذا ذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزع جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لا يبعث الله الموتى إذا ذكر في الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والتقصود من ذلك كله أن يحب الله تعالى إلى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام أن يجيبني إلى عبادي فقال بمأذا قال بأن تذكر لهم الآلات وتسماني فإذا نفاية الصلاة أن يموت عبدا لله تعالى وإنما تحصل المحبة بالمعرفة وبإخراج حب الدنيا من القلب حتى يصير الدنيا كلها كالسجن للناس من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين بأهل بيته الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن أفنت فلما أصبح سأله عن حاله فقيل إنه مات بالراحة.

(بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف)

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الترضي لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء بالجنة والرجاء والخوف يحويان على الصبر فإن الجنة قد حفت بالمسكار فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قهرها إلا بقوة الخوف ولذلك قال علي كرم الله وجهه من افتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أهق من النار رجع عن الهرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر إلى الأتس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والأتس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدها مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجربة تظهر أو باطنا ولا مقام بهذا المجاهدة تنضج له الطريق إلا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأتس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بنياته وهو التوكل فإذا ذكرناه في علاج الصبر كفاية ولكننا ندر الخوف بكلام جملي فنقول : الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت قد دخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يهاف وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو ترعد فترد نفسه ويحتال في الحرب منها قام معه وغلب عليه الخوف وواقفه في الحرب غلوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وحماها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقوة مبالاته . وأما خوف الابن قايما به مجرد التقليد لأنه بحسن الظن بأبيه يعلم أنه لا يهاف إلا من سبب خوف في نفسه فيعلم أن السبع يخوف ولا يعرف وجهه وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فأما الخوف منه فهو خوف اللذات وأرباب القلوب المارين من صفاته ما يقتضي المحبة والخوف والحداد المظللين على سر عظمته تعالى . وعلمكم الله نفسه . وقوله عز وجل استوفوا حق نعمته وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونه مجازا بن على الطاعة والمصيبة وضغه بسبب التقصير وسبب ضعف الإيمان وإنما تزول الغفلة بالله كبر والوعظ ملازمة الصبر في أهوال

ابن المسلم يقول سمعت أبا بصير التستائي يقول اصبروا مع الله فإن لم تطيقوا فاصبروا مع من يصحب مع الله فتوصلكم بركة صحبتهم إلى سحابة الله. وأخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أنا ممر ابن أحمد الصغار التيسابوري إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا نصر الأسفهاني يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول سمعت علي بن سهل يقول : الأتس بالله تعالى أن تستوحش من الخلق إلا من أهل

(١) حديث لا يموت أحدكم إلا وهو بحسن الظن بربه مسلم من حديث جابر وقد تقدم .

يوم قيامه وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضاً بالنظر إلى الخاضعين وبجالسهم ومشاهدتهم أحوالهم فان قامت الشاهدة فالسجاع لا يخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الأعلى فان يكون الله هو الخوف أعني أن يخاف العبد الحجاب عنه ويرجو القرب منه . قال ذو النون رحمه الله تعالى خوف النار عند خوف القرب كقطرة قطرت في بحر على وهذه خشية السماء حيث قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ولعموم المؤمنين أيضاً حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضافه خوف الصبي من الحية تقليداً لأبيه وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يشفق وتزول على قرب حتى إن الصبي ربما يرى المزمع قدم على أخذ الحية فينظر إليه ويقتربه فيتجراً على أخذها تقليداً له كما احتزم من أخذها تقليداً لأبيه والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قوت بمشاهدة أسبابها للؤكدتها لها على الدوام وبالواظنة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذن من ارتقى إلى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقفاً في محالته لا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى وذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام خفي كما تخاف السبع الضاري ولا حاجة لجلب في الخوف من السبع الضاري إلا لمعرفة السبع ومعرفة الوقوع في محالته فلا يحتاج إلى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالى ويحكم ما يريد ولا يخاف قُرب ولا نكسة من غير وسيلة ساعة وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا إبلى وهو لاء في النار ولا أبلى وإن خطر يبالك أنه لا يصاب إلا بمصيبة ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يجد الطبع بأسباب الطاعة حتى يطيع هاهنا أم أبى ولم يجد المعاصي لدواعي الصلابة حتى يصيهاه أم أبى فانهما خلق الخلق والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بها بالضرورة فان كان أبعد لأنه عصاه فلم يحمله على الصلابة هل ذلك لمصيبة ساعة حتى يسلسل إلى غير نهاية أو وقف لأعلة على أول أعلة من جهة البعد بل قضى عليه في الأزل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم إذ قال «احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما لحج آدم موسى عليه السلام قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله يده ونفع فيك من روحه وأسجدك ملائكة وأسكنك جنة ثم أهبك الناس غطيتك إلى الأرض فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسائه وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نبياً فيكم وحدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاماً قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قاله أتأتوني على أن عملت عملاً كتب الله على قبل أن أعمله وقبل أن يخلفي بأربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم لحج آدم موسى ^(١) فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص المارفين للطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصديق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين وحصل لكل واحد من القريين خوف فلان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في محال السبع والسبع قد يغفل بالاضطراب فيخيل بوقد يهتكم عليه فيقرمه وذلك بحسب ما يقع ولذلك الاضطراب أسباب من تبتعض عن علم ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه صبي ائماً وإن أضيف إلى علم القدر يجوز أن يسمى اختفاً والواقع في محال السبع لو كانت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع اقرس وإن سلط عليه الغلبة على وتوكل فاما يخاف خالق السبع وسألي صفاته فليست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من المجمع

(١) حديث احتج آدم وموسى عند ربهما لحج آدم موسى الحديث مخرج من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بألفاظ أخرى

ولاية الله فان الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله . وقد نبه القائل نظراً على حقيقة جامعة لما في الصحة والحلوة وقائدهما وما يجدر فيهما بقوله : وحدة الانسان خير من جلوس السوء عنده

وجليس الخير خير من قوم الزم وحده [الباب الرابع] والمحسون في أداء حقوق الصلابة والأخوة في الله تعالى قال الله تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى - وقال تعالى - وتواصوا بالحق وتواصوا بالرحمة - وقال في وصف أصحاب

بل إذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لأن المهلك بواسطة السبع هو الله . فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر للتفرع عن القضاء الجزم الأذلي إلى ما خلقه لخلق الجنة وخلق لها أهلا سخرها لأسبابها شادوا أم أبوا ، وخلق النار وخلق لها أهلا سخرها لأسبابها شادوا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة ، فهذه مخاوف المارقين بسر القدر فن قدبه القصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار فسيهان به إلى نفسه بسباع الأخبار والآثار قبط لم أحوال الخائنين المارقين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين للثروين فلا يتسامى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء . وأما الآمنون فهم القرائنة والمجاهل والأغبياء . أمارسونا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الأولين والآخرين (١) وكان أشد الناس خوفا (٢) حتى روي أنه كان يصلي على طفل ، قبي رواية أنه مع في دعائه يقول « اللهم ته عذاب القبر وعذاب النار (٣) » وفي رواية ثانية « أنه سمع قائلا يقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة قضب وقال ما يدريك أنه كذلك والله إن رسول الله وما أدري ما يصنع في إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم (٤) » وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا على جنازة عثان بن مظنون وكان من المهاجرين الأولين لما مات أم سلمة هنيئا لك الجنة فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله لا أذكر أحدا بعد عثان (٥) وقال محمد بن خولة الحنفي والله لا أذكر أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي الذي ولدت في ثار الشيعه عليه فأخذ يذكر من فضائل على ومناقبه ، وروي في حديث آخر « عن رجل من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : وما يدريك لله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره (٦) » وفي حديث آخر « أنه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا (١) حديث كان سيد الأولين والآخرين مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يغفر الحديث (٢) حديث كان أشد الناس خوفا تقدم قبل هذا خمسة وعشرين حديثا قوله والله إنني لأخشاكم لله وقوله والله إنني لأعلمهم بالله وأهدم له خشية (٣) حديث إنه كان يصلي على طفل فسمع في دعائه يقول اللهم ته عذاب القبر وعذاب النار الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على صبي أوصية وقال لو كان أحد نجما من ضمة القبر لنجا هذا الصبي واختلف في إسناده فرواه في الكبير من حديث أبي أيوب أن صبيًا دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأولئك أحد من ضمة القبر لأقلت هذا الصبي (٤) حديث إنه مع قائلة تقول لطفل مات هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة قضب وقال ما يدريك الحديث مسلم من حديث عائشة قالت توفي صبي فقلت طوي له عصفور من عصافير الجنة الحديث وليس فيه قضب وقد تقدم (٥) حديث لما توفي عثان بن مظنون قالت أم سلمة هنيئا لك الجنة الحديث البخاري من حديث أم الملاء الأنصارية وهي القائمة رحة الله عليك أبا السائب فشهداني عليك لقد أكرمك الله قال وما يدريك الحديث ، وورد أن النبي قالت ذلك أم خارجة بن زيد ولم أجد فيه ذكر أم سلمة (٦) حديث إن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا له عصفور من عصافير الجنة الحديث أبو يعلى من حديث أنس يستدعي بلفظ إن أمه قالت هنيئا لك يا بني الجنة ورواه البيهقي في الشعب إلا أنه قال فقالت أمه هنيئا لك الصبي وهو عند الترمذي إلا أنه قال إن رجلا قال له أشر بالجنة وقد ضمت ذم السال والبخل مع اختلاف.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعداه على الكفار رجاء بينهم وكل هذه الآيات تنبيه من الله تعالى للمباد على آداب حقوق الصحة فمن اختار صحة أو أخوة فأدبه في أول ذلك أن يعلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسئلة والدعاء والتضرع ويسأل البركة في السجدة فانه يفتح على نفسه بذلك إماما يابن أبواب الجنة وإماما يابن أبواب النار فان كان الله تعالى يفتح بينهما خير القبر باب من أبواب الجنة قال الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض صدو إلا المتقين وقيل

لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه للتأليه على الله تعالى فقال الرضى هي أمي يا رسول الله فقال وما يدرك لعل فلانا كان يشكم بمالا بينه ويخجل عما لا يخيه (١) وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول « شيعتي هود وأخواتها » (٢) سورة الواقعة وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الإيهام كقولته تعالى - ألا بعدا لعاد قوم هود - ألا بعدا لنحو - ألا بعدا لمدين كما بدت نود - مع علمه صلى الله عليه وسلم بأن لو شاء الله ما أشركوا إذ لو شاء لآتى كل نفس هدها ، وفي سورة الواقعة - ليس لو فعلها كاذبة ، خافضة رافعة - أي جف القلم بما هو كائن وتمت السابعة حتى نزلت الواقعة إما خافضة قوما كانوا مرفوعين في الدنيا وإما رافعة قوما كانوا محقورين في الدنيا ، وفي سورة التكاثر أروا يوم القيامة وانكشف الحافضة وهو قوله تعالى - وإذا الجبب سعرت وإذا الجنة أزلت علمت نفس ما أحضرت - وفي عم يتساءلون - يوم ينظر المرء ما قدمت يداه - الآية ، وقوله تعالى - لا يشكركون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا - والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى - إني لنفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - لكان كافيا إذ علق النفرة على أربعة شروط يجزى العبد عن أحادها ، وأشد منه قوله تعالى - فأما من تاب وآمن وعمل صالحا نفس أن يكون من الفاجين - وقوله تعالى - ليسال الصادقين من صدقهم - وقوله تعالى - سنفرغ لكم أية التلنن - وقوله عز وجل - أفأمنوا مكر الله - الآية وقوله - وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد - وقوله تعالى - يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا - الآية وقوله تعالى - وإن منكم إلا واردها - الآية وقوله - اعلموا ما سئتم - الآية وقوله - من كان يريد حرثا الآخرة زدته في حرثه - الآية وقوله - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - الآية وقوله تعالى - وقد علمنا ما تعملون عمل - الآية وكذلك قوله تعالى - والصبر إن الإنسان لفي خسر - إلى آخر السورة فهذه أربعة عشر وطول الخلاص من الحسرات وإنما كان خوف الأتباء مع ما فاض عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى - ولا بأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - حتى روى أن النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام بيكا خوقا من الله تعالى فأوحى الله إليهما لم بيكايا وقد امتسكا قتالا ومن يأمن مكر الله (٣) وكأنهما إذ علما أن الله هو غلام النيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمن أن يكون قوله قد امتسكا ابتلاء وامتحان لهما ومكرا بهما حتى إن سكن خوفهما ظهر أنهما قد آمنان بالمكر وما فيا جوهما كان إبراهيم (عليه السلام) لما وضع في المتجنق قال حمى الله وكانت هذه من الدعوات العظام فاستن وجورض جبريل في المواضع قال لك حاجة فقال أما إليك فلا فكان ذلك وفاة بحقيقة قوه حمى الله فأخبر الله تعالى عنه فقال - وإبراهيم الذي وفى - أي بموجب قوله حمى الله وبمثل هذا أخبر عن موسى (عليه السلام) حيث قال - إنا نخاف أن غرط علينا أو أن يطنى قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى - ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس موسى في نفسه خيفة إذ لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدد عليه الأمن وقيل له - لا تخف إنك أنت الأطم - ولما مضت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم

إن أحد الأخوين في الله تعالى يقال له ادخل الجنة فيسأل عن منزل أخيه فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله . فإن قيل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول إني كنت أعمل في وه فيعطى جميع ما يسأل لأخيه ويرفع ويرفع أخوه إلى درجته وإن فتح الله تعالى عليهما بالصعبة شرا فهو باب من أبواب النار . قال الله تعالى - ويوم ينص الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا - وإن كانت الآية

(١) حديث دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا له الجنة الحديث هدم أيقنا (٢) حديث شيعتي هود وأخواتها الحديث الترمذي وحسنه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس وهو في الثماليات من حديث أبي جحيفة وقد هدم في كتاب السج (٣) حديث أنه وجبريل صلى الله عليه عليهما وسلم بيكا خوقا من الله عز وجل فأوحى الله إليهما لم بيكايا الحديث ابن شاهين في شرح السنة من حديث عمر وروياه في مجلس من أمالي أبي سعيد التفاسي بسند ضعيف .

« اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك (١) » قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه دع عنك مناشدتك ربك فإنه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضى الله عنه مقام الثقة بوعد الله ، وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام اخوف من مكر الله وهو أم لأنه لا يصد إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يصبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ، ومن عرف حقيقة المعرفة وتصور معرفته عن الاحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال السليح صلى الله عليه وسلم لما قيل له - أنت قلت للناس اتخذوني وأمي المؤمنين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك - وقال - إن تذهب فانهم عبادك وإن تفر لهم - الآية . فوض الأمر إلى الشيعة وأخرج نفسه بالكيفية من بين يديه لأنه بأنه ليس له من الأمر شيء وأن الأمور مرتبطة بالشيعة ارتباطا يخرج عن حشد العقولات والمألفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حصار فضلا عن التحقيق والامتيان وهذا هو الذي قطع قلوب المارقين ، إذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بعيشة من لا يبالي بك إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يذهبهم بأتوالع الآلام والأمراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآبaid ثم يخبر عنه ويقول - ولو شئنا لأنينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم - الآية فكيف لا يخاف ماحق من القول في الأزل ولا يعلم في تداركه ولو كان الأمر أيضا لكانت الأطلع تمتد إلى حيلة فيه ولكن ليس إلا التسليم فيه واستقراء خفي السابقة من جلي الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن سمرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة ، إذ كل ميسر لما خلق له وإن كانت الحيرات كلها ميسرة والقلب بالكيفية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك مؤثوقا به ولكن خطر الحفافة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف إشعالا ولا يمكنها من الانطفاء ، وكيف يؤمن خير الحال وقلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وإن القلب أعدته قبلها من القدر في غلبتها وقد قال مقلب القلوب عز وجل - إن عذاب ربهم غير مأمون - فأجهل الناس من آمنوه وهو ينادي بالتحذير من الأمن ولولا أن الله لطف بعباده المارقين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لا حترقت قلوبهم من غار الخوف . فأسيب الرجاء رحمة غواص الله وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه ، إذ لو انكشف التطاء لذهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب . قال بعض المارقين : لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة أسطوانة فبات لم أنقطع له بالتوحيد لأنني لأدري ماظهر له من القلب ، وقال بعضهم : لو كانت الشهادة على باب الدار وبلوت على الاسلام عند باب الحجرة لا حترت للوت على الإسلام لأنني لا أدري ما يمرض قلبي بين باب الحجرة وباب الدار . وكان أبو البرداء يحلف بالله ما أحد آمن علي - بعمامة أن يسلمه عند الموت إلا سلمه . وكان سهل يقول : خوف الصديقين من سوء الحفافة عند كل خطرة وعند كل

وردت في قصة مشهورة ولكن الله تعالى فيه بذلك عباده على الجدر من كل خليل يقطع عن الله واختيار الصلحة والأخوة انما قام من غيرية في ذلك وجبت في أول الأمر شأن أرباب الغفلة الجاهلين بالنيات والمقاصد والمنافع والمضار . وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في كلام له وهل يفسد الناس إلا الناس ، فالفساد بالصلحة متوقع والصلاح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يهلك في أوله ويحرم الأمر فيه بكثرة الجأ إلى الله تعالى وصديق الاختيار

(١) حديث قال يوم بدر : اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك البخاري من حديث ابن عباس بنقله : اللهم إن هبت لم تهب جهنم اليوم الحديث .

حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال - وقلوبهم وجلة - . ولما احتضر سفيان جعل يركب
ويجزع قتيلا له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم . من ذنوبك ، فقال أوحي ذنوبي
أبكي ! وعلمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا . وسكني عن
بعض الحافظين أنه أوصى بعض إخوانه ، فقال إذا حضرته الوفاة فاقعد عند رأسي ، فإن رأيتني
مت على التوحيد فخذ جميع ما ملكتك فاشتر به لوزا وسكرا واشتره على صبيان لعل الله ، وقد هذا
عرس للنفات ، وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يتروا وشهود جنازتي ليحضر
جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة . قال : وبم أعلم ذلك فذكر له علامة
درأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر والوز وفرقه . وكان سهل يقول : للريد يخاف
أن يبتلى بالمعاصي ، والعارفين يخاف أن يبتلى بالكفر . وكان أبو يزيد يقول : إذا توجهت إلى
للسجد فكأن في وسطى زائرا أخاف أن يذهب بي إلى الية وبيت النار حتى أدخل للسجد فيقطع
عني الزائر فهذا لي في كل يوم خمس مرات . وروى عن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه قال :
يا مشر الحواريين أنتم تخافون للمعاصي ، ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر . وروى في أخبار
الأنبياء أن نبيا شكك إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف ، فأوحى الله
تعالى إليه : عبيدي أمارضيت أن عصمت قلبك أن تكفرني حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب
فوضعه على رأسه ، وقال بلى قد رضيت يارب فاصصني من الكفر ، فإذا كان خوف العارفين
مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الحماقة فكيف لا يخافه الضعفاء ، ولسوء الحماقة أسباب
تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات للسمومة ، ولذلك اشتد خوف
الصعابة من النفاق حتى قال الحسن : لو أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إلى مما طلعت عليه
الشمس وما عتوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان بل للراد به ما يجمع مع أصل الإيمان
فيكون مسلما مناقا ، وله علامات كثيرة : قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه فهو
منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خمسة منهن فقيه حجة من النفاق
حتى يدعها : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان ، وإذا خاصم فجر (١) »
وفي لفظ آخر « وإذا هاند غدر » وقد فرس الصحابة والتابعون النفاق بتفسير لا يخلو عن شيء
منه لإعديق إذ قال الحسن : إن من النفاق اختلاف السر والملاينة واختلاف اللسان والقلب
واختلاف للدخل والمخرج ، ومن الذي يخلو عن هذه الماني بل صارت هذه الأمور مأوفا بين
الناس متادة ونسي كونها مشكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد زمان النبوة ، فكيف
الظن زمانا حتى قال حذيفة رضي الله تعالى عنه : إن كان الرجل لينكم بالكلمة على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخير بها فللقا إلى الأسمها من أحتكم في اليوم عشر مرات (٢)
وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إنكم لتماون أهل الأذى أدق في أعينكم

(١) حديث أربع من كن فيه فهو منافق . الحديث يمتثل عليه من حديث عبد الله بن عمرو
وقد تقدم في قواعد العقائد (٢) حديث حذيفة إن الرجل لينكم بالكلمة على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخير بها فللقا إلى الأسمها من أحتكم في اليوم عشر مرات
العقائد

وسؤال البركة والخبرة
في ذلك وتهديم صلاة
الاستخارة . ثم إن
اختيار الصعابة
والأخوة عمل وكل
عمل يحتاج إلى التوبة
وإلى حسن الحجة
وقد قال عليه الصلاة
والسلام في الحسب
الطويل . « صعبة
يظلم الله تعالى لشهم
اتنان تحابا في الله
فأما على ذلك وماتا
عليه » إشارة إلى
أن الأخوة والصعابة
من شرطهما حسن
الحماقة حتى يكتب
لهما ثواب للوفاة
ومنى أقصد للوفاة
بتفخيح الحقوق فيها
فسد السجل من
الأوله . قيل ما حصد

من الشعر كنا نعدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبار (١). وقال بعضهم : علامة النفاق أن تسكره من الناس مائتان مثله ، وأن تحبّ على شيء من الجور ، وأن تبغض على شيء من الحق . وقيل من النفاق : أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أهية ذلك . وقال رجل لابن عمر رحمه الله إننا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم فيما يقولون ، فإذا خرجنا تسكمتنا نبيهم ، فقال كنا نعدّ هذا قافا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) . وروى أنه سمع رجلا يذمّ الحجاج ويقع فيه ، فقال : رأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تسكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعدّ هذا قافا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) . وأشد من ذلك ما روى أن قرا قد دعا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يسكلمون في شيء من شأنه ، فلما خرج عليهم سكتوا جاء منه ، فقال تسكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا ، فقال كنا نعدّ هذا قافا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) . وهذا حذيفة كان قد خص بلم للنفاقين وأسباب النفاق ، وكان يقول : إنه يأتي على القلب ساعة يتلى بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرر إبرة ويأتي عليه ساعة يتلى بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرر إبرة . فقد عرفت بهذا أن خوف المارفين من سوء الحاتمة ، وأن سببه أمور تنقسم : منها البدع ، ومنها المعاصي ، ومنها النفاق ، ومقبحوا العبد عن شيء من جملة ذلك وإن اظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق ، إذ قيل من أمن النفاق فهو منافق . وقال بعضهم لبعض المارفين : إنني أخاف على نفسي النفاق ، قال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال المارفي بين الالتفات إلى السابعة والحاتمة خائفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « العبد المؤمن بين عاتقين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستحب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار (٥) » ، والله السمتان .

(بيان معنى سوء الحاتمة)

فلن قلت : إن أكثر هؤلاء يرجع لحوفهم إلى سوء الحاتمة لما معنى سوء الحاتمة . فأعلم أن سوء الحاتمة على ربتين : إحداها أعظم من الأخرى . فأما الرتبة العظيمة المسألة : فإن يطلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك : وإما الجحود فقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون مغالب على القلب من عقدة الجحود حجابا

(١) حديث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر الحديث البخاري من حديث أنس وأحمد واليزان من حديث أبي سعيد وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قريص وصحح إسناده وتقدم في التوبة (٢) حديث قال رجل لابن عمر إننا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم بما يقولون الحديث رواه أحمد والطبراني وقد تقدم في قواعد القائل (٣) حديث سمع ابن عمر رجلا يذمّ الحجاج ويقع فيه فقال رأيت لو كان الحجاج حاضرا الحديث تقدم هناك ولم أجد فيه ذكر الحجاج (٤) حديث إن ثمرأ قصيدوا عند باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يسكلمون في شيء من شأنه فلما خرج سكتوا الحديث لم أجد له أصلا (٥) حديث العبد المؤمن بين عاتقين من أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم في دم الدنيا ذكره ابن المبارك في كتاب الزهد بلافا وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجوه في مستند الفردوس .

الشیطان متعاونین
على بر حـ
متأخین فی الله
متحابین فیہ فانه
یجهد نفسه وبحث
قبیله على إفساد
ما بینہما . وكان
الفضیل یقول : إذا
وقعت الغیبة ارتضت
الأخوة ، والأخوة فی الله
تعالی ، مواجہة قال
الله تعالی - إخوانا
على سرر متقابلین -
ومنی اضمر أحدهما
للآخر سودا أذكره
منه حیثا ولم یبہ
علیه حق یزبه أو
یتسبب إلى إزالته منه
لما واجهه بل استديره
قال الجلید رحمه الله
ما وانی اثنتان فی
الله واستوحشی

ببهاء الله تعالى أبداً وذلك يقضى البعد الدائم والمذاب المخلد . والثانية وهى دونها أن ينقلب على قلبه عند اللوت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيمثل ذلك في قلبه ويستترقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فينتقى قبض روحه في تلك الحال فيكون استنراق قلبه به منكسا رأسه إلى الدنيا وصارفا وجهه إليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ تار الله للوقدة لا تأخذ إلا المحجوبين عنه فأما المؤمن السلم قلبه عن حب الدنيا للصروف همه إلى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لمحي فبهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر خطير لأن اللرم يموت على ما عاش عليه ولا يكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد اللوت تضاد الصفة الثابتة عليه إذ لا تصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع إلى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحسب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال السالفة فانه يحس عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند اللوت فإن كان إيمانه في القوة إلى حد مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب وإن كان أهد من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرج به من النار ولو بعد آلاف سنين . فان قات لها ذكرت يقتضى أن تسرع النار إليه عقوب موته لها باله يؤخر إلى يوم القيامة ويهمل طول هذه اللدة . فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محبوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الإيمان بل الصحيح عند ذوى الأبصار ما صحت به الأخبار وهو « أن القبر إما خفر من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ^(١) » . « وأنه قد يفتح إلى قبر للمذبسعون باب من الجحيم ^(٢) » كما وردت به الأخبار فلا تخاف روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد شقى بسوء الحاقة وإعسا تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات فيكون سؤال منكرو ونكير عند الوضع في القبر ^(٣) والتعذيب بعده ^(٤) ثم المناقشة في الحساب ^(٥) والافتضاح على ملاء من الأضداد في القيامة ^(٦) ثم بعد ذلك خطر الصراط ^(٧) وهول الزبانية ^(٨) إلى آخر ما وردت به الأخبار فلا يزال الشقى مترددا في جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الأحوال معذب إلا أن يتعمده الله رحمته ولا تظن أن محل الإيمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويددها إلى أن يبلغ الكتاب أجله

(١) حديث القبر إما خفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة الترمذى من حديث أبي سعيد وقال غريب وتقدم في الأذكار (٢) حديث إنه يفتح إلى قبر للمذبسعون باب من الجحيم لم أجده أصلا (٣) حديث سؤال منكرو ونكير عند الوضع في القبر تقدم في قواعد العقائد (٤) حديث عذاب القبر تقدم فيه (٥) حديث المناقشة في الحساب تقدم فيه (٦) حديث الافتضاح على ملاء الأضداد في القيامة أحمد والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد جيد من اتقى من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه في الآخرة رموس الأضداد وفي الصحيحين من حديث ابن عمر وأما الكافرو للنافق فينادي بهم على رموس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم والطبراني والثعلبي في الضعفاء من حديث الثعلبي بن عياض فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وهو حديث طويل منكرو (٧) حديث خطر الصراط تقدم في قواعد العقائد (٨) حديث هول الزبانية الطبراني من حديث أنس الزبانية يوم القيامة أسرع إلى فسقة جملة التران منها إلى جملة الأوثان والنيران . قال صاحب اللباز حديث منكرو وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلا في خزنة جهنم ما بين منكبي أحدكم كما بين للشرق وللغرب .

أحدهما من صاحبه إلا
لله في أحدهما فالمرأة
في الله أصفى من اللام
الزلال وما كان لله فانه
مطاب بالصفاء وكل
ما صفا دام والأصل في
دوام صفاته عدم الله لفة
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « لا تمار
أخاك ولا تمازحه
ولا تصدده موعدا
تخلفه » . قال أبو سعيد
الحسرا : صحت
الصوفية تحسن سنة
ما وقع بين وبينهم
خلاف قليل له وكيف
ذلك ؟ قال لأن كنت

مهم على نفسى .
أخبرنا شيخنا
أبو العجب السهروردى
إجازة قال أنا عمر بن
أحمد الصفار قال أنا

فتجتمع الأجزاء المنفردة وتعاد إليها الروح التي هي محل الإيمان وقد كانت من وقت اللوث إلى
الاعادة إما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة وإما على حالة تضاد هذه
الحال إن كانت واليذاء بالله شقية . فان قلت فما السبب الذي يفضي إلى سوء الحجة . فاعلم أن
أسباب هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها أما الختم على
الشك والجحود فينصر سببه في شيئين : أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهّد وتتمام الصلاح
في الأعمال كالمتبع في الزهد فان حقيقته خطيرة جدا وإن كانت أعماله سالحة ولست أعني مذهبا .
فأقول إنه بدعة فان يان ذلك يطول القول فيه بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله
وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقد على خلاف ما هو عليه إما برأيه ومقوله ونظره الذي به يجادل
الحكم وعليه يقول وبه يفتخر وإما أخذا بالتقليد بمن هذا حاله فاذا قرب اللوث وظهرت له ناصية
ملك اللوث واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات اللوث بطلان ما اعتقده جملا
إذ حال اللوث حال كشف الغطاء ومبادئ سكراته منه قد ينكشف به بعض الأمور فهما بطل
عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد
خاصة لانتباهه فيه إلى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له إذ لم يكن
عنده فرق بين إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشف
بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بنية اعتقاداته أو لشك فيها فان اتقى زهو روحه في هذه
الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان قد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعبادة
بالله منه فهؤلاء هم الرادون بقوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - سبقوه عز وجل
- قل هل تنبئكم بالآخرين أمعلا الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا - وكما أنه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أفعال الدنيا عن
القلب فكذلك ينكشف في سكرات اللوث بعض الأمور إذ غواغل الدنيا وشغوات البدن هي للثامة
لقلب من أن ينظر إلى لللكوت فيطالع مافي الوج المحفوظ تنكشف له الأمور على ما هي عليه
فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك في بنية الاعتقادات وكل من
اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به إما تقليدا وإما نظرا بالرأى والمقول
فهو في هذا الخطر والزهّد والصلاح لا يكتفي لدفع هذا الخطر بل لا ينبغي منه إلا الاعتقاد الحق والبه
بمزل عن هذا الخطر أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانا جملا رابعا كالأعراب
والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يهروا في الكلام استغلا ولا صغوا
إلى أصناف التكلمين في تخليد آقاويلهم المختلفة وذلك قال صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة
إليه (١) » وذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتضييق عن هذه الأمور
وأمرهم بالحق أن يتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جيما وبكل ما جاء من الظواهر
من اعتقاده نقي التشبه ومتعوم عن الخوض في التأويل لأن الخطر في البحث من الغطاب عظيم
وعقبته كثرة ومساكنه وعرة والقول عن « برك جلال الله تعالى فاصبر وأهداية الله تعالى » يور
اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة بما ذكره الباحثون فيضاة عقولهم
مضطرب ومتمازض والقلوب لما ألقى إليها في مبتدأ التساءلة وله يتمازضوا الصيانة المتأثرين
الخلق مسامير مؤكدة للمقال للوروة أو للأخوة بحسن الظن من المسلمين في أول الأمرين الجليج

أبو بكر أحمد بن خلف
قال أنا أبو عبد الرحمن
المسلي قال سمعت
عبد الله الداراني قال
سمعت أبا عمرو والدمشقي
الرازي يقول سمعت أبا
عبد الله بن الجلام يقول
وقد سأله رجل على أي
شرط أصعب الخلق
قال إن لم يرم فلا
تؤذم وإن لم يرم
فلا تؤثم . وبهذا
الاسناد قال أبو عبد الله
بالتصحيح حق أخيك
بما بينك وبينه من
الوعدة والصدقة فان الله
تعالى فرض لكل
مؤمن حقوقا لم يضيها
إلا من لم يراع حقوق الله
عليه ومن حقوق
الصحة أنه إذا وقع
فرقة ومباينة لا يذكر

يحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا يمتصها آخلة وعن تمام العكر صارفة فإذا تشعب الكلام في الله وفي صفاته بالرأى والاقول مع تناوت الناس في قرأهم واختلافهم في طبائهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعى الكمال أو الاحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لسكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب الصنفين إليهم وتأكد ذلك بطول الإلف فيهم فأنشد بالسكية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في أن يشتتوا بالأعمال الصالحة ولا يتراصوا الماوخارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى اللسان ونشأ الهذيان ونزل كل جاهل على ماوافق طبعه بظن وحسان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه سفلو الايمان ويطن أنه ماوقع بمن حدس ونغمين علم القين وعين القين - وتصلن بناء بعد حين - وبيني أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء:

أحسنْتَ ظَنكَ بِالْأَهَامِ إِذْ حَسَنْتَ وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ

وسألتك الليالي فاعتررت بها وعند صفوا الليالي يحدث الكبر

واعلم يقينا أن لكل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهو في متلطم الأمواج يرميه موج إلى موج فربما يتفق أن يلقيه إلى الساحل وذلك بيد والملاك عليه أغلب . وكل نازل على عقيدة تلقها من الباحثين يضاعف عقولهم الأداة التي حرروها في تصبأهم أودون الأدلة فإن كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وإن كان واقفا فهو آمن من مكر الله مقتر ببقه الناقص وكل خائف في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين إلا إذا جاوز حدود العقول إلى نور للكشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الأحمر وأتى تيسر وإنما يعلم عن هذا الخطر البله من العوام والأوليين شفاهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب الخطرة على سواه الخاصة . وأما السبب الثاني فهو ضعف الإيمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا فيغير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس ولا يظهر له أثر في مخالفة النفس والبدن عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقتسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب فلا يزال يطغى ما به من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعا وريثا فإذا جاءت مكرات اللوت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله ضعفا لما يبدو من استئثار فراق الدنيا وهي المجهود التالبي على القلب فيتألم القلب باستئثار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيحتاج ضميره بأنكار ما قدر عليه من اللوت وكراهة ذلك من حيث إنه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما أن الذي يحب الله ضيفا إذا أخذ ولله أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها اختلج ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي أخطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبداً والسبب الذي يغضى إلى مثل هذه الحالة هو غلبة حب الدنيا والكون إليها

والقرح بأسبابها مع صنّف الإيمان للوجوب لصف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه حب الله غلبت حبه
 الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد من هذا الخطر وجب الله نيران كل خطيئة وهو الله الغياض
 وقد عم أسنان الحلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى إذ لا يحب إلا من عرفه ولهذا قال تعالى قل إن كان
 آبائكم ولبناءكم إخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالكم اقترنوا بحب الله تجارة فتهشروا عنكم ذكرا وعلما
 يقرضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتشعروا حق رباني الله بأمره فالله أعلم كل من فاته
 روحه في حالة خطر الانكار على الله تعالى بالله وظهور ضمن فعل الله قبله في تنزهه فهو حينئذ لله

أَخَاهُ الْإِنخَرِ . قِيلَ

كان لبعضهم زوجة

وكان يعلم منها ما يكره

فكان يقال له استخيرا

عن حالها فقول لا ينفي

لِلرَّحْلِ أَنْ يَقْبَلَ فِي أَهْلِهِ

الاخرا اقفار قيا و طاقيا

فأمرته بخبره عن ذلك فقال

امانة سيدت عفو

والست من ذراريه

كف أذكركم هذا

من التخلد بأخلاقه

تولید آن دو به جا می آید.

الحاج محمد بن عبد الله

ابن عبد الوكيل

وإذا وجد من أحدكم

ما يوجب القاطع لهم

بعضه اولاً احتلف

القول في ذلك . كان

ابو ذر یھوں إذا اقلب

هما كان عليه ايمانه

من حیت احییتہ وقال

غيره لا ينفذ إلا

وسائر محابه فيكون موته قدوما على ما أبغضه وفراقا لما أحبه فيقدم على الله قدوم العبد "يفض الأبق
إذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الحزى والنكال وأما الذى يتوق على الحاقه بقدم
على الله تعالى قدوم العبد المحسن للشئاق إلى مولاه الذى تحمّل مشاق الأعمال وعتاه الأسفار طعما
في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطفه والكرام
وبطاع الانعام . وأما الحاتمة الثانية التى هى دون الأولى وليست مقتضية للخلافة في النار فلها أيضا
سيان : أحدها كثرة المصاعب وإن قوى الإيمان والآخر ضعف الإيمان وإن قلت المصاعب وذلك
لأن مقارنة المصاعب سببا غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الإلّف والمعادة وجميع ما لقيه
الإنسان في عمره يسود ذكره إلى قلبه عند موته فإن كان فيه الأكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره
ذكر طاعة الله وإن كان فيه الأكثر إلى المصاعب غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تفيض
روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومصيبة من المصاعب فيقتيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله
تعالى فالذى لا يخاف العذب الإلّاقية بعد القسوة فهو أبعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا أصلا
فهر بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المصاعب وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح
منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا وتعرف هذا بمثال وهو أنه لا يخفى عليك أن الإنسان يرى
في منامه جملة من الأحوال التى عهدها طول عمره حتى إنه لا يرى إلا ما عايناه شاهداته في القبطه حتى
إن المراقب الذى يحتمل لا يرى صورة الواقع إنما لم يكن قد واقع في القبطه ولو بقي كذلك مدة لما رأى
عند الاحتلام صورة الواقع ثم لا يخفى أن الذى قضى عمره في الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم
والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذى قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة
وأصباها أكثر مما يراه الطبيب والفقير لأنه إنما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبتهم مع القلب بطول
الإلّف أو يسبب آخر من الأسباب ولتوت شية النوم ولكنة فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه
من التشية قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكّر للألوف وعوده إلى القلب وأحد الأسباب للرجعة
لحصول ذكره في القلب طول الإلّف بطول المصاعب والطاعات أيضا مرجع وكذلك تحلق أيضا
منامات الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الإلّف سببا لأن تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتعمل
إليها نفسه فربما تفيض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته وإن كان أصل الإيمان باقيا بحيث
يرجى له الخلاص منها وكما أن ما خطر في القبطة إنما يخطر بسبب خاص يملئه الله تعالى فكذلك أحاد
النامات لها أسباب عند الله تعالى فرف بعضها ولا تعرف بعضها كأننا نعلم أن الخطر ينتقل من الشئ إلى
ما يناسبه إما بالمشابهة وإما بالمضادة وإما بالمقارنة بأن يكون قد ورد على الحس منه . أما بالمشابهة فإن
ينظر إلى جميل فيتذكر جملا آخر وأما بالمضادة فإن ينظر إلى جميل فيتذكر قبيحا وتأمل في هذه
الفتاوت بينهما وأما بالمقارنة فإن ينظر إلى فرس قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان وقد
ينتقل الخطر من شئ إلى شئ ولا يدري وجه مناسبتة له وإنما يكون ذلك بواسطة واسطة من مثل
أن ينتقل من شئ إلى شئ فإن ومنه إلى شئ ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والأول مناسبة
ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والأول مناسبة فكذلك لانتقالات الخطوط في
النامات أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فلي هذا العلم عند الله من كانت الحياة
أكثر أشغاله فانك تراه يومئذ إلى رأسه كأنه يأخذ يبرته ليخيط بها ويصل أصابعه التى لها عادة
بالسكتبان ويأخذ الأزار من فوقه ويشره كأنه يتماطى تفصيلهم بمد يد إلى القرع ومن
أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المصاعب والشهوات فلا طريق له إلا بالمجاهدة طول العمر في قطامه

بما الصلبة ولكن
يفض عمله قال الله
تعالى لبيك صلى الله
عليك وسلم - فإن
عصوك فقل إني برى
مما تعملون - ولم يقل
إني برى منكم .
وقيل . كان شاب يلزم
جالس أبي الدرداء
وكان أبو الدرداء عزيزه
على غيره فأتى الشاب
بكبيرة من الكبائر
وانتهى إلى أبي الدرداء
ما كان منه قليل له
لوا يسهده وهجرته
فقال سبحان الله لا يترك
الصاحب شئ كان
منه . قيل : الصداقة
حكمة كالحة النسب .
وقيل لحكم مرة
أيما أحب إليك أخوك
أو صديقك فقال إنما

نفسه عنها ولى قبح الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار ويكون طول واطب على الخير وتخلي الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالةسكرات اللوث فانه عوت للرد على ما عاش عليه وبخسر على ما مات عليه ولذلك قيل عن بقال أنه كان يلقن عند اللوث كلنى الشهادة فيقول خمسة أربة فكان مشغول النفس بالحساب الذى طال الله قبل اللوث. وقال بعض المارفين من السلف العرش جوهره تتلا لأ نورا فلا يكون البعد على حال إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التى كان عليها فاذا كان في سكرات اللوث كشف له صورته من العرش فرما يرى نفسه على صورة مصيبة وكذلك يكشفه يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فأخذه من الحياء والخوف ما يجعل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان التائب يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ هو جزء من أجزاء النبوة فاذا رجع سوء الحامة إلى أحوال القلب واختلاج الحواطر ومقلب القلوب هو الله والاضافات للفتنة لسوء الحواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كلياً وإن كان لطول الإلف فيه تأثير فهذا عظم خوف المارفين من سوء الحامة لأنه لو أراد الانسان أن لا يرى في التائب إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وإن كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وإن كان الطالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ أبا على الفارمدى رحمه الله عليه يصفى وجوب حسن أدب المرید لشيعته وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيعتى أبا القاسم الكرماني مناماً لى وقلت رأيتك قلت كذا قلت لم ذلك قال فبحرني شهر أوم يكلمني وقال لولا أنه كان في باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال إصفا يرى الانسان في منامه خلاف ما يظن في اليقظة في قلبه فهذا هو القدر الذى نسمح بذكره في علم المهامة من أسرار أمر الحامة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكافئة وقد ظهر لك بهذا أن الأمن من سوء الحامة بأن ترى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجى جميع العمر في طاعة الله من غير مصيبة فان كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بد وأن يظن عليك من الخوف ما يغلب على المارفين حتى يتطول بسببه بكآؤك ونياحتك وينوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من أحوال الأنبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب المهيجة لئلا الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها ضالمة إن لم يسلم في النفس الأخير الذى عليه خروج الروح وأن سلمات مع اضطراب أمواج الحواطر مشكلة جداً ولذلك كان مطرف بن عبدالله يقول إنى لأعجب من هلك كيف هلك ولكنى أعجب من نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللاف إذا صعدت للملائكة بروح العبد المؤمن وقدمت على الخير والاسلام تعجبت للملائكة به وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فسد ما خارتا وكان الثوري يوماً يركب قيل له علام تبكى فقال بكينا على الذنوب زماناً فالآن نبكى على الاسلام. وبالجملة من وقت سفينة في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة وأمواج الحواطر أعظم الاضطراب من أمواج البحر وإنما الخوف عند الموت خاطر سوء يحيط فقط وهو الذى قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الرجل لعمل بعمل أهل الجنة خسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فراق فاقته فيجتمعه بما سبق به الكتاب (١) ولا يتسع فراق الناقة لأعماله توجب الشقاوة بل هى الحواطر التى تضرب وخطر خطور البرق الخطف وقال سهل رأيت كأنى أدخلت الجنة فرأيت ثلاثاً نبي فسالتهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا لئلا سوء

أحب أخى إذا كان
صديقى وهذا الخلاف
في المقارنة ظاهراً وباطناً
وأما اللازمة باطناً إذا
وقعت الباطنة ظاهراً
فتختلف باختلاف
الأشخاص ولا يطلق
القول فيه إطلاقاً من
غير تفصيل فمن الناس
من كان تقيده رجوماً
عن الله وظهور حكم
سوء السابقة فيجب
بعضه وموافقة الحق
فيه ومن الناس من
كان قسيرة عثرة
حدت وقرة وقت
يرجى عوده فلا ينبغي
أن يغضب ولكن
يغض عمله في الحالة
الحاضرة ويحفظ عين
الود منتظراً له القرب
والعود إلى أوطان

[illegible]

الصلح قد ورد في
النبي عليه الصلاة
والسلام لما شتم القوم
الرجل الذي أتى بفاحشة
فقال له وزجرهم بقوله
ولا تصكبوا عونا
للسيطان على أخيك
وقال إبراهيم النخعي
لا تقطع أهلك ولا جهره
عند الذنب يذنبه فانه
يركبه اليوم ويتركه
غدا وفي الخبر «أثوا
زقة العالم ولا تقطعوه
واستظروا فيسه
وروي أن عمر رضي
الله عنه سأل عن أفع
له كان أخاه فخرج إلى
الشام فقال عنه بعض
من قدم عليه فقال
ما فعل أخى فقال له
ذلك أخو الشيطان قال
له ما قال له إنك لا تعرف

(١) حديث القتل في الحرب إذا كان قصده الغلبة والفتنة وحسن الصيت فهو بئز من رتبة الشهاده متفق عليه من حديث أبي موسى الأعمري إن رجلاً قال يا رسول الله الرجل يقاتل بدينه والرجل يقاتل لذكره والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله قتالهم تاتل تكون كذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رواية الرجل يقاتل شعبة ويقاتل حمية ويقاتل رياء وفي رواية يقاتل غشياً .

حاجتك فلامنة ذلك تظهر في ثلاثة أمور: من مأثورك في وقت قدره وجسه أوالوقت فأثقه أن يكفى في اليوم واليلة مرة واحدة فيواظب على الصوم وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن وأما جسده فأن لا يطلب لذائذ الأطعمة بل يقتنع بما يتفق فان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مشقة الشهوات والذائد قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات وأمكنك أن لا تأكل إلا من حله فان الحلال يمر ولا يلقى بجمع الشهوات وأما ما يملكك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك يضيع في زمانك ويملك الشغل الناس والنساء القائم في تمصيله بالكسب صرة والطعم أخرى من الحرام والشبهة وقس هذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود لباس إن لم تسكنف به في خسارة قدره وجسه لم يكن لك موقف ومرد يمدد بل كنت بمن لا علاء يطنه إلا التراب وكذلك للسكن إن اكتشفت غصوده كفتك السماء سقفا والأرض مستقرا فان غلبك حر أو برد فليكن بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف إليه أكثر عمرك وعمره هو بشاعتك ثم إن تيسر لك قصصت من الخاطى سوى كونه حائلا بينك وبين الأبطال ومن السقف سوى كونه دافعا للأطوار فأخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف قد تورطت في مهواة يمد رقبك منها وهكذا جميع ضرورات أمورك إن انصرفت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد لآخرتك وإن جاوزت حد الضرورة إلى أودية الأمانى تسببت همومك ولم يال الله في أى واد أهلكك فأقبل هذه النصيحة بمن هو أحوج إلى النصيحة منك . واعلم أن متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فإذا مضى يوما بيوم في تسويقك أو غفلتك اختطفت فجأة في غير وقت إرادتك ولم تتفكرك حسرتك وتندامتك فان كنت لا تضر على ملازمة ما أرشدت إليه بضعف خوفك إذ لم يكن فيا وصفناه من أمر الحاجة كفاية في تخوفك فانا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو أن يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق أن عقل الأنبياء والأولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عظمك وعملك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك وعشى عين قلبك في أحوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصق وبسهم يدهش وبسهم يسقط مغشيا عليه وبسهم يغتر ميتا إلى الأرض ولا غرو إن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب النافلين مثل السحابة أو أهدقوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه لواء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون .

(بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف)

روى عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يثني وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله ^(١) » وقرأ صلى الله عليه وسلم آية في سورة الواقعة فصنع ^(٢) » وقال تعالى «وخر موسى مقشورا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة جبريل عليه السلام بالأبطح فصنع ^(٣) » وروى أنه عليه السلام كان إذا دخل

(١) حديث عائشة كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث قرأ في سورة الواقعة فصنع للبروف فيا يروى من هذه القصة أنه قرأه عند سدينا أنيلا جيبا ولما إذا غيبت عذابه الجا فصنع كما رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب من سلاسله كما ذكره المصنف في الصواب في كتاب السجدة كما تقدم (٣) حديث إن رأى صورة جبريل بالأبطح فصنع البراز منه حديث ابن عباس يسنه جيد سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال ادع بك فندار به فطلع عليه من قبل الشرق فجعل يرتفع ويبرح لها رأه صق ورواه ابن البار ثم روى البخاري من مراسل

الكبار حتى وقع في الحفر فقال إذا أردت الخروج فاذن قال فكتب إليه - سم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الدب وقابل التوب شديد العقاب - ثم غابته تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى فقال صدق الله تعالى ونصح محمد قاتب ورجع . وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ابن عمر يلتفت بينا وشم لاقباه فقال يا رسول الله أخيت رجلا فانا أطبله ولا أراه فقال يا عبد الله إذا أخيت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فان

في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ما جاءني جبريل قط إلا هو يرعد فرقا من الجبار (٢)» وقيل لما ظهر على إيليس ماظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يكيان فأوحى الله إليهما مالكا يكيان كل هذا البكاء فقالا يارب ما تأمن منك فقال الله تعالى هكذا كونا لأننا منكى . وعن محمد بن النكدر قال لما خلقت النار طارت أئمة للأئمة من أمكانها خلق بنو آدم حدث وعن أنس أنه عليه السلام سأل جبريل «مالى لأرى ميكائيل ضحك فقال جبريل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار (٣)» ويقال إن الله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار عفاة أن يضرب الله عليهم فيعذبهم بها وقال ابن عمر رضى الله عنهما «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يقطع من الثمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل قلت يا رسول الله لأشفيه فقال لكنى أشتيه وهذا صبح رابعة لم أذى طعاما ولم أجده ولو سألت ربي لأعطاني ملك يقصر وكسرى فكيف بك يا ابن عمر إذا جيت في قوم غثون رزق ستهم وضعف التيقن في قلوبهم قال فو الله ما ربحنا ولا فئنا حتى زلت سوكا بن من دابة لأعمل رزقها الله رزقهم ولأياكم وهو المسيح السلام - قال فقال رسول الله ﷺ إن الله لم يأمركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنائير يريد بها حياة فانية فإن الحياة يد الله الأوانى لا كنز دنائير ولا أحوال ولا أخبار قال (٤) . وقال أبو البرداء كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه . وقال مجاهد بن كعب داود عليه السلام أرويين يوم أسجد لإبراهيم رأسه حتى ثبت للرعى من دمعه وحق غطى رأسه فتودى داود أجالع أنت فتطمع أطمعك أن تقس أم عارفكسى فنجب نجة حاج العود فاحترق من حر خوفه ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة وللغرة فقال يارب اجعل خطيئتي في كفى فصارت خطيئتي في كفه مكتوبة فكان لا يمسك كفه لطعام ولا شراب ولا يقدره إلا راحا فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثا فإذا تناوله أصر خطيئته لما يضمه على شفته حتى يفيض القدح من دمعه . ويروى عنه عليه السلام أنه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل وكان يقول في مناجاته : الهى إذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الأرض رحبا وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى روحى سبحانه الهى أتيت أطباء جبالك ليدواوا خطيئتي فكلمهم عليك بدنى فؤا للقاء نطين من رحمتك . وقال الفضيل يلقى أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعابه على

كان مرضا عذبه وإن كان مشغولا أعنته » وكان يقول ابن عباس رضى الله عنهما ما اختلف رجل إلى مجلس ثلاثا من غير حاجة لكونه لم يفت ما مكافأته في الدنيا وكان يقول سيد بن العاص الجبلى «حتى ثلاث إذا دنا رجبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وعلامة خلوص الهبة لله تعالى أن لا يكون فيها شابة حظ حاجل من رفق أو إحسان فان ما كان مملولا يزول بزوال علتهم ومن لا يستند في خلقه إلى علة يحكم بدوام خلقه ومن شرط الحبلى الله

بلفظ قضى عليه وفي الصحيحين عن عائشة رأى جبريل في صورته مرتين ولهما عن ابن مسعود رأى جبريل له سائة جناح (١) حدث كان إذا دخل في الصلاة سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل أبو داود والترمذى في التلحال والنسائي من حديث عبد الله بن الشخير وتقدم في كتاب الباع (٢) حديث ما جاءني جبريل قط إلا هو ترعد فرائسه من الجبار لم أجده هذا اللفظ وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن ابن عباس قال إن جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار تبارك وتعالى ترعد فرائسه فرقا من عذاب الله الحديث وفيه زميل بن سمالك الحنفى يحتاج إلى معرفته (٣) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لأرى ميكائيل ضحك فقال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس بإسناد جيد ورواه ابن شاهين في السنة من حديث ثابت مرجلا وورد ذلك أيضا في حق إسرائيل رواه البيهقي في الشعب وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (٤) حديث ابن عمر خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل على حيطان الأنصار فجعل يقطع من الثمر ويأكل الحديث ابن مردويه في التصريح والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر قال البيهقي هذا إسناد مجهول والجراسين مهنا شريف .

رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال ارجعوا لأريدكم إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستغفرني إلا البكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فاصنع بداد الحطاء وكان يجاب في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق المعظام واشتعال الحشا قبل أن يورثي ملائكة غلاظ شداد لا يصون الله مأمورهم ويغفون ما يؤمرون . وقال عبد العزيز بن عمر لما أصاب داود الحطية نقص صوته فقال إلهي يرحمني في صفاء أسوات الصديقين ، يروى أنه عليه السلام لما طال بكاءه ولم ينفعه ذلك ضاق ذروعه واشتد غمه فقال يارب أمترحم بكائي فأوحى الله تعالى إليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال إلهي وسيدى كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت الزبور كفت للباء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح وأظنى الطير على رأسي وأنست الوحوش إلى عرابي إلهي وسيدى لما هذه الوحشة التي بيني وبينك فأوحى الله تعالى إليه يا داود ذلك أنسى الطاعة وهذه وحشة للصية يا داود آدم خلق من خلقى خلقتني يدي وخضت فيمن روعي وأسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكلى الوحدة فزوّجته حواء أمتى وأمكنته حتى عصاني فطردته عن جوارى عريانا ذليلاً يا داود اسمع مني والحق أقول أطعنا فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأهلناك وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلنا . وقال يحيى بن أبي كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فإذا كان قبل ذلك يوم أخرج له الثبر إلى البرية فأمر سلبان أن ينادى بصوت يستقرى البلاد وما حولها من النباش والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادى فيها أأمن أن يسبح نوح داود على نفسه فلبثت قال فتأتى الوحوش من البراري والآكام وتأتى السباع من النباش وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الأوكار وتأتى العذارى من خدورهن وتجتمع الناس في ذلك اليوم ويأتى داود حتى يرى الثبر ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدة يحيطون به وسلبان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الشاء ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتقوم الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة والنيابة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فإذا رأى سلبان كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مزقت للسممين كل عرق وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في السماء فيبنيها كذلك إذا دله بسجادي إسرائيل يا داود هجعت بطلب الجزاء على ربك قال فيخبر داود مضياً عليه فإذا نظر سلبان إلى ما صابه أتى بسرر علمه عليه ثم أمر منادياً ينادى أأمن كان له مع داود حميم أو قريب فلبثت بسرر فليعلمه فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسرر وتحمل قريباً وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عباده وأفلح بابه ويقول يا إله داود أغضبان أمت على داود ولا تزال تناجي ربه فيأتى سلبان ويضع على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من حديد فيقول يا أبتاه هو بهذا على ما تريد فأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج إلى بني إسرائيل فيكون بينهم . وقال يزيد الرقشي خرج داود ذات يوم بالناس يظلمهم ويخونهم فخرج في أربعين ألفاً مات منهم ثلاثون ألفاً ومارجع إلى عشرة آلاف قال وكان له جارتان أخذاهما حتى إذا نجاها بالحوف وعقط فاضطرب صدقته على صدره وعلى رجله خافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاحله فيموت . وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليه السلام بيت القمص وهو ابن ثمان حججاً فنظر إلى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر إلى جهنمهم قد غرقوا التراب وصلكوا فيها السلاسل وهدوا أنفسهم إلى أطراف بيت القمص فهاهنا ذلك

إشارة إلى ما يقدر عليه من أمر الدين والدنيا قال الله تعالى - يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - قوله تعالى - لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أي لا يجدون إخوانهم على ما لهم - وهذا من الوصفان بهما بكل صفو المحبة أحدهما انتزاع الحسد على شيء من أمر له من الدنيا . والثاني لا يثار بالقدور . وفي الخبر من سب البصر عليه الصلاة والسلام ولله على دين خليه ولاخير

فرجع إلى أبيه فر بصدان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا لنلعب فقال إني لم أخلق للعب قال فأتى
أبيه فسأله أن يدرعه الشمر فعلا فرجع إلى بيت القدس وكان يخدمه نهارا ويصعب فيه ليلا
حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطواد الأرض وغيران الشباب فخرج أبواه في طلبه
فأدركاه على بحيرة الأردن وقد أتبع رجليه في السامح كاد العطش يذبحه وهو جول وعزتك وجلالك
لا أدنو ق بارد الشرب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه أن يخطر على قرص كان معهما من شعير
ويشرب من ذلك الماء فعمل وكفر عن يمينه فمدح بالبرفده أبواه إلى بيت للقدس فكان إذا قام
يصل يركب حتى يسكن معه الشجر وللدرد ويسكن زكريا عليه السلام لكانه حتى يمشي عليه فلم يزل يسكن
حتى خرفت دموعه لحم خديه وبنت أشراسه للتناظرين فقالت له أمه يا بني لو أدت لي أن أخذلك
شيئا توارى به أشراسك عن الناظرين فأذن لها فعدت إلى قطعي لودعا فالتفتها على خديه فكان
إذا قام يصل بكى فإذا استتعت دموعه في القطعتين أتت إليه أمه فصرتهما فإذا رأى دموعه تسيل
على خداهي أمه قال اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا
يوما يا بني إنما سألت ربك أن يهلك لي لتفرعنائي بك فقال يحيى يأتني إن جبريل عليه السلام
أخبرني أن ابن الجنة والنار مفازة لا يقطعا إلا كل يكاء فقال زكريا عليه السلام يا بني فاك . وقال
للمسيح عليه السلام : معاشر الحوارين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على الشقة
ويبعدان من الدنيا يحيى أقول لكم إن أكل الشعير والتروى على الزابل مع الكلاب في طلب الفردوس
قليل . وقيل كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا ذكر خطيئته يشقى عليه ويسمع اضطراب
قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل فيقول له ربك يتركك السلام ويقول هل رأيت خيلا يخاف
خيله فيقول يا جبريل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت فلهذه أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك
والتأمل فيها فاتهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله للقرين
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين في شدة الخوف)

روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لظائر لثني مثلك باطار ولم أخلق بشرا . وقال أبو ذر
رضي الله عنه وددت لو أتى شجرة تصعد وكذلك قال طلحة . وقال عثمان رضي الله عنه وددت أني إذا
مت لم أمت وقالت عائشة رضي الله عنها وددت أني كنت نسيا منسيا وروى أن عمر رضي الله عنه
كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يباد أياما . وأخذ يوما تبة من
الأرض فقال يا ليتني كنت هذه التبة يا ليتني لم أكن شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليتني لم ألدني
أمي وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان أسودان من السموع . وقال رضي الله عنه من خاف الله
لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولا يوم القيامة لكان غير مارتون ولما قرأ عمر رضي الله عنه
- إذا الشمس كورت - وانتهى إلى قوله تعالى وإذا الصحف نشرت - فخر مغشيا عليه ومروما بدار إنسان
وهو يصل ويقرأ سورة والطور فوقه يستمع فلما بلغ قوله تعالى - إن عذاب ربك لأكبر ولعلهم يراجعون -
زاد عن حمولة واستند إلى حائط ومكث زما نورا رجع إلى منزله ففرض شهر من هذه الناحية ولا يدرون بغيره
وقال عليه السلام كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الشجر وقد علاه كآبة وهو قلبه يشد لثني أمت أصابعه
عبد الله فلم أر اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يحبون شيا صغرا فإني أعينهم ما شئت كعب الزبير
بأنه لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراو حون بين حياهم وأقدامهم فإذا أصبحوا ذكر الله والحمد لله
كعبيد الشجر في يوم الرعب وحملت أعينهم بالدموع حتى تبل نياهم والله فكأن بالقوم باتوا غافلين

لك في صحبة من
لا يرى لك مشل
ما يرى لنفسه وكان
يقول أبو معاوية
الأسود إخواني كلهم
خير مني قيل وكيف
ذلك قال كلهم يرى
لي الفضل عليه ومن
فطن لي نفسه فهو خير
منى ولبيهم نظما :
تدلل لمن إن تذلته
يرى ذلك للفضل
لا لله

وجانب صدقة من
من لم يزل
على الأصدقاء يرى
الفضل له .

[الباب الخامس
والمحسون في آداب
الصحبة . والأخوة]
سئل أبو حفص عن
أدب القراء في الصحبة

ثم قام لها رؤى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم ، وقال عمران بن حصين : وددت أن أكون رمادا تنسفني الرياح في يوم عاصف ، وقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه : وددت أنى كبش فيذبحني أهل فيأكلون لحمي ويغسئون رقبتي ، وكان طي بن الحسين رضى الله عنه إذا توسأ صفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذى يتأكد عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم . وقال موسى بن مسعود كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بنا المارى من خوفه وجزعه قرأ مضر القاريء يوما - هذا كنانا ينطق عليك بالحق - الآية فيكى عبد الواحد بن زيد حتى عشى عليه فلما أفاق قال وعزتك لأعيتك جهدى أبدا فأعنى بتوفيقك طي طاعتك ، وكان للسور ابن عزمرة لا يقوى أن يسمع شيئا من القرآن لشدة خوفه ولقد كان يقرأ عند الحرف والياء فيصيح الصيحة فلما يسئل أياما حتى أتى عليه رجل من ختم قرأ عليه - يوم نحشر للتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا - قال أنا من المجرمين ولست من للتقين أعدى القول بها القاريء فأعادها عليه فشعر شقة فلحق بالآخرة - وقرئ عند يحيى البكاء - ولو نرى إذ وقوا طيهم - فصاح صيحة مكث منها مريضا أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة ، وقال مالك بن دينار شيئا أنا أطول بالبيت إذ أنا بجورية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول يارب كم شهوة ذهبت لها تباهى وبقيت تبعاتها يارب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار وبئس ما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر ، قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسى صارخا أقول ثكلت مالكا أمه وروى ابن الفضيل رؤى يوم عرفة والناس يدهون وهو يبكي بكاء الشكى المحترقة حتى إذا كادت الشمس تقرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال واسأناه منك وإن غفرت ثم ألقب مع الناس ، وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الخافئين فقال قلوبهم بالخوف فرحة وأعنيهم بأكية يقولون كيف قرع ولوث من ورائنا والقبر أماننا والقيامة موعدا وطى جهنم طرقتنا وبين يدي الله ربنا موقنا . وروى الحسن بن شهاب وهو مستغرق في ضحكته وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدرى إلى الجنة تصير أم إلى النار قال لا قال فما هذا الضحك قال فما رؤى ذلك الفتى بعدها ضاحكا . وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس مجلس مستورا على قدميه فقال له لو أطأنت فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن إذ عصيت الله تعالى ، وقال عمر بن عبد العزيز : إنما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى ، وقال مالك بن دينار قد همت إذا أنا مت أرمي أن يقيدوني ويغلقوني ثم ينطلقوا إلى ربى كما ينطلق بالبداء إلى سيده ، وقال حاتم الأحمى لا تتر بوضع صالح فلا مكان أصلم من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها مائتي ولا تتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تبعده لقي مائتي ولا تتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقي ولا تتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من الصلحى على الله عليه وسلم ولم يتنقش بقاءه آثاره وأعداؤه . وقال السرى : إنى لأنظر إلى أنفى كل يوم مرات حافقة أن يكون قد اسود وجهى ، وقال أبو حصص منذ أربعين سنة اعتقادي في عسى أن الله ينظر إلى نظر السخط وأعتملى كمدل على ذلك ، وخرج ابن البار يوما على أصحابه فقال إنى اجتأرت البارحة على الله أسأته الجنة ، وقالت أم محمد بن كعب القرظى لأبنا يلى إنى أعرفتك ضيرا طيبا وكيزا طيبا وكانك أأخذت حلقنا خرجنا أراك تضحك في ليلىك ونهارك قال يا أباهم ما يؤمننى أن يكون الله تعالى قد اطلع على ما فعلت جنى فلو نى فتمت . وقال وعزنى وسبأنى لا ضرت لك ، وقال الفضيل إنى لأبسط يديا مريلا ولا تملكنا تقربا ولا بعيدا سالما ليس هؤلاء بياضون يوم القيامة إنما أنشطهم من خلق . وروى وأن على من الأنصار

للشايخ وحسن

الشركة مع الأغنياء

الكلمة: ١٠٠٠

والنصيحة للأصاغر

ورك صحبة من ليس

في طبقهم وملازمة

الإشارة ومجانبة الادخار

والمعاونة في أمم المدن

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

التعاضد عن زلزل

الأخوان والتصح لها

عجب في الصيغة

وکنم عیب صاحبہ

و اطلاع دارم

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم الله . فان سمعتم

الخطاب رضى الله عنه

رحمہ اللہ امراً اُتدی

إلى عيوني وهذا فيه

مصلحة كلية تكون

ط م ع ن ه و ز ح ط ق ك ل ج د ذ ر ف ي ت ث

في حيوة فان جعفر

ابن بوقان قال فی

دخلته خشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه غر ميتا فقال عليه السلام جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار ننت كبدته ^(١) وروى عن ابن أبي ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه يقول ياليت أمتي لم تلدني فقالت له أمها ميسرة إن الله تعالى قد أحسن إليك هذا إلى الاسلام قال أجل ولكن الله قد بين لنا أنوار دو النار ولين لنا أناسا يدرون علو قبيل لفرقد السبي أخيرا ما أعجب شيء بملك عن بني إسرائيل فقال بلثني أنه دخل بيت القدس فسمائة عذراء لباسهن الصوف واللسوح فلما كرن ثواب الله وعقابه فبن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلي من الخائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا إنما كان يسأل الله العفو وقيل له في مرضه ألا تشتهي شيئا فقال إن خوف جهنم لم ينع في قلبي موضعا للشهوة وقال إنه ما رفع رأسه إلى السماء ولا ضحك أربعين سنة وأنه رفع رأسه يوما فزعه فسقط فالتفت في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليلة عذابة أن يكون قد مسخ وكان إذا أصابته ريح أو برق أو غلام طعام قال هذا من أجل صييمهم لومات عطاء لاستراح الناس ، وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفيها كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور المساء قد نورمت أقدامهم من طول القيام وفارت أعينهم من رؤسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار يصيحون كأن جلودهم قد تشور البطيخ وكانهم قد خرجوا من القبور فيبرون كيف أكرم الله للطمعين وكيف أهان العاصين فيبئنا هم يعيشون إذ مر أحدهم بمكان غر مفضيا عليه فجلس أصعابه حوله يكون في يوم شديد البرد وجيئة برشح عرقا فجاءوا بجماء فمسحوا وجوهها فأفاق وسألوه عن أمره فقال إني ذكرت أني كنت عصيت الله في ذلك المكان. وقال عليه السلام لري قرأت على رجل من التبيدين - يوم تغلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول - فصعق ثم أفاق فقال زدني يا صالح فاني أجد غما قرأت - كما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها غر ميتا، وروى أن زرارة بن أبي أوفى صلى بالناس التذلة فلما قرأ - فاذا هم في الناقور - غير مضغيا عليه لحمل ميتا، ودخل زيد بن القاسم على عمر بن عبد العزيز فقال عظمي يا يزيد قال يا أمير المؤمنين أعلم أنك لست أول خليفة يموت لكي ثم قال زدني قال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت فبكى ثم قال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل غر مفضيا عليه . وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية - وإن جهنم لموعدهم أجمعين - صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدرون عليه ^(٢) ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولها صاوي تقول يا ابتاه ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولا فصق داود وسقط مكانه ومثله مرض سفيان الثوري فمرض عليه على طبيب دمي قال هذا رجل قطع الخوف كبدته ثم جاءه وجس عروقه ثم قال ما علمت أن في اللثة الحنيفة مثله وقال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه سألت الله عز وجل أن يفتح علي بابا من الخوف ففتح غلطي على غلطي فقلت يارب على قدر ما أطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا أيها الناس إنكم لو كنتم تباكم فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصبر حتى ينقطع صوته وصلي حتى يسكر صلبه وكأنه أشار إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ^(٣)» وقال الصنبري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولبت

ميمون بن مهران قل لي في وجهي ما أكره فان الرجل لا يصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه فان الصادق يجب من يصدقه والكاذب لا يجب التامس قال الله تعالى ولكن لا يحبون التابعين - والنصيحة ما كانت في السر. ومن آداب الصوفية القيام بخدمة الإخوان واحتمال الأذى منهم فذلك يظهر جوهر الفقير روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بقطع ميزاب كان في دار البساس بن عبد المطلب إلى الطريق بين الصفار والروقة قال له البساس ما كان

(١) حديث إن قم من الأنصار دخلته خشية من النار حتى حبسه خوفا في البيت الحديث ابن أبي الدنيا

في الخائفين من حديث حذيفة والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد باسنادين فيها نظر .

(٢) حديث ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وإن جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي

لم ألق له على أصل (٣) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا انهم في قواعد العقائد

ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة وبالحكم ليس هذا زمان حديث إنما هذا زمان بكاء
وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء التريق إنما هذا زمان أحفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك
وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وروى الفضيل يوما وهو يمشي قهبل إلى ابن أبي عمير قال لا أدري وكان يمضي
والها من الخوف . وقال ذر بن عمر لأبيه عمر بن ذر : ما بالك لتكلمين بتكلمون فلا يبيحك أحدنا
تتكلم أنت سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست الناحية الشكى كالناحية للسأجة وحكي
أن قوما وقفوا بابيد وهو يسكن قالوا ما الذي يبكىك برحمتك الله ؟ قال قرحة يجدها الحاقنون في
قلوبهم قالوا وما هي ؟ قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل . وكان الخواص يسكن ويقولون في مناجاته
قد كبرت وضئف جسمي عن خدمتك فأعتقني . وقال صالح للري : قدم علينا ابن البكاء مرة فقال
أرني شيئا من بعض عجائب جادكم فلهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خس له فاستأذنا عليه
فاذا رجل يعمل خوصا قترأت عليه . إذا الأغلال في أحناتهم والصلابل يسبحون في الحميم ثم في النار
يسبحون . فتشقى الرجل شقة وخر مشيا عليه غرجنا من ضده وتركناه في حاله وذهبنا إلى آخر
فدخلنا عليه قترأت هذه الآية فتشقى شقة وخر مشيا عليه فذهبنا واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا
إن لم تشغلونا هن ربنا قترأت . ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد . فتشقى شقة فبدا لهم من
منخره وجعل يشحط في دمه حتى يسس فتركناه على حاله وخرجنا فأدبرته على ستة أنس كل نخرج من
عنده وتركه مشيا عليه ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا فإذا امرأة من داخل الحصن خوله ادخلوا
فدخلنا فإذا شيخ فان جالس في معلاة فسلمنا عليه فلم يشعر بإسلامنا قتل بصوت عال إلا أن لغلق
غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتمنا فاه شاخصا بصره يصيح بصوته
ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لا تفتشون بالسماعة فما كان
بعد ذلك سالت عن القوم فإذا ثلاثة قد اتفوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة
أيام على حاله مبهوتا متجبرا لا يؤذى فرضا فما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الأسود يرى أنه
من الأبدال وكان قد حلف أنه لا يمتك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل ممنا أبدا لارؤى صاحكا
ولا مضطجعا ولا أكل ممنا حتى مات رحمه الله . وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلقي أنك لم تفك
فقط فقال كيف أصبحت قال غير قال كيف جالك فنقسم الحسن وقال تسألني عن حالي ما ظنك
بناس ركبو سفينة حتى توسلوا البحر فانكسرت سفينتهم فتلقى كل إنسان منهم خشية على أمره
حال يكون قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حالي أشد من حالهم . ودخلت مولا لسمر بن
عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد في بيته فسلمت فيه ركعتين وغلظنا عينها
فرقدت فاستبكت في منامها ثم انتبهت فقالت يا أمير المؤمنين إني والله رأيت عجبا قال وما ذلك ؟
قالت رأيت النار وهي تزفر على أهلها ثم جرى بالصراط فوضع على متنها قال هيه قالت جرى
بيد الملك بن مروان فحمل عليه فامضى عليه لا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم
قال عمر هيه قالت ثم جرى بالريد بن عبد الملك فحمل عليه فامضى إلا يسير حتى انكفأ به
الصراط فهوى إلى جهنم قال عمر هيه قالت ثم جرى بسلطان بن عبد الملك فامضى عليه لا يسير
حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك قال عمر هيه قالت ثم جرى بك والله يا أمير المؤمنين ضلح
عمر رحمه الله عليه صيحة بخر فمشيا عليه قامت إليه فسلمت تهادى في أذنه يا أمير المؤمنين إني
رأيتك والله قد جهزت إني رأيتك والله قد جهزت قال وهي تنادي وهو يسبح ويخص برجله

رسول الله صلى الله
عليه وسلم وضمه يده
فقال إذن لا يرده إلى
مكانه غير يدك ولا يكون
لك سلم غير عاتقي عمر
فأقامه على عاتقه ورده
إلى موضعه ومن أدبهم
أن لا يرون أنفسهم
ملكيا يخصون به قال
ابراهيم بن شيان كنا
لا نصحب من يقول
نمل . أخبرنا بذلك
رضي الله عن أبي
الظفر عن والده
أبي القاسم القشيري
قال سمعت أبا حاتم
السوفي قال سمعت
أبا نصر السراج يقول
ذلك وقال أحمد بن
القلاني دخلت على
قوم من الثقراء يوما
بالبصرة فأكرموني

ويحكى أن أويما القرن رحمه الله كان يحضر عند القاس فيسكن من كلامه فإذا ذكر النار صرخ أويما ثم يقوم منطلقا فينبه الناس فيقولون جنون جنون . وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسدهم وراءه وكان طابس يفرش له الفرش فيضطجع ويقل كما تنقل الحبة في التلتي ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جنهم نوم الحافئين . وقال الحسن البصري رحمه الله : يخرج من النار رجل بعد ألف عام باليتي كنت ذلك الرجل وإنما قال ذلك خوفا من الخلود وسوء الخاتمة . وروى أنه مضطج أربعين سنة قال وكنت إذا رأيت قاعدا كأنه أمير قد قدم لتضرب عنقه وإذا تكلم كأنه يمان الأخيرة فيخير عن مشاهدتها فإذا سكنت كأن النار تسمر بين عينيه وعوتب في شدة حرته وخوفه فقال ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع في علي بسن ما يكره لفتني فقال اذهب فلا ففرت لك فأتا أعمل في غير محل . وعن ابن المبارك : قال وعظت يوما في مجلس قلم شاب من القوم فقال يا أبا الباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبال أن لانسع غيرها قلت وماهي رحك الله قال قولك قد قطع قلوب الحافئين طول الخلودين إمامي الجنة أولى النار ثم فاب عن فقدته في المجلس الآخر فم أروه فسألت عنه فأخبرت أنه مريض ياد فأتته أعوده قتلتي بأخي ما الذي أرى بك قال قال يا أبا الباس ذلك من قولك قد قطع قلوب الحافئين طول الخلودين إمامي الجنة أو النار قال ثم مات رحمه الله فرأيت في المنام قتلتي بأخي ما فعل الله بك ؟ قال غفلى ورحمني وأدخلني الجنة قلت عابدا ؟ قال بالكلمة فله مخاوف الأبياء والأولياء والصالحين ونحن أجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بفساد القلوب وكال العرفة والإفليس أمنا لثقة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوات وغلبت علينا حقوقنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا فاقرب الرجل يثبنا ولا كثرة الذنوب نحررنا ولا مشاهدة أحوال الحافئين نخوفنا ولا خطر الخاتمة زهجننا ففسأل الله تعالى أن يتدارك بقضه وجوده أحوالنا فيصلحنا إن كان تحريك اللسان مجردا للزوال دون الاستعداد بضمنا . ومن السجائب أنا إذا أردنا للبال في الدنيا زرعنا وغرسنا وأخرنا ووركننا البهار والبراري وناظرنا وإن أردنا طلب رتبة العلم فحققنا وعبنا في خطفه وسكراره وسهرنا ونجهد في طلب أرزاقنا ولا تقيضنا الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم إذا طمعت أمينا نحو ذلك اللهم للقيم قضا بأن قولنا بالستنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والدينا ليرجاء ثوابه واعتزنا بتاديبنا ويقول - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ولا يفرنكم بالله التورود - وأبها الإنسان ما حرك برك التكريم - ثم كل ذلك لا يثبنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا فلهذه الإلحاح هاتية إن لم يتفضل الله علينا بقوة نضوح يتداركنا بها ويحيرنا فسأل الله تعالى أن يثوب علينا بل نساء أن يشوق إلى التوبة سرال قلوبنا وأن لا يجعل حركة اللسان بؤال التوبة غاية حظنا فنكون نحن نؤول ولا يسل ويسمع ولا يقبل إذا سمعنا الوصف بيكنا وإذا جاء وقت البذل بما سمعنا ضينا فلا علامة للخللان أعظم من هذا فسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والهدى منه وفعله ولتقتصر من حكاية أحوال الحافئين على ما أوردناه من القليل من هذا صاف القلب القابل ليكني والسكينة وإن أبيض على القلب التافل فلا يخفى . وقد صدق الراغب الذي حكى عن عيسى بن مالك الجواليقي وكان من خيار العبادة أنه رآه في باب بيت للقدس واقفا كهيئة المزهون من حمدة الوهنا يكاد يرتد صمغ من كثرة البكاء قال عيسى لما رأيته هالتي منظره قلت أيها الراهب أوصني بوضيعة كانتك منك فقال بأخي عابدا أوصيك إن استطعت أن تسكون بمنزلة رجل قد احتجته السيامة والهمم فربما ضاع حيل

وبجلوى قلت يوما
لبنهم أين إلا يرى
فقطعت من أمينهم .
وكان إبراهيم بن آدم
إذا صاح إنسان عارطه
على ثلاثة أشياء أن
يسكون الحسنة
والأذان له وأن تسكون
بده في جميع ما ينتج
الله عليهم من الدنيا
كيد قال رجل من
أصحابه أنا لا أقدر على
هذا قال أجبني
صديق . وكان إبراهيم
ابن آدم ينظر البسائين
ويصل في الحصاد
ويشق على أصحابه .
وكان من أخلاق
السلف أن كل من
احتاج إلى شيء من
مال أخيه استغنىه من
غير مؤلمة قال الله

يخاف أن يغفل ففترسه السباع أو يسو قنشه الهوام فهو مذخور القلب وجل فهو في الحفاة ليه وإن أمن للتتروا وفي الحزن نهاره وإن فرح البطالون ثم ولى وتركى قلت لو زدنى شيئا عسى ينفعنى فقال الظلمان يحزبه من اللاء أيسره وقد صدق فإن القلب الصالح يحركه أدنى حفاة والقلب الجامد تنبو عنه كل اللواظ وما ذكره من تقديره أنه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن أنه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصرة باطنك لأبصر مشعو نأيا صانف السباع وأنواع الهوام مثل القنص والشبهة والحدود والحدود والكبر والمجب والرياء وغيرها وهى التى لا تزال تفتسرك وتنهشك إن غفلت عنها لحظة إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها فإذا انكشف الظواء وضعت في قبرك كمايتها وقد تمثلك بصورها وأشكالها للواقفة لما نيترى بينك القارب والحيات وقد أحدثت بك في قبرك وإنما هى صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فإن أردت أن تقتلها وتظهرها وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل وإلا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لسمم قلبك فضلا عن ظاهر جشرك والسلام.

كتاب الفقر والزهد

(وهو الكتاب الرابع من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى تسبى له الرمال ، وتسجد له الظلال ، وتدكدك من هيته الجبال ، خلق الإنسان من الطين اللزب والصلصال ، وزين صورته بأحسن تزيين وأتم اعتدال ، وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال ، وأذن له في قرع باب الخدمة بالقدو والآصال ، ثم كل بصيرة تخلص في خدمته بنور النيرة حتى لاحظ بضائمه حضرة الجلال ، فلاح له من الهجة والبهاء والكمال ، ما استقبح دون مبادئ إشراقه كل حسن وجمال ، واستقل كل ماصرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستقلال ، وتخلله ظاهر الدنيا في صورة امرأة حبيبة عيسى وغزال ، وانكشف له باطنها عن هجوز هواها بعجبت من طينة الحزنى وضربت في قالب النكال ، وهى متلقة بجلبابها لتخفى قبايح أسرارها بلطائف السحر والاحتيال ، وقد نصبت جبالها في مدارج الرجال ، ففى تقتنصهم بضروب السكر والاختيال ، ثم لا تجترى معهم بالخلف في مواعيد الوصال ، بل تقدم مع قطع الوصال بالسلاسل والأغلال ، وتبليهم بأنواع البلايا والأنكال ، فلما انكشف للعارفين منها قبايح الأسرار والأفوال ، زهدوا فيها زهد البغض لها فتركوها وتركوا التفاخر والتكاثر بالأموال ، وأقبلوا بكنههم على حضرة الجلال ، واتقن منها بوسال ليس دونه اتصال ، ومشاهدة أبدية لا يتربها قناء ولا زوال ، والصلاة على سيدنا محمد سيد الأنبياء وعلى آله خير آل .

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله عز وجل ضروره هائل من مثل بكم هازل من زل الجبار أس الخطايا والسيئات ، وبضها أم الطاعات وأمن القربات ، وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها ودم الحب لها في كتاب دم الدنيا من ربيع الليلكات ، ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانمرأس النجيات، فلا مطمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا واليحد منها الكن مقاطعتها إما أن تكون بازوا بها عن اللبد ويسمى ذلك فقرا وإما بازوا المبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودواجيمها وأقسامها وغيره وعلما وأحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب. والزهد في شطر آخر منه ونبدأ بذكر الفقر فنقول : [الشطر الأول من الكتاب في الفقر] وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان

(مکتوبات الفقر والزهد)

تعالى وأمرهم ضرورى
بينهم - أى مشاعهم فيه
سواء ومن أدبهم أنهم
إذا استقروا صاحب
يتمون أنفسهم
ويتسبون في إزاة
ذلك من يواطهم لأن
انطواء الضمير على
مثل ذلك للمصاحب
وليغة في الصفة. قال
أبو بكر الصديق
صاحب رجل وكان على
قلبي قتيلا فوهبت له
حيثا بنية أن يزول قلبي
من قلبي لم يزول فاحتوت
به يوما وقلت له ضع
رجلك على خدي فأبى
فقلت له لا بد من ذلك
فقبل ذلك فزال
ما كنت أجده في
باطني قال الرقي تصدت
من الشام إلى الحجاز

خصوص فضيلة الفقراء وبيان فضيلة الفقير على التقي وبيان أدب الفقير في فقره وبيان أدبه في قبوله البطء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار التقي المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين والله للوفيق للصواب بلطفه وكرمه .

(بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه)

اعلم أن الفقر عبارة عن قد ما هو محتاج إليه ما قد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرا وإن كان المحتاج إليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثانی الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاد من غيره فهو التقي للطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الوجود إلا واحدا فليس في الوجود إلا غنى واحد وكل من عداها فاتهم محتاجون إليه ليعيدوا وجودهم بالدوام وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى - والله التقي وأتم الفقراء - هذا معنى الفقر مطلقا ولكننا نسألكم في بيان الفقر الطلاق بل الفقر من اللال على الخصوص والإفقر البعد بالإنفاضة إلى أصناف حاجاته لا ينحصر لأن حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل إليه بالمال وهو الذي نريد الآن لأنه فقط فنقول: كل فاقده للمال فانا نسميه فقيرا بالإنفاضة إلى اللال الذي قدده إذا كان ذلك للفقر محتاجا إليه في حقنم يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونحن نعيها ونخصص كل حال باسم لتتوصل بالتعريف إلى ذكر أحكامها : الحالة الأولى وهي العليا أن يكون بحيث لو أتاه اللال لكرهه وتأذى به وهرب من أخذه مبضا له وعجزا من شره وشقه وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد . الثانية أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه لو أتاه وصاحب هذا الحالة يسمى راضيا . الثالثة أن يكون وجود اللال أحب إليه من عهده لرغبته فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن يهني لطلبه بل إن أتاه صفوا عفوا أخذه وفرح به وإن افتقر إلى تعب لطلبه لم يشغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قافضا إذ تنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيها من الرغبة الضعيفة . الرابعة أن يكون تركه الطلب لعجزه وإلا فهو راغب فيه رغبة لو وجدته لطلبه ولو بالطلب لطلبه وهو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحرص . الخامسة أن يكون ماقده من اللال مضطرا إليه كالجائع القليل الغني والمارى الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته في الطلب إما حارة وإما قوية وقفا تنفك هذه الحالة عن الرغبة ، فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار وإن لم يكن إليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتي بيانه ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة من الزهد وهي أن يستوى عنده وجود اللال وقده فأن وجدته لم يفرح به ولم يتأذى وإن قدده لم يكرهه بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله تعالى عنها إذا أتاه ما لا ألف درهم من البطء فأخذتها وفرح بها يوما فقالت خادمتها ما استطعت فيما فرقت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما فطر عليه فقالت لو ذهبت فبعت لئن هذه حاله لو كانت أنا لم أجد أغيره فاني بدموعه اثنتي عشرة إذ هو يرى الأموال في خزائنه تعالى لا يرى يد نفسه فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره ويهين أن يسمى صاحب هذه الحالة السخى لأنه غنى عن قد اللال ووجوده جميعا ولا يهتم بهذا الاسم معنى فإرق اسم التقي للتي على الله تعالى وعلى كل من كثر ماله من المباد فان من كثر ماله من المباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقائه اللال في يده وإعماؤه عن دخول اللال في يده لأن حاله فهو إذن فقير من وجه وأما هذا الشخص فهو غنى عن دخول اللال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضا فانه ليس يتأذى به ليجتاج إلى إخراجة وليس يفرح به ليجتاج إلى بقائه وليس فاقدا له

حتى سألت الكتاني عن هذه الحكاية . ومن أدبهم تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له في المجلس والأثار بالوضع . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في صفة ضيقة فجاءه قوم من البدويين فلم يجدوا موضعا يجلسون فيه فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن من أهل بدر قبلوا أماكنهم فاعتد ذلك عليهم فأزل الله تعالى - وإذا قيل انشروا فانشروا الآية وسكن أن على بن بدر الصولي ورد على أبي عبد الله بن خفيف زائرا فتأخيا فقال له

ليحتاج إلى الدخول في يده فضاء إلى العموم أميل فهو إلى التقى الذي هو وصف الله تعالى أقرب وإيما
قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكننا لانسمي صاحب هذه الحالة غيايل
مستخيا ليقى التقى اصحا لمن له التقى للطلق عن كل شيء وأما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا
أو عدما فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليقى استغناؤه الذي زين
الله به قلبه فان القلب القديد يجب للمال رقيق وللاستغنى عنه حر والله تعالى هو الذي أمّنه من هذا
الرق فهو محتاج إلى دوام هذا التقى والقلوب مثقلة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لأنها بين
أصعبين من أصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم التقى مطلقا عليه مع هذا الكمال الإعجازا . واعلم أن
الزهد درجة هي كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من اللقرين فلا جرم صار الزهد في حقه قصانا إذ حسنات
الأبرار سيئات للقرين وهذا لأن الكساة لادنيا مشغول بالدنيا كما أن الراضب فيها مشغول بها والشغل
بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى إذ لا يبدى بك وبين الله تعالى حتى يكون السد حجابا فانه أقرب
إليك من جبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والأرض حجابا بينك وبينه فلا حجاب
بينك وبينه لا تشغل بك غيره وشغلك بنفسك وشهوأك شغل بغيره وأنت لاتزال مشغولا بنفسك
وبشوات نفسك فكذلك لاتزال محبوبا عنه فالمشغول يجب نفسه مشغول عن الله تعالى وللمشغول
يفض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى بكل ماسوى الله مثله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع
الماسق والمشوق فان انفت قلب الماسق إلى الرقيب وإلى نفسه واستغنى له وكرهه حضوره فهو في حال
اشتغال قلبه يفرضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة مشعقة ولو استغرقه الشق لفعل عن غير المشوق
ولم يلتفت إليه فكأن النظر إلى غير المشوق ليه عند حضور المشوق شرك في الشق وقص فيه
فكذلك النظر إلى غير المحبوب لبخسه شرك فيه وقص ولكن أحدهما أخف من الآخر بل الكمال
في أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بنضا وجا فانه لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا
يجتمع أيضا بغض وحب في حالة واحدة فالمشغول يفرض الدنيا غافل عن الله كاللشغول محبا إلا أن
للمشغول محبا غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد وللشغول ينضم غافل وهو في غفلته سالك في
طريق القرب إذ يرجي له أن ينتهي حاله إلى أن تزول هذه الغفلة وتبدل بالشهود فالكمال له مرتب لأن
بغض الدنيا معية توصل إلى الله فالحب والبغض كجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة
وعلفها وتسييرها ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستديرها فبما سبان بالإضافة إلى الحال
في أن كل واحد منهما محبوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالإضافة إلى
للتدبر إذ يرجي له الوصول إليها وليس محمودا بالإضافة إلى المتكبر في الكعبة لللازم لها الذي لا يخرج
منها حتى ينتشر إلى الاشتغال بالهابة في الوصول إليها فلا ينبغي أن تظن أن بغض الدنيا مقصود في عينه
بل الدنيا باقية عن الله تعالى ولا وصول إليه إلا بدفع العائق وقدلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله
من زهد في الدنيا واقتصر عليه قد استعجل الراحة بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة فيبين أن سلوك
طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع التمر المائق عن الحج ، فاذن قد ظهر
أن الزهد في الدنيا أن أريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية البكال وإن أريد به الرغبة في
عدمها فهو كمال بالإضافة إلى درجة الراضى والقانع والحرص وتقصان بالإضافة إلى درجة التسخن بل
الكمال في حق اللال أن يستوى عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بأن تكون
على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج إليه كما أن الماء محتاج إليه
فلا يكون قلبك مشغولا بالقرار عن جوار الماء الكثير ولا يفرض الماء الكثير بل تقول أثير ب

أبو عبد الله قدّم فقال
بأي عطر فقال بأنك
لقتب الجيد وما لقيته
ومن أدبهم ترك محبة
من همه شيء من
فضول الدنيا قال الله
تعالى - فأعرض ممن
تولى عن ذكرنا ولم يرد
إلا الحياة الدنيا -
ومن أدبهم بليل
الانصاف للاخوان
وترك مطالبة الانصاف
قال أبو عبيان الحيري
حق الصعبة أن توسع
على أخيك من مالك
ولا تطمع في ماله وتصفه
من نفسك ولا تطلب
منه الانصاف وتكون
تبعاه ولا تطمع أن
يكون بمالك وتستكثر
ما يصل اليك منه
وتستقل ما يصل اليك

منه بقدر الحاجة وأسقى منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أدخل به على أحد فهكذا ينبغي أن يكون الحال لأن الحزن والناء واحد في الحاجة وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر وإذ عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبره العالم علمت أن قدر حاجتك من الحزن يأتيك لعلامة دامت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من اللاء على ماسياتي ياته في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى، قال محدثن أبي الحواري قلت لأبي سليمان النازني قال مالك بن دينار الفقير إذا ذهب إلى البيت غدا الزكاة التي أهدبها إلى فان المدعو يوسوس لي أن العس قد أخفها قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زاد في الدنيا ما غلبه من أخذها فينبى أن كراهية كون الزكاة في بيته الثغرات إليها سببه الضعف والتقصان . فان قلت فما بال الأنبياء والأولياء هربوا من اللال وغفروا منه كل الغفار. فأقول: كما هربوا من اللاء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم فقروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب والروايا يدبرونه مع أنفسهم بل تركوه في الأتجار والأكل والبراري لاحتاجين إليه لأنهم كانت قلوبهم مشغولة بعباده وبضوءه قد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها (١) إذ كان يستوى عندهم اللال والناء والذهب والحجر وما نقل عنهم من امتناع لما أن ينقل حمن خاف أن لو أخذها أن يخذله اللال ويحبذ قلبه فيدعوه إلى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلاجرم البعض لللال والحرب منه في حقه كمال وهذا حكم جميع الحق لأن كلهم ضعفاء إلا الأنبياء والأولياء وإما أن ينقل عن قوى بلغ الكمال ولكن أظهر القراء والفاروق لا إلى درجة الضعفاء ليقنعوا به في الترك إذ لو اقتدوا به في الأخذ لمسكوا كما يفر الرجل للعزم بين يدي أولاده من الحيلة لضعفه عن أخذها ولكن لمعه أنه لو أخذها أخذها أولاده إن أرادوا فهل يكون والسير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والصالحين قد عرفت إذن أن الرابع ست وأعلى رتبة للستقنى ثم الرأفة ثم الرضى ثم القانع ثم الحرص ، وأما للضرر فيصير في حقه أيضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف أحوال واسم الفقير يطلق على هذه الحجة أما تسمية الستقنى فقيرا فلا وجه لها بهذا المعنى بل إن سمى فقيرا بمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغناؤه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم البذل لمن عرف نفسه بالمعونة وأقر بها فاته أحق باسم البذل من العاقلين وإن كان اسم البذل عاما للمخلوق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو . أحق باسم الفقير . فاسم الفقير مشترك بين هذين النوعين وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أعوذ بك من الفقر (٢))

منك . ومن أدهم في الصعبة ابن الجانب وترك ظهور النفس بالصولة . قال أبو علي الروذباري الصولة هي من فوقك قحة وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك هجر ومن أدهم أن لا يجري في كلامهم لو كان كذا لم يكن كذا وليت كان كذا وصلى أن يكون كذا فاتهم يرون هذه التقديرات عليه اعتراضا . ومن أدهم في الصعبة حذر القارعة والحرص على الملازمة قيل صحب رجل رجلا ثم أراد القارعة فاستأذن صاحبه فقال بشرط أن لا تصحب أحدا إلا إذا كان فوقك أو كان

(١) حديث إن خزائن الأرض حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر فأخذوها ووضعوها في مواضعها هذا معروف وقد تقدم في آداب المشيئة من عند البخاري تعليقا مجزوما به من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أنس به فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فقلما كان يرى أحدا إلا أعطاه ووصه عمر بن محمد البحيري في صحيحه من هذا الوجه وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف قعم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار يقدمونه الحديث ولهذا من حديث جابر لوجاءت مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا فلم يقدم حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر أبو بكر منافقا فنادى من كان له في رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة أو دين فليأتا قلت إن النبي صلى الله عليه وسلم وعدني ثلثا (٢) حديث أعوذ بك من الفقر تقدم في الأذكار والدعوات .

وقوله عليه السلام « كاد الفقر أن يكون كفرا »^(١) لا يناقض قوله وأحيان مسكينا وأمتى مسكينا^(٢) إذ قرر الضرر هو الذي استأذى منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار إلى الله تعالى هو الذي سألته في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسما.

(بيان فضيلة الفقر مطلقا)

أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى - للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم الآية وقال تعالى - للفقراء الذين أحسروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض - ساقى الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالمجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر. وأما الأخبار : في مدح الفقر فأكثر من أن تحصى روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أي الناس خير فقالوا موسى بن المالك يقول حق الله في نفسه وماه فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن الناس يارسل الله قال فقير يسطى جهده »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم لبلال « ان الله فقيرا ولا تلقه غنيا »^(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الفقير المتشفع بالأيال »^(٥) وفي الخبر المشهور « يدخل قراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسةائة عام »^(٦) وفي حديث آخر « بأربعين خريفا »^(٧) أي أربعين سنة فيكون للراة به تقدير تقدم الفقير الحرص على التقدير بخمسةائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على التقدير الراغب وما ذكرنا من اختلاف درجات الفقر صرفك بالضرورة تفاوت بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحرص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد إذ هذه نسبة الأربعين إلى خمسةائة ولا تظن أن تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى على لسانه جزاء وبالاتفاق بل لا يستطعن صلى الله عليه وسلم إلا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى إلا هو إلا وحى يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستون أو أربعين جزءا من النبوة »^(٨) فانه تقدير تحقيق للحالة ولكن ليس في قوة غيره أن يعرف تلك النسبة إلا بتخمين فأما بالتحقيق فلا إذ يعلم أن النبوة عبارة عما يخص به النبي وفارق به غيره وهو يخص بأشياء من أطوار أحدها أنه يعرف حقائق الأمور للصلة بالصفات واللائكة والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا تقدم في ذم الحسد (٢) حديث اللهم أحيى مسكينا وأمتى مسكينا الترمذى من حديث أنس وحسنه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أي الناس خير فقالوا موسى بن المالك يسطى حق الله من نفسه وماه فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن الناس قال فقير يسطى جهده أبو منصور الديلمى في مسند القردوس بسند ضعيف مقتصرا على الرفع منه دون سؤاله لأصحابه وسؤالهم (٤) حديث قال لبلال ان الله فقير ولا تلقه غنيا الحاكم في مسند كتاب علامات أهل التحقيق من حديث بلال ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلفظ مت فقيرا ولا تمت غنيا وكلاما ضعيف (٥) حديث إن الله يحب الفقير المتشفع بأبا الأيال ابن ماجه من حديث عمران ابن حصين وقد تقدم (٦) حديث يدخل قراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسةائة عام الترمذى من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وقد تقدم (٧) حديث دخولهم قبلهم بأربعين خريفا مسلم من حديث عبد الله بن عمرو إلا أنه قال قراء المهاجرين والترمذى من حديث جابر وأنس (٨) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة البخاري من حديث أبي سعيد ورواه هو ومسلم من حديث أبي هريرة وعبادة بن الساستر وأنس بلفظ رؤيا المؤمن جزء الحديث وقد تقدم .

فوقنا أيضا فلا تصحبه لأنك صبيتا أولاد قال الرجل زال عن قلبي نية المقارنة . ومن أدهم التعطف على الأصغر . قيل : كان إبراهيم بن آدم يصل في الحصاد ويطمع الأصحاب وكانوا يجتمعون بالليل وهم صيام ورعا كان يتأخر في بعض الأيام في السمل فقالوا ليلة تعالونا نأكل فطورتا دونته حتى يموت بعد هذا يسرع فأفطروا وتاموا فخرج إبراهيم فوجدهم نياما فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فقدم إلى شيء من الدقيق فضجعت فالتهموا وهو ينفع في النار واضعا

بل عاقلة بكرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني أن له في نفسه صفة بها
تم له الأحوال الحارة للعادات كما أن لنا صفة بها تم الحركات القرونة بإرادتنا واختيارنا وهي القدرة
وإن كانت القدرة وللقدر جميعا من فعل الله تعالى. والثالث أن له صفة بها يصير لللائكة وشاهدتهم كأن
للبصير صفة بها يغارق الأعمى حتى يدرك بها البصيرات. والرابع أن له صفة بها يدرك ما سيكون في التيب
إما في البقعة أو في اللام إذ بها يطالع الألواح المحفوظ في مافيه من التيب فهذه كالات وصفات يعلم
ثبوتها للأنياء وسلم اتسام كل واحد منها إلى أقسام وربما يمكننا أن نقسمها إلى أربعين وإلى
خمين وإلى ستين ويمكننا أيضا أن تتكلف تقسيمها إلى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة
جزوا واحدا من جملة ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقنيات للمكنة لا يمكن إلا بظن
وتخمين فلا ندرى تحقيقا أنه الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا وإنما العلوم بجامع الصفات
التي بها تتم النبوة وأصل اتسامها وذلك لا يرجعنا إلى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم أن الفقراء
لهم درجات كما سبق فأما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة التقدير الزاهد
حق لم يبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة واقتضى ذلك التقدم بمسألة عام فليس
في قوة البشر غير الأنبياء الوقوف على ذلك إلا بنوع من التخمين ولا وثوق به والنرض التنبيه على
منهاج التقدير في أمثال هذه الأمور فإن الضعيف الايمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله
صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة عن ذلك. ولترجع إلى نقل الأخبار فقد
قال صلى الله عليه وسلم أيضا «خير هذه الأمة قراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضغفاؤها» (١) وقال
صلى الله عليه وسلم «إن لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحسن ومن أبغضهما فقد أبغض الفقر
والجهاد» (٢) وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله عز وجل قرأ
عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهباً (٣) «وتكون ملكاً أينما كنت فأطرق رسول
الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له وما لمن لا مال له ولها جميع من
لا عقل له فقال له جبريل يا محمد تبئك الله بالقول الثابت. وروى أن المسيح صلى الله عليه وسلم مر في
سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذا ذكر الله تعالى فقال ما تريد مني؟ إني
قد تركت الدنيا لأهلها فقال له قم إذن يا حبيبي وموسى صلى الله عليه وسلم رجل نائم على التراب
وتحت رأسه لبنه ووجهه ولحيته في التراب وهو مزمز ببكاء فقال يارب عبدك هذا في الدنيا ضائع
فأوحى الله تعالى إليه يا موسى أما علمت أي إذا نظرت إلى عبد يوجهي كله زويت عنه الدنيا
كلها وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فزجده عنده بما يصلحه
فأرسلني إلى رجل من يهودي خبير وقال قل له يقول لك محمد أسلتني أو بني ديقا إلى هلال رجب
قال فأنيته فقال لا والله إلا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال أما والله
إني لأمين في أهل البلاء آمين في أهل الأرض ولو باعني أو أسلتني لأدبت إليه اذهب بدري

عاشته على التراب قالوا
له في ذلك فقال قات
لسلم لم يجدوا فطروا
فضمم فقالوا انظروا
بأي شيء عاملناه
وبأي شيء عاملنا.
ومن أدبهم أن لا يقولوا
هند النساء إلى ابن ولهم
وبأي سبب؟ قال بعض
النساء إذا قال الرجل
لصاحب قم بنا قال
إلى أين فلا تصعبه.
وقال آخر من قال
لأخيه أعطني من
مالك فقال كم تريد
ما قام بحق الإخاء وقد
قال الشاعر:

لا يسألون أحلام حين
يذهبهم
فكنايات على ما قال بهانا
ومن أدبهم أن
لا يتكلفوا للاخوان

(١) حديث خير الأمة قراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضغفاؤها لم أجده له أصلا (٢) حديث
إن لي حرفتين اثنتين الحديث وفيه الفقر والجهاد لم أجده له أصلا (٣) حديث أن جبريل نزل فقال
إن الله يقرأ عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا الحديث وفيه إن الدنيا دار
من لا دار له الحديث هذا ملحق من حديثين فروعه الترمذي من حديث أبي أمانة عرض على ربي
ليجعل لي بطعام مكة ذهباً قلت لا يارب ولكن أبيع يونا وأجوع يوما الحديث وقال حسن
ولأحمد من حديث عائشة الدنيا دار من لا دار له الحديث وقد تضمن في ذم الدنيا.

هذا إليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية - ولا تمدن عينك إلى ما متعاه به أزواجهم زهرة الحياة الدنيا (١) - الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال الله تعالى وسلم «الفقر أزين للمؤمن من العذار الحسن على خد القرس (٢)» وقال عليه السلام «من أصبح منك ماعى فى جسمه آتانا فى سره عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (٣)» وقال كعب الأحبار «قال الله تعالى لموسى عليه السلام ياموسى إذا رأيت الفقر مقبلا قل مرحبا بشمار الصالحين». وقال عطاء الخراسانى مرني من الأنبياء بإساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بأخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاضى من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يارب ما هذا وقد فعلت أن كل ذلك يدرك قال الله تعالى للملك اكشفوا لبيدى عن منزلتيهما فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذلك من الموان قال رضى يارب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «اطلمت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلمت فى النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء» وفى لفظ آخر «قللت ابن الأغنياء قليل حبسهم الجذ» وفى حديث آخر «فرأيت أكثر أهل النار النساء قللت ما فأنهن قليل شغلن الأحرار الذهب والزعفران (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «خفة للؤمن فى الدنيا الفقر (٥)» وفى الخبر «آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابة دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه (٦)» وفى حديث آخر «رأيت دخل الجنة زحفا (٧)» وقال للسيح صلى الله عليه وسلم بسدة يدخل التنى الجنة وفى خبر آخر عن أهل البيت رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحب الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يتركه أهلا ولا مالا (٨)» وفى الخبر «إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشمار الصالحين وإذا رأيت التنى مقبلا قل ذنب محملت عقوبته (٩)» وقال موسى عليه السلام يارب من أحيائك من خلقك حتى أحجم لأجلك قال: كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثانى لتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الضر وقال للسيح صوات الله

(١) حديث أبى رافع ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلنى إلى رجل من يهود خير الحديث فى نزول قوله تعالى - ولا تمدن عينك إلى ما متعاه به أزواجهم - الطبرانى بسند ضعيف (٢) حديث الفقر أزين للمؤمن من العذار الحسن على خد القرس الطبرانى من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رواه ابن عدى فى الكامل هكذا (٣) حديث من أصبح منك ماعى فى جسمه الحديث الترمذى وقد تقدم (٤) حديث اطلمت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء الحديث تقدم فى آداب النكاح مع الزيادة التى فى آخره (٥) حديث خفة للؤمن فى الدنيا الفقر رواه محمد بن خفيف الشيرازى فى شرف الفقر وأبو منصور الهلبلى فى مسند القردوس من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به ورواه أبو منصور أيضا فيه من حديث ابن عمر بسند ضعيف جدا (٦) حديث آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود الحديث تقدم وهو فى الأوسط الطبرانى بسند فرد وفيه نكارة (٧) حديث رأيت بى عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة زحفا تقدم وهو ضعيف (٨) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه الحديث الطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى (٩) حديث إذا رأيت الفقر مقبلا قل مرحبا بشمار الصالحين وإذا رأيت التنى مقبلا قل ذنب محملت عقوبته أبو منصور الهلبلى فى مسند القردوس من رواية مكحول عن أبى القرداء ولم يسمع منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ياموسى فذكره بزيادة فى أوله ورواه أبو نصير فى الحلية من قوله كعب

قبل لما ورد أبو حفص السراق تكلف له الجنييد أنواعا من الأطعمة فأنكر ذلك أبو حفص وقال صير أصحابة مثل الخائفين يقدم لهم الألوان والفتوة عندنا ترك التكلف وإحسان ما حضر فان التكلف ربما يؤثر مفارقة الضيف وبترك التكلف يستوى مقامه وفها به ومن أدهم فى الصحة للدائرة وترك الداهنة وتشتبه للدلالة بالدهنة والفرق بينهما أن للدائرة ما أردت به صلاح أخيك فداريته لرجاء صلاحه واحتملت منه ما سكره

عليه وسلامه إني لأحب للسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الأسماء إليه صلوات الله عليه أن يقال له يا سكين ولما قالت سادات العرب وأغنياءهم لاني صلى الله عليه وسلم أجل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا يجيئون ينون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصيب وأبي ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصف من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وذلك لأنهم شكوا إليه التآذي برأعهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فإذا عرفوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأقرع بن حابس التيمي وعيينة بن حصن القزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد فقول عليه قوله تعالى «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالقناعة والنسي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم - يعني الفقراء - تريدنة الحياة الدنيا - يعني الأغنياء - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا - يعني الأغنياء - وقل الحق من ربك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (١) - الآية . واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشرف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأذن الله تعالى - عيسى وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكي أوبذكر فتغصه الذكرى - يعني ابن أم مكتوم - أما من استغنى فانت ف تصدى (٢) - يعني هذا الشريف . وعن النبي ﷺ أنه قال «يؤق بالبعد يوم القيامة فيمتد الله تعالى إليه كما يتمتر الرجل للرجل في الدنيا فيقول : وعزني وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهو ناك على ولكن لما أعددت لك من السكرامة والفضيلة أخرج يا عبدي إلى هذه الصوف فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي غلظ يده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيدخل الصوف ويظهر من فعل ذلك به فيأخذ يده ويدخله الجنة (٣) » وقال عليه السلام «أكثروا معرفة الفقراء وأخذوا عندهم الأبدى فإن لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا يده ثم امضوا به إلى الجنة (٤) »

الأخبار غير مرفوع بإسناد ضعيف (١) حديث قال سادات العرب وأغنياءهم لاني صلى الله عليه وسلم أجل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا يجيئون ينون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصيب وأبي ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصف من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وذلك لأنهم شكوا إليه التآذي برأعهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فإذا عرفوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأقرع بن حابس التيمي وعيينة بن حصن القزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد فقول عليه قوله تعالى «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالقناعة والنسي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم - يعني الفقراء - تريدنة الحياة الدنيا - يعني الأغنياء - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا - يعني الأغنياء - وقل الحق من ربك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (١) - الآية . واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشرف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأذن الله تعالى - عيسى وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكي أوبذكر فتغصه الذكرى - يعني ابن أم مكتوم - أما من استغنى فانت ف تصدى (٢) - يعني هذا الشريف . وعن النبي ﷺ أنه قال «يؤق بالبعد يوم القيامة فيمتد الله تعالى إليه كما يتمتر الرجل للرجل في الدنيا فيقول : وعزني وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهو ناك على ولكن لما أعددت لك من السكرامة والفضيلة أخرج يا عبدي إلى هذه الصوف فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي غلظ يده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيدخل الصوف ويظهر من فعل ذلك به فيأخذ يده ويدخله الجنة (٣) » وقال عليه السلام «أكثروا معرفة الفقراء وأخذوا عندهم الأبدى فإن لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا يده ثم امضوا به إلى الجنة (٤) »

ولدانة ماضية به شيئا من الموى من طلب حظا وإقامة جاه . ومن أدهم في الصبح راية الاعتدال بسين الاقتباس والانسياط ، هل عن الثامني رحمه الله أنه قال : الاقتباس من الناس مكسبة لعدائهم والانسياط إليهم مجلبة قراء السوء فكان بسين التفتيش وللنيسط . ومن أدهم متر عورات الاخوان قال عيسى عليه السلام لأصحابه : مكيف تصنون إذا رأيتم أحاكم تأمنا فكشف الربح عنه ثوبه قالوا نستره ونطليه قال بل تكشفون عورته

وقال صلى الله عليه وسلم «دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ونظرت في أعلاها فإذا قراء أمي وأولادهم ونظرت في أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل قلت يارب ما شأنهم قال أما النساء فأمرهن الأحرار الذهب والحرير وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وحققت أصحابي فلم أرى عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي قلت ما خلعتك عنى قال يا رسول الله والله ما وصلت إليك حتى بقيت للشيبات وظننت أني لأراك ، قلت ولم ؟ قال كنت أحاسب بمالي ^(١) فانظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب الساقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة ^(٢) وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «الإن من بالمال هكذا وهكذا ^(٣) ومع هذا فقد استغنى» بالثني إلى هذا الحديث «ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم يره شيئا فقال لوقسم نور هذا على أهل الأرض لو قسمهم ^(٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «الأخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله فالذكر ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أنهم على الله لأبهره ^(٥)» وقال عمران ابن حصين «كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في حياة فاطمة بنت رسول الله ﷺ قلت نعم يا أمي يا رسول الله فقام ولقت معه حتى وقف ياب فاطمة قعرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران قالت فاطمة والى بشك خلق نيا ما على الإعباء قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريته فكيف برأسى فأنى إليها ملادة كانت عليه خلقة فقال عدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم بالإنشاء أكيف أصبحت قالت أصبحت والله وجبة وزادنى وجها على ما لى أنى لست أقدر على طعام أكله فقد أضربى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزى يا ابتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإنى لأكرم على الله منك ولوسألت ربى لأطعمنى ولكنى أثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب يده على منكبيه وقال لها اجبرى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آتية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آتية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من نصب لأذى فيها ولا صعب ولا نصب ثم قال لها اتقى بأبن محمك إلى أخيه في الدنيا [١] [١] حديث دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ونظرت إلى أعلاها فإذا قراء أمي وأولادهم الحديث الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف نحوه موصة بلال في الصحيح من طريق آخر (٢) حديث إن عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة أصحاب السنان الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال الترمذى حسن صحيح (٣) حديث الإيمان قال بالمال هكذا وهكذا ومتفق عليه من حديث أبى ذر في أثناء حديث تميم . (٤) حديث دخل على رجل فقير ولم يره شيئا فقال لوقسم نور هذا على أهل الأرض لو قسمهم لم أجده (٥) حديث الأَخبركم عن ملوك الجنة الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصرا ولم يقلوا ملوك وقد تقدم ولابن ماجه . بسند جيد من حديث معاذ الأَخبركم عن ملوك الجنة أنشدت دون قوله أغبر أشعث .

[١] قال البرهان الحلبي رأيت عن ابن تيمية أبى الياس غبطة بعض الفضلاء حديث أخذوا مع القراء أبهى وكذا حديث القدر فخرى قال كلاما كذب انتهى وكذا رأيت في كلامه له آخر .

قالوا سبحان الله من يفعل هذا قال أحكم يسمع في أخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشبعها بأعظم منها ومن أدهم الاستخار للآخون بظهر القعب والاعتناء لهم مع الله تعالى في دفع الكاره عنهم . حتى أن أخوين اشلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه فقال إلى إجلت بهوى فإن عشت أن لا أمتد على محبى له فاعلم قال ما كنت لأحل عقد إختالك لأجل خطيتك وعقد بينه وبين الله عقدا أن لا يأكل ولا يضرب حتى يماته الله تعالى من هودا وطوى أربعين يوما كما يسأه

فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة (١)» وروى عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا أبغض الناس قراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الثرام رماهم الله بأربع خصال باقحط من الزمان والجور من السلطان والحياة من ولادة الأحكام والشوكة من الأعداء (٢)». وأما الآثار فقد قال أبو البرداء رضى الله عنه: ذوالدرهمين أشد حبا أوقال أشد حبا من ذى الدرهم، وأرسل عمر رضى الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار لجاه حزينا كشيا قالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أرى درعك الحلق فشقه وجهه صررا وفرقه ثم قام يصلى ويكئ إلى القعدة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدخل قراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بخمسةائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج (٣)» وقال أبو هريرة: ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرا به فلا يزال له أيها تريد وتيل جاء قبر إلى مجلس الثورى رحمه الله فقال له نخط لو كنت غنيا لما قربتك، وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم قراء لكثرة تحريمه للقراء وإعراضه عن الأغنياء. وقال للؤمل ما رأيت الذى أذل منه في مجلس الثورى ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثورى رحمه الله. وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لجا منها جميعا ولورغب في الجنة كما يرغب في الثنى لجا جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعدى الدارين جميعا وقال ابن عباس: يملكون من أكرم بالثنى وأهان بالفقر. وقال لقمان عليه السلام لابنه: لا تحقرن أحدا لحلتان ثيابه فإن ربك وربك واحد وقال يحيى بن معاذ: حبك للقراء من أخلاق المرسلين وإشراكهم بالسهم من علامة الصالحين وفرارك من مصحبهم من علامة للتافكين، وفي الاختيار عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: احذر أن أمتكت فتسقط من عني فأصب الدنيا عليك سببا، ولقد كانت عائشة رضى الله عنها تحرق مائة ألف درهم في يوم واحد بوجهها إليها معاوية وابن حاصر وغيرهما وإن درعها لم ترقع وشوق لها الجارية لو اشترت لك بدرهم لحا فطرين عليه وكانت صائفة قالت لو ذكرتني لعلمت، وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «إن أردت الحقوق في فليك ببشى الفقراء وإياك ومحالة الأغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقيه (٤)» وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم بشرة آلاف درهم فأى عليه أن يقبها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم أتريد أن أعواسى من ديوان الفقراء بشرة آلاف درهم لأفضل ذلك أبدا رضى الله عنه.

عن هواه يقول ما زال
قبعد الأرسين أخبره
أن الموى قد زال
فأكل وشرب. ومن
أدبهم أن لا يهوجوا
صاحبهم إلى الداراة
ولا يتبشروا إلى الاعتذار
ولا تكتفوا للصاحب
ما يشق عليه بل
يكونوا لصاحب من
حيث هو مؤثرين مراد
الصاحب على مراد
أنفسهم قال بن أبي
طالب كرم الله وجهه
شر الأصداق من
حوجك إلى مداراة
أو الجأك إلى اعتذار
وتسكفت له. وقال
جعفر الصادق أفضل
إخوانى على من
يتكلمنى وأحفظ
منه وأخفهم على قلبى

(١) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاءه فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاءها فهل لك في عيادة فاطمة الحديث تقدم (٢) حديث إذا أبغض الناس قراءهم وأظهروا عمارة الدنيا الحديث أبو منصور الديلمي بإسناد فيه جهالة وهو منكر (٣) حديث سعيد بن عامر يدخل قراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسةائة عام الحديث وفي أوله قصة أن عمر بعث إلى سعيد بألف دينار لجاه حزينا كشيا وفرقها، وقد روى أحمد في الزهد القصة إلا أنه قال تسعين عاما وفي إسناده يزيد بن أبي زياد تسكلم فيه وفي رواية له بأربعين سنة وأما دخولهم قبلهم بخمسةائة عام فهو عند الترمذى من حديث أبي هريرة وصححه وقد تقدم قبل هذا بورقين.
(٤) حديث قال لقمان إن أردت الحقوق في فليك ببشى الفقراء وإياك ومحالة الأغنياء الحديث الترمذى وقال غريب والحاكم وصححه نحوه من حديثها وقد تقدم.

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والفاشرين والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى إلى الاسلام وكان عيشه كعفا وقبح به ^(١) »
وقال صلى الله عليه وسلم « يامشركم الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تنظروا ثوابكم تفرحوا بالافلا ^(٢) »
ذالوق القانع وهذا الراضى ويكاد يشعر هذا بغيره أنه أن الحريص أن ثوابه على فقره ولكن المومرات
الورادة في فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتى تحقيقه فقل الراد بسم الرضا والكرامة لفضل
الله في حبس الدنيا عنه ورب راض في المال لا يخطر بقله إنكار على الله تعالى ولا كراهة في ضله
تلك الكراهة هي التي تحبب ثواب الفقر ، وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال « إن لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لسببهم جلساء
الله تعالى يوم القيامة ^(٣) » وروى عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أحب العباد إلى الله تعالى
الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم أجعل قوت آل محمد
كفافي ^(٥) » وقال مامان أحد غنى ولا فقير الأول يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا ^(٦) » وأوحى الله
تعالى إلى إسماعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن ثم قال الفقراء السادقون وقال
صلى الله عليه وسلم « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يوم القيامة
أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم بارنا يقول فقره للسلمين القانعون ببطان الراضون
بقدرى أدخلهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون ^(٨) » فهذا في
القانع والراضى . . وأما الذي أهدى فقد ذكر فضله في القسط الثاني من الكتاب إن شاء الله تعالى . وأما الآثار
في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى أن القناعة يضادها الطمع ، وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه إن
الطمع فقر والبأس غنى وإنه من يشى عمى إلى أبدي الناس وقنع استغنى عنهم . وقال أبو مسعود رضي الله
تعالى عنه ما من يوم إلا مملك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغىك وقال
أبو البراء رضي الله تعالى عنه ما من أحد إلا وفي عقله قص وذلك أنه إذا أتم الدنيا بالزيادة ظل فرحا
مسرورا وأقبل والتهاردا بان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويم إن آدم ما ينفع مال زهد عمره نفع وقيل
لبعض الحكماء ما لقي قال غنىة عنك ورضا عما يكفيك وقيل كان إبراهيم بن آدم من أهل التمس بخراسان
فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف فأكله فلما أكل
نام فقال لبعض غلمانه إذا قام فحني به فلما قام جاء به إليه فقال إبراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع

(١) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كعفا وقبح به رواه مسلم وقد تقدم (٢) حديث
يامشركم الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث
أبي هريرة وهو ضيف جدا فيه أحمد بن الحسن بن أبيان للصري منهم بالكذب ووضع الحديث
(٣) حديث إن لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين الحديث الذي ذكره في غرائب مالك
وأبو بكر بن لال في مقام الأخلاق وابن عدى في الكامل وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر
(٤) حديث أحب العباد إلى الله الفقير القانع برزقه الراضى من الله لم أجده بهذا اللفظ وهدم عند
ابن ماجه حديث إن الله يحب الفقير المتعفف (٥) حديث اللهم أجعل قوت آل محمد كفايا مسلم من
حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ قوتا وقد تقدم (٦) حديث مامان أحد غنى ولا فقير إلا ود
يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا ابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٧) حديث لا أحد أفضل
من الفقير إذا كان راضيا لم أجده بهذا اللفظ (٨) حديث يقول الله يوم القيامة أين صفوتي من خلقي ؟
فتقول الملائكة ومن هم بارنا فيقول فقراء المسلمين الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس .

من أكون معه كما
أكون وحدي فأدأب
الصحة وحقوق
الأخوة كسيرة
والحكايات في ذلك
يعطون قتلها وقد رأيت
في كتاب الشيخ أبي
طالب المكي رحمه الله
من الحكايات في هذا
الذي عيشا كثيرا فقد
أودع كتابه كل شئ
حسن من ذلك وحاصل
الجميع أن العبد ينبغي له
أن يكون لمولاه ويريد
سكنا ما يريد لمولاه
لأنفسه وإذا صاحب
شخصا تكون محبته
إياه لله تعالى وإذا صحبه
الله تعالى يجتهد في كل
شئ يزيد عند الله
زلي وكل من قام
بحقوق الله تعالى برزقه

قال ثم قال فشيئت قال ثم قال ثم تحت طيا قال ثم قال إبراهيم في نفسه فما صنع أنا بالدينا والنفس تنزع بهذا القدر ومرت رجل بامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا ويلا قال له يا عبد الله أَرْضَيْتَ مِنَ الدُّنْيَا هَذَا قَالَ أَلَا أَدْرَكَ عَلَى مَنْ رَضِيَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا قَالَ بَلَى قَالَ مَنْ رَضِيَ الدُّنْيَا عِوَضًا عَنْ الْآخِرَةِ وَكَانَ مَعْدِنًا وَسِعَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَنَجَّاهُ مِنْ جَهَنَّمَ بِإِسْمِهِ الْإِسْلَامُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ مَنْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا هَذَا لَمْ يَحْتَاجْ إِلَى أَحَدٍ . وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَنْ أَتَمُوتَ إِلَّا وَأَنَا أَتَمُّ لِمَنْ رَضِيَ الدُّنْيَا لَمْ يَصْدُقْهُ نَفْسُهُ - وَفِي السَّهَابِ رِزْقُكُمْ وَمَا تَوَعَّدُونَ فَوَدَّ السَّهَابُ وَالْأَرْضُ أَنْ تَلْقَى - الْآيَةُ . وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا جَالِسًا فِي النَّاسِ فَأَتَتْهُ امْرَأَتُهُ فَتَالَتْ لَهُ أَجْلَسَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَاللَّهُ مَا فِي الْبَيْتِ هَنَةٌ وَلَا سَفَةٌ قَالَ يَاهُنَّ إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيْنَا عَقِبَةُ كَثُودٍ لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا كُلُّ عَجَفٍ فَرَجَعْتُ وَهِيَ رَاضِيَةٌ وَقَالَ ذُو التَّوْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى الْكَفْرِ ذُو فَاقَةٍ لَا يَصْبِرُ لَهُ وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَّامِ مَا مَالُكَ قَتَلْتَ التَّجَدُّلَ فِي الظَّاهِرِ وَالتَّقْضِيَّ فِي الْبَاطِنِ وَالْيَأْسَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ لِلزُّلَّةِ يَا بَنِي آدَمَ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا لِكَيْفَ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِيهَا إِلَّا الْقَوْتُ فَلَمَّا أَنَا أَعْطَيْتُكُمْ فِيهَا الْقَوْتَ وَجَعَلْتُ حَسَابَهَا عَلَى غَيْرِ كَيْفَانَا عَمِنَ إِلَيْكَ وَقَدْ قِيلَ فِي الْقِنَاعَةِ:

أَضْرَعُ إِلَى اللَّهِ لَا تَضْرَعُ إِلَى النَّاسِ وَاقِعٌ يَأْسُ قَانَ الزَّمَى فِي الْيَأْسِ
وَأَسْتَعْنِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ قَرِيٍّ وَذِي رَحِمٍ إِنَّ النَّفْسَ مِنْ أَسْتَعْنَى عَنْ النَّاسِ
وَقَدْ قِيلَ فِي هَذَا النَّفْسِ أَيْضًا :

بَا جَلْبُطُ مَا نَا وَالْهَرُ يَرْمِقُهُ مَقْدَرًا أَيْ بَابٍ مِنْهُ يَنْفَلِقُهُ
مَفْكَرًا كَيْفَ تَأْتِيهِ مَبْنِيَّتُهُ أَطْلُوعًا أَمْ بِهَا يَسْرَى فَنَطْرُقُهُ
جَعَلَتْهُ لَا قَبْلَ لِي رَهْلَ جَعَلَتْ لَهُ يَا جَامِعَ لَيْلَالٍ يَا مَامَا تَحْرُقُهُ
لَيْلَالٌ عَنْكَ عَزُوزٌ لَوَارِثُهُ مَا لَيْلَالٌ مَالِكٌ إِلَّا يَوْمَ تَنْفَلِقُهُ
أَرَاهُ يَتَالُفُ نَفْسِي يَسْمُو عَلَى تَلَّةٍ أَنْ الْإِلَهَى تَسْمُو الْأَرْزَاقُ بِرِزْقِهِ
فَالْعَرَضُ مِنْهُ مَعُونًا مَا يَدْنِسُهُ وَالْوَجْهَ مِنْهُ جَدِيدٌ لَيْسَ يَخْلُقُهُ
إِنَّ الْقِنَاعَةَ مِنْ يَحْلُلُ بِسَاعَتِهَا لَمْ يَبْقَ فِي ظِلِّهَا مِمَّ يَبُورُهُ

يَا نَ فَضِيلَةُ الْفَقْرِ عَلَى الْغِنَى

اعلم أن الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيدي والخواص والأكثرون إلى فضيل الفقر . وقال ابن عطاء الله الشاذلي القائل رحمه الله أفضل من الفقير الصابر وقال إن الجنيدي دعا علي بن عطاء تخافته إياه في هذا فاستمعته وقد كنت أذكر في كتاب الصبر بينا أوجه الضاوت بين الصبر والشكر ومهدنا بميل طلب التضييق في الأعمال والأحوال وأن ذلك لا يمكن إلا بالتضييق ، فأما الفقر والغنى إذا أخذنا مطلقا لم يستغرب من قرأ الأخبار والآثار في فضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول : أما تصور الشك في مقامين : أحدهما فقير صابر ليس يحرس على الطلب بل هو قانع وأوراش بالاشافة إلى غنى متفق ماله في الجبريات ليس يحرس على إسمه لك ولا الثاني فقير حرس مع غنى حرس إذ لا يخفى أن الفقير القانع لأفضل من الغني الحارس للسكوت وأن الغنى للفقير ماله في الجبريات أفضل من الفقير الحارس . أما الأول فربما يظن أن الغنى أفضل من الفقر لأهمها تساويا في ضيق الحرس على المال والغنى والغنى مقرب بالصدقات والخيرات والفقير حاجر عنه وهذا هو الذي عنه ابن عطاء فله غلبة . قلنا التي للتمتع بالمال وإن كان في نباح فلا يصح أن يدخل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر : « أن الفقراء مشكورا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات » وإلخ . والجهد فطهم لكسات في التضييق وذكر لهم أنهم يتلون بها فوق ما قاله الأغنياء فطهم الأغنياء ذلك

سكانوا يقولونه صاد القراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (١) وقد استشهد ابن عطاء أيضا لما سئل عن ذلك قال التقي أفضل لأنه وصف الحق أماديله الأول فقيه نظر لأن الخبر قد ورد مفصلا فصلا يدل على خلاف ذلك وهو أن ثواب التقير في المسيح يزيد على ثواب التقي وأن فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روي زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «بث القراء رسولا إلى رسول الله ﷺ فقال أنير رسول القراء إليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبهم قال قالوا يا رسول الله إن الأبناء ذهروا بالخير يحبون ولا تقدر عليه ويستمرون ولا تقدر عليه وإذا مرضوا بشوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم

قال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عن القراء أن لمن صبر واحتسب منك ثلاث خصال ليست للأغنياء أما خصالها واحدة فإن في الجنة غرضا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلا النبي قير أو شهيد قير أو مؤمن قير ، والثانية يدخل القراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ، والثالثة إذا قال التقي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق التقي بالفقير ولو ألق في عثرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها ترجع إليهم فأخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا رضينا رضينا (٢) فهذا يدل على أن قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أي ، زيد ثواب القراء على ذكرهم وأما قوله إن التقي وصف الحق قد أجابه بعض الشيعة فقال أنرى أن الله تعالى غنى بالأسباب والأعراض فاططلع ولم ينطق وأجاب آخرون فقالوا إن التكبر من صفات الحق فينبغي أن يكون أفضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على أن القراء أفضل لأن صفات الصودية أفضل للبعد كالحوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينافر فيها ولذلك قال تعالى غيا روى عنه تينبا صلى الله عليه وسلم «الكبرياء رداءى والمظلمة إزارى فمن نازعى واحدا منهما حسمته (٣) » وقال سهل حب المز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لأهمان من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في فضيل التقي والفقير وحاصل ذلك تعلق بسموات قبل التأملات وبكلمات قاصرة لا تبعد منافستها إذ كما يناقض قول من فضل التقي بأنه صفة الحق بالكبر فكذلك يناقض قول من ذم التقي لأنه وصف للبعد بالمظلمة وللعرفة فانه وصف الرب تعالى والجهل والخلو وصف للبعد وليس لأحد أن يفضل الففلة على العلم فكيف يفضله القطط عن هذا هو ما ذكرنا في كتاب الصبر وهو أن لا يريد لبيته بل يراود لغيره فينبغي أن يضاف إلى مقصوده إذ به يظهر فضله ولا ياليت لمحمدة لبيته ولكن لمكونها عاتقة عن الوصول إلى الله تعالى ولا فقر مطلوب باليمين لكن لأن فيه مقدا لما نال من الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غنى لم يشقه التقي من الله هو وجل مله سليمان عليه السلام وعثمان وبعد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكم من فقير فضله الفقير وصبره عن التمسد فاقه في قصد الله تعالى

(١) حديث شك القراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق للأغنياء بالخيرات والصدقات الحديث وفي آخره فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه (٢) حديث زيد بن أسلم عن أنس بث القراء إلى رسول الله ﷺ رسولا إن الأغنياء ذهبوا بالجنة يحبون ولا تقدر عليه الحديث وفيه بلغ عن القراء أن لمن صبر واحتسب منك ثلاث خصال ليست للأغنياء الحديث لم أجده هكذا بهذا السياق والعرف في هذا التقي ما روى ابن ماجه من حديث ابن عمر اشتركوا لهما بجرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفضل الله به عليهما أغنياء ثم فقال يا محضر القراء ألا بشركم أن قراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام وإسناده ضعيف (٣) حديث قال الله تعالى الكبرياء رداءى والمظلمة إزارى فبهم في العلم وغيره.

زيادة تأخير ويكون
كثير قلب فيه اللام
من فوقه فلا يمتك فيه
ولا ينضج به وإذا
أخذت بالتقوى والزهده
في الدنيا نبع منها ماء
الحياه وتفتحت وعلت
وأدت الحقوق وقامت
بواجب الآداب
بتوفيق الله سبحانه
وتعالى .

[الباب السادس
والحسنون في معرفة
الانسان نفسه
ومكاشفات السوفية
من ذلك]

حدثنا شيخنا أبو
النجيب السهروردي
قال أنا الشريف نور
الهدى أبو طالب الزيني
قال أنا كريمة الروضة
قالت أخبرنا أبو الهيثم

هو حب الله تعالى والأنس به ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته وسلك سبيل المعرفة مع الشواغل غير
 يمكن والفقر قد يكون من الشواغل كما أن الغنى قد يكون من الشواغل وإنما الشاغل على التحقيق
 حب الدنيا إذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله
 وربما يكون شغفه في الفراق أكثر وربما يكون شغفه في الوصال أكثر والدنيا معشوقة الغافلين
 المحروم منها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذن إن فرضت فارغين عن
 حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى القادر والقائد والواجد إذ كل واحد غير متمتع إلا بقدر
 الحاجة ووجود قدر الحاجة أفضل من تقديمه إذ الجامع يسلك سبيل اللوث لاسبيل للفرقة وإن أخذت
 الأذى باعتبار الأكبر فالتقير عن الخطر أهدى إذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ومن العصاة
 أن لا يقدر ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم علينا فتنة الضراء فصرنا وعلينا فتنة السراء فلم
 نصبر وهذه خلقه الآدميين كلهم إلا الشاذ القليل الذي لا يوجد في الأعصار الكثيرة إلا نادرا ولما
 كان خطاب الشرع مع الكل لأمع ذلك النادر والضراء أم أصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن
 الغنى وذهبه وفضل الفقر ومدحه حتى قال المسيح عليه السلام : لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن
 يربق أموالهم يذهب بنور إيمانكم . وقال بعض السلفاء : غلب الأموال يمس حلاوة الإيمان
 وفي الخبر : « إن لكل أمة محبلا ومحمل هذه الأمة الدينار والدرهم » (١) وكان أصل محمل قوم موسى
 من حلية الذهب والفضة أيضا واستواء المال ولما والذهب والخبر إنما يتصور للأتبياء عليهم السلام
 والأولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول الجاهدة إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
 للدنيا « إليك عني » (٢) إذ كانت تمثل له زينتها وكان في كرم الله وجهه يقول : يا صفراء غري
 غري وبياض غري غري وذلك لاستثماره في نفسه ظهور مبادئ الاعتزاز بها لولأن رأى
 برهان ربه وذلك هو الغنى للطلق إذ قال عليه الصلاة والسلام « ليس الغنى عن كثرة العرض إنما
 الغنى غنى النفس » (٣) وإذا كان ذلك بعيدا فاذن الأصل لكافة الخلق فقد المال وإن تصدقوا
 به وصرفوه إلى الخيرات لأنهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها
 واستثمار راحة في بلها وكل ذلك يورث الأنس بهذا العالم وقدر ما يأنس بالبدن الدنيا يستوحش
 من الآخرة وقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة للفرقة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما
 انقطعت أسباب الأنس بالدنيا تحبب القلب مع الدنيا وزهرتها والقلب إذا تحبب غماصوى الله تعالى
 وكان مؤمنا بالله انصرف لإعالة إلى الله إذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود إلا الله تعالى وغيره
 فمن أقبل على غيره فقد تحبب عنه ومن أقبل عليه تحبب عن غيره ويكون إقباله على أحدهما بقدر
 تحببه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ومثلها مثل للشرق والغرب فإنها حاجتان
 فالتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما بعد عن الآخر بل عين القريب من أحدهما هو عين البعد
 من الآخر فحين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى فلينبأ أن يكون مطمح نظر العارف قلبه في
 عزوه عن الدنيا وأنه بها فاذن فضل التقير والتي بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط كان تساويا
 فيه تساوت درجاتهما إلا أن هذا منزلة قدم وموضع غرور فإن الغنى ربما يظن أنه منقطع القلب

الكشميني قال أخبرنا
 أبو عبد الله القبري
 قال أنا أبو عبد الله
 البخاري قال ثنا عمر
 ابن حفص قال ثنا أبي
 قال ثنا الأصمعي قال
 ثنا زيد بن وهب
 قال ثنا عبد الله قال
 ثنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو الصادق
 الصدوق قال « إن
 أحكم جميع خلقه في
 بيان أمه أربعين يوما
 لحظة ثم يكون علة
 مثل ذلك ثم يكون
 مضفة مثل ذلك ثم
 يبعث الله تعالى إلى
 ملكا بأربع كلمات
 فيكتب مملوه واجله
 ورزقه وحق أمهين ثم
 يتفخ في الروح وإن
 الرجل يعمل بعمل

(١) حديث : لكل أمة محمل ومحمل هذه الأمة الدينار والدرهم أبو منصور الديلمي من طريق
 أبي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة بإسناد فيه جهالة (٢) حديث كان يقول للدنيا إليك عني
 الحديث الحاكم مع اختلاف وقد تقدم (٣) حديث ليس الغنى عن كثرة العرض الحديث متفق
 عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

عن المال ويكون حبه دفنا في باطنه وهو لا يشعر به وإنما يشعر به إذا صدقه فليجرب شبه بغيره
أو إذا سرق منه فإن وجد قلبه إليه الشاكا فليعلم أنه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له لظنه
أنه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اختلعت من قلبه النار التي كانت مستكنة
فيه فتحرق إذن أنه كان مغرورا وأن العشق كان مستكنا في القواد استكنان النار تحت الرماد وهذا
حال كل الأغنياء إلا الأتباء والأولياء وإذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بأن القتر أوسع
لكافة الخلق وأفضل لأن علاقة القتر وأسهل بالدينا أضعف وقدر ضئف علاقه بضعف ثواب
تسبيحاته وعبادته فإن حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالذكور
ولا يكون تأثيرها في إثارة الأنس في قلب فالزغ من غير المذكور كتنثيرها في قلب مشغول ولذلك
قال بعض السلف مثل من تميد وهو في طلب الدنيا مثل من يطق النار بالحلقاء ومثل من يسئل
يده من الثمر بالسك. وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: تنفس قتر دون شهوة لا يقدر
عليها أفضل من عبادة غنى ألق عام. وعن الضعاف قال من دخل السوق فرأى شيئا يشبهه فصر
واحتسب كان خيرا له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى. وقال رجل لبشر بن الحرث
رحمه الله: ادع الله لي قد أضرت في المال فقال إذا قال لك عياك ليس عندنا دقيق ولا خير فادع
الله لي في ذلك الوقت فإن دعاءك أفضل من دعائي وكان يقول مثل التي التصد مثل روضة على
منبلة ونزل الفقير للتصد مثل عقد الجوهر في جيد الحسنة وقد كانوا يكرهون سماع علم العرفقين
الأغنياء. وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: اللهم إني أسألك الله عند الصف من نسي
والزهد فيها جاوز الكفاف وإذا كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يهدر من الدنيا
ووجودها فكيف يشك في أن قد المال أوسع من وجوده هذا مع أن أحسن أموال التي أن
يأخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامه ويطول انتظاره ومن نوقس
الحساب فقد عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان مشغولا بالحساب كما رواه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو المرداء رضي الله عنه ما أحب أن لي خانوتا على باب
للسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر وأرجع كل يوم خسين دينارا وأصنق بها في سبيل الله تعالى
قيل وما تكره قال سود الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار
الأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وفرغ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس
وغفل القلب وهذه الحساب وما ذكره ابن عطاء من أن التي وصف الحق فهو بذلك أفضل لمه صحيح
ولكن إذا كان البعد غنيا عن وجود المال وعينه جميعا بأن يستوى عنده كمالا فأما إذا كان غنيا
بوجوده ومفترا إلى جماله فلا يرضاه غناه غنى الله تعالى لأن الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصور زواله
والمال يتصور زواله بأن يسرق وما ذكر من الرد عليه بأن الله ليس غنيا بالأعراض والأمياب صحيح
في ذم غنى يرد بقاء المال وما ذكر من أن صفات الحق لا تليق بالبعد غير صحيح بل العلم من صفاته
وهو أفضل شيء للبعد بل منتهى البعد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى وقد سمعت بعض المشايخ يقول
إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق يصير الأسماء التهمة والسمون أوصافا له
أى يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالبعد فإن التكبر على من لا يستحق التكبر
عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم
على الجاهل والطبيب على العاصي فليقل به. ثم قد براد بالتكبر الزهو والسلف والإبداء وليس ذلك
من وصف الله تعالى وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك والبسماء مور

أهل النار حق ما يكون
بينه وبينها إلا ذراع
فيسبق عليه الكتاب
فيحمل به أهل الجنة
فيدخل الجنة وإن
الرجل ليحمل به
أهل الجنة حتى
ما يكون بينه وبينها
إلا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيحمل به
أهل النار فيدخل النار
وقال تعالى - ولقد
خلقنا الإنسان من
سلائم طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين -
أى حرير لا استقرارها
فيه إلى بلوغ أمدها ثم
قال بعد ذكر خلقها ثم
أنفأ خلقا آخر - قيل
هذا الانشاء تنفع الروح
فيه. واعلم أن الكلام
في الروح صعب للرم

به بأنه يطلب أعلى للتراتب إن قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتليس على
 العبد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر والطبع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانس
 أكبر من البهيمة والجماد والنبات وأقرب إلى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤيته معتقة
 لا شك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولا تها به وفضيلة في حقه إلا أنه لا ميل له إلى معرفته فان ذلك
 موقوف على الحاجة وليس يدري الحاجة كيف تكون وكيف تتفق فلجهه بذلك وجب أن لا يستند
 لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر إذ ربما غتم للكافر بالإيمان وقد غتمه بالكفر فلم يكن ذلك له حاجة
 لتصور عله عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كالا في حقه لأنه من
 صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الأشياء قد تضره صار ذلك العلم قصانا في حقه إذ ليس
 من أوصاف الله تعالى علم يضره فمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تصور في العبد من صفات
 الله تعالى فلا جرم هو منتهى النضحية وبه فضل الأنبياء والأولياء والسلفاء فاذن لو استوى عند وجود
 المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يشاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو
 فضيلة أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الغني الشاكر .
 [المقام الثاني في نسبة حال الفقير المحرص إلى حال الغني المحرص] ونفرض هذا في شخص واحد
 هو طالب المال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله سالة فقد وسالة الوجود فأى حاله أفضل فنقول:
 تنظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه في العيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه
 خال الوجود أفضل لأن الفقر يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الفكر والدكر إلا قدرة مدخولة
 بشغل ولكسفي هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد كقوتك » وقال « كاد
 الفقر أن يكون كفرا » أي الفقر مع الاستمرار فيا لا بد منه وإن كان للطلاب فوق الحاجة وكان
 للطلاب قدر الحاجة ولكن يمكن التصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين خالة الفقر أفضل وأصلح
 لأنهما استويا في المحرص وجب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق
 الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لصيبة بسبب الفقر والغنى ولكن الاتفاق في أن الواجد
 يأمن بما وجدته في قلبه ويطمئن إلى الدنيا والقائد للشر يتجاف قلبه عن الدنيا وتكون
 الدنيا عنده كالسجن الذي يني الخلاص منه ومهما استوت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجال أحدهما
 أعد ركونا إلى الدنيا خاله أشد لاهالة إذ بلغت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة قدر تأكد
 أنه بالدين وقد قال **عليه السلام** « إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة ^(١) »
 وهذا انبيه على أن فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب من لا يفارقه وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقه وهو
 الدنيا فانك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالوت على ما تكرهه وفراقك لما
 تحبه وكل من فارق محبا ما يكون إذا فراقه قد حبه وقد أنسه به وأنسى الواجد الدنيا القادر عليها أكثر
 من أنسى القاعد لما وإن كان حرا صاعليا فاذا قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأشرف والأفضل
 والأصلح لسكاسة الحق إلى موضوعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوي عنده الوجود
 والعلم فيكون الوجود مزمعا له إذ يستفيد به أدعية الفقر والمساكين وجميع همهم والنبات للفقير عن
 مقدار الضرورة فان ذلك يكاد أن يكون كغنى لا يحرقه بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يفتي حياته
 ثم يستعين قوته وحياته على الكفر والعاصي ولو مات جوعا لكانت بمصائبه أقل فلا يصلح له أن يموت
 جوعا ولا يحسد ما يضطر إليه أيضا فهذا تخصيص القول في الغنى والفقير ويقتضي النظر في قسمي متكالم على

والامساك من ذلك
 سبيل ذوي الأحلام وقد
 عظم الله تعالى شأن
 الروح وأسجل على
 الخلق بقية العلم حيث
 قال - وما أوتيتم من
 العلم إلا قليلا - وقد
 أخبرنا الله تعالى في كلامه
 عن إكرامه بني آدم
 فقال لو قد كرمتنا بنى
 آدم وروى « أنه لما
 خلق الله تعالى آدم
 وذريته قالت الملائكة
 يا رب خلقتهم يا كلون
 وضربون ويسكنون
 فاجعل لهم الدنيا ولنا
 الآخرة فقال وعزى
 وجلالى لأجل ذرية
 من خلقت يدي كمن
 قلت كن فكان « فمع
 هذه الكرامات اختياره
 سبحانه وتعالى لإمام على

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة نفسك .

طلب المال ليس له ثم عواه وفي غنى دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن يخبئه رفقاً للمال
لوقته كتنفج الفقير بفقره فهذا في هل النظر والأظهر أن يمدحها عن الله تعالى بقدر قوة تنفجها
لنقد المال وقربها بقدر ضعف تنفجها بفقره والمعلم عند الله تعالى فيه .

(بيان آداب الفقير في قومه)

اعلم أن الفقير آداباً في باطنه وظاهره وغالبته وأغلبه ينبغي أن يراعيها في آداب باطنه ما لا يكون
فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أعني أنه لا يكون كارهاً فعل الله تعالى من حيث إنه فعله
وإن كان كارهاً للفقر كالحجوم يكون كارهاً للحجامة لتأله به لا يكون كارهاً فعل الحجامة ولا كارهاً
لحجامة بل رغباً يشق منه منة فهذا أقل درجاته وهو واجب وتجنبه حرام وهبط ثواب الفقر وهو
معنى قوله عليه السلام «يا مشرك الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم نظروا بواب فقركم ولا تفلحوا وأرفع
من هذا أن لا يكون كارهاً للفقر بل يكون راضياً به وأرفع منه أن يكون طالباً للموخر حافله به بنوائل
التي ويكون متوكلاً في باطنه على الله تعالى واتقاه في قدر ضرورته أنه يأتي له الحاجة ويكون كارهاً
لزيادة على الكفاف وقد قال في كرم الله وجهه : إن لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن
علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع بهر به ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على
فقره ، ومن علاماته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويسعى به بترك طاعته ويكثر الشكاية
ويتسخط القضاء وهذا يدل على أن كل فقير فليس بمحمود بل الممود الذي لا يتسخط ويرضى وأرفع بالفقر
ويرضى لماله بمرته إذ قيل ما أعطى عبد شيئاً من الدنيا إلا قيل له خذ مني ثلاثة ثلاث : هخل وهو طول
حساب . وأما أدب ظاهره فأن يظهر التصف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستره
يستره في الحديث «إن الله تعالى يحب الفقير المتصف بالأعمال» وقال تعالى بحسب الجاهل الأغنياء من
التصف سواك فبيان أفضل الأعمال التجمل عند الحاجة وقال بنسبهم من الفقر من كنوز البر . وأما في أعماله
فأدبه أن لا يتواضع لغيره لأجل غناه بل يتكبر عليه قال في كرم الله وجهه ما أحسن تواضع النبي الفقير
رفية في ثوب الله تعالى وأحسن منه فيه الفقير على التفتة بالله عز وجل فهذه رتبة وأقل منها
أن لا يخاطب الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادئ الطمع . قال الثوري رحمه الله إذا خالط الفقير
الأغنياء فاعلم أنه مراد إذا خالط السلطان فاعلم أنه ليس . وقال بعض الصارفين إذا خالط الفقير الأغنياء
انحلت مروءة فإذا طمع فيهم انقطعت عصمتهم فإذا سكن إليهم حبل وينبغي أن لا يسكت عن ذكر الحق
مداينة للأغنياء وطعنا في العطاء وأما أدبه في أصنافه فأن لا يغتر بسبب الفقر من عبادة ولا يتبع بذلك قليل
ما يخل منه فإن ذلك جهد للقل وقصه أكثر من أموال كثيرة يدل على ظفر غنى . روى زيد بن أسلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألب درهم قيل
وكيف ذلك يا رسول الله قال أخرج رجل من عرش ماله مائة ألب درهم فتصدق بها وأخرج رجل
درهما من درهمن لا يملك غيرها طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألب (١) »
وينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ بقدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الأخبار ثلاث درجات إحداها أن
لا يدخر إلا اليوم وليته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخر لأربعين يوماً قال ما زاد عليه داخل
في طول الكبد وقد فهم بالخطأ ذلك من مبادي الله تعالى لموسى عليه السلام فهم منه الرخصة

(١) حديث زيد بن أسلم رحمه الله عن الصدقة أفضل عند الله من مائة ألب قيل وكيف يا رسول الله قال
أخرج رجل من عرش ماله مائة ألب فخرج الباقي وفي الأخبار ثلاث درجات إحداها أن
لا يدخر إلا اليوم وليته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخر لأربعين يوماً قال ما زاد عليه داخل
في طول الكبد وقد فهم بالخطأ ذلك من مبادي الله تعالى لموسى عليه السلام فهم منه الرخصة

للاشكة لما أخبر عن
الروح أخبر عنهم بقلة
المعلم وقال سبوتونك
عن الروح قل الروح
من أمرى - الآية قال
ابن عباس قالت اليهود
لنبي عليه السلام
أخبرنا ما الروح وكيف
تعذب الروح التي في
الجسد وإنما الروح
من أمر الله ولم يكن
زل إليه فيه شيء فلم
يجيب فأنه جبرائيل
بهذه الآية وحيث
أسك رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن
الإخبار عن الروح
وما به فأن الله تعالى
هو حجة وهو صلات
الله عليه مودن
العلم وينبوع الحكمة
فكيف يسوغ لغيره

في أمل الحياة أربعين يوما وهذه درجة التيقن والثبات أن يدخر لسته وهي أقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الإدخال على هذا فهو واقع في غمرار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية ففنى الصالح الضئيف في طمأنينة قلبه في قوت سته وغنى الخصوص في أربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم نساءه على مثل هذه الأقسام فبعضهم كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل وببعضهم قوت أربعين يوما وببعضهم يوما وليلة وهو قسم عائشة وحفصة .

(بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال)

ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور : نفس للال وغرض للطع وغرضه في الأخذ أما نفس اللال فينبغي أن يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فإن كان فيه شبهة فليحترز من أخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب وأما غرض الطع فلا يخفى إما أن يكون غرضه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو الثواب وهو الصدقة والزكاة أو الكرامة والرياء والسمة إما على التجرد وإما بمزجها ببقية الأغراض أما الأول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فإن قبلها سنة رسول الله ﷺ (١) ولكن ينبغي أن لا يكون فيها منة فإن كان فيها منة فالأولى تركها فإن علم أن بعضها مما يحظم فيه للتفكير والبعض دون البعض قد أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن وأقط وكبش قبل السمن والأقط ورد الكبش (٢) وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض (٣) وقال « قد هممت أن لأتعب لإمن قرشي أوتهني أو أنصاري أو دوسي (٤) » وقيل هذا جماعة من التابعين وجاءت إلى فتح للوصل صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ومن أتاه رزق من غير مسألة فرده فإني أكرهه على الله (٥) » ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرهما وكان الحسن يروي هذا الحديث أيضا ولكن حمل إليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا فاني عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أعظم في قبول العطاء

(١) حديث إن قبول الهدية سنة تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية (٢) حديث أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ممن وأقط وكبش قبل السمن والأقط ورد الكبش أحمد في أثناء حديث ليلى بن مرة وأهدت إليه كبشين وشيئا من ممن وأقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليهما الآخر وإسناده جيد وقال وكعب مرة عن علي بن مرة عن أبيه (٣) حديث كان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وأيم الله لأقبل بمد يومي هذا من أحد هدية إلا أن يحكون مهاجرة الحديث فيه محمد بن إسحق ورواه بالمتن (٤) حديث قد هممت أن لأتعب لإمن قرشي أوتهني أو أنصاري أو دوسي الترمذي من حديث أبي هريرة وقال روى من غير وجه عن أبي هريرة قلت وزجائه ثمان (٥) حديث عطاء مرسل من أتاه رزق من غير وسيلة فرده فإني أكرهه على الله عز وجل لم أجده مرسل هكذا ولأحمد وأبي علي والطبراني بإسناد جيد من حديث خالد بن عدي الجعفي من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبه ولا يرده فإني هو رزقي فإني الله عز وجل إليه ولأحمد وأبي داود الطيالسي من حديث أبي هريرة من أتاه الله من هذا اللال شيئا من غير أن يسأله فليقبه وفي الصحيحين من حديث عمر مائة من هذا اللال وأنت غير مشرف ولا سائل غلظه الحديث .

الحوض فيه والاشارة إليه لاجرم لما تضمنت الأتقى الانسانية للتطلة إلى الفضول المتشوقة إلى المقبول المتحركة بوضها إلى كل ما أمره بالسكون فيه وللتنسوة بعرضها إلى كل تحقيق وكل تمويه وأجلت عنان النظر في سائر التكرور واحتضت غمرات معرفة ماهية الروح فاهت في التيه وتوعد أركانها فيه ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقيل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح ولو لم تزلت النفوس حدها مترفة بجزءها كان ذلك أجدر بها

وقد كان الحسن يقبل من أصحابه ، وكان إبراهيم التيمي يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويمرض عليه غيرهم للثمن فلا يأخذها ، وكان بعضهم إذا أعطاه صدقته شيئا يقول أتركه عندك وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل من قبل القبول فأخبرني حتى آخذته والإفلا ، وأمرة هذا أن يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى للثمن على نفسه في قبول صدقته هديته ، فإن علم أنه يمازجه منه فأخذ مباحا ولكنه مكروه عند الفقهاء الصادقين . وقال بشر : سألت أحدا قط شيئا إلا سريا السقطي لأنه قد صنع عندي زهد في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويترحم ببقائه عنده فأكون عونا له على ما يحب ، وجاء خراساني إلى الجليل رحمه الله تعالى وسأله أن يأكله فقال أفرقه على الفقراء ، فقال ما أريد هذا . قال ومضى أعينى حتى أكل هذا قال ما أريد أن تتفقه في الحل واليقول بل في الحلاوات والطيبات قبل ذلك منه ، فقال الخراساني ما أجد في بقاءه أمن على منك ، فقال الجليل ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك . الثاني أن يكون لثواب المجرى وذلك صدقة أو زكاة فليد أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فإن احتجبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة وإن كانت صدقة وكان يعطيه له بهت فلينظر إلى باطنه ، فإن كان مقارفا لحسية في البصر يعلم أن للمطعمى لو علم ذلك لفرط طبعه ولما تقرب إلى الله بالتصدق عليه فهذا حرام أخذه كالو أعطاه لظنه أنه عالم أو ضاوى ولم يكن فإن أخذه حرام محض لاهية فيه . الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغي أن يرد عليه قصد القاسد ولا يقبله ، إذ يكون معينا له على غرضه القاسد . وكان صفيان الثوري يرد ما يعطى ، ويقول : لو علمت أنهم لا يدكرون ذلك اختارا به لأخذت ، وعوب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة ، قال إنما أردت سلمتهم إشفاقا عليهم ولصالحهم لأنهم يذكرون ذلك ويعجبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتخبط أجورهم . وأما غرضه في الأخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج إليه فيما لابد منه أو هو مستغن عنه فإن كان محتاجا إليه وقد سلم من الشهرة والآفات التي ذكرناها في المطعمى فالأفضل له الأخذ . قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما للمطعمى من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من آتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فاعسا هو رزق ساقه الله إليه (٢) » وفي لفظ آخر « فلا يرد » . وقال بعض العلماء : من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يسطوقد كان سري السقطي يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمه الله عليها شيئا فرده مرة ، فقال له السري : يا أحمد أحذرنا فالرد فاتها أشد من آفة الأخذ ، فقال له أحمد أعد على ما قلت فأعده ، فقال أحمد ما رددت عليك إلا لأن عندي قوت شهر فأجبه لي عندك فإذا كان بعد شهر فأنتد إلى ، وقد قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة بقوة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره . فأما إذا كان ما أتاه زائدا على حاجته فلا يخاف إما أن يكون حاله الاحتفال بنفسه والتكفل بأمور الفقراء والاتفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء ، فإن كان مشغولا بنفسه فلا وجه لأخذه وإيساكه إن كان طالبا طريق الآخرة فإن ذلك محض ابتغاء المردى وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان أودع الله إليه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ثم له مقامان : أحدهما أن يأخذ في الملاية

(١) حديث ما للمطعمى من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا للطرائف من حديث ابن عمر وقد جمعه في الزكاة (٢) حديث من آتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فاعسا هو رزق ساقه الله إليه ، وفي لفظ آخر فلا يرد ردده تهما قبل هذا بحديث .

وأولى فأما أطول
من ليس متمسكا
بالشرائع فخره
الكتاب عن ذكرها
لأنها أقوال أبرزتها
المقول التي ضلت
عن الرشد وطبعت
على الفساد ولم يصبا
نور الاهتداء ببركة
متابعة الأنبياء فهم كما
قال الله تعالى - كانت
أعينهم في غطاء من
ذكرى وكانوا
لا يستطيعون سموا - .
وقالوا قلوبنا في
أكية عما تصعونا
إليه ولي آذانا وقر
ومن بيننا وبينك
حجاب - فسا حببوا
عن الأنبياء لم يسموا
وحيث لم يسموا لم
يتندوا فأصروا على

ويرد في السر أو يأخذ في العلانية ويغرق في السر ، وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من اطمانت نفسه بالرياضة . والثاني أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه فيفعل كليهما في السر أو كليهما في العلانية ، وقد ذكرنا هل الأفضل إظهار الأخذ أو إخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه . وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رحمه الله فاعلم أن لا يستغناه عنه إذا كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفه إلى غيره فان في ذلك آفات وأخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات إذ لم يأمن مكيده الشيطان على نفسه . وقال بعض الجاهلين بمكة كانت عندي دراهم أعدتها للإعناق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أنا جائع كما ترى عريان كما ترى قسا ترى قسا ترى يأمن يرى ولا يرى فنظرت فإذا عليه خلقان لانسداد قواربه قتل في قسي لأجد لدرامي موضعا أحسن من هذا فغلبتني إليه فظنر إليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال : أريمة عن مزرعين ودرهم أوقفه ثلاثا فلاحاجة لي إلى الباقي فرده . قال فرأيت القلة الثانية وعليه مئزران جديدان فنجس في قسي منه شيء فالتفت إلى فأخذ يدي فأطافني معه أسبوعا كل شروط منها على جوهر من معادن الأرض يتخسش تحت أقدامنا إلى الكمين : منها ذهب ونفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس ، فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وأخذ من أيدي الخلق لأن هذه أفعال وفئة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة ، وللقصود من هذا أن الزيادة على قدر الحاجة إنما تأيك ابتلاء . وقتة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه . وقدر الحاجة يأيك رقابك ، فلا تنفل عن الفرق بين الفرق والابتلاء . قال الله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لننجسهم أيهم أحسن عملا - وقد قال صلى الله عليه وسلم « للاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكتنه ، فما زاد فهو حساب (١) » فاذن أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه إن لم تص الله متعرض للحساب ، وإن جسيبت الله فأنت متعرض للعقاب ، ومن الاختيار أيضا أن تعزم على ترك فئة من الذات هربا إلى الله تعالى وكسرا لصفة النفس فتأيك عنوا سفوا لتجتن بها قوة عقلك ، فالأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رجعت لها في قس الزم ألقت قس العهد وعادت لمادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك بهم وهو الزهد ، فإن أخذه وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد ، ولا يقدر عليه إلا الصديقون . وأما إذا كانت حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتجهد جماعة من الصلحاء غدا ما زاد على حاجتك فانه غير زاهد على حاجة الفقراء ، ويأدر به إلى الصرف إليهم ولا تدمره فإن إسماكه ولو ليلة واحدة فيه فئة واختيار فرعا محلو في قلبك فتسكه فتكون فئة عليك . وقد تصدى لحمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والنتم في اللطم والشرب وذلك هو الهلاك . ومن كان غرضه الفرق وطلب الثواب به فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتبار السلاطين الظلمة فإن رزقه الله من حلال فقاموا إن مات قبل القضاء قضاء الله تعالى عنه وأرضى غرامه وذلك بشرط أن يكون مكتشف الحال عندما من قرضه فلا يرض القرض ولا يخذله بالمؤاخذ بل يكشف حاله عندما يقدم على إقرضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضي من مال يمت السال ومن الزكاة وقد قال تعالى

الجهالات وحسبوا بالمعقول عن المأمول والمقل حجة الله تعالى يهدي به قوما ويضل به قوما آخرين فلم تنتقل أرواحهم في الروح واخذلهم فيه . وأما للسمنكون بالشرائع الذين تكلموا في الروح يقوم منهم بطريق الاستدلال والنظر وقوم منهم بلسان الدوق والوجد لا باستعمال السكر حتى تكلم في ذلك مشايخ الصوفية . أيضا وكان الأولى الإمساك عن ذلك والتأدب بأدب التي عليه الصلاة والسلام ، وقد قال الجنيد : الروح شيء استأثر الله بملكه ولا

(١) حديث لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم صلبه ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يكتنه . فما زاد فهو حساب . فإزداد فهو حساب الترمذي من حديث عثمان بن عفان وقال وجعلت الجنة للمساكين جعل قوتهم طعام يقيم صلبه وقال صحيح .

ومن قدر عليه رزقه فلينفق بما آتاه الله - قيل معناه ليس أحد ثوبه وقيل معناه فليست عرض
بجاهه فذلك مما آتاه الله - وقال بعضهم إن لله تعالى عبادا ينفقون على قدر بضائهم والله عباد ينفقون
على قدر حسن الظن بالله تعالى. ومات بعضهم فأوصى بماله ثلاث طوائف الأول الأتقياء والأسقياء والأغنياء
تقبل من هؤلاء ٩ قال أما الأتقياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الأسقياء فهم أهل حسن الظن بالله
تعالى وأما الأغنياء فهم أهل الاعتدال إلى الله تعالى فاذن مهما وجدت هذه الشروط فيوفى للآل وفي
اللعلى فلما أخذ وينبغي أن يرى ما يأخذ من الله لامن للعللى لأن اللعلى واسطة لتدبير اللعلاء وهو
مضطر إليه بما سطر عليهم من الدواعي والإرادات والاعتقادات. وقد سحر أن يفسر الناس دافعا
في خمسين من أصحابه فوضع الرجل مائة حسنة فلما قصد المال لصحابه إن هذا الرجل يقول من لم يرى
صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام قاموا كلهم وخرجوا إلا شابا منهم كان دونهم في الدرجة
قال صاحب اللز لتتفق ما قصدت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم - وقال موسى
عليه السلام : يارب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يدينني هذا يوما ويشينني هذا ليلة
فأوحى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي أجرى أرزاقهم على أيدي البطالين من عباده ليؤجروا
فيهم فلا ينبغي أن يرى للعللى إلا من حيث إنه مسخر ما جور من الله تعالى نساء الله حسن التوفيق لما يرشده.

(بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير للضرر فيه)

اعلم أن مقتودعت منه كثيرة في السؤال وتشديدات وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصة إذ قال صلى الله عليه
وسلم «السائل حق ولوجه على فرس (١)» وفي الحديث «ردوا السائل ولو بظلف عرق (٢)» ولو كان
السؤال حراما مطلقا لما جاز إجابة التلميذ على عدوا أو إعطاء إجابة فالكشف للغطاء فيه أن السؤال
حرام في الأصل وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قرية من الضرورة فإن كان ضايقا فهو حرام
وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة : الأول إظهار الشكوى من الله
تعالى إذ السؤال إظهار للفقر وذكر قصور همة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكذا أن العبد للملوك
لوسائل لكان سؤاله تقصيرا على سيده فكذلك سؤال العباد تشييع على الله تعالى وهذا ينبغي أن
يحرم ولا يباح إلا بالضرورة كما نحل البتة . الثاني أن فيه إذلال السائل فله تضرع الله تعالى وليس
للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه فأما سائر الخلق فانهم
عباد أمثالهم فلا ينبغي أن يذل لهم إلا بالضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى اللشول . الثالث
أنه لا ينفك عن إيهام اللشول فأبى لأنه ربما لاستمع نفسه بالذل عن طيب قلب منه فإن يذل
حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الأخذ وإن منع رعبا استحياء وتأذى في نفسه بالذبح إذ
يرى نفسه في صورة البخله في البذل قصان ماله وفي اللع قصان جاهه وكلاما مؤذيا والسائل
هو السبب في الإيذاء والإيذاء حرام إلا بالضرورة ومهما فهمت هذه التحذيرات الثلاث فقد فهمت قوله

(١) حديث للسائل حق وإن جاءه من فرس أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي
وفي الأول يدل على أي عجزه أبو حاتم ورواه ابن حبان وفي الثاني شيخنا باسم وسكت عليها
أبو داود ومما ذكره ابن الصلاح في علوم الحديث أنه يأنه عن أحمد بن حنبل قال أربعة أحاديث
تنور في الأحوال ليس لها أصل منها للسائل حق الحديث فانه لا يصح عن أحمد أنه أخرج حديث
الحسين بن علي في منسبه (٢) حديث روى السائل ولو بظلف عرق أبو داود والترمذي وقال
حسن صحيح والنسائي واللفظ من حديث أم مجيد . وقال ابن عبد البر حديث مقطرب .

تجوز العبارة منه
بأكثر من موجود
ولكن نجعل للسائلين
علا لآقوالهم وأفاهم
ويجوز أن يكون
كلامهم في ذلك بمثابة
التأويل لكلام
الله تعالى والآيات
للقرآن حيث حرم
تسريه وجوز تأويله
إذ لا يصح القول في
التفسير إلا نقل وأما
التأويل فمقتد
القول إليه بالباع
الطويل وهو ذكر
ما تحتل الآيات من
اللعنى من غير القطع
بذلك وإذا كان الأمر
كذلك فللقول فيه
وجه وعمل . قال
أبو عبد الله النجاشي
الروح جسم يلطف

صلى الله عليه وسلم «مسألة الناس من الفواحش مأحل من الفواحش غيرها» (١) فانظر كيف سبها
 فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة إنما تبرح لضرورة كإيلاح شرب الخمر لئلا يفسد بقلعة وهو لا يحد غيره وقال
 صلى الله عليه وسلم «من سأل عن غنى فأنما يستنكر من جرحهم» (٢) «ومن سأل وله ما يفتنيه ما جرحه
 يوم القيامة ووجهه عظم يتقعق وليس عليه لحم» وفي لفظ آخر «كانت مسأله خدوشا وكدحا
 في وجهه» (٣) وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد «وبابح رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على
 الاسلام فاشتراط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة: ولا تسألوا الناس شيئا» (٤) وكان
 صلى الله عليه وسلم يأمر كثيرا بالتخف عن السؤال ويقول «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه
 الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا» (٥) وقال عليه السلام «استنزعوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا
 ومنك يا رسول الله قال ومنى» (٦) وجمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل بعد الترب قتال واحد من
 قومه عفى الرجل ففساه ثم صمته ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عفى الرجل قال قد عشتيه فنظر عمر
 فإذا تحت يده حمالة ملوذة خبز اقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ الحلاوة وثرها بين يديه إلى الصدقة
 وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضرب به ولا أخذ حمالاته ولعل الفقيه الضعيف
 التلة الشيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما ضرب به فهو تآديب وقد ورد الشرع بالترير
 وأما أخذه ماله فهو معاصرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ اللال فكيف استجازه وهو استبعاد معصده
 القصور في الفقه فأين يظهر قلة الفقهاء كلهم في حصوله عمر بن الخطاب رضى الله عنه على اطلاع على أسرار
 دين الله ومصالح عباده أتقوى أنه لم يعلم أن الصادرة بالمال غير جائزة وعلم ذلك ولكن أقدم عليه غضبا
 في معصية الله وحاشاه أرواد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعية نبي الله وهما فان ذلك أيضا حصية
 بل الفقه القوي لاح له فيه أنه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شيئا فأنما أعطاه على اعتدائه
 محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملتكه بأخذه مع التبيس وعسر تخيير ذلك ورده إلى أصحابه إذ
 لا يبرح أصحابه بأعيانهم فيبقى مالا مالا لك له فوجب صرفه إلى الصالح وإيل الصدقة وعلفهم من الصالح
 وينزل أخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كذا المولى بقوله إلى علوى وهو كاذب فانه لا يملك ما يأخذ
 وكأخذ الصوى الصالح الذى يعطى لمصلحة وهو في الباطن مقار في لمصلحة لوعزفها المعطى لما أعطاه وقد

(١) حديث مسألة الناس من الفواحش وما أحل الله من الفواحش غيرها لم أجده أصلا (٢) حديث
 من سأل عن غنى فأنما يستنكر من جرحهم الحديث أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية
 مقتصر على ما ذكر منه وتقدم في الزكاة ولمسلم من حديث أبي هريرة عن يسأل الناس أموالهم تكثر وأفانما
 يسأل جرحا الحديث وللإزار والطبراني من حديث مسعود بن عمر ولا يزال العبد يسأل وهو غنى حتى يخفى
 وجهه وفي إسناده لين ولشيوخين من حديث ابن عمر ما زال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة
 وليس على وجهه مزعة لحم وإسناده جيد (٣) حديث من سأل وله ما يفتنيه كانت مسأله خدوشا وكدحا
 في وجهه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وفيه في الزكاة (٤) حديث بابح قوما على الاسلام فاشتراط
 عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيئا مسلم من حديث عوف بن مالك
 الأشجعي (٥) حديث من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا ابن
 أبي الدنيا في القناعة والمارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وفيه حصنين
 هلال لم أر من تكلم فيه وياقيم هات (٦) حديث استنزعوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير الحديث
 البزار والطبراني من حديث ابن عباس استنزعوا عن الناس ولو يشوص السواك وإسناده صحيح وله
 في حديث تخففوا ولو يحزم الخطب وفيه من لم يسأل وليس فيه وما قل من السؤال الخ

عن الحسن وكبر
 عن الحسن ولا يبر
 عنه بأكثر من
 موجود وهو وإن منع
 عن العبارة قد حكم
 بأنه جسم فكأنه عبر
 عنه . وقال ابن عطاء
 خلق الله الأرواح قبل
 الأجساد لقوله تعالى
 سوف نخلقناكم - يعني
 الأرواح - ثم صورناكم -
 يعني الأجساد . وقال
 بعضهم الروح لطيف
 قائم في حكيكف
 كالبرجوه لطيف
 قائم في كشيء وفي هذا
 التسول نظر وقال
 بعضهم الروح عبارة
 والثالث بالاشياء هو
 الحق وهذا فيه نظر
 أيضا لأن يحمل على
 معنى الإحياء قد قال

ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه فاستدل بقول عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي ينقل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولاستدل بفنائه عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن المعنى إيمان أن يكون مضطرا إليه أو محتاجا إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو يستثنى عنه ، فهذه أربعة أحوال . أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال الصارى وبذنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت جبة الشربوط في السئول بكونه مباحا والسئول منه بكونه راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فإن القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالورقة . وأما السئني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وأمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذا من طرفان واضحان وأما المحتاج حاجة مهمة فكلريض الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لولم يستعنه ولكن لاخوف عن خوفه وكن له جبة لا يلبس تحتها في الشتاء وهو تاذي بالبرد تاذي لا يتيسر إلى حد الضرورة وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على الشيء بمشقة ، فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل عليه الإباحة لأنها أيضا حاجة محقة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جيب القيس والبرد يؤذي أذى أطبقه ولكن يشق على فإذا صدق صدقه يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى . وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله القيسا ليس عليه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الحرق من ثيابه عن أعين الناس ولكن يسأل لأجل الأدم وهو واحد الخبز وكن يسأل الكراء لقرص الطريق وهو واحد كراء الحمار أو يسأل كراء الحمل وهو قادر على الراحة فهذا ونحوه إن كان فيه تلبس حال باظهار حاجة غيره فهو حرام وإن لم يكن وكان في شيء من المهنورات الثلاثة من الشكوى والقتل وإبداء للسئول فهو حرام لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن يتاج بها هله المهنورات وإن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة . فإن قلت فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المهنورات . فاعلم أن الشكوى تدفع بأن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن لطالبي دعوة النفس بوجوب فوق ثيابي وهو فضة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى . وأما القتل فإن يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم أنه لا يتصدق ذلك في ماله ولا يزديه بسبب سؤاله أو الرجل السئني الذي قد أعتد ماله لثل هذه الكرام فيخرج بوجود مثله ويقتله منعمة بقوله فيسقط عند القتل بذلك فإن القتل لازم للثمة لا محالة . وأما الإيذاء فببطلان الخلاص عنه أن لا يبين شخصا بالسؤال بئنه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة وإن كان في القوم شخص مرموق لولم يبذل لكان يلام فهذا إيذاء فاته ربما يبذل كرها خوفا من اللامة ويكون أحب إليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير اللامة . وأما إذا كان يسأل شخصا معينا فينبغي أن لا يصرح بمرضه فربما يبق له سبيل إلى التنازل إن أراد فإذا لم يتنازل مع القدرة عليه فذلك لرغبته بوائه غير متأذبه وينبغي أن يسأل من لا يستعيا منه لورده أو تخلف عنه فإن الحياة من السائل يؤذي كأن الرأى مع غير السائل يؤذي . فإن قلت فإذا أخذ مع العلم بأن باعث السئلي هو الحيامة أو من الحاضرين ولو لا منا ابتداء به فعل هو حلال أو شبهة . فأقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة وحكمهم أخلاعا التبر بالضرب والصادرة إذ لا فرق بين أن يضرب بظاهر وجهه ببساط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياة وخوف اللام وضرب الباطن أخذ نكابة في قلوب العقلاء

بضمهم الإحياء صفة
الحس كالتخليق صفة
الحال وقيل السئل الروح
من أمره - وأمره
كلامه وكلامه ليس
بمخلوق أي صار إلى
حيا بقوله كن حيا
وعلى هذا لا يكون
الروح معنى في الجسد
فإن الأقوال ما يبذل
على أن قاله يشهد قدم
الروح ومن الأقوال
ما يبذل على أنه يشهد
حدوثه ثم إن الناس
مختلفون في الروح الذي
سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنه
فقال قوم هو جبرائيل
وقيل عن أمير المؤمنين
عليه السلام إن الروح الذي
سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنه
هو ملك من الملائكة

ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قدرضى بقوله صلى الله عليه وسلم « إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر » (١) فإن هذه ضرورة القضاء في فصل الخصومات إذ لا يمكن ردكم إلى البواطن وقرآن الأحوال فاضطروا إلى الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت إليه وهذه أسئلة عاين البعد ويثق الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كاللغة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا إلا إلى قلبك وإن أقول وأقول فإن للفق مع القاضي والسلطان ليحكموا في عالم الشهادة وفقى القلوب هم علماء الآخرة وفتوهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة كأن فتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فإذا ما أخذ مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه أن يسأل صاحبه فإن كان يستحي من أن يسرده ولم يسرده فليبه أن يشبه على ذلك بما يساوى قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتقضى عن عهده فإن لم يقبل هديته فليبه أن يرد ذلك إلى وريثه فإن تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصله بالأذى . فإن قلت فهذا أمر باطن يصير الإطلاع عليه فكيف السبيل إلى الخلاص منها فرمى بظن السائل أمراض ولا يكون هو في الباطن راضيا . فأقول لهذا ترك القول السؤال رأسا لما كانوا يأخذون من أحد شيئا أصلا فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلا إلا من السرى رحمة الله عليهما وقال لأنى علت أنه يخرج خروج السالم يده فإنا أعينه على ما يجب وإنما عظم التكفير في السؤال وتأكد الأمر بالتفنگ لهذا لأن الأذى . إنما يحمل بضرورة وهو أن يكون السائل مشرفا على الهلاك ولم يبق لسبيل إلى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة فكان الامتناع طريق الوديعين ومن أرباب القلوب من كان واقفا بصيرة في الإطلاع على قرآن الأحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ إلا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يطيب بضا ويرد بضا كما فعل رسول الله ﷺ في الكبش والسمن والأظف وكان هذا في أيهم من غير سؤال فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاهد أو طلبا للرياء والسمة فكانوا يجتزون من ذلك فأما السؤال فقد امتنعوا عن أسأل في موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الأنبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك في أيهم مما أكلوا إلا من علوانه رغب في إعطائهم . والثاني السؤال من الأصدقاء والأخوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بهر سؤال واستئذان لأن أرباب القلوب علوا أن للطلوب رضا القلب لا تلقى اللسان وكانوا قد وقوا بأخوانهم أنهم كانوا يفرحون بمبايعةهم فإذا كانوا يسألون الأخوان عند شكهم في اقتدار إخوانهم على ما يريدونه وإلا فكانوا يستنقون عن السؤال ، وحد إباحة السؤال أن تعلم أن للشلوب صفة تعلم ما يملك من الحاجة لا يتدأك دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثير إلا في مرضية حاجتك فأما في تحريك باجلاء وإثارة داعيته بالحيل فلا وتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بعينه الأحوال فلا يأخذ في الحاجة الأولى حلالا طمعا في الثانية حراما . سمعت وتردد بين الحالتين أحواله يشك فيها فليست فقلبه فيها وليترك حوزا القلب فإنه الآثم وليج ما يريه إلى ما يريه وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سول على من تجويز فطمته ومنجب حرصه وشهوته فإن قوى الحرس وضعت القطة تراءى لها بما يوافق غرضه فلا تخطئ إلى الله على السكر اهتوم بهذا فائق طمع على سر قوله صلى الله عليه وسلم « إن أطيب ما أكل الرجل من كفيه » (٢)

سبعون ألف وجه
ولشكل وجه منه
سبعون ألف لسان
ولشكل لسان منه
سبعون ألف ذراع يسبح
الله تعالى بتلك اللغات
كلها ويخلق من كل
نسيجة ملكا يطير مع
اللائكة إلى يوم
القيامة . وروى عن
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما أن
الروح خلق من خلق
الله صوره على صورة
بني آدم وما زله من
النساء ملك إلا ومعه
واحد من الروح وقال
أبو صالح الروح كهيئة
الإنسان وليسوا بناس
وقال عباد الروح على
صورة بني آدم لهم أيد
وأرجل وروس

(١) حديث إنما تحكم بالظاهر والله يتولى السرائر لها جده أصلا وكذا قال المصنف لما استدل به .

(٢) حديث إن أطيب ما أكل الرجل من كفيه .

وقد أوتي جوامع الكلم لأن من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب أيه أو أحدا فربما يتفائل من أبدى الناس وإن أعطى بغير سؤال فأما يعلو بدينه ومتى يكون بملكه حيث لو انكشف لا يعلو بدينه فيكون ما يأخذ حراما وإن أعطى بسؤال فأين من يطيب قلبه بالطعام إذا مثل وأين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة ، فإذا اقتضت أحوال من يأكل من أبدى الناس عفت أن جميع ما يأكله أو أكثره سحت وأن الطيب هو الكسب الذي اكسبه علاك أنت أو مورثك فإذا عيذ أن يجتمع الورع مع الأكل من أبدى الناس ، فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعا من غيره وأن يثني بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه بمنه وسعة جوده فانه على ما يشاء قدير .

(بيان مقدار التثني المحرم للسؤال)

اعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم « من حال عن ظهر غنى فامض يا أيها جرحا ليس تفتنه أو ليستكثر » صريح في التحريم ، ولكن حد التثني مشكل وقد يره عسره وليس إلينا وضع التقدير بل يستدرك ذلك بالتوقيف ، وقد ورد في الحديث « استنوا بني الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غدا يوم وعشاء ليلة ^(١) » وفي حديث آخر « من سأل زه حسون درهما أو علفا من الذهب قد سأل الحافا ^(٢) » وورد في لفظ آخر « أربعون درهما » ومهما اختلفت التقديرات وصحت الأخبار فينبى أن يقطع بوردوها على أحوال مختلفة فإن الحق في نفسه لا يكون إلا واحدا والتقدير مجتمع وفاة للممكن فيه قسرب ولا يتم ذلك إلا بتقسيم محيط بأحوال المتجانين ، فنقول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حق لابن آدم إلا في ثلاث طعام قيم صلبه وثوب يورى به حورته ويتركه لما زاد فهو حساب » فلنجعل هذه الثلاث أسلا في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الأجناس والتقدير والأوقات ، فأما الأجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها مافي منها حتى يلحق بها الكراء للسافر إذا كان لا يقدر على ثمنه وكذلك ما يجري مجراه من البهات ويلحق بنفسه صباه وولده وكل من تحت كفالة كالأبنة أيضا . وأما للتقدير : فالثوب يراعى فيه ما يليق ببدن الدين وهو ثوب واحد وقبض ومندبل وسراويل ومنداس وأما الثاني من كل جنس فهو مستغن عنه وليس على هذا أثاث البيت جميعا ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب وكون الأواني من النحاس والفضة فما يكنى فيه بالحرف لأن ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أحسن أجناسه مالم يكن في غاية البعد عن المائدة . وأما الطعام فقدرة في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشجر والأدم على الدوام فنهضة وقطعة بالكلية إضرار في طلبه في بعض الأحوال رخصة . وأما السكن فأنضم ما يجزى من حيث للتقدير وذلك من غير رتبة فأما السؤال لفرقة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى وأما بالإضافة إلى الأوقات فالحاجت إليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب بلبسه وماوى يكتفه فلا جاك فيه فأما ما يستعمل فهذا له ثلاث درجات : إحداها ما يحتاج إليه في غد . والثانية ما يحتاج إليه في أربعين يوما أو خمسين يوما . والثالثة ما يحتاج إليه في السنة ، ولتقطع بأن من معه ما يكتفيه له وإساره إن كان له عيال لاستغنى الله جبرام فإن ذلك غاية التثني وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فإن خمسين تارة تكفى للتفرد

- (١) حديث استنوا بني الله تعالى قالوا ما يبدى بغيره ولا أحد من حديث على بإسناد حسن قالوا وما يظهر غنى ؟
 قال معناه ليلة وأما اللفظ الذي ذكره الشافعي فليكره صاحب القنوقوس من حديث أبي هريرة :
 (٢) حديث من سأل زه حسون درهما أو علفا من الذهب قد سأل الحافا وفي نسخة آخر أربعون درهما فهدما في الركة .

يا تكون الطعام وليسوا
 ملائكة وقال سعيد
 ابن جبير لم يخلق الله
 خلقا أعظم من الروح
 غير المرقى ولو شاء
 أن يخلق السموات
 والأرضين السبع في
 قصة قتل صورة
 خلقه على صورة
 للملائكة وصورة
 وجهه على صورة
 الأبرار يقوم يوم
 القيامة بين المرقى
 والملائكة معه صفه
 واحد وهو من يفتح
 لأهل التوجيه ولو شاء
 يبينه وبين الملائكة
 ستم من نور الحرق
 أهل السموات من
 نوره فلهذا الأكل
 لا تكون إلا قنلا ومما
 بينهم عن رسول الله

في السنة إذا اقتصد أما الليل فربما لا يكتفي بذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة فإن كان قادرا على السؤال ولاخوته فرصته فلا يجعل له السؤال لأنه مستغن في الحال وربما لا يحش إلى التدفيع يكون قد سأل ما لا يحتاج فيكتفي بهاء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التشديد بهذا القدر وإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يسلطه لآخر فلياح له السؤال لأن أمل البقاء سفير بيدفو بتأخير السؤال خائف أن يقي مضطرا عاجزا عما يهينه فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضيقا وكان لأجله السؤال خارجا عن عمل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطراب وخوف القوت وترأخى للذة التي فيها يحتاج إلى السؤال والكل ذلك لا قبل القطع وهو منوط بإجتهاد البدي ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستقي فيه قلبه ويسمل به إن كان سالكا طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وقته بمجيء الرزق في المستقبل ثم وقناعته بقوت الوقت أظهر قدرته عند الله تعالى أطي فلا يكون خوف الاستقبال وقد أتاك الله قوت يومك لك ولصياك الأمن ضعف اليقين والامضاء إلى تخويف الشيطان وقد قال تعالى: فلا تخفون وخافون إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - الشيطان يمدك الفقر ويأمرك بالفحشاء والله يمدك بمغفرة منه وفضلا - والسؤال من الفحشاء التي أحييت بالضرورة وحال من يسأل حاجة مترتبة عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه في السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره حاجة وراء السنة وكلاما مباحا في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بغضل الله وهذه الحصة من أمهات اللبكات ، نسأل الله حسن التوفيق لطفه وكرمه .

(بيان أحوال السائلين)

كان يهرى رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة : فقير لیسأل وإن أعطی لا یأخذ فهدامع الروحانيين فی علین
وفقر لیسأل وإن أعطی أخذ فهذا مع للقرین فی جنات القردوس وفقر یسأل عند الحاجة فهذا مع
الصادقین من أصحاب الجن فازن قد اتفق کلهم علی ذم السؤال ولی أنعم الفایة عطی الربوة والدرجة .
قال شقیق البلخی لإبراهیم بن آدم حین قدم علیه من خراسان کیف ترکت الفقراء من أصحابک قال
ترکتهم إن أعطوا شکروا وإن منوا صبروا وظن أنهم ما وصفهم بترك السؤال قد أتئی علیهم غایة الشناء
فقال شقیق هكذا ترکت کلاب بلخ عندهما فقال له إبراهیم فكیف الفقراء عندک یا أبا اسحق فقال
الفقراء عندنا إن منوا شکروا وإن أعطوا آثروا قبل رأسه وقال صدقت یا ستاذ فأذن درجات
أرباب الأحوال فی الرضا والصبر والشکر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طریق الآخرة من معرفتها
ومعرفة أقسامها واختلاف درجاتها فانه إذا لم یعلم لم یقدر علی الرقی من حیضها إلى قلاعها ومن
أسفل سافلین إلى أعلى علین وقد خلق الانسان فی أحسن تقویم ثم رد إلى أسفل سافلین ثم أمر
أن یرقى إلى أعلى علین ومن لا یمیز بین السفل والعلو لا یقدر علی الرقی قطعا وإنما الشاک فیمن عرف
ذلك فانه ربما لا یقدر علیه وأرباب الأحوال قد تنلیهم حالة تغشى أن یکون السؤال مزیدا لهم فی
درجاتهم ولكن بالأضافة إلى حالهم فان مثل هذه الأعمال بالیات وذلک كما روى أن بعضهم رأى
أبا اسحق النوری رحمه الله یدعیه ویسأل الناس فی بعض الواضع قال فاستظمت ذلك واستجبته له
فأتیت الجندی رحمه الله فأخبرته بذلك فقال لا یحکم هذا علیک فان النوری لم یسأل الناس إلا لیعطیهم
وأما سالم لیثم فی الآخرة فیؤجرون من حیث لا یشرم وكأنه أشار به إلى قوله صلى الله علیه وسلم
«بد للمطی هی العیا»^(١) فقال بعضهم بد للمطی هی بد الأخذ للسائل لأنه عطی الثواب والقدره

صلى الله عليه وسلم
 ذلك واذا كان الروح
 السلول عنه عينا من
 هذا السلول فهو غير
 الروح الذى الى الجسد
 فصل هذا يسوغ القول
 في هذا الروح ولا يكون
 الكلام فيه ممنوعا
 وقال بعضهم الروح
 لطيفة تسرى من الله
 الى اما كن معروفة
 لا يعرفه باكثر من
 موجود بل يعاد غيره
 وقال بعضهم الروح لم
 يخرج من كن لانه
 لو خرج من كن كان
 عليه الدلـ قيل ان
 اى شئ خرج قال
 من بين جهاته وجاهه
 سبحانه وتعالى
 ملاحظة الاشارة خسبا
 بسلامه وجاهه كلامه

(١) حديث يد للعطى هي العليا مسلم من حديث أى هريرة .

لأما يأخذه ثم قال الجنيد هات الليزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على اللسان ثم قال اجعلها
 إليه فقلت في نفسي إنما فوزن الشيء لمعرف مقداره فكيف خلط به مجر ولا هو رجل حكيم واستحييت
 أن أسأله فذهبت بالصرة إلى التوري فقال هات الليزان فوزن مائة درهم وقال رد هاعليه وقل له ألا أتقبل
 منك أنت شيئا وأخذ مازاد على اللسان دل فزاد تسجي فأسأله فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ
 الجبل يطرقه وزن اللسان لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت
 ما كان به مبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فردتها إلى الجنيد فيكي وقال أخذ ماله ورد مالنا
 الله السمتان، فأنظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل
 واحد منهم قلب صاحبه من غير منطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتاجي الأسرار وذلك نتيجة
 لكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة فمن أنكر ذلك قبل تجربة
 طريقه فهو جاهل كمن ينسرك مثلا كون الدوام سهلا قبل شربه ومن أنكره بعد أن طال اجتناحه حتى
 بذل كنهه مجهوده ولم يصل فأنكر ذلك لغيره كان كمن شرب للسيل فلم يؤثر في حقه خاصة لعله في بطنه
 فأخذ ينكر كون الدوام سهلا وهذا وإن كان في الجهل دون الأول ولكنه ليس خاليا عن حظ واف
 من الجهل بل البصير أحد درجتي إمارجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الدوق والفرقة
 وقد وصل إلى عين اليقين وإما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وسبقه
 فهو صاحب علم اليقين وإن لم يكن واصلا إلى عين اليقين ولملم اليقين أيضا رتبة وإن كان دون عين
 اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين وبشر يوم القيامة في
 زمرة الجاحدين للشيخين الذين هم قتل القلوب الضعيفة وأتباع الشياطين فنسأل الله تعالى أن
 يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين آمنا به كل من عذر ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب .
 [الشرط الثاني من الكتاب في الزهد] وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد
 وأقسامه وبيان تفصيل الزهد في العلم واللبس والسكن والأثاث وضروب العيشة وبيان علامة الزهد .
 (بيان حقيقة الزهد)

اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر
 المقامات لأن أبواب الإيمان كلها كالسلف ترجع إلى عقيد وقول وعمل وكان القول لظهوره أقيم مقام
 الحال إذ به يظهر الحال الباطن والإقليس القول مراداً لئنه وإن لم يكن صادراً عن حال سمى إسلاماً
 ولم يسمى إيمانا والعلم هو السبب في حال يجري مجرى الثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلذلك
 الحال مع كل ظرفيه من العلم والعمل . أما الحال فتعني بها ما يسمى زهداً وهو عبارة عن انصراف
 الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، فكل من عدل عن شيء إلى غيره بموافقة وبسبب غيره
 فاعاد عدل لرغبته عنه وإنما عدل إلى غيره لرغبته في غيره فلهذا بالإضافة إلى المدول عنه يسمى
 زهداً وبالإضافة إلى المدول إليه يسمى رغبة توجاً فاذن يستدعي حال الزهد مرغوباً عنه ومرغوباً فيه
 هو غير من الرغوب عنه فشرط للرغوب عنه أن يكون هو ما مرغوباً فيه بوجه من الوجوه فمن رغب
 عما ليس مطلوباً في شيء لا يسمى زهداً إلا نادر الحبر والتراب وما أشبه لا يسمى زهداً وإنما يسمى زهداً
 من ترك الدرهم والهنا نادر لأن التراب والحبر ليسا في مظنة الرغبة أو شرط للرغوب فيه أن يكون عنده مخرجا
 من الرغوب عنه حتى تلبس به الرغبة فالبايع لا يقدم على البيع إلا وللغنى عنه خيراً من البيع فيكون
 حاله بالإضافة إلى البيع زهداً وفيه بالإضافة إلى الموضع عنه رغبته فيه وخباؤلفك قال الله تعالى وشروه
 بشئ نحسن دراهم معدودة . وكانوا فيه من الزاهدين - بمناه باعوه قد يطلق الشراء بمعنى البيع

فهي مقتضين ذلك كن
 وسئل أبو سعيد الخراساني
 عن الروح أخوة هي
 قال نعم ولولا ذلك
 ما أقرت بالربوبية
 حيث قالت لي والروح
 هي التي قام بها البدن
 واستحق بها اسم الحياة
 وبالروح ثبت العقل
 وبالروح قامت المحبة
 ولو لم يكن الروح
 كان العقل معطلا
 لا حجة عليه ولا
 وقيل إنها جوهر مخلوق
 ولصفتها الطيف
 الخسوفات وأصل
 الجواهر وأورها وبها
 تتراءى المكنيات وبها
 يكون الكشف لأهل
 الحقائق وإذا حجب
 الروح عن مرآة
 البصر أسامت الجواهر

ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه إذ طعموا أن يغلولهم وجه أبيهم ، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا ، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن المادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن زهد في الدنيا كما خصص اسم الإلحاد بمن عيّل إلى الباطل خاصة وإن كان هو الليل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور إلا بالدول إلى شيء هو أحب منه وإلا تركه المحبوب بغير الأحب محال والذي يرغب عن كل ماسوى الله تعالى حتى القناديس ولا يحب إلا الله تعالى فهو الزاهد للطلق ، والذي يرغب عن كل حظ دنال في الدنيا ولم يزد في مثل تلك المحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والتصور والأنهار والقواكه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الأول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالمى يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجميل في الثيئة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض للمعاصي في التائب وهو زهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات ، والزهد عبارة عن ترك اللباحات التي هي حظ النفس ، ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض اللباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات ، وللتقصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن المادة تخصص هذا الاسم بترك اللباحات فاذن الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا. وكما يشترط في للرغوب فيه أن يكون خيرا عنده فيشترط في للرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه فإن ترك مالا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ، ولذلك قيل لابن المبارك يازاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راحمة فتركها ، وأما أن نقاذا زهدت ؟ ، وأما العلم الذي هو مشر لهذه الحال فهو العلم بكون التلوك خيرا بالاضافة إلى للأخذ كعلم التاجر بأن العوض خير من البيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لم يتصور أن يزول الرغبة عن البيع فكذلك من عرف أن ماعنه الله باق وأن الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى كما تكون الجواهر خيرا وأبقى من التلج مثلا . ولا يسر على مالك التلج يبعه بالجواهر والآلئ . فهكذا مثال الدنيا والآخرة فالذي كالتلج اللوضوع في الشمس لا يزال في الدوبان إلى الاغراض والآخرة كالجواهر الذي لا فناء له فيقدر قوة البقين والسرقة بالثناوت بين الدنيا والآخرة تنوى الرغبة في البيع وللعمالة حتى إن من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - ثم بين أن صفقتهم رابحة فقال تعالى - فاستبشروا ببيعكم الذي بايتم به - فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد علم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا : إما لنفسه عليه يقينه . وإما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان . وإما لاعتقاده بمواعيد الشيطان في التسوف يوما بعد يوم إلى أن يحتجبه للوت ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد القوت وإلى تعريف خمسة الدنيا الإشارة بقوله تعالى - قل متاع الدنيا قليل - وإلى تعريف قاسمة الآخرة الإشارة بقوله عز وجل - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير - فبني على أن العلم بفلسة الجواهر هو للرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد إلا بمعاوضة ورغبة عن المحبوب في أحب منه ، فالعبد في دعائه « اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تجل هكذا ولكن قل أريد

الأدب ولذلك صارت الروح بين تجمل واستتار وقايس ونازع وقيل الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء وقيل الأرواح أنسام أرواح تجول في البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والآخرة وتسمع ما تحدث به في السماء عن أحوال الأدبيين وأرواح تهب للبرس وأرواح طيارة إلى الجنان وإلى حيث شاءت على أقدارها من السعي إلى أيام الحياة . ويروي سيد بن السبب عن سلمان قال أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يرجعوا

الدنيا كآريتها الصالحين من عبادك (١) « وهذا لأن الله تعالى براها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة إلى جلالة حقير والبعد براها حقيرة في حق نفسه بالاضافة إلى ما هو خير له ولا يتصور أن يرى بائع القرس وإن رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلاً لأنه مستثنى عن الحشرات أصلاً وليس مستثنى عن القرس والله تعالى غنى بذاته عن كل ماسواه فيرى السك في درجة واحدة بالاضافة إلى جلالة وراه متفاوتاً بالاضافة إلى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة إلى نفسه لا إلى غيره . وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لأنه يبيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو أدنى فكأن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك البيع وإخراجه من اليد وأخذ عوض فكذلك الزهد يوجب ترك للزهد فيه بالكلية وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلاقتها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات وإلا كان كمن سلم البيع ولم يأخذ الثمن فإذا وثق بشرط الجانيين في الأخذ والترك فليست بشرط يبيع الذي يبيع به فإن الذي يبيع به هذا البيع وفي البعد فمن سلم حاضراً في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم إلى الغائب حين فراغه من سعيه إن كان العاقد ممن يوفق بصدقه وقدرته ووفاته بالمهدوما دام محسباً للدنيا لا يصح زهده أصلاً ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد في بنيامين وإن كانوا قد قالوا - ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا - وعزموا على إبعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فتركه ولا وصفهم أيضاً بالزهد في يوسف عند العزم على إخراجه بل عند التسليم والبيع فعلامه الرغبة الامساك وعلامة الزهد الإخراج فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا تخون البعض فأنت زاهد فيها أخرجت فقط ولست زاهداً مطلقاً وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم تصور منك الزهد لأن ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستويك الشيطان بفروره ويغيب إليك أن الدنيا وإن لم تأتاك فأنت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بجبل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموت غلبته من الله فأنك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكيف من ظان بنفسه كراهة للمصاعب عند تعلمها فما تيسرت له أسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها وإذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فكيف أن تثق بوعدها في الباحات وللوثق الغليظ الذي تأخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فإذا وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأغذار ظاهراً وباطناً فلا بأس أن تثق بها وثوقاً ما ولكن تكون من تغيرها أيضاً على حذر فلها سرعة التفتن للمهد قرية الرجوع إلى مقتضى الطبع . وبالجملة فلا أمان منها إلا عند الترك بالاضافة إلى تركه فقط وذلك عند القدرة . قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة ألا ترى إلى ابن الحائك هذا لا تفتي في مسألة إلا لاد علينا يني أبا حنيفة فقال ابن شبرمة لا أدري أهو ابن الحائك أم ما هو لكن أعلم أن الدنيا غدت إليه قهرب منها وهربت منا لطلبناها وكذلك قال جميع السليين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نحب ربنا ولو علنا في أي شيء عبت لصلناه حتى نزل قوله تعالى - ولو أننا كنيتمنا عليهم أن اتقلوا - أنكم كانوا يخرجوا من دياركم ما ضلوه إلا قليل منهم - (٢).

(١) حديث قال رجل اللهم أرق الدنيا كما أرقها فقال له لا تقل هكذا ولكن قل أرق الدنيا كما أرقها الصالحين من عبادك ذكره صاحب الفردوس مختصراً اللهم أرق الدنيا كما أرقها صالح عبادك من سعيها في القصر ولم يخرج به قوله (٢) حديث قال السليون إنا نحب ربنا ولو علنا في أي شيء عبت لصلناه حتى نزل قوله تعالى - ولو أننا كنيتمنا عليهم أن اتقلوا - أنكم كانوا يخرجوا من دياركم ما ضلوه إلا قليل منهم - (٣).

إلى جسدها . وقيل إذا ورد على الأرواح ميت من الأحياء اتقوا وتعبدوا وتساءلوا وكنل الله بها ملائكة تعرض عليها أعمال الأحياء حتى إذا عرض على الأموات ما يماق به الأحياء في الدنيا من أجل القنوب قالوا فنقل إلى الله ظاهراً عنه فاته لا أحد أحب إليه المذموم الله تعالى وقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيعرضون بحسناتهم

قال ابن مسعود رحمه الله : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أت منكم يعني من القليل قال وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - (١) . واعلم أنه ليس من الزهد ترك اللال وبذله على سبيل السخاء والقنوة وعلى سبيل استئالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كلهم من عاصم العادات ولكن لا مدخل شيء منه في العبادات وإنما الزهد أن تترك الدنيا الملوك بغفار تهايا بالإضافة إلى خاصة الآخرة فأما كل نوع من الترك فانه يتصور بمن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروة وقنوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا إذ نحن الذكر وميل القلوب من حظوظ الحاجة وهي الدواهي من اللال وكما أن ترك اللال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والتناء والاعتبار بالقنوة والسخاء واستئصالا لهما في حفظ اللال من للشقة والتناء والحاجة إلى التذلل للسلطين والأغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استبجال حظ آخر لنفس بل الزاهد من أته الدنيا راغمة صفوا عفوا وهو قادر على التتم بها من غير نقصان جاء وقبح اسم ولا فوات حظ لنفس فكرها خوفا من أن يأسن بها فيكون آسا بنير الله وعجبالا سوى الله ويكون مشركا في حب الله تعالى غيره أو تركها طمعا في ثواب الله في الآخرة ترك التمتع بأشربة الدنيا طمعا في أشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة وأشجارها وترك الزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وتركه للطعام اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له - أذهبت طياتكم في حياتكم الدنيا - فأتر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لله بأن ماني الآخرة خير وأبقى وأن ماسوى هذا فمالمات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلا .

(بيان فضيلة الزهد)

قال الله تعالى - غفر على قومه في زيته - إلى قوله تعالى : وقال الدين أو توال العلم ويطركم ثواب الله خير لمن آمن - فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية التناء وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا - وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ليلومهم أيهم أحسن عملا - قيل معناه أيهم أزهدي فيها فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال وقال تعالى - من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب - وقال تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى - وقال تعالى - الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة - فوصف الكفار بذلك لفهموه أن المؤمن هو الذي يتصف بتقيته وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا . وأما الأخبار : فهاورد منها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربيع الهللكات إذ حب الدنيا من الهللكات ونحن الآن نتعرض لفضيلة بعض الدنيا فاته من النجيات وهو التي بالزهد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح وعده الدنيا هفت الله عليه أمره وفرق عليه شيعته وجعل قرة عينه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وعده الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه شيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن أرايتم البعد وقد أعطى شيئا وزهد في الدنيا فاقتربوا منه

وترداد وجوههم ياذا وإشراقا » فانتوا الله تعالى ولا تؤذوا موتاكم وفي خير آخر « إن أعمالكم تعرض على عشاركم وأقاربكم من اللوى فإن كان حسنا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لاتنهم حتى تهديهم كما هديتنا » وهذه الأخبار والأقوال تدل على أنها أعيان في الجسد وليست بمعان وأعراض ، مثل الواسطى لأى علة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الخلق ؟ قال لأنه خلق روحه أولا فوقع له صفة التمكن والاستقرار الأثره يقول « كنت

(١) حديث ابن مسعود ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - (٢) حديث ابن مسعود ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - (٣) حديث ابن مسعود ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة -

فانه يلقي الحكمة (١) « وقد تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - والله اكبر: من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله بياض الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه. وعن بعض الصالحين أنه قال « قلنا يا رسول الله أي الناس خير؟ قال كل مؤمن مخوم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخوم القلب؟ قال التقي التقي الذي لا خل فيه ولا غش ولا بنى ولا حسد قلنا يا رسول الله فمن على أثره؟ قال الذي يشأ الدنيا ويحب الآخرة (٢) « ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا (٣) » فجعل الزهد سببا لمحبة فمن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات ومفهومه أيضا أن يحب الدنيا متعرض لبعض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت « الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادقا قلبا فيه الايمان والحياء أمانا فيه والإلزام (٤) » ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك؟ قال عرفت نقي عن الدنيا فاستوى عندي حبرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني برشي ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم ، عبد نور الله قلبه بالايمان (٥) » فانظر كيف بدأ في إظهار حقيقة الايمان بمزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال عبد نور الله قلبه بالايمان « ولما سئل رسول الله ﷺ عن معنى الشرح في قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وقيل له ما لهذا الشرح؟ قال إن النور إذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانشرح قيل يا رسول الله وهل ذلك من علامة؟ قال نعم التجافي عن دار القرو والابتداء إلى دار الخلد والاستعداد للوعد قبل نزوله (٦) » فانظر كيف جعل الزهد شرط للاسلام وهو التجافي عن دار القرو وقال صلى الله عليه وسلم « استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا لنستحي منه تعالى ليس كذلك يتبنون مالا يتسكنون ويجمعون مالا لا يكون (٧) » فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى « ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وما علامة إيمانكم؟ فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشهادة بالمسبية إذا زلت بالأعداء فقال عليه الصلاة والسلام إن كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا لا يكون ولا تجمعوا مالا لا يتسكنون ولا تاتقوا فبا عنه ترحلون (٨) » فجعل الزهد تسكلا لإيمانهم وقال جابر رضى الله عنه « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إذا رأيتم العبد قد أوتي صنعا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فانه يلقي الحكمة ابن ماجه من حديث أبي خلاد يستند فيه ضعيف (٢) حديث قلنا يا رسول الله وما مخوم القلب؟ قال التقي التقي الحديث ابن ماجه باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله يا رسول الله فمن على أثره وقد تقدم ورواه بهله الزيادة بالاستناد للذكر الحراقطي في مكارم الأخلاق (٣) حديث إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا ابن ماجه من حديث سهل بن سعد يستند فيه ضعيف نحوه وقد تقدم (٤) حديث الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادقا قلبا فيه الايمان والحياء أمانا فيه والإلزام لم أجده أصلا (٥) حديث لما قال له حارثة أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك الحديث البزار من حديث أنس والطبراني من حديث الحارث بن مالك وكلا الحديثين ضعيف (٦) حديث سئل عن قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه - الحديث الحاكم وقد ضعف (٧) حديث استحيوا من الله حق الحياء الحديث الطبراني من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب باستناد ضعيف (٨) حديث لما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وما علامة إيمانكم الحديث الخطيب وابن عساكر في تاريخهم باستناد ضعيف من حديث جابر .

ينباه وأكرم بين الروح والجسد « أي لم يكن روحا ولا جسدا وقال بعضهم الروح خلق من نور المزة وإليس من نار المزة ولهذا قاله - خلقني من نار وخلقته من طين - ولم يدرك أن النور خير من النار فقال بعضهم قرن الله تعالى بالعلم بالروح فهي لطاقتها سمو بالعلم كما ينمو البدن بالغذاء ولهذا في علم الله لأن علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك والاختيار عند أكثر متكلمي الاسلام

أن الانسانية والحيوانية عرضان خلقا في الانسان وللنور يدمهما وأن الروح هي الحياة بينهما صار

قال : من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها غيرها وجبت له الجنة فقام إليه على كرم الله وجهه ، فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها ؟ صفه لنا فسرره لنا ، فقال : حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها ، وقوم يقولون قول الأنبياء ويصاؤون عمل الجبابرة ، فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة ^(١) . وفي الخبر « السخى قريب من الله قريب من الناس الشك ولا يدخل الجنة من شك » ^(٢) . وقال أيضا « السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة ، والبخل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار » ^(٣) . والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والتناء على الفرة ثناء على الثمر لاعتالة . وروى عن ابن السيب عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فأطلق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام » ^(٤) . وروى أنه صلى الله عليه وسلم « من في أصحابه يشار من التوق خذل وهي الخوامل وكانت من أحب أمواليهم إليهم وأشعبا عندهم لأنها تجمع الظفر والاحم واللبن والوبر ، ولعلطها في قلوبهم قال الله تعالى - وإذا المشار عطلت - قال فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه أفسى أموالنا لا تنتظر إليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متنا به - ^(٥) الآية وروى مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت « قلت يا رسول الله الاستطم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع ، فقال يا عائشة والذي نفس يده لو سألت ربي أن يجرى معي جبال الدنيا ذهباً لأجرها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ، يا عائشة إن الدنيا لا تنبئني لمحمد ولا لأحد ، يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرض لي إلا أن يكفني ما كلفهم ، قال - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - والله مالى يد من طاعته وإنى والله لأصبرن كما صبروا عهدي ولا قوة إلا بالله » ^(٦)

- (١) حديث جابر من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط معها شيئا وجبت له الجنة لم أره من حديث جابر وقد رواه الترمذي الحكيم في النوادر من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف نحوه (٢) حديث السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث السخى قريب من الله الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث أبي ذر من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه الحديث لم أره من حديث أبي ذر ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب فم الدين من حديث صفوان بن سليم مرسل ولا ينعى في السكامل من حديث أبي موسى الأشعري عن زهد في الدنيا أربعين يوما أو أخلص فيها العبادة أجرى الله بها نبيح الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث منكبر وقال الذهبي يظن رواه أبو الشيخ في كتاب التواب وأبو نعيم في الحلية مختصرا من حديث أبي أيوب من أخلص لله وكلها ضيفة (٥) حديث مرفى أصحابه يشار من التوق خذل الحديث وفيه ثم تلا قوله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى الآيات ما جدله أصلا (٦) حديث مسروق عن عائشة قالت يا رسول الله الاستطم ربك فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع الحديث . وفيه يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر الحديث أبو منصور الديلمي في معجم الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن البجلي من رواية عباد ابن عباد عن معالج عن الشعبي عن مسروق مختصرا : يا عائشة إن الله لم يجمع من يلهي النهم

البذن بوجودها حيا وبالإعادة إليه في القيامة يصير حيا وذهب بعض متكلمي الاسلام إلى أنه جسم لطيف مشبك بالأجسام العسكيفة اشتباك للاء بالسود الأخضر وهو اختيار أبي العلى الجويني وكثير منهم مال إلى أنه عرض إلا أنه ردم عن ذلك الأخبار الدالة على أنه جسم لما ورد فيمن الروح والمحبوط والقرود في البرزخ فيث وصف بأوصاف دل على أنه جسم لأن العرض لا يوصف بأوصاف إذ الوصف معنى وللجسم لا يقوم بالشي واختار بعضهم أنه عرض .

وروى عن عمر رضي الله عنه « أنه حين فتح عليه القنوسات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها اليس ألبس الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآذاني » ومرو بصفة طعام تطعمه وتطم من حضر ، فقال عمر يا حفصة أليست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت بلى قال ناشدك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ولا شبعا عشية إلا جاعوا غدوة . وناشدك الله هل تعلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خير ، وناشدك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قربتم إليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتضاع فشقي ذلك عليه حتى تثير لونه ثم أمر بالمائدة فرفست ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض وناشدك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عبادة مثنية فثبت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منضموني قيام الليلية بهذه العبادة انتوها بالثنتين كما كنتم تثنونها ، وناشدك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتتسل ثيابه بلال فيؤذنه بالصلاة فلما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ، وناشدك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بني ظفر كساءين إزارا ورداء وبشت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفه إلى عنقه فصرى كذلك لما زال يقول حتى أبكها وبكى عمر رضي الله عنه واستحب حتى قلنا أن نفسه استخراج (١) وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال كان لي

من الرسل إلا الصبر على مكروها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض إلا أن أكلني ما كلهم فقال تعالى - فاصبر كما صبر أولوا الزمزم من الرسل - وبجاءه مختلف في الاحتجاج به (١) حديث عن عمر لما ختمت عليه القنوسات قالت له حفصة البس لين الثياب إذا قدمت عليك الوفود الحديث بطوله وفيه ناشدك الله هل تعلمين كذا يذكرها ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أبكها وبكى الخ لم أجده هكذا مجموعا في حديث وهو مفرق في عدة أحاديث فروى البزار من حديث عمران بن حصين قال ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله غداء وعشاء من خبز شعير حتى لقي ربه وفيه عمرو ابن عبد الله القدري متروك الحديث ولترمذي من حديث عائشة قالت ما شبع من طعام فأشاء أن أبكي إلا بكيت قلت لم قالت أذكر الحال التي فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا عليها والله ما شبع من خبز ولم مرتين في يوم قال حديث حسن ولشيعين من حديث ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعا حتى قبض ولبخاري من حديث أنس كان لا يأكل على خوان الحديث وتقدم في آداب الأكل ولترمذي في الثبالات من حديث حفصة أنها لما سئلت ما كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم؟ مسح ثيابه ثنتين فينام عليه الحديث ولابن سعد في الطبقات من حديث عائشة أنها كانت تخرش للنبي صلى الله عليه وسلم عبادة بالثنتين الحديث وبعدهما في آداب للعيشة وللبزار من حديث أبي بردة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل له العقيق ولم يكن له إلا قميص واحد وقال لا نعلم يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الاسناد قال يونس بن بكير قد جدت عن سعيد بن مسيرة البكري بأحاديث لم يتابع عليها واحتمل على ما قبلت فيه سعيد ابن مسيرة قد كذب يحيى القطان وضعفه البخاري وابن حبان وابن عدي وغيرهم ولا ينبغي ما جاء من حديث مجاهد بن السامط صلى الله عليه وسلم في فقهه قد عقد عليها زاد النبطي في جزئه للشهور فيقبحها في عنقه ما عليه غيرها وإسناده ضعيف وتقدم في آداب للعيشة .

سئل ابن عباس رضي الله عنهما قيل أين تذهب الأرواح عند مفارقة الأبدان فقال أين يذهب ضوؤه للصباح عند فناء الأدهان قيل له فأين تذهب الجسوم إذا بليت قال فأين يذهب لحما إذا مرضت . وقال بعض من يتم بالسوم وللردوة للدمومة وينسب إلى الاسلام: الروح تنفصل من البدن في جسم لطيف . وقال بعضهم إنها إذا فارقت البدن تحمل معها القوة الوهمية بتوسط النطفة فتكون حيث شاء مطالعة المعاني والمخسومات لأن

صاحبان مسلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك في طريق غير طريقهما وإني والله سأصبر على عيشهما الشديدا لمن أدركتهما عيشهما الرغيد . وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لقد كان الأنبياء قبل بيتي أحدهم بالفقر فلا يلبس إلا الببائة وإن كان أحدهم ليبيت بالقمل حتى يقذه القمل وكان ذلك أحب إليهم من السطاء إليكم ^(١) » وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من الحزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه قال « لما نزل قوله تعالى - والذين يكتزون الذهب والنفضة ولا ينفقونها في سبيل الله - قال صلى الله عليه وسلم يا لذي تبا لدينار والدرهم قلنا يا رسول الله نهانا الله عن كثر الذهب والنفضة فأى شيء تدخر قال ^(٢) : ليتخذ أحدكم لسانا ذا كرا وقلبا ذا كرا وزوجة سالحة تعينه على أمر آخرته ^(٣) » وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث ما لا يخرق قلبه أبدا وقرا لا يستخفى أبدا وحرصا لا يشبع أبدا ^(٤) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون نة التي أحب إليهم من كثرة ^(٥) » وقال السميع ^(٦) الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تمروها وقيل له يابني الله لو أمرت أن تنفي بيتا لعبد الله فيه قال انهبوا فابنوا بيتا في الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إن ربي عز وجل عرض علي أن يجعلني بطحا مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم عشي وجبريل معه فصد على الصفا فقال له النبي ^(٧) يا جبريل والذي بك بالحق ما أمسى لآل محمد كسف سويق ولا سفة دقيق ^(٨) فإل يكن كلامه بأمرع من أن سمع هدة من السماء أفضته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمر الله

نجدها من هيات
البدن عند الفارقة
غير يمكن وهي عند
للوت شاعرة بالموت
وبعد اللوت متخيلة
بنفسها مفبورة
وتصور جميع
ما كانت تصفه حال
الحياة وتحس بالثواب
والعقاب في القبر قال
بعضهم أسلم للقاتلات
أن يقال الروح شيء
خلق أجرى الله تعالى
العادة أن يحيي البدن
مادام متصلا به وأنه
أشرف من الجسد
يذوق اللوت بفارقة
الجسد كما أن الجسد
يفارقه يذوق اللوت
فان الكيفية والواجبة
يتماشى النفس فيها
كما يتماشى البصر في

(١) حديث أبي سعيد الخدري كان الأنبياء قبل بيتي أحدهم بالفقر فلا يجد إلا الببائة الحديث بإسناد صحيح في أثناء حديث أوله دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك دون قوله وإن كان أحدهم ليبيت بالقمل (٢) حديث عمر لما نزل قوله تعالى - والذين يكتزون الذهب والنفضة - الآية قال تبا لدينار والدرهم وفيه فأى شيء تدخر الترمذي وابن ماجه وتقدم في التكميع دون قوله تبا لدينار والدرهم والزيادة رواها الطبراني في الأوسط وهو من حديث ثوبان وإسناد قال للصف أنه حديث عمر لأن عمر هو الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي المال يتخذ كافي رواية ابن ماجه وكما رواه الزبارة من حديث ابن عباس (٣) حديث حذيفة من أثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث الحديث لم أجده من حديث حذيفة والطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن من أشرق قلبه حب الدنيا التاط منها ثلاث شقاء لا يند عنه وجرح لا يبلغ غناه وأميل لا يبلغ منهائه وفي آخره زيادة (٤) حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون آله أحب إليه من كثرة لم أجده إسنادا وذكره صاحب الفردوس من رواية علي بن طلحة مرسل لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة التي أحب إليه من كثرة وحتى يكون أن يعرف في ذات الله أحب إليه من أن يعرف في غير ذات الله ولم يخرج له في مسند الفردوس وطى بن أبي طلحة أخرجه في مسند وروى عن ابن عباس لكن روايته عنه مرسله فالحديث إذن معضل .

القيامة أن تقوم قل لا ولكن هذا إسرا فيل عليه السلام قد تزل إليك حين سمع كلامك فأتته أسرا فيل
 فقال إن الله عز وجل سمع ما ذكرت فبغضني الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن
 أسير معك جبال تهامة زمردا ويقوتها ذهبها وفضة فعلت وإن شئت نيا مسلكا وإن شئت نيا عبدا
 فأومأ إليه جبريل أن تواضع لله فقال نيا عبدا ثلاثا (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله عبدا
 خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بصيرته نفسه» (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من زهد في الدنيا
 يحبك الله وازهد فيا في أبدى الناس يحبك الناس» (٣) وقال صلوات الله عليه «من أراد أن يؤتبه
 الله علما غير تعلم وهدى غير هداية فليزهد في الدنيا» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «من اشتاق إلى الجنة
 سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا
 هانت عليه الصبيات» (٥) ويروى عن نبينا وعن السبع عليها السلام «أربع لا يدركن إلا بصب
 الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء» (٦) وإيراد جميع الأخبار الواردة في مدح
 بفض الدنيا. وقد جها لا يمكن فإن الأنبياء ما بشوا إلا الصبر عن الدنيا إلى الآخرة وإليه يرجع
 أكثر كلامهم مع الخلق وفيما أوردناه كفاية والله للسمعان وأما الآثار: فقد جاء في الأثر: لا تزال إلاه
 إلا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا ما حقه من دنياهم وفي لفظ آخر: ما لم يؤثروا مسافة
 دنياهم على دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا إلاه إلا الله قال الله تعالى: كذبتم لستم بها صادقين. وعن بعض
 الصعابة رضى الله عنهم أنه قال تابنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهدنا في الدنيا وقال
 بعض الصحابة لصدر من التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا خيرا
 منكم قيل ولم ذلك؟ قال كانوا أزهد في الدنيا منكم. وله عمر رضى الله عنه الزهد في الدنيا راحة
 القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذبا أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال
 رجل لسفيان أفتنى أن أرى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه إن
 للجنة ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جبل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد
 قيل الزاهدون في الدنيا الصائفين للجنة. وقال يوسف بن أسباط رحمه الله إنى أفتنى من الله ثلاث خصال
 أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم ولا يكون على دين ولا على عظمى لهم فأعطى ذلك كله. وروى
 أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بجواز قبولها وأرسل إلى الفضيل بشرة آلاف فلم يقبلها فقال
 له بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالك هذه فيك الفضيل وقال أندرون ماملى ومثلكم
 كمثل قوم كانت لهم بكرة يجرثون عليها فلما هزمت ذبحوها لأجل أن يتفخؤا بجدها وكذلك

- (١) حديث ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصدع على الصفا
 الحديث في قول إسرا فيل وقوله إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا ويقوتها ذهبها وفضة
 الحديث تقدم مختصرا (٢) حديث إذا أراد الله عبدا خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة
 وبصره بصيرته نفسه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد
 قبه في الدين وإسناده ضعيف (٣) حديث أزهد في الدنيا يحبك الله الحديث تقدم (٤) حديث
 من أراد أن يؤتبه الله علما غير تعلم وهدى غير هداية فليزهد في الدنيا لم أجده أصلا (٥) حديث
 من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث علي بن أبي طالب
 (٦) حديث أربع لا يدركن إلا بصب الصمت هو أول العبادة الحديث الطبراني والحاكم من حديث
 أنس وقد تقدم.

شعاع الشمس ولما
 رأى التسكعون أنه
 يقال لهم للوجودات
 عصوره قديم وجسم
 وجوهه وعرضه
 فالروح من أي هؤلاء
 فاختار قوم منهم أنه
 عرض وقوم منهم أنه
 جسم لطيف كذا ذكرنا
 واختار قوم أنه قديم
 لأنه أمر والأمر كلام
 والكلام قديم لما أحسن
 الاسماء من القول
 فبا هذا سبيله وكلام
 الشيخ أبي طالب للشيخ
 في كتابه يدل على أنه
 يحيل إلى أن الأرواح
 أعيان في الجسد وهكذا
 النفوس لأنه يذكر
 أن الروح تتحرك
 للخير ومن حركتها
 يظهر نور في القلب

أنت أردت دعوى على كبريى موتوا يا أهل جوعا خير لكم من أن تدعوا فضيلا . وقال عبيد بن عمر
 كان للسبع ابن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا يبت مغرب ولا
 يدخر لقد أيضا أدركه للساء نام . وقالت امرأة أوى حازم لأوى حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا
 من الطعام والثياب والحطب فقال لها أبو حازم من هذا كله بد . ولكن لابد لنا من الموت ثم البعث ثم
 الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار . وقيل للحسن لم لا تغسل ثيابك قال الأبرار أجعل من ذلك .
 وقال إبراهيم بن آدم قد حبيت قلوبنا ثلاثة أغطية فلن يكشف للبعد اليقين حتى ترفع هذا الحجب
 الفرح الموجود والحزن على اللقود والسرور بالمح فإذ فرحت بالموجود فأنت حريص وإذا حزنت
 على اللقود فأنت ساخط والساخط مذنب وإذا سررت بالمح فأنت معجب والمعجب يحبط العمل .
 وقال ابن مسعود رضى الله عنه ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة للتعبدين المجتهدين
 إلى آخر الدهر أبدا سريعا . وقال بعض السلف نصرة الله علينا فيها صرف عنا أكثر من نعمتنا فيها
 صرف لنا وكأنه التفت إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله يحمى عبده المؤمن الدنيا وهو محبة
 كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه (١) فإذا فهم هذا علم أن النعمة في اللع للوذى
 إلى الصصة أكبر منها في الاعطاء يؤدى إلى السقم . وكان الثورى يقول : الدنيا دار التواء لا دار استواء
 ودار ترج لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء . وقال سهل لأشخاص العمل المتعبدين
 حق لا يفرغ من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذل . وقال الحسن البصرى أدركت أنوما
 وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يأسفون على شئ منها أدبر وهى كانت
 فى أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يبيع شخين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له
 قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئا ولأمر من فى بيته بسنة طعام قط فإذا كان الليل بقيام على
 أقدامهم يفتشون وجوههم يجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكلك رقابهم كانوا إذا
 عملوا الحسنه دأبوا فى شكرها وسألوا الله أن يقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنهم وسألوا الله أن يغفرها
 لهم فلم يزوالا على ذلك والله ماسلوا من التوب ولا يخوا إلا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه .
 (بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى قسمه وإلى اللزغوب عنه وإلى اللزغوب فيه)
 اعلم أن الزهد فى شئ يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث : الدرجة الأولى وهى البغى
 منها أن يهد فى الدنيا وهو لها مشته وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفت ولكنه يجاهد ما ويكفها وهذا
 يسمى الزهد وهو مبدأ الزهد فى حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد واللتزهد بذي
 أولاهه ثم كسبه وإزاهد أولاهه بذي كسبه ثم يذهب نفسه فى الطاعات لافى الصبر على مافاره وللتزهد
 على خطر فاته ربما قلبه نفسه ونجده شهوته تعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها فى قليل أو كثير .
الدرجة الثانية : التى يترك الدنيا طوعا لاستحقاقه إياها بالإضافة إلى ما طبع فيه كالذى يترك درهما
 لأجل درهمين فانه لا يشقى عليه ذلك وإن كان محتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى
 لأعماله زهده ويلتفت إليه كما يرى البائع للسبع ويلتفت إليه فيكاد يكون مصعبا بنفسه وزهده ويطيق
 فى نفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه وهذا أيضا نقصان . الدرجة الثالثة : وهى الطمان
زهده طوعا وزهده فى زهده فلا يرى زهده إذ لا يرى أنه ترك شيئا إذ عرف أن الدنيا لاغنى يمكن
 كمن ترك خزة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالإضافة إلى الله
 تعالى ونعيم الآخرة أخس من خزة بالإضافة إلى جوهرة فهذا هو الكمال فى الزهد وسببه كاللدرجة

براه الملك فيهم الخير
 عند ذلك وتحرك
 لشر ومن حركها
 تظهر ظلة فى القلب
 فيرى الشيطان الظلة
 فيقبل بالأغوا وحيث
 وجدت أنوال الشاغب
 تشير إلى الروح
 أقول : ما عندى فى
 ذلك على معنى ما ذكرت
 من التأويل دون
 أن أقطع به إذ ملى
 فى ذلك إلى السكوت
 والامساك فأقول والله
 أعلم : الروح الإنسانى
 العلوى السابى من
 عالم الأمر والروح
 الحيوانى البشرى من
 عالم الخلق والروح
 الحيوانى البشرى
 محل الروح العلوى
 وموسوده والروح

(١) حديث إن الله يحمى عبده المؤمن من الدنيا الحديث تقدم .

ومثل هذا الزهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا كما أن تارك الخرفة بالجوهرة آمن من طلب الأمانة في البيع . قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لأبي موسى عبيد الرحيم في أي شيء تتكلم ؟ قال في الزهد قال في أي شيء ؟ قال في الدنيا ففضض يده وقال ظننت أنه يتكلم في شيء والدنيا لا شيء . إيش زهد فيها ومثل من ترك الدنيا للأخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب الممورة بالمشاهدات والسكرات مثل من منه من باب الملك كلب على بابي فألقى إليه لقمة من خبز ففتحه بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى أقعد أمره في جميع مملكته أقرى أنه يرى نفسه يدا عند الملك بلقمة خبز أقفاها إلى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز إن أكلت فلدتها في حال اللغز وتغضى على القرب بالابتلاع ثم يبقى ظمها في اللعة ثم تنتهي إلى التشنج والتدبر ثم يحتاج بسد ذلك إلى إخراج ذلك الثفل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها ونسبة الدنيا كلها أعنى ما يسلم لكل شخص منها وإن عمر مائة سنة بالإضافة إلى نعيم الأخر فأنال من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا إلا لنسبة لفتاها إلى مالا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتعاضى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لانبية لها إلى نعيم الأبد فكيف ومدة العمر قصيرة وذات الدنيا مكدره غير صافية فأى نسبة لها إلى نعيم الأبد فاذن لا يلتفت الزاهد إلى زهد إلا إذا التفت إلى مازهد فيه ولا يلتفت إلى مازهد فيه إلا لأنه يراه شيئا مبتدأ به ولا يراه شيئا مبتدأ به إلا لقصور معرفته فليس تصان الزهدية صان العرفه فهاذا خاتمت درجات الزهد وكل درجة من هذه أيضا لها درجات إذ سمير الزهد مختلف وتفاوت أيضا باختلاف قدر الشقة في الصبر وكذلك درجة للجب زهد قدر الثبات إلى زهد . وأما أقسام الزهد بالإضافة إلى الرغوب فيكون أيضا ثلث درجات : الدرجة السفلى أن يكون للرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام ككذاب القبر وناقصة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الأحوال كالورود به الأخبار إذا فيها وإن الرجل يوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بغير عطايا على عرقه لصدرت رواء (١) فهذا هو زهد الخائفين وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا فإن الجلاص من الألم يحصل بمجرد العلم . الدرجة الثانية أن زهد رغبة في ثواب الله ونسبه والذات للعودة في جنة من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراغبين فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والجلاص من الألم بل طموا في وجود دائم ونعيم سرم لا آخره . الدرجة الثالثة وهي العليا أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي قائه فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الجلاص منها ولا إلى الذات ليقصد نيلها والنظر بها بل هو مستغرق الملم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهو به م . واحد وهو للوحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لأن من طلب غير الله قد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفى وهما زهد الخائفين وهم المارقون لأنه لا يجب لله تعالى ثناء إلا من عرفه وكما أن من عرف الديار بالبرم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يجب إلا الديار فكذلك من عرف الله وعرف لغة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللغة وبين لغة التمس بالحوار العين

(١) حديث إن الرجل يوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بغير عطايا على عرقه لصدرت رواء . أحد من حديث ابن عباس التقي مؤمنان على باب الجنة مؤمن خفي ومؤمن فقيير الحديث وفيه إلى حبست بذلك عينا لظننا كرمها ما وصلت إليك حتى ساله من العرق ما لو ورده أكف بغير أكلة حتى لصدرت منه رواء وفيه نريد غير منسوب محتاج إلى معرفته قال أحمد حديثه منه .

الحياة في جاني الدنيا
حامل قسوة الحب
والحركة ينبت من
القلب أعنى بالقلب
ههنا للغة الأهمية
المروعة الشكل الودعة
في الجانب الأيسر
من الجسد وينشر
في تجاويف المروق
الضارب وهذه
الروح لسائر الحيوانات
ومنه تفيض قوى
الحواس وهو الذي
قوامه بأجراء سنة الله
بالتقاء غالبا وعصرف
بسلم الطب فيه
باعتدال مزاج الأخطا
ولورود الروح الانساني
المعوى على ههنا
الروح ينجس الروح
الحيواني وبأين
أرواح الحيوانات

والنظر إلى قش القصور وخضرة الأشجار غير ممكن فلا يجب إلالة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظن
أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبق لثة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة
بالإضافة إلى لذة نعيم أهل الجنة كلثة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة
إلى لذة الاستيلاء على عصفور والعب به والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي
الطالب لعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لأن اللعب بالعصفور
في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق . وأما أقسامه بالإضافة إلى الرغبة
عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ولعل للذكور فيه يزيد على مائة قول فلا تشتغل بنقل الأقاويل ولكن
نشير إلى كلام محيط بالتفاصيل حتى يضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الإحاطة بالكل . فقول:
الرغوب عنه بالزهد في إجمال وتفصيل وتفصيل مراتب بعضها أشرح لأحاد الأقسام وبعضها أجمال
للجمال . أما الإجمال في الدرجة الأولى فهو كل ما سوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه
أيضا ، والإجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات
الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة واللال والجاه وغيرها ، وفي الدرجة الثالثة أن يزهد
في اللال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس ، وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم
والقدرة والدينار والدرهم والجاه ، إذا الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه
وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة وأغنى به كل علم وقدره مقصودها ملك القلوب ، إذ معنى
الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كأن معنى اللال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا
التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فكذلك يخرج ما فيه الزهد عن المحصر وقد ذكر الله
تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر والمنظرة
من الذهب والفضة والحيل للسومة والأناام والحرق ذلك متاع الحياة الدنيا - ثم رده في آية أخرى
إلى خمسة فقال عز وجل - اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينهم وتكاثر في الأموال
والأولاد - ثم رده تعالى في موضع آخر إلى اثنين فقال تعالى - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رده الكل
إلى واحد في موضع آخر فقال - ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي اللاوى - فالهوى ليطي جمع
جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه وإذا فهمت طريق الإجمال والتفصيل عرفت
أن البعض من هذه الخصال البعض وإعياها رقة في الشرح مرة والإجمال أخرى . فالخاص أن الزهد
عبارة عن الرقة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا
تقصير أمه لأهماله لأنه إنما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإعادة البقاء فان من أراد شيئا أراد
دوامه ولا معنى لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو يمكن في هذه الحياة فإذا رغب عنها لم يردّها
ولذلك لما كتب عليهم القتال - قالوا ربنا لم نكتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب - فقال
تعالى - قل يتلّع الدنيا قليل - أي لستم تريدون البقاء إلا لتمام الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف
حال اللثاقين . أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بانيان مرموس وانتظروا
إحدى الحسيني وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون إليه مبادرة الظمآن
إلى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله أو ليل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر
على فوت الشهادة حتى إن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما احتضر الموت على فراشه كان يقول
كم فررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وأنا الآن أموت موت الصائغ فلما مات عد على
جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراح هكذا كان حال الصادقين في الإيمان رضى الله تعالى عنهم أجمعين

واكتسب صفة أخرى
فصار تساعلا للنطق
والإلهام قال الله تعالى
- ونهى وما سواها
فألمها فجورها
وقواها - فتسويتها
بوجود الروح للإنسان
عليها واقطاعها عن
جنس أرواح الحيوانات
فكوت النفس
بكون الله تعالى من
الروح العلوى وصار
تكون النفس التي
هي الروح الحيوانية من
الآدمى من الروح
العلوى في عالم الأمر
كتكون حواء من
آدم في عالم الخلق وصار
بينهما من التألف
والتماق كيان آدم
وحواء صاكر واحد
منهما يلدو للو

وأما للتائقون فقروا من الزحف خوفا من اللوث فقبل لهم - إن اللوث الذي تخفون منه فاته ملائكتكم - فإثارهم البقاء على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فأولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فإرغبت تجارتهم وما كانوا مهتدين . وأما المخلصون فإن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فلبأروا أنهم تركوا متجعين عشرين سنة مثلاً أو ثلاثين سنة يستمتع الأبدان يستشروا بديعهم الذي باعوا به فهذا بيان للزهد فيه ، وإذا فهمت هذا علمت أن ما ذكره للتكلمون في حد الزهد لم يشروا به إلا إلى بعض أقسامه فقد ذكر كل واحد منهم ماركاً غالباً على نفسه أو على من كان غامطه فقال يشترى رحمه الله تعالى الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس ، وهذا إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة . وقال قاسم الجبوي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فيقدر ممالكه من يملك كذلك تملك من الزهد ، وهذا إشارة إلى الزهد في شهوة واحدة ، ولسمى هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي للبيعة لأكثر الشهوات . وقال الفضيل الزهد في الدنيا هو القناعة وهذا إشارة إلى المال خاصة . وقال الثوري الزهد هو قصر الأمل وهو جامع لجميع الشهوات فإن من عمل إلى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها . وقال أبو أيوب إذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد . وقال أبو أيوب أيضاً الزهد هو ترك الطلب للغموض وهو إشارة إلى الرزق . وقال أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرائي والنعول والزهد إمحاؤه اتباع العلم ولزوم السنة وهذا إن أريد به الرأى الفاسد والنعول الذي يطلب به الجاني في الدنيا فهو صحيح ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات فإن من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد طولوا حتى يقتضي عمر الإنسان في الاشتغال بواحد من هذا الشرط الزاهد أن يكون الفضول أو لم يرغب عنه عنه ، وقال الحسن الزاهد الذي أدار أي أمدأقل هذا أفضل من قلبه إلى أن الزهد هو التواضع وهذا إشارة إلى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال يضيهم الزهد هو طلب الحلال ، وأين هذا بمن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أبو أيوب ، ولا شك في أنه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن أسباط يقول من صبر على الأدنى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال قد أخذ بأصل الزهد ، وفي الزهد أقاويل وراها ما نقلناه فلم نرى قلها فائدة فإن من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رأها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدته من قلبه لا يتلقف من صمته قد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر قصور بصيرته وعلى اقصر من اقصر مع كمال الفرة لا تقصر حاجته وهو لا يكلمهم اقصروا لا تقصروا في البصرة لكهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الزهنية التي هي مقام التبد في نفسه والأحوال تختلف فلا جرم الأقوال المتغيرة عنها تختلف ، وأما الحق في نفسه فلا يكون إلا واحداً ولا يتصور أن يختلف وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل في نفسه وإن لم يكن فيه تحصيل ما قاله أبو سليمان الداراني إذ قال صمنا في الزهد كلاماً كثيراً والزهد عندنا ترك كل شيء يشكك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب العيشة أو كتب الحديث قد ركن إلى الدنيا لجلل جميع ذلك صمنا الزهد ، وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى - إيمان أي الله قلب سليم - فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال إنما زهدوا في الدنيا لترغوا بهم من همومها للآخرة ، فهذا بيان أقسام الزهد بالإضافة إلى أسانف الزهد وفيه ما بالإضافة إلى أحكامه فيقسم إلى فرض وقيل وسلامة كما قاله إبراهيم بن آدم فاقترض هو الزهد في الحرمان والفضل هو الزهد في الحلال والسلمة هو الزهد في الشهوات . وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال

بغافرة صاحبه قال الله تعالى - وجعل مناهز وجهها ليسكن إليها - فسكن آدم إلى حواء وسكن الروح الإنسانى العلوى إلى الروح الحيوانى وصيره نفاً وتكون من سكوت الروح إلى النفس القلب وأغنى بهذا القلب اللطيفة التي عليها اللبنة المحمية فاللبنة المحمية من عالم الخلق وهذه اللبنة من عالم الأمر وكان تكون القلب من الروح والنفس في عالم الأمر كتكون اللبنة من آدم وحواء في عالم الخلق ولولا الساكنة بين الزوجين اللذين أحدهما النفس ما تكون القلب قرن

والحرام وذلك من الزهد إذ قيل لما لك بن أنس ما الزهد قال التقوى ، وأما بالإضافة إلى خفايا ما يتركه فلاحياة الزهد فيه إذ لا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات والاحتطات وسائر الحالات لاسيا خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه إلا الحساسة الملاء بل الأموال الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لا تنهاه فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام إذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك قال وما الذي تجد قال توسدك الحجر . أي تتمعت برفع رأسك عن الأرض في النوم فرمى الحجر وقال خذ مع ما تركته لك ، وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه لبس السوح حتى تعب جلده تركا للتمتع بلبس اللباس واستراحة جس السلس فسأله أمه أن يلبس مكان اللبس جبة من صوف فعمل فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أثرت على الدنيا فيك ونزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه ، وقال أحمد رحمه الله تعالى الزهد زهد أوس بلغ من العري أن جلس في قوصرة وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط فقال ما أنتي أنت إنما أقمتي الذي لم يرض لي أن أتمتع بظل الحائط فأذن درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا يحصرها وأقبل درجاته الزهد في كل شعبة وعظور (وقال قوم الزهد هو الزهد في الجلال لا في الشبه والمخظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن. فان قلت مهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ماسوي الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس وعاطلة الناس ومكالتهم وكل ذلك اشتغال بماسوي الله تعالى . فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه ذكر أو فكريا ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء ولا يقاء إلا بضروريات النفس فهما اقتصرت من الدنيا على دفع اللبس عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بشيء الله فان ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فبوجهه فاشتغل بالمفاتيح وبسببها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي أن يكون بدتك في طريق الله مثل تائقك في طريق الحج ولا غرض لك في تتم تائقك بالذات بل غرضك مقصور على دفع اللبس عنها حتى تسير بك إلى مقصدك فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدتك عن الجوع والعطش للهلك بالأكل والشرب وعن الحر والبرد للهلك باللباس ولكن تقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد . وإن قلت فلا بد وأن أتلهذ بالأكل عند الجوع فاعلم أن ذلك لا يشرك إذا لم يكن قصد التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ بالشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضى حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا إليه فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الأمطار وصوت الأظفار ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك غير قصد لا يشربه ولقد كان في الحافظين من طلب موضعا لايصيه فيه نسيم الأسفار خيفة من الاستراحة به أو أن القلب معه فيكون فيه أنس بالبدن وتعبان في الأنس بالله بقدر وقوع الأنس بشيء الله ولذلك كان داود الطائي له جب مكشوف فيه مأوى فكان لا يرفضه من الشمس ويهرب للماء الحار ويقول من وجد لية للماء البارد عشق عليه مغارة الدنيا . فهذه تحاوي المحتاطين والجزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وإن كان شافا فذته قريبة والاتجاه مدة يسيرة للتمتع على التأيد لا يثقل على أهل الرفقة القاهرين لأنهم يساهمة الشرع للصممين بمرودة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين

(بيان تحصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة)

اعلم أن ما الناس منهم مكون فيه ينقسم إلى فضول وإلى مهم فالفضول إلى الخلل في السمع واللباس

القلوب قلب متطلع إلى الأب الذي هو الروح العلوي مبال إليه وهو القلب المؤيد الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها رواه حذيفة رضي الله عنه قال : القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج زهر فذلك قلب للتؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب للكافر وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب للتناقض وقلب مصنع فيه إيمان وثاق لئلا الإيمان فيه مثل البقرة يدها للماء الطيب ومثل الثفاق فيه كمثل القرحة يدها القيح والصبيد فأى للمادتين

إنما يقتضيه لفرقه تركوها وهو قادر على الشيء ولهم كلاً كل والشرب ولنا قدر على تفصيل
 أصناف الفضول فإن ذلك لا ينحصر وإنما ينحصر اللهم الضروري ولهم أيضاً يتطرق إليه فضول في
 مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه وللهامات ستة أمور : اللطم واللبس والسكن
 وأتانه وتنسكج والسال والجاء يطلب لأغراض وهذه الستة من جملة ما وقد ذكرنا من الجاء وسبب
 حب الحق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء من ربيع الهللكات ونحن الآن نقصر على بيان
 هذه الهللمات الستة [الأول اللطم] ولا بد لنا من بيان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض
 فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فأما طوله فيالإضافة إلى جملة العمر فإن من تلك طعام
 يومه فلا يتنعم به وأما عرضه في مقدار الطعام وجنسه وقت تناوله فأما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل
 وأقل درجات الزهد فيه الاقتصاد على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف الرض ومن هذا حاله
 فإذا استقل بماتوا له لم يدخر من غذائه لفساده وهذه هي الدرجة العليا . الدرجة الثانية : أن يدخر
 لشهر أو أربعين يوماً . الدرجة الثالثة : أن يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضغف الزهاد ومن ادخر
 لأكثر من ذلك قسميته زاهداً محال لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً لا يتم
 منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس كداود الطائي فإنه ورث عشرين
 ديناراً فأمسكها وأفقها في عشرين سنة فهذا لإيضاح أصل الزهد إلا عند من جعل التوكل شرطاً للزهد
 وأما عرضه فيالإضافة إلى التقدير وأقل درجاته في اليوم واليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلامه
 واحد وهو مقداره الله تعالى في إعطام للسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن
 والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصاد على ما يمكن له من الزهد في البطن نسبياً وأما الإضافة إلى
 الجنس فأقله كل ما يقوت ولو أخذ من النخالة وأوسطه خبز الشعير والتمر وأعلى خبز البر غير منخول
 فإذا ميز من النخالة وصار حواري قد تدخل في التمتع وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلاً عن أوائله وأما
 الأدم فأقله للبح أو البقل والحل وأوسطه الزيت أو يسير من الأدهان أي دهن كان وأعله اللحم أي
 لحم كان وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين فإن صار دائماً أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج عن آخر
 أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن أصلاً وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم واليلة مرة
 وهو أن يكون صائماً وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ويأكل ليلة ولا يشرب وأعله أن
 ينهي إلى أن يطوى ثلاثة أيام أو أسبوعاً وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تحليل الطعام وكسر شرهه
 في ربيع الهللكات ولينظر إلى أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم في
 كيفية زهدهم في الطعام وتركهم الأدم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها « كانت تأتي علينا أربعون
 ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لما قم كنتم تعيشون قالت
 بالأسودين التمر واللآء ^(١) وهذا ترك اللحم وللرقة والأدم . وقال الحسن « كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ركب الحمار ولبس الصوف ويبتل الخشوف ويلبغ أصابعه ويأكل على الأرض ويقول
 إنما أنا عبد أكل كأتأكل العبيد وأجاس كأتجلس العبيد ^(٢) وقال السبيح عليه السلام بحق
 أقول لكم إنه من طلب الفردوس غفر الشعير له والنوم على الزايل مع الكلاب كثير . وقال الفضيل

(١) حديث عائشة كانت تأتي أربعين ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح
 ولا نار الحديث ابن ماجه من حديث عائشة كان يأتي على آل محمد الشهب ما يرى في بيت من بيوت
 دنان الحديث وفي رواية له ما يوقد فيه بنار ولا محمد كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من
 بيوت ناره وفي رواية له ثلاثة أهلة (٢) حديث الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب الحمار

غلبت عليه حكمه
 بها والقلب للنكوس
 مبال إلى الأم التي هي
 النفس الأمارة بالسوء
 ومن القلوب قلب
 متردد في ميله إليها
 وبحسب غلبة ميل
 القلب يكون حكمه
 من السعادة والشقاوة
 والمقل جوه الروح
 المعالي ولسانه والدال
 عليه وتديره القلب
 المؤيد والنفس الزكية
 للطمشة تدبير الوالد
 لولاه البار والزوج
 للزوجة الصالحة
 وتديره القلب
 للنكوس والنفس
 الأمارة بالسوء تدبير
 الوالد للولد العاق
 والزوج للزوجة السيئة
 فنكوس من وجه

ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر^(١). وكان للسبع صلى الله عليه وسلم يقول: يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الأنبياء والسلف في الطعام والشرب في ربيع المهلكات فلا يعيده ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوية يسمل فوضع القدر من يده وقال «أما إن لست أحرهه ولكن أتركه تواضعاً لله تعالى»^(٢) وأتى عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والحلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياة شعاره والجوع إدامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيته والصبر معتده والتوكل حسيه والمقلد دليله والعبادة حرقة والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى [لهم الثاني] لللبس وأقل درجته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتطلى به وأوسطه قميص وقنسوة ولنان وأعلام أن يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث للقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه التعود في البيت ، فإذا صار صاحب قميص وسراويلين ومنديلين قد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث للقدار ، أما المجلس فأنه للسوح الحشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلام القطن القليلق ، وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يستر سنة وأقله ما يقي يوماً حتى يقع بينهم ثوب بورق الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتماصك عليه شهراً وما يقاربه فطرب ما يقي أكثر من سنة يخرج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشوته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فبنيى أن يصدق به فإن أمسكه لم يكن زاهداً بل كان عباً للدنيا ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال أبو ردة أخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبداً وإزاراً غليظاً قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي باللبس»^(٤) وقال عمرو بن الأسود العنسي لا ألبس مشهوراً أبداً ولا أنام بلب على دثار أبداً ولا أركب على ما تور أبداً ولا أملاً جوف من طعام أبداً قال عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود^(٥) وفي الخبر «ممن عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى يزعجه وإن كان عنه خبيثاً»^(٦) واشتري رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوباً بأربعة دراهم^(٧)

ومنجذب إلى تديرها من وجه إذ لا بد له منها وقول القائلين واختلافهم في محل القتل فمن قائل إن محل السماع ومن قائل إن محل القلب كلام القاصرين من ذلك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم استقرار العقل على نسق واحد وانجذابه إلى البارتارة وإلى العاقبى أخرى والقلب والماغ نسبة إلى البار والعاقبى فإذا روى في تديير العاقبى قيل مسكنه السماع وإذا روى في تديير البار قيل مسكنه القلب فالروح العلوى بهم بالأرضاع إلى مولاه شوقاً وحسوا وفتزها

الحديث تقدم دون قوله إنما أنا عبد فانه ليس من حديث الحسن إنما هو من حديث عائشة وقد تقدم (١) حديث ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر (٢) حديث لما أتى أهل قباء أتوه بشربة من لبن يسمل فوضع القدر من يده الحديث (٣) حديث أخرجت عائشة كساء ملبداً وإزاراً غليظاً قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين (٤) حديث إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي باللبس (٥) حديث عمرو بن الأسود رواه أحمد بإسناد جيد (٦) حديث مامن عبد لبس ثوب شهرة الحديث ابن ماجه من حديث أبي ذر بإسناد جيد دون قوله وإن كان عنه خبيثاً (٧) حديث اشتري رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوباً بأربعة دراهم أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال

وكانت قيمة ثوبه عشرة ^(١) . وكان إزاره أربعة أذرع ونصف ^(٢) . واشترى سراويل بثلاثة دراهم ^(٣) . وكان يلبس قميلتين يضاوئ من صوف ^(٤) وكانت تسمى حلة لأهناثا من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانين أو سحولين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات ^(٥) . ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيرا من سندس قيمته ما ثا درهم ^(٦) فكان أصحابه يمسونه ويقولون يا رسول الله أنزل عليك هذا من الجنة تسجيا وكان قد أهداه إليه للقوفى ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسهم نزع وأرسل به إلى رجل من الشركيين وصلبه ثم حرم لبس الحرير والديباغ وكانه إنما لبسه أولا تأكيداً لتحريم كلبس خاتما من ذهب يوحنا ثم نزع ^(٧) فحرم لبسه على الرجال وكما قال لثامثة في شأن بريرة اشترطت لأهلها الولاء ^(٨) فلما اشترطته صعد عليه السلام للبر مخزومه وكما أباغ للثمة ثلاثا ثم حرمها تأكيداً أمر النكاح ^(٩) وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيصة لها علم فلما سلم قال شافى النظر إلى هذه اذهبوا بها إلى أبي جهم والتوتى بأبي جانيته ^(١٠) حتى كساه فاختر لبس النساء على التوب الناعم وكان شر الله أنه قد خلق فأبدل بسير جديد فصرى فيه فلما سلم قال أعيذوا الشر الكالحق واتزوا هذا الجديد فاني نظرت إليه في الصلاة

دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى البرازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث وإسناده ضعيف ^(١) حديث كان قيمة ثوبه عشرة دراهم لم أجده ^(٢) حيث كان إزاره أربعة أذرع ونصف أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مرسلان ردها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ، وعرضه ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن لجة . وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة كان له إزار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر ، وفيه محمد بن عمر الواقدي ^(٣) حديث اشترى سراويل بثلاثة دراهم للعروف أنه اشتراه بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي يعلى وشرائه السراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس إلا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه قال الترمذي حسن صحيح ^(٤) حديث كان يلبس قميلتين يضاوئ من صوف وكانت تسمى حلة لأهناثا من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانين أو سحولين من هذه الغلاظ تقدم في آداب وأخلاق التوبة لبسه قميصا والبرد والحبرة . وأما لبسه الحلة ففي الصحيحين من حديث البراء رأيت في حلة حمراء ولأبي داود من حديث ابن عباس حين خرج إلى الحروية وعليه أحسن ما يكون من حلل اليمن وقال رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي الصحيحين من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قبض في ثوبين أحدهما إزار غليظ يصنع باليمن وتقدم في آداب العيش ولأبي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي رزمة وعليه بردان أخضران سكنت عليه أبو داود وسليمان الترمذي وللبزازين من حديث قدامة الكلبي وعليه حلة جرة وفيه عريف بن إبراهيم لا يعرف قال الذهبي ^(٥) حديث كان قميصه كأنه قميص زيات الترمذي من حديث أنس بسند ضعيف كان يكرهه رأسه ونسجه طينته حتى كان ثوبه ثوب زيات ^(٦) حديث لبس يوما واحدا ثوبا سيرا من سندس قيمته ما ثا درهم أهداه للقوفى ثم نزع الحديث ^(٧) حديث لبس يوما خاتما من ذهب ^(٨) ثم نزع متفق عليه وقد تقدم ^(٩) حديث أباغ للثمة ثلاثا ثم حرمها مسلم من في شأن بريرة اشترطت لأهلها الحديث متفق عليه من حديثها ^(٩) حديث أباغ للثمة ثلاثا ثم حرمها مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ^(١٠) حديث صلى في خيصة لها علم الحديث متفق عليه وقد تقدم في الصلاة .

[١] قول العراقي ثم نزع الحديث هكذا في النسخ يشير ذكر راو ولم يتكلم عليه الشارح فليظن راو .

عن الأكوان ومن
الأسكوان القلب
والنفس فإذا ارتقى
الروح يغنو القلب إليه
حنو الولد الحسنين
البار إلى والد الوصين
النفس إلى القلب الذي
هو الولد حين الولادة
الحنية إلى ولدها وإذا
حنن النفس ارتقت
من الأرض وانزوت
عروها الضاربة في
العالم السفلى وانطوى
هواها وأعسمت
مادته وزهدت في الدنيا
ونجفت عن دوا
الفرور وأتت إلى دار
الخلود وقد غفلت النفس
التي هي الأم إلى
الأرض وضعت الجليل
تسكنها من الروح
الخيواني الجنس

«وليس خاتما من ذهب ونظر إليه على للنير نظرة فرمى به فقال شغلني هذا عنكم نظره إلى ونظرة إليكم^(١)». «وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى سمة ثعلبين جديدين فأعجبهما حسنها فخر ساجدا وقال: أعجبني حسنها فتواضعت لربي خشية أن يقتلني ثم خرج بهما فدفنهما إلى أول مسكن ركة^(٢)» وعن سنان بن سعد قال حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف أثمار وجلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال «انظروا ما أحسنها وما ألينها قال أقام إليه أعرابي فقال يا رسول الله هيا لي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يخل به قال فدفنوا إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى فلبسها صلى الله عليه وسلم وهي في الحاككة^(٣)» وعن جابر «قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فلما نظر إليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي ممرارة الدنيا لئيم الأبد فأنزله الله عليه وسوف يعطيك ربك فترضى -^(٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن من خيار أمتي فيا أنبأني لللا الأعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى ويكون سرا من خوف عذابه مؤثما على الناس خيفة وعلى أنفسهم ثقلا يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض وأقصدتهم عند الرعي^(٥)» فلهذا كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللابس «وقد أوصى أمته عامة باتباعه إذ قال «من أحبني فليستن بسنني^(٦)» وقال «عليكم بسنني وسنة الخلفاء الراشدين من بدى عضوا عليها بالواجب^(٧)» وقال تعالى «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله -^(٨)» وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال إن أردت الحق في فياك ومجالسة الأغنياء ولا تزعجى ثوبا حتى ترقيه^(٩)» وعد على قيس عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقة بضمها من آدم واشترى على بن أبي طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلعة وقطع فيه من الرصيفين وقال الحمد لله الذى كسانى هذا من ريشه. وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول إن الفقير ليرى في وأنا أصل فأدعه يجوز ويرى واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرة فأقته ولا أدعه يجوز. وقال بعضهم قومت ثوبى سفيان وتلميه بدرهم وأربعة دنانير. وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته. وقال بعض السلف: البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشرك فينظر إليك. وقال أبو سليمان الداراني: الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينة وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه. وقال بعضهم من رقى ثوبا بقرق دينة

ومستندھا في ركونھا إلى الطبايع التي هي أركان العالم السفلى. قال الله تعالى - ولو شئت لفنائه بها ولكنه أخله إلى الأرض واتبع هواه - فإذا سكنت النفس التي هي الأم إلى الأرض أعجذب إليها القلب للنكس أعجذب الولد للوالد إلى الوالد للعوجة النافسة دون الوالد الكامل المستقيم وتنجذب الروح إلى الولد الذي هو القلب للجليل عليه من التجاذب والوالد إلى ولده فلهذا ذلك يتخلف عن حقيقة القيام بحق مولاه وفي هذين الأجزاء يظهر حكم السعادة والشقاوة

(١) حديث لبس خاتما فنظر إليه على للنير فرمى به وقال شغلني هذا عنكم الحديث تقدم (٢) حديث احتذى ثعلبين جديدين فأعجبهما حسنها الحديث تقدم (٣) حديث سنان بن سعد حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف أثمار وجلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال «انظروا ما أحسنها وما ألينها قال أقام إليه أعرابي فقال يا رسول الله هيا لي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يخل به قال فدفنوا إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى فلبسها صلى الله عليه وسلم وهي في الحاككة (٤) حديث جابر «قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فلما نظر إليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي ممرارة الدنيا لئيم الأبد فأنزله الله عليه وسوف يعطيك ربك فترضى - (٥) حديث أنبأني لللا الأعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى ويكون سرا من خوف عذابه مؤثما على الناس خيفة وعلى أنفسهم ثقلا يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض وأقصدتهم عند الرعي (٦) حديث كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللابس (٧) وقد أوصى أمته عامة باتباعه إذ قال «من أحبني فليستن بسنني (٨) وقال «عليكم بسنني وسنة الخلفاء الراشدين من بدى عضوا عليها بالواجب (٩) وقال تعالى «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال إن أردت الحق في فياك ومجالسة الأغنياء ولا تزعجى ثوبا حتى ترقيه (١٠) وعد على قيس عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقة بضمها من آدم واشترى على بن أبي طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلعة وقطع فيه من الرصيفين وقال الحمد لله الذى كسانى هذا من ريشه. وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول إن الفقير ليرى في وأنا أصل فأدعه يجوز ويرى واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرة فأقته ولا أدعه يجوز. وقال بعضهم قومت ثوبى سفيان وتلميه بدرهم وأربعة دنانير. وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته. وقال بعض السلف: البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشرك فينظر إليك. وقال أبو سليمان الداراني: الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينة وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه. وقال بعضهم من رقى ثوبا بقرق دينة

وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم مابين العشرين إلى الثلاثين درهما وكان الخواص لا يلبس أكثر من قطعتين قميص ومئزر تحت وربعاً يطفئ ذيل قميصه على رأسه . وقال بعض السلف أول النكاح ترى وفي الخبر « البذانة من الايمان » وفي الخبر « من ترك ثوب جلال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقاً على الله أن يدخر له من عبقري الجنة في تحت الباقوت » وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي ونظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يخطب فقال انظروا إلى أميركم يخطب الناس وعليه ثياب القساق وكان عليه ثياب رفاق وجاء عبد الله بن حامر بن ربيعة إلى أبي ذر في بزة فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضطرب به فغضب ابن عاص فسكاه إلى عمر فقال أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال على كرم الله وجهه إن الله تعالى أخذ على أمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقنقدي بهم الغنى ولا يزرى بالفقير فقره ولما عوف في خشونة لباسه قال هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقنقدي به السلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التتم وقال « إن لله تعالى عباداً ليسوا بالمتتمين (١) » ورؤي فضالة بن عبيد وهو وإلى مصر أحدث حافياً قيل له أنت الأمير وتعمل هكذا قال نهاناً رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإفراء وأمرنا أن نخفي أحيانا (٢) . وقال على لعمر رضى الله عنهما إن أردت أن تلحق بصاحيبك فارقع القميص ونكس الإزار واخشف العنق وكل دون الشيخ وقال عمر اخشعوا وإياكم وزى الصم كسرى وقصر . وقال على كرم الله وجهه من زيا بزي قوم فهو منهم وقال رسول الله ﷺ « إن من شرار أمتي الذين غلوا بالميم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتصدقون في الكلام (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أزره للؤمن إلى أنصاف حاقية ولا جناح عليه فيها بينه وبين السمكين وما أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً (٤) » وقال أبو سليمان الداراني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يلبس الشعر من أمتي إلا مرأه أو أحرق (٥) » وقاله الأوزاعي لباس الصوف في السفرة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتبية بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قيمة مادعاك إلى مدرعة الصوف فسكت فقال أكلك ولا تخميني فقال أكره أن أقول زهداً فأزكي شئاً وأقرا فأشكر ربي وقال أبو سليمان لما أخذ الله إبراهيم خيلاً أوحى إليه أن ولر عورتك من الأرض وكان لا يتخذه من كل شئ إلا واحدا سوى السراويل فإنه كان يتخذ سراويلين فإذا ضل أحدهما لبس الآخر

الترتمى وقال غريب والحاكم وصحبه من حديث عائشة وقد تقدم (١) حديث نهى عن التتم وقال إن لله عباداً ليسوا بالمتتمين أحمد من حديث معاذ وقد تقدم (٢) حديث فضالة بن عبيد نهاناً رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإفراء [١] وأمرنا أن نخفي أحيانا أبو داود بإسناد جيد (٣) حديث إن من شرار أمتي الذين غلوا بالميم الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضيف سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شرار أمتي وقد تقدم (٤) حديث أزره للؤمن إلى أنصاف ساقية الحديث مالك وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد ورواه أيضا النسائي من حديث أبي هريرة قال محمد بن يحيى الذهلي كلا الحديثين محفوظ (٥) حديث أبي سليمان لا يلبس الشعر من أمتي إلا مرأه أو أحرق لم أجده إلا إسناداً .

[١] الإفراء بكسر الهمزة ثم راء ساكنة ثم فاء مقصورة ثم هاء وليست بتاء : التذهين والترجيل كل يوم . وقيل التوسع في العلم والشرع برهانه .

- ذلك تخدير المزور

العلم . - وقد ورد

في أخبار داود عليه

السلام أنه سأل ابنه

سليمان أين موضع العقل

منك قال القلب لأنه

قالب الروح والروح

قالب الحياة . وقال

أبو سعيد القرشي

الروح روحان روح

الحياة وروح المات فاذا

اجتمعا عقل الجسم

وروح المات هي التي إذا

خرجت من الجسد

يصير الحي ميتاً وروح

الحياة ما به يجاري

الأغصان وقوة الأكل

والشرب وغيرهما .

وقال بعضهم : الروح

نسب طيب يكون به

الحياة والنفس ربح

حارة تصحكون منها

الآخر حتى لا يأتي عليه حال الإلحوتة مستورة ، وقيل لسان القارسي رضى الله عنه مالك تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد والتوب الحسن فإذا عتق فله والله ثياب لا تبلى أبدا ، وروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يليهما من الليل إذا قام يمشي ، وقال الحسن لقد فرقت السيخى تحسب أن لك فضلا على الناس بكسائك بلغنى أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية ثقافا . وقال يحيى بن معين : رأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط الحرق من للزابل ويشله ويلفقا ويلبسها قتلته إنك تكسى خيرا من هذا فقال ماضرم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجينة كل مصيبة تجل عني بن معين يحدث بها ويكي [اللهم الثالث] ولكن وللزهد فيه أيضا ثلاث درجات : أعلاها أن لا يطلب موصفا خاصا لنفسه فيقتنع بزوايا الساجد كأصحاب الصفة وأوسطها أن يطلب موصفا خاصا لنفسه مثل كوخ مقيم من سقف أو خض أو ما يعبه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية إما بشراء أو إجارة فإن كان قدر سعة للسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرج هذا القدر عن آخر درجات الزهد فإن طلب التشديد والتحصين والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع قد جاوز بالسكينة حد الزهد في السكن فاختلف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو الطين أو بالأجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مملوكا أو مستأجرا أو مستمرا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا يقضى أن يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آفة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والعرض من للسكن دفع للطر والبرد ودفع الأعين والأذى وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطلب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدرج والتشديد يعني بالتدرج كلف دروز الثياب فاتها كانت تملّ شلا والتشديد هو البنيان بالجص والأجر وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد (١) وقد جاء في الخبر : « يأتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما يوشون البرود الجماني » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يهدم عليه كان قد أعلاها (٢) « و أمر عليه السلام بجنبلة معلقة فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجهه صلى الله عليه وسلم فأخبر فذهب فهدمها فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فأخبر بأنه هدمها فدعا له غير (٣) « وقال الحسن « مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة (٤) »

(١) حديث كانت الثياب تملّ شلا وكالوا يبنون بالسعف والجريد أماهل الثياب من غير كف فروى الطبراني والحاكم أن عمر قطع ما فضل عن الأسابع من غير كف وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما البناء في الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة فسقوا النخل قبله للسجد وجعلوا عضدياته الحجارة الحديث ولهما من حديث أبي سعيد كان للسجد على عريش فوق كف للسجد (٢) حديث أمر العباس أن يهدم عليه له كان قد أعلاها الطبراني من رواه أنس السالية أن العباس بنى غرفة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أهدمها الحديث وهو منقطع (٣) حديث من بجنبلة معلقة فقال لمن هذه ؟ فقالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه الحديث أبو داود من حديث أنس باستناد جيد بلطف فرأى قبة مشرفة الحديث والجنبلة القبة (٤) حديث الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة الحديث ابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية هكذا مرسل الطبراني في الأوسط من حديث عائشة من سأل عن أسرها أن ينظر إلى فلينظر إلى أشعث شاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث وإسناده ضعيف .

الحركات للدمومة والشهوات ويقال فلان حار الرأس وفي الفصل الذي ذكرناه يقع التنبيه بمسألة النفس وإشارة للشايع بمسألة النفس إلى ما يظهر من آثارها من الفضائل للدمومة والأخلاق للدمومة وهي التي تعالج بحسن الرياضة وإزالتها وتبسيطها والفضائل الرديئة زال والأخلاق الرديئة تبدل . أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن إسماعيل القزويني قال أنا إجازة أبو سعيد محمد بن أبي العباس الحلبي قال أنا القاضي محمد بن سعيد الفرخزادى قال أنا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده شرا أهلك ماله في الماء والطين» (١) وقال عبده ابن عمر «مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خسا فقال ما هذا قلنا نحن نلصقه وهو قال أرى الأمر أعجل من ذلك» (٢) واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب قيل له لو بنيت قال هذا كثير لمن يموت ، وقال الحسن دخلنا على صفوان بن عبيز وهو في بيت من قصب فقال عليه قبح له لو أخلصته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من بنى فوق ما يكتفيه كلف أن يحمله يوم القيامة» (٣) وفي الخبر «كل ثقة للبد يؤجر عليها إلا ما ثقته في الماء والطين» (٤) وفي قوله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - إنه الرياسة والتطاول في البنيان . وقال صلى الله عليه وسلم «كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكنن من حر» أورد (٥) وقال صلى الله عليه وسلم لرجل الذي شكاه إليه خنيق منزله «اسمع في السماء» أي في الجنة ، ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام إلى صرح قد بنى بخص وأجر فكير . وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني ببيان همامان لفرعون يعني قول فرعون - فأوقد لي ياهمامان على الطين - يعني به الأجر وقال إن فرعون هو أول من بنى له بالجص والأجر وأول من عمله همامان ثم تبهما الجيابرة وهذا هو الخرف وراى بعض السلف جامعا في بعض الأمصار فقال أدر كنه هذا للسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيت مبنيا من رصاص ثم رأيت الآن مبنيا بالطين فكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرصاص وكان أصحاب الرصاص خيرا من أصحاب اللبن وكان في السلف من يبني دار ممرار في مدة عمره لفنص بناه وقصر له وزهده في إحكام البنيان وكان منهم من إذا حج أو غزاه خرج يته أو وجهه لجيرانه فارجع أعاده وكانت يوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن يبيلد اللبن وكان ارتفاع بناء السقف قائم وبسطه . قال الحسن كنت إذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت يدي إلى السقف ، وقال عمرو ابن دينار إذا دخل العبد البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك إلى ابن يا فسق القاسقين ، وقد نسي سفيان عن النظر إلى بناء مشيد وقال لو أنظر الناس لما شيدوا فأنظر إليه معين عليه . وقال التفسير لئن لا أحبب من بني تروك ولكني أحبب من نظر إليه ولم يتبر . وقال ابن مسعود رضي الله عنه يأتي قوم يرفضون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون إلى قبلتك ويموتون على غير دينكم . [اللهم الرابع] أنشأت البيت ولزهد فيه ابتادرجات أعلاها حال عيسى المسيح صوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطفي إذا كان لا يصحبه إلا مشط وكوز فرأى إنسانا يمشط لحيت بأصابعه فرمى بالمشط

(١) حديث إذا أراد الله بعبده شرا أهلك ماله في الماء والطين أبو داود من حديث عائشة بأسناد جيد خضره في الطين واللبن حتى يبني (٢) حديث عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خسا لنا قد وهي الحديث أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه (٣) حديث من بنى فوق ما يكتفيه كلف يوم القيامة أن يحمله الطيراني من حديث ابن مسعود بأسناد فيه لبن واقطاع (٤) حديث كل ثقة للبد يؤجر عليها إلا ما ثقته في الماء والطين ابن ماجه من حديث خباب بن الارت بأسناد جيد بلفظ إلا في التراب أو قال في البناء (٥) حديث كل بناء وبال على صاحبه إلا ما أكنن من حر أورد أبو داود من حديث أنس بأسناد جيد بلفظ إلا ما أكنن من حر . (٦) حديث قال لرجل الذي شكاه إليه خنيق منزله اسمع في السماء قال المصنف أي في الجنة أبو داود في المراسيل من رواية اليسع بن المغيرة قال شكاه خالد بن الوليد فذكره وقد وصله الطبراني قاله عن اليسع بن المغيرة عن أبيه عن خالد بن الوليد إلا أنه قال أرفع إلى السماء وأسأل الله السلامة وفي إسناده لين .

أبو اسحق أحمد بن محمد
ابن إبراهيم قال أنا
الحسين بن محمد بن
عبد الله السفياني
قال حدثنا محمد
ابن الحسن البجلي
قال حدثنا أحمد بن
عبد الله بن يزيد
القبلي قال حدثنا
صفوان بن صالح قال
حدثنا الوليد بن مسلم
عن ابن أبي عمير عن
خالد بن يزيد عن
سعيد بن أبي هلال
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان إذا قرأ
هذه الآية - قد أفلح
من زكاه - وقف ثم
قال : اللهم آت خسي
تسواها أنت ولها
ومولاه وزكاه أنت
خير من زكاه ، وقيل

ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز وهذا حكم كل أثاث فانه بما يراد مسود فاذ استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخرف في كل ما يمكن فيه الخرف ولا يبالى بأن يكون مكسور الطرف إذا كان القصود يحصل به وأوسطهم أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالدلى معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ الاتع فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف وأعلاهما أن يكون له بعد ذلك حاجة آلة من الجنس النازل الحسيس فان زاد في المدد أوفى فاسما الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن إلى طاب الفضول ولينظر إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فقد قالت عائشة رضى الله عنها : كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الله على الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من آدم حشوها ليف ^(١) . وقال الفضيل ما كان فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الإعباء مثنىة ووسادة من آدم حشوها ليف ، وروى وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشرط مجلس فرأى أثر الشرط في جنبه عليه السلام فسلمت عن عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما الذى أبكاك يا ابن الخطاب قال ذكرت كسرى وقبصر وماها فيه من الملك وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير مرمول بشرط فقال صلى الله عليه وسلم أمارضى يا عمر أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ^(٢) . ودخل رجل على أبى ذر ففعل قلب بصره في بيته فقال يا أباذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأثاث فقال إن لنا ميتا نوجه إليه صالح متاعنا فقال إنه لا بد لك من متاع مادمت هنا فقال إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه ، ولما قام عمر بن سعيد أمير حمص على عمر رضى الله عنه قال له ما معك من الدنيا فقال لمى عصاى أتوكأ عليها وأقبل بها حية إن قلبتها ومعى جراب أحمل فيه طعامى ومعى قصعة أكل فيها وأفضل فيها رأسى وثوبى ومعى مطهرق أحمل فيها ثيابى وطهورى للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو بيع لى ما معى فقال عمر صدقت رحمك الله ووقعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضى الله عنها فرأى على باب منزلها سترا وفى يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبوراغ وهى تبكى فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أبوراغ فقال من أجل السر والسوارين فأرسلت بهما بلالا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد صدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبهما وادعهما إلى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وصدق بهما عليهم فدخل عليها ^(٣) فقال بأبى أنت قد أحسنت ^(٤) .

النفس لطيفة مودعة في القالب منها الأخلاق والصفات للدمومة كما أن الروح لطيفة مودعة في القلب منها الأخلاق والصفات المودعة كما أن العين محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم والتم محل البوق وهكذا النفس محل الأوصاف للدمومة والروح محل الأوصاف المودعة وجميع أخلاق النفس وصفاتها من أصلين أحدهما الطيب والثاني الشر وطبيها من جبلها وشرها من حرصها وشبهت النفس في طبيها بكرة مستديرة على مكان أملس

(١) حديث عائشة كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من آدم حشوها ليف أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه (٢) حديث ما كان فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الإعباء مثنىة ووسادة من آدم حشوها ليف الترمذى في الشامل من حديث حفصة بقصة الباءة وقد تقدم ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه (٣) حديث دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشرط النخل فجلس فرأى أثر الشرط في جنبه الحديث متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٤) حديث قدم من سفره فدخل على فاطمة فرأى على منزلها سترا وفى يديها قلبين من فضة فرجع الحديث لم أره مجموعا ولأبى داود وابن ماجه من حديث مغيرة بإسناد جيد أنه صلى الله عليه وسلم جاء فوضع يديه على عضايد الباب فرأى الترام قد ضرب في ناحية البيت فرجع فقالت فاطمة لعل انظر فأرجعه الحديث والنسائي من حديث ثوبان بإسناد جيد قال جاءت ابنة هيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفى يديها تخمين ذهب الحديث

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة سترًا فتهتكه وقال «كفار أتيدون أن تزلزلوا الدنيا أرسلني به إلى آل فلان» (١) وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فإزالا يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعدي العبادة الحلقة ونحى هذا الفراش عنى قد أسهرنى الليلة (٢) وكذلك أتته دنائير خمسة وأسته لبا فيبيتها ففسر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضى الله عنها فإني حينئذ حتى صمت غطيته ثم قال «ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهله عنده» (٣) وقال الحسن أدركت سبعين من الأخيار مالا أحدم إلا ثوبه وما وضع أحدم بينه وبين الأرض ثوبا قط كان إذا أراد النوم يامر الأرض بحمسه وجعل ثوبه فوقه [اللهم الخامس] لتسكع وقد قال فائقون لا معنى للزهد في أصل التسكع ولا في كثرة تواليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد جيب إلى سيد الزهاد بن النساء فكيف زهد فيه؟ وواقعته على هذا القول ابن عيينة وقال كان أزهد الصحابة على بن أبي طالب رضى الله عنه وكان له أربع نسوة يضع عشرة سرية والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله إلا قال كل ما شغلك عن الله من أهل و مال و ولد فهو عليك مشغول والمرأة قد تكون شاغلا عن الله وكشف الحق فيه أنه قد تكون العزوبة أفضل في بعض الأحوال كسبقي في كتاب التسكع فيكون ترك التسكع من الزهد وحيث يكون التسكع أفضل دفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وإن لم يكن عليه غنى تركه ولا ضاره ولكن ترك التسكع احترازا من ميل القلب إلىهن والأنس بهن بحيث يشغل عن ذكر الله ترك ذلك من الزهد فإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر وللشاجة واللواقة فليس هذا من الزهد أصلا فإن الولد مقصود بقاء نسله وتكثير أمة محمد ﷺ من القربات واللذة التي تلحق بالإنسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تقرر إلا لم تكن هي القصد والطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب لبناء احترازا من لذة الأكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لأن في ترك ذلك فوات بدنه فكذلك في ترك التسكع انقطاع وفيه أنه وجد في يد فاطمة سلسلة من ذهب وفيه يقول الناس فاطمة بنت محمد في يدها سلسلة من نار وأنه خرج ولم يقصد فأمرت بالسلسلة فيمت فاشترت بشمها عبدا فأعتقه فلما سمع قال الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار (١) حديث رأى على باب عائشة سترًا فتهتكه الحديث الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها (٢) حديث فرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وفيه كان ينام على عباءة مثنية الحديث ابن حبان في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديثها قالت دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراشا رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فانطلقت فبشت إلى بفراش حشوه صوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الحديث وفيه أنه أمرها برده ثلاث مرات فردته وفيه جهاد بن معبد يخلف فيه والمعروف حديث حفصة التقدم ذكره من الثمال (٣) حديث أتته دنائير خمسة أو ستة عشاء فيبيتها ففسر ليله الحبث وفيه ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهله عنده أحمد من حديث عائشة باسناد حسن أنه قال في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما ضلت بالذهب فجاء ما بين الحجة إلى الثمانية إلى التسعة فبصل يلقها بيده ويقول ما ظن محمد الحديث وزاد أمتهما وفي رواية سبعة أو تسعة دنائير وله من حديث أم سلمة باسناد صحيح دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شام [١] الوجه قالت لحبت ذلك من وجع قلت يا بني الله مالك شام الوجه فقال من أجل الدنائير السبعة التي أعتنا أسن أسينا وهي في خصم القراش وفي رواية أسينا ولم تتفقها .

موصوب لا تزال متحركة
بجملتها ووضعها وشبهت
في حرصها بالفراش
الذي يلقى نفسه على
منوه الصباح ولا يتنع
بالضوء اليسير دون
المعجود على جرم الضوء
الذي فيه هلاكه فمن
الطيش توجد المجلة
وقلة الصبر والصبر
جهر العقل والطيش
صفة النفس وهواها
وروحها لا يظليه إلا
الصبر إذ العقل يجمع
المعوى ومن الشر
يظهر الطمع والحرص
وهما اللذان يظهران في
آدم حيث طمع في
الخلود غرص على أكل
الشجرة وسمات النفس
لها أصول من أصل
تكونها لأنها مخلوقة

[١] شام بالمعجمة متغير يقال غمهم تغير عن حاله لما روى أنه .

نفسه فلا يجوز أن يترك التسكح زهدا في لدته من غير خوف آفة أخرى وهذا اعتناء سهل لا محالة
ولأجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا ثبت هذا فمن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنه لا يشغله
كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بأصلاجهن^(١) والاتفاق عليهن^(٢) فلامن الزهد فبين حذر من مجرد دلالة
الواقع والنظر ولكن أتى بتصوّر ذلك تغير الأنبياء والأولياء فأكثر الناس يشغلهم كثرة النساء
فيبنى أن يترك الأصل إن كان يشغله وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهن أو جمال
الرائة فلنكح واحدة غير جميلة وليراى قلبه في ذلك قال أبو سليمان : الزهد في النساء أن يخاف المرأة البدون
أولى اليقظة على الرأى الجميلة والشرعة . وقال الجنيّد رحمه الله أحب للمرء البتدى أن لا يشغل قلبه بثلاث
والأخير حاله : التسكب وطلب الحديث والزّوج وقال أحب للمصطفى أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع
لهم فاذا ظهر أن دلالة التسكح كلذة الأكل لما شغل عن الله فهو عذور فيها جمعا [اللهم السادس]
ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة ، وهو السالك والجاه : أمّا الجاه فنهض ملك القلوب بطلب عمل فيها ليتوصل
به إلى الاستماتة في الأغراض والأعمال وكل من لا يندرج على القيام بنفسه في جميع حاجاته واقتصر إلى
من يخدمه اقتصر إلى جاهد له محالة في قلب خادمه لأنه إن لم يكن له عنده عمل وقدر لم يتم بخدمته وقيام
القدر والحمل في القلوب هو الجاه وهذا أول قريب ولكن يتشدد به إلى هاوية لا عمق لها ومن حارم
حول الحمى يوشك أن يقع فيه وإنما يحتاج إلى الحمل في القلوب إما لطلب نفع أو لدفع ضرر أو خلاص
من ظلم فأما النفع فينتج عنه السالك فان من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده للمستأجر قدر وإنما
يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجرة وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكل
فيه الصل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم إلا بعمل له في قلوبهم أو عمل له
عند السلطان وقدّر الحاجة فيه لا يضبط لاسيا إذا انضم إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والحائض
في طلب الجاه سالك طريق الملاك بل حق الزاهد أن لا يسعى لطلب الحمل في القلوب أصلا فان اشتغاله
بالدين والعبادة يمهله من الحمل في القلوب ما يدفع به عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين
المسلمين فأما التوهمات والتقدير التي تخرج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام
كاذبة إذ من طلب الجاه أيضا يخل عن أدى في بعض الأحوال فصلاح ذلك بالأحوال والصبر أولى من
علاجه بطلب الجاه ، فاذن طلب الحمل في القلوب لا يرضى فيه أصلا واليسير منه داع إلى التكبر وضروته
أشد من ضرر أوجع فلا يحرز من قلبه وكثيره . وأمّا اللبالب فهو ضروري في العيشة أغنى القليل منه
فان كان كسوبا فلذا كتبت حاجة يومه فيبنى أن يترك الكسب كان بعضهم إذا اكتسب حبتين
رفع سقطا وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك إلى ما يكتفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد منقضاء
الزهد وأقربا بهم جميعا وإن كانت له منية ولم يكن له قوة يقين في التوكل فأمسك منها مقدار ما يكفي
رمة لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما فضل عن كفايته سنته
ولكن يكون من صفات الزهد فان شرط التوكل في الزهد كشرطه أوبس القربى رحمه الله فلا يكون هذا
من الزهد وقولنا إنه خرج من حد الزهد نفي به أن ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من القامات
المجموعة لا ينالها إلا قسم الزهد فلا يشاركه بالانضافة إلى ما زهد فيه من النضول والكثرة وأمر للفرد في
جميع ذلك أخفى من أمر الليل وقد قال أبو سليمان لا يبنى أن يرق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه
فان أجابوا وإلا تركهم وفضل نفسه بإنشاء معناه أن التضييق للشرط على الزاهد نفسه ولا يلزمه كل
ذلك في عياله ، نعم لا يبنى أن يجيهم أيضا فخرج عن حد الاعتدال وليتلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
(١) حديث كان لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بأصلاجهن والاتفاق عليهن تقدم في التسكح .

من تراب ولها بحميه
وصف وقيل وصف
الضعف في الآدمي من
التراب ووصف البخل
فيه من الطين ووصف
الشهوة فيه من الجاه
السنون ووصف الجبل
فيه من الصلصال
وقيل قوله كالنخار فهذا
الوصف فيه شيء من
الشيطة لدخول النار
في القفار فمن ذلك
الحداق والحيل والحمد
فمن عرف أصول
النفس وجبلاتها عرف
أن لا قدرة له عليها
إلا بالاستماتة يارثها
وقاطرها فلا يتحقق
البعد بالإنسانية
إلا بعد أن يدبر
دواوى الحيوانية فيه
بالصلم والصلد وهو

إذ انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقلبين لأن ذلك من الزينة لامن الحاجة ، فاذا ما مضى الانسان إليه من جاه ومال ليس بمحذور ، بل الزائد على الحاجة سم قاتل وللتقصير على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة ، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سبباً قاتلاً فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواء نافعا لكنه قليل الضرر والدم محذور شرهه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشبه أمره فمن احتاط قائماً احتاط لنفسه ومن تساهل قائماً يتساهل على نفسه ، ومن استبرأ لدينه وترك ما يريه إلى ما يريه وردت نفسه إلى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم ، وهو من القرقة الناجية لاهلاكه ، وللتقصير على قدر الضرورة ولهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشروط من جملة للشروط ، وبدل عليه ما روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه عثماً فلم يقرضه فرجع مهموماً فأوحى الله تعالى إلى الملائكة خليك لأعطاك فقال يارب عرفت متتك لدينا غفنت أن أسألك منها عثماً فأوحى الله تعالى إليه ليس الحاجة من الدنيا ، فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضاً كذلك يعرفه من غير أحوال الأغنياء وما عليهم من الهمة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال البذل فيه ، وفاية سعادته به أن يسل لورثته فياً كلوته ، وربما يكونون أعداء له وقد يستعينون به على العصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حياث ثم يروم الخروج فلا يجد غلماً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فبذلك كل من اتبع شهوات الدنيا قائماً يحكم على قلبه بسلاسل قيده بما يشتهي حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده للمال والجاه والأهل والولد وشبهة الأعداء وصرا آة الأبدقاء وسائر حظوظ الدنيا ، فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه قصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولوترك محبوباً من محابه بأختياره كاد أن يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك اللوت بينه وبين جميعا دفعة واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاته وخلفها فهي تجاذبه إلى الدنيا ويغالب ملك اللوت قد علت عزوق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند اللوت أن يكون كشخص ينشر بالبنار وفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين ، والذي ينشر بالبنار إنما ينزل للؤلؤ يده ويؤلم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره لما ظنك بأنك تتسكن أولاً من صميم القلب خصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حيرة فوت النزول في أمي عليين وجوار رب الصالحين ، فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم ، إلا النار غير مسلطة إلا على محبوب . قال الله تعالى - كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، ثم إنهم لبالأرجاس - فرب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب كاف من غير علالة النار فكيف إذا أضيفت العلالة إليه ، فسنأل الله تعالى أن يقرر في أسباعتنا ما نحن في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له أحب من أحببت فانك مفارقة (١) وفي معنى ما ذكرناه من التلذذ قول الشاعر :

رعاية طرق الأفراط
والنفريط ثم بذلك
تقوى إنسانيته
ومعناه ويدرك صفات
الشيطة فهو الأخلاق
للمسومة وكما
إنسانيته ويتغاضاه
أن لا يرضى لنفسه
بذلك ثم تكشف له
الأخلاق التي تازع
بها الروبوية من
الكبر والغرور ورؤية
النفس والسبب وغير
ذلك فيرى أن صرف
البسودية في ترك
النازعة الروبوية
والله تعالى ذكر النفس
في كلامه القديم
بمسألة أوصاف :
بالطائنية قال
- يا أيها النفس
الطائنة وسها الوامة

مكدود كدود القز ينسج دائماً وبذلك عما وسط ماهو ناسجه

ولما انكشف لأولياء الله تعالى أن المبدى هلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكيفية حتى قال الحسن: رأيت سبعين بديراً كانوا فيما أحل الله لهم أزهدهم منكم فيما حرم الله عليكم . وفي لفظ آخر: كانوا بالبلاء أشد فرحاً منكم بالحسب والرخاء لو رأيتموهم قتلهم جانيب ، ولورأوا خياركم قالوا ما هؤلاء من خلقي ، ولورأوا شراركم قالوا ما هؤلاء هؤلاء . وكان أحدهم يمرض له لئلا الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يفسد على فلي ، فمن كان له قلب فهو لاهلته يخاف من فسادهِ والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون - وقال عز وجل - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً - . وقال تعالى - فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلىهم من العلم - فأحال ذلك كله على التفتة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملى معك في سياحتك ، فقال أخرج مالك والحقى . فقال لا أستطيع فقال عيسى عليه السلام يجب يدخل القنى الجنة أو قال بشدة . وقال بعضهم : مامن يوم ذر شارقه إلا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات ملكان بالشرق وملكبان بالمغرب يقول أحدهم بالشرق : يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر أقصر ، ويقول الآخر : اللهم أعط منفقا خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً ويقول اللذان بالمغرب أحدهما لنفوس الموت وابتوا للخراب ، ويقول الآخر كلوا وتمتوا طلول الحساب .

(بيان علامات الزهد)

اعلم أنه قد يظن أن تارك للمال زاهد وليس كذلك فإن ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب للدخ بالزهد فكم من الرهايين من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازموا ديراً لا باب له وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرم إلى إليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطبة بل لا بد من الزهد فى المال وإنهاء جميعاً حتى يكمل الزهد فى جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والثياب الرقيقة كما قال الخواص فى وصف للدين إذ قال: وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من القياس يموهون بذلك على الناس ليهدى إليهم مثل لباسهم فلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى للساكنين ويحتجون لنفسهم باتباع العلم وأنهم على السنة وأن الأشياء داخلة إليهم وهم خارجون منها وإنما يأخذون بملء غيرهم . هذا إذا طولبوا بالحقائق والجوئوا إلى الصائيق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم ينصوا بصفة أسرارهم ولا بتبذير أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فنبهتهم فادعوا جالاً لهم فهم مائلون إلى الدنيا فينبون للهوى . فهذا كله كلام الخواص رحمه الله . فإذن معرفة الزهد أمر مشكل بل حال الزهد على الزهد مشكل وينبى أن يقول فى يابته على ثلاث علامات : العلامة الأولى أن لا يفرح بوجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم بل يفتنى أن يكون بالزهد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقدته . العلامة الثانية أن يستمرى عنده ذامه وما يذم قالوا علامة الزهد فى المال والثانى علامة الزهد فى الجاه . العلامة الثالثة أن يكون الله تعالى والناس على قلبه حلوة الطاعة إذ لا يغفل القلب عن حلوة المحبة إمامية الدنيا وإمامية الله تعالى والقلب على كل ما هو الهواء فى التدح والماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان فأولئك من أنس بالله لا تشغل به ولم يشغل بغيره

قال - لا أنسى يوم
القيامة ولا أنسى
بالنفس الواهمة -
وسها أمانة ، فقال
- إن النفس لأمانة
بالسوء - وهى نفس
واحدة : ولها صفات
متغيرة ، فإذا امتلأ
القلب سكية خلج
على النفس خلج
الطمانينة لأن السكية
مزيد الإيمان وفيها
ارتضاء القلب إلى مقام
الروح لما منح من
حظ اليقين وعند
توجه القلب إلى عمل
الروح تتوجه النفس
إلى عمل القلب ، وفى
ذلك طمانينتها وإلما
انزعجت من مقام
خيالتها ودواعى
طبيعتها منطلعة إلى

ولذلك قيل لبعضهم إلى ماذا أنفد بهم الزهد فقال إلى الأنس بالله . فأما الأنس بالدنيا وبالله فلا
يحيتمن وقد قال أهل المعرفة إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل
لها وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يصل لها ولغدا
ورد في دعاء آدم عليه السلام : اللهم إني أسألك إسماعيليا بشر قلبي . وقال أبو سليمان من شغل نفسه
شغل عن الناس وهذا مقام السامعين ومن شغل ربه شغل عن نفسه وهذا مقام المارقين والزاهد
لا بد وأن يكون في أحد هذين القامحين . ومقامه الأول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى
عنده للنج والهم والوجود والعدم ولا يستبدل بأمره كليل من اللال على قدر زهده أصلا .
قال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت قد بلغني أنه ورث
عن أبيه عشرين ديناراً فأتقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يحسك الدنانير ، فقال أردت
منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فإن الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس . ولا
يتم الزهد إلا بالزهد في جميعها فيك من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى
دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره أن يترك كل ماسوى الله حتى لا يتوسد حجرا كأنفه
للسبح عليه السلام ، ففسأله الله تعالى أن يرزقنا من مبادئ نصيا وإن قل فإن أمثالنا لا تستجري
على الطمع في غايته وإن كان قطع الرجاء عن فضل الله غير مأذون فيه . وإذا لاحظنا عجائب نعم
الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتعاطفه شيء فلا يبعد في أن ننظم السؤال اعتيادا على الجود
المجاوز لكل كمال . فإذا علمت علامات الزهد استواء الفقر والتمني والرز والذل واللبس والهم وذلك لثقلته
الأنس بالله . ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخرى لاعاقة : مثل أن يترك الدنيا ولا يالي من
أخذها . وقيل علامته أن يترك الدنيا كما يترك غيرها فلا يقول أبني رباطا أو أحرر مسجدا . وقال يحيى
ابن معاذ : علامة الزهد البسخاء بالموجود . وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من
الملك . وقال أيضا : الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف . وقال أبو سليمان : السوفاء
من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم . وقال أحمد
ابن حنبل وسفيان رحمهما الله : علامة الزهد قصر الأمل . وقال سري : لا يطيب عيش الزاهد
إذا اشتغل عن نفسه . ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه . وقال الصراباذي : الزاهد
غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة . وقال يحيى بن معاذ : علامة الزهد ثلاث عمل بلا علة
وقول بلا طمع وعزلا بلا رغبة . وقال أيضا الزاهد أنه يسعك الخل والخرول والعارف يشمك اللسك
والعزير وقال له رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأصمعت الزاهدين ، فقال إذا
صرت من رايشتك لنفسك في السرايى حدلوقطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تصف في نفسك . فأد
نما بلغ هذه الدرجة فجعلوك على بساط الزاهدين جعل ثم لا آمن عليك أن تتفخخ . وقال أيضا :
الدنيا كالروس ومن يطلبها ما غطتها والزاهد فيها يسبح وجهها ويتف شعرها ويخرق ثوبها ،
والعارف يشغل بالله تعالى ولا يلتفت إليها . وقال السري ما رست كل شيء من أمر الزهد فقلت منه
ما أريد إلا الزهد في الناس فاني لم أبلغه ولم ألقه . وقال الفضيل رحمه الله جملته الشر كله في بيت
وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخلق كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا . فهذا ما أردنا
أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل فلتشرع في بيانه إن شاء
الله تعالى .

مقار الطمانينة فهي
لواصة لأنها تعود
باللازمة على نفسها
لنظرها وعدوها بعمل
الطمانينة ثم انجذابها
إلى عملها التي كانت
فيه أمانة بالسوء ،
وإذا أقامت في عملها
لا يشاها نور العلم
والمعرفة فهي على
ظلمتها أمانة بالسوء
فالنفس والروح
يتطاردان ، فتارة
يملك القلب دواعي
الروح ، وتارة يملك
دواعي النفس . وأما
السري فقد أثار
القوم إليه ووجدت
في كلام القوم أن
منهم من جعله بعد
القلب وقبل الروح ،
ومنهم من جعله بعد

﴿كتاب التوحيد والتوكل﴾

(وهو الكتاب الخامس من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مدبر الملك وللكوت للتفرد بالهزة والجبروت الرافع السماء بغير حماد للقدر فيها أرزاق
العباد الذي صرف أمين ذرى القلوب والألباب عن ملاحظة الوسائط والأصباب إلى مسبب الأسباب
ورفعهم عن الالتفات إلى ماعده والاعتدال على مديروها فلم يبدوا إلا إياه علما بأنه الواحد القادر
الصمد الإله وتحقيقا بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثاله لا يبتغي عندهم الرزق وأنه ما من ذرة
إلا إلى الله خلقها وبما من دابة إلا على قدر زكاتها فلما تحققوا أنه لرزق عباده ضامن وبه كفيلا توكلوا
عليه فقالوا حسبي الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قانع الأباطيل المهادي إلى سواء السبيل وعلى
آله وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن التوكل منزل من منازل الدين يؤمّن به مقامات اللّوكلين بل هو من معالي درجات
القرّبين وهو في شمه فاض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه خموصه من حيث
الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتدال عليها شرك في التوحيد والتشاغل عنها بالكيفية طعن في السنة
وقدح في التبرع والاعتدال على الأسباب من غير أن ترى أسبابا تتغير في وجه العقل والتماس في
غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غاية
النفوس والسرور ولا يقوى على كشف هذا التطاء مع شدة الخفاء للإمساكة السواء الذين اكتسبوا
من فضل الله تعالى بأثوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نظقوا بالأعراب عما شاهدوه من حيث
استقلوا وبغنى الآن نبداً بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقديم ثم نردفه بالتوحيد في الشطر
الأول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمه في الشطر الثاني .

(بيان فضيلة التوكل)

أما من الآيات فقد قال تعالى - وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - وعلى الله فليتوكل
للتوكلون - وقال تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - وقال سبحانه وتعالى - إن الله يحب للتوكلين -
وأعظم مقام موسوم بحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملاسبه فإن الله تعالى حسبه
وكافيه وحبه ومراعيه قد فاز الفوز العظيم لأن المحبوب لا يندب ولا يبعد ولا يحجب وقال تعالى -
أليس الله بكافي عبده - فطالب الكفاية من غيره والتارك للتوكل هو للكذب لهذه الآية فإنه سؤال
في معرض استنطاق الحق كقوله تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا -
وقال عز وجل - ومن يتوكل على الله فإن الله عز وجل يحكم - أي عز وجل لا يلبس من استجار به ولا يضيع
من لاذ بجهانه والتجأ إلى ذمامه وحماه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى
- إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالك - يعني أن كل ماسوى الله تعالى عبد مسخر حاجته
مثل حاجتك فكيف يتوكل عليه وقال تعالى - إن الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لهم
رزقا فابشروا عند الله الرزق وعبده - وقال عز وجل - ولله خزائن السموات والأرض ولكن لناغنين
لا يشقون وقال عز وجل - يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنك - ما ذكر في القرآن من التوحيد
فهو تبيين على قطع للاحتطة عن الأخيار والتوكل على الواحد القهار - وأما الأخيار : فقد قال

الروح وأعطى منها
وأعانت وقالوا السر
عمل للشاهدة
والروح عمل الحبة .
والقلب حصل المعرفة
والسر الذي وقفت
إشارة القوم إليه غير
مذكور في كتاب
الله وإنما للذكر
في كلام الله الروح
والنفس وتنوع صفاتها
والقلب والقدرة العقل
وحيث لم نجد في كلام
الله تعالى ذكر السر
بالمعنى المشار إليه ورأينا
الاختلاف في القول
فيه وأشار قوم إلى أنه
بدون الروح وقوم إلى
أنه ألقف من الروح
فقول والله أعلم : الذي
عمده سرا ليس هو
شيء مستقل بنفسه

﴿كتاب التوحيد والتوكل﴾

سلى الله عليه وسلم فيها رواه ابن مسعود «أريت الأمم في الوسع فرأيت أمتي قداماً والسهل والجبل فأصغيتي كثرتهم وهبأتهم قبل لي أرذيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب قيل : من هم يا رسول الله؟ قال الذين لا يكتفون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة وقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم» فقام آخر فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم : سبقك بها عكاشة^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تفتحون خاصاً وتروح بطاناً^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «من اضطلع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن اضطلع إلى الدنيا وكلفه الله اليأس^(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوفى منه بما في يده^(٤)» ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة ويقول : بهذا أمرني ربّي وجل قال عز وجل - وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها -^(٥) الآية وقال عليه السلام «لم يتوكل من استرق واكتوى^(٦)» وروى أنه لما قال جبريل لإبراهيم عليهما السلام وقد رمى إلى النار بالنجنيق أنك حاجة قال أمالك فإلقاه بقوله حسي الله ونعم الوكيل إذ قال ذلك حين أخذ ليرمي فأزل الله تعالى - وإبراهيم الذي وفى - وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام بإدراود مامن عيد ينصم في دون خاتمي فكفده السموات والأرض لإجلته له عزجاً . وأما الآثار فقد قال السيد بن جبريل عتق عتق فأنصمت في أمي لتسترقين فتاوت الرائي بدي القم تلغ وقرأ الخواص قوله تعالى - توكل على الله الذي لا يعوت سأل آخرها فقال ما ينبغي للبعد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى . وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك الضموم لك من الرزق عن القروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولاتالمك من الدنيا إلا ما كتب الله لك . وقال يحيى بن معاذ في وجود البعد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب البعد . وقال إبراهيم بن آدم سألت بعض الزهري من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سأل ربّي من أين يطعمني . وقال هرم بن حيان لأويس القرني أين تأمرني أن أكون فأوماً إلى الشام قال هرم كيف العيشة قال أويس أف

(١) حديث ابن مسعود أريت الأمم في الوسع فرأيت أمتي قداماً والسهل والجبل الحديث رواه ابن منيع باسناد حسن واتفق عليه الشيوخ من حديث ابن عباس (٢) حديث لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير الحديث الترمذي والحاكم وصححه من حديث عمرو وقد تقدم (٣) حديث من اضطلع إلى الله كفاه الله كل مؤنة الحديث الطبراني في الصغير وابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب من رواية الحسن بن عمران بن حصين ولم يسمع منه وفيه إبراهيم بن الألبان تكلم فيه أبو حاتم (٤) حديث من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوفى منه بما في يده الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٥) حديث كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة ويقول بهذا أمرني ربّي قال تعالى - وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها - الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية ومحمد بن حمزة عن يوسف بن عبد الله بن سلام إنما ذكروا له روايته عن أبيه عن جده فيعدها من جد أبيه (٦) حديث لم يتوكل من استرق واكتوى الترمذي وحسنه والنسائي في الكبير والطبراني واللفظ له إلا أنه قال أو من حديث الثوري عن شعبة وقال الترمذي من اكتوى أو استرق قد برى من التوكل وقال النسائي ما توكل من اكتوى أو استرق .

له وجود وذات كالروح والنفس وإنما لما صفت النفس وتزكت انطلق الروح من وثاق ظلمة النفس فأخذ في المروج إلى أوطان القرب وانفتح القلب عند ذلك عن مستقره متطعاً إلى الروح فاكسب وصفاً زائداً على وصفه قائم به على الواحد من ذلك الوصف حيث رآه أصح من القلب فسموه سرا ولما صار القلب وصف زائد على وصفه بتطلعه إلى الروح اكتسب الروح وصفاً زائداً على عروجه وانجم على الواحد من فسموه سرا والذي زعموا أنه اللطيف من الروح روح

لهذه القلوب قد خالطها الشك لما تنفصم الوعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكلياً وجدت إلى كل خير سبيلاً ، نسأل الله تعالى حسن الأدب .

(بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل)

اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا يتعلم إلا بسل وحال وعمل والتوكل كذلك ينظم من علم هو الأصل وعمل هو الثمرة وحال هو للراد باسم التوكل . فليبدأ ببيان العلم الذي هو الأصل وهو للسمي إيماناً في أصل الإنسان إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم وإذا قوى ممي قيناً ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك : لا إله إلا الله وحده لا شريك له والإيمان بالقدره التي يترجم عنها قولك : له الملك والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك : وله الجود فن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ثم له الإيمان الذي هو أصل التوكل أعني أن يصير معنى هذا القول وصفاً لازماً لقلبه غالباً عليه فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه يطول وهو من علم الكاشفة ولكن بعض علوم للكشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأخوال والولاية علم للعامة إلا بها قد نزلت عن الإله الذي يتعلق بالمعاني والأفان التوحيد هو البحر الحضم الذي لا ساحل له فنقول : فالتوحيد أربع مراتب وينقسم إلى لب وإلى لب القلب وإلى قشر والقشر وتلك تفرق إلى الأقسام الضعيفة بالجور في قشره الملبان لا تفرق بينه وبين لب القلب وهو لب القلب التي الأولى من التوحيد هي أن يقول الإنسان بلسانه لا إله إلا الله وقلبه غافل عنه أو منكره لا كتحولاً للتأخير والثانية أن يصدق بمعنى النطق قلبه كأصدق به موم للسليين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف وبواسطة نور الحق وهو مقام للتربين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى في الوجود إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين وتسمية الصوفية القناعة في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضاً وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقاً بالتوحيد كان قناعتين نفسه في توحيد معنى أنه غنى عن رؤية نفسه والخلق فالأول موحد بمجرد اللسان ويصمم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى أنه يعتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انتقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح واتساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تخفف بالمعاصي عقده ولهذا القدر جيل تصدبها للضعف وتحيله تسمى بدعة وله جيل تصدبها دفع حيلة التحليل والتضييف وتصدبها أيضاً أحكام هذه العقدة وعدها على القلب وتسمى كلاماً والعارف به يسمى متكلماً وهو في مقابلة للبتنع ومقصده دفع للبتنع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص للتكلم باسم للوحد من حيث إنه يحصى بكلام مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تتحلل عقدة والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا واحداً واحد إذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلاً بالحقيقة إلا واحداً وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه لأنه كلف قلبه أن يقدر على مفهوم لفظ الحقيقة فإن تلك رؤية العوام والتكلمين إذ لم يخافوا للتكلم المعاصي في الاعتقاد بل في صحة تلقى السلام الذي به جيل للبتنع عن تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكلام من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد وهذه هي القناعة القصوى في التوحيد ، فالأول كالقشرة العليا من الجوز ، والثاني كالقشرة السفلى ، والثالث كالب ، والرابع كاللحم للستر من الب وكما أنه القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل إن أكل فهو مر للذائق وإن نظر إلى باطنه فهو كره للنظر وإن أخذ

منصفه بوصف أخص
معاهده والذي صوره
قبل الروح برهوا قلب
انصف بوصف زائد
غير ما عهدوه وفي مثل
هذا الترقى من الروح
والقلب ترقى النفس
للى عمل القلب وتتخضع
من وصفه فتصير قسا
مطمئنة تردد كثيرا
من ممدات القلب من
قبل لأصار القلب يريد
ما يريد مولاه متبرئاً
عن الحسول والقوة
والارادة والاختيار
وعندها غلق طم
صريف البوذية حيث
صار حراً عن إرادته
واختياره وأما العقل
فهو لسان الروح
وترجمان البصيرة
والبصيرة للروح يتنابة

حطبا أطقاً النار وأكثرت الدخان وإن تركت البيت ضيق المكان فلا يصلح إلا أن تترك مدة على الجوز
الصون ثم يرمى به عنه فكذاك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر
مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدته حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة السفلى هي
القلب والبدن وتوحيد للتناقض يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف
إنما يصيب جسم البدن وهو القشرة وإعما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكان أن
القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة إلى القشرة العليا فانها تصون القلب وتحرسه عن الفساد عند
الادخار وإذا فصلت أمكن أن يتنفع بها حطاب الكفا نازلة القدر بالاضافة إلى القلب وكذلك مجرد الاعتقاد
من غير كشف كثير النفع بالاضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة إلى الكشف والشاهدة
التي تحصل بانفراج الصدر وانفساحه وإشراق نور الحق فيه إذ ذاك الشرح هو للراد بقوة تعالى
- فمن يد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وجوه عز وجل - أفن شرح الله صدره للإسلام
فهو على نور من ربه - وكان القلب شمس في نفسه بالاضافة إلى القشرة وكله للقصد ولكنه لا يغلو عن
شوب عسارة بالاضافة إلى الدهن المستخرج منه فكذاك توحيد القلب مقصد حال لئلا يكن لكنه
لا يغلو عن شوب ملاحظة الغير والانتفات إلى السكثرة بالاضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق.
فان قلت كيف يصور أن لا يشاهد إلا واحدا هو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي
كثيرة فكيف يكون الكثير واحداً فاعلم أن هذه غاية علوم الكشافات وأسرار هذا العلم لا يجوز
أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون إفشاء سر الربوبية كثرتم هو غير متعلق بمل العامة لم ذكر
ما يكسر سورة استبعادك تمكن وهو أن الشيء قد يكون كثيراً بنوع مشاهدة واعتبار ويكون
واحداً بنوع آخر من الشاهدة والاعتبار وهذا كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده
وأطرافه وعروقه وعظامه وأشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ قول إن إنسان واحد
فهو بالاضافة إلى الإنسانية واحداً ومن عتصن بشاهد إنساناً ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه
وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما أنه في حالة الاستراق والاستتار به مستغرق
بواحد ليس فيه غريب وكأنه في عين الجمع وللنبت إلى السكثرة في صفة فكذاك حال كل الوجود من
الحائقي والحقوقي له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد
واعتبارات أخرى سواء كثير وبضها أحد كثره من بعض ومثاله الإنسان وإن كان لا يطابق الفرض
ولكنه ينه في الجملة على كيفية مصير السكثرة في حكم الشاهدة واحداً ويستبين بهذا الكلام ترك
الانكار والجحود لمقام لم يلقه وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا
التوحيد نصيب وإن لم يكن ما أنت به متفك كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبياً كان لك
نصيب منه بقدر قوة إيمانك وهذه للشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة وتوابعه تارة قطباً كالبرق
الحافظ وهو الأكره والوام تادع عز زو إلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حين شراى الخواص
بدور في الأسفار قال فإذا أنت قال أدور في الأسفار لأصبح حائقي في التوكل وقد كان من للتوكلين
قال الحسين قد أختيت عمرك في عمران باطنك فأين الفتاة في التوحيد فكان الخواص كان في تصحيح
للقام الثالث في التوحيد تطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات اللوحدين في التوحيد على ميل الأجمال -
فان قلت فلا بد لهذا من شرح بتقدير ما يفهم كيفية إبتناء التوكل عليه - فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض
في بانه وليس التوكل أيضاً مبني عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث وأما الأول وهو التناقض
فانضم وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل

القلب والفعل بمثابة
الإنسان. وقد ورد في
الحبر عن رسول الله
ﷺ قال « أول ما خلق
الله الفل قال له أقبل
فأقبل ثم قال له أدبر
فأدبر ثم قال له انقلب
فانقلب ثم قال له انطق
فانطق ثم قال له اصمت
فصمت قال وعزني
وجلالتي وعظمي
وكبريائي وسلطاني
وجبروتي ما خلقت
خلقاً أحب إليّ منك
ولا أكرم عليّ منك
بك أعرف وبك أطاع
وبك آخذ وبك أعطي
ولك الثواب وعليك
العقاب وما أكرمك

للبتعة فيمنذ كور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر لهم منه . وأما الثالث : فهو الذي ينسب على التوكل إذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط بالتوكل به دون تخصيصه الذي لا يمتعه أمثال هذا الكتاب . وحاصله أن ينكشف لك أن لا تفاعل إلا لله تعالى وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وقدر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالله بآدباعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجائك وبه تحتك وعليه استكالك فانه التفاعل على الأفراد دون غيره ومساويه مسخرون لاستقلالهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض وإذا اقتضت لك أبواب الكشف الضحك لك هذا اقتضاها آتم من المشاهدة بالبرص وإنما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام ينسب به أن يترك إلى قلبك شائبة الشرك بسببين : أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات . والثاني الالتفات إلى الجادات أما الالتفات إلى الجادات فكأنك تدرك على الطرفي خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى النسيم في نزول الطرود على البرد في أجتماع النسيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بمقائق الأمور ، ولذلك قال تعالى - فاذا ركبوا في السفك دعوا الله عظمين له الذين قلنا نجما إلى البر الذي هم يشركون - قيل مناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والحواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا يحركه ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالنفاث البديني النجاة إلى الريح يضاهي النفاث من أخذ لتحز رقبته فكسب الملك توقيا بالموعة وتخليته فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكافد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما خلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لا يحركه في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت إليه ولم يشكر إلا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وهسكر للالك والكاتب من أن يخطريه القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والطرود والقلم والأرض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كمنسجبر القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقه لاعتقاده أن للالك الوقع هو الكاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب قوته تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - فاذا انكشف لك أن جميع ماني السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وإس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فأتاك في الهلكة الثانية وهي الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الأفعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الإنسان يسطيك وزرك باختياره فان شاء أعطاك وإن شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي همز رقتك بسيفه وهو قادر عليك إن شاء حز رقتك وإن شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول أيضا : ثم إن كنت لا ترى القلم لأنه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المنسخره وعند هذا زل أقدم الأكرين إلا عباد الله الخاضعين الذين لا سلطان عليهم الشيطان الاعين فنشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضغفاء كون القلم مسخرا وعرفوا أن غلط الضغفاء في ذلك كغلط الخلق مثلا لو كانت تدب على الكاغذ تترى رأس القلم يسود الكاغذ ولم يمتد بصرها إلى اليد والأصابع فضلا عن صاحب اليد فتلطت وظنت أن القلم هو السواد لبياض وذلك تصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لتفريق حقيقته فكذلك من لم يشرح بنور الله تعالى صدره للإسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والأرض ومشاهدة كونه ظاهرا وراء الكل قوت في الطريق

شيء أفضل من الصبر » وقال عليه السلام « لا يسجكم إسلام رجل حتى تعلموا ما عنده عقله » وروى ثمة عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم قالت قلت « يا رسول الله بأي شيء ينشغلون الناس ؟ قال بالقل في الدنيا والآخرة قالت قلت الذي يهزى الناس بأمرهم ؟ قال يا عائشة رجل يعمل بطاعة الله إلا من قد عقل فيقدر عقولهم يصمون وعلى قدر ما يسمعون يبرزون » وقال عليه السلام « إن الرجل لينطلق إلى المسجد فيسلي وصلاته

على الكاتب وهو جهل محض بل أرباب القلوب والشاهدات قد أنطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرته التي بها نطق كل شيء حتى جمعوا تقديرها وتسيبها لتعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلك تتكلم بالأحرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم من السمع معزولون ولست أعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الأصوات فإن الحمار شريك في قول لا قدر لما يشار فيه إليهم وإنما أريد به محض يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي . فإن قلت فهذا مجبوع لا يقبلها العقل فصف لي كيفية لفظها وأنها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف صحبت وقد ست وكيف شهدت على نفسها بالعجز . فاعلم أن لكل ذرة في السموات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر وله ينتهي فاتها كانت تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر - الآية ثم إنها تتأجج بأسرار الملك واللكوت وإفشاء السرور ثم يدور الأحرار قور الأسرار وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد نوحى غناياه فتأدى به سره ملا من الخلق ولو اجاز إفشاء كل سر لنا لما قال صل الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (١) بل كان يذكر ذلك لهم حتى يكون ولاضحكون . ولما انتهى عن إفشاء السر (٢) ولما قال «إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا» (٣) ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الأسرار (٤) . فاذن عن حكايات مناجاة ذرات الملك واللكوت لقلوب أرباب للشاهدات ماننا : أحدهما استحالة إفشاء السر . والثاني خروج كلماتها عن المحصر والتها بقولنا في اللثال الذي كنفه وهي حركة القلم تحكي من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الأجمال كيفية ابتداء التوكل عليه ونرد كلماتها إلى الحروف والأصوات وإن لم تكن هي حروفا وأصوات ولكن هي ضرورة التهنيم فنقول : قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه أسود وجهه بالخير ما بال وجهك كان أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما أنصفتني في هذه اللقاة فاني ماسودت وجهي بنفسى ولكن سل الخبر فانه كان مجعوما في الهجرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ووزل بساحة وجهي ظلماء وعدوانا فقال صدقت فسأل الخبر عن ذلك فقال ما أنصفتني فاني كنت في الهجرة وادعا ما كنا عازما على أن لا يبرح منها فاعتدى على القلم بطعمه الفاسد واخطفني من وطني وأجلاني عن بلادى وفرق جمعى وبدنى كاترى على ساحة يضاء فالسؤال عليه لاطى فقال صدقت ثم سألت القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه وإخراج الخبر من أوطانه فقال سل اليد والأصابع فاني كنت قصبا نابتا على عطا الأنهار متزها بين خضرة الأشجار فجاءتني اليد بسكين ففتحت عني قشري ومزقت عني ياني واقتلعتني من أصلى وفصلت بين أنابيبي ثم برقت وشقت رأسي ثم غسقتني في سواد الخبر ومرارته وهي تستخدينى وتمشطنى على قلة رأسي ولقد ثرت للملح على جرحى بسؤالك ومتابك فتنتع عني وذل من قهرني فقال صدقت ثم سألت اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدمها له فقالت اليد ما أنا إلا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أو جسا يتحرك بنفسه وإنما أنا مركب مسخر ركني فارس يقال له القدرة والمنة فهي التي ترددي

(١) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النبي عن إفشاء سر القدر ابن عدى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا له فعز وجل سره لفظ أبي نعيم وقال ابن عدى لا تسكروا في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف وقد تقدم (٣) حديث إذا ذكر النجوم فأمسكوا إذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث الطبراني وابن حبان في الضعفاء وتقدم في العلم (٤) حديث أنه خص حذيفة ببعض الأسرار تقدم .

لا تمحل جناح بموضة
وإن الرجل لآبى
السجد فيصلى وصلاته
تمدل جبل أحد إذا
كان أحسنها عقلا
قيل وكيف يكون
أحسنها عقلا ؟ قال
أورعها عن عارم
الله وأحرصها على
أسباب الخير وإن
كان دونه في العمل
والنطوع . وقال :
عليه الصلاة والسلام
«إن الله تعالى قسم
العقل بين عباده
أثنائا فإن الرجلين
يستوى عليهما
وبرهما وصومهما
وصلتهما ولكهما
يتفاوتان في العقل
كأثرة في جنب أحد»
وروي عن وهب بن

وتجول في في نواحي الأرض أما ترى للندر والحجر والشجر لا يتمدى شئ منهما مكانه ولا يتحرك بنفسه إذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أما ترى أيدي اللوى تساوين في صورة اللحم والعظم والدم ثم لامعاملة بينها وبين القلم فأنا أيضا من حيث أنا لامعاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فاني مركب أزعجني من ركبتي فقال صدقت ثم سألت القدرة عن شأني في استعمالها اليد وكثرة استعمالها وترديدها فقالت دع عنك لومى ومعايبتى فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمرى وكيف ظننت أنى ظلمت اليد لما ركبته وقد كنت لها راية قبل التحريك وما كنت أحركها ولا تستخبرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي أنى ميتة أو معدومة لأنى ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءى موكل أزعجني وأرهنقى إلى ما تراه منى فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا للوكل يسمى الإرادة ولا يعرفه إلا باسمه وهجومه وصياله إذ أزعجني من غمرة النوم وأرهنقى إلى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيتي فقال صدقت ثم سألت الإرادة ما للذي جرك على هذه القدرة الساكنة للطمشة حتى صرفتها إلى التحريك وأرهنقتها إليه إرهابا لم تخد عنه مخلصا ولا مناصا فقالت الإرادة لا تسجل على فعلك لتاعدا وأنت تلوم فاني ما انتهضت بنفسى ولكن أنهضت وما انبشيت ولكنى بشت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل بعثه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالإعخاص للقدرة فأشخصها بالضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري بأى جرم وقعت عليه وسعرت له وأثمنت طاعته لكنى أدري أنى في دعة وسكون ما لم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقعت عليه وقفا وأثمنت طاعته إلزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على مخالفة لصرى مادام هو في التردد مع نفسه والتحير في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استئثار وانتظار لحكمه فإذا انجزم حكمه أزهجت بطبع وقهر تحت طاعته وأخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عنى عتابك فاني كما قال القائل :

مضى ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تشارقهم قالوا احلون هم

فقال صدقت وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا إليهم على استهزاء الإرادة وتسخيرها لإعخاص القدرة فقال العقل أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسى ولكن أشعلت وقال القلب أما أنا فتوحي ما انبسطت بنفسى ولكن بسطت وقال العلم أما أنا فتقش تقش في يياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انخفضت بنفسى فكم كان هذا اللوح قبل خاليا عنى فسل القلم عنى . لأن الخط لا يكون إلا بالقلم فبعد ذلك تمتع السائل ولم يقضه جواب وقال قسطال تعني في هذا الطريق وكثرت منازل ولا يزال يحينى من طمعت في معرفة هذا الأمر منه على غيره ولكنى كنت أطيب قسما بكرة التردد لما كنت أسمع كلاما مقبولا في التؤاد وعندنا ظاهرا في دفع السؤال فأما قولك أنى خط وتقش وإنما خطنى قلم فقلت أفهم فاني لأعلم قلنا لإمن القصب واللوحة لإمن الحديد والخشب ولا خط إلا بالحجر ولا سراجا لإمن النار وإنى لأسمع في هذا للزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئا أسمع جصبة ولا أرى طعنا فقال له القلم إن صدقت فبأقرب فضاقتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف . واعلم أن للهالك في الطريق التى توجهت إليها كثيرة فالصواب لك أن تصرف وتدع ما أنت فيه لما هذا بشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وإن كنت راغبا في استقام الطريق إلى التقصد فألق صمك وأنت شهيد . واعلم أن العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم للملك والشهادة وأولها وقد كان السكاغد والحجر والقلم واليد من هذا العالم وقد تجاوزت

منبه أنه قال إنى أجد في سبعين كتابا أن جميع ما أعطى الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعهم من العقل في جنب عقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كهيئة رمة وقعت من بين جميع رمال الدنيا واختلف الناس في ماهية العقل والكلام في ذلك يكثر ولا يؤثر قتل الأفاويل وليس ذلك من غرضنا فقال قوم : العقل من العلوم فإن الخالي من جميع العلوم لا يوصف بالعقل وليس العقل جميع العلوم فإن الخالي من معظم العلوم يوصف بالعقل وقالوا ليس من العلوم النظرية فإن من

تلك للنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو ورأى فإذا جاوزتني انتهت إلى منزله وفيه الهامة والقيس والجيال الشاهقة والبحار للفرقة ولا أدري كيف تمل فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت وقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لأن عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منهجا وإنما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الأرض والسما فلهي في حد اضطراب الساء ولاهي في حد سكون الأرض وثباتها وكل من يمشي على الأرض يمشي في عالم الملك والشهادة فإن جاوزت قوته إلى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فإن انتهى إلى أن يمشي على الساء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تنميع فإن كنت لا تخدر على الشيء على الساء فاضرب قد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الساء والسائق وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء أما سمعت قول رموز الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام «لوا زاداد بقينا لشي على الهواء» (١) لما قيل له إنه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تخبرت في أمري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري أليق قطع هذه المهامة التي وصفتها أم لا فهل ذلك من علامة ؟ قال نعم افتح بصرك واجمع شؤه عينيك وحدقه نحوى لأن ظهر لك القلم الذي به أكتب في لوح القلب فيشبه أن تكون أهلا لهذا الطريق فإن كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أمأرى أن النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره كوشف بالقلم إذ نزل عليه - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم الإنسان ما لم يعلم - فقال السالك لقد فتح بصرى وحدته فو الله ما أرى قصبا ولا خشبا ولا أعلم قما إلا ذلك قال العلم لقد أبصرت النجاة أما سمعت أن متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الأيدي ولا قلبه الأفلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور إلهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته جسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الأيدي ولا قلبه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا جره زاج وعفن فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا سأراك إلا غشا بين طوفة التنزيه وأتوة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فكيف زهت ذاته وصفاته تعالى عن الأجسام وصفاتها وزهت كلامه عن معاني الحروف والأصوات وأخذت تتوقف في يده وقلبه ولوحه وخطه فإن كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته» الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكأن مشبها مطلقا كما قال كن يهوديا صرفا وإلا فلا تلب بالثورة وإن فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصار لا بالأبصار فكأن منزها صرفا ومقدسا غلا واطو الطريق فإنك بالواد القدس طوى واستمع بصر قلبك لما يوحى فذلك نجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تتادى بما توحى به موسى - إن أنا ربك - قما مع السالك من العلم ذلك استشعر قصور فهمه وأنه غش بين التشبيه والتنزيه فاشتغل قلبه نارا من حدة غضبه على فهمه لما رآها بين النفس ولقد كان زيت الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم تحسه نار قما شمع فيه العلم بجده اشتعل زيته فأصبح نورا في نور فقال له العلم اغنم الآن هذه الفرصة واتضح بصرك لملك نجد على النار هدى فتح بصره فانكشف له القلم الإلهي

(١) حديث قيل له إن عيسى يمشي على الماء قال لوا زاداد بقينا لشي على الهواء ففهم .

شرط ابتداء النظر
تقدم كمال العقل فهو
إذن من العلوم
الضرورية وليس هو
جميعا فإن صاحب
الحواس الخفية عاقل
وقد عدم بعض
مدارك العلوم
الضرورية. وقال بعضهم
العقل ليس من أقسام
العلوم لأنه لو كان منها
لوجب الحكم بأن
العاقل عن ذكر
الاستحالة والجواز
لا يتصف بكونه عاقل
ونحن نرى العاقل في
كثير من أوقاته ذاهلا
وقالوا هذا العقل صفة
يتأ بها درك العلوم .
وقل عن الحرث بن
أسد الحاشي وهو من
أجل الشايع أنه قال

فأذهو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب
 البشر كلهم أصناف العلوم وكان له في كل قلب رأس أو لآرأس له قضيض منه المحب وقال نعم الرقيق العلم بغير الله
 تعالى عن خيرا إذا الآن ظهري صدق نبأه عن أوصاف القلم فاني أراه قلما لا كالأقلام فتد هذا ودع العلم
 وشكره وقال قد طال مقامى عندك و مرأتى لك وأنا عازم على أن أسافر إلى حضرة القلم وأسأله عن شأنه
 فسافر إلي وقال له: ما بالك أيها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبت به إلا رادات إلى أشخاص
 القدر وصرفهم إلى القديورات فقال أوقد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وصحمت من جواب القلم إذ
 سألته فأخاك على اليد قال لم أنسى ذلك قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وأنت لاتشبهه قال أمصحت أن
 الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فصل عن غائبى للقلب يميني للملك فاني في قبضته وهو الذي يرد دنى
 وأنا متهمور مسخر فلان فرق بين القلم الإلهي وقلم الآدمي في معنى التسخير وإنما الفرق في ظاهر الصورة فقال
 فمن بين الملك فقال القلم أمصحت قوله تعالى - والسماوات مطويات بيمينه - قال نعم قال والأقلام أيضا في
 قبضة يمينه هو الذي يردها فسافر السالك من عند إلى الجين حق شاهده ورأى من عجائب ما يزيد على
 عجائب القلم لا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا يخفى مجلدات كثيرة عشر عشر وصفه والجلية فيه
 أنه بين لا كالأيمان ويد لا كالأيدي وأصبح لا كالأصابع فرأى القلم يحرك في قبضته فظهر له عذر القلم نسأل
 الجين عن شأنه وتحررك القلم فقال جوابي مثل ما سمعته من الجين التي رأيتها في عالم الشهادة وهي الحوالة على
 القدرة إذ اليد لا حكم لها في نفسها وإنما يحركها القدرة لأعماله فسافر السالك إلى عالم القدرة ورأى فيه
 من العجائب ما استحق عندنا ما قبله وسألها عن تحريك الجين فقالت إن غائبا مئة فاسأل القادر إذ العمد
 على الموصفات لأعلى الصفات وعند هذا كأذن يزيغ ويطلق بالجرأة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت
 ونودي من وراء حجاب سرادات الحضرة - لا يسئل عما يغفل وهم يسئلون - ففتشته هبة الحضرة
 غرصا فضطرب في غشيتها فلما أناق قال سبحانه ما أعظم شأنك تبت إليك وتوكلت عليك وأمنت
 بأنك للملك الجبار الواحد القهار فلا تخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ إلا بفضوك من عقابك وبرضاك
 من سخطك ومالى إلا أن أسألك وأتضرع إليك وأبتل بين يديك فأقول : اشرح لى صدرى لأعرفك
 واحلل عقدتى لسانى لأتنبى عليك فنودى من وراء الحجاب إليك أن تطعم في الشتاء وتزيد على سيد
 الأنبياء بل أرجع إليه آتاك غنمه وماتهاك عنه فاتته عنه وما قاله لك قلته فانه ما زاد في هذه الحضرة على
 أن قال « سبحانه لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (١) » فقال إلهي إن لم يكن لسان جرأة
 على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودى إليك أن تدخل على رقاب الصديقين فأرجع إلى الصديق
 الأكبر فاقده فان أصحاب سيد الأنبياء كالنجوم بأهم اقتديتم اهتديتم أمصحت يقول الصبر عن درك
 الإدرالك إدراك فيك كيت نصيما من حضرتنا أن تعرف أنك محروم عن حضرة رتاعا جرح من ملاحظة جمالنا
 وجلالنا فنعد هذا راجع السالك واعتذر عن أسئلته وما جابته وقال للجين والقلم والعلم والإرادة والقدرة
 وما بهما أقبوا علدي فاني كنت غريبا حديث العهد بالخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فسا
 كان إنكارى عليكم إلا عن قصور وجهي والآن قد صبح عندي عنكم وانكشف لى أن للغرد بالملك
 ولللكوت والبرزة والجبروت هو الواحد القهار فلما تم الامسحرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته
 وهو الأول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل كيف يكون
 هو الأول والآخر وهو صفتان متناقضتان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالأول ليس بأخر والظاهر
 ليس بباطن فقال هو الأول بالإضافة إلى الموجودات إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا أبدا وهو الآخر

العقل غيرة يترأ بها
 درك العلوم وعلى هذا
 يتقرر ما ذكرناه في
 أول ذكر العقل : أنه
 لسان الروح لأن
 الروح من أمر الله
 وهي للتحمة للأمانة
 التي أبث السموات
 والأرضون أن عملها
 ومنها يفيض نور
 العقل وفي نور العقل
 تتشكل العلوم فالعقل
 للعلوم بمثابة الروح
 للكتوب وهو صفته
 منكوس متطلع إلى
 النفس تارة ومتعصب
 مستقيم تارة فمن كان
 العقل فيه منكوسا
 إلى النفس فرقه في
 أجزاء السكون وعدم
 حسن الاعتدال
 بذلك وأخطأ طريق

(١) حديث سبحانه لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك تقدم .

بالإضافة إلى سيرة السائرين إليه فانهم لا يزالون مترقبين من منزل إلى منزل إلى أن يقع لآلئهم إلى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في الشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالإضافة إلى العالمين في عالم الشهادة الطالبين لأدراكه بالحواس الخمس ظاهر بالإضافة إلى من يطلبه في السراج المشتعل في قلبه بالصيرة الباطنة النافذة في عالم للكسوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في القفل : أعني من انكشف له أن الفاعل واحد . فان قلت قد انتهى هذا التوحيد إلى أنه ينبغي على الإيمان به عالم للكسوت فمن لم يفهم ذلك أو يجد فاطرته ؟ فأقول : أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال له إنكاره لعالم للكسوت كانكار السنية لعالم الجبروت ، وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فأنكروا القدرة والإرادة والعلم لأنها لا تدرك بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس ، فان قال وأنا منهم فاني لا ألتصق إلا إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا سواه ، فيقال إنكاره لما عاهدناه وماوراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام ، فان قال وأنا من جملة من فاني شك في الحسوس فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فترك أياما قلالا وماكل مريض يقوى على علاجه الأطباء هذا حكم الجاحد . وأما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم طريق السالكين منه أن ينظروا إلى عينه التي يشاهد بها عالم للكسوت فان وجدوها صحيحة في الأصل وقد نزل فيها مادا سود يقبل الإزالة والتنقية اشتغلوا بتقنيته اشتغال الكحال بالإسار الظاهرة فاذا استوى بصره أرشد إلى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بغواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات تلك والكسوت بشهادة التوحيد كلوه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد إلى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة يشاهدوا توحيدا إذ يعلم كل أحد أن للزلزل يفسد بصابين والبلد يفسد بأمرين فيقال له على حد عقده إلى العالم واحد وللدبر واحد إذ لو كان فهما آلهة إلا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق مارة في عالم الشهادة فيفترس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللاتقي بقدر عقده وقد كلف الله الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ، ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عاداتهم في المحاورة . فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون مبادى للتوكل وأصلا فيه ؟ فأقول نعم فان الاعتقاد إذا قوى عمل جعل الكشف في إثارة الأحوال إلا أنه في الغالب يفضي ويقتضي إلى الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يحرسه بكلامه أو إلى أن يعلم هو الكلام ليحرس بالعقيدة التي تلقاها من أستاذه أو من أبويه أو من أهل بيته . وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف النطاء لما ازداد يقينا وإن كان يزاد وضوحا كما أن الذي يرى الإنسان في وقت الإفسار لا يزاد يقينا عند طلوع الشمس لأنه إنسان ولكن يزاد وضوحا في تفصيل خلقته ومماثال المكشوفين وللمتقين إلا كسرة فرعون مع أصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الأمر فلم يكتروا بقول فرعون لأقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف . بل - قالوا لن تؤثرك على ما جادنا من البينات والذي فطرتا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا - فان البيان والكشف يمنع التغيير . وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر الثعبان فما نظروا إلى عمل السامري وصموا خواره تقيروا وصموا قوله هذا إنهم والله موسى - ونسوا أنه لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم صرا ولا تخافا فكل من آمن بالنظر

الاهتداء ومن انتصب العقل فيه واستقام تأيد العقل بالصيرة التي هي لروح بمثابة القلب واعتدى إلى الصكون ثم عرف الكون بالمكون مستوفيا أقسام المعرفة بالمكون والمكون فيكون هذا النقل عقل المبدأ فكما أحب الله إقباله في أمره على إقباله عليه وما كرهه الله في أمره على الادبار عنه فلا يزال يتبع محاب الله تعالى ويحجب مسامحة وكما استقام النقل وتأيد بالصيرة كانت دلالاته على الرشد ونبيه عن الشيء . قال بعضهم : العقل على

إلى ثمان يكثر لاحتالة إذا نظر إلى عجل لأن كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير . وأما عالم للسكرات فهو من عند الله تعالى فذلك لا نجد فيه اختلافاً وتضاداً أصلاً . فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر إلا في حركات الانسان فانه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء فكيف يكون مسخراً . فاعلم أنه لو كان مع هذا إيشاء إن إراد أن يشاء ولا يشاء لم يكن له أن يشاء لكان هذا مزلّة القدم وموقع الغلط ولكن علم أنه يفعل ما يشاء إذا شاء إن لم يشأ فليست للشيئة إليه إذ لو كانت إليه لاقتصر إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية وإذا لم تكن للشيئة إليه فهما وجدت للشيئة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لاحتالة ولم يكن لها سبيل إلى مخالفة . فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انحراف المشيئة فالمشيئة تحدث ضرورة في القلب فلهذا ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس للمبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة إلى القدور بعدها ولا وجود الحركة بدت المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع . فان قلت فهذا جبر محض والجبر ناقض الاختيار وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبوراً مختاراً . فأقول لو انكشف الظاه عرفت أنه في عين الاختيار مجبور فهو وإن جبراً يليق بما ذكر مطلقاً وتاباً فان هذا الكتاب لم يقصد به إلا العلم بالعمالة ، ولكني أقول لفظ النفس في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه : إذ يقال الانسان يكتب بالأصابع ويتفلسف بالرق والخنجره ويحرق الماء إذا وقف عليه بحممه فينسب إليه الحرق في الماء والنفس والكتابة ، وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطراب والجبر واحدة ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فأعرب لك عنها بثلاث عبارات فنسمى حرقه الماء عند وقوعه على وجهه فعلاً طبيعياً ونسمى نفسه فعلاً إرادياً ونسمى كتابته فعلاً اختيارياً والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لأنه مهما وقف على وجهه الماء أو غطى من السطح للهواء انحرق الهواء لاحتالة فيكون الحرق بعد التخطي ضرورياً والنفس في معناه فان نسبة حركة الخنجره إلى إرادة النفس كنسبة انحراف الماء إلى ثقل البدن فهما كان الثقل موجوداً وجد الانحراف بعده وليس الثقل إليه وكذلك الإرادة ليست إليه ، ولذلك لو قصد عين الانسان بارة تطبق الأجفان اضطراباً ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تقيض الأجفان اضطراباً فلهذا إرادى ولكنه إذا تمثل صورة الإبرة في مشاهدته بالادراك حدثت الإرادة بالتقيض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة قد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضرورياً . وأما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا أن الأمر إليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكتشف عنه ، ويانه أن الإرادة تبع العلم الذي يحكم بأن الشيء موافق لك والأشياء تنقسم إلى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير تحير وتردد وإلى ما قد تردد العقل فيه فالذي قطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلاً بارة أو بدتك بسيف فلا يكون في علمك تردد في أن دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تثبت الإرادة بالعلم والقدرة بالإرادة وتحصل حركة الأجفان بالدفع وحركة اليد بالدفع بالسيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالإرادة ومن الأشياء ما يتوقف التحيز والعقل فيه فلا يدري أنه موافق أم لا فاحتاج إلى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفعل أو الترك فإذا حصل بالفكر والرؤية العلم بأن أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية ففكر فانبثقت الإرادة ههنا كما تثبت لدفع السيف والسنان فإذا انبثقت لفعل ما ظهر لفعل

ضربين ضرب يصير به أمر دنياه وضرب يصير به أمر آخرته ، وذكر أن العقل الأول من نور الروح والعقل الثاني من نور الهداية فالعقل الأول موجود في عامة ولد آدم والعقل الثاني موجود في اللوحين مفقود من الشريكين . وقيل إعمال العقل عقلاً لأن الجهل ظلمة فإذا غلب النور بصره في تلك الظلمة زالت الظلمة فأبصر فصار عقلاً للجهل ، وقيل عقل الإيمان مسعته في القلب ومتشمله في الصدر بين عيني الفؤاد والذي ذكرناه من كون العقل لسان

أخير سميت هذه الإرادة اختياراً مشتقاً من الخير أي هو إنيث إلى مظهر العقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ولم ينتظر في إنيثها إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرة العقل في حقها لأن الحرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البدنية وهذا اختار إلى الروية فالاختيار عبارة عن إرادة خاصة وهي التي انبثت بإشارة العقل فيها في إدراكه توقف وعن هذا قيل إن "عقل محتجج إليه التمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور أن تنبثق الإرادة إلا بحكم الحس والتخييل وبحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الإنسان أن يعز رقبته مثلاً لم يمكنه لادهم القدرة في البدو ولا لادهم السكين ولكن لقد الإرادة الداعية للشخصية للقدرة وإنما قدرت الإرادة لأنها تنبثق بحكم العقل أو الحس يكون العقل موافقاً وقته نفسه ليس موافقاً له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عذوبة مؤلة لا تطلق فإن العقل هنا توقف في الحكم وتردد لأن تردده بين شر الشرين فإن ترجح له بد الروية أن ترك القتل أقل شراً لم يمكنه قتل نفسه وإن حكم بأن القتل أقل شراً وكان حكمه جزماً لا ليل فيه ولا صارف منه انبثت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فإنه يرمى بنفسه من السطح مثلاً وإن كان مهلكاً ولا يلى ولا يمكنه أن يرمى نفسه فإن كان يبيع بضرب خفيف فإن انتهى إلى طرف السطح حكم العقل بأن الضرب أهون من الرمي فوقت أعضائه فلا يمكنه أن يرمى نفسه ولا تنبثق له داعية البتة لأن داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة واليكل مقدور بالضرورة فيه من حيث لا يدري فأنما هو محل وعجز لهذه الأمور فأما أن يكون منه فكلاً ولا فأن معنى كونه مجبوراً أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لانه ومعنى كونه مختاراً أنه محل لإرادة حدث فيه جبراً بعد حكم العقل يكون العقل خيراً أعضائه وحدث الحكم أيضاً جبراً فإذا هو مجبور على الاختيار فضل النار في الاحراق مثلاً جبر محض وفضل الله تعالى اختيار محض وفضل الإنسان على مثله بين الترتين فإنه جبر على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لأنه لما كان قد ثابراً واتموا فيه بكتب الله تعالى فسومه كسباً وليس منقضاء الجبر ولا اختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفضل الله تعالى يسمى اختياراً بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تحرير ورد فأن ذلك في حقه محال وجميع الألفاظ المذكورة في الفات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا ليقرب بهذا العلم ويطلع القول فيه . فأن قلت فهل تقول إن العلم والارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وإن كل متأخر حدث من التقدم فأن قلب ذلك قد حكمت بحوث شئ لامن قدرة الله تعالى وإن آيت ذلك فامعني ترتب البعض من هذا على البعض . فاعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتوكل أو بغيره بل حواله جميع ذلك على العلى الذي يعبر عنه بالقدرة الأزلية وهو الأصل الذي لم يخف كافة الخلق عليه إلا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه وأسكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بغير ثبات وهو بعيد عن الحق ويبان ذلك بطول ولكن بعض للقدورات مرتب على البعض في الحدوث ترتب الشرط على الشرط فلا تصدر من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد علم ولا علم إلا بعد حياة ولا حياة إلا بعد عمل الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشرط ربما ظهرت العامة وبعضها لم يظهر إلا للخواص للكاشفين بنور الحق والإفلاحة يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر إلا بالحق والضرورة وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عيشاً يضاهي فعل الجاهلين تعالى الله عن قول الجاهلين علواً كبيراً وإلى هذا أشار قوله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - وقوله تعالى - وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما

الروح وهو عقل واحد
ليس هو على خربين
ولكنه إذا انتصب
واستقام تأيد البصيرة
واستدل ووضع
الأعيان في مواضعها
وهذا العقل هو العقل
المستقى دور الشرع
لأن انتصابه واعتداله
هده إلى الاستقامة
بنور الشرع لكون
الشرع ورد على لسان
الحي للرسول وذلك
لقرب روحه من
الحضرة الألبية
ومكاشفة بصيرته التي
هي للروح بمثابة القلب
بصدره الله وآياته
واستقامة عقله بتأيد
البصيرة فالبصيرة
محيط بالسلم التي
يستوعبها العقل والتي

لاعين . ماخضتها إلا بالحق - فكل ما بين السماء والأرض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون إلا كحادث على هذا الترتيب الذي وجد لما تأخر متأخر إلا انتظار شرطه وللشروط قبل الشرط حال والمحال لا يوصف بكونه مقدور إلا بتأخر العلم عن النطفة إلا لفقد شرط الحياة ولا تأخر عنها الإرادة بمد العلم إلا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لب وافتقار بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكننا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالاً بقرب مبادئ الحق من الأنفهام الضعيفة وذلك بأن نقدر إنساناً محدثاً قد اتسمس في الماء إلى رقبته فالحدث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرفع وهو ملائقة بقدر القدرة الأولية حاضرة ملائقة للقدورات متعلقة بها ملائقة للماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظاراً للشرط وهو غسل الوجه فإذا وضع الوراق في الماء وجهه إلى الماء عمل الماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث فربما يظن "الجاهل" أن الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لأننا تحدث عقبيه إذ يقول كان الماء ملائقاً لو يكن وإفهاماً لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه، فاذن غسل الوجه هو الرفع فحدث عن اليدين وهو جهل بضاهي ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالإرادة والإرادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء للمايل للمايل للوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيها شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر الملة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور القدرات عن القدرة الأولية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا فرع باب آخر لعالم آخر من عوالم الكشافات فلتترك جميع ذلك فإن مقصودنا التنبية على طريق التوحيد في الفعل فإن الله على الحقيقة واحد فهو الخوف والمرجوع عليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على أن نذكر من بحار التوحيد إلا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح عمال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه توكل ذلك يطوى تحت قول لا إله إلا الله وما أخفى مؤثته على اللسان وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما أعز حقيقته عليه عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم . فإن قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لا إله إلا الله تعالى ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد فإن كان البديع لا فكيف يكون الله تعالى فاعلاً وإن كان الله تعالى فاعلاً فكيف يكون البديع فاعلاً، ومنقول بين فاعلين غير مفهوم ؟ فأقول نعم ذلك غير مفهوم إذا كان لفاعل معنى واحد وإن كان له معنيان ويكون الاسم مجازاً مردداً بينهما يتناقض كما يقال قتل الأمير فلان وقال قتل الجلال ولكن الأمير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر فكذلك البديع فاعل بمعنى والله عز وجل فاعل بمعنى آخر فعلى كون الله تعالى فاعلاً أنه المتحرع بمعنى كون البديع فاعلاً أنه المخل الذي خلق في القدرة ببدان خلق في الإرادة ببدان خلق في العلم فارتبطت القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبطت القدرة بالله ارتباط المعلول بالعلل وارتباط المتحرع بالمتحرع وكل ما له ارتباط بقدرة فإن عمل القدرة يسمى فاعلاً فكيف كان الارتباط كما يسمى الجلالة تلاو الأمير قاتلاً لأن القتل ارتباط بقدرة متحرع ولكن على وجهين مختلفين فلهذا سمى فاعلاً كما سمى كذلك ارتباط المقدورات بالقدرة ولأجل ذلك توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد ونسبها بينهما مرة أخرى إلى نفسه فقال تعالى في الموت - قل يوفى كل ملك الموت ثم قال عز وجل - الله يوفى الأجر حين موتهما وقال تعالى - أفرأيتم ما منحرون - أسأف إليهم قال تعالى - أنا صبينا الماء صباهم فحقنا الأرض شفافاً نبتنا فيها عنباً - وقال عز وجل - فأرسلنا إليهم راحات يحمل لها بشر أسود - ثم قال تعالى - فنفضنا فيها من روحنا وكان النافع جبريل عليه

يشق عنها نطق العقل لأنها تستمد من كائن الله التي يفسد البحر دون ضاها والعقل ترجمان تؤدي البصرة إليه من ذلك عطرا كما يؤدي القلب إلى اللسان بعض ما فيه ويستأثر بفضه دون اللسان ولهذا المعنى من جد على مجرد العقل من غير الاستضاءة بنور الشرع خطي بعلوم الكائنات التي هي من الملك والملك ظاهر الكائنات ومن استضاء عقله بنور الشرع تأيد بالبصرة فاطلع على الملكوت والملكوت باطن الكائنات المختص بكشافته أرباب البصائر

السلام وكما قال تعالى - فإذا قرأناه فاتبع قرآنه - قيل في التفسير معناه إذا قرأه عليك جبريل . وقال تعالى - فأتانوم يذهبهم الله بأيديكم - فأضاف القتل إليهم والتمذيب إلى نفسه والتمذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى - فلم تقتلوه ولكن الله قتاهم - وقال تعالى - ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى - وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهرا ولكن معناه ومارميت بالفتح الذي يكون الرب به راميا إذ رميت بالفتح الذي يكون الصبد به راميا ، إذ هما مختلان . وقال الله تعالى - الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - ثم قال - الرحمن علم القرآن - وقال - علمه البيان - وقال - ثم إن علينا ياناه - وقال - أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الأرحام «إنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا ، فيقول يارب أذكرهم أنني أسوى أم معوج فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك (١) وفي لفظ آخر «ويصور لك ثم ينفع فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة» . وقد قال بعض السلف إن الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجساد ، وأنه يتقسط بوضعه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج في جسم . ولذلك سمى روحا وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب يصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الأدلة والآيات في الأرض والسموات ثم قال - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - . وقال - شهد الله أنه لا إله إلا هو - فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكيف من طالب عرف الله تعالى بالنظر إلى الموجودات ، وكمن طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهو معنى قوله تعالى - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه الحي والحيث ثم فوض الموت والحياة إلى ملكين في الخبر «أن ملكي الموت والحياة تناظرا ، قال ملك الموت أنا ميث الأحياء ، وقال ملك الحياة أنا حيي الموت فأوحى الله تعالى إليهما أن كوناهما على عملكما وما صنعتكما من الصنع وأنا الميث والحيي لا ميث ولا حيي سوى (٢) » فإذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض هذه للماني إذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله الخمرة «خذها» لولم تأنها لأنتك (٣) » وأضاف الاثنان إليه وإلى الخمرة ، ومعهم أن الخمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الإنسان إليها وكذلك لما قال الشاب أتوب إلى الله تعالى ولا أتوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم «عرف الحق لأهلك» (٤) »

(١) حديث وصف ملك الأرحام أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة بيده ثم يصورها جسدا الحديث البزار وابن عدى من حديث عائشة إن الله تبارك وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول يارب ماذا الحديث وفي آخره فإيمان شيء إلا هو يخلق معه في الرحم وفي عنده جهالة وقال ابن عدى إنه منكر ، وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود بنحوه (٢) حديث إن ملك الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا ميث الأحياء وقال ملك الحياة أنا حيي الموت فأوحى الله إليهما أن كوناهما على عملكما الحديث (٣) حديث قال للذي ناوله الخمرة خذها لولم تأنها لأنتك ابن حبان في كتاب روضة العقلاء من رواية هذيل بن شرحبيل ووصله الطبراني عن هذيل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح (٤) حديث إنه قال للذي قال أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد عرف الحق لأهلك نفسه في الزكاة .

والقول دون الجامدين
على مجرد القول دون
البصائر وقد قال بعضهم
إن العقل عقلان عقل
للهداية مسكنه في القلب
وذلك للمؤمنين للوقت
ومتعمله في الصدر بين
عيني القواد والعقل
الأخر مسكنه في الدماغ
ومتعمله في الصدر بين
عيني القواد قبل أول
يدبر أمر الآخرة ،
وبالثاني يدبر أمر
الدنيا والذي ذكرناه
أنه عقل واحد إذا
تأيد بالصورة دبر
الأمرين وإذا تفرد
دبر أمرا واحدا هو
أوضح وأبين ، وقد
ذكرنا في أول الباب
من تديره لنفسه
للطمشة والأمارة

فكل من أنصف الكل إلى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه إلى غيره فهو للتجوز والاستعير في كلامه وللتجوز وجه كان له للحقيقة وجهاً واسم الفاعل ووضعه واضع الفاعل للمتجوز ولكن ظن أن الإنسان عترة بقدرة فيه فاعلها بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبته إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فانه مجاز بالإضافة إلى نسبته إلى الجلالة فلا انكسوف الحق لأهله عرفوا أن الأمر بالعكس وقالوا إن الفاعل قد وضعه أبها للفوضى للمخترع فلا "عل إلا الله" فالأسم له بالحقيقة وغيره بالمجاز أي تجوز به هما وضعه الفوضى له ولما جرى حقيقة للفعل على لسان بعض الأعراب قصداً أو إغناء صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد: * أكل شيء ما خلا الله باطل *» (١) أي كل ما لا قوام له بنفسه وإيما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وإيما حقيقة وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لاحق بالحقيقة إلا الحى القيوم الذى ليس كمثل شيء فانه قائم بذاته وكل مساوٍ قائم بقدرة فهو الحق ومساوٍ باطل ولذلك قال سهل: يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان. فان قلت قد ظهر الآن أن الكل جبر فامعنى الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على فضل نفسه. فاعلم أن معنى ذلك قد أشيرنا إليه في كتاب الشكر فلا تطول بعادته فهذا هو الفذر الذى ربنا الرمز إليه من التوحيد الذى يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالإيمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب والإيمان بالرحمة وسماها هو الذى يورث الثقة بمسبب الأسباب ولا يتم حال التوكل كما سبى في الإلحاق بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل وهذا الإيمان أيضاً باب عظيم من أبواب الإيمان وحكمة طريق للكاشفين فيه تطول فلذلك حصله ليعتقده الطالب لحمام التوكل اعتقاداً قاطعاً لا يترتب فيه وهو أن يصدق تصديقاً قينياً لا ضيق فيه ولا ريب أن الله عز وجل لخلق الحقائق كلها على عقل أعظمهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما يحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا ينهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علماً وحكمة وعقلاً ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطعمهم على أسرار للكهوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا القنويات حتى اطعموا به على الخير والشر والتفجع والفرش ثم أمرهم أن يدبروا للكل وللكهوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزداد فيها دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بموضة ولأن يقص منها جناح بموضة ولأن يرفع منها ذرة ولأن يخفض منها ذرة ولأن يدفع مرض أوعيب أو قص أو قعر أو ضرر عمن يلى به ولأن يزال همه أوكال أو غنى أو فقر عمن أتم الله به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض إن رجوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ماراً وأنها من ضاوت ولا تظور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل ومرور وحزن وهجر وقدرة وإيمان وكثرة وطاعة ومعية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما بينى وكأبينى وبالقدر الذى بينى وليس في الامكان أصلاً أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يفضل بفعله لكان بخلاً يناقض الجود وظلماً يناقض العدل ولو لم يكن قادراً لكان عجزاً يناقض الألوية بل كل قعر وضرفي الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالإضافة إلى شخص فهو نقص بالإضافة إلى غيره إذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا الأرض لما تمتم الأصحاء بالصحة ولولا النار

ما يثبه الانسان به الى
كونه عقلا واحدا
وأيضا بالبصيرة قارة
ومنفردا بوصفه قارة
واثقه للهم للسواب .
[الباب السابع
والجسمون في معرفة
الخواطر وتمصيلها
وتحيزها]

أخبرنا شيخنا أبو النجيب
السهروردي قال أخبرنا
أبو الفتح الهروي قال
أنا أبو نصر التقي
قال أنا أبو محمد الجرجاني
قال أنا أبو العباس
المجبوبي قال أنا
أبو عيسى الترمذي
قال أنا هناد قال أنا
أبو الأحوص عن
عطاء بن السائب عن
مرة الحمداني عن
عبد الله بن مسعود

(۱) حدیث اصدق بیت قالته العرب بیت لیبید : • ألا کل شیء ما خلا الله باطل •

متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ قاله الشاعر وفي رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب

لما عرف أهل الجنة قدر النعمة وكان فداء أرواح الانس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذمها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين المدل فكذلك تخفيف النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران وفداء أهل الايمان بأهل الكفران عين المدل وما لم يخلق الناقص لاي عرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنس فان الكمال والنقص يظهر بالإضافة فتفتى الجود والحكمة خالق الكامل والناقص جميعا وكما أن قطع اليد إذا تأكلت إبقاء على الروح عدل لأنه فداء كامل بناقص فكذلك الأمر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لالب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يسفوا أن ذلك غامض لا يقبله إلا المألون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سره المكشفون . والحاصل أن الخير والشر مقضى به وقد كان مقضى به واجب الحصول بعد سبق للشبهة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره بكل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أمساك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولتقتصر على هذه الرامز من علوم للكاشفة التي هي أصول مقام التوكل ولترجع إلى علم المعلمة إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الشرط الثاني من الكتاب : في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للفرد والسيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع الضرر وبيان التوكل في إزالة الضرر بالتداوى وغيره والله للوفق برحمته .

بيان حال التوكل

قد ذكرنا أن مقام التوكل ينظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فأما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وإنما العلم أصله والعمل عمرته وقد أكثر الحافظون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخر عن حده كاجرت عادة أهل التصوف به ولا فائدة في التقل والاكتثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول : التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امرأ إلى فلان أي فوضه إليه واعتمد عليه فيه ويسمى للوكول إليه وكلا ويسمى للفوض إليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمانت إليه نفسه ووثق به ولم يهجم فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولضرب للوكيل في الحصومة مثلا فنقول : من ادعى عليه دعوى باطلة بتلبس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبس لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا به ولا مطمئن النفس بتوكيله إلا إذا اعتقد فيه أربعة أمور : منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى النصيحة ومنتهى الشفقة أما الهداية فيعرف بها مواقع التلبس حتى لا يغني عليه من غوامض الخيل شيء أصلا وأما القدرة والقوة فليست تجري على الصريح بل على فلا بد من ولا يخاف ولا يستحي ولا يبين فانه ربما يطالع على وجه تلبس خصمه فيمنع الخوف أو الحين أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف للشفقة للقلب عن الصريح به وأما النصيحة فهي أيضا من القدرة إلا أنها قدرة في اللسان على الاضاح عن كل ما استجرا للقلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بوقائع التلبس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبس وأما منتهى الشفقة فيكون باعثاله على بذل كل ما يقدر عليه في حق من المجهود فان قدرته لا تنفي دون الصانية إذا كان لا يهجم أمره ولا يئالي به ظفر خصمه أو لم يظهر هلك به حقه أو لم يهلك فان كان شاكا في هذه الأربعة أو في واحدة منها أو جوز أن يكون خصمه في هذه الأربعة أكل منه لم تملأ من نفسه إلى وكيله بل يبقى مزيج القلب مستغرق في ألم الحيلة والتدبير ليدفع ما يحذر من قصور

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان لك باين آدم ولللك لك فأما الشيطان فأباعد بالشر وتكذيب بالحق وأما لك فأباعد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليبتعد بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يمدك الفقر وأمرهم بالحشاش »

وإنا نطلع إلى معرفة اللتين وتميز الخواطر لما يريد بتدوير إلى ذلك تشوق المطشان إلى الماء لما يعلم من وقع ذلك وخطره وفلاحه وصلاحه

وكيفية وسطوة خصمه ويكون ثاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الحاصل فيه والاعتقادات والمظنون في القوة والضعف تفاوت ثاوتا لا ينحصر فلا جرم تفاوت أحوال التوكلين في قوة الطمأنينة والثقة ثاوتا لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والمملوك وهو الذي يسمى بجمع الحلال والحرام لأجله فانه يحصل له يقين ينتهي الشفقة والعناية قصير خصلة واحدة من الحاصل الأربعة قطعية وكذلك سائر الحاصلات تصورا لا يحصل القطع به وذلك بطول للمارسة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أضع الناس لسانا وأقوام يائلا أقدرهم على نصرة الحق بل على تصور الحق بالباطل والباطل بالحق فإذا عرفت التوكل في هذا المثال نفس عليه التوكل على الله تعالى فإن ثبت في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بحملة العباد والأحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة بكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم تنته إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة إلا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فإن الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فإن كنت لا تعبد هذه الحالة من نفسك فسيبه أحد أمرين إما ضعف اليقين بأحدى هذه الحاصلات الأربعة وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وإزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه فإن القلب قد يزعج بما للوهم وطاعة له عن غير نقصان في اليقين فإن من يتناول عملا فسيبه بين يديه بالقدرة ربما شرطه وتعلمد عليه وتاواه ولو كلف العاقل أن يبيت مع الليث في قبر أو فراش أو بيت شرطه عن ذلك وإن كان متيقنا بكونه ميتا وأنه جماد في الحال وأن سنة الله تعالى مطردة بأنه لا يحضره الآن ولا يحيه وإن كان قادرا عليه كأنها مطردة بأن لا قلب القلم الذي بيده حية ولا قلب السنور أسدا وإن كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الليث في فراش أو ليلته مع في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلبا يخاف الإنسان عن شيء منه وإن قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه فاذن لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا إذ هما يحصل سكن القلب وطمأنينته فالتسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فمن كمن يقين لطمأنينة منه كمال تعالى لإبراهيم عليه السلام - ولم تؤمن قال بل ولكن ليطمئن قلبي - فالتمس أن يكون مشاهدا إحياء للذي بعينه ليثبت في خياله فإن النفس تتبع الحيات وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالآخرة إلى درجة النفس للطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلا ثم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الللل وللذهب فإن اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلا وإنما يتبعون الظن وما تهوى الأنفس وقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه فاذن الجبن والجرائم غفرا أو لا ينفع اليقين معها شيء أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل كأن ضعف اليقين بالحاصل الأربعة أحد الأسباب وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب في التوراة ما لمؤمن من تهته إنسان مثله وقد قال عليه السلام «من استمسك بالسيد أذله الله تعالى (١)» وإذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات :

وفساده ويكون ذلك عبدا مرادا بالحظوة بصفو اليقين ومنع التوسين وأكثر التشوف إلى ذلك القربين ومن أخذ به في طريقهم ومن أخذ في طريق الأبرار قد يشوف إلى ذلك بعض التشوف لأن التشوف إليه يكون على قدر المهمة والطلب والارادة والحظ ومن الله الكرم من هو في مقام طاعة للمؤمنين والمسلمين لا يتطاع إلى معرفة اللتين ولا يهتم بتمييز الحواطر ومن الحواطر ما هي رسل الله تعالى إلى البعد كما قال بعضهم لي قلب إن عصيته

(١) حديث من اعتز بالسيد أذله الله القليل في الضمراء وأبو نعيم في الحلية من حديث عمر أوردته القليل في ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموي . وقال لا يتابع على حديثه وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال يخالف في روايته .

الدرجة الأولى : ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفائته وعنايته كماله في الثقة بالوكيل . الثانية : وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يفرغ من غيرها ولا يزعج إلى أحد سواها ولا يعتمد إلا عليها فإذا رآها تعلق في كل حال بذليها ولم يخفها وإن نابها في أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه يأماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فاتها منزعها عنه فانه قد وثق بكفائتها وكفائتها وحققها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالتغير الذي له ويظن أنه طبع من حيث إن الله لم يخلق لوطوب بتفصيل هذه الحاصل لم يقدر على تلقين لفظه ولا على إحضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الإدراك فمن كان بالله إلى الله عز وجل ونظره إليه واعتماده عليه كلف به كأيكلف الصبي بأمه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا وبين الأول أن هذا متوكل وقد وثق في توكله عن توكله إذ ليس يلغى قلبه إلى التوكل وحقيقته بل إلى للتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لتبر التوكل عليه . وأما الأول فيتوكل بالتكفف والتكسب وليس فإيا عن توكله لأن له اتصافا إلى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة للتوكل عليه وحده إلى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه قال ترك الأمان قيل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو إشارة إلى الدرجة الثانية . وسئل عن أعلامه فلم يذكره وقال لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه : الثالثة : وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل لبيت بين يدي الناس لا يفارقه إلا في أنه يرى شمسها تحرك القدرة الأزلية كما تحرك يد الفاعل الليت وهو الذي قوى يقينه بأنه يجري للمحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وأن كلا يحدث جبرا فيكون دائما عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يزعج إلى أمه ويصيح ويتعلق بذليها ويسد خلفها بل هو مثل صبي علم أنه وإن لم يزعج بأمه فالأم تطلبه وإنه وإن لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله وإن لم يسألها اللبن فالأم تغاضه وتسقيه وهذا اللقائم في التوكل يشمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطي ابتداء أفضل مما يستل فكمن نعمة ابتدأها قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق وللقام الثاني لا يتغنى ترك الدعاء والسؤال منه وإنما يتغنى ترك السؤال من غيره فقط . فان قلت فهذا الأحوال هل يتصور وجودها . فاعلم أن ذلك ليس بحال ولكنه عز يزاد وللقام الثاني والثالث أعزها والأول أقرب إلى الامكان ثم إذا وجد الثالث والثاني فدواما بعد منه بل يكاد لا يكون للقام الثالث في دوامه إلا كمفردة الوجه فان انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوة والأسباب طبع واتقياضه عارض كما أن انبساط السم إلى جميع الأطراف طبع واتقياضه مارض والوجه عبارة عن انقباض السم عن ظاهر البشرية إلى الباطن حتى تتمعي عن ظاهر البشرية والخرجة التي كانت ترى من وراء الرقيق من سر البشرية فان البشرية تستدريق تراءى من وراء حجرة الدم والتهاباته يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالسكينة عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الأسباب الظاهرة لا يدوم وأما للقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين والأول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول . فان قلت فهل يبقى مع الصبر تدبير وتعلق بالأسباب في هذه الأحوال ؟ فاعلم أن اللقائم الثالث ينفي التدبير وأما مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالموت وللقام الثاني ينفي كل تدبير إلا من حيث الفزع إلى الله بالعناء والانهال كتندير الطفل في التعلق بأمه فقط وللقام الأول لا ينفي أمل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أضاف إليه ويكليه به أو التدبير الذي عرفه من عادته ومشتدود صريح بإشارته فأما الذي يعرفه بأشارته بأن يقوله لست أنكلم إلا في حضورك فيشتغل لعمالة بالتدبير الحضور ولا يكون هذا متناقضا توكله عليه إذ ليس هو فزع عنه

عصيت الله وهذا حال
عبد استقام قلبه
واستقامة القلب
لطمانينة النفس وفي
طمأنينة النفس يأمن
الشیطان لأن النفس
كلا تحركت كدورت
صفو القلب وإذا
نكدر طبع الشيطان
وقرب منه لأن صفاء
القلب عفو بالتذكر
والرحابة ولذلك نور
بقية الشيطان كإفناء
أحدنا النار . وقد
ورد في الخبر إن
الشیطان جائم على
قلب ابن آدم فإذا
ذكر الله تعالى تولى
وخش وإذا غفل
التهم قلبه فخذته ومناد
وقال الله تعالى سوس
يعني عن دسكس

إلى حول نفسه وقوته في إظهار الحجة ولا إلى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له إذ لو لم يكن متوكلاً عليه ولا متمسكاً به في قوله لما حضر قفوله وأما المعلوم من عاداته وأطراد استهفه أن يعلم من عاداته أنه لا يحتاج الحسم إلا من السجل فقام توكله إن كان متوكلاً عليه أن يكون معولاً على سنته وعاداته وواقياً بمتضاها وهو أن يعمل السجل مع نفسه إليه عند خاصته فاذن لا يستغنى عن التدبير في الحضور وعن التدبير في إحضار السجل ولو ترك شيئاً من ذلك كان نقصاً في توكله فكيف يكون فعله تصافيه ، ثم بعد أن حضر وفاء بإشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعاداته وقد ناظر إلى حاجته قد يقبى إلى اللقائ الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمهتوت ينتظر لا يفرغ إلى حول وقوته إذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه إلى حول وقوته في الحضور وإحضار السجل بإشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا لطأة أئنة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في الأعمال فإذا فرغ للتوكل إلى حول وقوته في الحضور وإحضار لا يناقض التوكل لأنه يعلم أنه لو لا الوكيل لكان حضوره وإحضاره باطلاً وتعباً محضاً بلا جدوى فاذن لا يصير مفيداً من حيث إنه حول وقوته بل من حيث إن الوكيل جملة متمسكاً لها حتى يعرف ذلك بإشارته وسنته فاذن لا حول ولا قوة إلا بالوكيل إلا أن هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لأنه ليس خالقاً حول وقوته بل هو جاعل لهما مفيداً في أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فضل وإعما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين إذ جعلهما شراطيناً لخالقه من بعدهما من القوائد والمقاصد فاذن لا حول ولا قوة إلا بالله حقاً وصدقاً لمن شاهد هذا كله كان له الثواب العظيم الذي وردت به الأخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله (١) وذلك قد يستبعد فيقال كيف يطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بفهوم لفظها وهيئات فأنما ذلك جزاء على هذه للشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها إلى كلمة لا إله إلا الله وثوابها كنسبة معنى إحداهما إلى الأخرى إذ في هذه الكلمة إضافة شيتين إلى الله تعالى قطع وهما الحول والقوة ، وأما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة الكل إليه فانظر إلى التفاوت بين الكل وبين شيتين لترفع به ثواب لا إله إلا الله بالإضافة إلى هذا وكما ذكرنا من قبل أن للتوحيد تحريين ولين فكذلك لهذه الكلمة ولها السر الكلمات وأكثر الخلق قديوا بالتحريين وما طرقتوا إلى البين وإلى البين الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله صادقا من قلبه خلاصاً وجبت له الجنة» (٢) وحيث أطلق من غير ذكر الصديق والاختلاص أراد بالطلق هذا التأكيد كأنضاف للجنة إلى الإيمان والعمل الصالح في بعض المواضع وأضافها إلى مجرد الإيمان في بعض المواضع والمراد به التقييد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحدوث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضاً حديث ولكنه حديث نفس وإعما الصديق والاختلاص وراهما ولا ينصب سرير الملك إلا للقرينين وهم المخلصون ونم لمن يقرب منهم في الرتبة من أصحاب الجنين أيضاً درجات عند الله تعالى وإن كانت لا تنتهي إلى الملك أمانى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة للقرين السابقين تعرض لسرير الملك فقال - على

الرحمن تقيض له
شيطاناً فهو له قرين -
وقال الله تعالى - إن
الذين آمنوا إذا هم
طائف من الشيطان
تذكروا فإذا هم
مبصرون - فبالتموى
وجود خالص الذكر
وبها يفتح باب ولا
يزال المبد يتقى حتى
يحمى الجوارح من
اللكاره ثم يحمي من
الفضول وما لا يبيح
تخصير أقواله وأفعاله
ضرورة ثم تنتقل
تقواه إلى باطنه ويظهر
الباطن ويقيه عن
اللكاره ثم من الفضول
حتى يتقى حديث النفس
قال سهل بن عبد الله
أسوأ المعاصي حديث
النفس ويرى الإسماء

(١) أحاديث ثواب قول لا حول ولا قوة إلا بالله تقدمت في الدعوات (٢) حديث من قال لا إله إلا الله صادقا خلاصاً من قلبه وجبت له الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم وأبو يعلى من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

سرر موضونة متسكين عليها متقابلين - ولما انتهى إلى أصحاب البين مازاد على ذلك لواء والظلم والقوا كدوا الأشجار وأحور العين وكل ذلك من ذنات للتظور والشروب ولأن كولد والتسكوح وتصور ذلك البهائم على الدولم وأين ذنات البهائم من ذنات الملك والذول في أعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه الذنات قدر لها وصمت على البهائم ولما رقت عليها درجة للامانة أتى أن أحوال البهائم وهي منسية في الرياض متممة بالاء والأشجار وأصناف ثلث كولات متممة بالزوان والسفاد أعلى وأله وأشرف وأجدر بأن تكون عند ذوى السكال منوط من أحوال للامانة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيات هيات ما بعد عن التحصيل من إفاخير بين أن يكون حمار أو يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى أن هبة كل شيء منجذب إليه وأن النفس التي تزوعها إلى صفة الأساكفة أكثر من تزوعها إلى صفة الكتابة فهو بالأساكفة أشبه في جوهره منه بالكتاب وكذلك من تزوع نفسه إلى نيل ذنات البهائم أكثر من تزوعها إلى نيل ذنات للامانة فهو بالبهايم أشبه منه بالامانة لاجتماع هؤلاء هم الذين يخالفهم - أولئك كالأنعام بل هم أضل - وإنما كانوا أضل لأن الأنعام ليس في قوتها طلب درجة للامانة فتترك الطالب للعجز - وأما الإنسان ففي قوته ذلك والتادير على نيل السكال أخرى بالدم وأجدر بالنسبة إلى الضلال لهما فتأخذ من طلب السكال - وإذا كان هذا كلاما مغرما فلنرجع إلى المقصود قد بينا معنى قول إله الإله ومعنى قول لاجول ولاقوة إلا بالله وأن من ليس قال لهما عن مشاهدة فلا تصور منه حال التوكل - فإن قلت ليس في قولك لاجول ولاقوة إلا بالله إلا نسبة هيتين إلى الله فوالله قال السماء والأرض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه ؟ فأقول لا لأن الثواب على قدر درجة الثابت عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر إلى عظم السماء والأرض وصغر الجول والقوة وإن جاز وضعا بالصغر يجوز أقليلت الأمور بظم الأشخاص بل كل ما في فهم أن الأرض والسماء ليستا من جهة الأسمين بل هما من خلق الله تعالى فأما الجول والقوة فقد أشكل أمرها على المنزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعى أنه يدقق النظر في الرأي والمقول حتى يشق الشرع بحد نظرهم في مهلكة خطيرة ومزلة عظيمة هلك فيها النافلون إذ ابتغوا أنفسهم أمرا وهو شرك في التوحيد وإثبات خلق سوى الله تعالى فمن جاوز هذه الغيبة بتوفيق الله تعالى إياه قد علت رغبته وعظمت درجته فهو النبي يصدر قول لاجول ولاقوة إلا بالله وقد ذكرنا أن نيلس في التوحيد إلا عتيان. إحداهما: النظر إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والقيم والمطر وسائر الجمادات والثانية: النظر إلى اختيار الحيوانات وهي أعظم العتبتين وأخطرهما وقطعها كالسر التوحيد فذلك عظم ثواب هذه الكلمة أي ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجعها فاذارج حال التوكل إلى التبري من الجول والقوة والتوكل على الواحد الحق ويستحس عند ذكرنا. فجميع أعمال التوكل إن شاء الله تعالى .

يلخ ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل

ليبين أن هيتا منها لا يخرج صداد كرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى الدين قلته لأبي يزيد ما التوكل فقال ما تقول أنت قلت إن أسما بنا يقولون لو أن السباع والأغصان عن عينك ويسارك ما حرك لذلك سررك فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة الجنة يتشتمون وأهل النار النار ينادون ثم وقع بك غير بينهما خرجت من جهة التوكل فإذا كره أبو موسى فهو خير من أهل أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أروع العلم الذي هو من أميل التوكل وهو العلم بالحسنة وأن ما لله تعالى فله بالواجب فلا يميز بين أهل النار

إلى ما تحدث به النفس
ذنباً لحيته ويشهد
القلب عند هذا اللقاء
بالذكر والحواس الكواكب
في كبد السماء ويسير
القلب سماء محفورة بزنة
كواكب الذكر فإذا
صار كذلك بسدد
السيطان ومثل هذا
العبد يسير في حقه
الحواطر الشيطانية
ولماته ويكون له
خواطر النفس ويحتاج
إلى أن يتقها ويميزها
بالم لأن منها خواطر
لا يضرك إمساؤها
كطالبات النفس
عاجباتها وحاجباتها
تقسم إلى المحفورة
والخطوط ويتعين
التمييز عند ذلك وأتاهم
النفس بمطالبات

وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أخص أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو زيد
 قماشكم إلا عن أعلى اللقائات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطاً في اللقائات الأولى
 من التوكل فقد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في النار إذ سدد منافذ الحيات (١) إلا أن يقال فعل ذلك
 برجله ولم يتغير بسببه سره أو يقال إنما فعل ذلك حقيقة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق
 نفسه وإنما يزول التوكل بتحريك سره وتغييره لأمر يرجع إلى نفسه ولا ينظر في هذا الجاهل ولكن سيأتي
 بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض التوكل فإن حركة السر من الحيات هو الخوف وحق للتوكل
 أن يخاف مسلط الحيات إذ لا حول للحيات ولا قوة لها إلا بالله فإن احترازه يمكن السكينة على تديره وحوله
 وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير . وسئل ذو النون الصوري عن التوكل فقال خلع
 الأرباب وقطع الأسباب غلغ الأرباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال وليس
 فيه مرض صريح للاحوال وإن كان اللفظ يتضمنه قيل له زدنا قال إلقاء النفس في البوذية وإخراجها
 من الربوبية وهذا إشارة إلى التبري من الحول والقوة فقط . وسئل حمدون القصارعن التوكل فقال
 إن كان لك عشرة آلاف درهم عليك دائق دين لم تأمن أن تموت ويقت دينك في عتقك ولو كان
 عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لا تأمن من الله تعالى أن يقضها عنك وهذا
 إشارة إلى مجرد الإيمان بسعة القدرة وأن في القدورات أسباباً خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة
 وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال اتلقت بالله تعالى في كل حال قال السائل زدني فقال ترك
 كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو التوكل لذلك فالأول كلام للقامات الثلاث والثاني إشارة
 إلى اللقائات الثلاث خاصة وهو مثل توكل إبراهيم صلى الله عليه وسلم إذ قاله جبريل عليه السلام أنك
 حاجة فقال أما إليك فإله إذ كان سؤاله سيياً يفضي إلى سبب وهو حفظ جبريل له قوله ذلك فقه بأن
 الله تعالى إن أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو التوكل لذلك وهذا حال مبهوت غائب من نفسه
 بالله تعالى فمريم غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه إن وجد أيده منه وأعرض . وقال أبو سعيد
 الخزاز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب وله يشير إلى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب
 إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وقته به واضطراب بلا سكون إشارة إلى رفعه إليه وإتباعه
 وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه إلى أمه وسكون قلبه إلى عام حقيقته . وقال أبو جعفر على الثاني
 التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتوكل يتكفل إلى وعده والمسلم يتكفل بعهده
 وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا إشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى المنظور إليه فإن
 العلم هو الأصل والوعد بيمينه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون القلب على قلب للتوكل ملاحظة
 شيء من ذلك وللشروح في التوكل أقوال سوى ما ذكرناه فلا ننقلها بهان الكشاف أنفع من الزوايا
 والنقل فهذا ما يتلحق بحال التوكل والله الموفق برحمة ولطفه .

بيان أجمال المتوكلين

اعلم أن العلم بمرور الحال والحال يثمر الأعمال وقد يظن أن سنى التوكل ترك الكسب بالدين وترك
 التدبير بالقلب واليقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكالحم على الوضوء وهذا ظن الجهال فإن ذلك
 حرام في التبرع والتصدق قد أثبت على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات
 الدين بل يكشف الغطاء عنه وتقول إنما يظهر تأثير التوكل في حركة اليد وسعيه بغيره إلى مقاصده
 وسعيه بسعيه باختلافه إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالسكب أو لحفظ نافع هو
 موجود عنده كالادخار أو دفع ضار لم يزل به كدفع الصائل والماروق والسباع والألوانه ظاهر قد يزل به
 (١) حديث إن أباً بكر سدد منافذ الحيات في النار حقيقة على النبي صلى الله عليه وسلم قد قدم .

الخطوط قال الله تعالى
 - يا أيها الذين آمنوا
 إن جاءكم فاسق بنبأ
 فتبينوا - أي فتبينوا
 وسبب زول الآية
 الوليد بن عتبة حيث
 بثه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إلى بني
 المصطلق فكذب عليه
 ونسبهم إلى الكفر
 والمسيان حتى تم
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قتالهم ثم
 بث حالاً إليهم فسمع
 أذان الغرب والعشاء
 ورأى ما يدل على
 كذب الوليد بن عتبة
 فأنزل الله تعالى الآية
 في ذلك فظاهر الآية
 ومبني زولها ظاهر
 وصار ذلك تنبيهاً من
 الله عباده على الشبهة

كالتدبؤ من للرض فتصود حركات الصبد لاتمد هذه القنون الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه
أو دفع الضرر أو قطعه فلذلك شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع .
[الفن الأول : في جلب النافع] فنقول فيه : الأسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع
به ومقتنون ظنا يوثق به وموهوم بها لاتثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن إليه . الدرجة الأولى :
المتطوع به ، وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت للسيئات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا
لا يختل كما أن الطعام إذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكك لست تعد إليه إليه
وتقول أنا متوكل ، وشروط التوكل ترك السعي ومد اليد إليه سعي وحركة وكذلك مشقة الأستان
وإبتلاءه بإطباي أعالي الحنك على أسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فإنت إن انتظرت
أن يخلق الله تعالى فيك جمعا دون الحيز أو يخلق في الحيز حركة إليك أو يسخر ملكا ليعضه لك
ويوصله إلى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الأرض وطعنت في أن يخلق الله
تعالى نباتا من غير بذر أو ولد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون
وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه فليس التوكل في هذا للقام بالعمل بل بالحال والعلم . أما
العلم ، فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والأستان وقوة الحركة وأنه هو الذي يطعمك
ويسقيك . وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتناك على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام
وكيف تعتمد على محبة يدك وربما تحف في الحال وتسلج ، وكيف تدول على قدرتك وربما يطرأ
عليك في الحال ما يزيل عقلت ويطل قوة حركتك ، وكيف تدول على حضور الطعام ، وربما
يسلب الله تعالى من يشلك عليه أو يبعث حية تزحك عن مكانك وتغرق بينك وبين طعامك .
وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فذلك قلتفرج وعليه فلتدول فإذا
كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل . الدرجة الثانية : الأسباب التي ليست متيقنة ولكن
الغالب أن للسيئات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يغازي الأمصار والوقايل
ويسافر في البوادي التي لا يطرقتا الناس إلا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس
بشرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الأولين ، ولا يزول التوكل به ببدان يكون
الإعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز . وهو من أعلى مقامات
التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فإن قلت : فهذا سعي في الهلاك وإلقاء النفس في التهلكة .
فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين : أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدتها
وسواها على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقاربه بحيث يصبر عنه بلا شئ قلب وتشوش خاطر
وتعذر في ذكر الله تعالى . والثاني أن يكون بحيث يقوى على التقوى بالحشيش وما يقوى من الأعياء
الخشبية فيمد هذين الشرطين لإخلاء في غاب الأمر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقا آدمي أو
يتنهي إلى حلة أو قرية أو إلى حشيش يجترى به فيجاء به مجاهدا غصه . والمجاهدة عباد التوكل
وطي هذا كان يقول الخواص ونظراؤه من للتوكلين . والدليل عليه أن الخواص كان لا تخافه
الإبرة والبقراض والحبل والركوة ويقول . هذا لا يندس في التوكل . وسببه أنه علم أن البوادي
لا يكون للناس فيها على وجه الأرض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الله من التبريد ولو لا حبل ولا
يناب وجود الحبل والغلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش ولما احتاج إلى طوشه كل يوم مرات
ولطشه في كل يوم أو يومين مرة فإن السافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام

في الأمور قال سهل في
هذه الآية الفاتحة
الكذب والكذب
صفة النفس لأنها
تعمل أعياء وتدول
أعياء على غير حقائقها
فتعين الثبوت عند
خاطرها وإقامتها
فيجعل الصبد خاطر
النفس نيسا يوجب
الثبوت ولا يستقره
الطبع ولا يستجبه
الموى قد قال بعضهم
أدنى الأدب أن تحف
عند الجهل ، وآخر
الأدب أن تحف عند
الشره . ومن الأدب
عند الاحتياج إزاله
الخاطر بمحرك النفس
وخالقها وبارئها
وفاطرها وإظهار الفقر
والفاقة إليه والإعتراف

وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتتخشف عورته ولا يوجد للقرض والبرقي البوادي غالباً عند كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الحياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الأريسة أيضاً يتحقق بالدرجة الثانية لأنه مظنون ظناً ليس مقطوعاً به لأنه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يسهل الإنسان ثوباً أو يوجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتصوره الطعام بمضغها إلى فيه فبين الدرجتين فرقان ولكن الثاني في معنى الأول ولهذا أقول لو اعتمد على شصين من هباب الخيال حيث لاءا ولا حفيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس بتوكلا فهو آثم يساع في هلاكه نفسه كما روي عن زاهدا من الزهاد فارق الأمصار وأقام في سفح جبل سبعا وقال لأعمال أحداهما حتى أتيتني رب برزقي فعبدا سبعا ففاد يموت ولم يأتيه رزقي فقال وارب إن أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت له ولا فاقض إليك فأوحى إليه جل ذكره إليه وعزني لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتعد بين الناس فدخل الصبر. وقد جاء هذا بطعام وهذا شراب فأكل وشرب وأوحى من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تنهب حكمتي بهذه في الدنيا أما علمت أني أن أرزق عيدي بأيدي عبادي أحب إلي من أن أرزقه بيد قدرتي فإذا انقضى التتابع عن الأسباب كلها مراعاة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الأسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلاً في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الأسباب تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية ففي التوكل الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب لا إلى السبب. فان قلت لما قولك في القود في البلد بشر كسب أهو حرام أومباح أومندوب . فاعلم أن ذلك ليس حرام لأن صاحب السباحة في البلاد إذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكا نفسه حتى يكون له حرام ما لم لا يعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قديماً أخر عنه والصبر ممكن إلى أن يشفى ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام وإن فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج أولى له ولكن ليس فله حراماً إلا أن يصر على الموت فتند ذلك بولمه الخروج والسؤال والكسب وإن كان مشغول القلب بالله غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتداه بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه فإن الرزق يأتيه لا محالة وعند هذا يصح مقاله بعض العلماء وهو أن العبد لوهر ب من رزقه لطلبه كما لوهر ب من الموت لأدركه أو أن الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب وكان عاصياً وقال له يا جاهل كيف أخفك ولا أرزقك . ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل فاتهم أجمعوا على أن لا أرزق ولا يميت إلا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير. تخدو شخصاً وتزوج بطناً وولدت بدعاكم الجبال» وقال عيسى عليه السلام : الطير والى الطير لا تزوج ولا تصمد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوماً بيوم . فان قلت هم أكبر بطونا فالنظر والى الأعمال كيف يقبل الله تعالى لها هذا الحق الرزق . وقال أبو يعقوب السوسي للتوكلون تجرئ أرزاقهم على أيدي العباد بالاتباع منهم وغيرهم مشغولون مكذوبون . وقال بشهم الصيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بشهم يأكل

بالجل وطلب المعرفة والموتنة منه فانه إذا أتى بهذا الأدب فثبات ويمن ويشتين له هل الحاطر لطلب حفظاً طلب حق فان كان للحق أضاء وإن كان الحفظ . فانه وهذا التوقف إذا لم يقين له الحاطر بظاهر العلم لأن الافتقار إلى إبطن العلم عند فقد الدليل لي ظاهراً العلم ثم من الناس من لا يسمعه في صوته إلا الوقوف على الحق دون الحظ وإن أغض خاطر الحظ يصير ذلك ذنب حاله فيستغفر منه كما يستغفر من الذنوب ومن الناس من يدخل في تناول الحظ ويعني خاطره

(١) حديث لو توكلتم على الله حق توكله الحديث وزاد في آخره ولو الت به دعاكم الجبال وقد تقدمنا قريباً دون هذه الزيادة فرواها الإمام محمد بن فضال في كتاب تطعيم قدر الصلاة من حديثه بإسناد ابن جبل بإسناد فيه لين لمؤخره الله حتى معرفته لمصطفى في الصور . ولو الت بدعاكم الجبال وبوداه السبق في الزهد من رواية وهيب الكشي من خلا دون قوله لمصطفى في الجور . وقال هذا مخطئ .

بذل كالسؤال وبعضهم يحب وانتظار كالتجارب وبعضهم باسئان كالصنع وبعضهم بركا لصوفية يشهدون
 المزمين فيأخفون رزقهم من يده ولا يرون الوساطة . الدرجة الثالثة : ملازمة الأسباب التي يترجم
 إضاؤها إلى الحلييات من غير حجة ظاهرة كالتدبست في التدبيرات الدقيقة في تمصيل الاكتساب
 ووجوهه وذلك يخرج بالكيفية عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم أغنى من يتكسب
 بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية
 الحرص على الدنيا والانتكال على الأسباب فلا يخفى أن ذلك يعطل التوكل وهذا مثل الأسباب التي
 نسبها إلى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالإضافة إلى إزالة الشارطان الذي صلى الله عليه
 وسلم وصف للتوكلين بذلك ولم يفهم بأنهم لا يتكسبون ولا يسكنون الأمصار ولا يأخفون من أحد
 شيئا بل وصفهم بأنهم يشاطون هذه الأسباب وأمثال هذه الأسباب التي يوثق بها في الحلييات مما يكثر
 فلا يمكن إحصاؤها . وقال سهل في التوكل إنه ترك التدبير وقال إن الله خلق الحلق ولم يحجبهم عن نفسه
 وإنما جابهم بتدبيرهم ولله أراده استبط الأسباب البينة بالسكره في التي تحتاج إلى التدبير دون
 الأسباب الجلية فاذن قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بها عن التوكل وإلى مالا
 يخرج وإن الذي يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل
 عند وجود حال التوكل وعمله وهو الانتكال على مسبب الأسباب فالتوكل فيها بالحال والعامل لا بالعمل .
 وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعامل جميعا والتوكلون في ملازمة هذه الأسباب على
 ثلاثة مقامات : الأول : مقام الخواص ونظر أنه هو الذي يدور في البوادي غير زاد ثقة بفضل الله تعالى
 عليه في تنويعه على الصبر أسبوعا وما فوقه أو يسير حشيش له أقوت أو تنيته على الرشا بالموت إن
 لم يتيسر من ذلك فإن الذي عمل الزاد قد يفقد الزاد أو يضل بيده وعوت جوعا فذلك يمكن مع
 الزاد كما أنه يمكن مع قطعه . لتمام الثاني : أن ينفذ في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والأمصار وهذا
 أخف من الأول ولكنه أيضا متوكل لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة معول على فضل الله
 تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ولكنه بالقعود في الأمصار متعرض لأسباب الرزق فإن
 ذلك من الأسباب الجالبة إلا أن ذلك لا يعطل توكله إذا كان نظره إلى الذي يسخر له سكان البلد
 لا يصل رزقه إليه لا إلى سكان البلد إذ يتصور أن يضل جميعهم عنه ويضعوه لولا فضل الله تعالى
 بتدبيرهم وتخبرك دعواهم . لتمام الثالث : أن يخرج ويتكسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه
 في الباب الثالث وإلى ابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعي لا يخرج عنه أيضا عن مقامات التوكل
 إذا لم يكن لها ثبوت في نفسه إلى كفايته وقوته وجهه وبضاعته فإن ذلك ربما يهلكه الله تعالى جميعه في
 لحظة بل يكون نظره إلى السكينة الحق يحفظ جميع ذلك وييسر أسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته
 وكفايته بالإضافة إلى قدرة الله تعالى كإبري القلم في يد الملك الوقع فلا يكون نظره إلى القلم بل إلى قلب
 الملك أنه بماذا يتحرك وإلى ماذا يميل وبم يحكمهم إن كان هذا للكسب مكتسبا لئلا له أو يفرق
 على الدنيا كمن يفرق يدينه يتكسب ويقلبه عنه منقطع خلال هذا أشرف من حال التاجد في بيته . والله بل
 من أن الكسب لا ينافي حاله التوكل إذا روعيت فيه الشروط وأضاف إليه الحال والفرقة كسابقه
 الصديق رضي الله عنه لما يبيع بالخلافة أصبح أخذًا الأقواب تحت حشنة القراع بيده ودخل السوق
 ينادي : بئس كرهه المسلمون وبئسوا كيف تحمل ذلك وقد آتت الخلافة النبوة فقال لا تمنعوني عن عمالي
 فإنني إن أحببتهم كنت مسامحا ومن أحببتهم حتى فرغوا له قوت أهل بيته من المسلمين فلما رآه بذلك رأى
 مساعديهم وتطبيب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق

بمزيد علم لديه من الله
 وهو علم السمة ليد
 ماؤون له في السمة عالم
 بالآلان فيحفي خاطر
 الحظ والمراد بذلك
 على بصيرة من أمره
 يحسن به ذلك ويليق
 به عالم بزيادته وقصده
 عالم بحاله حكم لصل
 الحلال وعلم القيام
 لا يقاس على حاله ولا
 يدخل فيه بالتقليد
 لأنه أمر خاص ليد
 خاص وإذا كان شأن
 الصديق تميز خواطر
 النفس في مقام تخلصه
 من لسان الشيطان
 تكثر لديه خواطر
 الحق وخوابير الملك
 وتضيق خواطر الأنبياء
 في حقه ثلاثا ويسقط
 خاطر الشيطان إلا

في مقام التوكل فن أولى هذا المقام منه فدل على أنه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الانشغال إلى توفيقه وكفايته والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدير الأسباب وبشرط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وإدخال ومن غير أن يكون دهره أحب إليه من درهم غيره فن دخل السوق ودهره أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا وعجب لحصولها يصح التوكل إلا مع الزهد في الدنيا، ثم يصح الزهد دون التوكل فإن التوكل مقام وراء الزهد . وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجليد رحمه الله عليها وكان من التوكلين : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت أكتسب في كل يوم ديناراً ولا أبيت منه دافئاً ولا أستريح منه إلى قيراط أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجليد لا يشكك في التوكل بحضرة وكان يقول أستحي أن أكتسب في مقامه وهو حاضر عندي . واعلم أن الجالس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فإن لم يكن معلوماً ووقف وأمرأوا الحادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل إلا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كقول المكنسب وإن لم يسألوا بل تنعوا بما يعمل إليهم فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد إشتهار القوم بذلك قد صار لهم سوقاً فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلاً إلا بشروط كثيرة كما سبق . فان قلت لما الأفضل أن يمدني بيته أو يخرج ويكتسب ؟ . فاعلم أنه إن كان يتفرغ بترك الكسب فليتركه وذكر وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا يستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عليه فيعمل إليه شيئاً بل يكون قوى القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالعودة له أولى وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس فالكسب أولى لأن استشرف القلب إلى الناس سؤال بالقلب وتركه أهم من ترك الكسب وما كان للتوكلون يأخذون ما يستشرف إليه نفوسهم . كان أحمد بن حنبل قد أمر أباه بكر الروزي أن يعطى بعض الفقراء شيئاً فضلاً عما كان استأجره عليه قرده فلما ولي قال له أحمد الحق وأعطه فانه يقبل فله وأعطاه فأخذه فقال أحمد من ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وأبى وأخذ . وكان الخواص رحمه الله إذا نظر إلى عبد في العطاء أو غلب اعتياد النفس لذلك لم يجلب منه شيئاً . وقال الخواص بعد أن سئل عن أحب مראה في أسفاره رأيت الحضر ورضى بصحبتي ولكن فارقته خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصاً في توكلتي . فإذا نكسب الكسب وإذا راعى آداب الكسب وشروطه فيته كما سبق في كتاب الكسب وهو أن لا يقصد به الاستكثار ولم يكن اعتياده على بضاعته وكفايته كان متوكلاً . فان قلت لما علية عدم انكساره على البضاعة والكفاية . فأقول علامته أنه إن سرقت بضاعته أو خسرت تجارتها أو تموت في أمر من أموره كان راضياً به ولم يطمع طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحداً فإن من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقده قد سكن إليه وكان يشتر يميل للمنازل فتركها وذلك لأن العبادي كاتبه قال يلقي أنك استخنت على زورك بالمنازل أرايت إن أخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من ؟ فوقع ذلك في قلبه فأخرج آله المنازل من يده وتركها وقيل تركها لما نوهت باسمه وتصد لأجلها وقيل قل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان فمخشون ديناراً يتجر فيها فلما مات عياله فرمها . فان قلت فكيف يضور أن يكون له بضاعة ولا يسكن إليها وهو يعلم أن الكسب خير بضاعة لا يمكن . فأقول . بأن يعلم أن الدين بزوجهم الله تعالى يشير بضاعة فيهم كثرة وأن الدين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة وأن يوطن نفسه على

نادراً لتضييق مكانه من النفس لأن الشيطان يدخل بطريق واسع النفس وتوسع النفس باتباع الهوى والإخلاص إلى الأرض ومن ضائق النفس على التيزين الحظ والحظ ضائق نفسه وسقط عمل الشيطان إلا نادراً لدخوله الابتلاء عليه ثم من الرادين للتعلقين بمقام القربين من إذا صار قلبه مهيأ مزيئاً بزينة كوكب الله كره بصير قلبه مهيأ بترقى ويهينج ياطنه ومناه وحقيقته في طيغات السموات وكما ترقى تضاهل النفس للطمشة ويحمد عنه خطواتها حتى يجاوز السموات

إن الله لا يعمل به إلا ما فيه صلاحه فإن أهلك بضاعته فهو خير له فقله لو تركه كان سببا لتساقد دينه وقد اطلب الله تعالى به وفاته أن يموت جوعا فينبغي أن يستعد أن الموت جوعا غير له في الآخرة معها قضي الله تعالى عليه بذلك من غير تقصير من جهته فإذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر «إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو ضل له لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجواره وابن عمه من سبقت من دهاى وماهى إلى الراحة رحمه الله بها (١) » وذلك قال عمر رضي الله عنه لا إلى أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لأدري أيهما خير لي. ومن لم يتكامل فينه بهذه الأمور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال أبو سليمان الداراني لأحد بني أبي الحواري في من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل للبارك قال «ما سمعت منه راحة هذا كلامه مع علو قدره ولم يشكر كونه من اللقائم المتكئة ولكنه قال ما أدركته وله أراد إدراك أقصاه وما لم يكمل إلا العيان بأن لا تفاعل إلا الله ولا رازق سواه وأن كل ما يقدره على العبد من فقر وفق وموت وحياة فهو خير له مما يتناهى العبد لي بكل حال التوكل فيناه التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال تتبى على أصولها من الإيمان . وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد . فإن قلت فهل من دواء يفتش به في صرف القلب عن الركون إلى الأسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الأسباب الخفية . فأقول نعم هو أن تعرف أن سوء الظن بتلقين الشيطان وحسن الظن بتلقين الله تعالى قال الله تعالى - الشيطان يهدمكم الله ويأمركم بالفحشاء والله يهدمكم مغفرة منه وضلا - فإن الإنسان بطبعه مشغوف ببيع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيع بسوء الظن مولع وإذا انضم إليه الجبن ونصف القلب ومشاهدة للتكليف على الأسباب الظاهرة والباطنين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية عمل رؤية الرزق من الأسباب الخفية أيضا تبطل التوكل فقد حكى عن عابد أنه عكف في منسجد ولم يكن له معلوم فقال له الإمام لو أنك تسببت لكان أفضل لك فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال في الرابعة يهودى في جوار للسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال إن كان صادقا في ضبائه فسكوفك في للسجد خير لك قال يا هذا لو لم تكن إماما يخفف بين يدي الله وبين الصاد مع هذا النفس في التوحيد كان خيرا لك إذ ضللت وهدى يهودى في ضبان الله تعالى بالرزق . وقال إمام السجد لبعض الصلبيين من أين تأكل فقال يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة في سبائك تخلفك ثم أجيئك . ويشتغ في حين الظن بجميع الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الأسباب الخفية أن يجمع الحساكيات التي فيها عجايب صنع الله تعالى في وصول الرزق إلى صاحبه وفيها عجايب تهر الله تعالى في إيلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعا كما روى عن حليفة للرعي وقد كان خدم إبراهيم بن آدم قيل له يا أبا عبد ما رأيت منه فقال : قينا في طريق مكة أتينا لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوتينا إلى مسجد خراب فظفر إلى إبراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع قلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس جئت به إليه فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى وكتب هرا .

(١) حديث إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو ضل له لكان فيه هلاكه فينظر الله إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف جدا نحوه إلا أنه قال إن العبد ليشرق على حاجة من حاجات الدنيا الحديث بمعناه .

بروح باطنه كما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بظاهره وقلبه فإذا استكمل الصروح تقطع عنه خواطر النفس لتسفره بأنوار القرب وبعد النفس عنه وعند ذلك تقطع عنه خواطر الحق أيضا لأن الحاضر رسول والرسالة إلى من بعد وهذا القرب وهذا الذي وسفناه نزل ينزل به ولا يدوم بل يعود في هبوطه إلى منازل مطالبات النفس وخواطره فتعود إليه خواطر الحق وخواطر الملك وذلك أن الخواطر تستدعي وجودا ونزوا أشرنا إليه حال الفناء ولا خاطر فيه وخواطر

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جالس أنا ضائع أنا حار
هي ستة وأنا الضمين لصنها فكأن الضمين لصها يابري
مدحى لثورك لب نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقة فقال أخرج ولا تملق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقة إلى أول من يلاقك فخرجت
فأول من لقيت كان رجلا على بقة فناولته الرقة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال فاقبل صاحب
هذه الرقة قتلت هو في المسجد القلاني فدفع إلى صرة فيها ستاة دينار ثم لقيت رجلا آخر فدأله
عن راكب البقة فقال هذا نصراني فجئت إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يحيى
الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس إبراهيم قبيله وأسلم ، وقال أبو يعقوب
الأقطع البصري : جئت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضيفا فحدثني قسى بالخروج فخرجت إلى
الوادي لعل أجد شيئا يسكن ضيفي فرأيت سلجمة مطروحة فأخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة
وكان قائلا يقول لي جئت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متفجرة فريمت بها وذاخت للسجد
وقدعت فإذا أنا برجل أعجمي قد أقبل حتى جلس بين يدي ووضع قطرة وقال ههناك قتلت كيف
خصصني بها قال اعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام وأشرقت السفينة على الفرق فذرت إن خلصني
الله تعالى أن أصدق بهذه من أول من يقع عليه بصرى من المجاورين وأنت أول من لقيتها قتلت
اقتحما فتنحها فإذا فيها صيد مصرى ولوز مقشور وسكر كذاب قبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا
وقلت رد الباقي إلى أصحابك هدية مني إليكم وقد قبلتها ثم قلت في شئ رزقك يسر إليك من
عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادي وقال بمشاد الديوبى : كان على دين فاشتغل قلبي بسببه
فرايت في النوم كأن قائلا يقول يا بغيل أخذت علينا هذا القدار من الدين خذ عليك الأخذ . وعلينا
الطعام فما حسبت بذلك بقالا ولا ثيابا ولا خيرا . وحكى عن بنان الحمال قاله كنت في طريق
مكة أجي من مصر ومضى زادفيا في امرأة وقالت لي يا بنان أنت حمال تعمل على ظهرك إلى الرادوتوم
أنه لا يروقك قال فرميت زادي ثم أتى على ثلاث لم أكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي
أحله حتى يحيى صاحبه فرميا يطبخ شيئا فأورده عليه فإذا أنا بملك الراء فقال لي أنت تاجر تقول
صنى يحيى صاحبه فأخذ منه شيئا ثم رست لي شيئا من الهرام وقالت أشفها فكشفت بها إلى
قريب من مكة . وحكى أن بنانا احتاج إلى جارية تخدمه فالتبس إلى إخوانه فضموا له منها وقالوا
هو ذا يحيى الغفير ففشتري ما يوافق فلما ورد الغفير اجتمع زعيم على واحدة وقالوا إنها تسلم له
قالوا لصاحبها بكم هذه فقال إنها ليست للبيع فألحوا عليه فقال إنها لبنان الحمال أهدتها إليه امرأة
من محرقة فحملت إلى بنان وذكرته له القصة . وقيل كان في الزمان الأول رجل في سفر ومعه قرص
فقال إن أكلته مت فوكل الله عز وجل به ملكا وقال إن أكله فازرته وإن لم أكله فلا تصغفرو
فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله . وفي القرص عنه . وقال أبو سعيد الخزاز : دخلت
البادية بغير زاد فأصابني قالة فرأيت للرحلة من بين يدي شورت بأف وصلت ثم فكرت في نفسي . الله
سكنت واستكلت في غيره وآيت . أن لا أدخل للرحلة إلا أن أحمل إليها فغفرت نفسي في الزميل
حفرة وواريت جسدي فيها إلى صدري فسعت صوتا في لصف الليل حالي يأهل الرحلة . إن لله
تبارك وتعالى عيسى نفسه في هذا الرمل فالحقوه بجاء جماعة فأخرجوني وحملوني إلى القرية . وروى
أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فإذا هو بمائل يقول : يا هذا جابرت إلى عمر وإلى الله تعالى
أذهب قتل القرآن فانه سينيك عن باب عمر قلب الرجل وغاب حتى اقتحمه فذا هو قد اغترل

الحق اتسقى لمكان
القرب وخاطر النفس
بعد عنه بعد النفس
وخاطر الملك تحلب عنه
كبكتظ جبريل في ليلة
للجراح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
حيث قال . لودنوت
أعنة لا تحرق . قال
عبد بن علي الترمذي
الحديث والكلم إذا
تخفقا في درجتهما خافا
من حديث النفس
فكأن أن النبوة
محفوظة من إلقاء
الشیطان كذلك عمل
الكلمة والمهادنة
محفوظ من إلقاء النفس
وقبها وعروس بالحق
والسكينة لأن السكينة
حجاب للكلم والمحدث
مع نفسه . وصحت

واشتغل بالعبادة فجاهد عمر فقال له إن قد اشتقت إليك فما الذي شغلك عنى فقال إني قرأت القرآن فأغنىني عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله الذي وجدت فيه فقال وجدت فيموسى السقاء رزقكم وماتوا عدون - فقلت رزقي في السماء وأنا طالبي في الأرض فيكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه - وقال أبو حمزة الخراساني حجبت منعمين السنين فينا أنا مشى في الطريق إذ وقعت في بئر فإزعجتني فبقي أن أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فاستسقيت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد فأتوا فحصب وبارية وطموأرأس البئر فهممت أن أصبح قاتلة في نفسي إلى من أصبح هو أقرب منهما وسكنت فينا أنا بعد ساعة إذ أنا بشيء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأه يقول تعلق في في مهمة كنت أعرف ذلك فقلت به فآخرى من فإذ هو سبوح في وهفت في هاتف يا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فقيت وأنا أقول:

نهاني حياتي منك أن أكشف الهوى وأغنييني بالهمم منك عن الكشف
تلطفني في أسرى فأبدت شاهدي إلى ظاهي والطف بدرك بالطف
تراءيت لي بالتيب حتى صحتما بشركي بالتيب أنك في الكف
أراك وفي من هيت لك وحشة تؤنسني بالطف منك وبالطف
وتحسي محبا أمت في الحب حشفه وإذا عجب كون الحياة مع الحنف

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر وإذا قوى الإيمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير حقيق صدر وقوى الإيمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه في أسبوع فأموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه - تم التوكل بهذه الأحوال وللشاهدات وإلا فلا يتم أصلا .

بيان توكل الليل

اعلم أن من له عيال لشكته غارق في الفزع لأن الفزع لا يصح توكله إلا بأمرين : أحدهما قدرته على الجوع أسبوعا من غير استعراف وشيق نفس - والآخر أبواب الإيمان ذكرناها من جعلها أن يطينا نفسا بالموث إن لم يأت رزقه علما بأن رزقه الموت والجوع وهو وإن كان حصا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة فيزى أنه سقى إليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة وأن هذا هو الرزق الذي به يموت ويكون راضيا بذلك وأنه كذا قضى وقدرة فيهمسنا يتم التوكل للفزع ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أن يقرر غدهم الإيمان بالتوحيد وأن الموت على الجوع رزقي مضمون عليه في نفسه إن اتفق ذلك نادرا وكذا سائر أبواب الإيمان فإذن لا يمكن في حقهم إلا توكل للكسب وهو للتمام الثالث كتوكل أي بكر الصديق رضى الله عنه إذ خرج للكسب فأما دخول البوادي وترك العيال توكل في حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكل في حقهم فهذا حرام وقد يفرض إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع منع على الاحتذاء بالموت على الخروج رزقا وغنيمة في الآخرة أنه أن يتوكل في حقهم ونفسه أيضا عيال عنده ولا يجوز له أن يشيها إلا أن تساعده على الصبر على الجوع مدة فإن كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتشتوي عليه صباه لم يجز له التوكل . ولذلك روي أن أبا تراب التميمي نظر إلى صوفى مذبحه إلى كثر بطيخا كاه به ثلاثة أيام فقال له لا يصنع لك الصوفى الزم السوق أي لا تصوف إلا مع التوكل ولا تص التوكل إلا لمن صبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام . وقال أبو الهيثم بن عمار إننا قال القير بعد خمسة أيام تأجاع فأرموه السوق فمرووه بالعلم والكسب ثلاثين ليلة عالة وتوكله فبأشرف يده كثير كفاف عياله وإنما جازهم في من واحد وهو أن لا تكلف نفسه الصبر على الجوع

الشيخ أبا محمد بن
عبد الله البصري
دليمة قول الخواطر
أربعة : خاطر من
النفس - وخطر من
الحق - وخطر من
الشیطان - وخطر من
الملك فأما الذي من
النفس - فيحس به من
أرضه القلب والدي
من الحق من قوى
القلب والدي من الملك
عن بين القلب والدي
من الشيطان عن يشار
القلب والدي ذكره
إنما يسبح بهذا أذانب
نفسه بالتقوى والرهبة
وخصي وجوده واستقام
ظاهره وباطنه
فيكون قلبه كالزلا
الخيولة لا يابست
الشيطان عن ناحية

وليس لذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس اقتطاعا عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة الرضا بالموت إن تأخر الرزق تأخر أو ملازمة البلاد والأمصار أو ملازمة البوادي التي لا تخو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى إذ لا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر. والتوكل في الأمصار أقرب إلى الأسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الأسباب إلا أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها فلم يدركوا تلك أسبابا وذلك لضعف إيمانهم وشدّة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى في الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم ببساطة الظن وطول الأمل ومن نظر في ملكوت السموات والأرض انكشف له تحقّقا أن الله تعالى دبر تلك ولللكوت تدبيرا لا يجاوز البدر رقة وإن ترك الاضطراب فإن العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رقة أما ترى الجبن في بطن أمه لما أن كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالأم حتى تقبّس إليه فضلات غذاء الأم بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سبط الحب والشفقة على الأم لتكفله به خافت بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما لم يكن له من لبن الحب ثم لما لم يكن له من لبن الطعام أهمّمت اضطرابا من الله تعالى إليه بما أعطى في قلبها من ناز الحب ثم لما لم يكن له من لبن الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج إلى الضغ ولأنه رزاقه مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الشكيف فأدركه اللبن اللطيف في ثدي الأم عند اتصاله على حسب حاجته أفسكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم فإذا صار بحيث يواجه الغذاء الشكيف أثبت له أسنانا قواطع وطواحين لأجل الضغ فإذا كبر واستقل يسره لأسباب التتم وسلك سبيل الآخرة ، فحينئذ بعد البلوغ جهل محض لأنه ما خست أسباب ميسرته يلوّط به زدت قائمه لم يكن قادرا على الاكتساب فالآن قد قدر فزادت قدرته ، ثم كان للشفق عليه شخصا واحدا وهي الأم والأب وكانت هفتة مفردة جدا فكان يعلمه ويسقي في اليوم مرة أو مرتين وكان إطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه فكذلك قد تسلط الله الشفقة واللودة والرق والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البه كافة حتى إن كل واحد منهم إذا أحس يحتاج تألم قلبه ورنى عليه وانبشّت له دامية إلى إزالة حاجته قد كان للشفق عليه واحدا والآل للشفق عليه ألف وزيادة وقد كانوا لا يشفقون عليه لأنهم رأوه في كفالة الأم والأب وهو مشفق خاص لما رأوه محتاجا ولو رأوه يتألم لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفونهم فمأروى إلى الآن في سنى الحبس يتم قد مات جوعا مع أنه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافيه بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي أن يشغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشغل في الصبا وقد كان للشفق واحدا وللشفق الآن ألف ، ثم كانت هفتة الأم أقوى وأحظى ولكنها واحدة وهفتة آحاد الناس وإن ضمت فيخرج من مجموعها ما يغني القرض فكيف من يتم قد يسر الله تعالى له حالا هو أحسن من خاله من له أب وأم فينبغي نصف هفتة الآحاد بكثرة المشفقين وبركة التتم والاقتصار على قدر الضرورة وقد أحسن الشاعر حيث يقول :

جرى قلم القضاء بما يكون

فليس التبرك والسكون

جنون منك أن تسمى لرزق

ويرزق في خشاوة الجنين

فإن قلت الناس يكفون القيم لأنهم يرون عاجزا يساه وأما هذا فإني أقول على قدر الكسب فلا يشفقون إليه ويقولون هو مثلكا فليجهد نفسه . فأقول إن كان هذا القادر طالما قد صدقوا عليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فإن التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به في التضرع لله تعالى في البطلان والتوكل وإن كان مستعلا بالله ملازما لمسجد أو بيت وهو موافق على التمسك والعبادة فالناس لا يؤمنونه في ترك الكسب ولا يكفونهم ذلك بل اعتنوا بالله تعالى بخروج حبه

إلا يصبره فإذ السوء

القاب وصله الرين

لا يصبر الشيطان

روى عن أبي هريرة

رضي الله عنه عن

رسول الله صلى الله

عليه وسلم « إن البعد

إذا أذنب نكت في

قلبه نكتة سوداء

فإن هو نزع واستغفر

وكتب سقلا وإن عاد

زيد فيه حتى كمل قلبه

قال الله تعالى - كلاب

رائحة على قلوبهم

فكانوا يكسبون - »

صحت بعض المارئين

يقول كلاما حقيقا

كوهف بقوله الحديث

في باطن الإنسان

والخيال الذي تراه

ليأبىه وتخيّل بين

القلب وصفاء الله كر

في قلوب الناس حتى يعملون إليه فوق كفايته وإنما عليه أن لا يخلق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس وما روى إلى الآن عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو في الأعصرات جو عا ولا يرى قط بل لأواد أن يطعم جماعة من الناس بقوته قدر عليه فإن من كان لله تعالى كان الله عز وجل له ومن اشتغل بالله عز وجل أتى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كالسخر قلب الأم لو لمها قد بر الله تعالى الملك ولللكوت تدبيراً كافياً لأهل الملك ولللكوت فن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وأمن ونظر إلى مدبر الأسباب إلى الأسباب ثم ما دبره تدبيراً يصل إلى الشغل به والحلو والطوبى السمان والكياب الرقيقة والحيلو النفيسة على السوام لهالة وقد وقع ذلك أيضاً في بعض الأحوال لكن دبره تدبيراً يصل إلى كل مشتغل بعبادة الله تعالى في كل أسبوع قرص شعير أو حشيش يتناول لهالة والغالب أنه يصل أكثر من بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا يسبب ترك التوكل إلا رغبة النفس في التمتع على الدوام وليس الكياب الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل غير اضطراب وهو في الغالب أيضاً ليس يحصل مع الاضطراب وإنما يحصل نادراً وفي النادر أيضاً قد يحصل بغير اضطراب فأثر الاضطراب ضئيف عند من اشتغلت بصيرته فذلك لا يمتحن إلى اضطرابه بل إلى مدبر الملك ولللكوت تدبيراً لا يهاوز عبداً من عباده رزقه وإن سكن إلا نادراً تدوراً عظيماً يتصور منه في حق الاضطراب فإذا انكشفت هذه الأمور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس أهم ما قاله الحسن البصري رحمه الله إذ قال وددت أن أهل البصرة في عيالي وأن حبة بديار - وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاساً والأرض رصاصاً واهتممت برزقي لظننت أني مشرك فإذا فهمت هذه الأمور فهمت أن التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول إليه لمن فهم نفسه وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وإمكانه أنكره عن جهل فإلا أن تجمع بين الإسلاميين الإخلاص عن وجود اللقار ذوقاً والأفلاس عن الإيمان بعبادته فاذن عليك بالقتناع بالزور القليل والرضا بالقوت فإنه يأتيك لهالة وإن فررت منه وعند ذلك على الله أن يثبت إليك رزقه على يدي من لا تحسب فإن اشتغلت بالقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب - الآية ، إلا أنه لم يشكك له أن يرزقه لحم الطير ولا ناله الأطعمة لما ضمن إلا الرزق الذي تدوم به حياته وهذا الضمون مبني على لكل من اشتغل بالضمأن وأطمأن إلى ضمأنه فإن الذي أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما يظهر لخلق بل مداخل الرزق لأخصى ومخاريبه لا يهتدى إليها وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء قال الله تعالى - وفي السماء رزقكم وما كنعدون - وأسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا جعل جماعة على الجند قال ماذا تطالبون ؟ قالوا نطلب الرزق فقال إن علمت أي موضع هو فاطلبوه قالوا نسال الله قال إن علمت أيه يسألكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونشوكل ونشظ ما يكون قال التوكل على التجربة شك قالوا لا الحيلة ؟ قال ترك الحيلة - وقال أحمد بن حنبل الحزق كثر في البادية فأتى جوع شديد فظننى قسى أن أسأل الله تعالى طعاماً قلت ليس هذا من أصالة التوكلين فطالبتى أن أسأل الله صبراً فما سمعت بذلك سمعت هاتين بنتي في يقول :

وورضم أنه منا قريب . وأنا لا ضيع من أناة

وسألت على الإقرار جهداً . فكانت لا تراه ولا راية

قد فهمت أن من أنكرت نفسه وقوى قلبه ولم يضعف بالجن باطنه وقوى إيمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئناً النفس أبداً وأها بالله عز وجل فإن أسوأ حاله أن يموت ولا يدان بأنه الموت كإبائى من

هو من القلب وليس هو من النفس وهذا بخلاف ما نشر فسأله عن ذلك فذكر أن بين القلب والنفس منافاة ومعادنات وتألفاً وتودداً وكلاً انطلقت النفس في شئ بهواها من القول والفعل تأثر القلب بذلك وتكدر فإذا عاد العبد من مواطن مطالبات النفس وأقبل على ذكره وعمل مناجاته وخدمته لله تعالى أقبل القلب بالمعابة لنفس وذكر النفس شيئاً من فعلها وقولها كاللأم لنفس والمأب لها على ذلك فإذا كان الخاطر أول الفصل

ليس مطعماً فاذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب والذى ضمن رزق القادحين بهذه الأسباب التي دبرها صادق فائقه وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقاً بمايرد عليك من الأرزاق العجيبة التي لم تكن في ظلك وحسابك ولا تكن في توكلك منتظراً للأسباب بل لسبب الأسباب كالأشجار تكون منتظراً لثم الكناز بل لقلب الكاتب فانه أصل حركة القلم والحركة الأولى واحدة فلا يفتنى أن يكون النظر إلا إلى هذه وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد أو يصدق الأمصار وهو حامل وأما الذي له ذكر بالمعادة والملم فاذا قطع في اليوم واليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذائذ وثوب خشن يليق بأهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام بل يأتيه أضافه فكره التوكل وهانئاه بالرزق غاية الضعف والفسور فان اشتهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق إليه أقوى من دخول الأمصار في حق الحامل مع الاكتساب فالإهتمام بالرزق ييسر بدوى الدين وهو بالماء أتيسر لأن شرطهم القناعة والملم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وإن كانوا معه إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه يظهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان التكسب يمنع من السير بالسكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يترب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه يضرع له عز وجل وإعانة للمعلم على نيل الثواب ومن نظر إلى مجاري سنة الله تعالى علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب ولذلك سأل بعض الأكاسرة حكماً عن الأحقق للرزوق والماعل المجرور فقال أراد الصالح أن يدل على نفسه إذ للرزق كل عاقل وحرم كل أحقق لظن أن القيل رزق صاحبه فصاروا خلافه فعملوا أن الرزق غيرهم ولا تقة بالأسباب الظاهرة لهم ، قال الشاعر :

ولو كانت الأرزاق تجري على الجحيا هل يصح أن من جهلن اليأس

(بيان أحوال التوكلين في التعلق بالأسباب يضرب مثال)

اعلم أن مثال الخلق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤل وقول في ميدان على باب قصر الملك وهم يحتاجون إلى الطعام فأخرج إليهم خبثاً كثيرة ومعهم أرغفة من الخبز وأصرهم أن يسلطوا بعضهم رغبين رغبين ويضمهم رغبياً رغبياً ويجهلوا في أن لا يغفلوا عن واحد منهم وأمر مبادي حتى نادى فيهم أن ايكثروا ولا تملقوا بخلاني إذا خرجوا إليكم بل يفتنى أن يعلم كل واحد منهم في موقعه فان النبلان يسبحون وهم مأمورون بأن يوصلوا إليكم طعامكم فن تعلق بالنبلان وأدام وأخذ رغبين فاذا قنع باب اللبان وخرج أتيته بنبلاي يكون موكلاً به إلى أن أقدم لبقوة في ميدان معلوم عندي ولكن أخفيهم من لم يؤذ النبلان وقنع برغبين واجد أنه من يد التهم وهو ساكن فأن أخطبه غلبة سنة في اللبان للذكور لبقوة الآخر ومن نبت في مكانه ولكنه أخذ رغبين فغلبة عليه ولا خلية له ومن أخطأه غلاني فبا أوصوا إليه شيئاً فبات إلى جانيه غير مستشط للنبلان ولا قناليته أوجب إلى رغباً فاني فبدا أستوزد موافق ضيالي إلى ما تيسر لي من الرزق إلى أمة أقسام : قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يفتنوا إلى البقرة للوعودة وقالوا من اليوم إلى غد فرج ونحن الآن جاعون فبادروا إلى التلبان فكثروم وأغلبوا الرغبين فبقيت البقرة إليهم في اليوم التالي للذكور فقدموا ولم يضمن الندم ، وقسم تركوا التعلق بالنبلان خوف العقوبة ولكن أخذوا رغبين فلبه الجوع فسوا من القوة وما قنوا بالجلية وقسم قالوا إنا نجاس عرائس من التلبان نحن لا نضلونا ولكن تأييد إذ أعطونا رغبياً واحداً ونهتج به فإلينا فيوزرنا بالحاجة فنلنا وأبطلنا فيسرع لفتننا والخرولنا للبدان ونهتروا عن برأي أعين التلبان . وقالوا إني لتجونا وأعطونا رغبياً برغبين واحد وإن

ومفتحه فمرته من أم شأن العيد لأن الأنفال من الجواهر تنشأ حتى ذهب بعض العلماء إلى أن العلم للفرض طلبه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب العلم فريضة على كل مسلم هو هبل الجواهر قال لها أول الفصل وبشأنها فساد القبل وهذا لعمري لا يتوجه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب ذلك على كل مسلم وليس كل المسلمين عبيدهم من القرعة ولله في ما يعرفون به ذلك ولكن يعلم الطالب أن الحواطر مثابة البحر فيها ما هو

أخطأنا قاسينا شدة الجوع الآلية فلما لنا قوى على ترك التسخط فتنال الرتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما تفهم ذلك إذ اتبهم العلمان في كل زاوية وأعطوا كل واحد رغبته واحدا جرى مثل ذلك أيما حتى انفق على التدوير أن اختفى ثلاثة في زاوية ولم تقع عليهم أبصار العلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فبقوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليقنا نمرضنا للعلمان وأخذنا طعاما فقلنا لنطبق الصبر وسكت الثالث إلى الصباح فقال درجة القرب والوزارة فهذا مثل الخلق والليدان هو الحياة في الدنيا وباب الليدان الموت والعباد المجهول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل إذا مات جائعا راضيا من غير تأخير ذلك إلى ميعاد القيامة لأن الشهداء أسياء عند ربهم يزقون وللتعلق بالعلمان هو للتدعي في الأسباب والعلمان للسحزون هم الأسباب والجائس في ظاهر الليدان يجرأى التلمذات هم للقبول في الأمصار في الرباطات وللساجد على هيئة الحكون والمختنون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والأسباب تبهم والرزق يأبهم إلا على سبيل الدور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الحاق إلى هذه الأقسام الأربعة ولعل من كل مائة تعلق بالأسباب تسعون وأقام سبعة من الشجرة الباقية في الأمصار مترشحين السحب بمجرد حضورهم واشتياهم وساح في البوادي ثلاثة وتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد وله كان كذلك في الأمصار السالفة وأما الآن فالترك للأسباب لا ينهي إلى واحد من عشرة آلاف .

[المن الثاني في التمرض لأسباب الادخار] فمن حصل له مال يارثا وكسب أو سؤال وسبب من الأسباب فله في الادخار ثلاثة أحوال : الأولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل كل إن كان جائعا أو يلبس إن كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا إن كان محتاجا ويرقى الباقي في الحال ولا يأخذه ولا يدخره إلا بالقدر الذي يدرك به من يستعته ويحتاج إليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الحق بموجب التوكل حقيقة وهي الدرجة العليا . الحالة الثانية للقاء لهذه الخرجة له عن حدود التوكل أن يدخر لسنه فما فوقها فهذا ليس من التوكلين أصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات إلا ثلاثة : الفأرة والجملة وابن آدم . الحالة الثالثة أن يدخر لأربعين يوما فما دونها فهذا هل بموجب حرمانه من اللقائم المحمود للوعود في الآخرة للمتوكلين اختلقوا فيه فذهب سهل إلى أنه يخرج من حد التوكل وذهب الحوافر إلى أنه لا يخرج بأربعين يوما وخرج بمنازعة على الأربعين وقال أبو طالب للسك لا يخرج من حد التوكل بالزيادة على الأربعين أيضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد مجوز أصل الادخار ، نعم مجوز أن يظن ظان أن أصل الادخار يناقض التوكل فأما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسعى أصحاب الرتبات السابقين ، وأصحاب البدايات أصحاب اليمين ، ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات وكذلك السابقون على أعلى درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق أن التوكل يترك الادخار لا يتم إلا بتصرير الأمل وأما عدم آمال القيام فيحد اشتراطه ولو في حسن فان ذلك كالتصريح بوجوده أما الناس فيمتدحون في طول الأمل وقصره وأقل درجات الأمل يوم وليسه فسادونه من الساعات وأقسامه ما يصور أن يكون عمر الانسان وبينهم ما درجات لا تحضر لها فحين لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى القصور حين يؤمل سنة وتقسيمه بأربعين لأجل ميعاد موسى عليه السلام ميعاد تلك الواقعة ما قصد به اليقين بميعاد بارئ شخص الأمل فيه ولكن استعاضوا موسى ليقول للوعد كان لا يتم إلا بعد أربعين يوما لتزجرت به وبأتمناه سنة الله تعالى في تدبير الأمور كما قال عليه السلام وإن الله يخرجه آدم بيده أربعين ميلا فلا يكون استعاضوا تلك الخيلة التخييل كالموعود فليس محتملا ما ذكره إلا أن يكون له

(١) حديث آخر طيبة آدم بيده أربعين ميلا كما أبو منصور القاسمي في مسند الفردوس من حديث

بشر السعادة ومنها
ما هو بشر الشقاوة .
وسبب احتساب
الحواظر أخذ أربعة
أقسام لأقسام لها إما
شغل اليقين أو غفلة التلم
بمعرفة صفات النفس
وأخلاقها أو متباعدة
الموى يهزم فواعند
التوكل أوصية الدنيا
جافها وما لها وطلب
الرفقة والرفقة عند
الناس فمن عصم
عن هتفه الأربعة
يرقى بين سنة الملك
ولمة الشيطان ومن
استلج بها لا ينجها
ولا يخلصها وانكشف
بمن الحواظر دون
البصير لو يبعد بهن
هتفه الأربعة دون
البصير والفرقة

السنة لا يدخر ، إلا يحكم نصف القلب والركون إلى ظاهر الأسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير
وائق بإحاطة التدبير من الوكيل الحق بغفائا الأسباب فان أسباب السهل في الارتعاشات والركوات
تتكرر بشكر السنين غالباً ومن أذخر لأقل من سنة فله درجة حسب قصر أمه ومن كان أمه شهرين
لم تكن درجته كدرجة من أمل شهراً ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر بل هو يترجى الرتبة ولا يمنع
من الادخار الا قصر الأمل فالأفضل أن لا يدخر أصلاً ، وإن نصف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله
أكثر ، وقد روي في القبر الذي أمر على الله عليه وسلم علياً كرم الله وجهه وأسامه أن يسلمه فسلمه

وكفناه يردته فلما دفعه قال لأصحابه وإنه يمت يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولواصفة كانت
فيه لم يمت ووجهه كالشمس الضاحية ، قلنا وما هي يا رسول الله ؟ قال كان ضواها كواكب كثيرة الذكر لله
تعالى غير أنه كان إذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف وإذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لثقلته ، ثم
قال صلى الله عليه وسلم بل أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر (١) الحديث وليس البكوى والشغرة
وما يحتاج إليه من الدوام في معنى ذلك فان ادخاره لا ينقص الدرجة وأما ثوب الشتاء فلا يحتاج إليه
في الصيف ، وهذا في حق من لا يترجى قلبه بترك الادخار ولا يستعير نفسه إلى أيدي الخلق بل
لا يفت قلبه إلا إلى الوكيل الحق فان كان يستعير في نفسه اضطراباً يشغل قلبه عن العبادات والذكر
والفكر فالادخار له أولى بل لو أمسك ضئيلة يكون دخله وأيقاعه كفايته وكان لا يترجى قلبه إلا به

فذلك له أولى لأن القصود إصلاح القلب ليتجدد فذكر الله ورب شخص يشغله وجوده للبال ورب
شخص يشغله عدمه والهنود لما يشغل عن الله عز وجل وإلا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها
ولا عدمها ، ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أسلاف الخلق وفيهم التجار والمخترون وأهل
الحرف والصناعات فلم يأمر التجار بترك تجارتهم ولا المخترف بترك حرفه ولا امر التارك لهما بالاشتغال
بهما بل دعا الكل إلى الله تعالى وأرهم إلى أن فوزهم ونجاتهم في تصريف قلوبهم عن الدنيا إلى الله
تعالى وعزيمة الاشتغال بالله عز وجل القلب فصول الشغل ادخار قدر حاجته كأن صواب القوي ترك
الادخار ، وهذا كله حكم للتفرد ، فأما للعين فلا يخرج عن حد التوكل باذخار قوت سنة ليماء جبرا
لضعفهم وتسكيناً لقلوبهم وادخار أكثر من ذلك يمتلئ للتوكل لأن الأسباب تتكرر عند تكرار السنين
فادخاره ما يزيد عليه ضئيلة قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحدة قوى القلب
مطمئنة للنس إلى فضل الله تعالى وألقى تدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة ، وقد ادخّر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليماء قوت سنة (٢) وهي أم أين وغيرها أن تدخره شيئاً لتد (٣) ونهى بلال عن
الادخار في كسرة خبز ادخرها ليعطى عليها فقال صلى الله عليه وسلم (٤) وأحق بلال ولا تخش من ذي العرش إقل ولا

أكثر ابن مسعود وسلمان الفارسي يستأذنان ضئيل جدا وهو ناطل (١) حديث أنه قال في حق القبر
الذي أمر علياً أو أسامة فسلمه وكفنه يردته أنه يمت يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر الحديث
وفي آخره من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر لم أجده أصلاً ونهت آخر الحديث قوله هذا .
(٢) حديث ادخر ليماء قوت سنة (يقين) عليه ونهت في الحركة (٣) حديث نهي أم أين وغيرها أن
تدخر شيئاً لقد نعمت به لم أم أين وغيرها (٤) حديث نهي بلال عن الادخار وعليه ما لا ولا تخش
من ذي العرش إقل ولا أكثر من غير قال ذلك ، وروى أبو يونس والطبراني في الأوسط حديثاً في هربة وكذا
ضئيلة وأما ما ذكره المصنف من أنه ادخر كسرة خبز لم أره

بشخص الخواطر وأقربهم
بعرفة الناس ومعرفتها
صعبة للبال لا تسك
تيسر إلا بسد
الاستعداد في الزهد
والتسوي . وافق
للتابع على أن من
كان أحسنه من
الحرام لا يفرق بين
الالهام والوسوسة .
وقال أبو علي الله تعالى
من كان قوي بمعلوم
لا يفرق بين الهام
والوسوسة وهذا لا يصح
على الإطلاق إلا بقيد
وذلك أن من للمعلوم
ما يقسمه الحق سبحانه
وتعالى لم يزد من سبق
إليه في الأخذ منه
والثبوت بموئيل هذا
المعلوم لإيجاب عن
تمكين الخواطر إجمالاً

وقال صلى الله عليه وسلم «إداسات فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخفأ» (١) اقتداء بسيد التوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان قصر أمه بحيث كان إذا بال يتيم مع قرب الماء ويقول «ما يدري لعل لأبائه» (٢) وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله إذا كان لا يثق بما ادخره ولكنه عليه السلام ترك ذلك تعلقاً للأقوياء من أمته فان أقوياء أمته ضفاء بالاضافة إلى قوته وادخر عليه السلام لبالهنة لا لضعف قلب فيه وفي صباه ولكن ليس ذلك للضفاء من أمته بل أخبر «أن الله تعالى يحب أن توفي رخصه كما يحب أن توفي عزاءه» (٣) تطبيقاً لقلوب الضفاء حتى لا يتهنى بهم الضعف إلى

الأيأس والقنوط فيتركون للبسور من الخير عليهم بهجزم عن منهى الدرجات لما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم وإذا فهمت هذا علمت أن الإدخار قد يضري بعض الناس وقد لا يضري ، ويدل عليه ما روي أبو أمامة الباهلي «أن بعض أصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال **يحيى** فقموا غوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كتمان» (٤) وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالاً ولا يقول ذلك في حق موته واحتمل وجهين لأن حاله عند الموت أحدهما أنه أراد كتمان من النار كما قال تعالى - تسكروا بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - وذلك إذا كان حاله إظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبس. والثاني أن لا يكون ذلك عن تلبس فيكون للغبى به نقصان عن درجة كاله كما ينقص من جمال الوجه أثر كتمان في الوجه وذلك لا يكون عن تلبس فان كل ما غلظه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة إذ لا يؤتى أحسن الله نباشاً إلا نقصه بده من الآخرة . وأما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن الدُّخْر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشده ما روي عن بشر قال الحسين الغازي من أسحابه كنت عنده ضجوة من النهار فدخل عليه رجل كهل أمر خفيف المراضع فقام إليه بشر قال وما رأيت قام لأحد غيره قال ودفع إليّ كفانم درهم وقال اغترنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال جئت بالطعام فوضعت فأكل معه وما رأيت أكل مع غيره قال فأكننا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فأخذته الرجل وجهه في ثوبه وحمله معه وانصرف فنجبت من ذلك وكرهته فقال لي بشر لملك أنكرت فله قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن فقال ذلك أخونا فتح للوصي زارنا اليوم من الموصل قائماً أراد أن يملنا أن التوكل إذا أصبح لم يضرب معه الادخار [الفن الثالث في مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف] اعلم أن الضرر قد يمرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأساً أمافي النفس فسكانوم في الأرض للمسبة أو في مجاري السيل من الوادي أو تحت الجدار المسائل والسقف المتكسر فكل ذلك منهى عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغیر فائدة ، ثم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها ومنظونة وإلى موهومة ترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها إلى دفع الضرر نسبة الكس والرقة

(١) حديث قال لبلال إذا سلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخفأ والطبراني والحاكم من حديث أبي سميئو هوثقة . حديث أبي الله تقياً [١] قد تقدم (٢) حديث أبي الله صلى الله عليه وسلم قال ويجمع قرب الماء ويقول ما يدري لعل لأبائه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث ابن عباس بينه ضعيف (٣) حديث إن الله يحب أن توفي رخصه الحديث أحمد والطبراني والبيهقي من حديث أم جبر وقد تقدم (٤) حديث أبي أمامة توفي بعض أصحاب الصفة فوجدوا دينارين في فاحية إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كتمان أحد من رواية شهر بن حوشب عنه .

[١] قول العراقي حديث أبي الله تقياً الخ لم يكن هذا الحديث موجوداً بالأصل قلعه بنسخته تأمل .

يقال في حق من دخل في معلوم باختياره وإشاراً لأنه يتحجب لموضع اختياره والذي أشرنا إليه من مصلح من إرادته فلا يجبره للسوم وفرقوا بين هواجس النفس وموسوعة الشيطان وقالوا إن النفس تطالب وتلع فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها والشيطان إذا دعا إلى زلة ولم يجب يوسع بأخري إذا لا غرض له في تخصيص بل مراده الاغواء كيفما أمكنه وتكمم التشويخ في الحاطرين إذا كانا من الحق أيهما يتبع قال الجيد الحاطر الأول

فإن السكينة واليقظة قد تقدم به على المخذور فضلا ما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المخذور للآثار القورسول
 الله صلى الله عليه وسلم لم يصرف للتوكلين إلا ترك السكينة والرفقة والطيرة ولم يصغفهم بأنهم إذا خرجوا إلى
 موضع بارد لم يلبسوا جبة والحاجة تلبس فيها البرد للتوقع وكذلك كل ما في معناها من الأسباب . ثم
 الاستظهار يأكل التوم مثلا عند الخروج إلى السفر في الشتاء تهيجا لقوة الحرارة من الباطن ربما
 يكون من قبيل التعمق في الأسباب والتحويل عليها فيكاد يقرب من السكينة بخلاف الحية وتترك الأسباب
 الدافعة وإن كانت مقطوعة وجه إذا ناله الضرر من إنسان فإنه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفي
 فنشط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى - فأخذه وكبلا وأصر على ما يقولون - وقال تعالى -
 ولتصبرن على ما آذيتن واطوئي الله فليتركك للتوكلون - وقال عز وجل - ودع أذنكم وتوكل على الله
 وقال سبحانه وتعالى - فاصبر كما صبر أولوا النعم من الرسل - وقال تعالى - ثم أجر العاملين الذين
 صبروا وعلى ربهم يتوكلون - وهذا في أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسياف والمقارب
 فتركه دفعا ليس من التوكل في شيء إلا فلا تذكفه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه بل لإعاقته على
 الدين وترجم الأسباب عنها كترتها في الكسب وجلب النافع فلا تطول بالأفلة وكذلك في الأسباب
 الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باخلاص باب البيت عند الخروج ولأبأن يقتل البعير لأن هذه أسباب
 عرفت بسنة الله تعالى إقطاعا وإماتنا ولذلك قاله صلى الله عليه وسلم للأعرابي لما أن أهل البعير
 وقال توكلت على الله اعتقلها وتوكل ^(١) وقال تعالى - خذوا حذركم - وقال في كيفية صلاة الحوفي
 - وليأخذوا أسلحتهم - وقال سبحانه - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الجحيل - وقال تعالى
 لموسى عليه السلام - فأبصر بعبادتي لا - والتحصن بالليل اخفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب
 واخفاء رسول الله ﷺ في الفار اخفاء عن أعين الأعداء دفعا للضرر ^(٢) وأخذ السلاح في الصلاة
 ليس دافعا قطعا كقتل الحية والمقرب فإنه دافع قطعا ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا أن
 للمظنون كالمنطوق ونسأ للوهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه - فإن قلت فقد حكى عن جماعة أن
 منهم من وضع الأسديده على كتفه ولم يتحرك - فأقول وقد حكى عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسفروه
 فلا يتنبى أن يترك ذلك المقام فإنه وإن كان صحيحا في نفسه فلا يصح للاقتداء بطريق التعلم من الغير
 بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه أسرار لا يقف عليها من لم يتأهلها
 فإن قلت وهل من علامة أعلم بأنني قد وصلت إليها ؟ فأقول الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات ولكن
 من العلامات على ذلك القيام بالساعة عليه أن يستخرج لكب هو معك في إهابك يسمى القضب فلا يزال
 يضطرب ويضي غير لقان سخري لك هذا الكلب حيث إذا هيج وأعلى لم يستقل إلا بأشارتك وكان مسغرا
 لك فربما ترفع درجتك إلى أن يسخر لك الأسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك أولى بأن يكون
 مسغرا لك من كلب الوداد وكلب إهابك أولى بأن يسخر من كلب دارك فأذا لم يسخر لك الكلب
 الباطن فلا تظن في استئجار الكلب الظاهر - فإن قلت فإذا أخذ للتوكل سلاحه حذرا من العدو وأخلى
 يديه حذرا من اللص وعقل يديه حذرا من أن ينطلق فيأى اعتبار يكون متوكلا - فأقول يكون متوكلا
 بالعلم والحال فأما العلم فهو أن تعلم أن اللص إن أتى فليدفع بكفايته في إغلاق الباب بل لم يدفع إلا بدفع الله
 تعالى إياه فكيف من باب خلق ولا يتنعوكم من يبيع بقله ويموت أو يغتصمكم من أخذ سلاحه يقتل

لأنه إذا بقي رجع صاحبه
 إلى التامل وهذا شرط
 البصر - وقال ابن عطاء
 الثاني أقوى لأنه إذا زاد
 قوة يأول - وقال
 أبو عبد الله بن خفيف
 هبما سبهما لأشهما
 من الحق فلا مزية
 لأحدهما على الآخر قالوا
 الواردات أصم من
 الحطرات لأن الحطرات
 تتجعد بنوع خطاب
 أو مطالة والواردات
 تكون نارة خواطر
 وقارة تكون وارد
 سرور ووارد حزن
 ووارد قبيح ووارد
 بسيط - وقيل بنود
 التوحيد قبل الخطا
 من الله تعالى وهوود
 للعرفه قبيل من
 الباطن ويهدد الأعداء

(١) حديث اعتقلها وتوكل الترمذي من حديث أنس قاله يحيى القطان مسكنا وهذا من خواتمه في
 التوكل والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري في نسخة جيدة (٢) حديث الحسن بن علي رضي الله
 عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أعين الأعداء دفعا للضرر في نسخة جيدة في الباب عند إرادة المجرة

أو يضل فلا تكل على هذه الأسباب أصلاً بل على مسبب الأسباب كاشترى بالثمن في الوكيل في الخصومة فإنه إن حضر وأحضر السجل فلا يشك على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته. وأما الحال فهو أن يكون راضياً بما يقضى الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم إن سلطت على ماني البيت من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راضٍ بحكمك فاني لأدري أن ما أعطيتني به فلا تسترجعها أوتارياً وودجة فتستردها ولأدري أنه رزقي وأوسقت مشيتك في الأزل بأنه رزقي خيرى وكيفما قضيت فأنا راضٍ به وما أغلقت الباب تحصناً من فضلك وتخطأ به بل جرياً على مقتضى سننك في ترتيب الأسباب فلا ثقة إلا بك يا مسبب الأسباب فإذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه عليه لم يخرج عن حدود التوكل بقول البعير وأخذ السلاح وإغلاق الباب ثم إذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وإن لم يجد بل وجده مسروقاً نظراً لقلبه فإن وجد من راضياً وأوفر حاجته علمنا أنه ما أخذ الله تعالى ذلك منه إلا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه. وإن تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له أنه ما كان صادقاً في دعوى التوكل لأن التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد إلا بمن لا يتأسف على مفات من الدنيا ولا يشرح بما يأتي بل يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل، نعم قد يصح له مقام الصبر إن أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذى قلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستغنى الطلب يديه فقد كانت السرفة مزيداً له في ذنبه من حيث إنه ظهر له قصوره عن جميع اللقائات وكذب في جميع الدعوى فبهذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاؤها ولا يتدلى بعجل غرورها فاتها خداعة أماره بالسوء مدعية للغير. فإن قلبت فكيف يكون للتوكل مال حتى يؤخذ. فأقول للتوكل لا يغلو بيته من متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه وإنه يرضاه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات للعيشة من أثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو عسك لا يجد محتاجاً فيصرفه إليه فلا يكون إداخه على هذه التنية مبطلاً لتوكله وليس من شرط التوكل إخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده وإعما ذلك في اللأ كوز وفي كل مال زاده لا قدر الضرورة لأن سنة الله جارية بوصول الخير إلى الفقراء للتوكلين في زوال الساجد وما جرت السنة بشفرة الكيزان والأمانة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطاً في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والقرائن والإبرة دون الزاد لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الأميين. فإني قلت فكيف يصوم أن لا يهزن إذا أخذ متاعه الذي هو محتاج إليه ولا يتأسف عليه فإن كان لا يشتهه فلم أسكه وأغلق الباب عليه وإن كان أسكه لأنه يشترى لما جته إليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يهزن وقد جعل بينه وبين ما يشتهيه. فأقول إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذا كان يظن أن الخير له في أن يكون له ذلك للتيقن ولولا أن الخير له فيلما رزقه الله تعالى ولما أعطاه إياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه وإن يكن ذلك عنده مقطوعاً به إذ يحتمل أن تكون خيرة على أن يتنلى فقدم ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر فلما أخذ الله تعالى منه بتسليط الجني تغير ظنه لأنه في جميع الأحوال والوقائع بالله حسن الظن به فيقول لو أن الله عز وجل علم أن الخير كانت لي في وجودي إلى الآن والخير على الآن في عدمي المسألة فبمثل هذا الظن تصور أن يدفع عنه الحزن لأنه يخرج عن أن يكون فرسه يا متعجبين حيث إنما أسباب بل من حيث إنه يسر هاسب الأسباب عناية وتلطفاً وهو كالمرض بين يدي الطبيب الشفيق رضى بما فعله فانغمضت النداء فرح وقال لولا أنه

ينهى النفس ويؤمر
الاسلام يرد على البدو
ومن قصر عن ذلك
حقائق الزهد وتطلع
إلى تمييز الخواطر
الحاطر أولاً يميزان
الشرع لما كان من
ذلك فلا يفرغ من ضيقه
وما كان من ذلك محرماً
أو مكرهاً يقيه فإن
استوى الحاطران في
نظر العلم ينفذ أحدهما
إلى مخالفة هو
النفس فإن النفس قد
يكون لها هوى كأنه
في أحدهما والمخالف من
شأن النفس الامرأج
والركون إلى البدو
وقد علم الحاطر بنشاط
النفس والبدن يظن أنه
يهوى القلب وقد
يكون من القلب شاق

يسرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربته إليّ وإن أخر عنه الغذاء بعد ذلك أيضاً
سرح وقال لولا أن الغذاء يضرك ويسوقني إلى اللوث لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف
الله تعالى ما يستغنى للريض في الوالد الشفيق الحانيق لعلم الطب فلا يصح منه التوكل أملاً . ومن
عرف الله تعالى وعرف أهله وعرف سنته في إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسباب فانه لا يدرى
أى الأسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه : لا تأبالي أصبحت غنياً أو فقيراً فاني لأدرى أيهما
خير لي فكذلك ينبغي أن لا يبالى التوكل يسرق متاعه أو لا يسرق فانه لا يدرى أيهما خير له في الدنيا
أو في الآخرة فكذلك من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الإنسان وكل من غنى يبتلى بواقعة لأجل
غناه يقول بالنبي كنت فقيراً .

يسكنه إلى النفس
يقول بعضهم منذ
عشرين سنة ماسكن
قلبي إلى نفسي ساعة
فيظفر من سكون
القلب إلى النفس
خواطر تشبه خواطر
الحق في من يكون
ضيف العلم فلا يدرك
هناق القلب والخواطر
الثلاثة منه إلا النساء
الواسخون . وأكثر
ما تدخل الآلات على
أرباب القلوب
والأخدين من اليقين
والنقطة والحال
بهم من هذا القليل
ولذلك لقلة العلم بالنفس
والقلب وقراء نصيب
أن يتم السد قطعا
أنه معناه في علمه أن

(میان آداب للتوکلین إذا سرق متاعهم)

التوكل آداب في متاع يته إذا خرج عنه . الأول : أن يلقى الباب ولا يتصنى في أسباب الحفظ كالتمسك من الجيران الحفظ مع التلق وبكمه أغلاظة كثيرة قد كان مالك بن دينار لا يلقى بابه ولكن يشده بشرط ويقول لولا الكلاب ما شدته أيضا . الثاني : أن لا يترك في البيت متاعا عرض عليه السارق فيكون هو سبب مصيبتهم أو إصاها يكون سبب هيجان وغشيتهم ولذلك لما أهدى القفيرة إلى مالك بن دينار ركوة قال هذا لأحاجة لي إليها قال له ؟ قال يوسوس إلى المدون الأص أخذها فكانت أحرز من أن يصيب السارق ؟ ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا لما عليه من أخذها . الثالث : أن ياضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في جبل أو هو في سبيل الله تعالى وإن كان قبراهو عليه صدقة وإن لم يشترط القفر فهو أولى فيكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير : إحداهما أن يكون ماله مانعا له من اللصبة فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانها بكل الحرام لما أن جعله في حل . والثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لماله مسلم آخر ، ومهما ينو حراسة مال غيره بماله نفسه أو ينو دفع اللصبة عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نسح للسلبين وامتل قوله صلى الله عليه وسلم « **بِإِنْسِي أَخِيكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا** » (١) ونصر الظالم أن تمنحه من الظلم وعفوه عنه إعدام للظلم ومنع له وليتحقق أن هذه النية لا تصرفه بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الأدنى ولكن يستحق بالزهدية فان أخذ ماله كان له بكل درهم سبعائة درهم لأنه نواه وقصد وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك الزل فآفر التلقة قرارها أن له أجر غلام وله من ذلك الجاعل وماش يقتل في سبيل الله تعالى وإن لم يوفه له (٢) لأنه ليس أمر الوفاء إلا الوفاء فالحق والحياة والرزق والبقاء فليس إليه فلو خلق لكان ثوابه على نفسه وقوله لم ينعم فكذلك أمر السرقة . الرابع : أنه إذا وجد لئلا مسروفا فينبغي أن لا يحزن بل يفرح **إِنْ أَمَكْتَهُ** ويقول لولأن الحفرة كانت فيه لما سلمه الله تعالى ثم إن لم يكن قد جعله في سبيل الله عز وجل فلا ياتى في طلبه وفي إيساء الظن بالمسلمين ، وإن كان قد جعله في سبيل الله فترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة فان

(١) حديث العصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث من ترك العزل وأقر النطفة قرأها كان له أجر غلام الحديث لم أجده أصلاً.

أعبد عليه فالأولى أن لا يقبله بعد أن كان قد جعله في سبيل الله عز وجل وإن قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم لأن الملك لا يزول بمجرد تلك التوبة ولكنه غير محبوب عند التوكلين . وقد روى أن ابن عمر سرق ثاقبه فطلبها حتى أعيأ ثم قال في سبيل الله تعالى فدخل للمسجد فصل فيه ركعتين فنجاه رجل ، فقال : يا أبا عبد الرحمن إن ثاقبك في مكان كذا فلبس ثوبه وقام ثم قال أستغفر الله وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال إني كنت قلت في سبيل الله . وقال بعض الشيوخ رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته قلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازل فيها فرأيته قال وهو مع ذلك كتيب حزين قلت قد غفر لك ودخلت الجنة وأنت حزين فتفتس الصدقات قال نعم إني لا أزال حزينا إلى يوم القيامة قلت ولم قال إني لما رأيت منازل في الجنة رفعت لي مقامات في عِلين ماريت مثلها فيها رأيت فقرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه لي إنما هي لمن أمضى السبيل ، قلت وما إضفاء السبيل أقبيل كنت تقول للشيء إنه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأضفيت لك . وحكى عن بعض العباد بكه أنه كان قائما إلى جنب رجل معه هميانه فاتقه الرجل فقعد هميانه فاتحه به فقال له كم كان في هميانه فذكر له حمله إلى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك أعله أصحابه أنهم كانوا أخذوا الهميان مزحما معه فجاء هو وأصحابه معه وردوا الذهب فأبى وقال خذوه حلالا طيبا لما كنت لأعود في مال أخرجه في سبيل الله عز وجل فلم يقبل فألحوا عليه فدعا ابنا له وجعل يصره صررا ويصيح بها إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء ففكدا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغبيا ليطيعه فقيرا فظاب عنه كان يكره رده إلى البيت بعد إخراجها فيعطيه فقيرا آخر وكذلك يغفل في الهرام والدنانير وسائر الصدقات . الخامس : وهو أقل العجرات أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالأخذ ، فإن فعل بطل . قوله ودل ذلك على كراهته وتأنيبه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أجره أيضا فإصاب به في الخبر « من دعا على ظالمه فقد اتصر ^(١) » . وحكى أن الريح بن خيثم سرق فرسه له وكان قيمته عشرين ألفا وكان قائما يسلي فلم يقطع صلاته ولم يزعج لطلبه فجاءه قوم بمزقه ، فقال أما إني قد كنت رأيته وهو يحل قتل وما منعك أن تزجره . قال كنت فيها هو أحب إلي من ذلك يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لاضلوا واولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه . وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له ألا تدعو على ظالمك قال ما أحب أن أكون عوناً للشيطان عليه قيل أرأيت لو رد عليك قال لا أخذه ولا أنظر إليه لأنني كنت قد أحلته له . وقيل لآخر : ادع الله على ظالمك ، فقال ما ظلمني أحد ثم قال إنما ظلم نفسه ألا يكفيه السكن ظم نفسه حتى أزيد شرًا . وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه ، فقال لا تضرني في شتمه فإن الله تعالى ينتصف للحجاج ممن اتهمك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه . وفي الخبر « إن العبد ليظلم للظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتسم له من اللطام ^(٢) » . السادس : إن يشتم لأجل السارق وعيانه ثم يرضى لئلا يباد الله تعالى ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك تمنا في دنياه لا تمنا في دينه فقد حكا بعض الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله

من الخوى وإن دق
وقل يبق عليه حسبه
قيسة من اهتداه
الخواطر ثم قد غلط
في تمييز الخواطر من
هو قليل العلم ولا
يؤاخذ بذلك ما لم يكن
عليه من الشرع
مطالبة وقد لا يسمع
بذلك بعض القائلين
كوشفوا به من دقي
الحفا في التميز ثم
استجابهم مع علمهم
وقلة التثبت . وذكر
بعض العلماء أن لمسة
الملك ولمة الشيطان
وجدنا لحركة النفس
والروح وأن النفس
إذا تحركت اقتدحت من
جوهرها ظلمة تكت
في القلب همه سوء
فينظر الشيطان إلى

(١) حديث من دعا على من ظلمه فقد اتصر تهم (٢) حديث إن العبد ليظلم للظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة الحديث تهم .

قال إن لم يكن لك غم أنه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بما لك لما نصحت للمسلمين. وسرق من علي بن الفضل دنانير وهو يطوف بالبيت فركه أبوه وهو يبكي وبخزن قال أخطأ الدنانير بكي؟ قال لا والله ولكن علي للسكين أن يسئل يوم القيامة ولا تكون له حجة وقيل لبعضهم ادع علي من ظلمك قال إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فهداه أخلاق السلف رضي الله عنهم أجمعين.

[السنن الرابع في السعي في إزالة الضرر كدواوة الأرض وأمثاله] اعلم أن الأسباب للزينة للمرض أيضا تنقسم إلى مقطوع به كإزالة الزيل لضرر العطش والحجز للزيل لضرر الجوع وإلى مظنون كالنصد والحجام وتوشب الدواء السهل وصائر أبواب الطب أعني معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهي الأسباب الظاهرة في الطب وإلى موهوم كالسكي والرقية. أما القطع فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف اللوث. وأما للوهوم فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم للتوكلين وأقولها السكي ويليها الرقية والطيرة آخر درجاتها والإعانة عليها والاتكال إليها غاية التعمق في ملاحظة الأسباب وأما الدرجة للتوسطة وهي المظنونة كالدواوة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء فبها ليس مناقضا للتوكل بخلاف للوهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص فبهي على درجة بين المرتبتين ويدل على أن البدلوى غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأمره به أما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم «ما من داء إلا له دواء عرفة من عرفة وجهه من جهه إلا السام» يعني الموت وقال عليه السلام «تداووا عباد الله فإن الله خلق الداء والدواء» . «وسئل عن الداء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال: هي من قدر الله» وفي الخبر المشهور «ما مرت بلا من الملائكة إلا قالوا مر أمكك بالحجامة» وفي الحديث أنه أمر بها وقال «احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لا يتبيخ بك الدم فيقتل» . «فذكر أن تبيخ الدم سبب الموت وأنه قاتل يأذن الله تعالى وبين أن إخراج الدم خلاص منه إذ لا فرق بين إخراج الدم المهلك من الإهاب وبين إخراج القرب من تحت الثياب وإخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل

القلب فيقبل بالافواه والوسومة وذكر أن حركة النفس تكون إما هوى وهو عاجل جط النفس أو أمانة وهي عن الجسد القوي أو دعوى حركة أو سكون وهي آفة للمقل وعنة القلب ولا ترد هذه الثلاثة إلا بأحد ثلاثة جهل أو غفلة أو طلب فضول ثم يكون من هذه الثلاثة ما يجب فيه فانهل تركه بخلاف مأثور أو على وفق منهى ومنها ما يكون فيه فضيلة إذا وردت بمباحلة. وذكر أن الروع إذا تحرك اقتحم من جوهرها فبرز ساطع يظهر من

(١) حديث ما من داء إلا له دواء عرفة من عرفة وجهه من جهه إلا السام أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود دون قوله إلا السام وهو عند ابن ماجه مختصرا دون قوله عرفة إلى آخره وإسناده حسن والترمذي وصحه من حديث أسامة بن شريك إلا الهرم والطبراني في الأوسط والبخاري من حديث أبي سعيد الخدري والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس وسندهما ضعيف والبخاري من حديث أبي هريرة ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء وسلم من حديث جابر لكل داء دواء (٢) حديث تداووا عباد الله الترمذي وصحه وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك (٣) حديث سئل عن الداء والرقى هل رد من قدر الله قال هي من قدر الله الترمذي وابن ماجه من حديث أبي خزيمة وقيل عن أبي خزيمة عن أبيه قال الترمذي وهذا أصح (٤) حديث ما مرت بلا من الملائكة إلا قالوا مر أمكك بالحجامة الترمذي من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب ورواه ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين الحديث البزار من حديث ابن عباس بسند حسن موقوف على الترمذي يلفظ إن خير ما تحتجمون فيه سبع عشرة الحديث دون ذكر التبيخ وقاله حسن غريب وقال البزار إن طريقه المضممة أحمد من هذا الطريق ولا ينال من حديث أنس بسند ضعيف من أرواح الحجامة فليفتن سبب بعض الحديث

هو كسب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل أصلا وفي خبر مقطوع «من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة (١)» وأما أمره صلى الله عليه وسلم فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوى وبالجملة (٢) وقطع لسعد بن معاذ عرقا (٣) أي فصله وكوى سعد بن زرارة (٤) وقال لعلى «رضي الله تعالى عنه وكان رمد العين «لأننا كل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه أوفق لك (٥)» يعني سلقا قد طبخ بدقيق شير . وقال لصبيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين «تأكل تمرا وأنت أرمد فتدل إلى أكل من الجانب الآخر فتبسم صلى الله عليه وسلم (٦)» . وأما قوله عليه الصلاة والسلام فقد روى في حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر وشرب الدواء كل سنة (٧) قيل السنة للشيء . وتداوى (٨) غير مرة من القرب وغيرها (٩) وروى أنه كان إذا نزل عليه الوحي صدم رأسه فكان يلففه بالحناء (١٠) وفي خبر أنه كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا (١١) وماروى في تداويه وأمره بذلك كثير خارج عن المحصر وقد صنف في ذلك كتاب وصي طب التي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات أن موسى عليه السلام اعتل بقلعة فدخل عليه بنو إسرائيل فزفروا علك

(١) حديث من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة الطبراني من حديث معقل بن يسار وابن جبان في الضعفاء من حديث أنس وإسنادهما واحدا واختلف في روايته إلى الصحابي وكلاهما فيه زيد العمى وهو ضعيف (٢) حديث أمره بالتداوى لغير واحد من الصحابة الترمذي وابن ماجه من حديث أسامة بن شريك أنه قال للأعرابي حين سأله تداووا الحديث وسأني في قصة على وصبيب في الحمية بعده (٣) حديث قطع عرقا لسعد بن معاذ مسلم من حديث جابر قال روى سعد في أكله فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم يده بمشقص الحديث (٤) حديث أنه كوى أسعد بن زرارة الطبراني من حديث سهل بن حنيف بسند ضعيف ومن حديث أبي أسامة بن سهل بن حنيف دون ذكر سهل (٥) حديث قال لعلى وكان رمدا لئلا تأكل من هذا الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم التمر (٦) حديث قال لصبيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين تأكل تمرا وأنت رمد الحديث تقدم في آفات اللسان (٧) حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر وشرب الدواء كل سنة ابن عدى من حديث عائشة وقال إنه منكر وفيه سيف بن محمد كذبه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين (٨) حديث أنه تداوى غير مرة من القرب وغيرها الطبراني بإسناد حسن من حديث جيلة بن الأزرقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لدسته عرق بنقش عليه فراه الناس الحديث وفيه في الأوسط من رواية سعيد بن ميسرة وهو ضعيف عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى جمع كفنا من غوثين وشرب عليه ماء وعسلا ولأبي يعلى والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم يده بماء وفيه جابر البجلي ضعه الجمهور (٩) حديث كان إذا نزل عليه الوحي صدم رأسه فيلقنه باغناء البزار وابن عدى في الكتل من حديث أبي هريرة وقد اختلف في إسناده على الأصحاحين حكيم كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء الترمذي وابن ماجه من حديث سلمى قال الترمذي غريب (١٠) حديث جعل على قرحة خرجت به ترابا البجلي ومسلم من حديث عائشة كان إذا اشتكى اللانسان التي منه أكلت قرحة أوجع الله النبي صلى الله عليه وسلم يده بماء أو وضعه سنيان بن عينة الراوي سيابة بالأرض ثم رفعها وقال بسم الله تراب أرضنا وربة بضعا يعني سقيناه

ذلك النور في القلب همة
عالية بأحد معان ثلاثة
إما يقسرها أمر به
أوبفضل نعب إليه
وأما ببحا يسود
صلاحه إليه وهما
الكلام يدل على أن
حركتي الروح والنفس
هما للوجبتان لمتين .
وعندي والله أعلم أن
المتين يقسمان على
حركة الروح والنفس
لحركة الروح من له
الملك والهمة العالية من
حركة الروح وهذه
الحركة من الروح يركب
له الملك وحركة النفس
من له الشيطان ومن
حركة النفس الهمة
الدينية وهي من هوى
الشيطان فلذا وردت
المتان ظهرت الحركتان

فقال له لودايت بكذا لبرت فقال لا تدأوى حتى يماضي هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له إن
دواء هذه العلة معروف جرب وإن تدأوى به قبرا فقال لا تدأوى وأقامت علته فأوحى الله تعالى إليه
وعزني وجلالي لأبرأتك حتى تدأوى بما ذكره لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فدأووه فبرا
فأوحى في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تبطل حكمي بتوكلك على من أودم العقابر
منافع الأشياء غيري . وروى في خبر آخر أن نبيا من الأنبياء عليهم السلام شكك في مجدها فأوحى الله
تعالى إليه كل البش . وشكا في آخر الضعف فأوحى الله تعالى إليه كل العجايل فإن فيها القوة قيل
هو الضعف من الجماع . وقد روى أن قوما شكوا إلى نبيهم قبح أولادهم فأوحى الله تعالى إليه مرهم
أن يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد . وبغل ذلك في الشهر الثالث والرابع أذنيه
يسور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبل السفرجل والنساء الرطب فهذا تبين أن مسبب
الأسباب أجرى سنته بربط السببات بالأسباب إظهارا للحكمة والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى
كسائر الأسباب فكما أن الحبز دواء الجوع ولحاء دواء العطش فالكسجين دواء الصفراء والسقونيا
دواء الاسهال لإخفائه إلى أحد أمرين : أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلي واضح
يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالكسجين يدركه بعض الخواص من أدر كذلك بالتجربة التي حق
في حقه بالأول : والثاني أن الدواء يسهل والكسجين يسكن الصفراء بشرط آخر في الباطن وأسباب
في الزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يغوث بعض الشروط فيقتاع الدواء عن
الاسهال . وأما زوال العطش فلا يستدعي سوى لحاء شروطا كثيرة وقد يتفق من الدواض ما يوجب
دواء العطش مع كثرة شرب لحاء . ولكنه نادر واختلال الأسباب أبدا ينحصر في هذين الشيتين
والأول المسبب يتلو السبب لاحالة مهما تمت شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتسخير
وترتيبه بحكم حكته وكما قدرته فلا يضر للتوكل استنباه مع النظر إلى مسبب الأسباب ودون الطبيب
والدواء فقد روى عن موسى عليه السلام أنه قال يارب من الداء والدواء ؟ قال تعالى مني قال فما يصنع الأطباء ؟
قال يأكلون أرزاقهم ويطيئون قوس عبادي حتى يأتي شفاؤي أو قضائي فإذا نعتي التوكل مع التدأوى
التوكل بالمع والحمد كاسبق في فنون الأعمال الدائمة للضرر الجالية فيمنع فاما ترك التدأوى رأسا فلا يس
شروطا فيه . فان قلت فالكي أيضا من الأسباب الظاهرة النفع . فأقول ليس كذلك إذ الأسباب
الظاهرة مثل الفضد والحجامة وشرب السهل وسقي للبردات بالمعروور وأما الكي فهو كان مثله في الظهور
لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقلا يتباد الكي في أكثر البلاد إنما ذلك عادة بعض الأتراك والأعراب
فهذا من الأسباب للوهومة كالركي إلا أنه يتميز عنها بأمر وهو أنه احتراق بالنار في الحال يمنع الاستشفاء
عنه فانه مأمون وجع يبالغ بالكي لإزالة دواء يغنى عنه ليس فيه إحراق فالاحتراق بالنار جرح مخرب
للنية محذور السراية مع الاستشفاء عنه بخلاف القصد والحجامة فان سرايتها بعيدة ولا يدمد مدما
غيرها . ولذلك «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي دون الرقي» (١) وكل واحد منهما يبعد
عن التوكل وروى أن عمران بن الحصين احتل فأغاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزلوا به وعزم عليه
الأسر حتى اكتوى فكان يقول كنت أرى نورا وأمع صوتا وتسلم على ثلاث لكة فلما كتوت اقطع
ذلك حتى وكان يقول اكتبونا كيات فوالله ما أفلحت ولا أنجحت ثم تاب من ذلك وناب إلى الله تعالى

و يظهر سر العطاء
والإشلاء من معط
مكرم ومبل حكيم وقد
تكون هاتان العلتان
متداركتين ويسمى أثر
إحداهما بالأخرى
وللتفطن للتبنيظ
يفتح عليه بمطالعة
وجود هذه الآثار في
ذاته باب ألس ويحق
أبدان فقد أحالة المطالعة
آثار العتتين . وذكر
خاطر خامس : وهو
خاطر العقل متوسط
بين الخواطر الأربعة
يكون مع النفس
والمدو لوجود التميز
وإنبات الحجة على
العبد ليدخل العبد في
الشيء بوجود عقل إذ
لو فقد العقل سقط
المقاب والمقاب وقد

(١) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي دون الرقي البخاري من حديث ابن عباس
وأنهى أمق عن الكي ، وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها روي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الرقية من كل ذي حمة .

فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من أمر اللاتكة وقال لحطرف بن عبد الله ألم تر إلى اللاتكة التي كان أكرمني الله بها قد ردها الله تعالى عليّ ببدان كان أخبره بفقدها فاذن السكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل لأنه يحتاج في استنباطه إلى تدبير ثم هو مقصوم ويدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التحقق فيها والله أعلم .

(بيان أن ترك التداوى قد يحمي في بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل)

وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم)

اعلم أن الله بن تداوى من السلف لا يحرصون ولكن قد ترك التداوى أيضا جماعة من الأكابر ربما يظن أن ذلك هسان لأنه لو كان كالاتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله ، وقد روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قيل له لو دعونا لك طبيا قال الطبيب قد نظر إلى وقال إني فعال ما أريد . وقيل لأبي الدرداء في مرضه ما تشكى قال ذنوبي قيل فأتشفي قال المغفرة ربي قالوا الأندعوك طبيا قال الطبيب أمرضني . وقيل لأبي ذر وقد رمدت عيناه لوداوتها قال إني عنها مشغول قبل لو سألت الله تعالى أن يفاك قال أسأله فيها هوام علي منها . وكان الريح ابن خيثم أسأله في قبله لو تداويت فقال قد همت ثم ذكرت حادا وغود وأصحاب الرس وقرناتين ذلك كثير أو كان فيهم الأطباء فهلك للتداوى وللداوى ولم تكن الرقي شيئا . وكان أحد بن حنبل يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من شرب الدواء وغيره وكان به علل فلا يخبر للطبيب بها أيضا إذا أسأله . وقيل لسهل مقي يصح للعبد التوكل قال إذا دخل عليه الضرر في جسمه والنفس في ماله فلم يلتفت إليه شيئا بله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه فإذا منهم من ترك التداوى وراده ومنهم من كرهه ولا يتنص وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله لا يحرص الصوارف عن التداوى . فيقول إن ترك التداوى أسبابا . السبب الأول : أن يكون المريض من الكاشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجه وأن الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحس وعظن وتارة بكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوى من هذا السبب فإنه كان ممن للكاشفين فإنه قال لما شفى رضي الله عنها في أمر اليراث إسماعيل اختك وإنما كان لها أخت واحدة ولكن كانت امرأته حاملا فولدت أنثى فلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بأنني فلا يمد أن يكون قد كوشف أيضا بأنها أجه وإلا فلا يظن به إنكار التداوى وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وأمر به . السبب الثاني : أن يكون المريض مشغولا بآله وخوف ما يقبته وإطلاع الله تعالى عليه فينبه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوى شيئا بله وعليه يدل كلام أبي ذر إذ قال إني ههما مشغول . وكلام أبي الدرداء إذ قال إسماعيل تشكى ذنوبي فكان تأمل قلبه خوفا من ذنوبه أكثر من تأمل بدنه بالمرض ويكون هذا كالصاحب بموت عزيز من أعزته أو كالخائف الذي يعمل إلى ملك من اللوك ليقول إذا قيل له لا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك إنكارا لكون الأكل ناضا من الجوع ولا طمنا فيمن أكل ويترقب من هذا اشتغال سهل حيث قيل له لما القوت قال هؤذ كرا إلى القيوم قبل إسماعيل سألتك عن القول فقال القول هو ألم قبل سألتك عن الغذاء قال الغذاء هو ألم كرا قبل سألتك عن طعمة الجسد قال مالك ولجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخر إذا دخل عليه جوع ففرد إلى صائه أما رأيت السنة إذا عبت ردوها إلى صائفها حتى يصلحها . السبب الثالث : أن تكون النفس مومنة والدواء الذي يؤمر به بالإضافة إلى علته موهوم النفع جاري مجرى السكي والرقية فترك التوكل وإليه يشير قول الريح بن خيثم إذ قال ذكرت حادا

يكون مع اللاتكة والروح
ليوقع الفعل عتارا
ويستوجب به
الثواب . وذكر
خاطر سادس وهو خاطر
اليقين وهو روح
الإيمان ومزيد العلم
ولا يمد أن قال الحاضر
السادس وهو خاطر
اليقين حاصله راسخ
إلى ما يريد من خاطر
الحق وخاطر العقل
أصله تارة من خاطر
للك وتارة من خاطر
النفس وليس من
العقل خاطر على
الاستقلال لأن العقل
كاذب كذا غيرة يتنبأ
بها إمداد العلوم ويتنبأ
بها الانجذاب إلى
دواعي النفس تارة
وإلى دواعي اللاتكة تارة

وعمود وفيهم الأطباء فهلك للداوى وللداوى أى أن الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا ينبغي على ظنه كونه نافعا ولا يخفى أن الطبيب المحرب أشد اعتقادا في الأدوية من غيره فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة وأكثر من ترك التداوى من المباد والزهاد هذا مستند لأنه يثق الدواء عنده شيئا موهوما لأصله وذلك صحيح في بعض الأدوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظرا واحدا فيرى التداوى تفعلا في الأسباب كالسكى والرقى فيتركه توكلا . السبب الرابع . أن قصد العبد بترك التداوى استيقاظا للروح لئلا يثوب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى أو ليحرب نفسه في القدرة على الصبر قدورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره قد قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشرة الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد حتى قدر إيمانه فان كان صلب الإيمان شد عليه البلاء وإن كان في إيمانه ضعف خفف عنه البلاء ^(١) » وفي الخبر « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمن خرج كالذهب الإبريز لا يريد منهم دون ذلك ومنهم من يخرج أسود عتقا ^(٢) » وفي حديث من طريق أهل البيت « إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه فان صبر اجتبه فان رضى اصطفاه ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « تحبون أن تكونوا كالجر الصفاة لا تعرضون ولا تسقون ^(٤) » وقال ابن مسعود رضى الله عنه تجد المؤمن أسع شئ قلبا وأمرسه جسا وتجد النفاق أسع شئ جسا وأمرسه قلبا . فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واقتنموه لئنالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له عظمة فيها ولا يدكرها الطبيب ويقاسى العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه وإنما ينع المرض جوارحه وعلموا أن صلاتهم تقودا مثلامع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة في الخبر « إن الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا العبدى صالحا كان بعمله فإنه في وثاقى إن أطلتني أيدلته لما خيرا من له وما خيرا من دمه وإن توفيته توفيته إلى رحمتي ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه الناس ^(٦) » فقل متنا ما دخل عليه من الأمراض والمصائب وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - وكان سهل يقول ترك التداوى وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوى لأجل الطاعات وكانت بهمة عظيمة فلا يكن يتداوى منها وكان يداوى الناس منها وكان إذا رأى العبد يصل من

والى دواعى الروح تارة
والى دواعى الشيطان
تارة فعلى هذا لا يزيد
الجوارى على أربعة
ودعوى الله صلى الله
عليه وسلم لم يذكر غير
للمؤمنين وهاتان المقتان
ما الأصل . والخاطران
الأخران فرج عليهما
لأن الله لا إذا حركت
الروح وهتزت الروح
بالهمة الصالحة قربت
أن تهتز بالهمة الصالحة
للمحضر القرب فورود
عليه عند ذلك خواطر
من الحق وإذا تحققت
بالقرب يتحقق الفناء
تثبت الخواطر الربانية
بعد ذلك كما ذكرناه
فيل . لموضع قربه
غير يكون أهل خواطر
تألقى . لله الملك وله

(١) حديث نحن معاشرة الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل الحديث . أحمد وأبو يعلى والحاكم
وصححه على شرط مسلم نحوه مع اختلاف وقد تقدم مختصرا . ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن أبي
وقاص وقال صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم
ذهب الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٣) حديث من طريق أهل البيت إن الله
إذا أحب عبدا ابتلاه الحديث ذكره صاحب القردوس من حديث علي ولم يخرج له ولده في مسنده
والطبراني من حديث أبي عنية إذا أراد الله بعبده خيرا ابتلاه . وإذا ابتلاه اقتناه لا يترك له حالا ولا
ولدا وسنده ضعيف (٤) حديث تحبون أن تكونوا كالجر الصفاة لا تعرضون ولا تسقون ابن أبي
عاصم في الأحاد والمثنى وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة . والمبيح في العيص من حديث أبي قاطمة
وهو صدر حديث : إن الرجل ليكون له المزة عند الله . الحديث وقد تقدم (٥) حديث إن الله يقول
للملائكة اكتبوا العبدى صالحا كان بعمله فإنه في وثاقى . الحديث : الطبراني من حديث عبد الله بن
عمر وقد تقدم (٦) حديث أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس . تقدم في الجهد مرفوعا .

فعود ولا يستطيع أعمال البر من الأمراض فتدأوى للقيام إلى الصلاة والتهوض إلى الطاعات بسبب من ذلك ويقول صلاته من فعود مع الرضا بحاله أفضل من التدأوى للقوة والصلاة قائما. وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء قائما هو سعة من الله تعالى لأهل الضعف وهو لم يدخل في شيء فهو أفضل لأنه إن أخذ شيئا من الدواء ولو كان هولاء البارديسئل عنه لم يأخذوه من لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلهم بأن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والرض لا ينفع من أعمال القلوب إلا إذا كان أله غالبا مدهشا . وقال سهل رحمه الله علل الأجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة . السبب الخامس : أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض إذا طال تسكيرا فيترك التدأوى خوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قيل **لا تزال الحى واللىلة بالعبد حتى يمضى على الأرض كالبردة ماعليه ذنب ولا خطيئة (١)** وفي الخبر **«حى يوم كفارة سنة (٢)»** فقيل لأنها تهدت قوة سنة وقيل للإنسان ثلثائة وستون مفصلا تدخل الحى في جميعها ويجد من كل واحد ألما فيكون كل ألم كفارة يوم ، ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحى سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل أن لا يزال محوما فلم تكن الحى غارقة حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طائفة من الأنصار فكانت الحى لا تزالهم **(٣)** ولما قال صلى الله عليه وسلم **«من أذهب الله كرميته لم يرض له ثوبا دون الجنة (٤)»** قال فقد كان من الأنصار من يتقى العمى وقال عيسى عليه السلام : لا يكون عالما من لم يفرح بدخول اللصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطايا . وروى أن موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاء فقال يارب ارحمه فقال تعالى كيف أرحمه فيما به أرحمه أي به أكفر ذنوبه وأزيد في درجاته . السبب السادس أن يستشعر العبد في نفسه مبادئ البطر والطغيان تطول مدة الصحة فيترك التدأوى خوفا من أن يماجه زوال المرض فتعاوده الفتنة والبطر والطغيان أو طول الأمل والتسويف في تدابر القنات وتأخير الحيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات بها يثبت الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو إلى اللامع وأقلها أن تدعو إلى التسم في اللباحت ، وهو تضعيف الأوقات وإهمال فروع العظم في مخالطة النفس وملازمة الطاعات وإذا أراد الله بعبده خيرا لم يخله من التنبه بالأمراض واللصائب وذلك قيل لا يخلو

(١) حديث لا تزال الحى واللىلة بالعبد حتى يمضى على الأرض كالبردة ماعليه خطيئة أبو يعلى وابن عدى من حديث أبي هريرة والطبراني من حديث أبي الدرداء نحوه وقال الصدوق بدل الحى واللىلة الطبراني في الأوسط من حديث أنس مثل للريض إذا صبح وبرأ من مرضه كشئ البردة تنفع من الساء تقع في صفاتها ولونها وأبيانيد ضيقة (٢) حديث حمى يوم كفارة سنة التضاعى في مسند الشهابين حديث ابن مسعود بسند ضعيف وقال لية بدل يوم (٣) حديث لما ذكر رسول الله ﷺ كفارة الذنوب بالحى سأل زيد بن ثابت أن لا يزال محوما الحديث وسأل ذلك طائفة من الأنصار أحمدا أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناد جيد أن رجلا من المسلمين قال يا رسول الله أرايت هذه الأمراض تسببنا ما لنا فيها قال كفارات قال أي وإن قلت قال فإن شوكتها فوقها قال فعدا على أن لا يفرقه فلو عك حتى يموت الحديث والطبراني في الأوسط من حديث أبي بن كعب أنه قال يا رسول الله ما جزاء الحى قال تجري الحسنات على صاحبها ما لا تلحق عليه قدم أو ضرب عليه عرق فقال اللهم إني بألمك حى لا تمنى خروجا في سبيلك ولا خروجا إلى بيتك وللأسجد نبيك الحديث والاسناد مجهول فاه على بن اللدى (٤) حديث من أذهب الله كرميته لم يرض له ثوبا دون الجنة تهدم للرفوع منه دون قوله فقد كان في الأنصار من يتقى العمى .

الشیطان اذا حركت النفس هوت بجلبتها الى مركزها من القسرة والطبع فظهر منها لحركتها خواطر ملائكة لفرزتها وطبيعتها وهواها فصارت خواطر النفس نتيجة لمة الشيطان فأصلها لثان ويشجان آخرين وخاطر اليقين والعقل مندرج فيما والله أعلم

[الباب الثامن والخمسون في شرح الحلال للوقام والفرق بينهما]

قد ذكرنا الاشتباه بين الحلال والوقام واختلفت إشارات الشيوخ في ذلك ووجود الاشتباه لمكان تشابههما

لؤمن من علة أوفلة أوزلة وقد روى «أن الله تعالى يقول الفقر سجنى وللرض قيدى أحبس بمن أحب من خلقى» فإذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب الماصى فأى خير يزيد عليه ولم ينبغ أن يشتغل بسلامة من يخاف ذلك على نفسه فالمافية في ترك الماصى قد قال بعض العارفين لإنسان كيف كنت بسدى؟ قال في عافية قال إن كنت لم تمس الله عز وجل فأنت في عافية وإن كنت قد عصيته فأى داء أدوا من اللصية ماعوفى من عصي الله . وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيد ماهذا الذى أظهره؟ قالوا يأمر اللؤمين هذا يوم عيدهم فقال كل يوم لا يصحى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد . وقال تعالى - من بعد ما أراكم ماعبون - قيل المواقى - إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وكذلك إذا استغنى بالمافية . وقال بعضهم : إنما قال فرعون : أنا ربكم الأعلى لطول العافية لأنه لبث أربعين سنة لم يصنع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لعنه الله ولوأخذته الشقيقة يوما لشفته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية . وقال صلى الله عليه وسلم «أكثرنا من ذكر هادم اللذات (١)» وقيل الحمى رائد الموت فهو مذكرة ودافع للقصور . وقال تعالى - أولايرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يزيون ولا هم يذكرون - قيل يفتنون بأمراض يختبرون بها ، ويقال إن البعد إذا مرض مرضتين ثم لم يقب قال له ملك الموت يا فافل جاءك من رسول بعد رسول فلم تجب ، وقد كان السلف كذلك يستوحشون إذا خرج عام ولم يصابوا فيه بنقص في نفس أو مال وقالوا لا يخلو المؤمن في كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يصاب بيلة حتى روى أن محارب بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تخرض فطلتها وأن النبي صلى الله عليه وسلم «عرض عليه امرأة لحكى من وصفها حتى أم أن يتزوجها ، فقيل وأنها مامرست قط ، فقال لاحاجة لي فيها (٢)» . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، فقال رجل والصداع مأمرفه فقال صلى الله عليه وسلم : إليك عني من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا وهذا (٣)» لأنه ورد في الخبر «الحمى حظ كل مؤمن من النار (٤)» . وفي حديث أنس وعائشة رضى الله عنهما «قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم؟ فقال نعم من ذكر للموت كل يوم عشرين مرة (٥)» . وفي لفظ آخر «الذى يذكر ذنوبه تجزئه» ولا شك في أن ذكر الموت على المريض أغلب فلما أن كثرت قوائمه المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها إذ رأوا أنفسهم مزدا فيها لا من حيث رأوا التدوى قصانا وكيف يكون قصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم.

في تسهما وتداخلهما
قترادى لبعض الذى
حالا وتراى للبعض
مقاما وكلا الرؤيتين
صحيح لوجود تداخلهما
ولا بد من ذكر ما يبط
يفرق بينهما على أن
اللفظ والعبارة عنهما
مشعر بالفرق (الحال)
على حالته وتوابعه
مقاما لبقوته واستقراره
وقد يكون الذى
بينهما حالاً يصير
مقاما مثل أن يثبت
من باطن البعد داعية
الحاسبة ثم تزول
الداعية بنبلة صفات
النفس ثم تعود ثم
تزول فلا يزال البعد
حالا الحاسبة يتعاهد
الحال ثم يعود الحال
بظهور صفات النفس

- (١) حديث أكرهوا ذكر هادم اللذات الترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه من حديث أنس بن مالك عن عائشة (٢) حديث عمار بن عبد الله عن عائشة (٣) حديث أنس بن مالك عن عائشة (٤) حديث أنس بن مالك عن عائشة (٥) حديث أنس بن مالك عن عائشة

(بيان الرد على من قال ترك التدوي أفضل بكل حال)

فلو قال قائل إنما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه وإلا فهو حال الضعفاء، ودرجة الأقوياء توجب التوكل بترك الدواء، يقال ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحجابة والتصدق عند تنبؤ العلم. فان قيل إن ذلك أيضا شرك فليكن من شرطه أن تلذغه القرب أو الحية فلا ينحبها عن نفسه، إذ الدم يلدغ الباطن والقرب تلذغ الظاهر فأى فرق بينهما؟ فان قال وذلك أيضا شرط التوكل يقال ينبغي أن لا يزيل لئلا يلدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالحطب ولدغ البرد بالحية وهذا لا تأمل به، ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته، ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضى الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فاتهم لما قصدوا الشام واتوا إلى الجابية بغيرهم الخبر أن به موتا عظيما وباء ذريما فالتقى الناس فرقتين، فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فخلقنا بأيدينا إلى التهلكة، وقالت طائفة أخرى بل ندخل وتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نهر من اللوث فنكون كمن قال الله تعالى فيهم - ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم آلاف فحذر اللوث - فرجعوا إلى عمر فسأله عن رأيه، فقال ترجع ولا ندخل على الوباء، فقال له الحاقفون في رأيه: أنهر من قدر الله تعالى؟ قال عمر نعم نعم نعم من قدر الله إلى قدر الله، ثم ضرب لهم مثلا، قال: أرايت لو كان لأحدكم غنم فحبط واديا له شعبتان: إحداهما غصية، والأخرى مجدية أليس إن رعى الغصية رعاها بقدر الله تعالى وإن رعى المجدية رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن ابن عوف ليسأله عن رأيه وكان غاليا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك، قال عندي فيه يأمر المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا سمعت بالوباء في أرض فلا تخدموا عليه وإذا وقع في أرض وأتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» (١) فترحم عمر رضى الله عنه بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه ورجع من الجابية بالناس، فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أطي القامات إن كان أمثال هذا من شروط التوكل. فان قلت قلتم نهى عن الخروج من البلد الذى فيه الوباء، وسبب الوباء في الطب الهواء وأظهر طرق التدوي القرار من للضرر، والهواء هو الضرر فلم يرخس فيه؟ فأعلم أنه خلاف في أن القرار عن الضرر غير منهي عنه، إذ الحجابة والتصدق فرار من للضرر وترك التوكل في أمثال هذا مباح وهذا لا يدل على القعود ولكن الذى يقتضيه فيه والعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث إنه يلاقى ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فإنه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء آثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الأثر الذى استحكم من قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس اللوهمات كالرق والطيرة وغيرها، ولو تجرد هذا المعنى لكان منقضا للتوكل ولم يكن منياعه ولكن صار منياعا عنه لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقى في البلد إلا للرضى الذين أقدمهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وقعدوا التهمدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يجرزون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون ذلك سببا في إهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظرا

قال نعم من ذكر اللوث كل يوم عشرين مرة لم آت له في إسناده (١) حديث عبد الرحمن بن عوف إذا سمع بالوباء في أرض فلا تخدموا عليه الحديث وفي أوله قصة خروج عمر بالناس إلى الجابية وأنه ينهاهم أن بالشام وباء الحديث رواه البخاري.

إلى أن تداركه
للجنة من الله الكريم
ويطلب حال الحجابة
وتستقر النفس
وتتضبط وتساكنها
الحجابة فتصير الحجابة
وطنه ويستقره ومقامه
فيصير في مقام الحجابة
بعد أن كان له حال
الحجابة، ثم ينازله
حال للرابية، فن
كانت الحجابة مقامه
يصير له من للرابية
حال، ثم يحول حال
للا رابية لتناوب السهو
والفتنة في باطن القلب
إلى أن ينشعب ضباب
السهو والفتنة وتندرك
الله عبده بالمعونة
فتصير للرابية مقاما
بعد أن كانت حالولا
يستقر مقام الحجابة

قراره إلا بنازل حال
المراقبة ولا يستقر مقام
المراقبة تراه إلا بنازل
حال المشاهدة فإذا
منع العبد بنازل حال
المشاهدة استقرت
مراقبته وصارت مقامه
ونازل المشاهدة أيضا
يصكون حالاً يحول
بالاستئثار ويظهر
بالتجلى ثم يصير مقاما
وتتخلص نفسه عن
كسوف الاستئثار ثم
مقام المشاهدة أحوال
وزيادات وتزيينات من
جبال إلى حال أعلى
منه كالتحقق باليقين
والتخلص إلى البقاء
والترقى من عيّن
اليقين إلى حق اليقين
وحق اليقين نازل
يخرق شفاف القلب
وذلك أصل فروع

كما أن خلاص الأسماء منتظر فلا تأموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا
بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقيين واللسلون كالبنيان يشد بهضه بضالو الزنون كالجسد الواحد
إذا اشتكى منه عضو تدعى إليه سائر أعضائه فهذا هو الذي يتفقد عندنا في تحليل التهى وينعكس
هذا فيمن لم يقدم بد على البه فاته لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا بأهل البه حاجة إليهم، نعم لو لم يبق
بالبه إلا مطعونون وافترقوا إلى للتهدين وقدم عليهم قوم فرما كان يتفقد استجواب الدخول ههنا
لأجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لأنه يفرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين،
وهذا شبه القرار من الطاعون في بعض الأخبار بالقرار من الزحف (١) لأن فيه كسرا لقلوب بقية
المسلمين وسعيًا في إهلاكهم فهذه أمور دقيقة لمن لا يلاحظها وينظر إلى ظواهر الأخبار والآثار يتناقض
عنده أكثر ماصه وغلط العباد والزهاد في مثل هذا كثير وإنما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك .
فإن قلت ففي ترك التداوى فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوى لينال
الفضل ؟ - فنقول فيه فضل بالإضافة إلى من كثرت ذنوبه ليكفرها وأخاف على نفسه طمان المافية وغلبة
الشهوات أو احتياج إلى ما يذكره للوث لقلبة الثقة أو احتياج إلى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن
مقامات الراسخين والتوكلين أو قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الأدوية من لطائف
للنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى أو كان شغفه بحاله يمنعه من التداوى وكان التداوى يشغله عن
حاله لضيقه عن الجمع في هذه الثمان رجعت الصوارف في ترك التداوى وكل ذلك كالات بالإضافة
إلى بعض الخلق وقصان بالإضافة إلى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من
هذه اللقائات كلها إذ كان حاله يقتضى أن تكون مشاهدته على وقيرة واحدة عند وجود الأسباب
وقدحها فاته لم يكن له نظر في الأحوال إلا إلى سبب الأسباب ومن كان هذا مقامه لم يفتره الأسباب
كان أن الرغبة في المال قص والرغبة عن المال كراهية له وإن كانت كالا فهي أيضا تفسد بالإضافة
إلى من يستوى عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب أكل من المرعى من الذهب دون
الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء للدر والذهب عنده وكان لا يمكنه تعلم الخلق مقام الزهد
فانه منتهى قوتهم بالخوفه على نفسه من إسساكه فانه كان أعلى رتبة من أن تفره الدنيا وقد عرضت
عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها (٢) فكذلك يستوى عنده مباشرة الأسباب وتركها مثل هذه
المشاهدة وإعجال ترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وترخيها لأمتة فيما تمس إليه حاجتهم
مع أنه لا ضرر فيه بخلاف إدخال الأموال فإن ذلك يظم ضرره، نعم التداوى لا يضر إلا من حيث رؤية
الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا قد نهى عنه ومن حيث إنه يقصد بالصحة يستعان بها على المعاصي
وذلك منهى عنه المؤمن في غالب الأمر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه
بل من حيث إنه جعله الله تعالى سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا غفكم التداوى في
مقصوده تحكّم الكسب فانه إن اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وإن
اكتسب للتمتع بالمباح فله حكمه فقد ظهر بالمعنى التي أوردناها أن ترك التداوى قد يكون أفضل في
بعض الأحوال ، وأن التداوى قد يكون أفضل في بعض ، وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال

(١) حديث تشبيه القرار من الطاعون بالقرار من الزحف رواه أحمد من حديث عائشة بإسناد جيد
ومن حديث جابر بإسناد صحيح وقد تقدم (٢) حديث أنه عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها
تقدم ولفظه عرضت عليه مفاتيح خزائن السماء وكنوز الأرض فربها .

والأشخاص والنبات وأن واحدا من القمل والترك ليس شرطا في التوكل إلا ترك اللوهومات كالسكى والرقى فإن ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالتوكلين .

(بيان أحوال التوكلين في إظهار الرض وكفاته)

اعلم أن كنهان الرض وإخفاء الفقر وآبوا بالبلاء من كنوز البر وهو من أجل القامات لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلاءه معاملة بينه وبين الله عز وجل فكفاته أسلم عن الآفات ومع هذا فالإظهار لأبأس ، وإذا صحت فيه النية وللقصد ومقاصد الإظهار ثلاثة : الأول أن يكون غرضه التداوى فيحتاج إلى ذكره للطبيب ، فيذكره لافي معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى ، وقد كان بشر يصف لبعد الرحمن الطبيب أوجاعه وكان أحد بن حنبل يضر بأمراس يجدها ويقول إنما أصف قدرة الله تعالى في . الثاني : أن يصف لتبر الطبيب وكان ممن يتقدي به وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم عنه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى أن للمرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالتم . قال الحسن البصري : إذا حمد المريض لله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى . الثالث أن يظهر بذلك عجزه واختاره إلى الله تعالى وذلك بحسن ممن تليق به القوة والشجاعة ويستمد منه العجز كما يرى أنه قيل لمن في مرضه رضي الله عنه كيف أتيت قاله بشر فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال آجله على الله ؟ فأجاب أن يظهر عجزه واختاره مع ما علم به من القوة والضرارة وتأديب فيه بأدب النبي صلى الله عليه وسلم إياه حيث مرض على كرم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول : اللهم سرني على البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية » (١) فيجده النبات يرخس في ذكر المرض . وإنما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية والعكوى من الله تعالى حرام كاذ كرت في تحريم السؤال على افتراء إلا بضرورة وسير الإظهار شكاية بقرينة السخط وإظهار الكراهة لعل الله تعالى أن خان خلا من قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بأن الأولى تركه لأنه ربما يوم الشكاية ولأنه ربما يكون فيه تصنع ومزبد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوى توكلنا فلاوجه في حقه للإظهار لأن الاستراحة إلى السواء أفضل من الاستراحة إلى الافشاء ، وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ، وقيل في معنى قوله نصبر جميل - لا شكوى فيه ، وقيل ليغيب على السلام ما الذي أذهب بصرك ؟ قال مر الزمان وطول الأحران . فأوحى الله تعالى إليه : نزعني لشكوى إلى عبادي فقال يارب آتوب إليك ، وروى عن طاوس ومجاهد أنهما قالا يكتب على المريض آتيتني في مرضه وكانوا يكرهون آتيتني المرض لأنه إظهار معذرة يقتضي العكوى حتى قيل ما أصاب إبليس لئله الله من آتوب عليه السلام إلا آتيتني في مرضه فجعل الآتين خطه منه ، وفي الخبر « إذا مرض العبد أوحى الله تعالى إلى الملكين انظرا ما يقول لنواذه فان حمد الله وأثنى غير دعوا له وإن شكا وذكر شرا قالا كذلك تكون (٢) » وإنما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في السلام فكان بعضهم إذا مرض أغلق بابا فلا يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج إليهم منهم فضيل وهيب وبشر ، وكان فضيل يقول أهتني أن أمرض لا عواد وقال لا أكره العلة إلا لأجل العواد رضي الله عنه وعنه أجمين .

للشاهدة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أسألك إيمانا يئاس قلبي » قال سهل بن عبد الله القلب بحورغان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسويداؤه والتجوف الثاني ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين وهو صقال لموضع خصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين ومنه تنبت الأعمة المحيطة بالمرئيات فكذا تنبت من نظر العقل أعمة السواوم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التي خرقت هخاف

(١) حديث مرضي عن قسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم سرني على البلاء فقال قد سألت الله البلاء فسل الله العافية فسلم مع اختلاف (٢) حديث إذا مرض العبد أوحى الله إلى الملكين انظرا ما يقول لنواذه الحديث بختم .

كل كتاب التوحيد والتوكل بكون الله وحسن توفيقه يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الحبة والشوق والأنس والرضا والله سبحانه وتعالى للوفى .

﴿ كتاب الحبة والشوق والأنس والرضا ﴾

(وهو الكتاب السادس من ربيع للتجيبات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى نزه قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخرف الدنيا ونضرتهم ، وصنى أسرارهم من ملاحظة غير حضرته ، ثم استخلصها للمكوف على بساط عزه ، ثم تجلى لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرفت بأنوار معرفته ، ثم كشف لهم عن سبحات وجهه حتى احترقت بآرام حبه ، ثم احتجب عنها بكنهه جلالة حتى تاهت في يدهاء كبريائه وعظمته ، فكلما اهتزت لملاحظة كنهه الجلال غشها من الدهش ما أغبر في وجه العقل ويصيرته ، وكلاهما بالانصراف آتية نوديت من سرادقات الجمال صبرا أنها الأيسر عن نيل الحق بمجهله ومجملته ، فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته ، ومخترة بآرام حبه . والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكامل نبوته ، وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمة ، وفادة الحق وأزمته وسلم كثيرا .

[أما بعد] فإن الحبة لله هي الناية القصوى من اللقائات والبدوة الطليان الدرجات لها بد إدراك الحبة مقام الإلهو عجرة من عمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ولا يقل الحبة مقام الإلهو مقدمة من مقدماتها كالنوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر اللقائات إن عز وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بانكاتها ، وأما حبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها ، وقال لا معنى لها إلا اللواظبة على طاعة الله تعالى ، وأما حقيقة الحبة فحال الإجماع الجنس والثال ولما أنكروا الحبة أنكروا الأنس والشوق ولغة للتجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف النطاء عن هذا الأمر ، ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في الحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان أن لا مستحق للحبة إلا الله تعالى ثم بيان أن أعظم اللذات لذة النظر إلى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الأسباب للقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان عجة الله تعالى لمحب ثم القول في علامات عجة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الأنس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان أن الهدوء وكرهه للمعاش لا تنافضه وكذا القرار من المعاش ثم بيان حكايات وكلمات للبحرين متفرقة ، فهله جميع بيانات هذا الكتاب :

(بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى)

اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب ومحرمته فلا بد وأن يقدم الحب ثم يمد ذلك بطبع من أحب ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل - محبهم ومحبوهم - وقوله تعالى - والذين آمنوا أشد حبا لله - وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة إذ قال أبو رزين السبيلي « يا رسول الله ما الإيمان قال أن يكون

القلب ووصلت إلى سويدائه وهي حق اليقين هي أسنى الطايا وأعز الأحوال وأشرفها ونسبة هذه الحال من المشاهدة كمنسبة الأجر من التراب إذ يكون ربا ثم طيناً ثم لبناً ثم أجراً فالشاهدة هي الأول والأصل يكون منها الفناء كالطين ثم البقاء كاللبن ثم هذه الحالة وهي آخر القرووع . ولما كان الأصل في الأحوال هذه الحالة وهي أشرف الأحوال وهي محض موهبة لا يتكسب . ميت كل المواهب من التواضع بالبدأ بالأحوال لأنها غير مقنونة

الله ورسوله أحب إليك مما سواهما^(١) وفي حديث آخر « لا يؤمن أحدكم حتى يكون لله ورسوله أحب إليه مما سواهما^(٢) وفي حديث آخر « لا يؤمن البعد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين^(٣) وفي رواية « ومن نفسه » كيف وقد قال تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم - الآية. وإنما أجرى ذلك في معرض التهديد والانسكار وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهله فقال « أحبوا الله لا يذلوكم بمن نعمه وأحبوني أحب الله إياي^(٤) » وروى « أن رجلاً قال يا رسول الله إنني أحبك فقال ﷺ : استمد لقلبك فقال إني أحب الله تعالى فقال استمد لقلبك^(٥) » وعن عمر رضي الله عنه قال « نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انظروا إلى هذا الرجل الذي نور الله قلبه فتدوايته بين أوجه يندوانه بأطيب الطعام والشراب فدهاه حب الله ورسوله إلى ما ترون^(٦) » وفي الخبر المشهور « إن إبراهيم عليه السلام قال ملك للوث إذ جاءه قبض روحه : هل رأيت خليلاً يمت خليفاً فأنسى الله تعالى إليه هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك للوث الآن فاقبض^(٧) » وهذا لا يجده إلا عبد يحب الله بكل قلبه . فإذا علم أن اللوث سبب القاء أزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه وقد قال نينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حبك وحب من أحببك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إليّ من الماء البارد^(٨) » وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « يا رسول الله متى الساعة؟ قال ما أعددت لها أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم للره مع من أحب^(٩) » قال أنس لما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى غفله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر . وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وللؤمن لا يلهو بها حتى يغفل فإذا فسر حزن . وقال أبو سليمان النابلسي

(١) حديث أبي زرقة القتيبي أنه قال يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما أخرجه أحمد بإسناد في أوله (٢) حديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون لله ورسوله أحب إليه مما سواهما متفق عليه من حديث أنس يلفظ لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهله وماله وذكره بإسناد (٣) حديث لا يؤمن البعد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه متفق عليه من حديث أنس واللفظ لسم دون قوله ومن نفسه وقال البخاري من والده وولده وله من حديث عبد الله بن هشام قال عمر يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا نسي فقال لا والذي نسي يده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال عمر فأنت الآن والله أحب إليّ من نفسي فقال الآن يا عمر (٤) حديث أحبوا الله لما يذلوكم به من نعمه الحديث الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن غريب (٥) حديث إن رجلاً قال يا رسول الله إنني أحبك فقال لستمد لقلبك الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن متفل يلفظ فأعد لقلبك نجفًا دون آخر الحديث وقاله حسن غريب (٦) حديث عمر قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به الحديث أبو نعيم في الحلية بإسناد حسن (٧) حديث إن إبراهيم عليه السلام قال ملك للوث إذ جاءه قبض روحه هل رأيت خليلاً يمت خليفاً الحديث لم أجده أصلاً (٨) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك الحديث تقدم (٩) حديث قال أعرابي يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس ومن حديث أبي موسى وابن مسعود نحوه .

العبد بكسبه فأطلقوا القول وتداولت السنة الشيوع أن اللقائات مكاسب والأحوال مواهب وعلى الترتيب الذي درجنا عليه كلها مواهب إلا المكاسب محفوفة بالمواهب وللواهب محفوفة بالمكاسب فألحوا مواهب اللقائات وطرق الواجيب ولكن في اللقائات تظهر الحسب وبطنت الواهب وفي الأحوال بطن الكسب وظهرت الواهب فألحوا مواهب علوية سماوية واللقائات طرقاتية وقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سلوني عن طرق

إن من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا . وروى أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة فرقة دخلت أباديهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما رى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن بالخائف ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا تنبرا فقال ما الذي بلغ بكم ما رى قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يطيعكم ما ترجون ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتنبرا كأن على وجوههم للرائى من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما رى قالوا غيب الله عز وجل قلوبهم أتتم للقبور أنتم للقبور . وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في التلج قلت ما تجد البرد فقال من شغلته حب الله لم يجد البرد . وعن عيسى السقيطى تدعى الأمم يوم القيامة بأنيابها عليهم السلام قال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير الحبيب لله تعالى فاهم نادون يا أولياء الله اهملوا إلى الله سبحانه فكاد قلوبهم تتخلع فرحا . وقال هرم ابن حيان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلالة الاقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بين الفترة وهى تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة . وقال يحيى بن معاذ عنده يستغرق الثوب فكيف سره زوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه ووجهه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسى مادونه فكيف لطفه . وفي بعض الكتب عيسى أنا وحكك لك عجب فبحق عليك كن لي حبا . وقال يحيى بن معاذ مثقال خردة من الحب أحب إلى من عبادة سبعين سنة بلا حب . وقال يحيى بن معاذ إلى إني مقيم هناك مشغول بشئائك صغيرا أخذتني إليك وسر بلتى بعمرتك وأمكنتنى من لطفك وهاتنى في الأحوال وولقتنى في الأعمال سترًا وتوبة وزهدا وشوقا وورعا وجا لسقى من حياضك وتمهلى في رياضك ملازما لأمرك ومشغوبا بقولك والمطر شاربي ولاح طائري فكيف أنصرف اليوم منك كبيرا وقد اعتدت هذا منك مضرا فى ما بقيت حولك دندته وباضراعة إليك همة لأنى عجب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد فى حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل فى حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وإنما القموض فى تحقيق معناه فلنشتغل به .

(يان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى عبادة العبد لله تعالى)

اعلم أن الطالب من هذا الفصل لا يشك في الإعراف حقيقة الحية في نفسها ثم معرفة شروطها وأقسامها
ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى : فأول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور عجة إلا
بمد معرفة وإدراك إذ لا يجب الإنسان إلا بمعرفة ولذلك لم يتصور أن يتصف الحب جامدا بل هو من
خاصية الحى للدرك ثم المدركات في أقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلامعه ويلته وإلى
ما ينافيه وينافره ويؤله وإلى ما لا يؤثر فيه بإعلام وإقناع فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب
عند المدرك وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استحقاق ألم ولذة لا يوصف
بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كان كل لذة محبوبا عند المدرك ومعنى كونه محبوبا أن في الطبع ميلا إليه
ومعنى كونه مبغوضا أن في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء للذة فإن تأكد
ذلك الميل وقوى صبره عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم للتعب فاذا قوى صبره مقتلهما
أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته . الأصل الثاني : أن الحب لما كان تاما لا للدراك
والمعرفة انقسم لا عمالة بحسب إقسام المدركات والحواس فليسكل حاسة إدراك أنواع من المدركات
ولكل واحد منها لتتفق بعض المدركات ولطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع
السليم فلكي العين في الأضواء وإدراك البصرات الحسية بالصور الملية الحسية المستقلة ولذة الأذن في
النعيمات الطيبة والموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الشوق في الطعوم ولذة اللبس في اللين والعمق

السماوات فاني أعرف
بها من طرق الأرض
إشارة إلى اللغات
والأحوال، فطسرق
السماوات التوبة والزهدة
وغير ذلك من اللغات
فان السالك لهذه
الطرق يسير قلبه
مماويا وهي طرق
السماوات وتنزل
البركات وهذه
الأشياء لا يتحقق بها
إلا ذو قلب مهابى .
قال بعضهم الحال هو
الذكر الخفي وهذا
إشارة إلى شيء مما
ذكرناه وصعبت للشايع
بالعراق يقولون الجلال
ما بين الله في كل
مكان من طرق
الاكتساب والأعمال
يقولون هذا ما بين
اليد فإذا لاح للريد

ولما كانت هذه الدركات بالحواس ملقة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حب إلى من ديناكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عين في الصلاة» (١) فسمى الطيب محبوبا ومعام أنه لاحظ للمعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولاحظ فيهن الإلصاق والشم دون الشم والدوق والسمع وسمى الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعام أنه ليس تخفى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه إلا من كان له قلب وقد اتفقت الحواس الخمس تشارك فيها البهائم فأن الانسان فأن كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى قال إن الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يمتثل في الخيال فلا يجب فاذن قد بطلت خاصية الانسان وما يتميز به من الحس السادس الذي يبر عنه إما بالقل أو بالانوار أو بالقلب أو بما شئت من البارات فلامشاحة فيه وهيئات فالصورة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد إدراكا من العين وجمال للماني للدركة بالقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار فكون لعمالة لمة القلب بما يدركه من الأمور الصريحة الإلهية التي تجعل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والقل الصحيح إليه أقوى ولامعنى للجب للإللال إلى ما في إدراكه لمة كما سيأتي تفصيله فلا ينكر إذن حب الله تعالى لإمن قد به القصور في درجة البهائم فلم يماز إدراك الحواس أصلا . الأصل الثالث : أن الانسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لأجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلتبين أسباب المحبة وأقسامها وبيان أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا إلى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لأن المحبوب بالطبع هو اللذات المحب وأي شيء أتم لملامة من نفسه ودوام وجوده وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا مجرد ما يخافه بعد الموت ولا مجرد الخلد من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض إلا لقناعة ألم في الحياة ومهما كان يمثل بلاء فمحبوه زوال البلاء فان أحب عدم لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء فالحلاك والعدم محبوت ودوام الوجود محبوب وكأن دوام الوجود محبوب فكأن الوجود أيضا محبوب لأن الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالإضافة إلى القدر للفقير وهو هلاك بالنسبة إليه والحلاك والعدم محبوت في الصفات وكأن الوجود كأنه محبوت في أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كأن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى - ولن تجد لسنة الله تبديلا - فاذن المحبوب الأول للانسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأمدقاؤه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها ولذا محبوبة لأنه أيضا آفة في دوام الوجود وكأله وكذا سائر الأسباب . فالانسان يحب هذه الأشياء للأعيانها بل لازتباط حظه في دوام الوجود وكأله بما حتى إنه يحب ولده وإن كان لا يثناه منه حظ بل يتحمل للشاق لأجله لأنه يخلفه في الوجود بدعته فيكون في قضاء له نوع بقاء له فلغرض حبه لبقاء نفسه يجب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لمما يحزن الطمع في بقاء نفسه أبدا ، ثم لو خبر بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتدائه أثر بقاء نفسه على بقاء ولده

(١) حديث جيب إلى من ديناكم ثلاث الطيب والنساء الحديث الثاني من حديث أنس دون قوله ثلاث وقد تقدم .

شيء من الواجب
وللواجد قالوا هنا
ما من الله وموه حلا
إشارة منهم إلى أن
الحال موهبة . وقال
بعض مشايخ خراسان
الأحوال موارث
الأعمال . وقال بعضهم
الأحوال كمال البروق
فان في حديث النفس
وهذا لا يكاد يستقيم على
الاطلاق وإنما يكون
ذلك في بعض الأحوال
فانها تسطر في نفسها
النفس فأما على الإطلاق
فلا والأحوال لا تتغير
بالنفس كالمهين
لا يتغير بقاءه .
وذهب بعضهم إلى
أن الأحوال لا تكون

لأن بقاء والده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك جبه لأذنه وعشيره يرجع إلى جبه
لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا هم قويا بسببهم متجلا بكلمهم فان المشيرة والمال والأسباب
الخارجة كالخارج للكمال للإنسان وكال الوجود ودوامه محبوب الطبع لانه لا فائدة له عند
كل شيء ذاته وكال ذاته ودوام ذلك كله والكره عنده عند ذلك فانه هو أول الأسباب السبب الثاني:

الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبعض من أساء إليها
وقال رسول الله ﷺ «الهم لا تجعل لفتاخر على» يدا فيجبه قلبي (١) إشارة إلى أن حب القلب للحسن
اضطرار لا استطاع دفعه وهو جبهة وفطرة لا سبيل إلى تغييرها وبهذا السبب قد يحب الانسان الأجنبي
الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا إذا حقق رجوع إلى السبب الأول فان المحسن من أمه المال
والعمونة وسائر الأسباب للوصول إلى دوام الوجود وكال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتأني الوجود
إلا أن الفرق أن أعضاء الانسان محبوبة لأن بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فأما المحسن
فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة
الأعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة إذ الصحة مطلوبة لذاتها
والطبيب محبوب لا لذاته بل لأنه سبب للصحة وكذلك الصلح محبوب والأستاذ محبوب ولكن العلم
محبوب لذاته والأستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير
محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لأنها وسيلة إلى الطعام فاذن يرجع الفرق إلى
تفاوت الرتبة وإلا فكل واحد يرجع إلى محبة الانسان نفسه فكل من أحب المحسن لاحسانه فمأجبه
ذاته تحقيقا بل أحب إحسانه وهو فعل من أفضاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو نقص نقص
الحب ولو زاد زاد ويتطرق إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه . السبب الثالث أن
حب الشيء لذاته لا لحظ يناله منه ورأه ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ
الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك
لعين الجمال لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا يظن أن حب
الصورة الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة أخرى قد تعذب الصور الجميلة
لأجلها وإدراك حس الجمال أيضا لذته فيجوز أن يكون محبها لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة
وللأجل الجارية محبوب لا ليشرب الماء وتؤكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجبه الخضرة وللماء الجاري (٢) والطباع السليمة قاضية باستلذاذ
النظر إلى الأنوار والأزهار والأطياف المليحة الألوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى إن
الانسان تنتفج عنه الغموم والمهموم بالنظر إليها لا يطلب حظ وراء النظر فهذه الأسباب مائة
وكل لذته محبوب وكل حسن وجمال فلا يخفى إدراكه عن لذة ولا أهد ينكر كون الجمال محبوا
بالطبع فان ثبت أن الله جميل كان لا محالة محبوا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «إن الله جميل يحب الجمال» (٣) .

[الأصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال] اعلم أن المعبوس في مشيق الخيالات والموسونات

(١) حديث الهم لا تجعل لفتاخر على يدا فيجبه قلبي أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث
معاذ بن جبل بسند ضعيف منقطع وقد تقدم (٢) حديث كان يجبه الخضرة والماء الجاري أبو نعيم في
الطب النبوي من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن ينظر إلى الخضرة وإلى الماء
الجاري وإسناده ضعيف (٣) حديث أن الله جميل يحب الجمال مسلم في أثناء حديث لابن مسعود .

إذا دامت فأما إذا
لم تدم فمى لوائح
وطوالع وبواديه
مقدمات الأحوال
وليس بأحوال .
واختلاف الشائع في أن
العبد هل يجوز له أن
ينتقل إلى مقام غير
مقامه الذي هو فيه
قبل إحكام حكم مقامه .
قال بعضهم : لا يجوز
أن ينتقل عن الذي هو
فيه دون أن يحكم حكم
مقامه . وقال بعضهم :
لا يمكن للقام الذي هو
فيه إلا بعد ترقبه إلى
مقام فوقه فينظر من
مقامه العالي إلى مادونه
من اللام فيحكم أمر
مقامه . والأولى أن قال
والله أعلم : الشخص في
مقامه يسعى حالا من

ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقه والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا
 بالحمرة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان فإن الحسن الأغلب على الخلق
 حسن الإصدار وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس بمصرا ولا متخيلا ولا متشكلا
 ولا يتولنا مقدر فلا يتصور حسنه وإذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه لفته فلم يكن محبوبا وهذا
 خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقه وامتزاج البياض بالحمرة
 فإن قول هذا خطأ حسن وهذا صوت حسن وهذا قوس حسن بل قول هذا قوس حسن وهذا إناء
 حسن فأى معنى لحسن الصوت والخطوسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة ومعلوم أن العين
 تستلذ بالنظر إلى الخط الحسن والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة ومامن شيء من اللذرات
 إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح فبما معنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الأشياء فلا بد من البحث عنه
 وهذا البحث طويل ولا يليق به إلا العامة لا الطلاب فيه فصرح بالحق وقول كل شيء بجماله وحسنه في أن
 يحضر كماله الاتلاق به للممكن له فإذا كان جميع كلاله للممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وإن كان
 الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما يحضر فالقوس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالقوس
 من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كرت وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من
 تناسب الحروف وتوازنها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره
 ضده حسن كل شيء في كماله الذى يليق به فلا يحسن الإنسان بما يحسن به القوس ولا يحسن الخط بما
 يحسن به الصوت ولا تحسن الألوان بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الأشياء . فان قلت فهذه الأشياء
 وإن لم تترك جميعا بحس البصر مثل الأصوات والطعوم فانها لا تفك عن إدراك الحواس لمفهاى
 محسوسات وليس يشكر الحسن والجمال المحسوسات ولا يشكر حصول اللذة بادرها حسنها وإنما يشكر
 ذلك في غير المدرك بالحواس . فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ قال هذا خلق حسن
 وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة وإنما الأخلاق الجيدة رادها العلم والفعل والصفة
 والشجاعة والتقوى والكرم والروءوسائر خلال الخير وشئ من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الحسن
 بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجيدة محبوبة والوصوف بها محبوب بالطبع عند
 من عرف صفاته وآية ذلك وأن الأمر كذلك أن الطباع مجبوبة على حب الأنبياء لموات الله عليهم وعلى
 حب الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع أنهم لم يشاهدوا بل على حب أرباب المذاهب مثل الشافعى وأبى حنيفة
 ومالك وغيرهم حتى إن الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد المشق فيحمده ذلك على أن يتفق
 جميع ماله في نصرة مذهبه والقتب عنه ويخطأ بروحه في قتال من يظن في إمامه ومتبوعه فيحكم من
 دم أريق في نصرة أرباب المذاهب وليت شعري من عجب الشافعى مثلا لم يحبه ولم يشاهد قط صورته
 ولو شاهده وعلم يستحسن صورته فاستحسنه الذى حمله على إفراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته
 الظاهرة فإن صورته الظاهرة قد أهملت ترابا ثم التراب وإنما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى
 ونخزارة العلم والأخاطة عند ذكر الله والدين وانتهت لآقاده علم الفروع وللشريعة هذه الخيرات فى العالم وهذا مورد
 جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة فأما الحواس فتعاصرة عنها وكذلك من عجب بابكر الصديق رضى
 الله عنه وبفضله على غيره أوجب عليه رضى الله تعالى عنه وبفضله وتصيب له فلا يحبه إلا لاستحسان
 صورته الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم أن من عجب الصديق رضى
 الله تعالى عنه مثلا ليس عجب عظمه وعلوه وجهه وأطرافه وشكله إذ كل ذلك زائل وبئذ وألم يد
 ولكن تقيما كان الصديق به صدقها وهى الصفات الخمسة التى هى مصادر الخير الجميلة فكان الحب باقيا

مقامه الأعلى الذى
 سوف يرتقى إليه
 فيوجد أن ذلك الحال
 يستقيم أمر مقامه الذى
 هو فيه ويصرف
 الحق فيه وكذلك
 ولا يضاف شيء إلى
 البعد أنه يرتقى أولا
 يرتقى . فإن السيد
 بالأحوال يرتقى إلى
 للقامات والأحوال
 مواهب ترقى إلى
 للقامات التى يسترجع
 فيها الكسب بالموهبة
 ولا يلوح للسيد حرج
 يقام أعلى مما هو فيه
 إلا وقد قرب رقيه إليه
 فلا يزال السيد رقى إلى
 للقامات والأحوال
 فعلى ما ذكرناه يتضح
 (تداعى) للقامات
 والأحوال حتى التوى

ولا تعرق فضيلة إلا فيها جيل ومقام وفي الزهد حال ومقام وفي التوكل حال ومقام وفي الرضا حال ومقام .
قال أبو عثمان الجلي منذ أربعين سنة ما ألقى الله في حاله فيكرهه ، أشار إلى الرضا ويكون منه حالاً ثم يصير مقاماً والمحبة حال ومقام ولا زال البعد يتوابع بطروق حال التوبة حتى يثوب وطروق حال التوبة بالانزجار أولاً . قال بعضهم الزجر هيجان في القلب لا يشكته إلا الانتباه من التفة فبرده إلى البقطة فالحق يثبظ أبصر الصواب من الخطأ .

بقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور ، وتلك الصفات ترجع مجتمها إلى العلم والقدرة إذا علم حقائق الأمور وقدر على حمل نفسه عليها بغير شهواته فجميع خلال الخير ينشعب على هذين الوصفين ، وهما غير مدركين بالحس وعلمهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوباً لأجله ، فاذن الجمال موجود في السر ولو صدرت السيرة الجلية من غير علم وبصرة لم يوجب ذلك حباً فالحبيب بمصدر السير الجلية ، وهى الأخلاق الحميدة والتضائل الثرىفة ، وترجع مجتمها إلى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى إن الصبي الخلق وطبعه إذا أردنا أن نجيب إليه غالباً أو حاضراً حياً أو ميتاً لم يكن لنا سبيل إلا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فلهما اعتقد ذلك لم يتصالح في نفسه ولم يقدر أن لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضى الله تعالى عنهم وبغض أى جهل وبغض إبليس لئله الله إلا بالاطناب في وصف المحاسن وللنكاح القى لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حائماً بالسجاء ووصفوا خلفاً بالشجاعة أحبتهم القلوب حباً ضرورياً وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ نياله الحب منهم بل إذا حكم من سيرة بض اللوك في بض أنظار الأرض العدل والإحسان وإفاعة الخير غلب حب على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبين لئلا للزار وتأتى الديار ، فاذن ليس حب الانسان مقصوراً على من أحسن إليه بل الحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهى قط إحسانه إلى الحب لأن كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبعيرة الباطنة ، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها ، ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للناس الباطنة أكثر من حبه للعاني الظاهرة فستان بين من يحب هشاً مصوراً على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نيباً من الأنبياء لجمال صورته الباطنة . السبب الخامس : للناسية الخفية بين الحب والمحبوب ، إذ رب غرضين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الأرواح كقَالَ صلى الله عليه وسلم « لما تعارف منها ائتلف وماتت أكرمتها اختلف »^(١) وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصبغة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لأنه أيضاً من محباب أسباب الحب ، فاذن ترجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب ، وهو حب الانسان وجود نفسه وكاله وبقائه وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده وبين على بقائه ودفعه للهلكات عنه وحبه من كان محسناً في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسناً إليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته ، سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لاحتالة كالمكان للانسان وله جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوباً لاهالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها ، فان كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات ، فلتبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كلها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى .

(١) حديث لما تعارف منها ائتلف مسلم من حديث أبي هريرة وقد تهدم في آداب الصبغة .

(بيان أن السحق للحجة هو الله وحده)

وأن من أحب غير الله لامن حيث نسبت إلى الله ذلك لجبهه وتصوره في معرفة الله تعالى وحبه الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لأنه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والأقياء لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب وعجب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوز به إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للعبادة سواه . وإيضاحه بأن يرجع إلى الأسباب المحضة التي ذكرناها ونبين أنها بحمزة في حق الله تعالى بحملتها ولا يوجد في غيره إلا آحادها وأنها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخيل ، وهو مجاز محض لاحقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذى بصيرة ضد ما خيل منهفاء القول والقول من استعالة حب الله تعالى تحقيقاً وبأن أن التحقيق يقتضى أن لا يحب أحداً غير الله تعالى . فأما السبب الأول وهو حب الانسان نفسه ويقاوم كاله ودوام وجوده وبضه لملاكه وعدمه ونقصاته وقواطع كاله فهذه جبهه كل حى ، ولا يتصور أن ينفك عنها وهذا يقتضى غاية المحبة لله تعالى فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا أنه لا وجود له من ذاته وإعنا وجود ذاته ودوام وجوده وكاله وجوده من الله وإلى الله وبالله فهو المحترق للوجد له وهو البقي له وهو للكل لوجوده بخلقى صفات الكمال وخلق الأسباب للوصول إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب والإقبال على من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله تعالى عليه بالإبقاء ، وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله تعالى عليه بالتكامل خلقة . وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا التقويم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فإن أحب المارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره ، فالضرورة يجب لتفيد لوجوده وللديم له إن عرفه خالقاً موجداً وعترماً مبقياً وقواماً بنفسه ومقوماً لتفريه فإن كان لا يحب فهو لجبهه بنفسه وربه والمحبة ثمرة للفرقة فتقدم بأفهامها وتكشف بضعفها وتغوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى من عرف ربه أحبه ومن عرف الله تزايد فيها وكيف يتصور أن يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذى به قوام نفسه ، ومعلوم أن البتلى بحر الشمس لما كان يجب الظل فيجب بالضرورة الأشجار التى بها قوام الظل وكل ما فى الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فإن الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا للثال صحيح بالإضافة إلى أوهاام الغوام إذ تغلبوا أن النور أثر الشمس وقائض منها ووجودها هو خطأ محض إذ انكشف لأرباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة الأبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى احترا عند وقوع اللقابة بين الشمس والأجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينا وشكلها . وصورتها أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الترض من الأمثلة الضعيف فلا يطلب فيها الحقائق فإذن إن كان يجب الانسان نفسه ضرورياً فليعلم بقوامه أولاً ودوامه ثانياً في أصله وصفاته وظواهره وباطنه وجواهره وأعراضه يشاخص ويرى إن عرف ذلك كذلك ومن خلعا من هذا الحب فلا يشغل نفسه وبهواته ويذهل عن ربه وخالفه فلم يعرفه حق معرفته وتصور نظره على هواته وبهواته وهو عالم الشهادة الذى يشارك البهائم في التتميم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت النبى لا يبطأ أرضه إلا من يقرب إلى حبه من الملائكة . فينظر فيه بقدر قرب به في الصفات من الملائكة ويقتصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهائم .

وقال بعضهم : الزجر
شيء في القلب يصير
به خطأ تصحوا الزجر
في مقدمة التوبة على
ثلاثة أوجه زجر من
طريق السلم وزجر
من طريق السقل
وزجر من طريق
الإيمان فنال التائب
حال الزجر وهو
موهبة من الله تعالى
تقوده إلى التوب ولا
زاله بالبس ظهور
هو النفس بمحوه
آثار حال التوبة
والزجر حتى تستقر
وتصير مقاماً وهكذا في
الزهد لا يزال يتزهد
بإزالة حال تزيه قلبه
ترك الاعتغال بالهنا
وتصبح له الإقبال عليها

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن إليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمدّه بمعونه وانتدب
لنصرته وقمع أعداءه وقام بدفع شر الأشرار عنه وانتهى وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه في
شبه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لاهالة عنده وهذا بعينه يقتضى أن لا يجب إلا الله تعالى فانه
لوعرف حق المعرفة لم أن المحسن إليه هو الله تعالى فقط فأما أنواع إحسانه إلى كل عبده فقلت
أعدها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وقد
أشترنا إلى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا نقتصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير
متمصور إلا بالمجاز وإنما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خزائنه ومكنك
منها لتتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه إنما تم إحسانه به
وبماله وتقديرته على اللال وبداعيته الباعثة له على صرف اللال إليك فمن الذى أنعم بخلقه وخلق
ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن الذى حببك إليه وصرف وجهه إليك والى فى نفسه
أن صلاح دينه وأودياه فى الاحسان إليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلب الله
عليه الدواعى وقرر فى نفسه أن صلاح دينه وأودياه فى أن يسلم إليك ماله كان مقهورا مضطرا
فى التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذى اضطره لك وسخره وسلط عليه الدواعى الباعثة
للرهقة إلى الفعل وأما يمد فواسطة يصل بها إحسان الله إليك وصاحب اليد مضطر فى ذلك اضطرار
يجرى للماء فى جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لامن
حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الأمر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان إلا إلى نفسه أما
الاحسان إلى غيره فحال من المخلوقين لأنه لا يبدل ماله إلا لنفرض له فى البذل إما أجل وهو الثواب
وإما عاجل وهو الجنة والاستغفار أو التناء والصيت والاشتهار بالسخاوة والكرم أو جذب قلوب الخلق
إلى الطاعة والمجبة وكما أن الانسان لا يلقى ماله فى البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقى به يد إنسان
إلا لنفرض له فيه وذلك الترض هو مطلوبه ومقصده وأما أنت فقلت مقصودا بل بذلك آله فى القبض
حتى يحصل غرضه من الذكر والتناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك اللال فقد استسخر فى القبض
للتوصل إلى غرض نفسه فهو إذن محسن إلى نفسه ومتعاض بماله من ماله عوضا هو أرجح عنده
من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلا البتة فاذن هو غير مستحق للشكر
والحب من وجهين : أحدهما أنه مضطر بتسليط الله الدواعى عليه فلا قدرته على مخالفة فهو جازر مجرى
خازن الأمير فانه لا يرى محسنا بتسليم خلة الأمير إلى من خلق عليه لأنه آمن بجهة الأمير مضطرا إلى الطاعة
والامتثال لما يرميه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الأمير ونهيه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن
لو خلاه الله ونهيه لم يبدل حبة من ماله حتى سلب الله الدواعى عليه والى فى نفسه أن حظه دينه
ودنياه بذله فبذلك لذلك . والثاني أنه متعاض بماله هو أولى عنده وأحب بماله فكم
لا يمد البائع محسنا لأنه بذل بموض هو أحب عنده بماله فكم ذلك الواجب اعتاضا الثواب
أو الحمد والتناء أو عوضا آخر وليس من شرط الوض أن يكون عينا متصولا بل المحظوظ كلها
أعراض تستخر الأموال والأعيان بالإضافة إليها فلا حسان فى الجود والجود هو بذل اللال من
غير عوض وحظ يرجع إلى البازل وذلك جمال من غير الله سبحانه فهو الذى أنعم على العالمين إحسانا
إلهم ولأجلهم لاحظ وغرض يرجع إليه فانه تعالى عن الأغراض فلنظ الجود والاحسان فى حق
غيره كذب أو مجاز ومعناه فى حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين البسود والياض فهو للنفرد
بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان فى الطبع حب المحسن فينبغى أن لا يحب العارف إلا الله

المتصور أثر حاله بدلالة
شره النفس وحرصها
على الدنيا ورؤية الحاجة
حتى تتداركه اللونة
من الله الكريم فيزهد
ويستتر زهده وصير
الترهيبية ولا تزال
نازلة حال التوبكل فخرج
باب قلبه حتى يتوكل
وهكذا حال الرضا حتى
طعن على الرضا وصير
ذلك مقامه وههنا
لطيفة وذلك أن مقام
الرضا والتوكل ثابت
وغيره يتألف مع وجود
داعية الطبع ولا يتحكم
بقائه حال الرضا مع
وجود داعية الطبع
فذلك مثل كراهة
يحبها الراضى فيكم
الطبع . ولكن عليه
بقام الرضا يضر حكم

تعلى إذ الاحسان من غيره محل فهو المتحقق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على
 الانسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته . وأما السبب الثالث وهو حبك الحسن في نفسه وإن
 لم يصل إليك إحسانه وهذا أيضا موجود في الطباع فإنه إذا بلغك خبر ملك عابد عادل عالم رفيق
 بناس متألف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الأرض بيدك عنك وبلغك خبر ملك آخر
 ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو أيضا بيدك عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما إذ تجد
 في القلب ميلا إلى الأول وهو الحب وحرارة عن الثاني وهو البغض مع أنك آيس من خير الأول
 وآمن من شر الثاني لا تطاع طمعك عن التوغل إلى بلاده فهذا حب الحسن من حيث إنه محسن
 تقط لا من حيث إنه محسن إليك وهذا أيضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلا
 إلا من حيث يتعلق منه بسبب فإن الله هو المحسن إلى السكافة وللفضل على جميع أصناف الخلاق
 أولا بأحدهم وثانيا بتكليفهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضرورتهم وثالثا بترفيهم وتعيمهم
 خلق الأسباب التي هي في مظان حاجتهم وإن لم تكن في مظان الضرورة وربما بتجملهم بالمزايا
 والزاوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضرورتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الأعضاء
 الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج إليه العين واليد والرجل ومثال الثينة استقواس الحاجبين
 وحرارة الشفتين وتلوذ العينين إلى غير ذلك مما لو فات لم تتخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضروري
 من النعم الخارجة عن بدن الانسان للساء والنفاء ومثال الحاجة الهواء والحم والقواكه ومثال للزرايا
 والزاوائد خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار والذائد القواكه والأطعمة التي لا تتخرم
 بعدها حاجة ولا ضرورة وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل
 صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش إلى منتهى القرش فاذن هو المحسن فكيف يكون غيره
 محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان
 وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه الملة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه
 الملة إلا الله تعالى . وأما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لاحظ ينال منه وراء إدراك
 الجمال قد بينا أن ذلك محبوب في الطباع وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة للدركة وبين
 الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة للدركة بين القلب ونور البصيرة والأول يدركه البصائر واليهام
 والثاني يختص بدمرك أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يعلم إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وكل
 جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في الشاهدة
 حب الأنبياء والملاء وذوى الكرم السنية والأخلاق للرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة
 أوجه وسائر الأعضاء وهو الراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه ، نعم يدرك بحسن آثاره
 الصادرة منه الدالة عليه حتى إذا دل القلب عليه مال القلب إليه فأحبه فمن يحب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أو الصديق رضى الله تعالى عنه أو الشافى رحمة الله عليه فلا يحبه إلا المحسن مظهره
 منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي
 مصدر الأفعال إذ الأفعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف المصنف وحسن
 شعر الشاعر رأى حسن نفس القاص وبناء البناء انكشفه من هذه الأفعال صفاتها الجميلة الباطنة
 التي يرجع حاصلها عند البحث إلى العلم والقدرة ثم كلما كان للموم أشرف وأتم جمالا وعظما
 كان العلم أشرف وأجل وكلما للقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل
 رتبة وأشرف قدرا وأجل العلومات هو الله تعالى فلا جرم أحسن الموم وأشرفها معرفة الله تعالى

الطبع وظهور حكم
 الطبع في وجسود
 الكراهية الغمورة
 بالعلم لا يخرج عن
 مقام الرضا ولكن يفتقد
 حاله الرضا لأن الحال لما
 تجردت موهبة أحرقت
 دافعة الطبع فيقال
 كيف يكون صاحب
 مقام في الرضا ولا يكون
 صاحب حال في الجمال
 مقدمة المقام والمقام
 أثبتت بقول: لأن المقام
 لما كان مشوبا بكسب
 اليد احتيل وجود
 الطبع فيه والحال لما
 كانت موهبة من الله
 زهت عن مزج الطبع
 قال الرضا وأصل مقام
 الرضا ممكن ولا بد
 لمقامات من رتبة
 الأحوال فلا مقام إلا

وكذلك ما يقاربه ويخص به شرفه على قدر تعلقه به فاذن جمال صفات السديين الذين نجهم القلوب طبعا ترجع إلى ثلاثة أمور : أحدها علمهم بالله وملأته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه . والثاني قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالإرشاد والسياسة . والثالث تزهدهم عن الرذائل والحجاث والشهوات القابلة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر . وبمثل هذا يحب الأنبياء والعلماء والخلفاء وللوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى . أما العلم فآين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يزب عنه مقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقد خاطب الخلق كلهم فقال عز وجل - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خائق تمة أو بموضة لم يطلوا على عشر عشر ذلك - ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - والقدر اليسير الذي علمه الخلاق كلهم بقسطه علموه كما قال تعالى - خلق الإنسان علمه البيان - فان كان جمال العلم وشرفه أمرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة وبكالا للموصوف به فلا يفتنى أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى فعلوم العلماء جبل بالاضافة إلى علمه بل من عرف أهل زمانه وأجل أهل زمانه استحال أن يحب بسبب العلم الأجل ويترك الأعلم وإن كان الأجل لا يتلو عن علم ما تتقاضه معيشته وتتفاوت بين علم الله وبين علم الخلاق أكثر من التفاوت بين علم أعل الخلاق وأجلهم لأن الأعل لا يفضل الأجل إلا بعلوم ممدودة متناهية يتصور في الامكان أن ينالها الأجل بالسكس والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلاق كلهم خارج عن النهاية إذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية . وأما صفة القدرة فهي أيضا كمال والعجز نقص فكل كمال وبهاء وعظمة وعبد واستيلاء فانه محبوب وإدراكه قديد حتى إن الانسان ليسع في الحكاية شجاعة على وخاف رضى الله عنهما وغيرهما من الشجبان وقدرتهما واستيلاهما على الأقران فيصافى في قلبه اهترأزا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لغة السماع فضلا عن للشاهدة وبورث ذلك جبا في القلب ضروريا للتصقف به فانه نوع كمال فأنسب الآن قدرة الخلق كلهم إلى قدرة الله تعالى فأعظم الأشخاص قوة وأوسعهم ملكا وأقوامهم بطشا وأقهرهم لشهوات وأقهم لحياث النفس وأجهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره مامنهي قدرته وإنما فآينه أن يقد على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الانس في بعض الأمور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا خرا ولا قما بل لا يقد على حفظ عينه من السعى ولسانه من الحرس وأذنه من الصمم وبدنه من الرض ولا يحتاج إلى عد ما يسجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا عما لا تتعلق به قدرته من ملكوت السموات وأفلا كها وكواكبها والأرض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيوانها وجميع أمزجها فلا قدرته على ذرة منها وهو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه بنفسه بل الله خالقها خلق قدرته وخالق أسبابه وللممكن له من ذلك ولولسلط بموجبات أعظم ملك وأقوى بعض من الحيوانات لأهلكه فليس لعبد قدرة إلا بممكن مولاة كما قال في أعظم ملك الأرض ذي القرنين إذ قال - إنا ملكنا له في الأرض - فلم يكن جميع ملكه وسلطته إلا بممكن الله تعالى لإماف جز من الأرض والأرض كلها مدرة بالاضافة إلى أجسام العالم وجميع الولايات التي يهتلى بها الناس من الأرض وغيره من تلك القدرة ثم تلك القدرة أيضا من فضل الله تعالى وبممكنه فيستحيل أن يحب عبدا من عباده تعالى لقدرة توسيسته وبممكنه واستيلائه وكال قوته ولا يحب الله تعالى ذلك ولا جولو لا قوة إلا بالة العلى العظيم فهو الجبار

بعد سابقة حال ولا
يفرد المقامات دون
سابقة الأحوال . وأما
الأحوال فلها ما يصير
مقاما ومنها ما لا يصير
مقاما والسرفه فيه
ما ذكرناه إن السكس
في القام ظير وللوهبة
بطلت في الحال ظهرت
للوهبة والسكس
بطن فلما كان في
الأحوال للوهبة غالبة
لم تتسدد وصارت
الأحوال إلى المتناهية
لها ولطف سنى
الأحوال أن يصير مقامها
ومقدورات الحق غير
متناهية ومواهبه غير
متناهية ولهذا قال
بضهم لو أعطيت
روحانية عسى وكاملة
موسى وخلة إبراهيم

القاهر والملمح القادر السموات مطويات يمينه والأرض ومملكها وما عليها في قبضته وناحية جميع الخافوات في قبضة قدرته إن أهلكتهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه ومملكه ذرة وإن خلق أشياهم ألف مرة لم يمس خلقها ولا عساه لتوب ولا تخور في اختراعها فلا قدرة ولا قادر إلا هو أثر من آثار قدرته فله الجلال والبهاء والمظلة والكبرياء والقهر والاستيلاء فإن كان يتصور أن يجب قادر لسكالك قدرته فلا يستحق الحب بكامل القدرة سواء أصلا . وأما صفة التزهد عن البهائم والنقص والتقدس عن الرذائل والنجاسات فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والأنبياء والصديقين وإن كانوا متزهين عن البهائم والنجاسات فلا يتصور كمال التقديس والتزهد إلا بالواحد الحق للالك القدوس ذي الجلال والإكرام . وأما كل مخلوق فلا غلو عن نفسه وعن صفاته بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال إلا بقدر ما أعطاه الله وليس في القدر أن يتم بمتهى الكمال على غيره فإن منتهى الكمال أقل درجاته أن لا يكون عبدا مسخرا لغيره فأما بغيره وذلك عمال في حق غيره فهو للتفرد بالكمال التزهد عن النفس للتقدس عن البهائم وشرح وجوه التقديس والتزهد في حق النفس بطول وهو من أسرار علوم الكاشفات فلا يتناول بذكره فهذا الوصف أيضا إن كان كمالا وجمالا محبوا فلا تتم حقيقة إلاله وكمال غيره وتزهده لا يكون مطلقا بل بالإضافة إلى ما هو أشد منه قصانا كما أن الفرس كمالا بالإضافة إلى الخمار وللإنسان كمالا بالإضافة إلى الفرس وأصل النفس شامل للكل وإنما يتفاوتون في درجات التقصان ؟ فإذا الرجل محبوب والجليل للطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغنى الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا مقبض لقضائه العالم الذي لا يميز عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا يفتلج من سطوته ويطشه رقاب القياصرة الأزلى الذي لا أول لوجوده الأبدى الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا هوام مكان المدمجول حضرته القيم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والأرض خالق الجناد والحيوان والنبات للتفرد بالعزة والجيروت لتوحد بالملك ولل سكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تحدى في معرفة جلالة العقول وتخرس في وصفه الألسنة الذي كمال معرفة المارفين الاعتراف بالمعجز عن معرفة ومنتهى نبوة الأنبياء الاتقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ولا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (١) وقال سيد الصديقين رضى الله تعالى عنه: الصبر عن درك

عليه السلام طلبت ما وراء ذلك لأن مواهب الله لا تنحصر وهذه أحوال الأنبياء ولا تملأ الأولياء ولكن هذه إشارة من القائل إلى دوام تطلع السيد وتطليه وعدم قناعتة بما هو فيهم أمر الحق تعالى لأن سيد الرسل صلوات الله عليه وسلامه به على عدم القناعة وقصر باب الطلب واستنزال بركة الزيد بقوله عليه السلام لكل يوم لم أزد فيه علما فلا يورث في صبيحة ذلك اليوم - وفي دله صلى الله عليه وسلم اللهم مآثره . عنه رأيي وضعت فيه

الادراك إدراك سبحانه من لم يعمل للخلاق طريقا إلى معرفته إلا بالمعجز عن معرفته ، فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيقا وبجمله مجازا أن ينكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجلال والمحامد ونموت الكمال والمحسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفا بها أو ينكر كون الكمال والجلال والبهاء والمظلة محبوا بالطبع عند من أدرك فيسيحان من احتجب عن بشار العيان غير على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا بمن سبقه له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الحاسرين في ظلمات النفس يتجهون وفي مسارب المحسوسات وشبهات البهائم تريدون بطون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم من الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يفهمون . فالحق بهذا السبب أقوى من الحب بالإحسان لأن الإحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : إن كود الأعداء إلى من عديني ضمر نوايا ولكن لم يهبط الربوبية حتما . وفي التوراة : من أعظم بمن

(١) حديث لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

عبدني لجة أو نار لم أخلق جنة ولا ناراً لم أكن أهلاً أن أطبخ ، ومريم عيسى عليه السلام على طائفة من البعاد قد عملوا فقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم غلوا خفتم وغلوا رجوتهم ، ومريم قوم آخرون كذلك فقالوا نبيدها له وتنظيها لجلاله فقال أتم أولياء الله حقاكم أمرت أن أقيم وقال أبو حازم إني لأستحي أن أعبد للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يغف لم يعمل وكالآجير السوء إن لم يسط لم يعمل ، وفي الخبر «لا يكون أحدكم كالآجير السوء إن لم يسط أجراً لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يغف لم يعمل (١)» وأما السبب الخامس للجب فهو للنسابة وللشأكلة

لأن شبه الله من جنس إلى الشكل وإلى الشكل أميل ، ولذلك ترى الصبي يأنف بالصبي والكبير يأنف الكبير ويأنف الطير نوعه ويغفر من غير نوعه وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالهتوف وأنس التجار بالتجار أكثر من أنه بالفلح ، وهذا أمر تشبه به التجربة وتحمده الأخبار والآثار كما استقيناها في باب الأخوة في الله من كتاب آداب الصلوة فليطلب منه وإذا كانت للنسابة سبب المحبة فالنسابة قد تكون في معنى ظاهر كنسابة الصبي للصبي في معنى الصبا وقد يكون خفياً لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال «الأرواح جنود مجنونة فما تصارف منها اتلف وماتت أكر منها اختلف» فالصارف هو التناوب والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضاً يقتضي حب الله تعالى

لنسابة باطنة لا ترجع إلى الشبهة في الصور والأشكال بل إلى معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء التبرة حتى يشر عليه السالكون للطريق إذا استكملوا شرط السالك فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالانقياد والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله وذلك في اكتساب حامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر والاحسان والعلف وإقامة الخير والرحمة على الحق والتسبيح لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الهاتل إلى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى لا يعني طلب القرب بالمكان بل بالصفات ، وأما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من النسابة الخاصة التي اخص بها الآدمي فهي التي يوصي إليها قوله تعالى - ويستوفون عن الروح قل الروح من أمر ربي - إذ بين أنه أمر رباني خارج عن حد عقول الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى

- فإذا موته وقعت فيه من روعي - ولذلك أسجد له ملائكته ويشير إليه قوله تعالى - إننا جعلناك خليفة في الأرض - إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بذلك النسابة وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته (٢)» حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة للدرجة بالحواس فشبها وجسمها وصورها تعالى القرب المألين عما يقول الجاهلون علواً كبيراً وإليه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام «مرضت فم تمدني فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدني فلان فم تمد له ولوعده وجدتي عنده (٣)» وهذه النسابة لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد الحكم القلبي كما قال الله تعالى «لا يزال يتقرب اليك إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به (٤)» وهذا موضع يجب قبض عنان العلم فيه فقد

(١) حديث لا يكون أحدكم كالآجير السوء إن لم يسط أجراً لم يعمل لم أجده (أصلاً) (٢) حديث إن الله خلق آدم على صورته (٣) حديث قوله تعالى مرضت فم تمدني فقال وكيف ذلك قال مرض عبدني فلان الحديث تقدم (٤) حديث قوله تعالى لا يزال يتقرب اليك إلى بالنوافل حتى أحبه الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

عبدني ولم يبلغه نبيق وأمنيق من خير وعده أحد من عباده أو خير أنت معطي أحد من خلقك فأنا أربح إليك وأسألك إياه فاعلم أن مواهب الحق لا تحصر والأحوال - مواهب وهي متصلة - يكلمنا الله التي ينشد اليسر دون قايها وتنشد أعداد الرمال دون أعسدها والله للنعم الممل .

[الباب التاسع والخمسون في الاشارات إلى القامات على الاختصار والإيجاز] أخبرنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله قال أنا أبو منصور بن

عزب الناس فيه إلى قصرين مانوا إلى التشبيه الطاهر وإلى غائبين مسرفين جاوزوا حد النسابة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق وصل الصاري في عيسى عليه السلام فقالوا هو إلا أنه وقال آخرون منهم تدعى الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به ، وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتجليل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأفلون ، ولعل أبا الحسن الثوري عن هذا المقام كان ينظر إذا غلبه الوجد في قول القائل :

لازلت أنزل من ودانك منزلا تتحير الأبواب عند نزوله

فلم يزل يمدو في وجهه على أجمة قد قطع فيها وبقى أصوله حتى تشقت قدما وتورمتا ومات من ذلك وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبسطها وأقلها وجودا ، فهمه في المعلوم من أسباب الحب وجهه ذلك متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لإجازة أو في أعلى الدرجات لافي أدائها فكان القول للقول عند ذوي البصائر حب الله تعالى قطعا كما أن القول للكن عند العيان حب غير الله تعالى قطعا ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غير مشاركتها في السبب والشركة تصان في الحب وغرض من كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد الله تعالى فإنه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك إمكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان إلى حبه كما لا يتطرق الشرك إلى صفاته فهو المستحق إذا الأصل المحبة والكمال المحبة استحقاقا لا يسام فيه أصلا .

(يان أن أجل الذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم

وأنه لا يتصور أن لا يؤثر عليها لغة أخرى إلا من حرم هذه اللغة)

اعلم أن اللغات تابعة للإدراكات والانسان جامع لجملة من القوى والفرز لكل قوة غريزة لغة ولذتها في نيلها تقتضى طبعها الذي خلقت له فإن هذه الفرز ماركبت في الانسان عينا بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بطبيع ففرزة النضب خلقت لتقتضى والاتتام فلا جرم لذتها في التلبية والاتتام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصل الغذاء الذي به التوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لغة السمع والبصر والشم في الإبصار والامتاع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الفرز عن أم ولغة بالإضافة إلى مذكراتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الإلهي لقوله تعالى - أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وقد تسمى القلوب وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الإيمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالأسامي فإن الاصطلاحات مختلفة والضعف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفته بادره المعاني التي ليست مخبئة ولا محسوسة كما إدراكه خلق العالم واقتضاه إلى خالق قدّم مدبر حكيم موصوف صفات إلهية ولهم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادة وللناظرة قد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا منه بعض الصوفية ولا إلا الصفة التي فارق بها الانسان بها اليقين وما يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي أن تنم وهذه الغريزة تخلق ليطلبها حقائق الأمور كلها تقتضى طبعها للفرقة والعالم وهي لذتها كما أن مقتضى سائر الفرز هو لذتها وليس غنى في العلم والفرقة لذتها حتى أن القى ينسب إلى العلم والفرقة ولو في شيء خفيين يفرح به والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء خفيين يغم به ويعنى إلى الانسان لا يكاد يصبر عن التخلي بالملم والتمسك بالحقائق التي هي أسمى من العلم بالباطن والظن في حبه لا يطبق للمسكوت فيه عن التخلي ويطلق لسانه بغير ما يملكه وكل ذلك لغرض من التخلي وما يستفهمه

غيرون إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن طي بن محمد الجوهري إجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس بن محمد قال أنا أبو محمد يحيى بن صاعد قال أنا الحسن بن الحسن للروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا الميثم بن جميل قال أنا كثير بن سليم المدني قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله إني رجل ذرب اللسان وأكثر ذلك طي أهلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أنت من لاستغفار فاني أستغفر الله

من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهى منتهى الكمالات ولقد كان يرتاح الطبع إذا أتى عليه بالبقاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع التناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه وملتذبه ثم ليست لذّة العلم بالحرارة والحيطة كلذّة العلم بسياسة الملك وتدبير أحوال الخلق ولذّة العلم بالنحو والشعر كلذّة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوته السموات والأرض بل لذّة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف الملوك حتى إن الذى يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك بمجده لذّة وإن جبهه تقاضاه طبعه أن يخصص عنه فان علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألدّ عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك فان أطلع على أسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده والأزمن علمه بأسرار الرئيس فان كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذى هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيب عنده والأزمن علمه بباطن أسرار الوزير وكان تدمسه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشدّ وحبّه له أكثر لأن لذّته فيه أعظم فبهذا استبان أن ألدّ الطرف أشرفها وأشرفها بحسب شرف العلوم فان كان في المعلومات ما هو الأجل والأكل والأشرف والأعظم فالعلم به ألدّ العلوم لأهمّاته وأشرفها وأطيبها وليت شمرى هل في الوجود شيء أجمل وأعلى وأشرف وأكل وأعظم من خالق الأشياء كلها وسكنها ومزيناها ومبدئها ومعينها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور أن تكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بعبادى جلالها وهجائب أحوالها وصفها واصفها فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بتربّ الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذّها وأطيبها وأشبهها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يظم به الفرح والارتياح والاستبشار وهذا تبين أن العلم لذّته وأن ألدّ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين فينبغي أن يعلم أن لذّة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعنى لذّة الشهوة والنضب ولذّة سائر الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالطبع أو لا كمخافة لذّة الواقع لذّة السماع ولذّة المعرفة لذّة الرياسة وهى مختلفة بالضعف والقوة كمخافة لذّة الشبق المتعلم من الجماع لذّة الفاتر للشهوة كمخافة لذّة النظر إلى الوجه الجليل الفائق الجمال لذّة النظر إلى مادونه في الجمال وإعتراف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها فان الخير بين النظر إلى صورة جميلة والتجتمّع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة إذا اختار النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألدّ عنده من الروائح الطيبة وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الأكل فيعلم به أن لذّة التلبّ في الشطرنج أقوى عنده من لذّة الأكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فهو دوقول: اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذّة الحواس الخمس وإلى باطنة كلذّة الرياسة والقبلة والكرامة والملم وغيرها إذ ليست هذه لذّة العين ولا لالغ ولا لاذن ولا لللس ولا للذوق والمغنى الباطنة أغلب على ذوى الكمالات من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذّة الله جاج السمين والورزنج وبين لذّة الرياسة وقهر الأعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان الخير خسيساً للهمة ميت القلب شديد الهمة اختار اللحم والحلاوة وإن كان على الهمة كامل العقل اختار الرياسة. وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياماً كثيرة فاختاره الرياسة بدل على أنها ألدّ عنده من المعلومات الطيبة نعم الناقص الذى لم تكمل معانيه للباطنة بد كالمصطفى أو كالمؤمن مائة قواه الباطنة كالمؤمن لا يمد أن يؤثر لذّة المعلومات على لذّة الرياسة وكما أن لذّة الرياسة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز ههنا الصبا والتهمة فلهذا معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى

في اليوم واليلة
مائة مرة « وروى
أبوهريرة رضى الله عنه
في حديث آخر «فان
لاستغفر الله وأتوب
إليه في كل يوم مائة
مرة» وروى أبوهريرة
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «إنه
ليغان على قلبي فأستغفر
الله في اليوم مائة مرة»
وقال الله تعالى «توبوا
إلى الله جميعاً أيه
الؤمنون لعلكم
تفلحون» وقال الله
عز وجل «إن الله يحب
التوابين - وقال الله
تعالى - يا أيها الذين
آمنوا توبوا إلى الله
توبة نصوحاً لعلكم
أصل كل مقام وتوأم
كل مقام ومفتاح كل

أسرار الأمور الالهية أقد من الرياسة التي هي أعلى القدرات القابلة على الخلق وغاية الباصرة عنه أن يقال - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - وأنه أعدهم لملاعين رأت ولا تذاق صمت ولا خطر على قلب جبر وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جيسا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في محار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يرأسهم لملء فناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلق عنها وكونه مقطوعا بالوت الذي لا يدمن حياته معها أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فاستعظم عذابا الله إليهم معرفة الله ومطالعة صفاته وأفضاله ونظام ملكه من أعلى عليين إلى أسفل السافلين فاتها خالية عن الزاحمات والكدورات مقسمة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها وإعما مرضها من حيث التقدير السموات والأرض وإذا خرج النظر عن القدرات فلانهاية مرضها فلابد من المعارف عظامتها في جنة عرضها السموات والأرض يرتفع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ تثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا بمنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذ لولت لا يهمل محل معرفة الله تعالى ومعلمها الروح الذي هو أمر رباني محامى وإعمالا لوت يضر أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويغلبها من حبسها فأما أن يدمها فلا ولا تحسن الدين تتقوى سيل الله أو تاتل أحياء عند ربهم يزرون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية . ولا تظن أن هذا مخصوص بالمتقون في المركة فان المعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفي الخبر « إن الشهيد يتنقى في الآخرة أن ردة إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يرام من ثواب الشهادة وإن الشهداء يتنمون لو كانوا علماء لما يرونهم من علو درجة العلماء ⁽¹⁾ » فاذن جميع أنظار ملكوت السموات والأرض ميدان المعارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها جسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض وكل عارف لله مثلها من غير أن يضيق بضيقهم على بعض أصلا إلا أنهم يتفاوتون في سعة متزهاتهم بقدر تفاوتهم في انصاع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في المحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن قلة الرياسة وهي باطنة أقوى في ذوى الكمال من ذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون لبيمة ولا لسي ولا لمتهم وأن قلة المحسوسات والشهوات تكون لدوى الكمال مع قلة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما متى كون معرفة الله وصفاته وأفضاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا يخص بمرتبة من النورية لا يعرف قوداتها ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا قلب له لأن القلب مع من هذه القوة كما أنه لا يمكن إثبات رجحان لذة الواقع على لذة اللب بالحواس عند الصبيان ولا رجحان على لذة شم الينبج عند الصبيان لأنه قد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة فيه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف ولحمى طلاب العلوم وإن لم يستشعروا بطلب معرفة الأمور الإلهية فقد استشفعوا راحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وإحلال الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها فاتها أيضا معارف وعوالم وإن كانت معلوماتها غير شريفة تعرف للمعلومات الإلهية فأما من طالع فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله لؤلؤ النور البهر فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح بايكاد يطير به ويتعجب من همه في حياته واستغاله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق والحكمة في قلبه لا يجدى فيها

(١) حديث إن الشهيد يتحنن أن يرد في الآخرة إلى الدنيا ليقول مرة أخرى الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم وليس فيه وإن الشهداء يتحنون أن يكونوا علماء الحديث .

حال وهي أول اللقائات
 وهي بمثابة الأرض
 لبناء لمن لا أرض له
 لبناء له ومن لا توبة
 له لا حال له ولا مقام له
 وإن يبلغ على وقد
 وسع وجهه اعتبرت
 للقاءات والأحوال
 ومخترها فإزيتها جميعها
 ثلاثة أشياء بعد صحة
 الإيمان وعقوده
 وشروطه فصارت مع
 الإيمان أربعة ثم إزيتها
 في إفاضة الولادة للعبودية
 الحقيقية بمثابة الطابع
 الأربع التي جعلها الله
 تعالى بأجره مكنه
 مفيدة للولادة
 الطيبة ومن تحقق
 محتائق هذه الأربع
 لم يملكوت السموات

القدر ينهك على أن معرفة الله سبحانه أقد الأشياء وأنه لائقه فوقها ولهذا قال أبو سليمان الداراني إن الله عبادة ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدواعي والله ذلك قال بعض إخوان معروف الكرخي له أخيرني يا أبا محفوظ أي شيء هاجبك إلى العبادة ولا تقطاع عن الخلق فكنت فقال ذكر اللوت فقال وأي شيء اللوت فقال ذكر التبر والبرزخ فقال وأي شيء التبر فقال خوف النار ورجاء الجنة قال وأي شيء هذا إن ملكا هذا كله يده إن أحبته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كذاك جميع هذا . وفي أخبار عيسى عليه السلام : إذا رأيت الفتى مشغوبا يطلب الرب تعالى فقد الهأ ذلك عما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل أبو نصر الحرث وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يا كلان وبشر بان قلت فأنت قال علم الله رغبة في الأكل والشرب فأعطاني النظر إلى وعن علي بن النوفلي قال رأيت في النوم كأنني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفع وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص يصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف قلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبدالله لا خوفا من نار ولا مشوقا إلى جنته بل حبا له فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة . وذكر أن الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل وذلك قال أبو سليمان : من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه . وقال الثوري في إمامة ماحقة إيمانك قالت ماعبدته خوفا من نار ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبا له وخوفا إليه ، وقالت في معنى المحبة نظاما :

أحبك حين حب الهوى وحا لأهلك أهل لها
فأما الذي هو حب الهوى فشغل بكرك عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا ولا ذاك

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنما عليه عظمها لوجهها وأهل لها الحب لوجهه وحلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواما ولذة مطالعة جمال الرب ينعى التي عبر عنها رسول الله ﷺ حيث قال حاكيا عن ربه تعالى « أعددت لمبادئ الصالحين ما لا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (١) وقد تجعل بعض هذه الذات في الدنيا بل انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ولذلك قال بعضهم إنى أقول يارب يا الله فأجد ذلك على قلبي أهمل من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب وعلم رأيت جليسا ينادى جليسه وقال إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالجارية أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقولون جنونا أو كفرا فنقص العارفين كلهم وصله وتقائه قطع نفس قرعة العين التي لا تمس ما أتى لهم منها وإذا حصلت المحققات المحنوم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بجميعها فلو ألقى في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم ينتبه إليه لكان نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية ولدت شعري من لم فهم لإحسان المحسوسات كيف يؤمن بالله النظر إلى وجهه الله تعالى وتعالى وتعالى عبادة ولا تفكر وأي معنى لو عدا الله تعالى به في نفسه كرهنا أعظم العلم بل من عرف الله عرف أن الذات الفرق بالتهبوات المختلفة كلها تتصلوئ تحت هذه الذات كالألحاض بهم :

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى أعددت لمبادئ الصالحين ما لا عين رأت ولا

ويكشف بالقدر
والآيات وصبره ذوق
وفهم للحكمات الله
تعالى للزلات ويغنى
بجميع الأحوال
والتامات فكلمها من
هذه الأربع ظهرت
وبها حياتها وكنت
فأحد الثلاث يد
الإيمان التيقية
النصح والثاني القرب
في الدنيا والثالث
تحقيق مقام اليهودية
يدوام العمل لله تعالى
ظاهرا وباطنا من
الأعمال القلبية
والغالبية من غير تقوى
وقصور ثم يستأن على
إتمام هذه الأربعة
بأربعة أخرى بها
تسامها وقوامها وهي

صككت لقي أهواء مفرقة فاستجعت مد وأنتك تمين أهوائ
فصار يحسن من كنت أحسنه وصرت مولى الوري مذ صرت مولاي
تركزت للناس دنياهم ودينهم شغلا بد كرك ياديني ودنيائي
ولذلك قال بعضهم : وهجره أعظم من تاره ووصفه أطيب من جته

وما أرادوا بهذا إلا إشار لغة القلب في معرفة الله تعالى على لغة الأكل والشرب والتكاح فان
الجنة معدن تمتع الحواس . فأما القلب فليدته في لقاء الله قسط ومثال أطوار الحاق في قديمه ما ذكره
وهو أن الصبي في أول حركته وتغيره يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده
آفة من سائر الأشياء ثم يظهر بعده لغة الغرسة وليس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لغة
للعب ثم يظهر بعده لغة الواقع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها ثم تظهر لغة
لرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لغات الدنيا وأقوالها كما قال تعالى - اعلموا أنما الحياة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر - الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها
لغة معرفة الله تعالى ومعرفة أفضاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فيكمل متأخر فهو أقوى وهذا هو
الآخر إذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد
المشربين وحب العلوم قرب الأربعين وهي الغاية العليا وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب
ويشتغل بعلاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة
ويشتغل بمعرفة الله تعالى . والعارفون يقولون - إن تسخروا منا فانا نسكر منكم كما تسخرون
فسوف تملكون - .

(بيان السبب في زيادة النظر في لغة الآخرة على المعرفة في الدنيا)

اعلم أن اللذرات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال كالصور للتحية والأجسام الثلاثة وللشككة من
أشياء الحيوان والنبات وإلى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة
والارادة وغيرها ومن رأى إنساناً ثم غص بصره وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر إليها
ولكن إذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين
لأن الصورة للرؤية تكون موافقة للتحية وإنما الاختراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة
الرؤى صارت بالرؤية أتم انكشافاً ووضوحاً وهو ك شخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء
النهار ثم رؤى عند تمام الضوء فانه لا تخارق إحدى الحالتين الأخرى إلى مزيد الانكشاف ، فاذن
الخيال أول الادراك والرؤية هو الاستكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشفوصى ذلك رؤية لأنه
غاية الكشف لأنه في العين بل لو خلق الله هذا الادراك المكمل للكشف في الجهة أو الصدر
مثلاً استحق أن يسمى رؤية وإذا فهمت هذا في التخيلات فاعلم أن للمعومات التي لا تتشكل أيضاً
في الخيال لمعرفتها وإدراكها درجتان : إحداهما أولى والثانية لاستكمالها وبين الأولى والثانية من
التفاوت في مزيد الكشف والإيضاح ما بين التخييل والرؤى فيسمى الثاني أيضاً بالانفاة إلى الأول
مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حتى لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف وكما أن منة
الله تعالى جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجاباً بين البصر
والرؤى ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وما لم ترفع كان الادراك الحاصل مجرد التخييل
فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس مادامت محبوبة بموارض البدن ومقتضى الشهوات

قوة السلام وقوة الطعام
وقوة المنام والاعتزال
عن الناس . واتفق
الملاء الزاهدون
والشايخ على أن هذه
الأربع بها تستقر
القامات وتستقيم
الأحوال وبها صار
الأبدان أيدلاً لا يتأيد
الله تعالى وحسن
توفيقه ونيل باليان
الواضح أن سائر
القامات تدرج في
صحة هذه ومن ظفر
بها فقد ظفر بالقامات
كلها أولها بد الإيمان
التوبة وهي في مبدأ
صحتها تنحصر إلى أحوال
وإذا صحت فتمتد
على مقامات وأحوال
ولا بد في ابتدائها
من وجود زاجر

وما غلب عليها من الصفات البشرية قائم لا تنتهي إلى الشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأفجان عن رؤية الأبصار والقول في سبب كونها حجاباً يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام - لن تراني - وقال تعالى - لا تدركه الأبصار - أي في الدنيا ، والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المراج (١) . فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ماثلة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة فيها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الإصلاح والتصفيل وهؤلاء هم المحبسون عن ربهم أبداً الآباد نعوذ بالله من ذلك . ومنها ما لم يته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول الزكية والتصفيل فيعرض على النار عرضاً يقع منه الحبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى الزكية وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الأنبياء بسبعة آلاف سنة (٢) ولن تدخل قس من هذا العالم إلا ويصحبها غيرة وكدورة ما وإن قلت . ولذلك قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم تجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً - فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها فإذا أكل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحد من خلقه فانه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فبعد ذلك يشتغل بصفاته وشأنه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غيرة ولا قرة لأن فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجلياً يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما عليه كان ككشف تجلي للرآة بالإضافة إلى ما عليه ، وهذه الشاهدة والتجلى هي التي تسمى رؤية ، فاذن الرؤية حق بشرط أن لا يهضم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علواً كبيراً لا كما عرفت في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتهدير شكل وصورة قتره في الآخرة كذلك ، بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتقبل مشاهدة ، ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة ، والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا من المثال في استكمال الخيال بالرؤية ، فإذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهه فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بينها وترقيتها في الوضوح إلى غاية

وجودان الزاجر حال لأنه موهبة من الله تعالى على ما تقرر أن الأحوال مواهب . وحال الأرجر مبتاع التوبة ومبدؤها . قال رجل لبشر الحالى مالى أراك مهموما . قال لأنى ضال ومطلوب ظللت الطريق وللقصد وأنا مطلوب به ، ولو تبينت كيف الطريق إلى المقصد لطلبت ، ولكن سنة الفسقة أدركنى وليس لى منها خلاص إلا أن أزجر فأزجر . وقال الأصمى : رأيت أعسارياً بالبصرة يشكى عينيه وهما يسيل منهما الماء قلت له ألا

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المراج على الصحيح هذا الذى صححه المصنف هو قول عائشة في الصحيحين أنها قالت من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب . ولمسلم من حديث أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور أنى أراه وذهب ابن عباس وأكثر العلماء إلى إثبات رؤيته له وعائشة لم ترو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . وحديث أبي ذر قال فيه أحمد ما زلت له منكراً . وقال ابن خزيمة في القلب من صحة إسناده شيء مع أن في رواية لأحمد في حديث أبي ذر رأيت نورا إلى أراه ورجال إسناده رجال الصحيح (٢) حديث إن أقصى المكث في النار في حق المؤمنين سبعة آلاف سنة الترمذى الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبار من أمي الحديث وفيه وأطولهم مكثاً فيما مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة وإسناده ضيف .

لذة النظر إلى وجه المشوق في الدنيا تتفاوت بأسباب أحدها كمال جمال المشوق وتساؤه فان اللذة في النظر إلى الأجل أكمل لاجالة . والثاني كمال قوة الحب والشهوة والمشق فليس التذام من اشتد عشقه كالتذام من ضعف شهوته وجه . والثالث كمال الإدراك فليس التذام برؤية المشوق في ظلمة أو من وراء ستر رقيق أو من بعد كالتذام بإدراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا إدراك اللذة للضاجة مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرد . والرابع اندفاع الودائق للشهوة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذام الصحيح الفارغ للتجرد للنظر إلى للمشوق كالتذام الخائف للذعر أو للرئيس التأم أو للشغل قلبه بهم من الهيات قدّر عاشقا ضعيف المشق ينظر إلى وجهه مشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حلة اجتمع عليه غبار وزناير تؤذيه بمرئيه وتشتغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة مامن مشاهدة مشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة اهتلك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه اللؤذيات وبقي سليبا فارغا وهجعت عليه الشهوة القوية والمشق للفرط حتى بلغ أقصى القنایات فانظر كيف تتضايف اللذة حتى لا يبقى لأولى إليها نسبة يستبد بها فكذلك فاقهم نسبة لذة النظر إلى لذة المعرفة فاستر الرقيق مثال البدن والاعتزال به والمقارب واثرناير مثال الشهوات للتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والهم والحزن وضغف الشهوة والحب مثال قصور النفس في الدنيا وحصانها عن الشوق إلى اللأ الأعلى والتضام إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة النعال والساتو التفاته إلى اللعب بالسفوف والعارف وإن قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه للتوشات ولا يتصور أن يخلو عنها إبتة ثم قد تضغف هذه الودائق في بعض الأحوال ولا يندوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يهت الضل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب ينظر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبريق الخاطف وقفا يدوم بل يمرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوقه وينصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الثانية فلا تزال هذه اللذة منصبة إلى اللوت وإنما الحياة الطيبة بعد اللوت وإنما العيش عيش الآخرة - وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يملكون - وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فإنه يجب لقاء الله تعالى فيحب اللوت ولا يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبلد وهو المعرفة لاساحل له فلا حيلة بكنهه جلالة الله محال فكما كثرت المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وبأسرار مملكته وقوت كثر التسمي في الآخرة وعظم كما أنه كلما كثر البلد وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البلد إلا في الدنيا ولا يزرع إلا في صيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله ^(١)» لأن المعرفة إنما تسهل وتكسر وتتسع في العمر الطويل بمدامنة التسكر والمواظبة على المجاهدة والاتطاع عن علائق الدنيا والتجرد والمطلب يستدعي ذلك زمانا لاجالة فمن أحب اللوت أحبه لأنه رأى نفسه واقفا في المعرفة بالنا إلى منتهى ما يسير له ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما أحتمله قوته لو عمره فهذا سبب كراهة الموت وجهه عند أهل المعرفة . وأما سائر الخلق فنظمهم مقصور على شهوات الدنيا إن أصمت

التبسط؛ فإذا تبسط
أثره تبسطه الطالب
لطريق الرشد فيطلب
وإذا طلب عرف
أنه على غير ميل الحق
فيطلب الحق ويرجع
إلى باب توبته ثم يعطى
بإتباعه حال التبسط
قال فارس : أوفى
الأحوال التبسط
والاعتزال . وقيل :
التبسط بيان خط
الشك بعد مشاهدة
مزيل النجاة . وقيل :
إذا صحت التبطة كان
صاحبها في أوائل
طريق التوبة . وقيل :
البطة شجرة تمن
جهة اللؤلؤ لقلوب
الحاضرين تدلم على
طلب التوبة فإذا تمت

(١) حديث أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله عزهم الحرفي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن أبي عمير عن ابن الهادي عن المطلب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السعادة طول العمر في طاعة الله وواله المطلب عبد الله بن حوطب مختلف في صحته ولا يخدم حديث جابر إن من سعادة المرء أن يطلو حميره ويرزقه الله الابانة والبرم من حيث أبي بكر بن رطلان ورجاله يارسل الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال هذا حديث حسن صحيح وقد فهم

أحبوا البقاء وإن شاقّت تنموا اللوت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والتفقه فالجهل والفتنة مفرس كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبوب معنى الشق فانه الحبة للفرقة القوة ومعنى لمة للفرقة ومعنى الرؤية ومعنى لمة الرؤية ومعنى كونها الدين سائر الذات عند ذوى العقول والكمال وإن لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كما يمكن الريسة الله من اللطومات عند الصبيان . فان قلت فهذه الرؤية عليها القلب أو العين في الآخرة . فاعلم ان الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يفتنون إلى هذا الخلاف ولا ينتظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن البقعة ومن يشتهي رؤية مشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها فان العين محل وظرف لا ينظر إليه ولا حكم له والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن تحكم عليها بالتصور عن أحد الأمرين ، هذا في حكم الجواز ، فأما الواقع في الآخرة من الجزئين فلا يدرك إلا بالسمع (١) والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون قسط الرؤية والنظر وسائر الأقطار الواردة في الشرع يجري على ظاهره فلا يجوز إزالة الظواهر إلا بالضرورة والله تعالى أعلم .

(بيان الأسباب للقوة لحب الله تعالى)

اعلم أن أسعد الخلق حالا في الآخرة أقوام حبا لله تعالى فان الآخرة منها ما القوم على الله تعالى ودرج سادة لقائه وما أعظم نعيم الحب إذا قسم على محبوه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبد الأبد من غير منقص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع إلا أن هذا التسليم على قدر قوة الحب فكلما ازدادت الحبة ازدادت القوة وإنما يكتب العبد حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل للفرقة وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى يتسنى إلى الاستبصار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الأكثرون وإنما حصل ذلك بسببين : أحدهما قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الإناء الذي لا يتسع لغيره مثلاً ما يخرج منه الماء - ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه - وكما الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه ومادام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فيقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله ويقدر ما يقع من الماء في الإناء ينقص من المحل المصبوب فيه وإلى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خوضهم - وقوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استغابوا - بل هو معنى قوله لا إله إلا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان العبد هو اللقيد والمعبود هو اللقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى - أرايت من أخذ له هوا - وقال **عليه السلام** « أحبني إله عبد في الأرض المولى » ولذلك قال عليه السلام « من قال لا إله إلا الله عملا دخل الجنة (٢) » ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يقع في غير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه وقطع ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لأنها مانعة له من مشاهدة محبوه وموته خلاص من السجن وتقدم على المحبوب لما حاله من ليس له إلا محبوه واحد وقد طال المعروفة وتعالى عنه جسده غلى من السجن ومكن من المحبوب بروح بالأمن أبد الأبد أحد أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الأهل والمال والولد والأكارب والشار والذواب والبسائر والخزعات

(١) حديث رؤية الله في الآخرة حقيقة متفق عليه من حديث أنس بن مالك أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية أقصى لينة البصر الحديث (٢) حديث من قال لا إله إلا الله عملا دخل الجنة تقدم .

عقلته قل بذلك إلى
مقام التوبة فله
أحوال ثلاثة تضم
التوبة ثم التوبة في
استقامتها تحتاج إلى
الحاجة ولا تستقيم
التوبة إلا بالحاجة .
قل عن أسعد
المؤمنين على رضا
الله عنه أنه قال :
حاسبوا أنفسكم قبل
أن تحاسبوا وزنوا
قبل أن توزنوا
وزنوا فعرض
الأكبر على الله يومئذ
تعرضون لا تخفى
منكم خافية فالحاسبة
حفظ الأخماس وضبط
الحواس وطاعة
الأوقات وإشغال المهمات
وإسليم العبد لله

حق إن التفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الأسفار ملتفت إلى نعم الدنيا ومتعرض لتقصان حب الله تعالى بسببه فيقدر مائس بالدنيا فينقص أنسه بالله ولا يؤق أحد من الدنيا شيئاً إلا يرتقص بقدرة من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب الإنسان من التفرق إلا ويعد بالضرورة من الترتب بقدرة ولا يطيب قلب امرأته إلا ويضيّق به قلب ضرتها بالدنيا والآخرة ضرثان وهما كالشرق والغرب وقد انكشف ذلك لدى القلوب انكشافاً أوضح من الإبرار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملزمة الصبر والاشتياء إليهما بزماء الخوف والرجاء لما ذكرناه من المقامات كالنوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليستكتب بها أحد ركني المحبة وهو تخلية القلب من غير الله وأوله الإيمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك إلى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لزول معرفة الله وجهه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركني المحبة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «الطهور شطر الإيمان» (١) كما ذكرناه في أول كتاب الطهارة . السبب الثاني قوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شوائب الدنيا وعلاقتها بجري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي السكينة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال - ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء حينئذ يحملها الله والآخرة تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب - أي للرفعة - والعمل الصالح يرفعه - فكل عمل الصالح كالجمال الحمد للرفعة كالخادم وإتمام العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً من الدنيا ثم إدامة طهارته فلا يرد العمل إلا لهذه الرفعة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الأول وهو الآخر وإنما الأول علم العامة وغرضه العمل وغرض اللامعة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه حلية الحق ويتزين بلم الرفعة وهو علم للكشفة ومهما حصلت هذه الرفعة تبتهل المحبة بالضرورة كما أن من كان متمسكاً بالزواج إذا أصر الجليل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه ومهما أحبه حصلت اللذة فاللذة تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع للرفعة بالضرورة ولا يوصل إلى هذه الرفعة بعد انقطاع شوائب الدنيا من القلب إلا بالسكر الصافي وبالذكر الدائم والجهد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوته سبحانه وسائر صفاته والواصلون إلى هذه الرتبة يتقدمون إلى الأقوياء ويكون أول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره وإلى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالأنعام ثم يعرفون منها إلى الفاعل وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى - أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - وقوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو - ومنه نظر بعضهم حيث قيل له - سمعت ربك قال - عرفت ربك وبلى - ولولا ربى لما عرفت ربى وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - الآية - وقوله عز وجل - أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - وقوله تعالى - قل انظروا ما داخل السموات والأرض - وقوله تعالى - الذي خلق جميع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من ضلوت فارجع البصر هل ترى من خالطهم فخطوهم ثم أرجع البصر كرتين فقل قلب إلى البصر خلطوا وهو حبيب - وهذه الطريق هو الأسهل إلى الأكثرين وهو الأوسع على السالكين وإليه أكثر دعوة القراء عند الأيسر والتدبر والتفكير والانتباه واليقظ في آيات خارجة عن الجهر فإن قلت لا الظاهرين بشكل أو بغير شكل فإني أجيبهما

(١) حديث الطهور شطر الإيمان مسلم من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم .

الله تعالى أوجب عليه
لهذه الصلوات الخمس
في اليوم واليلة رحمة
منه لله سبحانه
بمنه واستيلاء الثقة
عليه كى لا يستبد
بالقوى وتبترقه الدنيا
فالصلوات الخمس سلمة
تجلب القلوب إلى
مواظبة اليهودية لأداء
حق الربوبية ورواق
العبادة نفسه بحسن
الحاجة من كل صلاة
إلى صلاة أخرى وتند
مكتسب الشيطان
بحسن الحاجة والرعاية
ولا يدخل في الصلاة
إلا بعد حل المقدمات
القلب بحسن التوبة
والاستغفار لأن كل كلمة
وحرارة من خلاف
الشرع تكسب في

ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به إلى المحبة . فاعلم أن الطريق الألى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا تفتنى إيرادى الكتب وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الأفهام وإنما قصرت الأفهام عنه لإعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحطوط النفس وللناصح من ذكر هذا التسامع كثرته وانعصاب أبوابه الخارجة عن الحصر والتهابة إنما من ذرة من أطن السموات إلى تخوم الأرضين إلا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكآل حكمته ومنهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتأهى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي فما لحوض فيه انتماس فى بحر علوم للكشفة ولا يمكن أن يتطلق به على علوم العالمة ولكن يمكن الرمز إلى مثال واحد على الأيجاز ليح التنبه بنفسه . فقول : أسهل الطريقين النظر إلى الأنفال فتسكلم فيها ولترى الألى ثم الأنفال الإلهية كثيرة فطلب أهلها وأحضرها وأصغرها ولنظر فى عجائبها فأقل الخلق هو الأرض وما عليها أعنى بالاضافة إلى اللاتسكة وملكوآ السموات فانك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم فى الشخص فالشمس على مائى من صغر حجمها هى مثل الأرض مائى نيفا وستين مرة فانظر إلى صغر الأرض بالاضافة إليها ثم انظر إلى صغر الشمس بالاضافة إلى فلكها الذى هى مركوزة فيه فانه لاسبية لها إليه وهى فى الباء الرابعة وهى صغيرة بالاضافة إلى مائىها من السموات السبع ثم السموات السبع فى الكرسى كحلقة فى فلاة والكرسى فى العرش كذلك فهذا نظر إلى ظاهر الأعفاس من حيث التقادير وما أحرر الأرض كلها بالاضافة إليها بل ما أصغر الأرض بالاضافة إلى البحار فقد قال رسول الله ﷺ والأرض فى البحر كالاصطبل فى الأرض ^(١) ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن لكشوف من الأرض عن اللاء بكزيرة صغيرة بالاضافة إلى كل الأرض ثم انظر إلى الآدمى الخالق من التراب الذى هو جزء من الأرض وإلى سائر الحيوانات إلى صغر جلالته إلى الأرض ودع عنك جميع ذلك فأصغر ما عرفة من الحيوانات البعوض والنمل وما جرى مجراه فانظر فى البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بقول حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل القيل الذى هو أعظم الحيوانات إذ خلقه فى خرطوم ما مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للقل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم أعضائه الظاهرة فأثبت جناحه وأخرج يده ورجله وحق حصه وبصره ودبر فى بطنه من أعضاء الغذاء والآله مادبره فى سائر الحيوانات وركب فيها من القوى القاذية والجاذبة واللازمة واللاسكة والمماسمة ما ركب فى سائر الحيوانات هذا فى شكله وصفاته ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفة أن غذاءه ثم الانسان ثم انظر كيف أثبت له آلة الطيران إلى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو عود الرأس وكيف هداه إلى مضام جرة الانسان حتى يضع خرطومه فى واحد منها ثم كيف قواه حتى يفرز فيه الخرطوم وكيف علمه للسن والتجرج للدم وكيف خلق الخرطوم مع فكه يموجا حتى يجرى فيه الدم الرقيق وينتهى إلى بطنه وينظر فى سائر أجزائه ويندب ثم كيف عرفة أن الانسان يعضد يده بضمه حبة الحبوب واستمداد آفقه وخلق له السمع الذى يسمع به شفيق سرعة اليد وهى به يديه ثم يفرز الحصى الذى يترسب ثم إذا سكنت اليد يرد ثم انظر كيف خلق له حديقته حتى يصير موضع غذائه فيقتنم مع صغر حجم وجهه وانظر إلى أن مدقة كل حيوان صغير فالجمجمة مدقة الأجنال ليسر وكأنت الأفيان معلقة لمرآة الحديقة ثم التقيده والتأني خلق البعوض والدباب ثم يفرز قنطرة إلى الدباب

القلب نكتة سوداء
وتقد عليه عضة
وللفقد الحبيب بين
الباطن الصلاة بضبط
الجولجرح وحقن مقله
الحاسبة فيكون عدد
ذلك الصلاة نور شرقى
على أجزاء وجهه إلى
الصلاة الأخرى للتجوال
صلاصغو وتلقب بغير
وقته ووقته متوفا
معمورا بنور خلاصه
وكان بعض الناس
يكتب الصلوات فى
قرطاس ويضع بين كل
سكتة يمينًا وكلها
أرتسب ضليقة حق
كلمة شيفة أو ألهى
خط خطا وكلها حكم
أو تحرك فحل لا يسه
قط خطلة لينصر
فنونيه ونركاه بيا

قوله على الدوام يحس حقيقته يديه وأما الإنسان والحيوان الكبير غلق لحقيقته الأجلان حتى ينطبق أحدهما على الآخر وأطرافهما حادة فيجمع التيار الذي يلحق الحدة ويريه إلى أطراف الأهداب وخلق الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتمين على الإبصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان التيار فينظر من وراء شبك الأهداب واشتباكها يمنع دخول التيار ولا يمنع الإبصار وأما البوص غلق لها حذقتين مصقلتين من غير أجفان وعليها كيفية التصقيل بالبدن ولأجل صنف أبصارها تراها تنهات على السراج لأن بصره ضئيف فهي تطلب ضوء النهار فاذا رأى السكين ضوء السراج البليل ظن أنه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت للظلم إلى الوضع للنفس فلا يزال يطلب الضوء ويرمي نفسه إليه فإذا جاوزه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب السكوة ولم يتصدها على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق ولملك تظن أن هذا نقصانها وجهها فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الأكباد على الشهوات الدنيا صورة القراش في تنهات على النار إذ تلوح للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري أن تحتها السم النافع القاتل فلا يزال يرى قسه عليها إلى أن ينفس فيها ويتجدها ويهلك هلاكاً مؤبداً فليت كان جهل الآدمي بجهل القراش فأنها باعترافها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبد الأبد أومدة مدينة ولذلك كان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول «إني محسك بحجزكم عن النار وأتم تنهاتون فيها تنهات القراش (١)» فهذه لمة محبة من محابب صنع الله تعالى في أضمر الحيوانات وفيها من المحابب ما لوجع الأولون والآخرين على الاحاطة بكنهه وحجروا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جليلة من ظاهر صورته فأما خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليها إلا الله تعالى ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره فانظر إلى النحل ومحابها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يبرهون وكيف استخرج من محابها الشمع والصل وجعل أحدها شفاء وجعل الآخر شفاء ثم لو تأملت محابب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار واحترازها عن التماسات والأقدار وطاعتها لواحد من جملة ما أكرها شخصاً وهو أميرها ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والانصاف بينها حتى إنه يقتل على باب النفذ كل ما وقع منها على نجاسة قضيت منها عيباً آخر العجب إن كنت بصيراً في نفسك وفارغاً من مبطئك وفرجك وشهوات نفسك في معادة أقرانك وموالاة إخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الأشكال الشكل للندس فلابني بيتاً مستديراً ولا مربعاً ولا مضافاً بل مسدداً خاصة في الشكل للندس يضر فهم الهندسين عن دركها وهو أن أوسع الأشكال وأحوالها للتديرة وما يقرب منها فإن الربع يخرج منه زوايا قائمة وعكس النحل مستدير مستطيل فترك الربع حتى لا تضيق الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج قائمة فإن الأشكال المستديرة إذا جمعت لم تجتمع متراسة ولا عكس في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاختواء من التدوير ثم تراس الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتباعها فرجة إلا للندس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ولطائفه

لا يمينه لتضييق الحسابه
جبارى الشيطان
والنفس الأمارة بالسوء
لموضع صدقه في حسن
الاقتدار وحرصه على
تحقيق مقام الباد وهذا
مقام الهامسة والرعاية
يقع من ضرورة محبة
التوبة قال الجنيده من
حسن رعايته دامت
ولا يشه . وسئل
الواسطي نأى الأعمال
أفضل للمراعاة السر
والهامسة في الظاهر
والللقية في الباطن
ويكمل أحدهما بالآخر
وهما تستقيم التوبة
بالإيقاظ والرعاية حالان
شمرخان وصبران
جملتين شريعتين
يصحان بصحة مقام
اللوغ وبصحة التوبة

(١) حديث في محسك بحجزكم عن النار وأتم تنهاتون فيها تنهات القراش متفق عليه من حديث أبي هريرة نقله مثل أمي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والقراش يحسن فأنما أخذ بحجزكم وأتم تتحمون فيه فقط مسلم. والقصير البخاري على أوله وسلم من حديث جابر وأنا أخذ بحجزكم وأتم غفلون من يدي

لعلنا به وعناية بوجوده وماهو محتاج إليه ليتأبى بيشه فنجسنا ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه
فانعتبر بهذه اللمة البسيرة من محرمات الحيوانات ودع عنك محال ملكوت الأرض والسموات
فإن القدر الذي يثبته فهنا القاصر منه تنقضي الأعمار دون إرضاه ولأنه لما أحاط به علنا إلى
ما أحاط به العلماء والأنبياء ولأنه لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما تأثر الله تعالى به بل
كل ما عرفه الخلق لا يستحق أن يسمى علما في جنب علم الله تعالى فيناظر في هذا وأمثاله تردد
للمعرفة الحاصلة بأهل الطريقين وزيادة للفرقة تردد الحجة فإن كنت طالبا لسعادة لقاء الله تعالى
فابذل الدنيا وراء ظهرك واستغرق في الذكر الهامم والفكر اللازم فسادا تحظى منها بقدر
يسر ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له .

(يان السبب في خاوت الناس في الحب)

اعلم أنَّ للؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشاركتهم في أصل المحبة ولكم متفاوتون تفاوهم في اللزقة وفي حب الدنيا إذ الأعياء إنما تتفاوت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرمت معهم خلقونها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسد بل آمنوا بها إيمان تسليم تصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليقين والمتغيبلون من الضالون والعارفون بالحقائق هم للقرينون وقد ذكر الله حال الأنساف الثلاثة في قوله تعالى - فأما إن كان من القرينين فروح وريحان وجنة نعيم - الآية فان كنت لانهم الامور إلا الأئمة فلتضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله الفقهاء منهم والعلوم لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيره ومحامد خصاله ولكن السامع يعرف علمه مجالا والفقهاء يعرفه مفصلا فلكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه به وجه له أعدها فان من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لامحالة وما إلى قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأجيب تضاعف لامحالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يتقد الرجل في الشاعر أن احسن الشعر فيجبه فاذا جمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنفته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والاماني قد يسمع أن فلانا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحبه ميل مجمل والبصير إذا تفق عن التصنيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لامحالة لأن عجايب الصنة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والاماني يمد ذلك ويشده وأما البصير فانه يطلع فتصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في العوض مثلا من عجايب صنعه ما يثير به عقله ويثير فيه لبه ويزداد بسببه لامحالة عظمة الله وجلاله وكال صفاته في قلبه فيزداد حبا وكما ازداد على ما عجب صنع الله اطلاما استدلل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد بمعرفة قوله حبا وجر هذه اللزقة أتم معرفة عجايب صنع الله تعالى محرلا ساحلة فلا يجرم تفاوت أهل اللزقة في الحب للاحصر وهما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب المحبة التي ذكرناها ليجب فان من حبه الله مثلا لكونه حسنا إليه شتا عليه ولم يجبه للهاته ضفت عنه إذ تثير بشعر الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاسة كحبه في حالة الرضا والتمناه وأمل من حبه للهاته ولا يصح في الحب بحسب كاله وجماله وعبد وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاعسان في البغض والامتنان حبه بتفاوت الناس في المحبة ولا يتفاوت في المحبة هو اليهيب للتفاوت في صفاته الاخر فوالله قال تعالى لا تحزنوا لغيركم انكم كنتم خير امة اخرجت للناس في الحجة والاعقاب

على الكمال بما
ضارت الحاسبة
والرأية والرعاية من
ضرورة مقام التوبة .
أخيراً بوزرة إجازة
عن ابن خلد بن بكر
الشرافى قال سمعت
أبا عبد الرحمن السلمي
يقول سمعت الحسن
القارنى يقول سمعت
الجريرى يقول أمراً
هذا مبنى على صلح
وهو أن تترك عقاله
الراقية تعالى ويكون
العلم على ظاهره لا باطنه .
وقال الرضى : الراقية
مرآة السر للاطلاع
الحق في كل لحظة
ونظرة قال الله تعالى
- الذين هم قائم على
كل ضمير ما كتب -
وهذا هو علم القيام

(بيان السبب في تصور أفعال الخلق عن معرفة الله سبحانه)

اعلم أنَّ أظهر الموجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفعال وأسبغها على العقول وتترى الأمر بالفسد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وإعنا قلنا إنه أظهر الموجودات وأجلها لمن لا يفهمه إلا بآثاره أنما إنسان يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات خياله وعلمه وقدرته وإرادته لا تخاطبة أجلي عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرسته وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرفه بضمها وبضها فنك في تقدير طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أمحياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فان هذه الصفات لا تحس شي من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بآثاره وحركته فلننظرنا إلى كل مافي العالم سواء لم نعرف به صفته لفاعله إلا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد به بالضرورة كل ما نشاهده ونذكره بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وساء وأرض وكوكب وبر وبحر وثار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أحسن وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علنا أحسن ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالقل والسميرة وكل واحد من هذه المدركات بمدركه واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهد ماثلة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومديرها ومصرفها ومحركها وذلك على علمه وقدرته ولطفه وسكنته ولوجودات للمدرك لآخر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا شاهد واحد وهو ما أحسننا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله لإدراك ذرة فاتها تتادى بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أولئك كيب أعضاءنا واختلف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم أنها لم تألف بأشياء كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شيء بمدركه محسوس ومقول وعاضرو فأنب لإوهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبرته العقول ومعهشت عن إدراكه فان ما قصر عن فهمه عقولنا لله سبحانه أمد ما خالفه في تصور غموضه وفلك لا يخفى مثله . والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كإن الحفاش يصير بالليل ولا يصير بالهار لا لجناء الهار واستارته لكن لشدة ظهوره فان يصير الحفاش ضعيف بصره نور العنصر إذا أثر فتمت تكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وخفض ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وبجمال المحضرة الإلهية في نهاية الإحراق والاستنارة وفي غاية الاحتراق والضمور حتى لم يشد عن ظهوره قوة من حركات السموات والأرض فصار ظهوره سبب صفاته فصعبا من احتجابه بآثاره ونوره والخلق من أفعالهم والى هذا بطور بصره ولا يصعب من احتجابه بآثاره في الظهور وفي الغيب . فتمت بيان ما بدأنا به وناعم وجوده حتى إنه يشهد له على إفرا كقولنا خالفنا الأشياء لذلك بعضها فوق بعض أدركت التفرقة على غير ما فهمنا اشتراك في ذلك على أن لم يقبل بآثاره في كل الأمر وفي الغيب والشمس على الأرض فلا تلمح مائه على من الأرض من الأرض من حيث الأرض وبزولها عند غروبها في الأرض في كل وقت الشمس فاعلم أن الأمر لا يفرق ويبلغ ما كنا نظن أنه لا يفرق في الأجسام بل في الأفعال والشمس والشمس والشمس على

وبذلك يتم علم الحال ومعرفة الزيادة والتقصان وهو أن يعلم معيار حاله فيما بينه وبين الله وكل هذا ملازم لصحة التوبة وصحة التوبة ملازم لها لأن الحواطر مقدمات الصراخ والصراخ مقدمات الأعمال لأن الحواطر تحتق إرادة القلب والقلب أصير الحواطر ولا تتحرك إلا بتحرك القلب بالأرادة والمراقبة جسم مواد الحواطر الرديئة صار من تمام المراقبة تمام التوبة لأن من حصر الحواطر على معرفة الجوارح لأن بالمراقبة اصطلاح عروق أربعة للشمس من

فأنا لانشاهد في الأسود إلا السواد وفي الأبيض إلا البياض فَمَا الضوء فلا تدرك وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت الواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فلما أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء وانصرفت بضوء فأدركنا عند التروب فرقا وجود النور بدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بسر شديد وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور وهذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات لما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره فنظر كيف تصور استبصارهم أمره بسبب ظهوره لولا طريق منزه فأنه تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهت السموات والأرض وبطلت للكل وللكتوت ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشئين في الدلالة ولكن دلالة عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه فلا جرم أورثت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في تصور الأنفهام وأما من قويت بصيرته لم يضافته فأنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة ودونها الوجود دلالة على وجود الله في وجود الأفعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويحل عن الفعل من حيث إنه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث إنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيها الشاعر والصف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث إنه حبر وعصص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر إلى غير التصنيف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث أنه فعل الله وأجبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا في الله ولا حارفا إلا بالله ولا محبا إلا لله وكان هو للوحد الحق الذي لا يرى إلا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبد الله الذي يقال فيه إنه فني في التوحيد وأنه فني عن نفسه وإليه الإشارة بقول من قال كنا بنا فنعينا هنا فنعينا بل نحن فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشكلت لضعف الأنفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بآفاق إيضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة لفرض إلى الأنفهام أو باشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لتبريم بما لا ينتم لهم هذا هو السبب في تصور الأنفهام عن معرفة الله تعالى والضم إليه في اللدركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان في الصبا عند قد المقل ثم يبدو في غريزة النقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألقها فمقط وقصا عن قلبه بطول الأنس وذلك إذا رأى على سبيل الضجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فضلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة محميا انطابق لسانه بالعرفه طبا فقال سبحانه الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضائه وسائر الحيوانات للأنوثة وكلها شواهد قاطعة لا يحصى فيها دلالتها لطول الأنس بها ولو فرض أنكم تبلغ ما لا تلم انصرفت غشاوة عينه فامتدت بصره إلى السهادر والأرض والأشجار والنبات والحيوان فدهت واحدة على سبيل الضجأة تخيف على عقله أن يظهر لمنظم تصحيه من شهادة هذه المنجبات على قلبها لهذا وأما من الأسباب مع الانبساط في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والنباهة في غمارها الواصلة فالنفس في طلبهم معرفة الله كاللهوش الذي يضرب به لقتل إذا كان داءا كالحمار وهو يطلبنا بطريق الحيليات إذا ضارت مطوعة ضارت متماثلة فهذا سر هذا الأمر فليصدق ذلك بل:

فقد ظهرت لنا حق على محمد: إلا على أنه لا يخدع في القمرا
 لكن يظن بما أظهرت محتجا فكيف يعرفه من بالعرف قد سؤا

القلب وبالحاسة
 استدراك ما اقتلت
 من الرقابة. أخبرنا
 أبو زرعة عن ابن
 خلف عن السلي قال
 سمعت أبا عبدان للفرقي
 يقول أفضل ما يلهم
 الإنسان في هذا
 الطريق الحاسبة
 والرقابة وسيلة
 العمل بالعلم وإذا صحت
 التوبة صحت الأتابة
 قال إبراهيم بن آدم
 إذا صدق البد في
 توبته صار متبعا لأن
 الأتابة ثاني درجة
 التوبة وقال أبو سعيد
 القرشي: التوبة الراجعة
 عن كل شيء يشبه
 عن الله إلى الله وقال
 بعضهم الأتابة الرجوع
 منه إليه لا من شيء

(بيان معنى الشوق إلى الله تعالى)

اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد أن ينكر حقيقة الشوق إذ لا تصور الشوق إلا إلى محبوب ونحن ثبت وجود الشوق إلى الله تعالى وكون العارف مضطرا إليه بطريق الاعتبار والنظر بأنوار البصائر وبطريق الأخبار والآثار أما الاعتبار فيمكن في إثباته ما سبق في إثبات الحب فكل محبوب يشتاق إليه في غيبته لعلامة فأما الحاصل الحاضر فلا يشتاق إليه فإن الشوق طلب وتشوق إلى أمر والوجود لا يطلب ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه فأما ما يدرك أصلا فلا يشتاق إليه فإن من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشتاق إليه وما أدرك بكافة لا يشتاق إليه وكما الإدراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما فنظر إليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق إنما يتعلق بما أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه وهو من وجهين لا ينكشف إلا بمثل من المشاهدات . فقول مثلا من غاب عنه مشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية فلو انعمي عن قلبه ذكره وخياله ومعرفة حتى نسبه لم يتصور أن يشتاق إليه ولو رآه لم يتصور أن يشتاق في وقت الرؤية فبقي شوقه تشوق نفسه إلى استكمال خياله فكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته وتعمم الانكشاف في صورته بإشراق الضوء عليه . والثاني : أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وإن لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضوا وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فإن ما انتفع للعارفين من الأمور الإلهية وإن كان في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضاغيا في الاضغاض بل يكون مشوبا بشوايب الضخيلات فإن الخيالات لا تفر في هذا السالم عن التخييل والهاكة لجميع المعلومات وهي مكدرات للعارف ومنغصات وكذلك يضئف اليها شواغل الدنيا فأما كمال الوضوح بالمشاهدة وتعمم إشراق التخييل ولا يكون ذلك إلا في الآخرة وذلك بالضرورة وجوب الشوق فإنه منتهى محبوب العارف فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيها اضغاضا ما الثاني أن الأمور الإلهية لانهاية لها وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها ويبقى أمور لانهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوقا إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيها لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة متولدة لا معرفة غامضة الشوق الأول ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن في الدنيا وقد كان إبراهيم بن أدهم من الشقائق فقال قلت ذات يوم يارب ان أعطيت أحدا من المهيئين لك ما يسكن به قلب قبل لقاءك فأعطيني ذلك قد أضر في القلب قال فرأيت في النوم أنه أوتى بين يديه وقال يا إبراهيم أما استعيتت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقاء وهل يسكن الشقائق قبل لقاء حبيبه فقلت يارب تهت في حبك فلم أد ما أقول فأغفر لي وعلى ما أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وعبرني على بلاتك وأوزعني شكر نعمائك فإن هذا الشوق يسكن في الآخرة وأما الشوق الثاني فينبه أن لا يكون له نهاية لاني الدنيا ولا في الآخرة إذ نهايته أن ينكشف المبدء في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفضاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لأن ذلك لانهاية له ولا يزال المبدء عالما بأنه بقي من الجلال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لاسما من يرى فوق درجته درجات كثيرة لأنه لا تشوق إلى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو يجد ذلك شوقا لا يذلا لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تسكون

غيره فمن رجع من غيره إليه ضيق أحد طرق الانابة والالتئيم على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه فيرجع إليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شجبا لا وصف له قائما بين يدي الحق مستغرقا في عين الجمع وخالفه النفس ورؤية عيوب الأنفال والمجاهدة بتحقيق تحقيق الرماية والراقبة . قال أبو سليمان ما استحسن من نفسي عملا فأحسبه . وقال أبو عبيد الله السجزي من استحسن شيئا من أحواله في حال إرادته فسدت عليه إرادته إلا أن يرجع

الطاف الكشف والنظر متوالية إلى غير نهاية فلا يزال النعم واللذة متزايدة أبداً لا يذوقون قلة ما يتجدد من لطائف النعم شائعة عن الاحساس بالشوق إلى مالم يحصل وهذا اجر طأن يمكن حصول الكشف فيها لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلاً فإن كان ذلك غير مبدول فيكون النعم واقفاً على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى - نورهم يمشي بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا آتئنا نورنا - محتمل لهذا المعنى وهو أن ينعم عليهم بأنعام النور وهم ما زودوا من الدنيا أصل النور ويحتمل أن يكون المراد به إتمام النور في غير ما استقر في الدنيا استتارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بشما وقوله تعالى - انظرونا فتبينس من نوركم قبل ان يجمعوا وراهم كما قالوا - نوراً - يدل على أن الأنوار لا بد وأن يتزود أصلها في الدنيا ثم يزاد في الآخرة إشراقاً فاما أن يتجدد نور فلاو الحكم في هذا برجم الظنون عطر ولم ينكشف لثاقبه بمدى ما يوثق به فقال الله تعالى أن يزيدنا علماً ورشداً ويرينا الحق حقاً فهذا التقدير من أنوار البصائر ككشف لحقائق الشوق ومعانيه. وأما شاهد الأخبار والآثار فأكثر من أن نحصى فما أشهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد البقيع بعد الموت وشفعة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقاءك » (١) قال أبو الدرداء لكعب أخضر عن أنس آية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى: طال شوق الأبرار إلى لقاءي وإنني إلى لقاءهم لأشد شوقاً قال ومكتوب إلى جانبها من طلبة وجدي ومن طلب غيري لم يجدني ، قال أبو الدرداء أشهد أني لسمعت رسول الله ﷺ يقول هذا وفي أخبار داود عليه السلام إن الله تعالى قال يادود أبلغ أهل أرضي أني حبيب لمن أحبني وحبيب لمن جالسني ومؤنس لمن أنس بذكري وصاحب لمن صاحني وعشار لمن اختارني ومطعم لمن أطاعني ما حقي عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه لا قبلته لنفسه وأحبته حبا لا يتقدمه أحد من خلق من طلبة الحق وجدي ومن طلب غيري لم يجدني ، فارتضوا بأهل الأرض ما أتم عليهم من غرورها وعلو إلى كرامتي ومصاحبي ومجالستي وانفسوا إلى أوائكم وأسارع إلى عجبكم فاني خلقت طينة أحيائي من طينة إبراهيم خليلي وموسى نبيي ومحمد صفيي وخلق قلوب للشتاقين من نوري ونمتها بجلالي . وروى عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إنني عبادا من عبادي يحبونني وأحبهم ويشتاقون إلى وأهتاق إليهم ويذكرونني وأذكركم وينظرون إلى وأنظر إليهم فإن حدثت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مفتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالتهار كما يراعي الراعي الشقيق غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما يحن الطائر إلى وكرة عند الغروب فإذا جنبهم الليل واخطط الظلام وفرشت القرش ونصبت الأسرة وخلال حبيب عبيده نصبوا إلى أقدامهم واقتروا إلى وجوههم وناجوا بكلامي وتعلقوا إلى بأشامي فبين صارخ وبك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بيني ما يتحملون من أجل ويسمى ما يتسكنون من حي أول ما أعطيت ثلاث : ألقف من نوري قلوبهم فيخبرون حق كما أخبر عنهم . والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقلتها لهم : والثالثة أتبل بوجهي عليهم قري من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه . وفي أخبار داود عليه السلام إن الله تعالى أوحى إليه يادود أني كم تذكر الجنة ولا تمنأني الشوق إلى قال يارب بين للشتاقين إليك قال إن للشتاقين إلى الدين صفتين من كل كبد ونبيتهم بالخلد وخرقت من قلوبهم إلى جحرا ينظرون إلى . وإنني لأحمل قلوبهم يدي فأضيها على سماءي ثم أدعو نجباء ملائكتي فألقوا اجتماعا

(١) حديث أنه كان يقول في دعائه اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد البقيع بعد الموت الجديت أجمع والحاكم وتقدم في المصوات .

إلى ابتداءه فيروى
قسه ثانياً ومن لم يكن
قسه بميزان الصدق
فبإله عليه لا يبلغ
مبلغ الرجال ورؤية
عيوب الأنفال من
ضرورة صحة الانابة
وهو في تحقيق مقام
التوبة ولا يتسقى
التوبة إلا بصديق
المجاهدة ولا يصديق
البيد في المجاهدة إلا
بوجود الصبر . وروى
فضالة بن عبيد قال
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
المجاهدين جاهد قسمة
ولا يمت ذلك إلا بالصبر
وأفضل الصبر الصبر
على الله بكوف المم
عليه وصدق لثاقبة
له بالقلب وجسم مواد

سجدوا لي فأقول إني لم أدعكم لتسجدوا لي ولكن دعوتكم لأعرض عليكم قلوب للشتاقين إلى
وأباهي بكم أهل الشوق إلىي فان قلوبهم لتضي في سباني للالتصق كما تضي الشمس لأهل الأرض.
يادادو إني خلقت قلوب للشتاقين من رضواني ولهدايا بنور وجهي فأخذتهم لنفسي محدثي ،
وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به إلىي يزادون في
كل يوم هولا . قال داود يارب أرني أهل عبتك ، قال يادادو أنت جبل لبنان فان فيه أربعة
عشر خسا فهم عيان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا أتيتهم فأقرهم مني السلام وقل لهم إن ربكم
يقركم السلام ويقول لكم الأسألون حاجة فانكم أحيائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم
وأسارع إلى عبتكم فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من الصيون يشكرون في عظمة
الله عز وجل ، فما نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليشرقوا عنه ، قال داود إني رسول الله
إليك جئتكم لأبليكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماهم نحو قوله وألقوا أبصارهم إلى
الأرض ، قال داود إني رسول الله إليكم يقركم السلام ويقول لكم الأسألون حاجة الاتنادون
أجمع صوتكم وكلامكم فانكم أحيائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى عبتكم وأنظر
إليك في كل ساعة انظر الوالدة التفيفة الرفيقة . قال فجرت السموع على خدودهم ، قال شيخهم
سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من
أعمارنا . وقال الآخر : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامتن علينا بحسن النظر
فما بيننا وبينك . وقال الآخر : سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أفجرتي على
السماء وقد علت أنه لأحاجة لنا في شيء من أمورنا فأدمن لنا لزوم الطريق إليك وأتم بذلك لثمة
علينا . وقال الآخر : نحن مقصرون في طلب رضاك فأعنا علينا بمودتك . وقال الآخر : من
نظرة خلقتنا ومننت علينا بالخير في عظمتك أفجرتي على الكلام من هو مشتغل بظلمتك
مبتكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك . وقال الآخر : كنت ألتصقا عن دمالك لعظم شأنك
وقربك من أوليائك وكثرة متك على أهل عبتك . وقال الآخر : أنت هديت قلوبنا لذكرك
وفرختنا للاحتفال بك فاغفر لنا قصيرنا في شكرك . وقال الآخر : قد عرفت حاجتنا إليماهي
النظر إلى وجهك . وقال الآخر : كيف يجترى البعد على سيده إذ أمرتنا بالبعد بمودتك فحب
لنا نورا نهتدي به في الظلمات من أطباق السموات . وقال آخر : ندعوك أن تقبل علينا
وهدية صدنا . وقال الآخر : نسألك تمام نعمتك فما وهبت لنا وفضلت به علينا . وقال
الآخر : لأحاجة لنا في شيء من خلقك فامتن علينا بالنظر إلى جمال وجهك . وقال الآخر :
أسألك من بينهم أن يسمي عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاحتفال بالآخرة . وقال
الآخر : قد عرفت بارتك وتعاليت أنك تحب أوليائك فامتن علينا باحتفال القلب بك عن كل شيء
دوتك . فأحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أريدت فليبارك
كل واحد منكم صاحبه وليستد نفسه سرا فأتى كاهن الحجاب فأتى وينسك حتى تنظروا إلى نور
وجلاله . فقال داود يارب بم قالوا علما منك قال بحسن الظن والكشف عن الدنيا وأهلها والخلق
ومناجاتهم لي وإن هذا منزل لا يناله إلا من رغب في الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وخير خلقي
واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أحطف عليه وأفرغ منه وأكشف الحجاب فأتى وينسك حتى
ينظر إلى نظر الناظر بينه إلى الشيء وأره كرامتي في كل ساعة وأقره عن نور وجهي .

الحواطر والضمير
يقسم إلى فرس
وقتل فالفضل كالصبر
على أداء للقرضات
والصبر عن المهرمات
ومن الصبر الذي هو
فضل الصبر على الفقر
والصبر عند الصدمة
الأولى / وسكان
للصائب والأولع
وترك الشكوى
والصبر على إخفاء
الفقر ، والصبر على كتم
النسج والكرامات
ورؤية البر والآيات
ووجوه الصبر فرسا
ولفضلا كثيرة وكثير
من الناس من يقوم
بهذه الأقسام من
الصبر ويترقى عن
الصبر على الله بآلهم
صحة الرابطة والرباطة

مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشقيقة ولها ، وإن عطش أرويته وأذقه طعم ذكرى ، فإذا
فعل ذلك به يادادو عبت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحبها إليه لا يفر عن الاشتغال بـ .
يستجلى القدم وأنا أكره أن أمته لأنه موضع نظري من بين خلقى لا يرى غيرى ولا أرى
غيره فلو رأيته يادادو وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه واغلق قلبه إذا سمع
بذكرى أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزداد خوفاً وعبادة ، وعزتي وجلالي يادادو لأقصدته في
الفردوس ولأغفين صدره من النظر إلى حقى أرضى وفوق الرضا . وأوفى أخبار داود أيضاً : قل
لبادى للتوجهين إلى محبي ماضركم إذا احتجبت عن خلقى ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم
حتى تنظروا إلى بيوت قلوبكم وما ضركم مازوت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديني لكم وما
ضركم مسخطة الخلق إذا التمس رضائي . وفي أخبار داود أيضاً : إن الله تعالى أوحى إليه نزع
أناك نخي ، فإن كنت تخفى فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبى وحبا لا يجتمعان في قلب .
يادادو خالص حبيي خالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك قهدينه ولا تقهدينك الرجال ، أما
ما استبان لك مما وافق محبي فتمسك به ، وأما ما أشكل عليك قهدينه فما على أن أسارع إلى
سيامتك وتويعك وأكن قائداً ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأمينك على الشدائد
وإنى قد حلفت على نفسي أنى لا أنيب إلا عبداً قد عرفت من طلبته وإرادته إلقاء كفه بين
يدي وأنه لا غنى به عني ، فإذا كنت كذلك نزع القلب والوحشة عنك وأسكن التنى قلبك
فإنى قد حلفت على نفسي أنه لا يطعن عبد لي إلى نفسه ينظر إلى فاضله إلا وكلته إليها أضف
الأشياء إلى لا تضاد عملك فتكون متنياً ولا يتنفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفى حداً فليس
لها غاية ، ومضى طلبت منى الزيادة أعطك ولا تجد للوادة منى حداً ، ثم أعلم بى إسرائيل أنه
ليس بيني وبين أحد من خلقى نسب فلتعظم رغبتي وإرادتهم عندي أجمع لهم ما لا عين رأت ولا
أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعى بين عينيك وانظر إلى يصر قلبك ولا تنظر بينك
الى في رأسك إلى الدين حببت عقولهم عنى فأمرجوها وسخت باهطاع نوابي عنها فأنى حلفت
ببزي وجلالى لا أتخ نوابي لبد دخل في طاعتي لتجربة والتسوف تواضع لمن طمعه ولا تطاول
على الريدين ، فلو علم أهل محبي منزلة الريدين عندي لكانوا لهم أرضا يحشون عليها . يادادو
لأن تخرج مريداً من سكرة هو فيها تستقته فأكتبه عندي جهيدا ، ومن كتبه عندي
جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة إلى الخلقين . يادادو : تمسك بكلامي وخذ من تمسك
لنفسك لا تؤثبن منها فأحجب عنك محبي لا تؤثس عبادى من رحمتي أقطع شهوتك لى قائما
أعنت الشهوات لضعفة خلقى ما بال الأنوياء أن ينالوا الشهوات قائما تنفس حلاوة مناجاتى ،
وإنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل اليهم أن أحجب عقولهم عنى فأنى
لم أرض الدنيا لحيي وزهته عنها . يادادو : لا تجعل بيني وبينك عالماً يصحبك بسكره عن
محبي . أولئك قطع الطريق على عبادى الريدين استعن على ترك الشهوات يؤمان الصوم ،
وإنك والتجربة في الإفطار فإن محبي للصوم إمناه . يادادو تحب إلى بمداوة نفسك باسمها الشهوات
انظر إليك وترى المحب بيني وبينك مرفوعة إنما أدراك مداراة لقوى على نوابي إذا مننت
عليك به نوابي أحبه عنك وأنت متمسك بطاعتي . وأوحى الله تعالى إلى داود يادادو لمع للريدين عنى
كيف انتظاري لهم ورفقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لما نوا عوقا لى وهطمت وأمسأهم من محبي

ونفى الخواطر ، فاذن
حقيقة الصبر كاللذة .
في التوبة حكينة
للمراقبة في التوبة
والصبر من أعز
مقامات اللوتين وهو
داخل في حقيقة
التوبة . قال بسن
السلام : أى شيء
أفضل من الصبر
وقد ذكره الله تعالى
في كلامه في نيف
وتسعين موضعا وما
ذكر شيئا بهذا العدد
وهذه التوبة تحتوي
على مقام الصبر مع
شرفه . ومن الصبر
الصبر على النعمة ،
وهو أن لا يصرها
في مصيبة الله تعالى
وهذا أيضا داخل
في مصبة التوبة

ياداو هذه إرادتي في اللذين عني فكيف إرادتي في القليلين عليّ ياداو أخرج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عني وأرحم ما يكون ببدي إذا أدبر عني وأجل ما يكون عندي إذا رجع إليّ ، فهذه الأخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة والشوق والأنس ، وإنما تحقيق معناها يشكف بما سبق .

(بيان حبة الله للعبد ومعناها)

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك . ولقد قدم الشواهد على محبته ، فقد قال الله تعالى - يحبه ويحبه - وقال تعالى - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا - وقال تعالى - إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين - ولذلك رد سبحانه على من ادعى أنه حبيب الله فقال - قل فلم يذبكم بذنوبكم - وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أحب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا - إن الله يحب التوابين - (١) » ومعناه أنه إذا أحببه تعالى لم يضره الذنوب لكونه تائبا عنه ، وإن كثرت كالأضراس الكفر لماضي بعد الإسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب » (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحببه الله » (٣) وقال عليه السلام « قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » (٤) الحديث . وقال زيد بن أسلم : إن الله يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول : اعمل ما شئت فقد غفرت لك ، وما ورد من أنظار المحبة خارج عن المحصر ، وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست مجاز ، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء للوافق والشق عبارة عن الليل الناب للفرق ، وقد بينا أن الإحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا ، وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر ، فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا بل الأسامي كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غيره الله لم تنطلق عليهما معنى واحد أصلا حتى إن اسم الوجود الذي هو أعم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والمخلوق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود اللبوع ، وإنما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك القرس والشجر في اسم الجسم ، إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيما من غير استحقاق أحدهما لأن يكون فيه أصلا فليست الجسمية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا خلقه ، وهذا التابع في سائر الأسامي

(١) حديث أنس إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولله في مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث ابن مسعود تقدم في التوبة (٢) حديث إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب الحديث الحاكم . وصححه إسناده والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود (٣) حديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وجهه الله ومن أكثر من ذكر الله أحببه الله ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد حسن دون قوله ومن أكثر إلى آخره ورواه أبو يعلى وأحمد بهذه الزيادة وفيه ابن الحبة (٤) حديث قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم

وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ، وروى عن بعض الصحابة بلينا بالضراء فصرنا بولينا بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والنضب والصبر عن محبة الناس والصبر على الجحور والتواضع والبال داخل في الزهد وإن لم يكن داخلا في التوبة وكل ما فات من مقام التوبة من المقامات السنية والأحوال وجد في الزهد وهو ثالث الأربعة التي ذكرنا . وحقيقة الصبر تظهر من طمأنينة النفس وطمأنينتها من تركها وتركها بالتوبة

أظهر كالم والإرادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة إنما وضع هذه الأسماء أولاً للخلق فإن الخلق أسبق إلى القول والأفهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمجبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملأهم وهذا إنما يتصور في نفس ناقصة فانها ما يوافقها تستفيد بنية كالا فتتد بنية وهذا حال على الله تعالى فإن كل كمال وجمال وبهاء وجلال يمكن في حق الإلمية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبداً وأزلاً ولا يتصور تجرده ولا زواله فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غيره بل نظر إلى ذاته وأصله فقط وليس في الوجود إلا ذاته وأصله ، ولذلك قال الشيخ أبو سعيد البصري رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى - يحيم ويحويته - فقال بحق يحيم فانه ليس يحب إلا نفسه على معنى أنه الكل وأن ليس في الوجود غيره فمن لا يجب إلا نفسه وأصله نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو إذن لا يجب إلا نفسه ، وما ورد من الألفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكنه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأزل فحبه لمن أحبه أزلي مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية التي اقتضت تمكن هذا البدن من سلوك طرق هذا القرب وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب للقتضي له كما قال تعالى (ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه) فيكون تقربه بالنوافل سبباً لصفاته باطنه وارفع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ، ولا يفهم هذا إلا بتأمل وهو أن الملك قد يقرب عبده من نفسه وبأنه في كل وقت في حضور بباطنه ليل للملك إليه إما ليصره بقوته أو ليستريح مشاهدته أو ليستشيره في رأيه أو ليهيئ أسباب طعامه وشرابه فيقال إن الملك يحبه ويكون معناه ميله إليه لما فيه من المعنى اللائق للآلئ له وقد يقرب عبداً ولا يمتنع من الدخول عليه لا لانتفاع به ولا لاستئجاب به ولكن لكون البدن في نفسه موصوفاً من الأخلاق الرضوية والحاصل الحسنة بما يليق به أن يكون قريباً من حضرة الملك وأفرأ الحظ من قرينه مع أن الملك لا غرضه فيه أصلاً فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه وإذا اكتسب من الحاصل الحسنة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل وحبيب نفسه إلى الملك فحبه الله العبد إنما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول وإنما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى فهمك دخول تغير عليه عند تعبد القرب بالحب الحبيب هو القرب من الله تعالى والقرب من الله في البدن من صفات اليأس والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الأخلاق التي هي الأخلاق الإلمية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريباً بصفات قريباً قد تغير قريباً بظن بهذا أن القرب لما تعبد قد تغير وصف العبد والرب جميعاً بأمور قريباً بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى إذ لا تتغير عليه محال بل لا يزال في توت الكمال والجلال على ما كان عليه في أول الأزل ولا يتكشف هذا الابتال في القرب بين الأشخاص فإن الشخصين قد يتقاربان بغيرهما جميعاً وقد يكون أحدهما ثابتاً فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير أحدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات أيضاً كذلك فإن التليد يطلب القرب من درجة مثله في كمال العلم وجماله والأستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالتزول إلى درجة تليده والتليد متحرك مترق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم فلا يزال دائماً في التثير والترقى إلى أن يقرب من أستاذه والأستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى البدن في درجات القرب فكذلك صاراً كل صفة وأتم علماً وإحاطة بمقائق الأمور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقهر الشهوات وأظهر نزاهة عن

فالنفس إذا تركت
بالثوبة التصوح زالت
عنها الشراسة الطيبة
وقفة الصبر من وجود
الشراسة لنفس وإبائها
واستصانها والثوبة
التصوح تلين النفس
وتخرجها من طينتها
وشراساتها إلى اللين
لأن النفس بالمعاسية
والراقبة تصفو وتنطفئ
نيرانها للتساجدة
بتأدية المحوى وبلغ
بطمأنينها محل الرضا
وقامه وتطمئن في
عجاري الأقدار قال:
أبو عبد الله النابغة
له عباد يستحيون
من الصبر ويتفقون
مواضع أقدارهم بالرضا
تلقاء وكان همهم
عبد العزيز يقول

الذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله، ثم قد يقدر التلذذ على القرب من الأستاذ على مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى فإنه لا نهاية لكمال وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينهى إلا إلى حد محدود فلا مطمع له في المساواة ثم درجات القرب متفاوت تفاوتاً لا نهاية له أيضاً لأجل انتهاء النهاية عن ذلك الكمال فإذا نجا الله للعبد تشرية من نفسه بدفع الشواغل والمصاع عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه . وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فأقله هو فلا جرم يشاق إلى مقاماته وإذا أدرك منه شيئاً يلتذبه والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى . فإن قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فم يعرف العبد أنه حبيب لله ؟ فأقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحب إليه فبأنه يحب البائع ابتلاه قبل وما اقتناه ؟ قال لم يترك له أهلاً ولا مالاً (١)» فعلامته محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويجعل بينه وبين غيره . قيل ليس على السلام لم لا تشتري حماراً فتركه فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشتري عن نفسه حماراً ، وفي الخبر «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتبه فإن رضى استغفاه (٢)» وقال بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيتك يبتليك فاعلم أنه يريد يضافيك ، وقال بعض الزهاد أن أستاذك قد طوالت حتى من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فأترت عليه إياه قال لا قال فلانطمع في المحبة فإنه لا يسطيعها عبداً حتى يلوه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه وأمره ونهاه (٣)» وقد قال «إذا أراد الله بعبده خيراً أبصره بسبب نفسه (٤)» فأخبر بعلامته حبه لله فإن ذلك يدل على حب الله . وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهه فيكون هو اللطيف عليه وللدبر لأمره وللزمن لأخلاقه وللستعمل لجوارحه وللشد لظواهره وباطنه والجاعل همومه ما واحداً والبغض للدنيا في قلبه وللوحش له من غيره وللؤنس له بركة للتجاذب في خلواته والكشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا أو أمثاله هو علامة حب الله للعبد ، فلنذكر الآن علامة محبة العبد لله فإنها أيضاً علامات حب الله للعبد .

(القول في علامات محبة العبد لله تعالى)

اعلم أن المحبة يدعيها كل واحد ومأسل الدعوى وما أعز للفتى فلا ينبغي أن يتر الانسان بتلبس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وعمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار القاطنة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة النمار على الأفعار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف وللشاهدة في دار السلام فلا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا بعد مشاهدته وقائه وإذ اعلم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقة ما لم يورث فيخفى أن يكون محباً لموت غير فار منه فإن الحب لا يتقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقر محبوبه

- (١) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي حنيفة الخولاني وقد تقدم
- (٢) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتبه الحديث ذكره صاحب الترمذي من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرجوه وهم في سنده (٣) حديث إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الترمذي من حديث أبي سلمة بإسناد حسن يلفظ إذا أراد الله بعبده خيراً (٤) حديث إذا أراد الله بعبده خيراً أبصره بسبب نفسه أبو منصور الديلمي في مسند الترمذي من حديث أبي سلمة بإسناد حسن يلفظ إذا أراد الله بعبده خيراً

أصبحت ومالي سرور
إلا ما وقع القضاء . قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ين عباس
حين وصاه «اعمل لله
باليقين في الرضا فإن لم
يكن فإن في الصبر
خيراً كثيراً» وفي الخبر
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم «من خير
ما أعطى الرجل الرضا
بما قسم الله تعالى له»
فالأخيار والآثار
والحكايات في قضية
الرضا وشره أكثر
من أن تحصى والرضا
ثمرة التوبة النصوح
وما تخلف عبد عن
الرضا إلا يتخلفه عن
التوبة النصوح فإذا
تجمع التوبة النصوح
حاله الصبر ومقام الصبر
وحال الرضا ومقام

ليقيم عيش هذه ولتفتح القاء وباب الدخول إلى الشهادة . قال صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه »^(١) وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفزع من دم . وقال بعض السلف : مامن خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد مدح لقاء الله من كثرة السجود قد قدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب القتل في سيل . الله حيث قالوا إنما نحب الله فجعل القتل في سيل الله وطلب الشهادة علامته فقال - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا - وقال عز وجل - يقاتلون في سيل الله فيقتلون ويقتلون - وفي وصية أبي بكر لمريض الله تعالى عنها : الحق هيل وهو مع هله مريء . والباطل خفيف وهو مع خفتي وديان حفظت وصيقي لم يكن غائب أحب إليك من الموت وهو مدرئك وإن ضيقت وصيقي لم يكن غائب أحب إليك من الموت ولن تجزءه ، ويروى عن اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله غلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يارب إني أقسمت عليك إذا لقيت العدو غدا فقتل رجلا هديدا بأهله هديدا حرره أقاته فيك ويقاتلني ثم بأخذني فيجذب أنفي وأذني ويتر بطني فاذا القيتك غدا قلت يا عبد الله من جدد أهلك وأذنتك فأقول فيك يارب وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر التبار وإن أهواؤه لم تلتان في خيط^(٢) قال سعيد بن المسيب أزجو أن يرا الله آخر قسمه كما أرى أوله ، وقد كان الثوري يهين الحنفي فغلاولان لا يكره الموت إلا مريب لأن الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه . وقال أبو يعقوب بعض الرهاد أحب الموت فسكانه توقف فقال لو كنت صادقا لأحببته وتلا قوله تعالى - تمتموا الموت إن كنتم صادقين - فقال الرجل قد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يمتنن أحدكم الموت »^(٣) قال إجماله لضر نزل به لأن الرضا يقضاه الله تعالى أفضل من طلب القيروا منه . فان قلت من لا يحب الموت فهل يتصور أن يكون محبا لله ؟ فأقول كراهة الموت قد تكون لحب الله والتأسف على فراق الأهل والنكاح والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لأن الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الأهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة فإن الناس متفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روى أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاه طابته قريش في ذلك وقالوا أنكمت عتبة من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد أنكمته إياها وإنى لأعلم أنه خير منها فكان قوله ذلك أحد عليهم من فضله فقالوا كيف هو أخذك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فينظر إلى سالم »^(٤) فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيجب ويحب أيضا غيره فلا جرم يكون نعيمه

(١) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة (٢) حديث اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله غلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يارب إني أقسمت عليك إذا لقيت العدو غدا فقتل رجلا هديدا بأهله هديدا حرره أقاته فيك ويقاتلني ثم بأخذني فيجذب أنفي وأذني والحديث الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية واستاده جيد (٣) حديث لا يمتنن أحدكم الموت لضر نزل به الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تضمن (٤) حديث أبي حذيفة بن عتبة أنه لما زوج أخته فاطمة من سالم . واه طابته قريش في ذلك وفيه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فينظر إلى سالم » ثم أره من حديث حذيفة وروى أبو نعيم في الحلية إلى الفروع منه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قلبه وفي رواية له إن سالما هديدا لطلب الله عز وجل لم يغف الله عز وجل ما عصاه وفيه عبد الله بن أبي ربيعة

الرضا والخوف والرجاء
مقامان فيريهان من
مقامات أهل اليقين
وجما كائنات في صلب
التوبة النصح لأن
خوفه حمله على التوبة
ولولا خوفه ما قاب
ولولا رجاءه ما خاب
فالرجاء والخوف
يتلازمان في قلب المؤمن
ويستدل الحوف
والرجاء للتأنيب المستمر
في التوبة . دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم
على رجل وهو في
سيات الموت فقال
« كيف تجدني قال
أجدني أخاف ذنوب
وأرجو رحمتك فقال
ما اجتماع في قلب عبد
في هذا الوطن إلا أعطاه
الله ما رجا وأبنته به

بإلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها .
وأما السبب الثاني للكرهية : فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وإنما يكره
محلته قبل أن يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالحب الذي وصله الحبيب يقدم
حبيه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليبيد له داره ويعد له أسبابه فيلقاه كما بهوله فأمر القلب
عن الشواغل خفيف الظاهر عن العوائق فالكرهية بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلاً وعلايته
الدموي في العمل واستغراق القلب في الاستعداد - ومنها أن يكون مؤثراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه
في ظاهره وباطنه فيعلم بمشاق العمل ويحتمل اتباع الهوى ويعرض عن دعة السكسل ولا يزال
مواظباً على طاعة الله ومتيقظاً إليه بالخواص وطالما عنده مزاجاً الدرجات كما يطلب الحب مزيداً القرب
في قلب محبوه وقد وصف الله المحبين بالإتيار فقال - يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم
ساجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - ومن بقي مستترا على متابعة الهوى
لمحبوه ما بهواه بل يترك الحب هوى نفسه لهوى محبوه كما قيل :

أريد وصاه ويريد هجري فأترك ما أريد لمسا يريد

بل الحب إذا غلب فتح الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روى أن زليخا لما آمنت وتزوج بها
يوسف عليه السلام انضردت عنه وتخلت للعبادة واتقسطت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى فرائضه
تهاراً فتدافعه إلى الليل فإذا دعاها ليلا سوفت به إلى النهار وذلت يابوسف إنما كنت أحبك قبل
أن أعرفه فأما إذ عرفته فما أجت عبتة لسواه وما أريد به بدلا حق قال لما إن الله جل
ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاءهما نبيين فقالت أما إذا كان الله تعالى
أمرك بذلك وجعلني طريقاً إليه فطاعة لأمر الله تعالى فتعدها سكنت إليه ؟ فأذن من أحب الله
لا يصيبه وذلك قال ابن البار الله :

— تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في الأعمال بديع
ألو كان حبك صادقا لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل أيضا :

وأترك ما أهوى لما قد هويته فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي

وقال سهل رحمه الله تعالى علامة الحب إشارته على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل
صار حبيبا وإنما الحبيب من اجتنب للنهي وهو كما قال لأن محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال
تعالى - يحبه ويحبه - وإذا أحبه الله تولاه ونصره على أعدائه وإنما عدوه نفسه وشهوته فلا
يغلبه الله ولا يملكه إلى هواه وشهوته ولذلك قال تعالى - والله أعلم بأعدائكم وكفى لله وليا وكفى
بالله نصيرا - فان قلت فالصيان هل يضاد أصل المحبة فأقول : إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فكيف
من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بأنه يضره وذلك لا يدل على
عدم حبه لنفسه ولكن العفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيمجن عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روى
« أن نعيان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيجده في مصيبة يرتكبها إلى أن
أتى به يوما فغده قلته رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قلته صلى الله عليه
وسلم لا تلمنه فإنه يحب الله رسوله (١) » فلم يخرج به بالمصيبة عن المحبة، نعم فخرجه بالمصيبة عن كمال الحب

(١) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال ما أكثر ما يؤتى به فقال لا تلمنه فإنه يحب الله
ورسوله البخاري وقد تقدم .

مخافه وجاع في تفسير
قوله تعالى مولانا تلقوا
بأيديكم إلى التمسك
هو التمسك بالدين
الكهانة ثم يقول قد
هلكت لا ينبغي عمل
فالتائب يخاف كتاب
ورجال الغفوة ولا يكون
التائب تابيا إلا وهو راجع
خائف ثم إن التائب
حيث قيد الجوارح عن
للكره واستعان بنعم
الله على طاعة الله فقد
شكر النعم لأن كل
جارية من الجوارح
نعمة وشكرها فيها
عن النصية واستعمالها
في الطاعة وأى شاكر
لنعمته أكبر من التائب
— المستقيم فإذا جمع مقام
الطوبة هذه اللقائات
كلها فقد جمع مقام

وقد قال بعض العارفين إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حيا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك الماهي وبطلت في دعوى الهبة خطر ولذلك قال الفضيل إذا قبل لك أنحب الله تعالى فاسكت فانك إن قلت لا ، كفرت وإن قلت نعم ، فليس وصفك وصف المحبين فأحذر للقت . ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والهبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والهبة ولم يتحقق بشيء من ذلك . ومنها أن يكون مستهترا يذكر الله تعالى لا يغتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن أحب شيئا أكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتقرب به فعلامه حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل من ينسب إليه فان من يحب إنسانا يحب قلبه محله فالحاجة إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف بالمحسوب ويحيط به ويتعلق بأسيابه وذلك ليس شركا في الحب فان من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله وكلامه لأنه كلامه فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله السالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الأخوة والصحة ولذلك قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أحبوا الله لما يندوكم به من نعمة وأحبوا لله تعالى» وقال الحسين من أحب من يحب الله تعالى فإني أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإني أكرم الله تعالى . وحكي عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلالة للتجارة في سن الارادة فأدمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتي فترة فاطمعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام إن كنت تزعم أنك تحبني فلم جفوت كتابي أما تدبرت ما فيه من لطيف عتاي قال فالتبنت وقد أشرب في قلبي حبة القرآن فاصدقت إلى حالي . وقال ابن مسعود لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله . وقال سليمان رحمه الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا الزاد وبلغة إلى الآخرة . ومنها أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاة لله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد وينتظم هذه الليل وصفاة الوقت باقظاع العوائق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتتم بمناجاة فمن كان النوم والاشتغال بالحديث أقل عنه وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبة قيل لأبراهيم بن آدم وقد نزل من الجبل من أين أقبلت فقال من الأنس بالله وفي أخبار داود عليه السلام لا تستأنس إلى أحد من خلقي فإني إنما أقطع عن رجلين رجلا استبطأ ثواني فاقطع ورجلا نسيي فرضى بحاله وعلامة ذلك أن أكله إلى شمه وأن أدعه في الدنيا حيران ومهما أنس بفقر الله كان بقدر أنسه بفقر الله مستوحشا من الله تعالى ساقطا عن درجة محبة وفي قصة برخ وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام إن برخا نعم العبد هو لي إلا أن فيه عيالا فأرب وماعيه قال يصحبه نسيم الأسحار فيسكن إليه ومن أجنبي لم يسكن إلى شيء . وروى أن عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهر طويلا فنظر إلى طائر وقد عشق في شجرة يأوي إليها ويصغر عندها فقال لو حولت مسجدي إلى تلك الشجرة فكنت آس بسوت هذا الطائر

(١) حديث أحبوا الله لما يندوكم به من نعمة الحديث تنضم .

التوبة بحال الزجر
وحال الانتباه وحال
التيقظ ومخافة النفس
والتقوى والمجاهدة
ورؤية عيوب الأفعال
والانابة والصبر والرضا
والمحاسبة والمراقبة
والرعاية والشكر
والخوف والرجاء وإذا
صحت التوبة التصحيح
وتركت النفس أجهت
حرارة القلب وبان قبس
الدنيا فيها فيحصل
الزهد والزهد تحقيق
فيه التوكل لأنه لا يذهب
في الوجود إلا لاعتاده
على الوجود والسكون
إلى وعد الله تعالى هو
عين التوكل وكما بقي
على العبد بيقية في تحقق
للقامات كلها بسد
توبته يستدركه

قال ففضل فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان قل لعلن العابد استأنست بمخاطبة لأحطكت درجة لا تالمها شيء من عملك أبدا ، فاذن علامة المحبة كمال الأنس بتناجاة المحبوب وكمال التمس بالخلوة به وكمال الاستغفار من كل ما ينقص عليه الخلوة ويوقى عن فتنه للتناجاة وعلامة الأنس مصير القلب والهم كله مستغرقا بقلعة للتناجاة كالذي مخاطب بمشوقه ويتناجيه وقد انتهت هذه القلعة يعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب حلة أصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والأنس صارت الخلوة والتناجاة قرعة عنه يدفع بها جميع الهموم بل يستغرق الأنس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا بما لم يتكرر على همه مرارا مثل العاشق الوهمان فانه يكلم الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبه فالحب من لا يطمئن إلا بمحبوبه . وقال قتادة في قوله تعالى - الذين آمنوا ولطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب - قال هشت إليه واستأنست به . وقال الصديق رضي الله تعالى عنه من ذاق من خالص محبة الله شغفه ذلك من طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر . وقال مطرف بن أبي بكر الحب لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبي إذا جنة الليل نام حتى أنيس كل محب يحب لقاء حبيبه فما أناذا موجود لمن طمئن . وقال موسى عليه السلام: يارب أين أنت فأصعبك فقال إذا قصبت قد وصلت . وقال يحيى بن معاذ عن أحب الله أن يضي نفسه . وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس محب : يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق . ومنها أن لا يتأسف على ما فوته بما سوى الله عز وجل ولا يظلم نفسه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته . فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستغفار والاستعتاب والتوبة . قال بعض العارفين إن لله عبادا أجوه وأطمانوا إليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحط أنفسهم إذ كان ملك ملكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل إليهم ومافاتهم فيحسن تدبيرهم . وحق الحب إذا رجع من غفلة في لحظة أن يقبل على محبوبه ويشغل بالفتاب ويسأله ويقول رب بأي ذنب قطعت بك عني وأبعدني عن حضرك وشغلتني بنفسى وبمناجاة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة وتكون هفوته مينا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير الحب إلا المحبوب ولم ير شيئا إلا الله لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم أن المحبوب لم يقدر له إلا ما فيه خيرته ويذكر قوله - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - ومنها أن يتم بالطاعة ولا يستغفها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تمتت به عشرين سنة . وقال الحسين علامة الحب دولم النشاط والبدون بسهوة يفتقر بدنه ولا يفتقر قلبه . وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله القصور . وقال بعض العلماء والله ما اشتغى محب لله من طاعته ولو خلع عظيم الوسائل فكل هذا أمثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستكمل الصنى في هوى مشوقه ويستكمل خدمته بقلبه وإن كان شاقا على بدنه ومنها عجز بدنه كان أحب الأشياء إليه أن تماوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشتغل به فكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا فخر لاجلها ما هو دونه لمن كان محبوه أحب إليه من الكسل ترك الكسل في خدمته وإن كان أحب إليه من اللذات ترك اللذات في حبه ، وقبل بعض الصالحين وقد كان يملك نفسه وماله حتى لم يبق له شيء ما كان سبب خالقه فلهذا في المحبة يقال سمعت يوما غيبا وقد خلا عيونه وهو يقول أنا والله أحبك قلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فاقبني تنفق على قال يا سيدي أملكك ما أملك

زهد في الدنيا وهو ثالث الأربعة ، أخبرنا شيخنا قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسين بن علي الجوهري إجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس قال أنا أبو محمد يحيى بن سلمة قال حدثنا الحسين بن الحسن البرزوي قال حدثنا عيسى بن محمد بن سليمان عن عبد الله بن بريدة قال « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فبدأ بطاعة رضى الله عنها فراحا فحدثت في البيت سرا وزواجد في يد يمينها . قلنا رأى

ثم اتفق عليك روعي حتى تهلك فقات هذا خلق لحاق وعبد لمبد فكيف يبعد لمبود فكل هذا بسببه . ومنها أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله رحباً بهم شديداً على جميع أعداء الدواعي كل من يقارف شيئاً مما يكرهه كما قال الله تعالى - أعداء على الكفار رحماء بينهم - ولا تأخذهم لولم ولا يصرفه عن النضب لله صارف وبه وصف الله أوليائه إذ قال الذين يكفون عني كما يكلف الصبي بالشيء ويأوون إلى ذكرى كما يأوي النسر إلى وكرة وينضون لحارمه كما ينضب النمر إذا حرقه فإنه لا ياله في قتل الناس أو كثر أو قل فأنظر إلى هذا المثال فإن الصبي إذا كلف بالشيء لم يفارقه أصلاً وإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فإن قام أخذه معه في ثيابه فإذا اتعبه عاد وتمسك به ومهما فارقته بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه أفضه ومن أعطاه أحبه وأما النمر فإنه لا يملك نفسه عند النضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه فهذه علامات الهبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت حجة به وخلس حبه فصفاً في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه غير الله تمت في الآخرة بقدر حبه إذ يمزج شرابه بقدر من شراب اللقرين كما قال تعالى في الأبرار - إن الأبرار لفي نعيم - ثم قال - يسمون من رحي يسمون ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجهم من تسليم عينا يشرب بها اللقربون - فإذا طالب شراب الأبرار لشوب الشراب الصريف الذي هو للفقيرين والشراب صبارة عن جملة نعيم الجنان كما أن الكتاب عبر به عن جميع الأعمال فقال - إن كتاب الأبرار لفي عشرين - ثم قال - يشبهه اللقربون - فكان أمانة علو كتابهم أنه ارتفع إلى حيث يشبهه اللقربون وكان الأبرار يحدون للزبد في حلهم ومقرتهم بقرهم من اللقرين ومشاهدتهم لهم كذلك يكون حلهم في الآخرة - ما خلتكم ولا يشكم إلا كنفس واحدة - كما بدأنا أول خلق نعيده - وكأنا تعالى - جزاء وفالاق - أي وافي الجزاء أعمالهم قوول الحاصل بالصرف من الشراب وقوول للشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله - فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - وإن الله لا يخبر ما يقوم حتى يخبروا ما بأشهرهم - وإن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها - وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسين - فمن كان حجة في الدنيا رجاءه نعيم الجنة والحدور البين والقصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فليص مع الوعدان ويتمتع بالسوان فهناك تنتهي لذته في الآخر لأنه إنما يطعم كل إنسان في الهبة ما تشبهه نفسه وتلك عينه ومن كان مقصده رب الدار ومالك للملك ولم يخلب عليه إلا حبه بالخالص والصدق أنزل في مقصد صدق عند ملك مقتدره - فالأبرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحدور البين والولدان واللقربون ملازمون الحضرة حاكفون بطرفهم عليها يستقرون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها تقوم بقضاء شهوة البطن والرجح مشغولون والجمالة أقوام آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة البله وعليون لدوى الأبواب (١) » ولما نصرت الأنعام من ذلك معنى علي بن عظم أمره فقال - وما أدراك ما عليون - كما قال تعالى - القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة - ومنها أن يكون في حبه خالفاً متضالاً تحت الهبة والتعظيم وقد يظن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل إدراك العظمة يوجب الهبة كما أن إدراك الجمال يوجب الحب والخصوص المحيين خافوا في مقام الهبة ليست تفرم وبمن خافهم أعظم من يمن فأولها خوف الإعراض وأهد منه خوف الحجاب وأهد منه خوف الإبعاد وهذا للهي في عبودية هو الذي هييب سيد

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله وعليون لدوى الأبواب البزائم حديث أنس بن مالك بن مسعود مقتصر على الشطر الأول وقد ختم والشرط الثاني من كلام أحمد بن أبي الحواري ولله أدرج فيه .

ذلك رجوع ولم يدخل
ثم جلس لجلس ينسك
في الأرض ويقول
مالى ولدينا مالى
ولدينا فرأت فاطمة
أنه إنما رجع من أجل
ذلك البتر فأخذت
المسك والورائد
وأرسلت بهما مع بلال
وقالت له اذهب إلى
النبي صلى الله عليه وسلم
قل له قد تصدقت به
فضمه حيث شئت فأتني
بلال إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال قالت
فاطمة قد تصدقت به
فضمه حيث شئت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم
بأي وأمي قد فعلت
بأي وأمي قد فعلت
أذهب فيه « وقيل
في قوله تعالى - إنا
جعلنا ما على الأرض
زينة لها لنبلوهم إياهم

الحسين (١) إذ سمع قوله تعالى - ألا بعدا لنفوس - ألا بعدا لمدين كما بعدت نفوس - وإنما عظم هبة الله به - وخوفه في قلب من ألف القرب وذاته وتم به خديت البعد حتى للبعدين شيب سماعه أهل القرب في القرب ولا يمن إلى القرب من ألف البعد ولا ينك خوف البعد من لم يكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب اللزيم فانا قدمن أن درجات القرب لنهاية لها وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله ﷺ « من استوى يومه فهو مضبوع ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون (٢) » وكذلك قال عليه السلام « إنه ليغان على قلبي في اليوم واليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة (٣) » وإنما كان استغفاره من القدم الأول فانه كان بعدا بالاضافة إلى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على التنور في الطريق والافات إلى غير المحبوب كما روى أن الله تعالى يقول إن أدنى ما صنع بالعلم إذا أثر شهوات الدنيا على طاعتي أن أسلبه قنيد مناجاتي فسلم للزبد بسبب الشهوات عقوبة للمعوم فأما الخصوص فيجبهم عن اللزيم مجرد الدعوى والعجب والركون إلى مظهر من مبادئ اللطف وذلك هو السكر الحقي الذي لا يقدر على الاحتراز منه إلا ذو الأندام الراسخة ثم خوف فوت مالا يدرك بعد فوته . **جمع إبراهيم بك آدم** قال يقول وهو في سياحته وكان على جبل :

كل شيء منك متفوق وسوى الإعراض هنا
قد وهبنا لك مافات فهب مافات منا

فانضطرب وغشى عليه فلم يبق يوما وليلة وطرات عليه أحوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا إبراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلوة فان الحب يلازمه الشوق والطلب الحديث فلا يفر عن طلب اللزيم ولا يتسلى إلا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجسته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان هذه التفتات لها أسباب خفية محايوة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فإذا أراد الله للسكر به واستدرجه أخفى عنه ماورد عليه من السلو يقف مع الرجاء وفتر بحسن النظر أو بقلبة التفلة أو الهوى أو النسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود اللاتسكة من العلم والعقل والبيان وكان من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضى هيجان الحب وهي أو صاف اللطف والرحمة والحكمة فمن أوصافه ما يوحى فيورث السلو كأوصاف الجبرية والمنة والاستغناء وذلك من مقدمات السكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حب غيره وذلك هو التفت والسو عنه مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبرواقضه عن دوامه . كروملاله لو طائف الأوراد أسباب هذه التفتات ومقدماتها وظهور هذه الأسباب دليل على النقل من مقام الحب إلى مقام التفت فلوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الأمور وعدة الحذر منها بصفاء للراقة دليل صدق الحب فان من أحب شيئا خاف لاهلاكه فانه لا يخلو الحب عن خوف إذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض المادفين من عبد الله تعالى يحض الحبة من غير خوف هلك باليسر والإدلال ومن عبده من طريق الخوف من غير عجة قطع عنه بالبعد والاستعاضة ومن عبده من طريق الحب والخوف أجه الله تعالى فخر به ومكنه وعله فالحب لا يخلو عن خوف والحناف لا يخلو عن محبة ولكن التي غلبت عليه المحبة

(١) حديث شيبني هو أخرجه الترمذي وقد تقدم غير مرة (٢) حديث من استوى يومه فهو مضبوع ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون لا أعلم هذا إلا في منام لميد العزيزين أي في رواة قالوا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم قتلت يارسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة في آخره رواه البيهقي في الزهد (٣) حديث إنه ليغان على قلبي متفق عليه من حديث الأضر وقد تقدم .

أحسن غملا - قيل
الزهد في الدنيا مثل
أمير المؤمنين على بن
أبي طالب رضي الله
عنه عن الزهد قال
هو أن لا يبالى بمن
أكل الدنيا مؤمن أو
كافر . وسئل الشبل
عن الزهد قال ويلكم
أي مقسدار فلتاح
بعوضة أن يزد فيها .
وقال أبو بكر الواسطي
إلى متى تصول بترك
كنيف وإلى متى تصول
بإعراضك عما لا وزن
تد الله جناح بعوضة .
إذا صح زهد العبد
صح تركه أيضا لأن
صدق تركه مكنه من
زهده في الوجود فمن
استقام في التوبة
وزهد في الدنيا وحق

حق السمع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو في مقام المحبة وبعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فغلب الحب واستولت للرفة لم تثبت قلبك طاقة البشر فاعلم الخوف يبدله ويخفف وقته على القلب فقد روى في بعض الأخبار أن بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته فعمل ذلك فهام في الجبال وحار عقله وولاه قلبه وبقي شاحسا سبعة أيام لا يفتنع بشئ ولا يفتنع به شئ فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يا رب انتصه من القدرة بضحا فأوحى الله تعالى إليه إنما أعطيتاه جزءا من مائة ألف جزء من المعروف ذلك أن مائة ألف عبد سألوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سألتني هذا فأخرت إجابته إلى أن شفعت أنت لهذا فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانه يا أحكم الحاكمين انتصه مما أعطيتاه فأذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وجهه ورجاؤه وسكن وصار كسائر المارفين ، وقد قيل في وصف حال المارفي :

قرب الوجد ذو مرمى بعيد عن الأحرار منهم والبيد
غريب الوصف ذو علم غريب كان فؤاده زبر الحديد
قد عزت معانيه وجلت عن الأبصار إلا للشريد
يرى الأعياد في الأوقات تجرى في كل يوم ألف عيسد
وللأحباب أفرح يسعد ولا يجد السرور في يسيد

وقد كان الجليلي رحمه الله ينشد آياتا يشير بها إلى أسرار أحوال المارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره وهي هذه الآيات :

سرت بأناش في التيوب قلوبهم لحلوا بقرب للجاد التفضل
عراصا بقرب الله في ظل قدسه تجسول بها أرواحهم وتقل
موارد مقيما على الز والتهى ومصدرم ضالما هو أكل
تروح جز مفرد من صفاته وفي حل التوحيد تمشي وترقل
ومن جد هذا مائدق صفاته وما كتمه أولى لديه وأصدل
سأكنم من علمي به ما يصونه وأبذل منه ما أرى الحق يبدل
وأعطي عباده الله منه حقوقهم وأمنع منه ما أرى للنع بفضل
على أن للرحمن سرا يصونه إلى أهله في السرا والصون أجل

وأمثال هذه المارفي التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهر هادن أن يكشف له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها خربت الدنيا فالحكمة تقتضي محول الثقة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما خربت الدنيا ثم هدم فيها وظلت الأسواق والماضي بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ولوقت الألسنة والأقدام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن الله تعالى فيها هو شر في الظاهر أسرار وحكم كما أن له في الخير أسرار وحكما ولا منهى لحكته كالإجابة قدرته . ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتواضع من إظهار الوجد والمحبة تمظيا للمحجوب وإجلالا له وهدية منه وغيرة على سره فإن الحب سر من أسرار الحبيب ولا ينبغي تدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المني ويؤيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتظم العقوبة عليه في المقبي وتحصيل عليه البولي في الدنيا ، نعم قد يكون للحبيب سكرة في جبهته يدهش فيه ويضطرب أحواله

هذين اللامين استوفى
سائر اللقائات وتكون
فيها وتحقق بها وترتيب
التوبة مع الرقابة
وارتباط إحداها
بالأخرى أن يتوب
البعد ثم يستقيم في
التوبة حتى لا يكتب
عليه صاحب النكال
شيئا ثم يرتقي من
تطهير الجوارح عن
للماضي إلى تطهير
الجوارح عما لا يفي
فلا يسمع بكلمة فضول
ولا حركة فضول ثم
ينتقل للحماية والحماية
من الظاهر إلى
الباطن وتستولي
للراقبة على الباطن
وهو التحقق بسل
القيام بجميع خواطر
النسبة عن باطنه

فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تحمل أو اكتساب فهو معذور لأنه مقهور وربما تشتمل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يغضب القلب به فلا يدفع فيضانه فالتقدير على الكتاب يقول:
 وقالوا قريب قلت ماأنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجرى
 فإلى منه غير ذكرك بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدرى
 والمجاز عنه يقول :

يخنى فيسدى السمع أسرارہ و يظهر الوجد عليه النفس

ويقول أيضا :

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم
 وقد قال بعض العارفين أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم إشارة به كأنه أراد من يكتر التعريض به
 في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محموت عند المحبين والصلاء بالله عز وجل
 أدخل ذو النون المصري على بعض إخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلى بلاء فقال لايحبه من وجد
 ألم ضره فقال الرجل لكفى أقول لايحبه من لم يتم بضره فقال ذو النون ولكننى أقول لايحبه من شبر
 نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله وأتوب إليه فان قلت المحبة منتهى القلمات وإظهارها إظهار الخير
 فلماذا يستنكر .. فاعلم أن المحبة محمودة وظهورها محمود أيضا وإنما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها
 من الدعوى والاستكبار وحق الحب أن يتم حبه الخفى أفعاله وأحواله دون أفعاله وأفعاله وينبغى
 أن يظهر حبه من غير قصد منه إلى إظهار الحب ولا إلى إظهار الفضل الدال على الحب بل ينبغى أن يكون
 قصد الحب اطلاع الحبيب فقط فأما إرادته اطلاع غيره فشر في الحب وقادح فيه كما ورد في الأصيل
 إذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم فعالك ما صنعت عينك فالتى ترى الخفيات يحرك بك علانية وإذا صنعت
 فأغسل وجهك وادهن رأسك ثلاثين بذلك غير ريك فإظهار القول والفعل كله مذموم إلا إذا غلب
 سكر الحب فاطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلام فيه صاحبه . حتى أن رجلا رأى من بعض
 المجانين ما استعجبه فيه فأخبر بذلك معروفا السري رحمه الله فسمه ثم قال يا أخى له عيون صغار
 وكبار وعقلاء وجانين فهذا الذى رأيته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحلب بسبب أن المحب إن كان
 عارفا وعرف أحوال اللائكة في جهنم الدائم وغرقهم اللازم الذى يسبحون الليل والنهار لا يشقون
 ولا يصون الله ما أمرهم ويملون ما يؤمرون لا تسكتف من نفسه ومن إظهار حبه وعلم قطعا أنه
 من أخس المحبين في ملكه وأن حبه أخص من حب كل حبه لله قال بعض الكاشفين من المحبين
 صيدت الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل الجهد واستغراق الطاقة حتى ظننت
 أننى عند الله شيئا فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة طويلة قال فى آخرها فبلغت صفا
 من اللائكة بعد جميع ما خلق الله من شيء قلت من أتم قالوا نحن المحبون لله عز وجل نبددهمنا
 منذ ثلاثة آلاف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواء ولا ذكرنا غيره قال فاستعيت من أعمالى فوهبتها
 لمن حق عليه الوعيد تخفيا عنه في جهنم فاذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحياته حق الحياة
 خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى ، نعم شهد على حبه حركاته وسكناته وإقدامه وإحباطه ومردفاته
 كما حكى عن الحبيب أنه قال مرض استأذنا السرى رحمه الله فلم نعرف له دواء ولا عرفنا لما سببا
 فوفى لنا طبيب حاذق فأخذنا دواءه فانه نظر إليها الطبيب وجعل ينظر إليه مليا ثم قال ليأناه
بول حاذق قال الجنيد فسقت وغشى على ووقت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السرى فأخبرته
 فتيسم ثم قال فأنه الله ما أبصره قلت يا أستاذ وبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السرى حجة

ثم خواطر القبول
 فإذا تمسكن من
 رغبة الخفارات عصم
 عن مخالطة الأركان
 والجوارح وتستقيم
 بوجهه قال الله تعالى
 ثبته صلى الله عليه
 وسلم . فاستقم كما
 أمرت ومن تاب
 معك . أمره الله
 تعالى بالاستقامة في
 التوبة أمرا له ولأبائه
 وأمه وقيل لا يكون
 البريد مريدا حتى
 لا يكتب عليه صاحب
 السهل شيئا يحسرن
 سنة ولا يلزم من
 هذا وجود العصمة
 ولكن الصادق النائب
 في النادر إذا أبلى
 بدينه بمعنى أن الدين
 بين يديه

لو شئت أقول ما ليس جدي على عظمي ولا سل جسدي إلا حبه ثم غفى عليه وتدل القشة على أنه
أنصح في غلبة الوجد ومقدمات القشة فهذه جماع علامات الحبيب وعراشه. ومنها الأئس والرضا كما
سيأتي. وبالجملة جميع عاصم الدين ومكاتب الأخلاق ثم الحبيب وما لا يشترط الحبيب فهو اتباع القوي وهو
من رذائل الأخلاق، ثم قد يجب الله لإحسانه إليه وقد يحبه لبلاده وجهه وإن لم يحسن إليه المحبون
لا يخرجون عن هذين التسميتين ولذلك قال الحبيب الناس في حبه الله تعالى ولم ينسب ظاهراً قالوا
ذلك بمعرفة في يوم إحسانهم وكثرة نصه لهم يتماثلوا كأن أرضوه إلا أنهم قتل بحبهم وتكثر
على قدر النعم والاحسان. فأما الخاصة قالوا المحبة ينظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد
بالملك ولما عرفوا صفاته الكاملة وأصنافه الحسن لم يحتسبوا أن أجوده إذ استحق خديم المحبة بذلك
لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم منهم من الناس من يحب هواه وعدوه الله إليهم وهو مع ذلك
يلبس على نفسه بحكم الضرور والجهل فيظن أنه يحب لله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه
العلامات أو يلبس بها حقاً ورياء وصحة وغرضه حاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف
ذلك كله السوء وقراء السوء أو تلك بضائه في أرضه وكان سبحك إذا تكلم مع إنسان قال
يادوست أي يا حبيب تعجب له قد لا يكون جيباً فكيف تقول هذا قال في أذن القائل سرا لا يخلو
إما أن يكون مؤمناً أو منافقاً فإن كان مؤمناً فهو حبيب الله عز وجل وإن كان منافقاً فهو حبيب
إليهم. وقد قال أبو تراب التعجب في علامات المحبة أياتاً:

لا تخدعن بالحبيب دلائل ولديه من تحف الحبيب ومائل

• منها تحفه عز جلالة وسؤره في كل ما هو طاعته

فالبح منه عطية مقبولة والفقير إسكرام وز عاجل

ومن الدلائل أن يرى من عزمه طوع الحبيب وإن ألم المائل

ومن الدلائل أن يرى متبهاً والقلب فيه من الحبيب بلابل

ومن الدلائل أن يرى متفهماً لكلام من يحظى لديه السائل

ومن الدلائل أن يرى متشفاً متحفظاً من كل ما هو قائل

وقال عيسى بن معاذ:

ومن الدلائل أن تراه مشعراً على خرقين على شطوط السائل

ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام لما له من مائل

ومن الدلائل أن تراه مسافراً فهو الجهاد وكل فصل فضل

ومن الدلائل زهده فيما يرى من دابر ذل والتعجب الخائل

ومن الدلائل أن تراه باحسباً أن قصد رآه على قبيح قتال

ومن الدلائل أن تراه مسلماً كل الأمور إلى للبيك العادل

ومن الدلائل أن تراه راضياً عليك في كل حكم فاذله

ومن الدلائل ضحكك بين الهوى والقلب عزون كقلب المائل

(بيان معنى الأئس بالله تعالى)

قد ذكرنا أن الأئس والخوف والشوق من آثار المحبة إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على الحب فليس
نظيره وما يشبهه عليه في وقتها فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب القلب إلى متبهاً الجمال واستشعر
صوره عن الاطلاع على كنهه الجلال انبث القلب إلى الطلب وانزعج لهو حاج إليه وتسمى هذه المحبة

في الاتضاع شوقاً وهو بالإضافة إلى أمر غائب وإذا غاب عليه القريح بالقرب ومشاهدة المحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر للكشف غير ملتفت إلى ما لم يذكره بعد امتيثره القلب بما يلاحظه فيسمى استيثاره أنساً وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم البالية وخطر إمكان الزوال والبدد تألم القلب بهذا الانشغال فيسمى تأله خوفاً وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات وللحظات تابعة لأسباب تقتضيها لا يمكن حصرها فالأنس منه استيعار القلب وفرحه بجمالة الجمال حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غلب عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه وقوته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق قال لا إنما الشوق إلى غائب فأنما كان الغائب حاضراً فإلى من يشاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما تأله غير ملتفت إلى ما بقى في الامكان من مزاي الألطاف ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوة إلا في الأفراد والحلوة كما حكى أن إبراهيم عليه السلام أدب من ثل من الجبل فقيل له من أين أقبلت فقال من الأنس بالله وذلك لأن الأنس بالله يلزمه التوحش من غير الله بل كل ما يوق عن الخلوة فيكون من أهل الأشياء على القلب كما روى أن موسى عليه السلام لما كلفه ربه مكث دهره لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذه التشيان لأن الحب يوجب عبودية كلام المحبوب وعبودية ذكره فيخرج من القلب عبودية ما سواه . ولذلك قال بعض الحكماء في دمه يامن أنسى بذكره وأوحشني من خلقة وقال الله عز وجل لا تداء عليه السلام كن لي مشتاقاً وبني مستأساراً من سواي مستوحشاً وقيل إن الله تلت هذه الآية قالت يتكلم ما لا ينبغي وأنسى عن لم يزل . وقال عبد الواعظين زيد مرتب رباب قفلة له ياراهب لقد أهيجت الوحدة فقال يا هذا لو ذهبت حلوة لاحت بالوحدانية لست وحشت إليهم من نفسك الوحدة رأس الصيادة قفلة ياراهب ما أكل ما جئته في الوحدة قال الراحتم من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت ياراهب متى يذوق البعد حلوة الأنس بالله تعالى قال إذا صفا الود وخلصت للعامة قلت ومتى يصفو الود قال إذا اجتمع لهم فصارها واحداً في الطاعة . وقال بعض الحكماء همياً للخلق كيف أرادوا بك بدلاً همياً للقبول كيف استأنست بسواك عنك . فان قلت فما علامة الأنس فأعلم أن علامته الخاصة صديق الصديق من معاينة الخلق والتبرم بهم واستيثاره بعبودية الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ويجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور وخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعبودية الذكر كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فيأشروا روح اليقين واحتلوا ما استوعب القرون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون بحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالهل الأهل أولئك خلفاء الله في أرضه والهادة إلى دينه فهذا معنى الأنس بالله وهله علامته وهذه شواهد له وقد ذهب بعض المتكلمين إلى إنكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه وجهه بأن جمال للبركات بالصفات أكل من جمال للبصريات ولقد معرقتها أغاب على ذوى القلوب ومنهم أحد بن غالب يعرف بظلم الخليل أنكر على الجنيح وعلى أبي الحسن الكوري والجماعة حديث الحب والشوق والشوق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا . وقال ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصور وهذا كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين إلا على القصور فظن أنه لا وجود إلا للقصر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الدين قسر مجرد ووراءه الحب للطلوب لم ينزل من الجوز إلا إلى قشره فظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج اللب منه لاهالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل :

عشقى حبس النفس
وسدى الجاهلدة
وحبس النفس في
عشقى خوفاً وخوفاً
عشقى رجاهاً ورجع
بالتوبة والرهبة كل
للمقامات والزهد
والتوبة إذا اجتمع
صحة الإيمان وعقوده
وشروطه يؤخر هذه
الثلاثة رابع بهتمامها
وهو دوام العمل لأن
الأحوال المتغيرة
يتكشف بعضها هذه
الثلاثة وتيسر بعضها
بتوقيف على وجود
الرابع وهو دوام
العمل وصيغته من
الزهد والتحقيق بالزهد
للتستبين في التوبة
تخلوا عن كثير من
صلى الأحوال فتخلصهم

الأنس بالله لا يحويه بطلال وليس يدركه بالحول محال
والأنسون رجال كلهم نجيب وكلهم مصفوة لله عمال
(بيان معنى الانبساط والادلال الذي ثمره غلبة الأنس)

اعلم أن الأنس إذا دام وغلب واستحكم لم يشوش قلبك الشوق ولم ينصفه خوف التنوير والحجاب فانه يثمر
نوما من الانبساط في الأقوال والأفعال والنماذج مع الله تعالى وقد يكون منكسر الصورة لما فيه
من الجراءة وقلة الحمية ولكنه محتمل عن أقيم في مقام الأنس ومن لم يتم في ذلك للقيام ويشبههم
في القمل والكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الأسود الذي أمر الله تعالى كليمه موسى
عليه السلام أن يسأله ليستسقى لبنى إسرائيل بعد أن فطخوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام
ليستسقى لهم في سبعين ألفا فأوحى الله عز وجل إليه كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم
سر أترهم خبيثة يدعونني على غير حقين ويأمنون مكري ارجع إلى عبد من عبادي يقال برخ فقل له
يخرج حق أستجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يرف فبينما موسى ذات يوم عشي في طريق
إذا ببعد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدتها على عنقه فرفعه موسى
عليه السلام بنور الله عز وجل فلم عليه وقال له ما صك فقال اسمي برخ قال فأنت طلبتنا منذ حين
اخرج فاستسقى لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فالك ولا هذا من حلك وما الذي بذلك أتقصت
عليك هيونك أم عانت الرباع عن طاعتك أم قد ما عندك أم اشتد غضبك على الذين أملت كنت
غفارا قبل خلق الخطايا بن خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ثربنا أنك تمنع أم تخشى القوت فتعجل
بالعقوبة قال فارجع حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطار وأثبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ
الركب قال فارجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كبر أيت حين خاضعتني كعباً أنصفني
فهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى إليه أن برخاً يضحك على كل يوم ثلاث مرات وعن الحسن
قال احترقت أخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فأخبر
بذلك فبعث إلى صاحب الحص قال فأتني بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال إني أقسمت على
ربي عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى رضي الله عنه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
« لا يكون في أمتي قوم شعبة ردوسهم دنسة ثيابهم لواقصوا على الله لأروهم »^(١) قال ووقع حريق بالبصرة
فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال إني أقسمت على
ربي عز وجل أن لا يحترق بالنار قال فاعزم على النار أن تطفأ قال فعزم عليه فاضفت وكان أبو جعفر
عشي ذات يوم فاستقبله رستاق مدهوش فقال له أبو جعفر ما أصابك فقال ضل حماري ولا أملك غيره
قال فوقف أبو جعفر وقال وعزتك لأخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره قال فظهر حماره في الوقت ومضى
أبو جعفر رحمه الله . فهذا وأمثاله يجري لدى الأنس وليس لغيرهم أن يقبضهم . قال الحارثي رحمه الله
أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة . وقال مرة لوجعها
العموم لكفرهم وهم يحدون للزبد في أحوالهم بذلك وذلك بحتمل منهم ويليقيهم وإليه أشار القائل:

قوم تغالبهم زهو بسيدم والعبد زهو على مقدار نواله
تأهوا برؤيته عما سواه . يا حسن رؤيتهم في عز ما تأهوا

ولا لتبذلون رضاه عن البعد بما يغضب به على غيره معها اختلف مقامهما في القرآن تنبيهات على

(١) حديث الحسن بن أبي موسى يكون في أمتي قوم شعبة ردوسهم دنسة ثيابهم لواقصوا على الله
لأروهم ، ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء وفيه انقطاع وجهاله .

عن هذا الرابع ولا
يراد الزهد في الدنيا
إلا لسكال الفراغ
للسنان به على إدامة
العدل لله تعالى والعمل
فه أن يكون العبد
لا يزال ذاكرة أو تاليا
أو مصليا أو مراقبا
لا يشغله عن هذه إلا
واجب شرعي أو مهم
لا بد منه طبعي فإذا
استولى العمل القاهي
على القلب مع وجود
الشغل الذي أدله إليه
حكم الشرع لا يستز
باطنه عن العمل
فإذا كان مع الزهد
والتقوى متمسكا
بدوام العمل قدس
أكل الفضل وما آلى
جهدا في العبودية

هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لأدلى البصائر وأبصار حتى ينظروا إليها
 بمن الاعتبار فاعلمنا هي عند ذوى الاعتبار من الأسماء . فأول القصص قصة آدم عليه السلام
 وإبليس أماتهما كيف اشتركا في اسم للصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتناب والصمة . أما إبليس
 فأبليس عن رحمة . وقيل إنه من البدين . وأما آدم عليه السلام فقيل فيه - وعصى آدم ربه
 فغوى ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى - وقد غلب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض
 عن عبد والاقبال على عبد وهما في العبودية سيات ولكن في الحال مختلفان ، فقال - وأما من
 جارك يسمى وهو غشى فأت - عنه تلهى - وقال في الآخر - أما من استغنى فأت له تصدى -
 وكذلك أمره بالسود مع طاعة ، فقال عز وجل - وإذا جارك الدين يؤمنون بأننا قتل سلام
 عليكم - وأمره بالإعراض عن غيرم ، فقال - وإذا رأيت الدين غوضون في آياتنا فأعرض
 عنهم - حتى قال - فلا تصد بعد الذكرى مع القوم الظالمين - وقال تعالى - وأصبر نفسك مع
 الذين يدعون رهم بالنسوة والعشى - فكذلك الانبساط والإدلال يعمل من بعض العباد دون
 بعض ، فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام - إن هي إلا فتنة تفضل بها من تشاء
 وتهدى من تشاء - وقوله في التمليل والاعتذار لما قيل له - اذهب إلى فرعون - قال - ولهم
 على ذنب - وقوله - إنى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى - وقوله - إنا
 نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى - وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن الذى
 أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل لىونس عليه السلام مادون هذا لما أقيم مقام القبط
 والمهية فوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودى عليه إلى يوم القيامة - فلو أن
 تداركه نعمة من ربه لبذ البراء وهو مذموم - . قال الحسن الرضا هو القيامة ، ونهى نبينا
 صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به . وقيل له - فاصبر لحكم ربك ولا تكن كساجب الحوت إذ
 نادى وهو مكظوم - وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال وللغاتات وبعضها لما سبق في
 الأزل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد ، وقد قال تعالى - ولقد فضلنا بعض النبيين
 على بعض - وقد قال - منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات - فكان عيسى عليه السلام من
 المفضلين ولإدلاله سلم على نفسه ، فقال - والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا -
 وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس . وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فانه أقيم
 مقام المهية والحياة فلم يطق حتى أتى عليه خالقه ، فقال - وسلام عليه - وانظر كيف احتمل
 لإخوة يوسف ماضوه يوسف . وقد قال بعض السلاء - قد عدت من أول قوله تعالى - إذ قالوا
 ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا - إلى رأس العشرين من أخباره تعالى عن زهدم فيه نيفا
 وأربعين خطبة بعضها أكبر من بعض وقد جمعت في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع ففقر
 لهم وصفها عنهم ولم يحتمل العزير في مسألة واحدة سأل عنها في القدر حتى قيل هي من ديوان النبوة
 وكذلك كان بطلم بن باعوراء من أكار العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك . وكان
 آصف من السرفين وكانت مصيبة في الجوارح فضا عنه فقد روى أن الله تعالى أوحى إلى سليمان
 عليه السلام يارأس العابدین ويا ابن حجة الزاهدين إلى كم يصيبني ابن خالك آصف وأنا أعلم عليه
 مرة بعد مرة فومرت وجلالى لئن أخذته عصفا من عصفاي عليه لأتركته مثله لمن معه ونكالا
 لمن جده . فلما دخل آصف على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا

قال أبو بكر الوراق :
 من خرج من قالب
 اليهودية ينجس به ما
 يصنع بالأي . ومثل
 سهل بن عبد الله
 التستري : أي منزلة إذا
 قام السيد بها قام مقام
 اليهودية قال إذا ترك
 التدبير والاختيار فإذا
 تحقق السيد بالثبوتية
 والزهد ودوام العمل
 لله بنفسه وقته الحاضر
 عن وقته الآتي ويصل
 إلى مقام ترك التدبير
 والاختيار ثم يصل إلى
 أن يملك الاختيار ،
 فيكون اختياره من
 اختيار الله تعالى وإلا
 هو له وولفور عليه
 وإسقاط مافة الجهل
 عن يافته . قال يحيى
 ابن معاذ : الرازي مادام

فلندأ بيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره وفيها محال
الموى ثم نذكر ما يظن أنه من تمام الرضا وليس منه كثره الله والسكوت على العاصي .

(بيان فضيلة الرضا)

(أما من الآيات قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه - وقد قال تعالى - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - ومتبني الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى - ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر - فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر - فكأن أن مشاهدة للذكر في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنات ، وفي الحديث « إن الله تعالى يجلب للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضائك » (١) نسؤلهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل . وأما رضا العبد فسنذكر حقيقته وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب بما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته إذ تنقص أفعام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بأدراكه من همه . وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر إليه فائسألوله الرضا لأنه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية التأيات وأقصى الأمان والطرف وانبعم النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلوا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى - ولدينا مزيد - قال بعض المفسرين فيه يأتي أهل الجنة في وقت الزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين : إحداهما هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلهما فذلك قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى - سلام قولنا من ربهم - والثالثة يقول الله تعالى : إني عنكم راض . فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى - ورضوان من الله أكبر - أي من النعم الذي هم فيه فهذا أفضل رضا الله تعالى وهو غرر رضا العبد . وأما من (الأخبار) فقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أئتم فقالوا مؤمنون فقال ماعلامة إيمانكم فقالوا نسير على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب السكبة » (٢) وفي خبر آخر أنه قال « حكاه علماء كذا من قههم أن يكونوا أنبياء » (٣) وفي الخبر « طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفايا ورضى به » (٤) وقال عليه السلام « من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل » (٥) وقال أيضا « إذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتبه فان رضى اصطفاه » وقال أيضا « إذا كان يوم القيامة أئتم الله تعالى لطائفة من أمم أجنحة فيطرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاءوا فيقول لهم

(١) حديث إن الله يجلب للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضائك البراء والطبراني في الأوسط من حديث أنس في حديث طويل يسند فيه ابن وفيه فيجلب لهم يقول أنا الذي صدقكم وعدى وأئتمت عليكم نعمتي وهذا محل إكرامى فسألوني فيسألونه الرضا الحديث ورواه أبو يعلى بلفظهم يقول ماذا تريدون فيقولون رضائك الحديث ورجله رجال الصحيح (٢) حديث سأل طائفة من أصحابه ما أئتم فقالوا مؤمنون فقال ماعلامة إيمانكم فقالوا نسير على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب السكبة (٣) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفايا ورضى به (٤) حديث من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل وقد تقدم (٥) حديث من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل ورواه في أمالي الهاملي بساند ضعيف من حديث علي بن أبي طالب ومن طريق الهاملي رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس .

والاختيار من الله تعالى لعبد ورواه إلى الاختيار تصريف الحق وهو مقام البقاء وهو الانسلاخ عن وجود كان بالعبد إلى وجود يصير الحق وهذا العبد ما بقي عليه من الأصحاح قرة واستقام ظاهره وباطنه في البودية وصر السلم والعمل ظاهره وباطنه وتوطن حضرة القرب بنفسين يدي الله عز وجل متمسكة بالاستيكانة والافتقار متحققه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسكني إلى شيء طرفة عين فأهلك ولا إلى أحد من خلقك فأضيع » الاثنى كلاة

للالئكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فيقول لهم هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فيقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فيقول لئلائكة من أمة من أئمة فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول ناشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فإتانا هذه للزفة بفضل رحمة الله فيقولون وما هما فيقولون : كنا إذا حنونا نستحي أن نصبه ونرضى باليسر مما قسم لنا فيقول لئلائكة بحق لكم هذا (١) وقال صلى الله عليه وسلم « يا معشر القراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تنظفروا ثواب قتركم وإلا فلا » .

وفي أخبار موسى عليه السلام إن بني إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام : إلهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عنى حتى أرضى عنهم ، ويشهد لهذا ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فلينظر ماله عز وجل عند الله فإن الله تبارك وتعالى يوزل البعد منه حيث أقره البعد من نفسه » (٢) وفي أخبار داود عليه السلام مالا يؤتى وإن ألم به يذهب حلاوة مناجاتى من قلوبهم . بإدواد إن محب من أوليائى أن يكونوا روحانيين لا يفتنون ، وروى أن موسى عليه السلام قال يارب دنى على أمر فيه رضاك حتى أعلمه فأوحى الله تعالى إليه : إن رضاى فى كرهك وأنت لاتصبر على ما تكره . قال يارب دنى عليه ، قال فإن رضاى فى رضاك قضائى . وفى مناقبات موسى عليه السلام أى رب أى خلقك أحب إليك ؟ قال من إذا أخذت منه المحبوب سلمنى قال فأبى خلقك أنت عليه ساخط . قال من يستغنى فى الأمر فاذا قضيت له سقط قضائى . وقد روى ما هو أشد من ذلك وهو أن الله تعالى قال « أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى ولم يرض بقضائى فليخذ ربا سواى » (٣) ومثله فى الشدة قوله تعالى فبا أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « قال الله تعالى قدرى للتدبير ودرت التدبير وأحكمت الصنع ، فإن رضى لله الرضا منى حتى يلغائى ومن سخط لله السخط منى حتى يلغائى » (٤) وفى الخبر المشهور « يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له الخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقت له الشر وأجريت الشر على يديه وويل لمن قال لم وكيف » (٥) وفى الأخبار السابقة أن نبيا من الأنبياء هكا إلى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ما أراد ثم أوحى الله تعالى إليه كم تشكوا هكذا كان بدؤك عندى فى أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض

(١) حديث إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطافة من أمقى أجنة فيطربون من قيومهم إلى الجنان يسرحون فيها روله ابن حبان فى الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث أنس مع اختلاف ، وفيه حميد بن على القيسى ساقط هالك والحديث منكر مخالف للقرآن ، وللاحدديث الصحيحة فى الورد وغيره (٢) حديث أعطوا الله الرضا من قلوبكم تنظفروا ثواب قتركم وإلا فلا خدم (٣) حديث من أحب أن يعلم ماله عند الله فلينظر ماله عنده الحديث الحاكم من حديث جابر وصححه بلفظ منزلة ومثله الله (٤) حديث قال الله أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائى الحديث الطبرانى فى الكبير وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى هند الأثرى مقتصر على قوله من لرض بقضائى ويصبر على بلائى فليستس ربا سواى وإسناده ضعيف (٥) حديث قال الله تعالى قدرى للتدبير ودرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضى لله الرضا الحديث لم أجدهم هذا اللفظ والطبرانى فى الأوسط من حديث أنى أمانة خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين الحديث وإسناده ضعيف (٦) حديث يقول الله خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له الخير وأجريت الخير على يديه الحديث ابن شاهين فى شرح

الوليد ولا تفضل على .

[الباب الثون :

فى ذكر إشارات

للشايخ فى القامات

على الترتيب]

قولهم فى التوبة : قال

روى معنى التوبة أن

يتوب من التوبة قبل

مغناه قوله وإسنة

استغفر الله العظيم

من قلة صدق فى قولى

استغفر الله . وسئل

الحسن للنازى عن

التوبة ، قال تسألنى

عن توبة الانابة أو

عن توبة الاستجابة ؟

فقال السائل مانوبة

الانابة ؟ فقال : إن

تخاف من الله عز

وجل من أجل

قدرته عليك . قال

فنا توبة الاستجابة .

قلت وكيف ذلك قال ليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة قدم عبيده أن يرضوا عنه . وقال سهل حفظ العبد من اليقين على قدر عظم من الرضا وعظم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يحبكته وجماله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الألم والحزن في الذك والسخط (١) » .

(بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى)

اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأتباع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا تصور فاعلم أن من ناحية إنكار المحبة فأما إذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغرق القلب به فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين : أحدهما أن يطول الاحساس بالألم حتى يجرى عليه اللؤم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألما ومثاله الرجل المحارب فإنه في حال غضبه أو في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى إذا رأى الألم استدل به على الجراحة بل الذي يضيق شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بألم ذلك لشغل قلبه بل الذي يصحبه أو يحرق رأسه بحديدة كالة يتألم به فان كان مشغول القلب بهم من مهارة فرغ للزينة والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لأن القلب إذا صار مستغرقا بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاقل للسترى الألم بمشاهدة مشعوشة أو محبة قد يصيبه ما كان يتألم به أو يتم له لولا عبقه لم لا يدرك غمه والله لقرط استيلاء الحب على قلبه هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم التواغل وإذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فان الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة للدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة للدركة بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجمالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يهره بحيث يدهش ويدهش عليه فلا يحس بما يجرى عليه . أقصد روي أن لذة الحب تنبع للوصلي عثرت فاقطع ظفرا فضحك قيل لها أما تجدن الوجع ؟ قالت إن لذة ثوابه أزالته عن قلبي مرارة وجهه ، وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه قليل له في ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجب . وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له أعني بمقله وإن كان كارها بطبعه كالذي يلتصق من القصاد القصد والحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتلذذ من القصاد به منه بفعله فهذا حال الراضى بما يجرى عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر ووجهه راضيا بها ومنها أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضى به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا إن كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويجوز أن يطلب الحب بحيث يكون حظ الحب في مراد محبوه ورضاه لا لمعى آخر وراه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوا بائنا ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواسفنا للتواصفون في نظمهم وترثهم ولا معنى إلا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر إلى الجمال فها هو إلا جهول ولم يدمشعون بالأقدار والأخبار بدابته من نقطة ملحرة ونهايته جينة قدره وهو فيما بين ذلك يحمل العبرة وإن نظر إلى الدرك

(١) حديث إن الله يحبكته وجماله جعل الروح والفرح في الرضا والفرح في الرضا الحديث الطبراني من حديث ابن مسعود إلا أنه قال بقسطه وقد تقدم .

يتسبب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجسد حاله فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة إلا أن يرضخ قلبه إلى مسو له بالشكوى ويتركه بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولا يفارقه ويدعو الله أن ينسبه ذلك ويشغله بغيره من ذكره وطاعته وقال وإن غفل عن الانكار طرفة عين أخاف عليه أن لا يسلّم وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ويحزن فإنه لا يضره . وهنا

للرجال فهي العين الحسيدة التي تطلت فيما ترى كثيرا ترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعد قربا والبيع جبالا فإذا تصور استيلاء هذا الحب لمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأولى الأبدى الذي لا منتهى لكجالة المدرك بين البصرة التي لا يمتريها القلط ولا يدور بها اللوت بل تبقى بعد اللوت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه وامتنكشاف فهنا أمر واضح من حيث النظر بين الاعتبار وجهه لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها . وقال الجندي سألت سرياً السعدي هل يجد الحب أم البلاد ؟ قال لا قلت وإن ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعت ضربة ضربة على ضربة . وقال يضمم أحببت كل شيء بحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار . وقال بشر بن الحرث مرت رجل وقد ضرب ألف سوط في شربة بغداد ولم يشكهم حمل إلى الحبس فتحت فقلت له لم ضربت ؟ فقال لأنني عاشق فقلت له ولم سكت ؟ قال لأن معشوقى كان عذائى ينظر إلى قتلتي فلو نظرت إلى المعشوق الأكبر قال فزعت زجعة خرينيا . وقال يحيى بن سباز البرازي رحمه الله تعالى إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر إلى الله تعالى ثماعة سنة لا ترجع إليهم لما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله إذا لاحظت جلالة هابت وإذا لاحظت جماله هانت . وقال جابر قصدت عبادان في بداين فاذا رجل أحمر مجذوم مجنون قد صرع والمخل يأكل لحمه فرفست رأسه فوضعت في حجرى وأنا أردت الكلام فلما أفانق قال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربي لو قطعنى إربا إربا ما زددت له إلا حبا . قال شبيب لما رأيت بعد ذلك قعة بين عبد وبين ربه فأنكرتها . قال أبو عمرو محمد بن الأشعث إن أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا إذا جاعوا انظروا إلى وجهه ففطنهم جماله عن الأحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك قطع النسوة أيديهن لاستنابتهن بملاحظة جماله حتى ما أحسن بذلك . وقال بعد بن عبي رأت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مديية وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول:

يوم الفراق من القيامة أطول وللوت من ألم التفرق أجل

قالوا إرجيل قلت لست براجل لكن مهجى التي ترحل

ثم بقر بالمدية بطنه وخر ميتا فسلأت عنه وعن أمره فقيل لى أنه كان يهوى ففى بعض اللوك حجب عنه يوما واحدا وروى أن يونس عليه السلام قال لجبريل دلى على أعبد أهل الأرض فله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب يصمره نفسه وهو يقول : إلهى متتنى بهما ما عشت أنت وسليتنى ما عشت أنت وأقيت لى فيك الأمل يارب يا وصول . وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن قاشد وجدته عليه حتى قال بعض القوم . لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا النلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجا أحد سرورا أبدا منه فقيل له فى ذلك فقال ابن عمر إنما كان حزنى رحمة له فلما وقع أمر الله رضىنا به . وقال خسروق : كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فله بك يوقظهم للصلاة والحمار يتقون عليه للباد ويعمل لهم خبائهم والكلب يحرسهم قال جاء الثعلب فأخذ الديك فخرنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى أن يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فخرنوا عليه فقال الرجل عسى أن يكون خيرا ثم أصيب للكلب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سمي من حولهم وجوامم قال وإنما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب

الذى قاله سوك كاف بالغ لكل طالب صادق يريد حصة توبته . والعارف القوى الجبال يتمسكن من إزاة الخلاوة عن وطنه ويسهل عليه ذلك . ولما سب سوه ذلك متنوعة للعارف ومن تمسكن من قلبه خلاوة حب الله الخاص عن صفاء مشاهدة صرف يقين فأى خلاوة تبقى فى قلبه وإنما خلاوة الهوى لعدم خلاوة حب الله . وسئل السوسي عن التوبة فقال التوبة من كل شيء فمه العلم إلى مادمه العلم وهذا وصف لهم الظاهر والباطن لمن كوهف يصنع العلم لأنه لا جاد

والخير والديكة فكانت الخيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذن من عرف حق
 لطف الله تعالى رضى بفضله على كل حال. وروى أن عيسى عليه السلام من رجل أعشى أبصر مقعد
 مضروب الجنبين فبالغ وقد تآثر له من الجذام وهو يقول الحمد لله الذى غافى عني بما ابتلى به كثيرا
 من خلقه فقال له عيسى يا هذا أى شيء من البلاء أراه مصروفا عنك فقال ياروح الله تأخير من لي بمجل
 الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناولته يده فاذا هو أحسن الناس وجها
 وأفضلهم هيئة وقد أذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتقدم معه وقطع عروة بن الزبير
 رجله من ركبته من أكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذى أخذ مني واحدا وعلمك أن كنت أخذت
 لقد أجيبت ولئن كنت أجبليت قد غابت ثم لم يدع ورده تلك اليك وكان ابن مسعود يقول القبر والقرى والقرى
 مطيتان ما أبالي أينهما ركبته إن كان القبر فإن فيه العبر وإن كان القرى فإن فيه البلاء. وقال
 أبو سليمان النخعي قد قلت من كل مقام حالا إلا الرضا فإلى منه الانقسام الأربع وكل ذلك لو أدخل
 الخلاق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا. وقيل لما راف آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال
 أما الغاية فلا ولكن مقام الرضا قد نلت أو جعلني جبرا على جهنم بغير الخلائق على إلى الجنة ملائي
 جهنم تحلة لفسحه وبدلا من خلقته لأجيبت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا الكلام من علم
 أن الحب قد استغرق همه حتى منه الاحساس بألم النار فإن بقي إحساس فيفسره ما حصل من لذته في
 استشهاده حصوله رضا به به بالقائه إليه في النار واستلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وإن كان
 يبدأ من أحواله الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستكثر الضعيف المحروم أحوال الأولياء. ويظهر أن
 ما هو حاجز عنه سببه عنه الأولياء. أوقال الزيد بن أبي قلت لأبي عبد الله بن الجلاء المستثنى قول فلان
 وودت أن جدي يقرض بالمقاربي وأن هذا الخلق أطاعوه ما ممتناه فقال يا هذا إن كان هذا من
 طريق التعظيم والاجلال فلا أعرف وإن كان هذا من طريق الاشفاق والنصح للخلق فأعرف قال
 ثم غشى عليه وقد كان عمر بن الخطاب قد استسقى بطنه فيقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم
 ولا يهد قد تقب له في سريره من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه الملاء
 فجعل يسكن لما يراه من حاله فقال لم تبكي؟ قال لأنى أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبتك فإن أجي
 إلى الله تعالى أحيا إلى ثم قال أحدثك شيئا لعل الله أن ينفعك به وإياكم على حق أموت إن الله لا يترككم
 تزورن فأنس بها وتسلم على فأصعب تسليمها فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بقوة أذهو سببه هذه
 النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلاءه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن منبة
 نوذه فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا أن تحت شيئا حتى كشف فقال له امرأته أهل قد أؤك ما نطمعك
 ما نسيك قال طالت الضجة ودرت الحرافيق وأصبحت نضوا لأطعم طاموا لا أسخ شرا منذ كذا
 فذكر إياها وما يسنن آتى قصت من هذا قلامة ظفر. ولما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة وقد
 كان كتب بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فبدعوا لهذا ولهذا وكان جواب
 الدعوة. قال عبد الله بن السائب فأنتيه وأنا غلام فترفت إليه فترفتي وقال أنت قارى أهل مكة؟
 قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها قتلته في يوم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك
 بصره فقبم وقال يا بني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصرى. وضاع لبعض الصوفية وادعوا
 ثلاثة أيام لم يصف له خبر قتلته لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراض عليه فاقضى أشد
 حتى من فهاب ولدى. وعن بعض الباء أنه قال إن أذنبت ذنبا عظيما فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة
 وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب فقبل له وما هو فقال قلت مرة لشيء كان لبي

الجل مع العلم كالإبقاء
 قبل مع طالع الشمس
 وهذا يستوعب جميع
 أقسام التوبة بالوصف
 الخاص والسلم وهذا
 العلم يكون علم الظاهر
 والباطن بتطهير الظاهر
 والباطن بأخص
 أوصاف التوبة وأهم
 أوصافها. وقال
 أبو الحسن النوري
 التوبة أن تتوب عن
 كل شيء سوى الله
 تعالى. قولهم في الورع
 قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ملاك
 دينكم الورع أخبرنا
 أبو زرعة إجازة عن
 أبي بكر بن خلف عن
 أبي عبد الرحمن السلمي
 إجازة قال أنا أبو سعيد
 الخليل قال حين

لم يكن . وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاء الله سبحانه ليته لم يقضه ، وقيل لبيد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة تقصده فقال له يا حبيبي أخبرني عنك هل قصت به ؟ قال لا ، قال أنست به ؟ قال لا ، قال فهل رضيت عنه ؟ قال لا ، قال فإني سأمر بك منه الصوم والصلاة ؟ قال نعم ، قال لولا أني استحييت منك لأخبرتكم بأن ممالككم خمسين سنة قد خولت ومثناه أنك لم يفتح لك باب القلب فتدبري إلى درجات القرب بأعمال القلب وإنما أنت تدبر في طبقات أصحاب الجبين لأن مزيدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم . ودخل جماعة من الناس على الشبلي رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال لهم أنتم ؟ فقالوا هم جوعوا فأقبل عليهم برحمهم بالحجارة قهاريوا قال ما بالكم ادعيتهم حتى إن صدمتهم فاصيروا لي بلائي ، وللشبلي رحمه الله تعالى :
 إن الحبة للرحمن أسكرني وهل رأيت بها غير سكران

وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يقضى الله عز وجل مصداقا وله قد كذبه وذلك أن أحدكم لو كان له أبيض من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها هلك ظل يواربها يعني بذلك أن النصب منسوب عند الله والناس يتفخرون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستكفون منه . وقيل إنه نوع من الحريق في السوق قيل للسري احترق السوق وما احترق وكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد على سلامتي دون للسليق فتاب من التجارة وترك الحانوت بقة عمره ثوبة واستغفرا من قوله الحمد لله ، فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحفظهم كان ممكنا في حق حب الله تعالى وحفظ الآخرة قطعا . وإمكانه من وجبين : أحدهما الرضا بالألم لما يتوقع من الثواب للوجود كالرضا بالقصد والمحبة وشرب الدواء انتظارا للشفاء . والثاني الرضا به لاختلاف زواجه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد يلب الحب بحيث ينغمز مراد الحب في مراد المحبوب فيكون الذا لأبياء عنده سرور قلب محبوه ورضاه وقبول إرادته ولو في هلاك روحه كما قيل فيا الجرح إذا أرضاكم ألم وهذا يمكن مع الاحساس بالألم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم فالتقياس والتجربة وللشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من قدمه من نفسه لأنه إنما قدمه فقد سببه وهو قريط حبه ومن لم يفتي طعم الحب لم يعرف هيباته فالحسين ع أعظم مما وصفناه . وقد روى عن عمرو بن الحارث الرازي قال : كنت في مجلس بالرقعة عند صديق لي وكان معنا فني يمشق جارية منية وكانت معنا في المجلس فغضبت بالقضب وغنت :

علامة ذل الهوى على الصاغتين اليكا

ولاسيا طاسق إلا لم يجد مشك

فقال لها الفتي أحسنت والله يا سيدتي أتأذنين لي أن أموت فقلت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فيه وغمض عينيه فحركناه فإذا هو ميت . وقال الحسين رأيت رجلا متعلقا بك صبي وهو يتضرع إليه ويظهر له الحبة فانضت إليه الصبي وقال له إلى متى ذال التفاني الذي تظهر لي فقال قد علم الله أنني صادق فيما أوردته حتى لو قلت لي مت لمت فقال إن كنت صادقا قالت قال فتدعي الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا . وقال ممنون الحب كان في جبرائيل رجل وله جارية محبة غاية الحب فاعتلت الجارية فيجلس الرجل ليصلح لها حيسا فيينا هو يحرك القدر إذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت للغمم من يده وجعل يحرك مافي القدر بيده حتى سقطت أسابه فقالت الجارية ما هذا ؟ قال هذا مكان قولك آه . وحكى عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالبصرة أبا علي سطع من رثع وقد أشرف على الناس وهو يقول :

ابن خزيمة لثامه من

عنان قال حدثنا جبة عن

أبي بكر بن أبي مريم

عن حبيب بن صيد

عن أبي الدرداء رضي

الله عنه « أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم

نوحا على نهر فصار فرغ

من وضوءه أفرغ فضله في

النهر وقال يلقاه الله

عز وجل قوما يفهم .

قال عمر بن الخطاب

لا ينبغي لمن أخذ بالقوى

ووزن بالورع أن يذل

لصاحب دنيا . قال

معروف السرخي أحفظ

لسانك من اللدح كما

تحفظه من النعم . قال

عن الحرث بن أسد

المحاسي أنه كان على

طرف أصبح له لوسلى

تخرق إذا مد يده إلى

من مات عشقا فليمت هكذا لاخير في عشق بلا موت

ثم رعى نفسه إلى الأرض فخلعوه ميتا فهذا أو مثاله قد يصدق به في حب الخالق والتصديق به في حب الخالق
أولى لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية أوفى من كل جمال بل كل جمال في
العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال، نعم الذي قد البصر يشكر جمال الصور والذي قد السمع يشكر لغة
الأصوات والنفحات للوزونة فآلى قد القلب لا بد أن يشكر أيضا هذه الذات التي لا مظهر لها سوى القلب.

(بيان أن السماء غير مناقض للرضا)

طعام فيه شبه شرب
عليه ذلك المرق .
سئل الشبل عن الورع
فقال الورع أن تتورع
أن يشقت قلبك عن
الله طرفة عين . وقال
أبو سليمان الداراني
الورع أول الزهد كما
أن النعانة طرف من
الرضا . وقال يحيى بن
معاذ الورع الوقوف
على حد العلم من غير
تأويل . سئل الخواص
عن الورع فقال أن
لا يتكلم البعد إلا بالحق
غضب أو رضى وأن
يسكون اهتمامه بما
يرضى الله تعالى .
أخبرنا أبو زرعة بإجازة
عن أبي بكر بن خلف
إجازة عن السلمي قال
صحت الحسن بن أحمد

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة العاصي ومقتها علم ومقتها أسبابها والسعي إلى إزالتها
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتأخذه أيضا وقد غلط في ذلك بعض الباطنيين للترتب وزعم أن
للعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عن وجل فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وعقبة
عن أسرار الشريعة ، فأما السماء فقد تمجدها به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر
الأنبياء عليهم السلام على ما نقلناه في كتاب الدعوات تدل عليه ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على
أعلى القامات من الرضا وقد اتى الله تعالى على بعض عباده بقوله وودعونا غابورا به . وأما إنكار العاصي
وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا به فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أبا طمأن
بها - وقال تعالى - رضوا بأن يكونوا مع الخوفا وطبع على قلوبهم - وفي الخبر للشعور « من شهد
منكرا فرضي به فكأنه قد فعله » وفي الحديث « الدال على الشر كفاعة »^(١) وعن ابن مسعود : إن البعد
ليجب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك ؟ قال يبلغه فرضي به وفي الخبر « لو
أن عبدا قتل بالشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكا في قتله »^(٢) وقد أمر الله تعالى بالحدود وللناسفة
في الحيراث وتوقي الشرور فقال تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم
« لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يبينها في الناس ويسلمها ورجل آتاه الله المال فأسلفه على
هلكته في الحق »^(٣) وفي لفظ آخر « ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آثا والليل والنهار يقول الرجل
لو آتاني الله مثل ما آتاني هذا لقلت مثل ما فعل . وأما بعض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم
فما ورد فيه من هواد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا تتخذوا المؤمنين أولياء
من دون المؤمنين - وقال تعالى - يأيا الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء هؤلاء
- وكذلك نوبى بعض الظالمين بضاً - وفي الخبر « إن الله تعالى أخذ اللياق على كل مؤمن أن
يبيض كل مناقق وعلى كل منافق أن يبيض كل مؤمن »^(٤) وقال عليه السلام « للرد مع من
أحب »^(٥) وقال « من أحب قوما ووالام حشر معهم يوم القيامة »^(٦) وقال عليه السلام « وأنتي

(١) حديث الدال على الشر كفاعة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بإسناد
ضعيف جدا (٢) حديث لو أن رجلا قتل بالشرق ورضي بقتله آخر في المغرب كان شريكا في قتله
لم أجده له أصلا بهذا اللفظ ولابن عدي من حديث أبي هريرة من حشر معية فكرها فسكانما
غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فسكانما حضرها وتقدم في كتاب الأمر بالمعروف (٣) حديث لأحد
إلا في اثنين الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم
(٤) حديث إن الله أخذ اللياق على كل مؤمن أن يبيض كل مناقق الحديث لم أجده له أصلا
(٥) حديث للرد مع من أحب تقدم (٦) حديث من أحب قوما ووالام حشر معهم الطبراني من حديث
أبي قريصة وابن عدي من حديث جابر من أحب قوما على أعمالهم حشر في زميرهم زاد ابن عدي
يوم القيامة وفي طريقه إسماعيل بن يحيى التيمي ضعيف .

عري الإيمان الحب في الله والبغض في الله ^(١) وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصبغة وفي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نزيد. فان قلت فقد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى ^(٢) فان كانت للعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قاذف في التوحيد وإن كانت بقضاء الله تعالى فكرهاها ومقتها كرهاة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل إلى الجمع وهو حقائق في هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد. فاعلم أن هذا مما يتيسر على الضفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حق رأوا السكوت عن المنكر مقاماً من مقامات الرضا وهو حسن الخلق وهو جهل محض بل يقول الرضا والكراهة تشاذان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه إذ قد يموت عدوك الذي هو أيضاً عدو بعض أعدائك وساع في إهلاكه فتكره موته من حيث إنه مات عدو عدوك وترضاه من حيث إنه مات عدوك وكذلك الصبية لما وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسلياً للملك إلى مالك للملك ورضاً بما فعله فيه وجه إلى العبد من حيث إنه كسبه وصفه وعلامة كونه محموقاً عند الله وبغضاً عنه حيث سلب عليه أسباب البعد ولتقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا يكشف هذا لك إلا بتأمل فلنفرض محبوا من الخلق قال بين يدي محبيه إلى أريد أن أميز بين من يحبني ويغضني وأنصب فيه معياراً صادقاً وميزاناً ناطقاً وهو أني أقصد إلى فلان فأؤذيه وأضربه ضرباً يضطره ذلك إلى الشتم لي حتى إذا شتمني أبغضته وأخذته عدواً لي فكل من أحبني أحبني أيضاً أنه عدوي وكل من أبغضني أعلم أنه صديقي وعي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب المداواة خلق لي كل من هو صادق في محبة أو عداوة لي بغير شروط المحبة أن يقول أما تديرك في إبداء هذا الشخص وضربه وإيماؤه وتبرؤك إياه للبغض والمداواة فأنا محبه له وراض به فانه راك وتديرك وضلك وإرادتك وأما شتمه إياك فانه عدوان من جهته إذ كان حقه أن يجبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استمطاقه بالشتم للوجوب فمقت فهو من حيث إنه حصل لي وفق مرادك وتديرك الذي ويرته فأن راض به ولو لم يحصل لي كان ذلك نقصاناً في تديرك وتموقاً في مرادك وأنا كاره مرادك ولكنه من حيث إنه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدواناً وتهم من عليك على خلاف ما يقتضيه جالك إذ كان ذلك يغضني أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصفه لا من حيث هو مرادك ومقتضيه تديرك وأما يضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحبه له لأنه مرادك وأنا طي موافقتك أيضاً فيبغض له لأن شرط الحب أن يكون لحبيب المحبوب حباً ولعدوه عدواً وأنا بضك لك فأنا راضاً من حيث إنك أردت أن يضك إذ أبغضته عن شتمك وسلطت عليه دعوى البغض ولكني أبغضته من حيث إنه وصف ذلك البغض وكبه وصفه وأمته ذلك فهو محموق عندي لفته إياك وبغضه ومقتك به أيضاً عندي مكرره من حيث إنه وصفه وكل ذلك من حيث إنه مرادك فهو مرضى وإعما التناقض أن

ابن خضرة يقول سمعت
عبد بن داود البزوري
يقول سمعت ابن الجلاء
يقول أعراف من أقام بمكة
ثلاثين سنة ولم يشرب
من ماء زمزم إلا من
مأه استقاء بركوته
ورضاه ولم يتناول من
طعام جلب من مصر
شيئاً : وقال الخواص:
الروح دليل الخوف
والخوف دليل المعرفة
والعرفة دليل القربة.
قولهم في الزهد: قال
الجنيد: الزهد خلق
الأيدي من الأملاك
والقلوب من التبع.
يسئل الشيخ عن الزهد
فقال لا زهد في الحقيقة
لأنه إما أن يهد فيها
ليس له فليس ذلك
زهداً ولا يهد فيها هو

- (١) حديث أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله رواه أحمد وتقدم في آداب الصبغة
(٢) الأخبار الواردة في الرضا بقضاء الله الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص من سعاد بن آدم رضاه بما قسم الله عز وجل الحديث وقال عريب وتقدم حديث إبراهيم بما قسم الله لا يمكن أغنى الناس وحديث إن الله يقطع جبل الروح والقرح في الرضا وتقدم في حديث الاستغارة والقبلى الخبير حيث كان ثم رضى به وحديث من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى منه بالقليل من

يقول هو من حيث إنه مرادك مرضى ومن حيث إنه مرادك مكروه وأما إذا كان مكروها لامن حيث إنه فعله ومراده بل من حيث إنه وصف غيره وكسبه فهذا لا يتناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذن تبسيط دواعي الشتم واللعنة عليه حتى يجره ذلك إلى حب اللعنة ويجره الحب إلى قبل اللعنة يشاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا ليجري الضرب إلى التنبؤ والتعجب إلى الشتم ومقت الله تعالى. إن عصاه وإن كانت محبته بتدبيره يشبه بعض الشتم لمن شتمه وإن كان يشتمه إنما يحصل بتدبيره واختياره لأجابه وقبل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبده أعنى تبسيط دواعي اللعنة عليه يدل على أنه سبقت مشيئته بأباده ومقت فواجب على كل عبد محب لله أن يرضى من أبضه الله ويعتق من مقت الله ويأذى من أبده الله عن حضرة وإن اضطره بقره وقدرته إلى معاداته ومخالفته فانه يمد مطرو ومعلمون عن الحضرة وإن كان بعيدا بأباده قهرا ومطرودا بطرده واضطرا به وللمد من درجات القرب ينبغي أن يكون مقتيا نبيا إلى جميع المحبين موافقة للعجوب بإظهار التعجب على من أظهر المحبوب التعجب عليه بأباده وهذا يقرر جميع ماوردت به الأخبار من الرضا في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتفريط عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في إنشائه وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان في الشيئية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى. به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال إنما جميعا منه من غير انقراق في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه فالأولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم والقدر سر الله فلا تشوشوه (١) وذلك يتعلق بلم للكافة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الحق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت للعاصي مع أنها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الترض من غير حاجة إلى كشف السر فيه وهذا يعرف أيضا أن الغناء بالضرورة واللصقة من العاصي وسائر الأسباب اللعنة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى فإن الله تعبد العباد بالغناء ليمتخرج الغناء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزاج اللطف كما أن حل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب ربه مسببا لأحباب فيبذل ذلك الغناء سبب ربه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا أن العكس بالأحباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل وإستعانة في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلاء معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض. وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم جاز أي في معرض الشكوى وذلك في الصيف فأما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الأطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن مدامة الصنة منعمة للصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء وحنة واليأس هم وتعب والاحتراف كد ومشتقة كل ذلك قاذف في الرضا بل ينبغي أن يعلم التدبير لمدرة والملكمة لما لهما وقول بقاء الله عز وجل رضى الله عنه لا إلى أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي.

البطل وحديث أسألك الرضا بالغناء الحديث وغير ذلك (١) حديث القدر سر الله فلا تشوشوه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر وابن عدي في الكامل من حديث عائشة وكلاهما ضعيف.

فكيف زهد فيه وهو معه وعند فليس إلا طلب النفس وبطلان مواساة. يشير إلى الأقسام التي سبقت بها الأقسام وهذا لاطراد هدم قاعدة الاجتهاد والسكيب ولكن مقصود التشبي أن يقلل الزهد في عين التمدد بالزهد فلا يتبر به. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا رأيتم الرجل قد أوفى زهدا في الدنيا ومنطقا فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة وقدمى الله عز وجل الزاهد في عبادته في قصة قاريون فقال تعالى - وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير - قيل

(بيان أن القرار من البلاد التي هي مظان للعاصي ومذمتها لا يندفع في الرضا)

اعلم أن الضعيف قد يظن أن نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بطنه به الطاعون (١) يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه العاصي لأن كل واحد منهما قرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مغادرة البلد بمنظور الطاعون أنه لو قسح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء وبقي فيه الرضى مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا وضرا ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأخبار القرار من الزحف (٢) ولو كان ذلك للقرار من القضاء لما أذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل وإذا عرف للنهي ظهر أن القرار من البلاد التي هي مظان للعاصي ليس قرارا من القضاء بل من القضاء القرار عملا به من القرار منه وكذلك مذمة الواضع التي تدعو إلى العاصي والآسيب التي تدعو إليها لتفريع عن العاصي ليست مضمومة ليزال السالف الصالح يتأدب ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بشاره وإظهارهم ذلك وطاب القرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والترب فإريت بها شرا من بشاره وكيف قال هو بك تردى فيه فصة الله وتستصر فيه مصبة الله ولما قدم خرامان قيل له كيف رأيت بشاره قال ما رأيت بها إلا شرا غصيان أو تاجرا لهفان أو قارئا حيران ولا ينبغي أن تظن أن ذلك من النية لأنه لم يتعرض لشخص بينه حتى يستضر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة وقد كان مقامه يفداد يقرب استعداد القافلة ستة عشر يوما فكان يتصدق بستة عشر ديناراً لكل يوم دينار كفارة لقامه وقد ذم الرأقي جماعة كمر بن عبد العزيز وكب الأجار . وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له أن تسكن قال العراق قال فما تصنع ببلغي أنه ما من أحد يسكن العراق إلا قبض الله له قريناً من البلاد وذكر كب الأجار يوماً العراق فقال فيه تسعة أعشار الشرقي وفيه الداء الضال وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء فثلاثة أعشاره بالشام وعشرة بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كنا يوماً عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفي يتدبر بعبادة فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال بشاره فأعرض عنه وقال يا أيتها أحدم في زى الرهبان فإذا سألتاه أين تسكن قال في عسى الظلمة وكان بشر بن الحرث يقول مثال لتسجد يفداد مثال للتسجد في الحصى وكان يقول لا تختدوا بي في اللقائم ما من أراد أن يخرج فليخرج وكان أحمد بن حنبل يقول لو لا خلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي قبله وأين اختار السكنى قال بالتصوير . وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بشاره أهدم زاهد أو شرير شرير فهذا يدل على أن من يلى يهلكه تسكن فيها للعاصي ويقتل فيها الخير فلا عذر له في اللقائم بها بل ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى - ألم تسكن أرض الله واسعة قهاجروا فيها - فإن منعه عن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضياً بحاله مطمئن النفس إليه بل ينبغي أن يكون مزيج القلب منها قالا على العلوم - ربنا أخرنا من هذه القرية الظالم أهلها - وذلك لأن الظلم إذا هم تزل اليلاد ودمر الجميع وحمل الطامعين قال الله تعالى - واتقوا فتنة لا يصيبن الذين ظلموا منكم خاصة - فاذن ليس في شيء من أسباب قص الدين البتة رضا مطلق لإلّا من حيث إضاعتها إلى فعل الله تعالى فأما هي في نفسها فلا وجه لرضا بها محال وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل القامات الثلاث رجل يحب الموت فوق إلى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة الولي ورجل قال لا اختار شيئاً بل أؤذي

م الزاهدون . وقال سهل بن عبد الله العجلي ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا . وقيل في قوله تعالى - وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا - قيل عن الدنيا . وفي الخبر «الفناء أصناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم» وجاء في الأثر لا تزال الأكلة إلا الله تدفع عن البعاد سطوت الله ما لم يبالوا ما تمس (من دنياهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى : كذبهم لستم بها صادقين .

(١) حديث النهي عن الخروج من بلد الطاعون تقدم في آداب السفر (٢) حديث إن شبه الخروج

من بلد الطاعون بالقرار من الزحف تقدم فيه .

(يان حجة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم)

وقال سبيل: فأعمال البر كلها في موازين الزهاد ونواب زهدهم زيادة لهم . وقيل من معنى باسم الزهد في الدنيا فقد معنى بألف اخم محمود ومن معنى باسم الزفة في الدنيا فقد معنى باسمه بنوم . وقال السري الزهد ترك حظوظ النفس من جميع مآل الدنيا وجميع هذا الحظوظ المالية والجاهية وحس البرقة عند الناس وجب الهدنة والتأني وسئل الشبلي عن الزهد فقال الزهدة لأن الدنيا لا شيء والزهد في لشيء عفة . وقال بعضهم لما وأوا حارة الدنيا زهدنا في

عند الله قد ظهر له على مقداره عرف ماقلت فقال احملني إليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننظره
ليخرج إلينا من التيضة وكان يأوي إلى غيضة فيها سباع قال فرأينا وقد قلب فروة على ظهره فقلت
لأخي هذا أبو يزيد فانظر إليه فخطر إليه الفتي فصنع خرقاء فإذا هوميت فتعانوا على دفنه فقلت
لأخي يزيد ياسيدي نظره إليك فله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقاً واستكن في قلبه سر لم يشكف
له بوضعه فلما رأنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لأنه في مقام الضياء للريدين قتله ذلك.
ولما دخل الزنج البصرة قتلوا الأخص ونهبوا الأموال اجتمع إلى سكران خوانه قتلوا لوساكت الله تعالى
دفعهم فسكت ثم قال إن لله عباداً في هذه البلية لودعوا على الظالمين لم يصعب على وجه الأرض ظالم
الإمامات في ليلة واحدة ولكن لا يعلمون قبل لم ؟ قال لأنهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من إجابة الله
أشياء لا يستطيع ذكرها حتى قال ولوساكت أن لا يقيم الساعة لم يفتها وهذه أمور ممكنة في أنفسها
فمن لم يحط بشئ منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والإيمان بإمكانها فإن القدرة واسعة والفضل
عظيم وحجاب الملك ولللكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده لا ينقطع
لأغاية له ولذلك كان أبو يزيد يقول إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلق إبراهيم فأطلب
ما وراء ذلك فإن عنده فوق ذلك أمخافاً مضاعفة فإن سكنت إلى ذلك حجبك به وهذا بلاد مثلم
ومن هو في مثل حالهم لأنهم الأمثل فالأمثل . وقد قال بعض المارفين : كوشفت بأربعين جوراء
وأربعين يتساعين في الهواء عشرين ثياب من ذهب وفضة وجوهر يستشفي ويتثنى مهن . فظنرت
إلهم نظرة فزويت أربعين يوماً ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجبال ،
وقيل لي انظر إلى الهم قال فسجدت وغضت عيني في سجودي ثلاثاً انظر إليهم وقلت أعوذ بك
بمساوئك لأحاجة لي بهذا فلم أزل أنضرج حتى صرقتني الله عني . فأمثال هذه للكشافات لا ينبغي
أن يشكرها المؤمن لإفلاسه عن مثلها فقولم يؤمن كل واحد إلا بما يشاهده من نفسه الظلمة وقلبه
القاسي لثاق جمال الإيمان عليه بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونبل مقامات كثيرة
أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الأعمال ظاهراً وباطناً ، ثم
مكاشفة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصناً بحسن الجوار فلهذا وأوال سلوكهم وأول مقاماتهم
وهي أعز موجود في الأشياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات إلى الخلق فيض
عليه نور اليقين وينكشف له مبادئ الحق وإنكار ذلك دون التجربة وسواك الطريق يجري
يجري إنكار من أنكر إمكان انكشاف الصورة في الجديدة إذا شككت وتثبت وصقلت وصوررت
بصورة المرآة فظنر للسكر إلى ماقي يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والحيث وهو
لا يحكي صورة من الصور فأنكر إمكان انكشاف اللزقي فيها عند ظهور جوهرها وإنكار ذلك
غاية الجهل والضلال فهنا حكم كل من أنكر كرامات الأولياء إذ لا مستند له إلا قصوره عن ذلك
وقصور من رآه وبشر للمستند ذلك في إنكار قدرة الله تعالى بل إنما يتم روايح للكشافة من
سلك حينا ولو من مبادئ الطريق كما قيل **يا أي شيء بلغت هذه اللزقة** قال كنت أكرم الله
تعالى حالي مناه أسأله أن يكلمني على وعني أمرى . وروى أنه رأى الخضر عليه السلام ، قال له
ادع الله تعالى لي ، قال يسر الله عليك طاعته . قلت : زدني قال وسرها عليك ، فقبل معناه
سرها عن الخلق ، وقبل معناه سترها منك حتى لا تلتفت أنت إليها . وعن بعضهم أنه قال ألقني
الشوق إلى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يريني إليه ليعلمني شيئاً كان أهم الأعيان
علي . قال فرأيتني فما غلب علي هي ولا هي إلا أن قلت له يا أبا الباس على شيئاً إذا قلت حينئذ
قلوب الخليفة فلم يكن لي فيها قدر ولا يرفي أحد يصالح ولا ديانة ، فقال قل : اللهم اميل علي كشف

زهدم في الدنيا
لها ما عندم عندم
أن الزهد في الزهد
غير هذا وإنما الزهد
في الزهد بالخروج من
الاختيار في الزهد لأن
الزهد اختيار الزهد
وأرادهم وإرادته تمتد
إلى عليه وعلته قاصي
فإذا أتيت في مقام ترك
الإرادة وانسلخ من
اختياره كاشفه الله
تعالى بمراده فيترك
الدنيا عدا الحق لا يبراد
نفسه فيكون زهد
بالله تعالى حينئذ أو
بلم أن مراد الله منه
التبليس بشيء من
الدنيا فيما يدخل إليه
في شيء من الدنيا
لا يقص عليه زهد
فيكون زهدوه في

سترك وحط على سرادقات حبيبك واجبني في مكنون عيبك واحبيني عن قلوبك خلقك قالته غاب
 فلم أري ولم أعتق إليه بعد ذلك فازلت أقول هذه الكلمات في كل يوم فكني أنا صغر حيث كان يستدل
 وعين حتى كان أهل القبة يستخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الأحياء لهم لسقوطه عندهم
 وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذلك هو فنهكذا حال أوليائه الله
 تعالى في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا للزورون إنما يطلبونهم تحت الرقعات والطالبات في الشهورين
 بين الخلق بالملم والورع والرياسة وغيره الله تعالى في أوليائه تأتي الإخفاء كما قال تعالى : أوليائي
 تحت قباني لا يعرفهم غيري ، وقال صلى الله عليه وسلم : ربي أشمت أغربى بطمرين لا يؤبه له لأقسام
 على الله لأمره (١) وبالجملة فأبعد القلوب عن مشاهد هذه المآل القلوب للتكبر للعبية بأغصا البتيرة
 بعلمها وعلمها وأقرب القلوب إلى القلوب للتكبر المستشرة ذلك نفسا استشارا إذا ذلل وانضم
 لم يحس بالذل كما لا يحس المبدأ بالذل مهما ترفع عليه مولاه فإذا لم يحس بالذل ولم يشعر بأضامه انغمس
 إلى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلا في حقه بل يرى قصودون
 ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذات فمثل هذا القلب يرجى له أن يستنشق مبادئ هذه الروائح
 فان قدنا مثل هذا القلب وحرمانا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الايمان بإمكان ذلك لأهله فمن
 لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن عبدا لأولياء الله مؤمنانهم فبني أن يخرجهم من أحب وجه
 لهذا ما روي أن عيسى عليه السلام قال ليني إسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال عني أقول
 ليك لا تنبت الحسكة إلا في قلب مثل التراب ولقد انتهى للريدون لولاء الله تعالى في طلب شروطها
 بالذلال النفس إلى منتهى الضعة والحسنة حتى روي أن ابن الكريبي وهو أستاذ الجند دعا رجلا إلى
 طعام ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله في الرقابة ففسأله عن
 ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فيطرده ثم يدعى فيدعى
 له عظم فيعود ولورددني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت وهذه أيضا أنه قال زلت في محلة
 ففرت فيها بالصالح ففتشت على قلبي قد دخلت الحمام وعدلت إلى ثياب باخرة فسرقتها ولبستها لم يست
 مرتبتي فوقها وخرجت وجلت أمشي قليلا قليلا فلهقوني فزغوا مرتبتي وأخذوا الثياب وضعوني
 وأوبصوني ضربا فصررت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فكنت تسمى فهكذا كانوا يروضون أنفسهم
 حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس فان التفتت إلى نفسه محبوب عن
 الله تعالى وعفاه بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وغفل حائل وإنما بعد
 القلوب ففعلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب غفل النفس ، ولذلك حتى أن شاهدا عظيم القدر من
 أعيان أهل بسطام كان لا غارق مجلس أبي يزيد ، قال له يوما أنا منذ ثلاثين سنة أسوم الدهر
 لأفطر وأقوم الليل لأنام ولا أجد في قلبي من هذا الم الذي تذكر شيئا وأنا أصدق به وأجبه ،
 فقال أبو يزيد ولوصمت ثلثة سنة ولقت ليلها ما وجدت من هذا ذرة . قال ولم ؟ قال لأنك محبوب
 بنفسك قال فلماذا دوام ؟ قال نعم قال قلبي حتى أعمله قال لأجبه ، قال فاذكره لي حتى أعمل قال
 اذهب الساعة إلى الزين فاحلق رأسك ولبسك ولبسك ولبسك ولبسك ولبسك ولبسك ولبسك ولبسك ولبسك
 عجلة محمودة جزوا واجمع الصبيان حواك وقل كل من مفعني صفة أعطيت جوزة وادخل السوق
 وطف الأموال كلها عند الشهود وعند من يتركه وأنت على ذلك قال الرجل سبحان الله يقول
 لي مثل هذا فقال أبو يزيد فوكم سبحان الله شرك قال وكيف ؟ قال لأنك عظمت نفسك فسيحها

(١) حديث رب أشمت أغرب بطمرين مسلم من حديث أبي هريرة . وقد قدم .

الثاني من الدنيا بالله
 وبإذن منه زهدنا
 في الزهد والزهد
 في الزهد استوى عنده
 وجود الدنيا وعدمها
 إن تركها تركها بالله
 وإن أخذها أخذها
 بالله وهذا هو الزهد في
 الزهد وقد رأينا من
 العارفين من أقبح في
 هذا المقام . وفوق هذا
 مقام آخر في الزهد هو
 لمن رزق الحق إليه
 اختياره لسمعة طه
 وطهارة نفسه في مقام
 البقاء في زهد زهدنا
 ثالثا ويترك الدنيا بعد
 أن يكن من ناصيتها
 وأبعدت عليه
 موهبة ويكون تركه
 الدنيا في هذا المقام
 باختياره واختياره

وما سمعت ربك قال هذا لأتفه ولكن دلتني على غيره قال ابتدئ بهذا قبل كل شيء وقال لا يطيقه قال قد قلت لك إنك لا تقبل فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره إلى نفسه ومرض بنظر الناس إليه ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي أن يشكر إمكان الشفاء في حق من دأوى نفسه بعد المرض أو لم يعرض بمثله هذا الأرض أصلاً فأقل درجات الصفة الإيمانية بأكملها يقول لمن حرم هذا القدر القليل أيضاً وهذه أمور جليلة في الشريعة واضحة وهي مع ذلك مستبينة ضد من يعد نفسه من علماء الشريعة قد قال عليه السلام «لا يستكمل الجسد الإيمان حتى تكون قلة الشيء أحب إليه من كثرتة وحتى يكون أن لا يعرف أحب من أن يعرف» وقد قال عليه السلام «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يراى بشيء من عمله وإذا عرض عليه أمران أحدهما قدينا والآخر للأخرة أترأى أمراً للأخرة على الدنيا» وقال عليه السلام «لا يكمل إيمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق وإذا رضى لم يدخله رضاء في باطل وإذا قدر لم يتناول ما ليس له» وفي حديث آخر «ثلاث من أوتهن قد أوتى مثل ما أوتى آل داود العدل في الرضا والنضب والقصد في التقي والفقر وخشية الله في السر والعلانية» فلهذه الشروط ذكرها رسول الله ﷺ الأولى الإيمان فالجيب بمن يدعى علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علو عقله أن يجد ما لا يكون إلا بعد مجاوزة مقامات عظيمة عليه وراء الإيمان ، وفي الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليه السلام أن لا يتخذ خلق من لا يغتر عن ذكرى ولا يكون له هم غيرة ولا يؤثر على شئ من خلق وإن حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وإن قطع بالناشير لم يجد لمس الحديد ألماً ، فمن لم يبلغ إلى أن ضل عليه الحب إلى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الإيمان ومقامات الإيمان وتفاوتها في الزيادة والنقصان لا حصر له وذلك قال عليه السلام للصدوق رضي الله عنه «إن الله تعالى قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن به من أمق وأعطاني مثل إيمان كل من آمن به من ولد آدم» وفي حديث آخر «إن الله تعالى ثلاثة خلق من قبه خلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يارحوم الله هل في منها خلق قال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء» وقال عليه السلام

من اختيار الحق قد
يغترى تركها حيناً تأسياً
بالأنبياء والصالحين
ويرى أن أخذها في
مقام الزهد رفق أدخل
عليه موضع صفته عن
ذلك عاوا الأقوياء من
الأنبياء والصديقين
فيترك الأرق من الحق
بالحق للحق وقد يتناول
باعتباره رقاً بالنفس
بتدبير يسوع فيه
صريح الصلح وهذا
مقام التصرف لأقوياء
الدارين زهدوا ثالثاً
بالله كما رغبوا ثانياً بالله
كما زهدوا أولاً .
[قبلهم في الصبر]
قال سهل: الصبر انتظار
الفرج من الله وهو
أفضل الحمد أو أصلاً .
وقال بعضهم : الصبر

(١) حديث لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرتة وحتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طلحة وعلى هذا فهو . فضل فضل ابن أبي طلحة إنما سمع من التائبين ولم أجده أصلاً (٢) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وفيه سالم الرامزي نحوه ابن معين والنسائي ووجه ابن حبان واسم أبيه الواحد (٣) حديث لا يكمل إيمان البعد حتى يكون فيه ثلاث خصال إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق الحديث الطبراني في الصغير بلغز ثلاث من أخلاق الإيمان وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاث من أوتهن قد أوتى ما أوتى آل داود العدل في الرضا والنضب غريب بهذا اللفظ وللرؤف ثلاث منجيات قد كرهن بنحوه وقد تقدم (٥) حديث إنه قال للصدوق إن الله قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن به من أمق الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية الحارث الأصور عن علي مع تقدم وتأخير والحارث ضعيف (٦) حديث إن الله تعالى ثلاثة خلق من قبه خلق منها مع التوحيد دخل الجنة الطبراني في الأوسط من حديث أنس مرفوعاً عن الله خلق بسمه عشر وثلاثة خلق من جاء خلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة ومن حديث ابن عباس الإسلام ثلاثة شريفة وثلاث عشرة شريرة

« رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمي في كفة فرجعت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمي فوضعت في كفة فرجع بهم (١) » ومع هذا كله قد كان استراق رسول الله صلى الله عليه وسلم باله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للحظة مع غيره فقال « لو كنت متخذًا من الناس خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى (٢) » يعني نفسه .

(خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تصاق بالحبة ينتفع بها)

قال **سفيان** : الحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره مدوا اليه كرو وقال غيره إظهار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله إشارة إلى ثمرات الحبة فأما نفس الحبة فلم يرضوا لها ، وقال بعضهم الحبة معنى من المحبوب ظهر للقلوب عن إدراكه وتمتع الألسن عن عبارته ، وقال **الخطيب** : حرم الله تعالى الحبة على صاحب العلاقة وقال كل حبة تكون بوضو فإذا زال العوض زالت الحبة وقال **فيكون** قل لمن أظهر حبه إلى غيره أن يذلل لغير الله وقيل للشئ ربه الله صف لنا العارف والمحب فقال العارف إن تكلمت هلك والمحب إن سكث هلك وقال **الخطيب** رحمه الله :

يا أيها السيد العسكرم
يارافع النوم عن جنوبي
هبت لمن يقول ذكرت إلى
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا
فأحيا بالني وأموت شوقا
شربت الحب كأسا بدمكاس
فليت خياله نصب ليسني
حيك بين الحشا مقيم
أنت بما مر بي طليم
وهل أنسى فأذكر مانسيت
ولولا حسن ظني ما حبيت
فكم أحيا عليك وتم أموت
لما تعد الشراب وما رويت
فان قصرت في نظري حميت

وتبره :

وقالت رابعة **الندوية** يوما من بدنا على حيننا قالت خادمة لها حيننا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال **ابن الجلاء** رحمه الله تعالى أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إن إذا اطلعت على سر عبد فلم أجده فيه حب الدنيا والآخرة ملائمة من حبي وتوليته عطفني وقيل تكلم بمنون يوما في الحبة فإذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل يقر بتمتاره الأرض حتى سال الله منه فبات وقال **إبراهيم بن محمد** : إلهي إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بموضة في جنب ما كرمته من محبتك وأنت في ذلك كرك وفرضني للتفكر في عظمتك . وقال **السري** رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا باطاش والأحق يذو وروح في لاشي والمال عن عبويه فاش وقيل **للحبة** كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم قالت والله إنني لأحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال الرضا عن الله تعالى والحب له وقال **أبو بكر** : **الحب** لأحب الدنيا ولا الآخرة إنما يحب من مولاه مولاه وقال **الشيخ** **الحب** دهش في الفتوة حرة في تعظيم وقيل الحبة أن تمحو أثرك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك إليك وقيل الحبة قرب القلب من المحبوب بالانتشار والفرح وقال **الحواص** الحبة هو الإرادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن الحبة فقال

وفيه وفي الكبير من رواية **للقيرة** بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه بلفظ الإيمان والبراز من حديث **عثمان بن عفان** إن لله تعالى مائة وسبع عشرة شربة الحديث وليس فيها كلها تعرض لسؤال أبي بكر وجوابه وكلها ضئيلة (١) حديث رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمي في كفة فرجعت بهم الحديث أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث لو كنت متخذًا من الناس خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً الحديث متفق عليه وقد تقدم.

أن صبر في الصبر
أي لا تطالع فيه
الفرج . قال الله تعالى
سوالصبرين في البأساء
والفراء . وحين البأس
أولئك الذين صدقوا
وأولئك هم المتقون .
وقيل : لكل شيء
جوهر وجوهر الإنسان
القل والجوهر العقل
الصبر فالصبر عرك
النفس والعرك تلين
والصبر جار في الصابر
يجري الأنفاس لأنه
يحتاج إلى الصبر عن
كل شيء ومسكروه
ومدوم ظاهر أو باطنا
والسلم يدل والصبر
يقول ولا تنفع دلائل العلم
غير قبول الصبر ومن
كان السلم سائله في
الظاهر والباطن لا يتم

عطف الله قلب عبده لمشاهدته بند القرم المراد منه وقيل معاملة الحب على أربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة لأن هاتين للترتين يقيان مع أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرها وقال هرم بن حيان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل عليه وإذا وجد جلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بين الفترة وهي تحسبه في الدنيا وتروحه في الآخرة . وقال عبد الله بن محمد صحت أسراة من التبيدات يقول وهي يا كفو الدمع على خداه جاريته الله لقد شمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لأشترته شوقا إلى الله تعالى وجبال القامات قلقت لها فلي تنة أنت من حملك قالت لا ولكن لحي إياه وحسن ظني به افتراه بعدي وأنا أحبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لو يعلم اللدبرون حتى كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وحوقي إلى ترك معاصيهم لما تروا شوقا إلى وتقطعت أوصالهم من حقي يا داود هذه إرادتي للدرين حتى فكفهم إرادتي للقليلين حتى يا داود أخرج ما يكون البعد إلى إذا استخني عني وأرحم ما أكون بعدي إذا أدر عني وأجل ما يكون عندي إذا رجعت إلى وقال أبو خالد الصغار لقي نبي من الأنبياء عابدا فقال له إنكم معاشر العباد تعملون على أمر لنا مبشر الأنبياء نعمل عليه أتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق . وقال الشبل رحمه الله أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود كرى لذا كرى بن وجنى المعطين وزياري للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضى فضله ومن اشتاق إليه جد في مسيره وكان الخواص رحمه الله يضرب على صدره ويقول واشوقه لمن يراني ولا أراه . وقال الجليلي رحمه الله بكى بونس عليه السلام حتى حمى وقام حتى اتحنى وصلى حتى أقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك غير من نار لخصت إليك شوقا مني إليك وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال العرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والمحبة أساس الشوق مركبه وذكر الله أنيس والثقة كزبي والحزن رفيق والعلم سلاح الصبر رداي بالرضا ضيق والمعجز غري والزهدي رفيق واليقين قوق والصدق غنيمى والطاعة حي والجهد خلق وقرة عيني في الصلاة (١) وقال ذو النون سبحان من جعل الأرواح جنودا مجندة فأرواح المارقين جليلة قسمة فذلك اشتاقوا إلى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فذلك غنوا إلى الجنة والنافلين هوالة فذلك مالوا إلى الدنيا . وقال بعض المشايخ عريت في جبل السكام رجلا اسمه اللؤن ضعيف البدن وهو يقفز من حجر إلى حجر ويقول :

الشوق والهوى صيران كما ترى

وقال الشوق نار الله أفعلى قلب وألها حتى عرق بها فاني قلوبهم من الجواطر والارادات والموارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والأنس والشوق والرضا فلتعبر عليه والله اللوفق للصواب ثم كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس يتلو كتاب الثنية والإخلاص والصدق .

(كتاب الثنية والإخلاص والصدق)

(وهو الكتاب السابع من ربيع النجاة من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بسم الله حمد الشاكرين وتوهم به إيمان اللواتين وهو بوحدة الله إقرار الصادقين وشهد أن لا إله

(١) حديث علي بن أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال العرفة رأس مالي والعقل أصل ديني الحديث ذكره القاضي عياض من حديث علي بن أبي طالب ولم أجده إسنادا .

(كتاب الثنية والإخلاص والصدق)

ذلك له إلا إذا كان الصبر مستقرة وممكنة والعلم والصبر متلازمان كالرفح والجسند لا يستقل أحدهما بدون الآخر وتفضلزها التفرقة العقلية وهما متقاربان لا اتحاد مستندهما وبالصبر يتخامل على النفس والعلم يثري الزوج وهما التزوج والفرقان بين الروح والنفس ليستقر كل واحد منهما في مستقره وفي ذلك صريح العدل ومحة الاعتدال وباقصا لأحدهما عن الآخر أعني التزوج والصبر قبل أحدهما على الآخر أي الثمن والزوج ويبان ذلك بدق وناهيك بحرف

إلا إله رب العالمين وخالق السموات والأرضين ومكلف الجن والأنس وللأنبياء والمرسلين آية جده
عادة المخلصين فقال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - فاعلموا إلا الله رب العالمين
للذين .. فانه أفضى الأغنياء عن شركة للشاركين والصلاة على نبيه محمد جده المرسلين وعلى جميع
الطيبين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

[illegible]

(بيان فضيلة النية)

قال الله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالهداية والشيء يريدون وجهه والذين أتوا بك الإبراهيمية النية وقال **﴿١﴾** «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة أو مال فمما هجرته إلى ما هاجر إليه **﴿٢﴾**» وقال صلى الله عليه وسلم «أكثر شهداء أمي أصحاب الفرس ورب قتيل بين الصفيين أهدأ عليهم بيته **﴿٣﴾**» وقال تعالى - إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهم - فبعمل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم **﴿٤﴾**» وإعنا نظر إلى القلوب لألها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم «إن أئمة ليعمل أعمالا حسنة فتصعد للأئمة في مصف خضعة تخلف بين يدي الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة فإنه لم يرد بها فيها وجهي ثم ينادي للأئمة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون ياربنا إنه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول الله تعالى إنه نواه **﴿٥﴾**» وقال صلى الله عليه وسلم «الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو أتاني الله تعالى مثل ما آتاه عملت كما يعمل في مالي الأجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤت علما فهو يتخطب بجهله في ماله فيقول رجل لو أتاني الله تعالى مثل ما آتاه عملت كما يعمل في مالي الوزر سواء **﴿٦﴾**» ألا ترى كيف شرکه بالنية في حسان عمله

(١) حديث: إنما الأعمال بالنيات الحديث متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث: أكرم شهيداً من أصحاب القرى ورب قبل بين الصفيين الله أعلم بيته أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن هبة (٣) حديث: إن الله لا ينظر إلى صوركم أموالكم الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث: إن العبد ليعمل أعمالاً حسنة تصعد بها لللاصقة الحديث الباقى من حديث أنس بإسناد حسن (٥) حديث: الناس أربعة رجل آتاه الله علماً ومالاً الحديث ابن ماجه

الصبر قوله تعالى :
 يوفى الصابرون أجرهم
 بغير حساب - كل أجبر
 أجره حساب وأجر
 الصابرين بغير حساب.
 وقال الله تعالى لنبيه :
 - واصبر وماصبرك
 إلا بالله - أضاف الصبر
 إلى نفسه لفترقه
 مكانه وتكمل العتبة
 ٥ . قيل وقف رجل
 على الشبي فقال أها
 صبر أعبد إلى الصابرين
 فقال الصبر في الله قال
 لا فقال الصبر في الله قال
 فقال الصبر مع الله
 فقال لا فغضب الشبي
 وقال وجك أي شيء
 هو فقال الرجل الصبر
 من الله قال فصرح
 الشبي صرخة كأد أن
 تلف روحه وضدي

ومساويه وكذلك في حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال «إن بالمدينة أقواما ما قطنوا واديا ولا وطئوا موطئا يخط الكفار ولا ألقوا ثقاة ولا أمانا غصصة إلا تبرؤوا مني في ذلك يوم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا بمعانق حبسهم المذنب ذكر الحسن النية (١) وفي حديث ابن مسعود «من هاجر يبتغي شيئا فهو له هاجر رجل تزوج امرأته فكان يسمى مهاجرا مقيس (٢) وكذلك جافق الحبر وإن جلاقت في سبيل الله وكان يدمي قتيلا الجار (٣) لأنه قاتل رجلا يأخذ سلبه وسحاره قتل على ذلك فأضيف إلى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم «من غزا وهو لا يذوي إلا عقلا لله ما يوي (٤) وقال أبي «استنحت رجلا يخرس قاتل لاسحق فعمل لي جلا فعملت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له (٥) وروى في الإسرائيليات أن رجلا مريكان من رمل في جماعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طمانا قسمت بين الناس فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له إن الله تعالى قد قيل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طمانا فصدقت به ، وقد ورد في أخبار كثيرة «من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة (٦) وفي حديث عبد الله بن عمرو «من كانت الدنيا نيته جعل الله قهره بين عينيه وفارقه أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى في قلبه وجمع عليه شيت وفارقه أزهد ما يكون فيها (٧) وفي حديث أم سلمة «أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم اليباء قتلت بإرسول الله يكون فيهم للكره والأجير فقال يحشرون على نياتهم (٨) وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنما يقتل القتاتون على النيات (٩) وقال عليه السلام «إذا اتى الصفان زلت لللائكة تكسب الخلق على مراتبهم فلان يقال للدنيا فلان يقال جنة فلان يقال عصية ألا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لشكون كلمة الله

في معنى الصبر عن الله
وجاءوا لكونه من أحد
الصبر على الصابرين
وجه وذلك أن الصبر
عن الله يكون في أقصى
مقامات الشاهدة روح
العبد عن الله استعلاء
وإحسان لا وتطبق
بصرته خيال وفؤادنا
وتغيب في مغاور
استكاثته وخفيه
لأحسانه بطلب امر
التجلى وهذا من أكد
الغيب لأنه يواستدامة
هذا الحال قادية لخلق
الجلال والروح نودان
تسكهم بصيرتها
بانتلصاع نور الجمال
وكان أن النفس منازعة
ليوم حال الصبر
فالروح في هذا الصبر
منازعة فاقبض الصبر

من حديث أبي كبشة الأعمري بسند جيد بلفظ مثل هذه الأمة ككل أربعة نفر الحديث وقد تقدم ورواه الترمذي بزيادة وفيه وإتباع الدنيا لأربعة نفر الحديث وقال حسن صحيح (١) حديث أنس بن مالك «إن بالمدينة أقواما ما قطنوا واديا ولا وطئوا موطئا يخط الكفار ولا ألقوا ثقاة ولا أمانا غصصة إلا تبرؤوا مني في ذلك يوم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا بمعانق حبسهم المذنب ذكر الحسن النية (٢) وفي حديث ابن مسعود «من هاجر يبتغي شيئا فهو له هاجر رجل تزوج امرأته فكان يسمى مهاجرا مقيس (٣) وكذلك جافق الحبر وإن جلاقت في سبيل الله وكان يدمي قتيلا الجار (٤) لأنه قاتل رجلا يأخذ سلبه وسحاره قتل على ذلك فأضيف إلى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم «من غزا وهو لا يذوي إلا عقلا لله ما يوي (٥) وقال أبي «استنحت رجلا يخرس قاتل لاسحق فعمل لي جلا فعملت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له (٦) وروى في الإسرائيليات أن رجلا مريكان من رمل في جماعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طمانا قسمت بين الناس فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له إن الله تعالى قد قيل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طمانا فصدقت به ، وقد ورد في أخبار كثيرة «من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة (٧) وفي حديث عبد الله بن عمرو «من كانت الدنيا نيته جعل الله قهره بين عينيه وفارقه أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى في قلبه وجمع عليه شيت وفارقه أزهد ما يكون فيها (٨) وفي حديث أم سلمة «أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم اليباء قتلت بإرسول الله يكون فيهم للكره والأجير فقال يحشرون على نياتهم (٩) وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنما يقتل القتاتون على النيات (١٠) وقال عليه السلام «إذا اتى الصفان زلت لللائكة تكسب الخلق على مراتبهم فلان يقال للدنيا فلان يقال جنة فلان يقال عصية ألا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لشكون كلمة الله من حديث أبي كبشة الأعمري بسند جيد بلفظ مثل هذه الأمة ككل أربعة نفر الحديث وقد تقدم ورواه الترمذي بزيادة وفيه وإتباع الدنيا لأربعة نفر الحديث وقال حسن صحيح (١) حديث أنس بن مالك «إن بالمدينة أقواما ما قطنوا واديا ولا وطئوا موطئا يخط الكفار ولا ألقوا ثقاة ولا أمانا غصصة إلا تبرؤوا مني في ذلك يوم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا بمعانق حبسهم المذنب ذكر الحسن النية (٢) وفي حديث ابن مسعود «من هاجر يبتغي شيئا فهو له هاجر رجل تزوج امرأته فكان يسمى مهاجرا مقيس (٣) وكذلك جافق الحبر وإن جلاقت في سبيل الله وكان يدمي قتيلا الجار (٤) لأنه قاتل رجلا يأخذ سلبه وسحاره قتل على ذلك فأضيف إلى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم «من غزا وهو لا يذوي إلا عقلا لله ما يوي (٥) وقال أبي «استنحت رجلا يخرس قاتل لاسحق فعمل لي جلا فعملت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له (٦) وروى في الإسرائيليات أن رجلا مريكان من رمل في جماعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طمانا قسمت بين الناس فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له إن الله تعالى قد قيل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طمانا فصدقت به ، وقد ورد في أخبار كثيرة «من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة (٧) وفي حديث عبد الله بن عمرو «من كانت الدنيا نيته جعل الله قهره بين عينيه وفارقه أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى في قلبه وجمع عليه شيت وفارقه أزهد ما يكون فيها (٨) وفي حديث أم سلمة «أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم اليباء قتلت بإرسول الله يكون فيهم للكره والأجير فقال يحشرون على نياتهم (٩) وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنما يقتل القتاتون على النيات (١٠) وقال عليه السلام «إذا اتى الصفان زلت لللائكة تكسب الخلق على مراتبهم فلان يقال للدنيا فلان يقال جنة فلان يقال عصية ألا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لشكون كلمة الله

هي العليا فهو في سبيل الله (١) وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يمت كل عبد على مامات عليه» (٢) وفي حديث الأحنف عن أبي بكره: «إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فبأى القاتل؟ قال لأنه أَرَادَ قتل صاحبه» (٣) وفي حديث أبي هريرة: «من تزوج امرأة على صداقي وهو لا ينوي أدائه فهو زان ومن أذن ديناً وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم: «من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أثنى من الحيفة» (٥).

وأما الآثار: فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل الأعمال أداء ما اقترضت على الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصديق النية فيما عند الله تعالى، وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز: أعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن ثبت نيته تم عون الله له وإن قصت هوى يقدره. وقال بعض السلف: رب عمل صغير ينظمه النية ورب عمل كبير يفسده النية. وقال داود الطائي البرهمة التقوى فلو خلقت جميع جوارحه بالدين لردته نيته يوماً إلى نية سالمة وكذلك الجاهل بعكس ذلك. وقال الثوري: كانوا يطمعون النية للعقل كما يطمعون العمل. وقال بعض العلماء: اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تتوى الخير فأنت خير، وكان بعض الرديين يطوف على العلماء يقول من يدني على عمل لا أزال فيه عالماً بالله تعالى فاني لأحب أن يأتي على ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا حامل من محال الله قليله له قد وجدت حاجتك فأعمل الخير ما استطعت فإذا قُرت أو تركته فهم يسمونه فإن الهام بعمل الخير كماله، وكذلك قال بعض السلف: إن نعمة الله عليكم أكثر من أن تحصوها وإن ذنوبكم أكثر من أن تملوها ولكن أصبحوا نوابين وأصبحوا نوابين بغير لكم ما بين ذلك. وقال عيسى عليه السلام: طوبى لمن نامت ولا هم بمصيبة أو تبتت إلى غير آثم. وقال أبو هريرة: يعيشون يوم القيامة على قدر نياتهم، وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ سورتي البقرة حتى يعلم المجاهد بن منسك والصابرين ويبلغ أخباركم - يكن ويردها ويقول: إنك إن بولت فاحتنا وحتكت أستاننا. وقال الحسن: إنما خلق أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات. وقال أبو هريرة: مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي فقليله كثير وما أريد به غيري فكثره قليل. وقال بلال بن سعد: إن العبد يقول قول مؤمن فلا بدعه الله عز وجل وقوله حق ينظر في عمله فإذا عمل لم بدعه الله حتى ينظر في ورعه فإن تورع لم بدعه حتى ينظر ماذا نوى فإن صلحت نيته فالجواب أن يصلح ما دون ذلك، فإذا نوى عماد الأعمال بالنيات فالعقل مفتوح إلى النية ليصير بها خيراً والنية في نفسها خير وإن تعذر العمل بما نوى.

(بيان حقيقة النية)

اعلم أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها

(١) حديث إذا التقى الصفان نزلت لللائكة تكتب الحلق على مراتبهم فلان قاتل فلاناً الحديث ابن المبارك في الزهد موقوفاً على ابن مسعود وآخر الحديث مرفوعاً في الصحيحين من حديث أبي موسى من قابل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في حيلة الله (٢) حديث جابر يمت كل عبد على مامات عليه رواه مسلم (٣) حديث الأحنف عن أبي بكره إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار متفق عليه (٤) حديث أبي هريرة من تزوج امرأة على صداقي وهو لا ينوي أدائه فهو زان أحمد بن حنبل صحيح ورواه ابن ماجه مقتصر على قصة الذين دون ذكر الصداق (٥) حديث من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الحديث أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة من حديث إسحق بن أبي طلحة مرسلاً.

عن الله تعالى ذلك.

وقال أبو الحسن بن

سالم م ثلاثة متصير

وصار وصار فالمتصير

من صبر في الله لفة

يصبر مرة. يجمع

والصابر من يصبر في

الله وقه ولا يجمع

ولكن توقع منه

الشكوى وقد يمكن

منه الجزع وأما الصابر

فذلك الذي صبره في

الله وقه والله فهذا لو

وقع عليه جميع البلايا

لا يزعج ولا يتغير من

جهة الوجود بل الحقيقة

لأن جسمه الرسم

والحقيقة وإشارته في

هذا ظهور حكم العلم

فيه مع ظهور حفة

الطبيعة. وكان

الشبل يشغل بهذين

البيتين:

أمران : علم وعمل العلم يقدمه لأنه أصله . وشروطه والعمل يتبعه لأنه ثمرة وفرعه وذلك لأن كل عمل
أشئ كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم إلا بثلاثة أمور : علم وإرادة وقدرة لأنه لا يريد الإنسان
ما لا يسهل فلا يريد وأن يعلم ولا يعمل ما لم يريد فلا يريد من : إرادة ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه
موافقا للغرض إما في الحال أو في المآل فقد خلق الإنسان بحيث يوافق بعض الأمور ويلازم غرضه
ويضاهيه بعض الأمور فيحتاج إلى جلب اللذات الموافقة إلى نفسه ودفع الضرر النافي عن نفسه فاستقر
بالضرورة إلى معرفة وإدراك الشيء للضرر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يضر
الغذاء ولا يضره لا يمكنه أن يتناول ومن لا يصير النار لا يمكنه الحرب منها خلق الله الهداية والغرفة
وجعل لها أسياها وهي الخواص الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغذاء وعرف
أنه موافق له فلا يكتفي ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل إليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه إذ
للرئيس يرى الغذاء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة واللبل ولقد دعا اله الحركة إليه
خلق الله تعالى له الليل والرغبة والإرادة وأعطى به زواجا في نفسه إليه وتوجها في قلبه إليه ثم ذلك
لا يكتفي فكم من مشاهد طعاما راغب فيه يريد تناوله عاجز عنه لسكونه زنا خلقت له القدرة
والأعضاء للحركة حتى يتم به التناول والمضغ لا يشترك إلا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة
والداعية تنتظر العلم واللعرفة أو الظن والاعتقاد وهو أن يغوي في نفسه كون الشيء موافقا له فإذا
جزمت المعرفة بأن الشيء موافق ولا بد وأن يفعل وسلمت عن ممارسة باعث آخر صارف عنه
انبثت الإرادة وتحقق الليل فإذا انبثت الإرادة انتهت القدرة لتحريك الأعضاء فالقدرة خاضعة
للإرادة والإرادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالتية عبارة عن الصفة للتوسعة وهي الإرادة والانبعاث
النفس بحكم الرغبة واللبل إلى ما هو موافق للغرض إما في الحال وإما في المآل فالحرك الأول هو
الغرض للطول وهو الباعث والغرض الباعث هو القصد للنوى والانبعاث هو التصديق والانبعاث
القدرة لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل إلا أن انبعاث القدرة للعمل قد يكون يباغث
واحد وقد يكون يباغثين اجتماعا في فعل واحد وإذا كان يباغثين فقد يكون كل واحد محبب لو انفرد
لكان مليا بالنباهة القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه إلا بالاجتماع وقد يكون أحدهما كافيا
لولا الآخر لكن الآخر انتهى غرضنا له ومعاوننا فيخرج من هذا القسم أربعة أقسام فلند كر لسكل
واحد مثلا وإسما : أما الأول فهو أن يفرد الباعث الواحد ويتجرد كما إذا هجم على الإنسان سبع
فكلما رآه قام من موضعه فلا مزج له إلا غرض الحرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه فصارا
فانبثت نفسه إلى الحرب ورغبت فيه فانتهت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال بينه القرار من
السبع لإني له في القيام لثبته وهذه النية تسمى بخالصة ويسمى العمل بموجبها إخلاصا بالإضافة إلى
الغرض الباعث ومعناه أنه خلص عن مشاركة غيره وبمخالجته . وأما الثاني فهو أن يجمع باعثن
كل واحد مستقل بالانبعاث لو انفرد ومثاله من الخسوف أن يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار
من القوة كان كافيا في الحمل لو انفرد ومثاله في غرضنا أن يسأله قديم الفقير حاجة فيقتضي الفقر وقراجه
وعلم أنه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وأنه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك
من نفسه بأنه يحضره قريب غنى قريب غنى فيضاهي حاجته وقدره أغني فيرضى أيضا في ذلك من
أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم أنه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك
الطعام حجة ولولا الحجة لكان يتركه لأجل أنه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فأقدم على الفعل وكان
الباعث الثاني رفيق الأول فلتسهم هذا مراقبة للباعث : والثالث : أن لا يستقل كل واحد لو انفرد

إن صوت الحب من
ألم الشوق
في وخوف الفراق
بورث ضرا
بماير الجبر فاستغاث
به الصبر
و فصاح الحب للصبر
صبرا
قال جعفر الصادق
رحمه الله أمر الله تعالى
أنبياءه بالصبر وجعل
الحظ الأعلى للرسول
صلى الله عليه وسلم
حيث يعمل صبره بالله
لا بنفسه . فقال
سواصبرك لا إلا بالله -
وسئل السري عن
الصبر فتكلم فيه فذهب
على وجهه عرق فجل
بفقره لم يتركه فقيل له لم
لا تدفعه ؟ قال أبغى
من الله تعالى أن أترككم

ولكن قوى مجموعهما على إيهاس القدرة ومثاق في المحسوس أن يتعاون ضميران على حمل ما لا يتفرد أحدهما به ومثاله في غرضنا أن يقصده قريبه الفنى قطاب درهما فلا يطيه ويقصده الأجنبى القبر قطاب درهما فلا يطيه ثم يقصده القريب القبر فيعطيه فيكون انبعاث داعية بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس بمرض الثوب ولقرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثوب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصديق عليه لكان لا يطيه مجرد الرياء على العطاء ولو اجتمعا أورتا بمجموعهما تحريك القلب ولنسب هذا الجنس مشاركة. والرابع: أن يكون أحد الباعثين مستقلا لو اتفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف إليه لم يتفك عن تأخير بالاعانة والتسويل. ومثاله في المحسوس أن يماون البصيف الرجل القوى على العمل ولو اتفرد القوى لاستقل ولو اتفرد البصيف لم يستقل فان ذلك الجملة يسول العمل ويؤثر في تخفيفه. ومثاله في غرضنا أن يكون للانسان ورد في الصلاة عادة في الصدقات فانفق أن يحضر في وقتها جماعة من الناس فصار القفل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من يقبه أنه لو كان منفردا خالما لم يفر عن عمله وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء عمله عليه فهو شوب تطرق إلى النية ولنسب هذا الجنس للمانة فالباعث الثاني إما أن يكون رفيقا أو شريفا أو بعينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والقرض الآن بيان أقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل إنما الأعمال بالنيات لأنها تابعة لإحكام لها في نفسها وإنما الحكم للبتوع.

(بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم: نية المؤمن خير من عمله (١))

اعلم أنه قد بين أن سبب هذا الترجيح أن النية سر لا يطلع عليه إلا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل البير فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لأنه لو نوى أن يذكر الله بقلبه أو يفتكر في مصالح المسلمين فيقتضى مجموع الحديث أن تكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد بين أن سبب الترجيح أن النية تدوم إلى آخر العمل والأعمال لا تدوم وهو ضعيف لأن ذلك يرجع معناه إلى أن العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا في لحظات معدودة والأعمال لا تدوم والمؤمن يقتضى أن تكون نية خيرا من عمله وقد يقال إن معناه أن النية بمجرد خيرا من العمل بمجرد دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد إذ العمل بالنية أولى الفعلة لا خيرا فيه أصلا والنية بمجرد خيرا وظاهر الترجيح للتشريع في أصل الخير بل النية أن كل طاعة منتظمة بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خيرا من العمل أى لكل واحد منهما أثر في القصد وأثر النية أكثر من أثر العمل لعمدة نية المؤمن من جملة طاعته خيرا من عمله الذى هو من جملة طاعته والقرض أن اللبند اختيارا في النية وفي الفعل فهما عملان والنية من الجملة خيرا فهذا معناه وأما سبب كونها خيرا ومرتجة على العمل فلا غم فيه إلا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق في الاتصال إلى القصد وقاض بعض الآثار باليمن حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى المقصود فن قال الخيرات خيرا من الفاكهة فاعلم معنى أنه خيرا بالإضافة إلى مقصود القوت والاعتناء ولا يهتم ذلك إلا من فهم أن القصد مقصد وهو الصحة والبقاء وأن الأغذية مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقاض بعضها باليمن (١) حديث: نية المؤمن خيرا من عمله الطبراني من حديث سهل بن سعد ومن حديث الثوراني ابن ميمان وكلاهما ضعيف.

في حال ثم: أخالف
ما أتاكم فيه: أخيرا
أوزرعة إجازة عن
أبي بكرين خلف إجازة
عن أبي عبد الرحمن
قال سمعت محمد بن خالد
يقول سمعت الفرغانى
يقول سمعت الجعيد
رحمه الله يقول إن الله
تعالى أكرم المؤمنين
بالإيمان وأكرم الأيمان
بالعمل وأكرم العقل
بالصبر فالإيمان كرم
للمؤمن والعقل كرم
للايمان والصبر كرم
للعقل وأنشد عن
إبراهيم الخواص
رحمته الله:

صبرت على: بعض
الأذى: خوف كنه
ودفعت عن: نفسى
لنفسي فخرت

وطاعات غداء للقلوب ، وللقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها ببقاء الله تعالى . فالقصد لغة السادة بقاء الله فقط ولن يتم بقاء الله إلا من مات عبدا لله تعالى طارفا بالله ولن يحبه إلا من عرفه ولن يأمن بربه إلا من طال ذكره له ، فالأمن يحصل بدوام الذكر وللعرفة تحصل بدوام الفكر ؛ والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر إلا إذا فرغ من خواخل الدنيا ، ولن يتفرغ من خواخلها إلا إذا انقطع عنه شهواتها حتى يسير مثالا إلى الخير مريدا له نافرا عن الشر منجبا له وإنما يميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أن سعادته في الآخرة منوط بها كما يميل المائل إلى القصد والحجامة لهله بأن سلامته فيها ، وإذا حصل أصل الليل بالمعرفة فأنما يقوى بالمثل بمقتضى الليل وللواظبة عليه فإن الواظبة على مقتضى صفات القلب وإرادتها بالمثل تجرى مجرى الغذاء والقوت تلك الصفة حتى ترشح الصفة وتقوى بسببها فالمائل إلى طلب العلم أو طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء إلا ضعيفا ، فإن أبعث مقتضى الليل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والأعمال للطاوعة لذلك تأكد ميله ورسخ وعصر عليه التزوع وإن خالف مقتضى ميله ضعف ميله . وانكسر وربما زال وانقطع بل الذي ينظر إلى وجه حسن مثلا فيجبل إليه طبيعة ميلا ضعيفا لونه وحمل يقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمهاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يفسد على التزوع عنه ، ولو قطع نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والنفاء من صفة الليل ويكون ذلك زبرا ودفعاً في وجهه حتى ينفذ وينكسر بسببه وينقم وينحى وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تراد بها الآخرة والشرور كلها هي التي تراد بها الدنيا والآخرة ، ويميل النفس إلى الخيرات الأخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للفكر وللذكر ولن يتأكد ذلك إلا بالواظبة على أعمال الطاعة وترك المعاصي بالجوارح لأن بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى إنه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو إذا أصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب إذا تألم به العضو يموت حزناً من أعزته أو بهجوم أمر يخوف تأثر به الأعضاء وارتعدت الفرائض وتغير اللون إلا أن القلب هو الأصل للتبوع فكأنه الأمير والراعي والجوارح كالخدم والراعي والاتباع ، فالجوارح خادمة للقلب يتأكد صفاتها فيه فالقلب هو للقصود والأعضاء آلات موصلة إلى للقصود ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد» (١) وقال عليه الصلاة والسلام «اللهم أصلح الراعي والرعية» (٢) وأراد بالراعي القلب . وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولدمائها ولكن يناله التقوى منكم - وهي صفة القلب ، فمن هذا الوجه يجب لامهالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ثم يجب أن تكون النية من جملة أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له . وغرضنا من الأعمال بالجوارح أن يسود القلب إرادة الخير ويؤكد فيه الميل إليه ليفرح من شهوات الدنيا ويكف عن الذكر والفكر بالضرورة يكون خيرا بالإضافة إلى الغرض لأنه متمكن من نفس للقصود ، وهذا كان للعدة إذا تأملت فقد تدأى بأن يوضع الطلاب على الصدر وتبدأوى بالتدرب والسواء الواجب إلى للعدة ، فالتدرب خير من طلاء الصدر لأن طلاء الصدر أيضا إنما يريد به أن يسرى منه الأثر

وجرحها للكروه

حتى تدرب

ولولم أجرحها لأن

لاعمأرت

أأرب ذلسال للنفس

عزة

وبارب نفس بالثذل

عزت

إذا ما بدت الكف

أنس النى

إلى شير من قال

أما لى فشلت

سأصير جهدى إن فى

الصبر عزة

وأرضى بدنيائى وإن

هى قلندر

قال عمر بن عبد العزيز

رحم الله ما أكرم الله

على عبد من نعمة ثم

انزعها فحاشى عما

انزع منه الصبر

إلا كان ملأه خيرا

(١) حديث إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد متفق عليه من حديث الثعلباني بن بشر

وقد تقدم (٢) حديث اللهم أصلح الراعي والرعية فقدم ولم أجده .

إلى المدة ، فما يلاقى عين المدة فهو خير وأرفع فهكذا ينبغي أن تفهم تأثير الطاعات كلها ، إذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها ، فمما يقطع دون الجوارح ، فلا تظن أن في وضع الجبهة على الأرض غرضاً من حيث إنه جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث إنه يحكم المادة يؤكد صفة التواضع في القلب فإن من يجد في نفسه تواضعاً ، فإذا استكان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ، ومن وجد في قلبه رقة على يقيم فإذا مسح رأسه وقبلة تأكدت الرقة في قلبه ، ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيداً أصلاً لأن من مسح رأس يقيم وهو غافل بقلبه أو ظان أنه يمسح نوا لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلاً وهو مشغول الهم بأعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعتها على الأرض أثر إلى قلبه بتأكيد به التواضع ، فكان وجود ذلك كدمه وما سواي وجوده عديمه بالإضافة إلى الترض للطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه إذا قل عن غفلة ، فإذا قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كدمه بل زاده شرافته لم يؤكد الصفة للطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة للطلوب فيها وهي صفة الرياء التي هي من الليل إلى الدنيا فهذا وجه كون النية خيراً من العمل ، وهذا أيضاً يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من هم بحسنة فلم يسملها كسبت له حسنة » لأن هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الموصى بحب الدنيا وهي طاعة الحسنات وإعمالها بالعمل يزيد بها تأكيدها فليس للتعود من إراقة دم القربان الدم والهم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبطلانها إثباتاً لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وإن غاب عن العمل عائق فلن يزال الله حلومها ولا دماؤها ولكن ياله التقوى منكم ، والتقوى ههنا أعني القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن قوما بالمدينة قد شركونا في جهادنا » كما تقدم ذكره لأن قلوبهم في صدق إرادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة وإعلامه كذا الله تعالى كغلوب الخارجين في الجهاد وإعمالهم قلوبهم بالبدن لموافق نفس الأسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تظم جميع الأحاديث التي أو ردها في فضيلة النية فأعرضها عليها ليتكشف لك أسرارها فلا تطول بالإعادة .

(بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية)

اعلم أن الأعمال وإن اتسمت بأسماء كثيرة فمن فعل وقول وحر وكسوك ونحوه وطلب ودفع وقصر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور إحصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة أقسام طاعات ومعاصي ومباحات . القسم الأول : المعاصي وهي لا تنبئ عن موضعها بالنية فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات » فيظن أن للصية تغلب طاعة بالنية كالذي يتناب انساناً امرأة قلب غيره أو يطعم فقيراً من مال غيره أو يبنى مدرسة أو مسجداً أو يباطل بمال حرام وقصد الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في إخراجها عن كونها ظلالاً وعدواناً ومضية بل قصد الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر ، فإن عرفه فهو معاند للشرع وإن جهله فهو حاس بجهله إذ طلب العلم فرصة على كل مسلم والمخيرات إنما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيراً جهات بل للزوج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن المحوى فإن القلب إذا كان ما لا إلى طلب الجاهل واستماله القلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به إلى التلبس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى : ما عصى الله تعالى بمسمة أعظم من الجهل ، قيل بل يا أحمده هل تعرف شيئاً أعظم من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لأن الجهل بالجهل يسد بالكيفية باب العلم فمن يظن بالكيفية بنفسه أنه عالم فكيف يعلم وكذلك أفضل ما أطبع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل

عما انزعجه منه وأشد

لسمعون :

تخرجت من حاله

نمى وأبوا

زماناً إذا أجرى عزابه

احلى

فتم خيرة دجرجتى

ككوسما

فجربها من بحر صبرى

أكوسا

تدرت صبرى

والتحفت صروفه

نقلت نفسى الصبر أو

فاهلكن أسى

خطوب لوان الشم

زاحمن خطبها

لسانت ولم أدرك لها

الكف ملصا

[قولهم في الفقر] قال

ابن الجلاء : الفقر أن

لا يكون لك فإذا كان

لك لا يكون لك حتى

تفر

ذَن من لا يعلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم إلى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنهيج فساد العالم وللقصود أن من قصد البحر بمصيبة عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد ميلة للتعليم ، وقد قال الله سبحانه - فاستأخوا أهل الله ذكر إن كنتم لاتعلمون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يضر الجاهل على الجهل ولا يجل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه » (١) ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تحرب العلماء السود بتعليم العلم السفهاء والأشرار للشغولين بأفقيع والتجور القاصرين همهم على مجارة العلماء ومباراة السفهاء واستمالا لوجوه الناس وجمع عظام الدنيا وأخذ أموال السلاطين والتماسي والسلاطين فان هؤلاء إذا تعلموا كانوا قاطع طريق الله وأنهم على واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجريه الناس بسبب مشاهدته على مناصي الله ثم قد ينكر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال جميعه يرجع إلى العلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصدته ومشاهدته أنواع المصاى من أقواله وأفعاله وفي مصامحه وميلسه ومسكنه فيموت هذا العالم ويبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلا وألفي سنة وطون لمن إذا مات مات معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول « إنما الأعمال بالنيات » وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في القصاد فالمصلحة منه لا منى وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير وإعما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلوم العلم بحسن ذلك في قلبه والشیطان بواسطة حب الرياسة ليس عليه وليب شعري ما جوابه عمن وهب شيئا من قاطع طريق وأعد له خيلا وأسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول إنما أردت الهدى والسعادة والتخلق بأخلاق الله الجلية وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله فان إعداد الخيل والرباط والقوة للفراسة من أفضل الفرائد فان هو صرفه إلى قطع الطريق فهو المصاى وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى ثلثة خلق من تقرب إليه يواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء » (٢) فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فاذا لاح له من هذه أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في جلب سلاحه لا أن يمد به غيره والمسلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء الله وقد صاوب به أعداء الله عز وجل وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا لدنياه على دينه ولهو له على آخرته وهو عاجز عنها ثقة فضله فكيف يجوز إمداده بنوع علم يمكن به من الوصول إلى شهواته بل لم يزل علماء السفسر حرم الله بغيره دون أحوالهم يتردد إليهم فهو رأوا منه قصيرا في قتل من التواكل أنسكروه وتركوا إكرامه وإذا رأوا منه فجورا واستجلال حرام هجره ونهوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لهم بأن من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر وقد تمود جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة وما توفدوا من الفاجر الجاهل . حتى عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يتردد إليه سنين ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تقريره عليه وهو

نؤثر . وقال الكثراني إذا سمع الاقتدار إلى الله تعالى صح التقى بالله تعالى لا سيما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر . وقال الثوري : ليست الفقهاء السكون عند العدم والبذل عند الوجود . وقال غيره : والاشتغال بالهوى عند الوجود . وقال الدرر الج فقتت كيف استأذى أريد بكيفية فوجدت فيها قطعة فحجرت ، فلما جاء قلت له : إنه وجدت في كيفك هذه القطعة . قال قد رأيتهما ردها ثم قال خذها وافترق بها عشتا فقتت : ما كان أمر هذه القطعة بحق معبودك فقال مارزقي

(١) حديث لا يضر الجاهل على الجاهل ولا يجل للجاهل أن يسكت على جهله الحديث الطبراني في الأوسط وابن السكيت وأبو نعيم في رياضة التلمذ من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله لا يضر الجاهل على الجاهل وقال لا يشين بدل ولا يجل وقد تقدم في العلم (٢) حديث إن لله ثلثة خلق من تقرب إليه يواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء تقدم في كتاب المحبة والشوق .

لا يذكره حتى قام، بل نى أنك طيفت، حافظ دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر سمك الطين وهو
أعق من شبرع للسدين فلا تصلح لنفل العلم فكذلك كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم وهذا
وأمثاله مما ينبس على الأغنياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالة والأحكام الواسعة وأصحاب
الأسنة الطويلة والفضل الكثير، أعني الفضل من الصاوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا
والترجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء إليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها إلى جمع
الحطام واستتباع الناس والتقدم على الأقوان فاذن قوله عليه السلام «إنما الأعمال بالنيات» يخص
من الأقسام الثلاثة بالطاعات والباحات دون العاصي إذ الطاعة تقبل معصية بالقصد والباح تقبل
معصية وطاعة بالقصد فأما المعصية فلا تقبل طاعة بالقصد أصلاً، نعم لنية دخل فيها وهو أنه إذا ناضف
إليها قصد خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة. القسم الثاني الطاعات
وهي مرتبطة بالنيات في أصل سمتها وفي تضاعف فضلها. أما الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى
لا غير فان نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فيكثرة النيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة
يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب. إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل
حسنة عشر أمثالها (١) كما ورد به الخبر ومثاله التعود في السجدة فانه طاعة ويمكن أن ينوي فيها نيات
كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المؤمنين ويبلغ به درجات القربين أولها أن يعتقد أنه يبت الله
وأن داخله زائر الله فيصعبه زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
«من تعد في السجدة فقد زار الله تعالى» وحق على الزور إكرام زائره (٢) وثانيها أن ينظر الصلاة
بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى «ورابطوا» وثالثها التزهيب
بكف السفح والبصر والأعضاء عن الحركات والتزددات فإن الاحتكاك كف وهو في معنى الصوم وهو
نوع تزهيب، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رهبانية أمي الصوم وفي المساجد» ورابعها
عكوف الميم على الله وزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال إلى السجدة
وخامسها التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكره ولتذكر به كما روى في الخبر «من غدا إلى المسجد لذكر
الله تعالى أو يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى» (٣) وسادسها أن قصد إقامة الميم بأمر معروف
ونهي عن منكر إذ السجدة لا يخلو عن شيء في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف وينهى
إلى الدين فيكون شريكاً معه في خير. الذي يعلم منه تضاعف خيراته، وسابعها أن يستفيد أخا
في الله فإن ذلك غنيمه وفخيرة للدار الآخرة وللسجدة معشى أهل الدين المحبين لله وفي الله. وثامنها
أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من أن يخطي في بيت الله ما يخفى هناك الحرمه
وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع
خصال أحاسن فساداً في الله أوزحمة مستزلة أو علماً مستظرفاً أو كلفة تدل على هدى أو عرفة

(١) حديث. تصنيف الحسنه بشر أمثالها تقدم (٢) حديث من تعد في السجدة فقد زار الله تعالى
وحق على الزور إكرام زائره ابن حبان في الشفاء من حديث سلمان والبيهقي في الشعب نحو من
رواية جماعة من الصحابة لم ينسوا باسناد صحيح وقد تقدم ما في الصلاة (٣) حديث رهبانية أمي الصوم
في المساجد (أجله أصلاً) (٤) حديث من غدا إلى المسجد يذكر الله ويذكر به كان كالمجاهد في سبيل
الله تعالى هو معروف من قول كتب الأحيار رويته في جزء من طوق ولطراف في السكبر من حديث
أبي أمامة من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان له كأجر حج تاماً حجة وإسناد صحيح
وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح

الله تعالى من الدنيا
سفره ولا يضاء
غيرها فأردت أن
أوصي أن تعد في كفى
فأردتها إلى الله وقال
ابراهيم الحواصم الفخر
رداء الشرف ولياس
الموسليين. وجواب
الصالحين.
سئل بن عبد الله عن
الفقيه الصادق فقال
لا يسأل ولا يزد ولا
يحبس. وقال أبو جعفر
الروادري. رحمه الله
سألت الرضا فقال
يا أبا علي لم ترك الفقراء
أخذ البيعة في وقت
الحاجة قال قلت لأنهم
يستغفرون بالمعنى عن
العطايا قال بئسوا ولكن
وقع في شيء آخر فقلت
هات أفدن ما وقع لك

عن ردى، أو ترك الذنوب خشية أوجاء فهذا طريق تكثير النيات ومن سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا لو احتمل نيات كثيرة وإما يحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير ونشره له ونفكره فيه فهذا تركو الأعمال وتضاعف الحسنات [القسم الثالث للمباحات أو ما من شئ من المباحات إلا لو احتمل نية أو نيات يصير بها من عتات القربات وينال بها منال الدرجات] أعظم خسران من يضل عنها ويتعاطاها تعاطى البهائم للهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي أن يستحق العبد شيئا من الخطرات والخطوات والحفظات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة أنه لم فله وما الذي قصده بهذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عقاب» (١)

وفي حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شئ حتى عن كل عينه وعن ثقات الطينة بإصميه وعن لمة ثوب أخيه (٢) وفي خبر آخر «من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من للسك ومن تطيب لغيره الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنث من الجيفة» فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية. فان قلت فما الذي يمكن أن يؤدي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله. فاعلم أن من تطيب مثالا للجملة وفي سائر الأوقات يتصور أن يقصد التمتع بلذات الدنيا أو يقصد به إظهار التفاخر بكثر المال بحسد الأقران أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أو ليتودد به إلى قلوب النساء الأجنبية إذا كان مستحلا للنظر إليهن ولأموار آخر لأخصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فذلك يكون أن من الجيفة في القيامة إلا القصد الأول وهو التلذذ والتتم فان ذلك ليس بمعصية إلا أنه يسئل عنه ومن نوى الحساب عذب ومن أتى شيئا من مباح الدنيا لم يذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بأن يستعمل ما ينفى ويحسر زيادة نعم لا ينفى وأما النيات الحسنة فانه ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة (٣) وينوي بذلك أيضا تعظيم للسجد واحترام بيت الله فلا يرى أن يدخله زائرا ثم لا يطيب الرائحة وأن يقصده برفع جبراته ليستريحوا إلى السجد عند مجاورته بروائحهم وأن يقصده بدفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي إلى إيلاء مخالطيه وأن يقصد حسم باب الفتية عن الضائيق إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه فن تعرض للفتية وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كقول:

إذا تركت من قوم وقد قدروا أن لا تفرقهم فالراحمون م

وقال الله تعالى - ولا تسبقوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - أها به إلى أن التسبب إلى الشر شر وأن يقصد به معالجة دماغه بقرينة طيبة وكذا ويسهل عليه ذلك بهمات ونية بالفسر فقد قال الشافعي رحمه الله من طاب ريحا رادقته فهذا أو أمثاله من النيات لا يصير الفقه فيها إذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالب على قلبه وإذا لم يظ على قلبه إلا النعم الدنيا لم تحضر هذه النيات

(١) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب تهم (٢) حديث معاذ بن جبل إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شئ حتى عن كل عينه وعن ثقات الطين بإصميه وعن لمة ثوب أخيه لم أجده إسناده (٣) حديث إن لبس الثياب الحسنة يوم الجمعة سنة أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد من اقتضل يوم الجمعة ومن طيب إن كان عنده وليس أحسن ثيابا الحديث ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن سلام ما طي أحدكم أو اغتري ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته وفي إسناده اختلاف وفي الصحيحين أن عمر رأى حلة سرياء عند باب المسجد فقال يا رسول الله لو اغتريت هذه قلبتها يوم الجمعة الحديث.

قال لأنهم قوم لا ينعمهم
الوجود إذ لله فآتهم
ولا تضرم النافذة إذ لله
وجودهم. قال. بعضهم
الفقر وقوف الحاجة
على القلب وهوها
محاسن الرب وقال
السوحي الفقير الذي
لا تنفخه التهم ولا تنفقه
الحزن. وقال يحيى بن
نعمان حقيقة الفقر أن
لا يستغنى إلا بالشرحه
عدم الأسباب كلها
وقال أبو بكر الطوسى
بقيت مدة أسأل من
معنى اختيار أمهاتنا
لهذا الفقر. على سائر
الأهياء فلم يجنى أحد
جواب يقتضى حق
سألت نصر بن الحامى
فقال لي لأنه أول
منزل من منازل

وإن ذكرت له لم يذهب لها قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء
والباعث كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها قصص بهذا الواحد ماعدها ولهذا قال بعض العارفين من
السلف إنى لأستحب أن يكون لى فى كل شيء نية حتى فى الأكل وشربى ونومى ودخولى إلى الحلاء
وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى لأن كل ما هو سبب ليقاد البدن وقرع القلب من
مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصد من الأكل التقوى على العبادة ومن الوقاع تحسين دينه
وتطيب قلب أهله والتوصل به إلى نسل صالح يبعد الله تعالى بهمه فكثر به أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان
عليها بأكله ونكاحه وأغلب حظوظ النفس الأكل والوقاع وقصد الخير بهما غير مجتمع لمن غلب
على قلبه من الآخرة ولذلك ينبغي أن يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو فى سبيل الله وإذا بلغه
اغتيال غيره له فليطيب قلبه بأنه سيعمل سيئاته وسئل إلى دوابه حسنة ولينو ذلك بسكوته عن
الجواب فى الخير « إن العبد ليحاسب قتيطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشره من
الأعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيتجنب ويقول يارب هنه أعمال ماحلتها قط فقال هذه
أعمال الذين اغتايوك وأذكوك وظلوك (١) » وفى الخير « إن البديلوا فى القيامة حسنات أعمال الجبال
لو خلصت له لدخل الجنة فبأنى وقد ظلم هذا وغتم هذا وضرب هذا اقتصر لهذا من حسنة ولهذا من
حسناته حتى لا يلقى له حسنة فتقول لللائكة قد خيت حسنة وبقي طالبون فيقول الله تعالى لتوا عليه
من سيئاتهم ثم سكاوا له سكا إلى النار (٢) » وبالجملة فبأنى إن تستحضر عيشان حركاتك ولا تحترز
من غرورها وشروها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فإن الله تعالى مطلع عليك وشيئدا ما يلفظ
من قول إلا لديه رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا وأردت أن أتر به من حائل جارئ فخرجت
ثم قلت تراب وما تراب قربة فنهضت بي هانف سيلم من استخف بتراب ما يلقى غدام سوء الحساب
وسلى رجل مع الثورى فراه مغلوب الثوب فرفه فند يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوء فسأله عن ذلك
فقال إن لبسته لله تعالى ولا أريد أن أسويه لغير الله وقد قال الحسن إن الرجل ليعطى بال رجل يوم القيامة
فيقول يبنى وبينك الله فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أسأ أخذت لبنين حائلوا وأخذت خيطا من
نوى لهذا وأمثاله من الأخبار قطع قلوب الخافين فإن كنت من أولى العزم والتهى ولم تكن من القلترين
فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل أن يدقق عليك وراقب أحوالك ولا تسكن
ولا تتحرك ما لم تتأمل أولا أنك لم تتحرك وماذا قصد وما الذى تنال به من الدنيا وما الذى يفوتك
من الآخرة وبماذا ترجع الدنيا على الآخرة فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدين فأمن عزمك وما خطر
ببالك وإلا فأفسك ثم راقب أيضا قلبك فى إسناكك وامتناعك فإن ترك الفعل قل ولا بد منه نية
صحيحة فلا ينبغي أن يكون الداعي هو الذى لا يطلع عليه ولا يفرئك ظواهر الأمور وشعور الحرات
وافطن للأغوار والأسرار تخرج من حين أهل الاعتقاد قد دروى عن ذكر ما عليه السلام أنه كان يعمل
فى حائط بالطين وكان أجيرا يقوم قدموا له رغبيا إذا كان لا يأكل إلا من كسب يده فدخل عليه قوم

التوحيد فقلت بذلك
وسئل ابن الجلاء عن
الفقر فسكت حتى صلى
ثم ذهب ورجع ثم قال
انى لم أسكت إلا لادهم
كان عتدى فذهبت
فأخرجته فاستجيت
من الله تعالى أن أسكهم
فى الفقر وعنتى ذلك
ثم جلس وتكلم .
قال أبو بصير بن
مهر عن يحيى الفقيه
أن لا يكون له رغبة
فإن كان ولا بد لا يحاوى
رغبته كفايته . قال
قارس قلت لبعض
الفقراء امرأة وعليه أثر
الجوع والضر إلى سؤال
فيطموله ؟ فقال إنى
أخاف أن أسألهم
فيمنونى فلا تعلمون
وأشد لبعثهم :

(١) حديث إن العبد ليحاسب قتيطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من
الأعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة الحديث وفيه هذه أعمال الذين اغتايوك الحديث أبو منصور
الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم من حديث شيب بن سعد البلى عتصرا إن العبد
يلقى كتابه يوم القيامة منتشرا فينظر فيه فيرى حسنات لم يعملها فيقول هذا لى ولم عملها فيقال بها
اغتابك الناس وأنت لاتشعر وفيه ابن لجة (٢) حديث إن العبد لو اوفى القيامة بحسنات أعمال
أنى قد ظلم هذا وغتم هذا الحديث تقدم مع اختلاف .

فلم يدعهم إلى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا أن الخبز في طلب الساعة في الطعام يقال إنى أشعل يقوم بالأجرة وقد موا إلى الرغبة لأقوى به على عملهم فلما كلمهم منى لم يكفهم ولم يكفى وضعت عن عملهم هكذا ينظر في البواطن بنور الله فان صفته عن العمل تقص في فرض وترك الدعوة إلى الطعام تقص في فضل ولا يحكم للفضائل مع القرائن . وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل شاكلي حتى لحق أميابه ثم قال لولائي أخذته بدين لأحببت أن تأكل منه . وقال سفيان من دعا رجلا إلى طعامه وليس له رغبة أن يأكل منه فإن أجابه فأكل فضله ووزان وإن لم يأكل فضله ووزر واحد وأراد بأحد الوزين النفاق وبالتالي تمرضه أخاه لما يكره لولعه هكذا ينبغي أن يتقيد السيد بنيته في سائر الأعمال فلا يقدم ولا يحجم إلا لنية فلا تمضه لنية توقفه لأن النية لا تدخل تحت الاختيار .

(بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار)

اعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية يصحسب النية ويشكرها مع قوله صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات» فيقول في نفسه عند تدريسه أو تعارفه أو أكله نيت أن أدرس فلأ أو أكل فلأ وينظر ذلك نية وهميات فذلك حديث تقص وتحدث لسان وفكر أو اعتقاد من خاطر إلى خاطر والنية بعزلها من جميع ذلك وإنما النية انبعثت النفس وتوجهها وميلها إلى مظهر لها فيه غرضها إما عاجلا وإما آجلا والليل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة بل ذلك كقول الشبان نويت أن أشتري الطعام وأميل إليه أو قول القارغ نويت أن أعشق فلانا وأحبه وأعظمه بقلي فذلك حال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجهه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وإنما اقتضت النفس إلى الفعل إجابة لغرض الباعث للوافق لنفسه لللائم لها ومالم يستعد الإنسان أن غرضه بنوط بفعل من الأفعال فلا توجه نحوه قصد وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين وإذا اعتقد قائما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بغير غرض داخل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدوامي والصوارف لها أسباب كثيرة مما مجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص والأحوال والأعمال فإذا غلبت شهوة التكاثر مثلا ولم يستعد غرضا صحيحا في الولد دينا ولادنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة إذ النية هي إجابة الباعث ولا يباعث إلا الشهوة فكيف ينوي الولد وإذا لم يظلم على قلبه أن إقامة سنة التكاثر (١) ابتهاج لرسول الله صلى الله عليه وسلم بظلمه لا يمكن أن ينوي بالتكاثر اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث عيسى ليس بنية ، ثم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوى أولا إيمانه بالشريعة ويقوى إيمانه بظلم نواب من سقى في تكبير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع التفرات عن الولد من جهل اللذة وطول التعب وغيره فإذا فعل ذلك بعد انبث من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للتواب فحصر تلك الرغبة بتجديد أعضائه لما شرع العقد فإذا انقضت القدرة المهركة لكان قبول المقدحاة لهذا الباعث الطالب على القلب كان نايوا فإن لم يكن كذلك لما يقدره في نفسه وزدده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية حتى إن ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية ونادي بعضهم أنه لو كان يسبح غيره أن هات للذي ضالبت أجيء بالمرأة فسكت ساعت ثم قال نعم قبل له في ذلك فقال كان لي في اللدي نية

(١) حديث إن التكاثر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم في آداب التكاثر .

قالوا غدا السيد ماذا

أنت لابس

فكانت خامسة ساق

عبد الجزي

قرر وصبر هما ثوبان

تحتها

قلب يرى ربه الأبد

والجبا

أحرى للابسين أن تلقى

الجيب به

يوم الزاور في الثوب

الذي خلفا

الدجر لم يأت إن ضبت

بألم

والعبد ملطعت لي

مرأى وسلمتها

[قولهم في الشكر]

قال بعضهم الشكر

هو النية عن النعمة

برؤية النعم . وقال

يحيى بن معاذ الرزقي

لست بشاكر ما قدمت

تشكروا في الشكر

ولم تحضرني في المرأة نية فتوقفت حتى هياها الله تعالى فوملت حماد بن سلمان وكان أحد علماء أهل
الكوفة قيل للثوري ألا تسجد جازته فقال لو كان لي نية فعلت وكان أحد هذا من أصحابنا
البر يقول إن رزقي الله تعالى نية فعلت وكان طاموس لا يحدث إلا بنية وكان يسئل أن يحدث فلا يحدث
ولا يسئل فيبتدئ فقيل له في ذلك قال أتصحبون أن أحدث بغير نية إذا حضرني نية فعلت ونحكي
أن داود بن المهبر لما صنف كتاب العقل جاءه أحد بن حنبل فطلبه منه ففطر فيه أحد منصفنا وزده
فقال مالك قال فيه أحد منصفنا فقال له داود أنا لم أخرج به على الأسانيد فأناظر فيه بين الخبرين
نظرت فيه بين العمل فأنشئت قال أحمد فرده على حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت فأقبله وبكت
عنده طويلاً ثم قال نجزاك الله خيراً فقد انتصت به وقيل لطاموس ادع لنا فقال حتى أحد له نية وقال
بضمهم أنا في طلب نية لقيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعدة وقال عيسى بن كثير مشيت مع
يحيى بن مهران فلما انتهى إلى باب داره اعترضت فقال ابنه ألا تفرض عليه العشاء قال ليس من نيتي
وهذا لأن النية تنجح النظر فإذا تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون أن يعملوا عملاً إلا بنية لهم
بأن النية روح العمل وأن العمل بغير نية صادقة رياء وسكلف وهو يتب مقبت لا سبب قرب وغلوا
أن النية ليست هي قول القائل بلسانه نويت بل هو ابتعاد القلب بحري القوي من الله تعالى
فقد تيسر في بعض الأوقات وقد تنذر في بعضها فهم من كان القلب على قلبه من الذين يسيرون على
أكثر الأحوال إحضار النية للغيريات فان قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فينبعث إلى التفاصيل غالباً
ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه لم تيسر له ذلك بل لا تيسر له في الرغبات إلا بمحض جبريد وغاية
أن يتذكر النار ويحذر نفسه عنها أو ينهم الجنة ويرغب نفسه فيها فرجاً تيسر له داعية ضعيفة
فيكون ثوابه بقدر ذنبه ونيته وأما الطاعة على نية لإجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا
تيسر للإنسان في الدنيا وهذه أعز النيات وأعلاها ويمر على بنيتها الأرض من يقفها فضلاً عن
يتطاعها ونيات الناس في الطاعات أقسام إذ منهم من يكون عمله إجابة لباعث الخوف فإنه يتقى النار
ومنهم من يعمل إجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وإن كان نازلاً بالإضافة إلى صدق طاعة الله
ومعظمه لدائه ولجلاله لا لأمر سواء فهو من جملة النيات الضعيفة لأنه مبدل إلى اللوعود في الآخرة وإن
كان من جنس المألوفات في الدنيا وأغلب البواعث باعث الفرج والبطون وموضع قضاء طرها الجنة
فالمامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة البهوانة لينالها بفضله إذا كثرت
أهل الجنة إليه وأما عبادة ذوى الألباب فإنها لا تجاوز ذكره تعالى والتفكير في ما ينالها من جلاله وسائر
الأعمال تكون موكدات وروادف وهؤلاء أرفع درجة من الأتقياء إلى التسكُّر والطمع في الجنة
فإنهم لم يقصروا بل هم الذين يدعون ربهم بالقدرة والحق يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر
نيتهم فلا جرم يتقدمون بالنظر إلى وجهه الكريم ويسخرون عن يفتت إلى وجه المحور العين كما يسخر
للتبسم بالنظر إلى المحور العين مما يتم بالنظر إلى وجه الصور المتنوعة من الطين بل أشد فدل أن التفاوت
بين جمال خضرة الربوبية وجمال المحور العين أهد وأعظم كثيراً من التفاوت بين جمال المحور العين
والصور المتنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطرن من خاطلة الحسان
وإعراضهم عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لمصاحبها ولها الحماة وإعراضها عن
النظر إلى جمال وجوه النساء فمن أكثر القلوب عن إصرار جمال الله وجلاله بتمامه على الخنفساء
عن إدراك جمال النساء فإنها لا تنتمر به أصلاً ولا تفتت إليه ولو كان لها عقل وكذا كرن لها
لا تستصفت عقل من يفتت إلىهن ولا يزالون عتقلين كل حزب بما لديهم فرحون سواء ذلك خلقهم

التعجب وذلك أن
الشكر نعمة من
الله يجب الشكر
عليها وفي أخبار داود
عليه السلام إلى
كيف أشكره وأنا
لا أستطيع أن
أشكره إلا بنعمة
ثانية من نعمته فأوحى
الله إليه إذا عرفت
هذا قد شكرتني
ومعنى الشكر في اللغة
هو الكيف والظهار
يقال شكر وكثير
إذا كشف عن غمره
وأظهره فشر التيم
وذكرها وتساويها
بالسان من الشكر
ويطلق الشكر أن
تستعين بالله على
الطاعة ولا تبتم بها
على الصلة فهو شكر

حكى أن أحمد بن حنبل روى رأى زيه عن رجل في المنام فقال له كل الناس يطلبون من الجنة إلا يزيد فان يطلبني ورأى أبو يزيد ربه في المنام فقال يا رب كيف الطريق إليك فقال أترك نفسك وتعال إلي .
 وروى الشيخان بعد موته في المنام قيل له ما فعل الله بك فقال لم يطلبني على الدعاوى بالبرهان إلا على قول واحد قلت يوما أي حشارة أعظم من خسران الجنة فقال أي حشارة أعظم من خسران لقائي والغرض أن هذه النيات متغايرة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لا يجسر له العودة إلى غيرها ومعرفة هذه الحقائق يورث أهمالا وأفضالا لا يستكرها الظاهرون من الفقهاء قالوا يقول من حضرت

النعمة . وموت شيخنا
 رحم الله يشهد عن
 بعضهم :

أولئني نعماً أوج
 يشكرها
 وكذا كل الأمور
 بأسرها
 فلا تشكرك ما حيت
 وإن أمت
 فلا تشكرك أعظمي
 في قبرها .

قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 « أول من يدعى إلى
 الجنة يوم القيامة الذين
 يمدون الله في السراء
 والضراء » . وقال
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم « من ابتلى فصر
 وأعطى فمكر وعظم
 ففقر وتكلم فاستغفره
 قيل لما باله قال « أولئك

له نية في مباح ولم يحضر في غيبة فالإباح أولى وانتقام القضية إليه وصارت القضية في حقه تيمية لأن الأعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه أفضل من الانتصار في الظلم وربما يحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل ومثل أن يكون له نية في الأكل والشرب والنوم ليرغم نفسه ويتقوى على العبادات في المستقبل وليس تلبث نيته في الحالين للصوم والجماعة فالأكل والشرب والنوم هو الأفضل له بل لو بل بالعبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضيعت رغبته وعلم أنه لو تركه فمساءة بل هو حديث عاد نشاطه فالتوب أفضل له من الصلاة . قال أبو الدرداء إنني لأستجيم شئى من الله وفيكون ذلك عوناً لي على الحق والله على كرم الله وجهه ورجوا القلوب قائماً إذا كرهت عميت وهذه دقائق لا يدركها إلا محاضرة العلماء دون الحشوية منهم بل الخائف بالطلب قد جالج المحرور بالجمع جرارته ويستجيبه القاصير في الطلب وإنما ينتهي به أن يجد ألا قوته ليحتمل للمالحة بالشد والحاذق في لعب النظر نبح مثلاً قد ينزل عن الرخ والنرس جهناً ليتوصل بذلك إلى الغلبة والضعف البعير قد يضحك به ويتعجب منه وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يدي قرينه ويولي دبره حيلة منه ليستجره إلى مضيق فيسكر عليه فيقتله فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومع الوجة للقلب والبصير للموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستعملها الضعفاء فلا ينبغي للمريد أن يضر إنكاره على ما يراه من شيء ولا لاعتقاده أن يترس على استنفاده بل ينبغي أن يقف عند حد يسير ثم لا يفرط من أحوالها يسامحه لها لما إلى أن ينكشف له أسرار ذلك بأن يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ومن الله حسن التوفيق .

(الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته)

(فضيلة الاخلاص)

قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - وقاله - لأفاد الدين الخالص - وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله - وقال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً - ثلاث فيمن جعل لله وحده أن يعبد عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يخل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله (١) » وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال « ظن أي أن له فضلاً على من هو دونه من أصحاب رسول الله ﷺ قال النبي صلى الله عليه وسلم إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بضعفائهم ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم (٢) » وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من

(الباب الثاني في الاخلاص)

(١) حديث ثلاث لا يخل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله الترمذي وصححه من حديث الزيمان بن بضع (٢) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أنه ظن أن له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إنما نصر الله صلى الله عليه وسلم هذه الأمة بضعفائهم ودعوتهم وإخلاصهم رواه النسائي وهو عند البخاري باللفظ هل تصرون وترتقون إلا بضعفائكم .

أحببت من عبادي ^(١) » وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لاتبهوا قلعة العمل واهتموا لقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ذن بن جبل «أخلص العمل مجركم منه القليل ^(٢) » وقال عليه السلام «مامن عبد يخلص لله العمل أربعين يوما إلا ظهرت بتابع الحكمة من قلبه لسانه ^(٣) » وقال عليه السلام «أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيأبى فيقول يارب كذبت أقوم به آتاه الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقل ذلك ورجل آتاه الله المال فيقول الله تعالى كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقل ذلك ورجل قد قتل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يارب أمرت بالجهاد قتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقل ذلك قال أبو هريرة ثم خطب رسول الله ﷺ على غنمى وقال يا ماهريرة أولئك أول خلق تسمعون يوم القيامة ^(٤) » فدخل راوى هذا الحديث على معاوية بن وهب في ذلك فبكي حتى كادت نفسه تزحف ثم قال صدق الله إذ قال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية في الأسر الجليات أن عابدا كان يبدد الله دهره طويلا فجاهد قوم فقالوا إن ههنا قوم ما يجدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك وأخذ فأسه على حافته وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال أن تريد ربحك الله قال أريد أن أقطع هذه الشجرة قال وما أنت وذا الذي تركت عبادتك ولست تمالك بنفسك ونفرت فبر ذلك فقال إن هذا من عبادتي قال فاني لا تركك أن تقطعها فقاتله فأخذه الما يدقصره إلى الأرض وقد دعى صدره فقال له إبليس أطلقني حتى ألك قمام عنه فقال إبليس يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تبدى أنت وما عليك من غيرك والله تعالى أنبياء في أقاليم الأرض ولوحاه ليدبهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فإذا بذلت قلبه الما بدوسعه وقد دعى صدره فسيور إبليس فقال له هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خيلك وأشعر قال وما هو قال أطلقني حتى أتوك لك فأطلقه فقال إبليس أنت رجل قدير لاشيء لك إنما أنت كل على الناس يولونك ولكم تحب أن تفضل على إخوانك وتواسي جيرانك وتشتع وتشتفي عن الناس قال نعم قال فأرجع من هذا الأمر ولك على أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما فأفقت على نفسك وعيالك وتصدق على إخوانك فيكون ذلك أشعر لك وللسلمين من قطع هذه الشجرة التي يفرس مكانها ولا يفرس قطعها شيئا ولا ينفع إخوانك المؤمنين بقطعك إياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزم من قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها

(١) حديث الحسن مرسل يقول الله تعالى الإخلاص سر من سره استودعته قلب من أحببت من عبادي رويته في جزء من مئيلات القرويين بسلا يقول كل واحد من رواة مئيلات فلان عن الإخلاص فقال وهو من رواية أحمد بن عطاء المعيني عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جرير عن أبيه قال عن أبي طالب بسند كلامه مذكور وهو من الزهاد ورواه أبو القاسم القشيري في الرسالة من حديث علي بن أبي طالب بسند ضيف (٢) حديث أنه قال لعل أخلص العمل مجركم منه القليل أبو منصور البجلي في مستند القردوس من حديث سماذ وإسناده منقطع (٣) حديث مامن عبد يخلص لله أربعين يوما ابن عدى ومن طريقه ابن الجوزي في اللؤلؤة عن أبي موسى وقد تقدم (٤) حديث أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم الحديث وقد تقدم

لجسم الأمن وم
مبتدون . وقال
الجبل فرض الشكر
الاعتراف بالنعم بالقلب
والسان . وفي الحديث
«أفضل الذكر لإله
إلا الله وأفضل الدعاء
الحمد لله» . وقال بعضهم
في قوله تعالى - وأسبغ
عليك نعمة ظاهرة
وباطنة - قال الظاهرة
العواقي والفني والباطنة
اليساوي والقر
فان هذه نعم أخوية
لما يستوجب بها من
الجنزلة . وحقيقة
الشكر أن يرى جميع
التفضل له به نعمة غير
ياضرة في ذاته لأن
الله تعالى لا يتلقى الحمد
للمؤمن شيئا إلا وهو
نعمته في قلبه عاجلة

وما ذكره أكثر منعمة صاهبه على الوفاء بذلك وحاف له فرجع العابد إلى متعبه فبات فلما أصبح رأى ديناراً عند رأسه فأخذهما وكذلك الله ثم أصبح اليوم الثالث وما به من ريشة غضب وأخذ فأسه على نفسه فاستيقبه إليس في صورة شيخ فقال له إلى أين ؟ قال أقطع تلك الشجرة فقال كذبت وألق ما أنت جادر على ذلك ولا سئل لك إليها قال فتناوله العابد ليفعل به فأقبل أول مرة فقال هربا فأتاه إليس وصصره فإذا هو كالصفور بين رجليه وقعد إليس على صدره وقال لتبتين عن هذا الأمر أو لأذهبك فنظر للعابد فإذا لاطقة له به قال يا هذا غلبتني غلغلي عن وأخبرني كيف غلبتني أولاً وغلبتني الآن فقال لأنك خضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فحزقني الله لك وهذه المرة خضبت لنفسك ولله يا صبرتيك وهذه الحكايات تصديق قوله تعالى - لإعابدة منهم المخلصين - إذ لا يخلص البعد من الشيطان إلا بالاخلاص ولذلك كان معروف السكوني رحمه الله تعالى يضرب نفسه ويقول يا نفس أخلصي تخلصي . وقال يعقوب للسكوف : المخلص من يكتم حسنة كما يكتم خبيته . وقال سليمان : طوبى لمن سمعت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى ، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري : من خلعت نيتك كلف الله تعالى ما بينه وبين الناس . وكتب بعض الأولياء إلى أخ له أخلصني إليه في أعمالك يكفك القليل من العمل . وقال أنبوب السجاني : تخلصني النبات على العبال أشد عليهم من جميع الأعمال . وكان مطرف يقول من صفا ضئي له ومن خلط خلط عليه . وروى بعضهم في الشام قيل له كيف وجدت أعمالك ؟ فقال بكل شيء عكس الله وجدتني حتى حبة رمان لقطها من طريق وحتى حبة رمان لقطها من كفة الحسنة وكان في قلنسوتي خيط من حرير فزأنته في كفة السيئات وكان قد نطق حماري قيمته مائة دينار فما رأيت له ثوباً قلت موت سنوز في كفة الحسنات وموت حماري فيها فقيل لي إنه قد وجده حيث كنت به كانه لما قيل لك قد مات قلت في لينة الله فيل أجرك فيه ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسنة . وفي رواية قال وكنت قد صدقت بصدقة بين الناس فأبغضني نظرم إلى فوجدت ذلك لأعلى ولألى . قال سفيان لما سمع هذا ما أحسن حاله إذ لم يكن عليه فقد أحسن إليه . وقال يحيى بن معاذ : الاخلاص عجز العمل من العيوب كشمير اللبن من القث والتمم ؛ وقيل كان رجل يخرج في ذي السماء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم فاتفق أن حضر يوماً حوشاً فيه جمع للنساء فصرقت ذرة فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نفتش فمكناوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة إلى الرجل وإلى امرأته معه فدعا الله تعالى بالاخلاص وقان أن حوزت من هذه القضية لأعود إلى مثل هذا فوجدت الذرة من تلك المرأة فصاحوا أن أطلقوا الحزوة وقد وجدنا الذرة . وقال بعض الصوفية : كنت قائماً مع أبي سعيد البستري وهو يمرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض إخوانه من الأبدال فسار به شيء فقال أبو سعيد لا به فمرت كالسحاب يسبح الأرض حتى غاب عن عيني فقلت لأبي سعيد ما قال لك ؟ فقال سألتني أن أصبح معه قلت لا غلبتني فاست ؟ قال ليس لي في الحج نية وقد نويت أن أتم ههنا الأرض البنية فأخلف إن حجبت معه لأجبه فمررت بقت الله تعالى لأني أدخلت في جبل الله شيئاً غيره فيكون ما بأية أعظم عسدي من سبعين حجة . وروى عن بعضهم قاله : غزوت في البحر فصرطي بطناً فجلت قلت أشترها فأشترتها فغزوت فإذا دخلت مدينة كذاً بنتها فرجعت فيها فاشترتها فأتيت تلك الليلة في اليوم كان مريضاً قد تزلا من السماء فقال أحدها ليصاحبه اكتب للزوجة فأمرني عليه فخرج فلان متزها وقلان مرأيا وقلان تاجرا وقلان في سبيل الله ثم نظر إلى وقال اكتب فلان خرج تاجرا فقلت

يرفها وبهمها وإما
أجله بما يقضى له من
للكاره فاما أن تكون
درجة له أو جميعاً أو
تكفراً فإذا علم أن
مولاه أصبح له من
نفسه وأعلم بمصالحه
وأن كل مائة يوم قد
شكر
[قولهم في الحرف]
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « رأيت
الحكمة عاقبة الله »
وروى عنه عليه
الصلاة والسلام أنه قال
« كان داود النبي عليه
السلام يهوده الناس
يقولون أن به مرضاً
وما به مرض إلا خوف
الله تعالى والحمد لله »
قال أبو عمر الدمشقي
الحائف من مخاف من

الله في امرى ما خرجت أنجر وما معى تجارة أنجر فيها ما خرجت إلا للفر وقال يا شيخ قد اشترت
أمس محلاة تريد أن ترعى فيها فيكتب وقلت لا تسكتبوني تاجر افطر إلى صاحبه وقال ما ترى فقال
اكتب خروج قلان طازيا إلا أنه اشترى في طريقه محلاة ليرعى فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه عتارى.
وقال سرى السقطى رحمه الله تعالى: لأن تصل ركعتين في صلاة تخلصهما من لك من أن تكتب
بسين. حديثا أو سبعا. يلو. وقال بعضهم في إخلاص ساعة نجات الأبد وليسكن. الإخلاص عزز
وقال الم. بفر. والمحل زرع وناؤه الإخلاص. وقال بعضهم إذا أبغض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنه
ولاذا أعطاه محبة الصالحين ومنه القبول منهم وأعطاه الأعمال الصالحة ومنه الإخلاص فيها وأعطاه
الحكمة ومنه الصدق فيها. وقال السوسى: مراد الله من عمل الخلق الإخلاص. قسط. وقال
الجزيد: إن لله عبدا عقلا فلما عقلا عبدا فلما عبدا فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب
البر أجمع. وقال محمد بن سعيد الروزى: الأمر كله يرجع إلى أملين فعل منه بك وفعل منك له
فترضى ما فعل وتخلص فيما فعل فاذا أنت قد سمعت بهذين وفزت في الدارين.

(بيان حقيقة الإخلاص)

اعلم أن كل شيء يصور أن يشوبه غيره فإذا صفا من شوبه وخلص عندهم خالصا ويسمى الفعل
الصفي الخالص إخلاصا قال الله تعالى - من بين قرث وهم لنا خالصا سائغا للشارين - فاعلموا خالص
اللب أن لا يكون فيه شوب من الدم والقرث ومن كل ما يمكن أن يتنجس به والإخلاص بضاده
الاشتراك فمن ليس خالصا فهو مشترك إلا أن الشراك درجات فالإخلاص في التوحيد بضاده للتشريك
في الإلهية والشراك منه شقي ومنه جلي وكذا الإخلاص والإخلاص وضده يتواردان على القلب
فصله القلب. وإنما يكون ذلك في التصود والتبات وقد ذكرنا حقيقة للنية وأنها ترجع إلى إجابة
البواعث فبهما كان الباعث واحدا على التجرد حتى الفعل الصادر عنه إخلاصا بالإضافة إلى النوى
فمن تصدى وعرضه محض الرياء فهو محض ومن كان عرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو محض
ولكن المادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب
كما أن الاتحاد عبارة عن لبيل ولكن خصصته المادة باليل عن الحق ومن كان باعته مجرد الرياء
فهو معرض للهلاك ولنا تسلك فيه إذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربيع الهلكات
وأقل أموره ماورد في الخبر من «إن للرأى يذنى يوم القيامة بأربع أسياب يرأى بأعجافه بمشرك
يا كافر» (١) وإنما تسلك الآن فيمن أثبت قصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر
إما من الرياء أو من غيره. من يحفظ النفس ونشال ذلك أن يصوم ليتنفع بالحياة الحاصلة بالصوم مع
قصد التقرب أو يفتق عبدا ليتخلص من مؤته. وسوء خلقه أو يهيج ليصنع مزاجه بحركة السفر
أو يتخلص من شئ يعرض له في بلد أو ليرجى عن عدوه في منزله أو يتبرم بأهله وولده أو يشغل
هو فيه فأراد أن يتبرع منه أياها أو ليغزو ولجناد الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على تهيئة
المنكر وجرحها أو يخلص بالليل وله غرض في دفع الناس عن نفسه به ليراقب أهله أو رحله أو يتم
العلم ليسهل عليه طلب ما يكتفيه من المال أو ليكون عز زليلين العشير أو ليكون عقاره أو ماله محروما
بجز العلم عن الألطاع أو ليهتلى بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصحة ويخرج باله الحديث
بأنه تسكنل بختمة الماء والصوفية تكون جرمته واقرة عندهم وعبد الناس أو لينا بمرصاق الدنيا

(١) حديث: إن للرأى يذنى يوم القيامة بأربع أسياب الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب البنية

والإخلاص وقد تقدم

نفسه أكثر مما غنى
من الشيطان. وقال
بعضهم ليس الخائف
من يكره ويصعب
عنه ولكن الخائف
الناكس ما يخاف أن
يظن عليه. وقيل
الخائف الذي لا يخاف
ضمر الله قيل أى
لا يخاف نفسه إنما
يخاف إجابته لا
والخوف للنفس خوف
العقوبة. وقال سهل
الخوف ذكر والرجاء
أنى أى منهما تولد
حقائق الإيمان. قال
الله تعالى - ولقد
وصينا الذين آمنوا
الكتاب من قبلكم
وإياكم أن تتقوا الله -
قيل هذه الآية
قلب القرآن لأن من دار

أو كتب ممسحا ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه أو حج منشا ليخفف عن نفسه الكراء أو توصأ
ليقتطف أو يتود أو اغتسل لتطير رائحته أوروى الحديث يعرف بقاء الاستاد أو اعتسكف في السجد
ليخفف كرام السكن أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبع الطعام أو ليتفرغ لأشغاله فلا يشغله
الأكل عنها أو تصدق على السائل ليقطع إربامه في السؤال عن نفسه أو يعود من مضايقات الأمراض
أو يشبع جنازة ليشبع جنازه أهله أو يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالجبر ويدكر به ينظر إليه بعين
الصالح والواقار لهما كان باعته هو التقرب إلى الله تعالى ولسكن انضاف إليه خطرة من هبده
الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور فقد خرج عمله عن سدا الاخلاص وخرج
عن أن يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق إلى الشرك وقد قال تعالى «وأنا أخفى الشركاء عن الشركاء»
وبالجمل كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إلى النفس ويميل إلى القلب قل أم. كثر إذا تطرق
إلى العمل تسكدر به صفوه وزال به إخلاصه والإنسان مرتبط في حظوظه بنفسه في شهواته فلما
ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس فلذلك
قبل من سلم له من همرة لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى وذلك لعره الاخلاص وعسر تيقية القلب
عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى وهذه الخطوط
إن كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى غنة الأمر على صاحبه فيها وإنما نظرا فيها إذا كان قصد
الأصل هو التقرب وانضافت إليه هذه الأمور ثم هذه الشوائب إما أن تسكون في رتبة للوالة أو في
رتبة للشاركة أو في رتبة للماونة كما سبق في النية ، وبالجمل فاما أن يكون الباعث النفسى مثل الباعث
الدينى أو أقوى منه أو أضعف وليس كل واحد حكم آخر كما سنده ذكره وإنما الاخلاص تخليص العمل
عن هذه الشوائب كلها قليلا وكثيرا حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا
لا يتصور إلا من حب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى
لا يحب الأكل والشرب أيضا بل تسكون رغبته فيه كرهته في قضاء الحاجة من حيث إنها ضرورة الجملية
فلا يشتهى الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله ويشقى أن لو كفى شر الجمع حتى لا يحتاج
إلى الأكل فلا يبق في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مغطا باعده
لأنه ضرورة منه فلا يكون له هم إلا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو تفتى حاجته كان
خالصا للعمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا حتى يرجع نفسه ليتقوى على العبادة بعده
كان نومه عبادة وكان له درجة الخالصين فيه ومن ليس كذلك قباب الاخلاص في الأفعال مسدود
عليه إلا على النذور وكان من غلب عليه حب الحق والآخره فلا كتسبت حركاته الاعتيادية منه فله
وصارت إخلاصا فاقوى يخلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة ، وبالجمل غير الله قدما كتسبت جميع
حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادرا فالإذن علاج الاخلاص كسر
حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يخلب ذلك على القلب فلا ذا يتيسر
الاخلاص وتم من أعمال يتعب الإنسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا لأنه لا يرى
وجه الآفة فيها كما حكى عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في السجدة في الصف الأول
لأنى تأخرت يوما بعد فصلت في الصف الثاني فاهترتني بجملة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني
فعرفت أن نظري الناس إلى في الصف الأول كان مسرورا وسبب استراحة قلبي من حيث لا أهرم وهذا دقيق
عابث فلما تسلم الأعمال من آثاره وتول من يتبعه إلا من وقفه الله تعالى والماتوق عنه يرون حسناتهم كلها في
الآخرة ميتات وهم بالرادون قوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون - وبدا لهم ميتات ما لم يكونوا

الأمر كله على هذا .
وقيل إن الله تعالى جمع
لجانفسين مافرقه على
الؤمنين : هو الهدى
والرحمة - والسلم
والرضوان فقال تعالى
- هدى ورحمة للذين
هم لربهم برهون -
وقال - (عند تخلي الله
من عباده العالين) -
وقال - رضي الله عنهم
ورضوا عنه ذلك من
غنى ربه - وقال
شهر: كال إيمان بالعلم
وكال للعلم بالحقوف .
وقال أيضا: التلم كسب
الإيمان والخوف
كسب التفرقة . وقال
الشيخ الألباني الحب
كأس الحبة إلا من إبد
أن يشبع الخوف قلبه .
وقال فضيل بن عياض

ويقوله تعالى - قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وأشدّ الحلق تمرضا لهذه الفتنة العلماء فإن الباعث للإكثار على نشر العلم لغة الاستبلاء والفرح بالاستبصار والامتياز بالجد والتناء والسيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والفضل عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزى الواعظين على الله تعالى بتبصيرة الحلق وعظه للسلطين ويخرج يقول الناس قوله وإقبالهم عليه وهو يدعى أنه يخرج بما يسره من نصرة الدين ولوطهر من أقرانه من هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس منه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وخمّه ولو كان باعته الدين لشكر الله تعالى إذ كفاه الله تعالى هذا لهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا ضلّيه ويقول إنما غمك لا تطاع التواب عنك لا انصرف وجهك عن الناس عنك إلى غيرك إذ لو اتعظوا بقولك لكانت أنت الكتاب واثباتك لقوات التواب هو ولا يدري السكّين أن انقياده للحق وتبليغه الأمر أفضل وأجزله لو لم أعود عليه في الآخرة من آخره وليت شعري لو اتهم جهر رضى الله عنه بفساده، أي بكر رضى الله تعالى عنه للامامة أكان غمه هو ولا يذموموا ولا يستريب ذودن أن لو كان ذلك لكان مضموما لأن إنياده للحق وتبليغه الأمر إلى من هو أصح منه أعود عليه في الدين من مكفله بمصلح الحلق مع ما فيه من التواب الجزيل بل يفرح صهر رضى الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالأمر، فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض أهل العلم بفرور الشيطان فيحدث فيه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به وإخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان بحسن الجهد والفرور فإن النفس سببه القياد في الوعد بأشكال ذلك قبل زول الأمر، ثم إذا دعاه الأمر تخير ورجع ولبس بالوعد وذلك لا يعرفه إلا من عرف مكاييد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتاحتها، فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به هو صديق يفرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والفرود القليل وهو للستى في قوله تعالى - لا يجادلهم فيها - فليكن العبد شديد التقدير والقبول للهدى والالتفات والتحقق بأبواب الشياطين وهو لا يشي.

(بيان أقوال الشيوخ في الاخلاص)

قال الوصي : الاخلاص قد روية الاخلاص ، فان من شاهده في إخلاصه الاخلاص قد احتاج إخلاصه إلى إخلاص ، وما ذكره إشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالقبل فإن الالتفات إلى الاخلاص والنظر إليه عجب ؟ وهو من جهة الآفات . والخالف : ما ضاع من جميع الآفات فهذا تعرض لأفة واحدة . وقال سهل رحمه الله تعالى : الاخلاص أن يكون سكون العبد وجركته لله تعالى خاصة ، وهذه كلمة جامعة مهيطة بالعرض وفي معناه قول إبراهيم بن آدم : الإخلاص صدق النية مع الله تعالى . وقيل لسهل أي شيء أشد على النفس ، قال : الاخلاص إذ ليس لها فيه نصيب . وقال روم : الإخلاص في العمل هو أن لا تريد صاحبه عليه عوضا في الدارين ، وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة أجلا وأجلا والمابد لأجل تتم النفس بالصفات في الجنة بحلول بل الحقيقة أن لإيجاد بالعمل لإلوجه الله تعالى وهو إشارة إلى إخلاص الصديق وهو الاخلاص للطلق . فأما من يصل لرجاء الجنة وخوف النار فهو عظمى بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة وإلا فهو في طلب حظ البطن والفرج وإنما المطلوب لحق لدوى الألباب وجه الله تعالى فقط . وهو القائل لا يحركك الإنسان الا لحظ البراءة من الحظوظ صفة الالهية . ومن أدعى ذلك فهو كافر . وقد قضى القاضي أبو بكر الباقلاني بتكفير من يدعى البراءة من الحظوظ وقال هنا من صفات

إذا قيل لك تخلف الله
اسكت فانك ان قلت لا
كفرت وإن قلت نعم
كذبت فليس وصفك
وصف من يخاف .
[قولهم في الرجا] قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم «يقول الله
عز وجل أخر جوا من
النار من كان في قلبه
مثقال حبة من خرفول
من إيمان ثم يقول
وعسى وجسالى
لا أجعل من آمن . في
من ساعة من ليل
أو نهار كن لا يؤمن
» . قيل «جاما عرافا
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بنزل
حساب الحلق ؟ فقال
الله تبارك وتعالى قال
هو نفسه » قال نعم

الإلهية وما ذكره حق ، ولكن القوم إنما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا ، وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط . فأما التلذذ بمجرد المعرفة وللناجاة والنظر إلى وجه الله تعالى . فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يبعد الناس حظا بل يشجبون منه . وهؤلاء لو عوسوا محام فيه من لذة الطاعة وللناجاة وملازمة الشهود للحضرة . الإلهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقاقه ولم يلتفتوا إليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم مبعود فقط دون غيره . وقال أبو عثمان : الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط وهذا إشارة إلى آفة الرياء فقط ولذلك قال بعضهم الاخلاص في العمل : أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه إشارة إلى مجرد الاخفاء . وقد قيل الاخلاص : ما استمر عن الخلق وصفا عن العالقي وهذا أجمع للقاصد . وقال المحاسبي : الاخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب وهذا إشارة إلى مجرد نفي الرياء وكذلك قول الخواص : من شرب من كأس الرياسة قد خرج عن إخلاص البوذية . وقال الخواريزمي ليس على السلام : ما خالص من الأعمال قال . الذي يعمل لله تعالى لا يجب أن يحمده عليه أحد وهذا أيضا تعرض لترك الرياء وإيمانه بالذكر لأنه أقوى الأسباب للشوشة للاخلاص . وقال الجنيد : الاخلاص صفية العمل من السكندورات . وقال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شركه والاخلاص أن يفايك الله منهما . وقيل : الاخلاص دوام للراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو اليان الكامل والأقوال في هذا كثيرة . ولانفاضة في تكبير النفل بعد انكشاف الحقيقة وإتمام البيان الثاني يان سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم «إذ سئل عن الاخلاص قال : أن تقول ربى الله ثم تستقيم كما أمرت (١) أي لا تبتدع هواك ونفسك ولا تعبد إلا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذا إشارة إلى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا .

(بيان درجات العوالب والآفات للسكندرية للاخلاص)

اعلم أن الآفات الشوشة للاخلاص بعضها جل وبعضها خفي وبعضها ضئيف مع الجلاء وبعضها قوى مع الخفاء ولا يخفى اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء والاعتبال . وأظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا . فنقول : الشيطان يدخل الآفة على الصلى معها من مخلصا في صلاته ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه ماخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر يعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يفتابك فتتخضع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على اللبثيين من اللريدين . الدرجة الثانية يكون للريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذرهم فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان قائما في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومتبدي بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسي بك غيرك فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنست وعليك الوزر إن أسأت فأحسن عملك بين يديه ففساد يقتدى بك في المصروع وتحسين العبادة وهذا أغمض من الأول وقد يتخضع به من لا يتخضع بالأول وهو أيضا

فبسم الأعربى قال
التي صلى الله عليه
وسلم م ضحككت
يا أعربان ؟ قال
إن الكريم إذا قدر
عفا وإذا حاسب
سامع . وقال شاه
الكرمانى : علامة
الرجاء حسن الطاعة .
وقيل : الرجاء رؤية
الجلال بين الجلال .
وقيل : قرب القلب
من ملاطفة الرب .
قال أبو بكر الرذبارى :
الحسوف والرجاء
بجناسى البطائر إذا
استويا استوى الطائر
ونم في طيرانه . قال
أبو عبد الله بن خفيف :
الرجاء ارتياح القلوب
لرؤية كرم المرجو .
قال مطرف : لو

(١) حديث مثل . عن الأخلاص قال أن تقول : ربى الله ثم تستقيم كما أمرت لم أره بهذا اللفظ
وقرأتمنى وصحبه وابن ماجه من حديث نسيان بن عبد الله التقي قلت يارسول الله حدثني بأمر
أعتمد به قال قل ربى الله ثم استقم وهو عند مسلم بلفظ : قل فى فى الاسلام قولاً لا أسأل عنه
أحدًا بهذا قال قل أعنت بالله ثم استقم .

عين الرياء وبمطل للإخلاص فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه لم يرض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا بعض التلبس بل القنطري هو به الذي استقام في نفسه واستقام قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه فأما هذا فمحض التفاف والتلبس فمن اقتدى به أتى عليه . وأما هو فيطالب بلبس هو بمقابله يظهره من نفسه ما ليس متصفا به . الدرجة الثالثة وهي أدق مما قبلها أن يحرب العبد نفسه في ذلك ويتشبها بسكدة الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة وللشاهدة للغير محض الرياء ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في اللأ ويستحي من نفسه ومن ربه أن يتشجع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرضيه في اللأ ويصل في اللأ أيضا كذلك فهذا أيضا من الرياء النافس لأنه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في اللأ فلا يكون قد فرق بينها فالتفات في الخلوة وللأ إلى الخلق بل الإخلاص أن تكون مشاهدة الهائم صلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكان نفس هذا ليست تمنع بسادة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة للرائين ويظن أن ذلك يزول بأن تستوى صلاته في الخلوة وللأهيات بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجادات في الخلا ولا يجيها وهذا من محض مشغول الهم بالخلق في اللأ وللأ جليما وهذا من للسكدة الخفية للشيطان . الدرجة الرابعة أدنى وأخفى أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيجبر الشيطان عن أن يقول له اخضع لأجلهم فإنه قد عرف أنه يظن لذلك فيقول له الشيطان عسكر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخضع جوارحه ويظن أن ذلك عين الإخلاص وهو عين للكر والتماع فإن خشوعه لو كان نظره إلى جلالة لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الأمن من هذا الأفتان يكون هذا الحاضر بما يألفه في الخلوة كأيألفه في اللأ لا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الحاضر كما لا يكون حضور البهيمة سببا لما يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو يمد خارج عن صفو الإخلاص مدنى الباطن بالشرك الخفى من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب الجملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء (١) كما ورد به الخبر ، ولا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره وسعد بصحة الله تعالى وتوفيقه وهداياته وإلا فالشيطان ملازم للمتعمدين لمباداة الله تعالى لا يتفعل عنهم لحظة حتى يحصلهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة وليس الثياب فإن هذه سنن في أوقات غسوة ولتفنى فيها حظن لا يرتبط نظر الخلق بها ولا شئنا الطبع بها فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي أن تركها ويكون ألباث القلب باطنا لها لأجل تلك الشهوة الخفية أو مشوبة بها هو باخرج عن سدا للإخلاص بسببه وما لا يسل عن هذه الآفات كلها فليس يخاف بل من يتكف في مسجد معور ونظيف حسن العمارة يأبى إليه الطبع فالشيطان يرضيه فيه ويكر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون الحركة الخفى في سره هو الأنس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع إليه ويتبين ذلك في مية إلى أحد للمجدين أو أحد للوضين إذا كان أحسن من الآخر وكل ذلك امتزج بشوائب الطبع وكيدورات

(١) حديث الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب الجملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة تجسم في العلم وفي ذم الجاهل والرياء .

وزن خوف اللؤم
ورجاءه لا تشدلا .
والخوف والرجاء
للإيمان كالجنحين
ولا يكون خائفا إلا
وهو راج ولا راجيا
إلا وهو خائف لأن
موجب الخوف الإيمان
وبالإيمان . رجاء
وموجب الرجاء الإيمان
ومن الإيمان خوف .
ولهذا الله روى .
عن لقمان أنه قال
لا يبه خبث الله تعالى
خوفا لا تأمن فيه
مكره وأرجه أهدمن
خوفك ، قال فكيف
أمتطيح ذلك وإنما
لي قلب واحد ؟ قال
أما علمت أن اللؤم
لنور قلبين يضاف
بأحسدهما . ورجو

النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمرى النفس الذى يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فيها ما يوجب ومنها ما يخل لكن يسهل دركه ومنها ما يدركه لا يدركه إلا الناقد البصير وضغى القلب ودخل الشيطان وخبث النفس أغصن من ذلك وأدق كثيرا ، ولهذا قيل ركنان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادى إلى حمرة الدينار للمواستدار وهو منشور في زلف في نفسه وقبراط من الخالص الذى يرضيه الناقد البصير خير من دينار يرضيه الغر التبي فهكذا يغاوت أمر العبادات بل أشد وأعظم ومداخل الآفات للتطرق إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها فليتفتح بما ذكرناه مثالا والقطن ينسج القليل عن الكثير والبليه لا يثبت التطويل أيضا فلا فائدة في التفصيل .

(بيان حكم العمل للشوب واستحقاق الثواب به)

اعلم أن العمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف الناس في أن ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لا يقتضى شيئا أصلا فلا يكون له ولا عليه وأما الذى لم يرد به إلا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب للقت والعقاب . وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وإنما النظر في الشوب وظاهر الأخبار يدل على أنه لا ثواب له (١) وليس تخلف الأخبار من تمارض فيه والتقى يتقدم لما فيه والعلم عند الله أن ينظر إلى قدر قوة الباعث فان كان الباعث الذى ينافي الباعث النفسى تقابوا وتساوا وصار العمل لا له ولا عليه وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومفسد للعقاب نعم العقاب الذى فيه أخفض من عقاب العمل الذى يجرد الرياء ولم يمزج به شابة التقرب وإن كان قصد التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الذى به وهذا لقوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - ولقوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها - فلا ينبغي أن يضع قصد الخير بل إن كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذى يساويه وبقيت زيادة وإن كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الظاهر من هذا أن الأعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء للهلكات وإجماع غداها هذا الهلاك وقوة العمل على وقته وداعية الخير من للتجبات وإنما قوتها بالعمل على وقتها فإذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة وإذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منج فان كان بقوة هذا بقدر قوة الآخر فقد تقابوا فكان كالمستعرض بالحجارة إذا تناول ما يضره ثم تناول من المردات ما يتقاهم قد قوتى فتكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وإن كان أحدهما غالبا لم يخل الغالب عن أثر فكلما لا يضيع مثقال ذرة

(١) الأخبار التى يدل ظاهرها على أن العمل للشوب لا ثواب له قال وليس تخلف الأخبار من تمارض أبو داود من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله رجل يمتنى الجهاد في سبيل الله وهو يمتنى مرضا من غرض الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له الحديث والنسائي من حديث أبي أمامة باسناد حسن أرايت رجلا غزا يبتلى بالآجر والله كرمه قال لا شيء له فأباه الله ثلاث مرات يقول لا شيء له ثم قال إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وإيتى به وجهه ولقوله تعالى وقال غريبه وإن حبان من حديث أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فإذا أطلع عليه أهله قال له أجزان أجر السر وأجر العلانية وقد تضمن في ذم الجاهل والرياء .

بالآخر وهذا لأنها

من حكم الإيمان .

[قولهم في التوكل]

قال البخارى : التوكل

الإخلاص من الخوف

والقوة . وقال الجنب

التوكل أن تكون لله

كما لم تكن فيكون الله

لك كما لم يزل . وقال

هم لم : كل المقامات

بها وجهه وفقا خبير

التوكل فانه وجه يلاصق

قال بعضهم يريد توكل

العبادة لا توكل الكفاية

والله تعالى جعل التوكل

مقرونا بالإيمان فقال

- وعلى الله توكلوا إن

كنتم مؤمنين - وقال

- وعلى الله فتوكل

لأؤمنون - وقال لنبه

- وتوكل على الحى

الذى لا يموت - وقال

من الطعام والشراب والأدوية ولا ينفك عن أثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فسكذلك لا يضيع مثال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في إثارة القلب أو تسويده في شهر من الله وإعاده فإذا جاء بما يقربه شيئا مع ما يبعده شيئا فقد عاد إلى ما كان فلم يكن له ولا عليه وإن كان القلب بما يقربه بشيئين والآخر يبعده شيئا واحدا فضل له إعماله شيئا وقد قال النبي ﷺ «أجمع السيئة الحسنة معها» فإذا كان الرياء المحض يبعده الأخلاص المحض عتبه فإذا اجتمعا جميعا فلا بد وأن يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجا ومنه تجارة صحت حاجه وأثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن أن يقال إنما يثاب على أعمال المحب عند انتهائه إلى مكته وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وإنما للشرك طول للساق ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب أن يقال مهما كان المحب هو المحرك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السافر عن ثواب - وما عدى أن الفزاة لا يدركون في أنفسهم حفرة بين غزو الكفار في جهة تسكت فيها الفئام وبين جهة لا غنية فيها ويعد أن يقال إدراك هذه التفرة يحبط بالسكية ثواب جهادهم بل العدل أن يقال إذا كان الباعث الأصلي وللزعم القوي هو إغلاء كلمة الله تعالى وإعمال الرغبة في الفسحة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه إلى الفسحة أصلا فإن هذا الالتفات قصان لإعماله - فإن قلت فالآيات والأخبار تدل على أن شوب الرياء يحبط للثواب وفي معناه شوب طلب النعمة والتجارة وسائر الحظوظ قد روى طاووس وغيره من التابعين «أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن يصطنع المعروف أوقال يتصدق فيجب أن يعمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت - فمن كان رجوا لقاء به فيعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - (٢) » وقد قصد الأجر والحمد جميعا وروى معاذ عن النبي ﷺ أنه قال «أدنى الرياء شرك» (٣) وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «يقال لمن شرك في عمله خذ أجره لمن عملت له» (٤) وروى من عبادة «أن الله عز وجل يقول أنا أغنى عن الشرك من عمل لي عملا فأشرك معي غيره ودعت نفسي لشركي» وروى أبو موسى «أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لشكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (٥) وقال عمر رضي الله عنه ثولون فلان شهيد وله أن يكون قديما دفع راحته ورقا وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ «من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو» فتقول هذا لأحد حديث لا تناقض ما ذكرناه بل للراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقول من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عسيان وعدوان لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين

(١) حديث أنجع السيئة الحسنة معها تخدم في رياضة النفس وفي التوبة (٢) حديث طاووس وعده من التابعين أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن يصطنع المعروف أوقال يتصدق فيجب أن يعمد ويؤجر فنزلت - فمن كان رجوا لقاء به ابن أبي الدنيا في كتاب السنة والحاكم نحوه من رواية طاووس مرسل وقد تخدم في ذم الجاه والرياء (٣) حديث معاذ أدنى الرياء شرك العبراني والحاكم تخدم فيه (٤) حديث أبي هريرة قال لمن أشرك في عمله خذ أجره ممن عملت له تخدم فيه من حديث حماد بن زيد نحوه وتخدم فيه حديث أبي هريرة من عمل عملا أشرك فيه معي غيره تركتوه وشركه وفي رواية مالك في اللوطا فهو له كله (٥) حديث أبي موسى من قاتل لشكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تخدم فيه (٦) حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو تخدم في الباب الذي قبله

ذوالنور: التوكل ترك

تدبير النفس والأخلاق

من الحول والقوة

وقال أبو بكر الرقاق:

التوكل رد العيش إلى

يوم واحد وإسقاط

م غدر - وقال أبو بكر

الواسطي: أصل التوكل

صدق الفاعل والافتقار

وأن لا يشارك التوكل

في أمانيه ولا يلتفت

بسه إلى توكله لحظة

في عمره - وقال بعضهم

من أراد أن يقوم بحق

التوكل فليحضر نفسه

قبلا يدقها فيه وينس

الدنيا وأهلها لأن حقيقة

التوكل لا يؤمن بها أحد

من الخلق على كماله

وقال سهل أول مقامات

التوكل أن يكون السيد

بين يدي الله تعالى

حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها وأما لفظ الشرك حيث ورد فطلق للتساوى وقد بينا أنه إذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي أن يرجح عليه ثواب ثم إن الإنسان عند الشرك أبدا في خطر فانه لا يدري أي الأمرين أغلب على تصده فربما يكون عليه وبالواشك قال تعالى في من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - أي لا يرجع القصد مع الشرك التي أحسن أسوأها التناقص ويجوز أن يقال أيضا منصب الشهادة لا ينال إلا بالإخلاص في الفوز ويبعد أن يقال من كانت داعيته الدينية بحيث ترجحه إلى مجرد التزو وإن لم يكن غنية وقد روى وطائفتين من الكفار أحدا غنية والأخرى فقيرة قال إلى جهة الأغنياء لا على كلفة الله والنفقة لا ثواب له على غزوه أبته. ونوه بالله أن يكون الأمر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل للياس على المسلمين لأن أمثال هذه الثواب التابعة قط لا يترك الإنسان عنها إلا على التدور فيكون تأثير هذا في نقصان الثواب فأما أن يكون في إحباطه فلا نعم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظن أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب إلى الله ويكون الأغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يغني غاية الحفاء فلا يحصل الأجر إلا بالإخلاص والإخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وإن بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي أن يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفا أن تكون في عبادة ما لا يكون وبالها أكثر من ثوابها وهكذا كان الله فثوب من ذوي البصائر وهكذا ينبغي أن يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال صفيان رحمه الله لا اعتد بما ظهر من عمل وقال عبد العزيز بن أبي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحجبت ستين حجة فإدخلت في شيء من أعمال الله تعالى إلا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لآلى ولا على ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغي الشيطان منه إذ لا قصد أن لا يثوب إلا خلاص ومهما ترك العمل قد ضيع العمل والإخلاص جميعا وقد حكى أن بعض الفقهاء كان يخدم بأسيديا حرا وزحف في أعماله فكسبكم أبو سعيد في الإخلاص يوما يريد إخلاص الحركات فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطلبه بالإخلاص فتصدر عليه قضاء الحوائج واستغفر الشيخ بذلك فسأله عن أمره فأخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الإخلاص وأنه يسجز عنها في أكثر أعماله فتركها فقال أبو سعيد لا تفعل إذ الإخلاص لا يقطع الماملة قواظب على العمل واجتهد في تحصيل الإخلاص فإقلت لك أترك العمل وإنما قلت لك أخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لأجل الخلق شرك.

(الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته)

(فضيلة الصدق)

قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» (١) ويكنى في فضيلة الصدق أن الصدق يمتدح منه والله تعالى وصف الأنبياء به في معرض للتحذير والثناء فقالوا ذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيا - وقال - وأذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا - وقال تعالى - وأذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبيا وقال ابن عباس أربع من كن فيه قدر ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر. وقال جابر بن الحريث من عامل الله الصدق

حكايته بين يدي
الفاصل بقلبه كيف أراد
ولا يكون له حركة
ولا تدبير وقال حمدون
القصار : التوكل هو
الاعتصام بالله . وقال
سهل أيضا : العلم كلباب
من التبع والتعبد كلباب
باب من الورع والورع
كله . باب من الزهد
والزهد كله باب من
التسوك . وقال :
التقوى . واليقين مثل
كفقي لليزان والتوكل
لسانه به تعرف الزيادة
والتقصان ويقع لي أن
التوكل على قدر الصلح
بالوكيل فكل من كان
أتم . معرفة كان أتم
توكل ومن كل توكله
فاب في رؤية الوكيل
عن رؤية توكله إن

(الباب الثالث في الصدق)

(١) حديث إن الصدق يهدي إلى البر الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم

استوحش من الناس . وقال أبو عبد الله الرضى رأيت منصورا الدينورى في المنام قلت له ما فعل الله بك قال غفرتى ورحمتى وأعطانى مالم أؤمل قلت له أحسن ما توجه اليه به إلى الله ماذا قال الصدق وأصبح متوجه به الكذب . وقال أبو سليمان أجل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلتك . وقال رجل لحكيم ما رأيت صادقا قتاله لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن طي السكافى قال وجدنا دين الله تعالى مبينا على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل والحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول . وقال الثورى في قوله تعالى - ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة - قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا با صادقين وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام بإدائه من صدقى في سريره صدقة عند الخلقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلى ورمى نفسه في دجلة فقال الشبلى إن كان صادقا لله تعالى ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وإن كان كاذبا لله تعالى يغرقه كما أغرق فرعون . وقال بعضهم أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال أيها إذا صحت فيها النجاة ولا يتم بعضها إلا بيمين الإسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الأعمال وطيب اللطم . وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني إسرائيل يجمعون فقره ونها ويتردسونها لا كنز أنفع من العلم ولا مال أرفع من العلم ولا حب ولا حبيب أوضع من النضب ولا قريب أنزى من العمل ولا رفيق أشين من الجليل ولا شرف أعز من التقوى ولا كرم أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفسك ولا حسنة أعل من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دواء ألين من الرفق ولاداء أوجع من الحرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصع من الصدق ولا نهر أذكى من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة أطيب من الصحة ولا ميسرة أعنا من العفة ولا عبادة أضمن من الخشوع ولا زهد خير من التوكل ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غلب أقرب من اللوث . وقال محمد بن سعيد الروزى إذا طلبت الله بالصدق أتاك الله تعالى امرأة يدك حتى يصر كل شيء من هجاب الدنيا والآخرة . وقال أبو بكر الوراقى أحفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لدى التوكل هل تقبلد إلى صلاح أموره سبل ؟ قال :

قد بشينا من الذنوب حيارى نطلب للصدق ما إليه سبل
فدعاوى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا جميل

وقيل لسبل ما أصل هذا الأمر الذى نحن عليه قال الصدق والسخاء والشجاعة قليل زهدنا فقال النقي والحياء وطيب الغذاء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما وأن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال : قول الحق والعمل بالصدق (١) وعن الجليد في قوله تعالى - ليسأل الصادقين عن صدقيهم قال يسأل الصادقين عن أنفسهم عن صدقيهم عند ربهم وهذا أمر على خطر .

(بيان حقيقة الصدق ومناه ومرتبه)

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والأراد وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعهود وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن أنصف بالصدق في جميع ذلك فهو صدق لأنه مبالغة في الصدق ثم هم أيضا على درجات فمن كان له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه . الصدق الأول : صدق اللسان وذلك لا يكون إلا في الإخبار أوفيا يتضمن الإخبار وبينه عليه والخبر إيمان يتعلق بالماضى أو بالمستقبل (١) حديث ابن عباس سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق لم أجده بهذا اللفظ .

قوة العفة تزيد صرف العلم بالعدل في القسمة وإن الأقسام أصبت بأزاء للقسوم لهم عدلا وموازنة فإن النظر إلى غير الله لوجود الجهل في النفس وكل ما أحس بشيء يقدح في توكله يراه من منبع النفس فقهان التوكل يظهر بظهور النفس وكاله يثبت بخية النفس وليس للأقوياء اعتداده بتصبح توكلهم وإنما شغلهم في تثبيت النفس بقوة مواد القلب فإذا غابت النفس انصمت مادة الجهل فصح التوكل والعبد غسبر ناظر إليه وكلما تحرك من

وفيه يدخل الوفاء والوفاء والحلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يشكك إلا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأفياء على خلاف ما سأل عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كالان: أحدهما الاحتراز عن المعارض ضد قول المعارض مندوحة عن الكذب وذلك لأنها تقوم مقام الكذب إذ المحذور من الكذب تنهيه الذي على خلاف ما هو عليه في نفسه إلا أن ذلك مما تمس إليه الحاجة وتنفيه الصلحة في بعض الأحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجرى مجرام وفي المحذور عن الظلمة وفي قتال الأعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار تلك فمن اضطر إلى شيء من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه أنه قبايا مره الحق به وتنفيه الدين فإذا نطق به فهو صادق وإن كان كلامه منها غير ما هو عليه لأن الصدق ما يريد لداته بل للدلالة على الحق والله أعلم إليه فلا ينظر إلى صورته بل إلى معناه نعم في مثل هذا للوضع ينبغي أن يدل على المعارض ما وجد إليه سبيلا، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توجه إلى سفروى يثبته^(١) وذلك كي لا يفتيى الخبر إلى الأعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من أصلح بين اثنين وقال خيرا أو نعى خيرا^(٢) ورخص في التلويح على وفق للصلحة في ثلاثة مواضع من أصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب، والصدق ههنا يتحول إلى التية فلا يرأى فيه إلا صدق التية وإرادة الخير فهما صرح قسده وصدقت نيته ونجرت للخير إرادته صار صادقا وصدقا كيفما كان لفظه ثم التريض فيه أولى وطريقه ما حكم عن بعضهم أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي بأصبعك دارتوضي الأصبع على الدائرة وقولي ليس هو ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وأنهم الظالم أنه ليس في الدار فالكال الأول في اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن المعارض أيضا لا عند الضرورة والكال الثاني أن يراعى معنى الصدق في ألفاظه التي يتجاسى بها ربه كقوله - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - فإن قلبه إن كان - منصرفا عن الله تعالى مشغولا بأمانى الدنيا وشهواته فهو كاذب وكقوله - إياك نعبد وإياك نستعبد - فإن كان قلبه متصرفا للصواب وكونه مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله أنا عبد الله لم يجز عن تحقيقه فإنه إن كان عبدا لنفسه أو عبدا الدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكل ما نقد البدي به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام يا عبد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «تس عبد الدينار تس عبد البرم وعبد الحقة وعبد الحمية»^(٣) فسمى كل من تعبد قلبه بشيء عبدا له وإنما العبد الحق لله عز وجل من أحق أولا من غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فإذا تعبدت لله الحرة صار القلب فارغا فغلت فيه البودية لله فتشغله بالله ومحبه وتعبد بآلته وظاهره بباطنه فلا يكون له مراد إلا الله تعالى ثم تجاوز هذا إلى مقام آخر أسقى منه يسمى الحرية وهو أن يتق إرادة الله من حيث هو بل يتبع ما يريد الله له من تحرب أو إبعاد فتق إرادته في إرادة الله تعالى وهذا عبد عتق من غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مقفودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه إن حركه تحركه وإن سكنه سكنه وإن ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله كاليتيم بين يدي القاسم وهذا منتهى الصدق في البودية

النفس بقية رد على منيرهم سر قوله تعالى - إن الله يعلم ما يدعون - من دونه من شيء - فيغلب وجود الحق الأعيان والأكوان ويرى السكون بالله من غير استقلال السكون في نفسه ويصير التوكل حينئذ اضطرابا ولا يتدح في توكل مثل هذا للتوكل ما يتدح في توكل الضملاء في التوكل من وجود الأسباب والوسائط لأنه يرى الأسباب مؤانا لإحياها لها إلا بالتوكل وهذا توكل خواص أهل اللطف.

[قولهم في الرضا] قال الحزب الرضا يكون

(١) حديث كان إذا أراد سفرا ونهى غيره متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٢) حديث ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وقد تقدم (٣) حديث تس عبد الدينار الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

لله تعالى فالصدق الحق هو الذي وجوده لمولاه لاتفقه وهذه درجة الصديقين . وأما الخيرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبمدها تتحقق العبودية لله تعالى وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه أن يسمى صادقا ولا صدقاً فهذا هو معنى الصدق في القول . الصدق الثاني: في النية والارادة ويرجع ذلك إلى الاخلاص وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى فإن ما زجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذباً كإرونا في فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة حين يدخل العالم ما حملت فيها علفت ؟ فقال فملت كذا وكذا ، فقال الله تعالى كنيبت بل أردت أن يقال فلان عالم (١) فإنه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه في إرادته ونيته وقد قال بعضهم: الصدق صحة التوحيد . في القصد وكذلك قول الله تعالى - والله يشهد إن المنافقين لكاذبون وقد قالوا إنك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لامن حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب ينطرق إلى الخبر وهذا القول يتضمن إخباراً بخيرية الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه أن يقدم ما يقول فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه فإنه كذب في ذلك ولم يكذب فيما يلتصق به فيرجع أحد معاني الصدق إلى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد . وأن يكون مختصاً . الصدق الثالث: صدق العزم فإن الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه إن رزقني الله الله لاصدقت بجميعه أو بشرطه أو إن لقيت عدواً في سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وإن قتلت وإن أعطانى الله تعالى ولاية عدلت فيها ولم أعمس الله تعالى ظلم وميل إلى خلق فيهذه العزيمة قد صادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة فكان الصدق هنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال فلان شهوة صادقة ويقال هذا للرئيس شهوة كاذبة مهما لم تكن شهوة عن سبب ثابت قوى أو كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى والصادق والصديق هو الذي تصادف عزمته في الخبرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه أبداً بالعزم للصمم الحازم على الخبرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه: لأن أقتلهم فتنضب تنقي أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه فإنه قد وجد من نفسه العزم الجازم والمهبة الصادقة بأنه لا يتأمر مع وجود أبي بكر رضي الله عنه أو كذلك بما ذكره من القتل . ومما رآب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا يتسبى به إلى أن يرضى بالقتل فيه ولكن إذا دخل وزايه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين وللؤمنين من لو خير بين أن يقتل هو أو أبو بكر كانت حياته أحب إليه من حياة أبي بكر الصديق . الصدق الرابع: في الوفاء بالعزم فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا مشقة في الوعد والعزم وللؤنة فيه خفيفة فإذا حقت الحقائق وحصل التمسك وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يبق الوفاء بالعزم وبهذا يضاد الصدق فيه ، ولذلك قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - قد روى عن أنس . وأن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أرايت الله مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لرين الله ما صنع قاله فشهد أحداً في العام التالي فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو إلى أين فقال وها لربع الجنة إني أجد زعماء دون أحد يقاتل حتى تقتل فوجد في جسده بضع وعشرون ما بين رمية وضربة وطلحة يقاتل أخاه بنت النضر ما عرفت أشي إلاياته ، فقتلت هذه الآية - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه (٢) - . ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب

(١) حديث الثلاثة حين سأل العالم ماذا عملت فيما غلبت الحديث هدم (٢) حديث أنس أن عمه أنس بن

القلب تحت جريان الحكم وقال فوالنون الرضا سرور القلب بحر القضاء . وقال صفيان عند رواية اللهم ارض عنا فقالت له أما تستحي أن تطلب رضا من لست عنه راض فسألها بعض الجاهلين متى يكون البدر راضاً عن الله تعالى ؟ فقالت إذا جكان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة . وقال سهل إذا اتصل الرضا بالرضا وانصل الطمأنينة - فطوي ثم وحسن ما كبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله وراعه» وقال عليه السلام «إن الله

ابن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال عليه السلام - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر - ^(١) وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذى يرغب الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته . قال الراوى : فلا أدري قلنسوة عمر أوقلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجل جيد الإيمان إذا لقي العدو فكأنما يضرب بوجهه بشوك الطلح أتاه سهم فارتقتة فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط محلا واحدا وآخر سبيته لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل أمر في قصة لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة ^(٢) » وقال مجاهد رجلان خرجا على ملا من الناس فمؤد قتالا إن رزقا لله تعالى مالا لئلا يصدقن فقبولها به فزلت - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين - وقال بعضهم إنما هو شيء نووه في أنفسهم لم يشكوا به قتال - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله خيلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبتهم نفاق في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صداقة وهذا الصدق أحد من الصدق الثالث فإن النفس قد تستعجب بالزم ثم تكسب عند الوفاء لشدة عليها ولطيفان الشهوة عند التمكن وحصول الأسباب ، ولذلك استثنى عمر رضى الله عنه فقال لأن أقدم فضرى عتقى أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم لأن تسول في قضى عند القتل شيئا لأجده الآن لأنى لا آمن أن يثقل عليا ذلك فتشترع عن عزمها ، أعز بذلك إلى شدة الوفاء بالزم وقال أبو سعيد الخزاز رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقالا لى ما الصدق قلت الوفاء بالهد فقالا لى صدقت وعرجا إلى السماء . الصدق الحاسس في الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصم هو به لأن بترك الأعمال ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر وهذا مخالف ما ذكرناه من ترك الرياء لأن الرأى هو الذى يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه خائف عن الصلاة فمن ينظر إليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحلال عن الباطن إعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الأعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موسوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مرايا إياهم ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر وليس ثياب الأستار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذن مخالفة الظاهر للباطن إن كانت من قصد سميت رياء وبغوت بها الإخلاص وإن كانت عن غير قصد فيغوت

التضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في قتله بأحد حتى قتل فوجد في جسده بضع ومائةون من بين رمية وضربة وطلعة وتزول - رجال صدقوا - الآية الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى في الكبرى وهو عند البخارى مختصرا إن هذه الآية نزلت في أنس بن النضر ^(١) حديث وقف على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد وقرأ هذه الآية أبو نعيم في الحلية من رواية عبيد بن عمير مرسل ^(٢) حديث فضالة بن عبيد عن عمر بن الخطاب الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان الحديث الترمذى وقال حسن .

تعالى بحكته جسد الروح والمخرج في الرضا واليقين وجسد الملم والحزن في الشك والسخط وقال الجنيد الرضا هو صحة الملم الوصول إلى التسلوب فإذا باشر القلب حقيقة السلم أداه إلى الرضا وليس الرضا والهبة صاعخوف والرجاء فانهما حالان لا يفارقان الجدى في الدنيا والآخرة لأنه في الجنة لا يستغنى عن الرضا والهبة . وقال ابن عطاء الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للبدل لأنه اختاره الأفضل فيرضى له وهو ترك السخط وقال أبو بكر ليس ينال الرضا من الله من

بها الصدق ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل سريري خيرا من علاني » وعلاني صالحه (١) وقال يزيد بن الحارث إذا استوت سريرة البعد وعلانيته فذلك النصف وإن كانت سريرة أفضل من علانيته فذلك الفضل وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وأندواء :

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا

فإن خالف الإعلان سرا لم يله على سعيه فضل سوى الكد والعا

فما خالص الدينار في السوق نافق ومنعشوشه الردود لا ينقض لنا

وقال عطية بن عبد الصافر : إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به للامة بقوله هذا بندي حقا . وقال معاوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل بسم بالهار ، وقال عبد الواحد بن زيد كان الحسن إذا أمر بشيء كان من أجل الناس به وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له ولم أر أحدا قط أخيه سريرة بعلانية منه ، وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول للمسلمين يا بني فليسوا بالأمانة وامتلكت فيما بيني وبينك بالحياة ويكي ، وقال أبو يعقوب التهرجوري : الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فأذن مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق . الصدق السادس : وهو أهل الدرجات وأعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهو والرضا والتوكل والحلب وسائر هذه الأمور فإن هذه الأمور لما يندلج بالاسم يظهرها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها وإذا غلب الشيء تحت حقيقته سمى صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ، ويقال هذا هو الخوف الصادق وبعبارة هي النبوة الصادقة وقال الله تعالى - إنا للؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا - إلى قوله - أولئك هم الصادقون - وقال تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر - إلى قوله - أولئك الذين صدقوا - وسئل أبو ذر عن الإيمان قرأ هذه الآية فقل له سألتك عن الإيمان فقال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قرأ هذه الآية (٢) ولنضرب للجوف مثلا لما من عبيد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا وهو خائف من الله خوفا ينطق عليه الاسم ولكنه خوف فيه صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة أما نراه إذا خاف سلطانا أو قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وتركد فرسه ويتنفس عليه عيشه ويشعل عليه أكله ونومه ويتشم عليه فكره حتى لا يشتم به أهله وولده وقد ينزع عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحش وبالراحة التصب والشفق والتعرض للأخطار كل ذلك خوفا من ذلك المهدور ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جيران معصية عليه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لم أر مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها (٣) » فالتحقق في هذه الأمور عزيز جدا ولا غاية لهذه اللقائات حتى نال تمامها ولكن لكل عبادته حظ بحسب حاله إما ضيق وإما قوى فإذا قوى سمى صادقا فيه لفرقة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام « أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا ينطق ذلك قال بل أرى فواعده البقيع في ليلة مقمرة فأراه فظنر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو به قد سد الأفق بيني وجواب السماء فوقع النبي صلى الله عليه وسلم مني مشيا عليه فأفاق وقد عاد

(١) حديث اللهم اجعل سريري خيرا من علانيته تقدم ولم أجده (٢) حديث أبي ذر سألتك عن الإيمان قرأ هذه الآية فقال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قرأ هذه الآية (٣) »

لغنيا في قلبه مقدار .
وقال السري : حسن
من أخلاق القرنين
الرضا عن الله فيما يحب
الفس وتكسره
والحيد له بالتجيب
إليه وإحياء من الله
والأنس به والوحشة
عما سواه . وقال الفضيل
الراضي لا يشقى فوق
منزله شيئا وقال ابن
شعوب الرضا بالحق
والرضا له والرضا عنه
فالرضا مدبر واختاروا
والرضا منه قاصدا
ومعطيا والرضا له لما
وربما . سئل أبو سعيد
هل يجوز أن يكون
الصدرا ضامنا خائلا
ثم يجوز أن يكون
راضيا عن ربه ما خاف
على نفسه وعلى كل قاطع

جزيل لصورته الأولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظننت أن أحدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت إسرائيل إن العرش لملئ كاهله وإن رجله قد مرت تحت غيوم الأرض السفلى وإنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوضع (١) يعني كالصفور الصغير، فانظر ما الذي يشاهد من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد ومئات اللاتسعة ليسوا كذلك لثقلاتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم . وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرت ليلة أسري بي وجبريل باللائحة الأظلى كالجلس البالي من خشية الله تعالى (٢) يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا يبنوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما إن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تنظر الناس كلهم حق في دين الله . وقال مطرف ما من الناس أحد إلا وهو أحق قبيحا بينه وبين ربه إلا أن بعض الحق أهون من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأبهر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجد أنها حقير (٣) » فالصادق إذن في جميع هذه القامات عزيز ثم درجات الصدق لآنها بالها وقد يكون لعبد صدق في بعض الأمور دون بعض فإن كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة أنا فيهن قوي وفيها سواهن ضيف ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي حتى أفرغ منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا إلا علمت أنه حق فقال ابن السيب ما ظننت أن هذه الحاصلات تجتمع إلا في النبي عليه السلام فهذا صدق في هذه الأمور وكبر قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلاة وأتوا الجناز ولم يلقوا هذا يبلغ فيه هي درجات الصدق ومعانيها والكلمات للأئمة عن الشايخ في حقيقة الصدق في الأغلب لا تتعرض إلا لأحد هذه المعاني ثم قد قال أبو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لبانة المؤمنين قال الله تعالى - والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون - وصدق الطاعة لأهل العلم والورع وصدق المعرفة لأهل الولاية الذين هم أوتاد الأرض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر أقسام مائة الصدق وهو أيضا غير محيط بجميع الأقسام . وقال جعفر الصادق: الصدق هو المجاهدة وأن تختار على الله غيره كالم حتر عليك غيرك فقال تعالى - هو اجبتاكم - وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن إذا أحببت عبدا أحببته يلايا لأقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه فإن وجدته صابرا أخذته وليا وحبيبا وإن وجدته جزوا يشكوني إلى خلقي خذته ولا أبالي فأذن من علامات الصدق كثرة الصائب والطاعات جيما وكراهة اطلاع الخلق عليها . ثم كتاب الصدق والإخلاص ، يتلوه كتاب الرقية والحامية والمحمد لله .

يقطعه عن الله . وقيل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إن أبا ذر يقول القبر أحب إلى من التقي والسقم أحب إلى من الصحة قال رحمه الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من اكتمل على حسن اختيار الله له لم يمتن أنه في غير الخالة التي اختار الله له . وقال علي رضي الله عنه من جلس على بساط الرضا لم ينلهم الله مكروه أبدا ومن جلس على بساط السؤال لم يرش عن الله في كل حال . وقال يحيى رجع الأمركه إلى هذين الأصلين فعل منه بك وقيل

- (١) حديث قال الجبريل أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطبق ذلك الحديث تقدم في كتاب الرجاء والخوف أخبر من هذا الذي ثبت في الصحيح أن أبا جبريل في صورته مرتين
- (٢) حديث مرت ليلة أسري بي وجبريل باللائحة الأظلى كالجلس البالي من خشية الله الحديث محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقي في دلائل النبوة من حديث أنس وفيه الحديث بن عبيد الإلهي ضمه الجمهور وقال البيهقي ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن حمزة بن عطار وهذا مرسل (٣) حديث لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأبهر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجد أنها حقير لم أجده أصلا في حديث مرفوع .

﴿ كتاب الراية والمحاسبة ﴾

(وهو الكتاب الثامن من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارية عما جرتحت الطلوع على ضياء القلوب
إذا هجست الحبيب على خواطر عباده إذا اختلعت الذي لا يزب عن قلبه مقال ذوقه السنوات
والأرض تهزكت أو سكنت المحاسب على القبر والقطير والليل والكثير من الأعمال وإن خفيت
للتفضل بقول طاعات العباد وإن صغرت للتطول بالقو عن معاصيهم وإن كثرت وإيما محاسبهم
لنعمل كل نفس ما أحضرت وتظهر في قدرته وأخرت قتل أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا
لشقيت في صيد القيامة وهلكت وبمد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بشايتها للزجاة
لخابت وخسرت فصبحت من صمت لعمته كافة العباد وحملت واستغرقت رحمة الخلائق في الدنيا
والآخرة وهجرت فينفحات فضله أتمت القلوب للإيمان وانشرت ومن توفيقه بقيد الجوارح
بالمبادات وتأذبت وحسن هدايته أخلصت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبأيده ونصرته
انقطعت مكائد الشيطان وانقضت ويلطف نتائجه ترجع كافة الحسنات إذا قتلت وببشره
تيسرت من الطاعات ما تيسرت منه العطاء والجزاء والأجر والأداء والاسعاد والافقاء والصلاة
والسلام على محمد سيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الأخيلاء .

[أما بعد] قد قال الله تعالى - ونضع للوزن القسط يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مقال
جبه من خردل أو أثينا بها وكفى بنا حاسبين - وقال تعالى - ووضع الكتاب قريءا للمرءى من مشفقين
بما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا
جائزا ولا يظلم ربك أحدا - وقال تعالى - أيوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاء الله ونسوه
والله على كل شيء شهيد - وقال تعالى - يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يسبل مقال
ذرة خيرا يره ومن يسبل مقال ذرة شرا يرمو وقال تعالى - ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون -
وقال تعالى - يومئذ كل نفس بما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا
وحسرتكم الله نفسه - وقال تعالى - ولعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروا - فرفأ رباب البصائر من
جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرضا وأهم سيناقشون في الحساب وطالبون بمناقب القدر من الخطرات
والحفظات وتحققوا أنه لا ينجم من هذه الأخطار إلا لزوم للمحاسبة وصدق للمراقبة ومطالبة النفس
في الأنفاس والمحركات ومحاسنها في الخطرات والحفظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خفي في القيامة
خصا به حشر عند السؤال أو يحسن متعلبا به أو من لم يحاسب نفسه مات حشرا له وطالت في عرجات
القيامة وقباحت وقادته إلى الخزي ولبقت ميتاته فما انكشف لهم ذلك صعدوا أن لا ينجم منه إلا طاعة الله
وقد أمرهم بالصبر والمراقبة فقال عز من قائل - يا أيها الذين آمنوا صبروا وما يرؤوا يطولوا وما يطولوا
أنفسهم أولا بالمشاركة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاقبة ثم بالمعاقبة ثم بالمعاقبة ثم بالمعاقبة
مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وتفصيلها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كل
حساب فبمد مشاركة ومناسبة وبقية عند الحشران للمعاقبة والمعاقبة فليذكر شرح هذه المقامات والله
التوفيق .

(لتمام الأول من الرابطة للشارطة)

أعلم أن مطلب المتعلمين في التجارات الشريكة في البصائر عند المحاسبة ملامة الريح وكان الناجر

﴿ كتاب الراية والمحاسبة ﴾

منك له قرضي بما
عمل وتخلص فيما عمل
وقال بعضهم الراضي
من لم يندم على فائت
من الدنيا ولم يتأسف
عليها . وقيل ليحي
ابن معاذ بن بلخ العبد
إلى مقام الرضا قال إذا
أقام نفسه على أريية
أصول فيما يامل به يقول
إن أعطيتني قبلت
وإن منعتني رخصت
وإن تركتني عدت
وإن دعوتني أجبت .
وقال القليل رحمه الله
بين يدي الجرد لا حول
ولا قوة إلا بالله . قال
أجيبك قولك ذا ينق
صدر فقال صدقت قال
فصريح الصدر ترك
الرضا بالرضا وهذا
إحيا قاله الجند منحه

يستعين شريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإعما
مطلبه وورجه تزكية النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى - قد أطلع من ركامها وقد خاب من
دسامها - وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستخرجها
فيها تزكيا كما يستعين التاجر بشريكه وعلامة الذي يتجر في ماله و كأن الشريك يصير خصما منازعا
يجاديه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولا ويراقب ثانيا ويحاسبه ثالثا وحقايقا وأوجبا من باب ما في فكذلك
العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف ويضبط عليها الشروط ويرشد إلى
طرق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحفظها ولو أهملها لم يربحها
الإحسانة وتضييع رأس المال كالسيد الخائن إذا خلا له الجوز واخره بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي أن
يحاسبها ويطلبها بالوفاء بما شرط عليها فإن هذه تجارة ربها القردوس الأولى وبولغ سدة للتبني
مع الأنبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا مع أنها
محترقة بالاضافة إلى نعم الشيء ثم كيفما كانت قصيرها إلى التصرف والاهتمام لا خفي خيرا لا يدوم بل
شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لأن الشر الذي لا يدوم إذا انقطع طبع الفرح باق طاعه دائما وقد انقضى
الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير وبذلك قيل :

أخذتم حدى في سرور تبين عنه صاحبه انقلا

ختم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها
وسكناتها وخطواتها وحظواتها فإن كل نفس من أنفاس العمر جوهره نفيسة لا حوض لها يمكن أن
يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهي نعيمه أبد الآباد فاهضاء هذه الأنفاس ضائلة ومصروفة إلى
ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل ، فإذا أصبح الصبد وفرغ من فريضة
الصبح ينبغي أن يخرج قلبه ساعة لمشارطة النفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك
العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس مالي بضاعة إلا للعمر ومهما بقي فقد بقي رأس المال
ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وأنسى أبلي وأنتم على
به ولو نوافي لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا يوما واحدا حتى أحمل فيه صالحا لحاسبي أنك قد توفيت
ثم قد رددت فإياك ثم إياك أن تضیی هذا اليوم فإن كل نفس من الأنفاس جوهره لا قيمة له وأعلى بالنفس
أن اليوم واليلة أربع وعشرون ساعة ، وقد ورد في الخبر «أنه ينشر لعبد بكل يوم وليلة أربع
وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيقرأها معلومة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة
فيقال له من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلة عند الملك الجبار والموزع
على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عند الاحساس بأن النار ويقتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة
فروح تنبأ وشقاء ظلامها وهي الساعة التي عصي الله فيها فيقال له من الموهل والفرح والموقع على أهل
الجنة لتفني عليهم نعيمها فيفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسر ولا ما يسوء (١) وهي الساعة
التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشئ من مباحات الدنيا فيقتصر على خلوها وبئانه من غفل ذلك ما يزال
التقادر على الربح الكبير ولللك الكبير إذا أهملته وتهازل فيه حتى فاتته وناهيك به حسرة وغنا
وهكذا تعرض عليه خزائن أوقات طول عمره فيقول لنفسه اجتدي اليوم في أن تمرى خزانتك ولا تدعيها
فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملكك وتبلى إلى السكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من

الله تنبها منه على
أصل الرضا وذلك أن
الرضا يحصل لانصراف
القلب وانحساره
وانصراف القلب من
نور اليقين قال الله تعالى
- إنا لنشرح الله صدره
للإسلام فهو على نور
من دبه - فإذا تمكن
النور من الباطن اتسع
الصدر وانتجت عين
البصيرة وعان حسن
تدبير الله تعالى فيتنوع
السيخط والفجر لأن
اتساع الصدر يتضمن
حلولة الحب وفعل
المحبوب بموقع الرضا
بحسب الصادق لأن
المحب يرى أن الفعل
منه المحبوب مراده
واختياره فيفنى في إله
وقية اختيار المحبوب

(١) حديث ينشر لعبد كل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيقرأها
معلومة من حسناته الحديث بطوله لم أجده أصلا .

درجات عليين ما يدرك غيرك وتبقى عندك حسرة لا تخافرك وإن دخلت الجنة فألم القين وحسرتهم لا يطاق وإن كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب أن الله قد عفى عنه أليس قد قاله نوح بن الحسين أشار به إلى القين والحسرة وقال الله تعالى - يوم يحكمكم اليوم الجمع ذلك يوم التفتين - فيهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتعليمها إليها فاتها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارده وما تم أعمال هذه التجارة وإن لجنهم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وإنما تحين تلك الأبواب لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر إلى وجه من ليس له بحرم أو إلى عورة مسلم أو النظر إلى مسلم بين الاختلاف عن كل فضول يستغنى عنه فإن الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم إذا صرفها عن هذا لم تنفع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها ويرعها وهو ما خلقت له من النظر إلى محال صنع الله بين الاعتبار والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وحسنه رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاعطاء والاستفادة وهكذا ينبغي أن يفصل الأمر عليها في عضو عضولها لسان والبطن أما اللسان فلا تنطق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجناته عظيمة بالنية والكذب والخبثية وتركبة النفس ومذمة الخلق والأطعمة واللحن والدعاء في الأعداء والمارة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع أنه خلق للذكر والتذكير والكره والكره والكره والتعلم وإرشاد عباد الله إلى طريق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيرات فليشترط على نفسه أن لا يحرك اللسان طول النهار إلا في الله كثر تنطق للؤمن ذكر ونظرة عبدة وصحة فكرة - ما يلفظ من قول إلا لله رب عبيد - وأما البطن فيكفنه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال واجتناب الشهوات وبغضه من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشترط على نفسه أنها إن خالفت شيئاً من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليقوتها أكثر مما ناله شهواتها وهكذا يشترط عليها في جميع الأعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تحفى معاصي الأعضاء وطاعتها ثم تستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم واليلة ثم في التوافت التي تجدر عليها وقد عر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها وهذه شروط يقتدر إليها في كل يوم ولكن إذا جمود الإنسان شرط ذلك على نفسه أياماً وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن للشارطة فيها وإن أطاع في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد للشارطة فيها بقي ولكن لا تخلو كل يوم عن منهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه في ذلك حق ويكثر هذا في من يشتغل بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قفا يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضى حق الله فيها فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والالتزام بالحق في مجاربتها وتغذرها منية الاحمال وينظفها كما يوعظ المبد الأيق للتردد فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها - وذكر فان الله كرمي تمنع للؤمنين - فهذا وما يجري مجراه هو أول مقام للرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتجذير قال الله تعالى - واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروا - وهذا للسنجبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة وتقصان فانه يسبى محاسبة فالتنظر في بين يدي العبد في نهاده ليعرف زيادته من قصصاته من المحاسبة وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إذا خرجتم في سبيل الله فبينوا - وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا - وقال تعالى

عن اختيار شه كا
قيل :

وكل ما يفضل المحبوب
محسوب .

[الباب الحادى

والسئون في ذكر

الأحوال وشرعها]

حدثنا شيخنا شيخ

الاسلام أبو النجيب

السرورى رحمه الله

قال أنا أبو طاب الزينى

قال أخبرتنا كريمة

السرورية قالت أنا

أبو الهيثم الكشميرى

قال أنا أبو عبد الله

السرورى قال أنا

أبو عبد الله البخارى

قال ثنا سليمان بن حرب

قال حدثنا شعبه عن

تقافة عن أنس بن

مالك رضى الله عنه

عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال ثلاث من

ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه - ذكر ذلك تحذيراً وتنبها للاحتراز منه في المستقبل . وروى عبادة بن الصامت أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه وبسطه وإذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان رهداً فامضه وإن كان غيا فانتبه عنه ^(١) . وقال بعض الحكماء : إذا أردت أن يكون القلب غالياً للهوى فلا تعمل قضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكثت الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة . وقال لقمان : إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن البدامة . وروى شاذان بن أوس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال - والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله ^(٢) . دان نفسه أي حاسبها ويوم الدين يوم الحساب وقوله - اتنا لمدنيون - أي لحاسبون . وقال جرير رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتنبها للعرض الأكبر ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري حاسب نفسك في الرضاء قبل حساب الشدة . وقال لكعب كيف تحمدني كتاب الله قال ويل لي إن الأرض من ديان السماء فلهذا بالبررة وقال لإمام حاسب نفسه قال كتب إلي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في التوراة ما ينهيها حرف لإمام حاسب نفسه وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الأمور أولاً وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فيأتمرها . [الرابطة الثانية للراقية] إذا أوصى الإنسان نفسه وبطرق عليها مذكراته فلا يلقى إلا للراقية لها عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين الكاشفة فاتها إن تركت طفت وفسدت . ولذا ذكر فضيلة للراقية ثم درجاتها . أما الفضيلة : فقد سأل جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال ^(٣) وأن تحب الله كأنك تراه ^(٤) وقال عليه السلام «عبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ^(٥) . وقد قال تعالى - ألهم هو قائم على كل نفس بما كسبت - وقال تعالى - ألم يعلم بأن الله يرى - وقال الله تعالى - إن الله كان عليكم رقيباً - وقال تعالى - والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهادتهم قاعون . - وقال ابن المبارك لرجل : راقب الله تعالى فسأله عن تنبيهه فقال كن أيداً كأنك ترى الله عز وجل . وقال عبد الواحد بن زيد : إذا كان سيدي رقيباً على فلا أأبى بغيره . وقال أبو عثمان للنري : أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والراقية وميسامة عمله بالعلم . وقال ابن عطاء : أفضل الطاعات محاسبة الحق على دوام الأوقات . وقال الجريري : أمرنا هنا بمنى على أصليين أن نلزم أنفسنا للراقية لله عز وجل . ويكون العلم على ظاهره قائماً . وقال أبو عثمان : قال لي أبو جعفر إذا جلست للناس فكن واعظاً لنفسك وقلبك ولا يفرنك اجتماعهم عليك قائم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك . وحكي أنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فقدما بمدة طويروا ناول كل واحد منهم طائراً وسكبنا وقال ليخرج كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال الحمر فرجع كل واحد بطائر مذبوحاً ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال مالك لم تدع كما ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعاً لا يراى فيه أحد إذ الله مطلع على كل مكان فاستحسنوا منه هذه الراقية وقالوا جئ لك أن تكرم .

كن فيه وجد حلوة
الإيمان : من كان الله
ورسوله أحب إليه مما
سواهما ومن أحب عبداً
لا يحب الله ومن يكره
أن يعود في الكفر بعد
إذ أهداه الله منه سبياً
يكره أن يلحقه في النار .
وأخبرنا شيخنا
أبو زرعة طاهرين
لبي الفضل قال أنا
أبو بكر بن خلف قال
أنا أبو عبد الرحمن قال
أنا أبو حمزة بن حيوة
قال حدثني أبو سعيد بن
مؤمل عن أبيه قال
حدثني بشر بن محمد
قال حدثنا عبد الملك
ابن وهيب عن إبراهيم
ابن أبي حنيفة عن
أبي بصير بن سارية
قال «كان رسول الله

- (١) حديث عبادة بن الصامت إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته الحديث . تقدم (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث . تقدم (٣) حديث سأل جبريل عن الإحسان فقال أن تحب الله كأنك تراه متفق عليه من . حديث أبي هريرة ودواه مسلم من حديث جرير . تقدم (٤) حديث عبيد الله كأنك تراه الحديث . تقدم

وحكى أن زليخا لما خلت يوسف عليه السلام قامت ضلعت وجه صم كان لها فقال يوسف مالك أمتحيين من مراقبة جمد ولا أمتحي من مراقبة تلك الجبار . وحكى عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت له ألا أمتحي فقال من أمتحي ؟ وما يرانا إلا الكواكب قالت فأين مكوكها . وقال رجل للجديد هم أمتحين على غض البصر فقال بملك أنظر الناظر إليك أمتحي من نظرك إلى التغاور إليه . وقال الجديد : إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل ، وعن مالك بن دينار قال : جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها ؟ قال يقول الله عز وجل وإنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمى فراقبوني والذين ائتمت أصلاهم من خشيتي وعزني وجلالي إلى لأهم بسذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من خفافى صرفت عنهم المذاب . وسئل الحاسي عن الرقابة قال : أولها علم القلب برب الرب تعالى . وقال للرسمي : الرقابة مراعاة السر بملاحظة القلب مع كل لحظة ولقطة . وروى أن الله تعالى قال ملائكته أتمموا كون الظاهر وأنا الرقيب على الباطن . وقال محمد بن علي الترمذي أجمل مراقبتك لمن لا تقب عن نظره إليك واجمل شكرك لمن لا تنقطع نعمه منك واجمل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجمل خضوعك لمن لا تخرج من ملكه وسلطانه . وقال سهل : لم يتزين القلب بشئ أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان . وسئل بعضهم عن قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه - قال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده . وسئل ذواتونهم بنو أمية الجينة قال قال خمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سوء ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل لم أرقب
ولا تحسبن الله يغل ساعه ولا أن ما تخفيه عنه يغيث
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن خدا لناظرين قريب

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظمي قال : لأن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه براك لقد اجترأت على أمر عظيم ولأن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت . وقال سفيان الثوري : عليك بالمراقبة ممن لا يخفى عليه خافية عليك بالرجاء ممن يملك الوفاء عليك بالخدر ممن يملك العقوبة . وقال فرقد السنجي : إن للناظر ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى . وقال عبدالله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فمرسنا في بعض الطريق فاعترض عليه راع من إبليل فقال له ياراعى بئى شاة من هذه الغنم فقال إني مملوك قال قل لبيدك أكلها الذئب قال فأين الله قال فيكي عمر رضى الله عنه ثم دعا إلى الملوكة فاعتره من مولاه وأهله وقال أغففتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تمتك في الآخرة .

(بيان حقيقة الرقابة ودرجاتها)

اعلم أن حقيقة الرقابة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه فمن احتز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال إنه يراقب فلانا ويراعى جانبه ومعنى به هذه الرقابة حالة القلب يشمرها نوع من اللزقة وثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب أما الحالة فهي مراعاة القلب الرقيب واشتغاله به والتأهب إليه وبملاحظته إياه وانصرافه إليه وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضياء عالم بالسر الرقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكتشف كما أن ظاهر البصرة لخلق مكتشف بل أهد من ذلك فهذه المعرفة إذا صارت يقينا

سلي الله عليه وسلم
يدعو « اللهم اجعل
جيك أحب إلي من
نفسى ونفسى وبصرى
وأهلى ومالى ومن
النساء الباردة فكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم طلب
خالس الحب وخالى
الحب هو أن يحب الله
تعالى بكليته وذلك
أن العبد قد يكون في
حال قائما بمرور
حاله بحكم العلم والبيعة
تتفاضل به العلم مثل
أن يكون راضيا
والبيعة قد تتصهر
ويكون النظر إلى
الاشياء بالعلم لا إلى
الاستعصاء بالبيعة
قد يحب الله تعالى
ورسوله بحكم الإيمان

أعنى أنها خلت على الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته قرب علم لاشك فيه لا يذهب على القلب كالموت فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه وللقوفون بهذه المعرفة هم القربون ، وهم يتقنون إلى الصديقين وإلى أصحاب الجبين ، فراقبتهم على درجتين . الدرجة الأولى : مراقبة للقربين من الصديقين ، وفي مراقبة التنظيم والاحلال ، وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الحلال ومنكسرا تحت المحبة فلا يلقى فيه منقح للالتفات إلى الغير أصلا وهذه مراقبة لا تطول النظر في تفصيل أعمالها فانها مقصورة على القلب . أما الجوارح فانها تمنع عن الالتفات إلى الباحات فضلا عن المحظورات ، وإذا تحركت بالطاعات كانت كالسفحة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سنخ السداد ، بل يندد الرعية من ملك كلية الراعى والقلب هو الراعى فإذا صار مستغرقا بالمسبوبات صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذى صار همه ما واحدا فكذلك الله سائر المأموم ، ومن نال هذه الدرجة فقد ينفل عن الخلق حتى لا يصير من يحضر عنده وهو فاع عينية ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا يسمع به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجرى عليه ذلك ، قال ابن عابيه إذا مرت بي فركنى ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المنظمة للملوك الأرض حتى إن خدم للملك قد لا يحسون بما يجرى عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشغل القلب بهم حقير من مهمات الدنيا فيفوس الرجل في الفكر فيه ويغشى فرعا يعاوزه الوضع الذى عنده وينسى الشغل الذى هم به . وقد قيل لميد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق ، قال ما أعرف إلا رجلا سيدخل عليكم الساعة فإكان الأسرعا حتى دخل صبة النائم ، قال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت يا ضبة ؟ فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما رأيت أحدا . ويروي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه مر بامرأة فاضها فستطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا ؟ فقال ما ظفنتها إلا جدارا . وحكى عن بعضهم أنه قال مرت جماعة يترامون وواحد جالس يبدا منهم فقمتم إليه فأردت أن أكلمه فقال ذكر الله تعالى أشهى قلت أنت وحدك فقال معي ربي وملكاى قلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له قلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومضى ، وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يشككم إلامته ولا يسمع إلا فيه فهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك إلا بما هو فيه . ودخل الثعلبي على أبي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له من أين أخذت هذه الرأفة والسكون ، فقال من سنور كانت لنا فكأنت إذا أردت الصيد رابطت رأس الجحر لا تتحرك لها شرة . وقال أبو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الرملة لقاء أبي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس الصري المعروف بالزاهد إن في صور شأبا وكهلا قد اجتمعا على حال للرأفة ، فلو نظرت إليهما نظرة لملك تستفيد منهما فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفي وسطى خرقة وليس على كفتي شيء فدخلت المسجد فإذا بشخصين قاعدين مستقبلين القبلة فسلمت عليهما فما أجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب . قلت : نهدكما بالله إلا رددكما على السلام . فرفع الشاب رأسه من مرقته فنظر إلى . وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما يحيى من القليل إلا القليل غلظ من القليل البكثير . بلان خفيف : ما أكل بشكلك حتى تنفرغ إلى قناتنا . قال فأخذ بكليتي ثم طأطأ رأسه في السكان فقيمت عندهما حتى صلبنا الظهر والنصر

وعجب الأهل والولد
بحكم الطبع . وللمحبة
وجوه وبواعث المحبة
في الانسان متنوعة
لأنها عيبة الروح
ومحبة القلب ومحبة
النفس ومحبة العقل
فقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقد ذكر الأهل
والوالد والماء البارد
معناه استئصال عروق
المحبة عصبية الله تعالى
حتى يكون حب الله
تعالى غالبا فيجب الله
تعالى قلبه وزوجه
وكليته - حتى يكون
حب الله تعالى أغلب
في الطبع أيضا والمحبة
من حب الماء البارد
وهذا يكون جبا
صافيا لحواس تستغفر

فذهب جوعى وعطشى وعنائى . فلما كان وقت العصر قلت عظمى فرفع رأسه إلى : وابن خفيف نحن أصحاب اللصائب ليس لنا لسان العظلة فقيت عندها ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلًا شيثا ولا شربا فلما كان اليوم الثالث قلت فى سرى أحلفهما أن يعطاني لى أن أتنعم بمظهرهما فرفع الشاب رأسه وقال لى يا ابن خفيف عليك بصجة من يذكرك الله رؤيته وتنع هيته على قلبك يعظك بلسان فله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة للراقبين الذين غلب على قلوبهم الإجلال والتعظيم فلم يبق فيهم منسحق لغير ذلك . الدرجة الثانية : مراقبة الوريثين من أصحاب الجبين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهريهم وباطنيهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال منقسمة لتنتقل إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن الرقابة . نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يشتبهون به فى القيامة فاتهم يرون الله فى الدنيا معلما عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك فى خلوتك قد تنماطى أعمالا فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك وتراعى أحوالك لاعتى إجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فاتها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك التعظيم حتى ترك كل ما أنت فيه شغلا به لأحياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته ، وله فيها نظران نظرا قبل العمل ونظرا فى العمل . أما قبل العمل فلينظر أن مظهره وتحركه يفضله خاطره أهو . لله خاصة أهو فى هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى يشكك فيه ذلك يتور الخفى ، فان كان قد تعالي أمضاه ، وإن كان لغير الله استحي من الله وانكشف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمة به وميله إليه وعرفها سوء فعلها وسعيها فى فضيحها وأنها غدوة نفسها إن لم يتداركها الله بصمته وهذا التوقف فى بداية الأمور إلى حد البيان واجب محض لا يعيس لأحد عنه فان فى الخبر ذاته ينشر للعبد فى كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاثة دواوين : الديوان الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن (١) . ومعنى لم أى لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لولاك أو لمك إليه بشئ وتك وهو لك فان سلم منه بأن كان عليه أن يعمل ذلك لولاه سئل عن الديوان الثانى فقيل له كيف فعلت هذا فان فى كل عمل شرط وحكما لا يدرك قدره وقوته وصفته إلا بعد يقال له كيف فعلت أبعلم محقق أم مجهول وتلن فان سلم من هذا بشرى الديوان الثالث وهو للطالبة بالإخلاص يقال له لمن عملت لوجه الله خالصا وقاد فقولك لا إله إلا الله فيكون أجرك لله وأمراته آتة خاتى مثلك نلذ أجرك منه ثم عملته قتال عاجل دنياك قد وفيناك نصيبك من الدنيا ثم عملته بسوء وغفلة قد سقط أجرك وحيط عملك ونجاب عيبك وإن عملت لغيري قد استوجبته بحق وعنائى إذ كنت عبدا لى تأكل رزقى وترقه بمنى ثم تعمل لغيري أما سمعتى أقول لى إن الدين تدعون من دون الله عباد أمثالكم إن الدين تبتدون من دون الله لا يعلكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وحدهم لا شريك له . إن الدين الخالص فاذا عرف العبد أنه صده هذه اللطائف والتوبيخات طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد للسؤال جوابا وليكن الجواب جوابا فلا يبدى ولا يبعد إلا بعد التثبت

(١) حديث ينشر للعبد فى كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاثة دواوين : الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن . لم أنف له على أصل .

به ويؤوده نار الطبع والجملة وهذا يكون حب الذات عن مشاهدة بكوف الروح وخلاصه إلى مواطن الترتب . قال الواسطي فى قوله تعالى - يحرم ويحيونه - كما أنه بذاته يحرم كذلك يحون ذاته فالحياة راجعة إلى الذات دون الحوت والصفات . وقال بعضهم الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن حبه فيه حقيقة فاذا نال الحب حيان حبه عام وحب خاص فالحب العام مفسر بأشكال الأمور وربما كان جبا من معدن العلم بالألاء

ولا يحرك جمفا ولا تلمة إلا بداملة التأمل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لما عذ إن الرجل ليسئل عن كحل عينه وعن فته الطين بأصبعيه وعن لمه ثوب أخيه (١) وقال الحسن كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فإن كان قد أمضاه . وقال الحسن : رحم الله تعالى عبدا وقف عندهم فإن كان قد مضى وإن كان لتبره تأخر وقال في حديث سعد حين أوصاه سلمان «اتق الله عند همك إذا هممت» (٢) وقال محمد بن علي إن للزمن وقاف متأن وقف عند همك ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر الأول في هذه الرابطة ولا يخلص من هذا إلا العالم للثين وللعرفة الحقيقية بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان فلي لم يعرف نفسه وربه وعدوه إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمة وفكرته وسكوته وحركته فلا يعلم في حسنه الرابطة بل الأكثرون يترسبون الجاهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولا تظن أن الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعلو هيبات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركنان من عالم أفضل من ألف ركنة من غير عالم لأنه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواقع الغرور فيتقن ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في ثعب والشيطان منه في فرح وهمة فتعود بالله من الجهل والتلفه فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران حكيم الله تعالى على كل عبدا أن يراقب نفسه عند همه بالعلم وسعيه بالمجاهدة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيضيه أوهو لهوى النفس فيتيه ويترجى القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطيئة الأولى في الباطن إذا لم تدفع أورت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل والقصد يورث البوار والقت فينبغي أن تحسم مادة الشر من منبعه الأول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يقبه وهما أشكل على البعد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيفكر في ذلك بنور العلم ويستعين بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان هجر عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستغنى بنور علماء الدين ولغير من العلماء المصلين للتبليغ إلى الدنيا فرار من الشيطان بل أشد قدرا وحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : لا تسأل عني طالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن هيج أولئك قطاع الطريق على عبادي ، فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وعدة الشره والتكالب عليها محبوبة عن نور الله تعالى فان مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوية فكيف يستغنى بها من استدبرها وأقبل على عدوها وعشق بغيضا ومقبتها وهي شهوات الدنيا فلتكن همه المريد أولا في أحكام العلم أوق طلب عالم معرض عن الدنيا أو ضعف الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات» (٣) جمع بين الأمرين وما متلازمان حاقين ليس له عقل وواع عن الشهوات فليس له بصير ناقد في الشبهات ولذلك قال عليه السلام «من قارف ذنبا قارقه عقل لا يولد إليه أبد» (٤) فما قدر العقل الضعيف الذي سمد الأدمى به حتى يبعد إلى محوه ويحرقه بتقارفة الذنوب ومعرفة آفات الأعمال قد اندرست في هذه الأعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا

والنعماء وهذا الحب
خرجه من الصفات
وقد ذكر جمع من
المساجد الحب في المقامات
فيكون النظر إلى
هذا الحب العام الذي
يكون لكسب العبد
فيه مدخل . وأما
الحب الخاص فهو حب
الذات عن مطالعة
الروح وهو الحب الذي
فيه السكرات وهو
الاصطناع من الله
الكريم : لبسده
واصفاءه إياه وهذا
الحب يكون من
الأحوال لأنه محض
بوجهة ليس فكسب
مدخل وهو مفهوم
من قول النبي صلى الله
عليه وسلم «أحب إلى
من الهدى الباردة» لأنه

(١) حديث قل له لما عذ إن الرجل ليسأل عن كحل عينه الحديث تقدم في الذي قبله (٢) حديث سعد بن عبد الله عن الحسن إذا هممت أحمد والحاكم وصحبه وهذا القدر منه موقوف وأوله مرفوع تقدم (٣) حديث إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث عمران بن حصين وفيه حصن بن عمر المدني ضعيف الجمهور (٤) حديث من قارف ذنبا قارقه عقل لا يولد إليه أبد تقدم ولم أجده .

بالوسط بين الخلق في الخصومات النائرة في اتباع الشروات وقالوا هذا هو الفقه وأخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم ونجدوا لفقه الدنيا الذي ما قصد به الإدفع الشواغل عن القلوب لينصرف لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر «أنهم اليوم في زمان خيركم فيه للسارع وسبأني عليكم زمان خيركم فيه للتثبت» (١) ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليهم الأمر كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه ومجبرا به وكان عن وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال «فاذا رأيت شعبا مطاما وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن خاصة نفسك» (٢) وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى - ولا تقف ما ليس لك به علم - وقوله عليه السلام «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» (٣) وأراد بهذا الظاهر دليل كما يستقضى بعض العلوم قلبه فيها أشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاء الصديق رضى الله تعالى عنه اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابها علي فأصبح الهوى . وقال عيسى عليه السلام «الأمور ثلاثة: أمر استبان رصده فاتبه وأمر استبان فيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى طاله» (٤) وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم» (٥) فأعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والإيمان جارية عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتثنا على عبده - وكان فضل الله عليك عظيما - وأراد به العلم وقال تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - وقال تعالى - إن علينا الهدى - وقال - ثم إن علينا بيانه - وقال - وعلى الله قصد السبيل - وقال على كرم الله وجهه : الهوى شريك الهوى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طاردهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من بركن له جيب والصدق من صدق غيبه ولا يمدك من جيب سوء ظن نعم الخلق التكريم والحياء سبب إلى كل جميل وأوقو القرائن التوفى وأوقو سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما أصلمت به منه والرزق رزقان رزق طلبه ورزق يطلبك فان لم تأته أملاك وإن كنت جازعا على ما أصيب بحاف في يدك فلا تخرج على ما لم يصل إليك واستند على ما لم يكن بما كان فانما الأمور أهواء والرءوس مدرك ما لم يكن ليقوته ويسوءه فوث ما لم يكن ليسدركه فان نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاك منها فلا تقيمه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لأخرك وهلك فيما بعد الموت وغرمتنا من قل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ، فالنظر الأول للمراقب نظره في الهوى والحركة التي لم الهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرأى بشيء من عمله وإذا عرض له أمر أن أحداهم للدنيا والآخرة والآخرة أثر الآخرة على الدنيا» (٦) وأكثر ما يكشفه في حركاته أن يكون مباحوا ولكن

(١) حديث أنهم اليوم في زمان خيركم فيه للسارع وسبأني عليكم زمان خيركم فيه للتثبت لم أجده (٢) حديث فاذا رأيت شعبا مطاما وهوى متبعا الحديث تقدم (٣) حديث إياكم والظن الحديث تقدم (٤) حديث قال عيسى الأمور ثلاثة ثلاثة الحديث الطبراني من حديث ابن عباس بأسناد ضيف (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم لم أجده (٦) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة - وقد تقدم -

كلام من وجدان روح
تلتذ به الحيات
وهذا الحب روح
والحب الذي يظهر عن
مطالعة الصفات وطالع
من مطالع الإيمان
قابل لهذا الروح ولما
سحت عيبت هذه أخبار
الله تعالى عنهم بقوله -
أذلة على المؤمنين - لأن
الحب يذل لمحبوبه
ولمحبوب محبوه
ويشدد
لمن تغدى ألف عين
وتقى
ويكرم ألف الحبيب
للكرم
وهذا الحب الخالص
هو أصل الأحوال
النية ومنهجها وهو
في الأحوال كالثوبة
في اللقائات فمن سحت

لا ينيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم «من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينهيه»^(١). النظر الثاني للرقابة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليفضى حق الله فيه ويضمن النية في إتمامه ويكمل ضرورته ويتطاعه على أكل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يخفى في جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن العمل ومراعاة الأدب فإن كان قاعدا مثلاً فينبغي أن يقدم مستقبل القبلة لقوله ﷺ «خير المجالس ما مستقبل به القبلة»^(٢) ولا يجلس متربها إذا لم يجالس للولك كذلك ومثل ذلك للولك مطلع عليه قال إبراهيم بن آدم رحمه الله جاست مرة متربها فسمعت هاها يقول هكذا يجالس للولك فلم أجلس بعد ذلك متربها وإن كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل في الرقابة بل لو كان في قضاء الحاجة فراغاته لأدائها وفاء بالرقابة فاذن لا يغفل العبد إيماناً أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح فراقته في الطاعة بالأخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات وإن كان في نصبة فراقته بالتوبة والتندم والاقلاع والحياة والاشتغال بالشكر وإن كان في مباح فراقته بمرعاة الأدب ثم يشهود للنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يغفل العبد في جملة أحواله عن بيعة لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من الرقابة بل لا يفك العبد في كل حال من فرض الله تعالى عليه إما فعل يلزمه مباشرة أو محذور يلزمه تركه أو ذنب حث عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تعالى ويسابق به عبادة الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعة ويسلك واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام الرقابة - ومن يتحددها فإنه قد علم نفسه فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة فإذا كان فارغاً من القرآن وتدرى الفضائل فينبغي أن يلتزم أفضل الأعمال ليستشغل بها فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والأرباح تتالجزأيا الفضائل فيذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى - ولا ترضى نفسك من الدنيا - وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلاث ساعة مضت لاتب في العبد كيفما اقتضت في مشقة أو راحة وساعة مستقبل لم تأت بعد لا يدري العبد أين يمشي إليها أم لا ولا يدري ما يقضى الله فيها وساعة راحته فينبغي أن يجاهد فيها نفسه وراقب فيها ربه فإن لم تأت الساعة الثانية لم يتصر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى ولا يطول أمته خسين سنة فيطول عليه العزم على الرقابة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أمثاله فله آخر أمثاله وهو لا يدري وإذا أمكن أن يكون آخر أمثاله فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر رضي الله تعالى عنه من قوله عليه السلام «لا يكون للؤمن طاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمتا لخاص أو لدة في غير حرم»^(٣) وما روي عنه أيضاً في معناه «على العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يشكر فيها الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطمع والشرب»^(٤)

توبته على المكالم
تحقق بسائر القامات
من الزهد والرضا
والتوكل على ما شرع الله
أولاً ومن صحت
حجته هذه تحق
ببعض الأحوال من
الغنا والبقاء والصبر
والخوف وضيق ذلك
والتوبة لهذا الحب
أيضاً بمثابة الجحيم
لأنها مشتتة على الحب
العام الذي هو لهذا
الحب كالجسد ومن
أخذ في طريق
المحبوبين وهو طريق
خاص من طريق
المهبة يتكلم فيه
ويجتمع له روح الحب
الخاص منسج قالب
الحب الصام الذي
تقتل عليه التوبة

(١) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينهيه تقدم (٢) حديث خير المجالس ما مستقبل به القبلة الحاكم من حديث ابن عباس وقد تقدم (٣) حديث أبي ذر لا يكون للؤمن طاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمتا لخاص أو لدة في غير حرم (٤) حديث على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه الحديث وهي بقية حديث أبي ذر الذي قبله .

فان في هذه الساعة عوناً له على بقية الساعات ثم هذه الساعات التي هو فيها مشغول الجوارح بالمعلم والشرب لا ينبغي أن يغفل عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والتفكير فإن الطعام الذي يتناوله مثلاً فيه من الجائبات ما لو تشكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام : قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعه وكيفية ارتباط أقوام الحيوانات به وكيفية تهيئته لأسبابه وخلق الفهوات الباعثة عليه وخلق الآلات السخرة المشهورة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الألباب وقسم ينظرون فيه بعين اللق والكراهة ويلاحظون وجه الاضطراب إليه وبودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مخبرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سبباً لتذكر أبواب من التفكير تنفع عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهومن مقامات العارفين وعلامات المحبين إذ الهب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نفس الصنعة وأشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد البصيرة فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه إلى الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزم جيد . وقسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيأسفون على ما لا يملكونه ومنه وفرحون بما حضرم من جملة ويذمون منه ما لا يوافق هوام وبسببونه ويذمون فاعله فيذمون الطبع والطباع ولا يسفون أن القاعل للطبع والطباع ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى وأن من ذم شيئاً من خلق الله بغير إذن الله قد ذم الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر (١) فهذه للرابطة الثانية بمراقبة الأعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المزاج لمن أحكم الأصول .

(الرابطة الثالثة : محاسبة النفس بعد العمل . ولتذكر فضيلة الحاسبة ثم حقيقتها)

أما الفضيلة : فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لنفسها وهذه إشارة إلى المحاسبة على ماضي من الأعمال ، ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنها قبل أن توزنوا ، وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال استوصوا الله أنت قال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رعداً فأمنه وإن كان غياً فاته عنه وفي الخبر وينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه . وقال تعالى - وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون - والتوبة نظر في القفل بعد الفراغ منه بالندم عليه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة» (٢) وقال الله تعالى - إن الذين آمنوا إذا سمعوا طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وسع عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان يضرب قدميه بالهرة إذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن يمين بن مهران أنه قال لا يكون البعد من التفتن حتى يحاسب نفسه أعذب من محاسبة شريكه والتمسك بيمينه يتحاسبان بعد العمل ، وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أب بكر رضي الله تعالى عنه قال لما عند الموت ما أهد من الناس أحب إلي من عمر ثم قال لما كيف قلت فأعادت عليه ما قال قال لأحد أعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها وحديث أبي طلحة حين شغل الطائر في صلاته فتدبر ذلك قبل حائطه صدقة الله تعالى ندما ورجاه لغرض ما قاله (٣)

(١) حديث لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة تقدم فيه مرة (٣) حديث أبي طلحة حين شغل الطائر عن صلاته لحمل حديثه صدقة تقدم فيه مرة .

النصح وعند ذلك لا يتقلب في أطوار المقامات لأن القلب في أطوار المقامات والتركيب من شيء منها إلى شيء طريق المحبين ومن أخذ في طريق المجاهدة من قوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً - ومن قبوله تعالى - ويهدي إليه من ينيب - ألبت كون الانابة سبباً للهداية في حق المحب وفي حق المحبوب صرح بالاجتناب غير مطلق بالكسب فقال الله تعالى - يحبي إليه من يشاء - فإن أخذ في طريق المحبين بطوى بساط أطوار المقامات ويندرج فيه

وفي حديث ابن سلام أنه صلى حزمة من حطب قبل أن يأتي يوسف قد كان في بنيك ولهذا نك ما يكونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تتكره . وقال الحسن : المؤمن قوام على نفسه بحاسب الله وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإعاق في الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فبر المحاسبة فقال إن المؤمن يغفوه الشيء يصح فيقول والله إنك لتجني وإنك من حاجتي ولكن هيات حيل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويغفر طمأنينة التي تفرج عن نفسي إلى نفسي فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعرف بهذا والله لا أعوذ لهذا أبدا إن شاء الله . وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوما وقد خرج وبصرجت معه حتى دخل الحائط فسمعه يقول ويحيى وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ يخ والله لتتقين الله أو ليذبنيك . وقال الحسن في قوله تعالى - ولا أقسم بالنفس الوايمة - قال لا يلقي المؤمن إلا صاب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكفي ماذا أردت بشيئين والقاهر يعض قد لا يصاب نفسه . وقال مالك ابن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه ألت صاحبك كذا ألت صاحبة كذا ثم ذهبا ثم خطبها ثم أزمها كتاب الله تعالى فكان له قالنا وهذا من معاتبه النفس كما سيأتى في موضعه ، وقال ميمون بن مهران : التقي أهد محبة لنفسه من سلطان قائم ومن شريك فحيح ، وقال إبراهيم التيمي : مثلت نفسي في الجنة أكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأطعمت أبنائها ثم مثلت نفسي في النار أكل من زقومها وأشرب من صديدتها وأطعمت سلاسلها وأغلامها قتلتي لنفسى يا نفس أي شيء تريدن قالت أريد أن أبرد إلى الدنيا فأحمل صالحا قلت فأنت في الأمانة فأعلى ، وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول : رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم الله امرأ أخذ بستان عمله فحفر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر في بكا الله رحم الله امرأ نظر في ميزانه فما زال يقول حق أكاني ، وحكي صاحب للأحرف بن قيس قال كنت أضجبه فكان حاملة صلاته بالليل الممء وكان يحيى إلى الصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حلفت على ما حسنت يوم كذا ما حلفت على ما حسنت يوم كذا .

(بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل)

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارف فيه نفسه على سبيل التوسيع بالحق فيبشئ أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ومحاسنها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصا منهم على الدنيا وضوفا من أن يغتروهم بها ما لو قامهم لكانت الحيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لم ياتى إلا أياما فلا تفرق فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبدأ أدامه الله المساهة إلا عن النسيان والخذلان وقلعة التوفيق نوره بالله من ذلك وتوسى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فإن كان من فضل حاصل استوفاه وعكزه وإن كان من خسران طالبه بضائته وكلفه تدابره في المستقبل ، فكذلك رأس مال العبد في دينه القرائن وبرحه النوافل والتضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة حملة النهار ومعامة نفسه الأمارة بالسوء فيحاسبها على القرائن أولا فإن أدامها على وجهها شكر الله تعالى عليها ورغبها في مثلها وإن فوتها من أسهلها طالبها بالقضاء وإن أدامها ناقصة كلّفها الجيران بالنوافل وإن ارتكب مصيبة لغفلت بقوتها ومضيتها ومعاقبتها ليستوفى منها ما يندركه في ما فرط كما يصنع التاجر بحركة . وكما أنه يفتنى في حساب الدنيا عن المحبة والقرابة فيحفظ ما داخل القرابة والنقصان حتى لا يتبين في شيء منها فيبشئ أن يبقى بقية النفس ومكرها قائما خداعة ملبسة مكررة فليطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به بطول نهاره وليتأمل نفسه

صفوها وخالصها بأنفسها والمقامات لا تقبده ولا يحبه وهو يقبدها ويحبها بقرينه منها واتزانها صفوها وخالصها لأنه حيث انشرفت عليه أنوار الحب الحاسن خلغ ملابس صفات النفس ونسوتها والمقامات كلها مصفوفة لنسوتها والصفات الإنسانية كلها زهد في نفسه عن الرغبة والتوكل في نفسه من قوة الاعتقاد القبول عن جهل النفس والرضا في نفسه عن خسران حرق المنازعة والمنازعة ليقاد جود في النفس ما يفرق عليها فموس المحبة المحاسبة فيبقى خلفها

من الحساب ما يستولاه غيره في ضيق القيامة وهكذا بمن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكوته لم سكن ؟ فإذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنه قدر أدى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظفر له الباقي على نفسه فليثبت عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه. وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن أن يستوفي منه الديون . أما بعضها بالقران والثناء وبعضها برده عنه وبعضها بالمعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه ، فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما تقل عن توبة ابن الصمة وكان بالرقعة وكان غاميا لنفسه غيب يوما فإذا هو ابن ستين سنة غيب أيامها فإذا هي وأحد عشرون ألف يوم وخمسة أيام يوم صرغ وقال : يا وليي ألي اللك بأحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر منشيا عليه فإذا هومت فسمعوا قائلا يقول بالك ركضة إلى الفردوس الأخرى فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى مصعبته بالقلب والجوارح في كل ساعة ، ولو رمى البعد بكل مصيبة حجرا في داره لانتلثت داره في مدة يسيرة قريبة من عمره ولكن بتساهل في حفظ للعاصي والسكان يحفظان عليه ذلك أحياه الله ونسوه.

(للرابطة الرابعة في معاينة النفس على تصورها)

فهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارنة مصيبة وارتياب تصدير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارنة للعاصي وأنت بها نفسه وعسر عليه نظامها ، وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي أن يراقبها فإذا أكل لمة شبهة بشهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع وإذا نظر إلى غير هرم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنع عن شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور بن إبراهيم أن رجلا من البجاد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على غذاها ثم ندم فوضع يده على النار حتى يست . وروي أنه كان في بني إسرائيل رجل يتعب في صومته فكذلك زمانا طويلا فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة فاختنق بها وهم بها فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بساقه فقال ما هذا الذي أريد أن أصنع فرجعت إليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما أراد أن يجدرجه إلى الصومعة قال هيأت هيأت رجل خرجت تريد أن تعصى الله تنود معي في صومتي لا يكون والله ذلك أبدًا تركها ملقة في الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والتلج والشمس حتى تهطعت فستطعت فسكر الله له ذلك وأزل في بعض كتبه ذكره ويحكى عن الجنيد قال سمعت ابن الكريب يقول أصابت لي لية جناة فاحتجبت أن أغتسل وكأفت لية باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتصيرا لحدثني نفسي بالتأخير حتى أصبح واستغن للماء وأدخل الحمام ولا أعني على نفسي قتلتي وإعجابي أنا أطمع الله في طول عمري فيجبه على حق فلا جد في السارعة وأجد الوقوف والتأخر آليت أن لا أغتسل إلا في مرتعتي هدمو آليت أن لا أزعمها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس . ويحكى أن غزوان وأبا موسى كانا في بعض منازلهما فتكشفت جارية فخطرت إليها غزوان فرجع يده فلعلم عينه حتى بقرت وقال إنك للحاجة إلى ما يضرك ونظر بعضهم نظرا واحدة إلى امرأة فجعل على حسنه أن لا يشرب للناء الباردة طول حياته فكان يشرب للناء الحار لينتفع على نفسه الميع . ويحكى أن حسان بن أبي سنان مر بغرة فقال من بيت هدم ثم أقبل على نفسه فقال تسألين عما لا ينبتك لأعاقبك بصوم سنة فصامها . وقال مالك بن منتهم جاء رباح القيني يسأل عن

وجودها لمن تحقق
بالحب الحاس لا نت
نفسه ذهب وجودها
فإذا يزع الزه من
من الرغبة ورغبة
الجب أحرق رغبته
وماذا يصفي منه التوكل
ومطالعة الوكيل حشو
بصيرته وماذا يسكن
فيه الإحسان من عروق
النازعة ممن لم تسلم
كلته . قال الرواديني
مالم تخرج من كلبتك
لا تدخل في حد الهمة
وقال أبو زرعة
قلته هبته فديته
رؤيته ومن قتله عشقه
فديته منادته ، أخبرنا
بذلك أبو زرعة عن
ابن خلف عن أبي
عبد الرحمن قال سمعت
أحمد بن علي بن جعفر

أبي بعد العصر قلنا إنه نائم فقال أنوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولي منصور فأقبلتاهم رسولاً وقلنا
له ألا نوقظ لك غداء الرسول وقال هو أشغل من أن يغم غنى عيشاً أدر كنه وهو يدخل القمار وهو
يعاتب نفسه ويقول أثلت وقت نوم هذه الساعة أفكان هذا عليك بنام الرجل مني شاء وما يدريك أن
هذا ليس وقت نوم يتكلمين بما لا تعلمين أما إن لله طي عبداً لا أنقضه أبداً لأؤسرك الأرض لنوم حولاً
إلا لمرض حال أو لعل زائل سواء لك أما تستحين كم توجنين وعن غيك لا تفتنين قال وجعل يبي
وهو لا يشعر بكاني فلما رأيت ذلك انصرفت وركنته . ونحكي عن عيب الداربي أنه نام ليلة لم يقم فيها بعد
قيام سنة لم يسم فيها عقوبة للذي صنع . وعن طلحة رضى الله تعالى عنه قال انطلق رجل ذات يوم فزغ
ليابه وتفرغ في الرضاء فكان يقول لنفسه ذوق ونار جهنم أشد حراً أجفة بالليل بطالة بالهار فيينا
هو كذلك إذ أبصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأناه فقال فطقت نفسي فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم ألم يكن لك يد من الذي صنعت أما لقد صنعت لك أبواب السماء لقد باهى الله بك للملائكة
ثم قال لأصحابه تزودوا من أخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم مهمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مأجهم (١) . وقال حذيفة بن قبادة قيل لرجل كيف تصنع
بنفسك في شهواتها فقال ما مل وجه الأرض نفس أبغض إلى منها فكيف أعطيها شهواتها ودخل ابن
الملك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يادود سمعت نفسك قبل أن تسجن
وعذبت نفسك قبل أن تصب قالوم ترى ثواب من كتب تعمل له . وعن وهب بن منبه أن رجلاً تبع
زماناً ثم بدت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبباً لكل سبب إحدى عشرة مرة ثم سأل حاجته
ففر بطها فرجع إلى نفسه وقال منك أنت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك فزول إليه ملك وقال
يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك . وقال عبد الله بن قيس كنا
في غزاة لنا فحضر العدو فصبح في الناس فقاموا إلى الصاف في يوم شديد البرد وإذا رجل أمامي وهو
يخطب نفسه ويقول أي نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا قتلت في أهلك وعيالك فأطعك ورجعت
ألم أشهد مشهد كذا وكذا قتلت في أهلك وعيالك فأطعك ورجعت والله لأعرشك اليوم على الله
أخلدك أو تركك قتلت لأرمته اليوم فرمته فجعل الناس على دعوم فكان في أولهم ثم إن العدو حمل
على الناس فأنكشوا فكان في موضعه حتى انكشوا وامتروا ثم بان لهم فأنكشوا ذلك الذي بان
رأته صريخاً فشدت به وبدايته ستين أو أكثر من ستين طنقة وقد ذكرنا حديث أبي طلحة لما اشتغل
قلبه في الصلاة بطائر في حائطه تصدق بالحائط كفارة ذلك وإن هو كان يضرب قدميه بالدرع كل
ليلة ويقول ماذا علمت اليوم وعن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على
نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا . وكان الأخفش بن قيس لا يغازقه الصباح بالليل فكان
يضع أمسه عليه ويقول لنفسه ما حملك على أن صنعت يوم كذا كذا . وأسكر وهب بن الورد شيئاً على
نفسه فتفتب شعرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه وعملك إنما يريدك الخير ورأي محمد
ابن بشر داود الطائي وهو يأكل عند إفطاره خبزاً يبري ملح فقال له لو أكلته يلع قال إن نفسي لتدعوني
إلى اللع منذ سنة ولا ذاق داود ملحاً مادام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة أولي الخرم لأتسهم والسبب

يقول سمعت الحسين
ابن علوية يقول قال
أبو يزيد ذلك فإذا
التقلب في الأطوار
للقامات لموام الحبين
وطي بساط الأطوار
لحواس الحبين وم
المحبوبون خلفت عن
مهمهم للقامات وربعا
كانت للقامات على
مسبدا راج طبقات
السماوات وهي مواطن
من يتعثر في أنيال
جفاه . قال بعض
الصكبار لأبراهيم
الطوسي إلى ماذا أدى
لك التصوف فقال إلى
التوكل فقال تسمى في
عمران بأهلك أين
أنت من الفناء في
التوكل برؤية الوكيل
فأنفس إذا تحركت

(١) حديث طلحة انطلق رجل ذات يوم فزغ ليابه وتفرغ في الرضاء وكان يقول لنفسه ونار جهنم
أشد حراً أجفة بالليل بطالة بالهار فيينا هو كذلك إذ أبصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأناه فقال فطقت نفسي فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم ألم يكن لك يد من الذي صنعت أما لقد صنعت لك أبواب السماء لقد باهى الله بك للملائكة ثم قال لأصحابه تزودوا من أخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع لي يا فلان ادع لي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم مهمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مأجهم (١) . وقال حذيفة بن قبادة قيل لرجل كيف تصنع
بنفسك في شهواتها فقال ما مل وجه الأرض نفس أبغض إلى منها فكيف أعطيها شهواتها ودخل ابن الملك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يادود سمعت نفسك قبل أن تسجن
وعذبت نفسك قبل أن تصب قالوم ترى ثواب من كتب تعمل له . وعن وهب بن منبه أن رجلاً تبع زماناً ثم بدت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين سبباً لكل سبب إحدى عشرة مرة ثم سأل حاجته
ففر بطها فرجع إلى نفسه وقال منك أنت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك فزول إليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك . وقال عبد الله بن قيس كنا
في غزاة لنا فحضر العدو فصبح في الناس فقاموا إلى الصاف في يوم شديد البرد وإذا رجل أمامي وهو يخطب نفسه ويقول أي نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا قتلت في أهلك وعيالك فأطعك ورجعت
ألم أشهد مشهد كذا وكذا قتلت في أهلك وعيالك فأطعك ورجعت والله لأعرشك اليوم على الله أخلدك أو تركك قتلت لأرمته اليوم فرمته فجعل الناس على دعوم فكان في أولهم ثم إن العدو حمل
على الناس فأنكشوا فكان في موضعه حتى انكشوا وامتروا ثم بان لهم فأنكشوا ذلك الذي بان رأته صريخاً فشدت به وبدايته ستين أو أكثر من ستين طنقة وقد ذكرنا حديث أبي طلحة لما اشتغل
قلبه في الصلاة بطائر في حائطه تصدق بالحائط كفارة ذلك وإن هو كان يضرب قدميه بالدرع كل ليلة ويقول ماذا علمت اليوم وعن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على
نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا . وكان الأخفش بن قيس لا يغازقه الصباح بالليل فكان يضع أمسه عليه ويقول لنفسه ما حملك على أن صنعت يوم كذا كذا . وأسكر وهب بن الورد شيئاً على
نفسه فتفتب شعرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه وعملك إنما يريدك الخير ورأي محمد ابن بشر داود الطائي وهو يأكل عند إفطاره خبزاً يبري ملح فقال له لو أكلته يلع قال إن نفسي لتدعوني
إلى اللع منذ سنة ولا ذاق داود ملحاً مادام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة أولي الخرم لأتسهم والسبب

أنك تعاقب عبداً وأمتك وأهلك ولوليك على ما جسد منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخلف أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم تهل نفسك وهي أعظم عدوك وأعد طغياناً عليك وضربك من طغيانها أعظم من ضربك من طغيان أهلك فإن طغيانهم يشعروا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعم القيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنفس عليك عيش الآخرة فهي بالعقابة أولى من غيرها .

[للرابطة الخامسة المجاهدة]

وهو أنه إذا حاسب نفسه فرأها قد قاربت محبة فينفي أن يباقيها بالعقوبات التي مضت وإن رآها تنوأت بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينفي أن يؤذيها بتثقل الأوراد عليها ولو لها فتوأت من الوظائف جبراً لما فاتته وتداركها لما قارط فهكذا كان يصل جمال الله تعالى قد تعاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له فيها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحباتك الآية وأخر ليلة صلاة للقرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقتين وفات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فأعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشياً أو التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخدة لها بما فيها نجاتها . فإن قلت إن كانت نفس لا تطاوعني على المجاهدة وللوظيفة على الأوراد فأسئله ما جعلها . فأقول سيالك في ذلك أن تشمها ماورد في الأخبار من فضل المجتهدين (١) ومن أضع أسباب العلاج أن تطلب محبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ أقواله وتقتدى به وكان بعضهم يقول كنت إذا اعتزقت بقرعة في العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع وإلى اجتجاده فعملت على ذلك أسبوعاً إلا أن هذا العلاج قد تغلر إذ قد قد في هذا الزمان من مجتهد في العبادة اجتهد الأولين فينفي أن يبدل من الشاهدة إلى السباع فلا شيء أضع من مماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجيد وقد انقضت بهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أيد الأبد لا ينقطع فأن أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدى بهم فيفتح نفسه أياماً قلائل بشهوات مكدره ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهي أيد الأبد نموذجاً بالله تعالى من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وقضائهم ما يحرك رغبة للريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رحم الله أقواماً يحسبهم الناس مرضى ومأمى برضى (٢)» قال الحسن أجهدهم العبادة قال الله تعالى - والذين يؤتون ما آتوا وقتلهم ووجلة قال الحسن يحملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله (٣)» ويروى أن الله تعالى يقول للأنبياء ما بال بنيادي مجتهدين

(١) الأخبار الواردة في حق المجتهدين أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من قام بمسح آيات لم يكتب من المنافقين ومن قام بمسح آية كتب من المنافقين ومن قام بمسح آية كتب من القسطين وله والنساء وابن ماجه من حديث أبي هريرة باسناد صحيح رثم الله رجلاً قام من الليل فضلي وأيقظ امرأته ولترتمني من حديث بلال عليه السلام قيام الليل فانه ذائب الصالحين قبلكم الحديث وقال غريب ولا يصح وقد تقدم في الأوراد مع غيره من الأخبار في ذلك (٢) حديث رحم الله أقواماً تحسبهم مرضى ومأمى برضى ما أجد له أصلاً في حديث مرفوع ولكن روله أحمد في التمهيد موقوفاً على طي في كلامه قال فيه ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض (٣) حديث طوبى لمن طال عمره وحسن عمله والطبراني من حديث عبد الله بن عمر وفيه بقية رواه بصيغة عن وهو مدلس ولترتمني من حديث أبي بكر خير الناس من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح وقد تقدم .

بصفها مقلتها من
دائرة الزهد يريها
الزاهد إلى الدائرة
بها/ وللتوكل إذا
تحررت نفسه يريها
بئوكله والراضى يريها
بزياده وهذه الحركة
من النفس بقايا
وجودية تقتدر إلى
سياسة العلم وفي ذلك
تتم روح القرب
من عبده وهو أمداء
حق البصيرة يبلغ
العلم ومحبة الاجتهاد
والكسب ومن أخذ
في طريق الخاصة
عرف طريق التخليص
من القبايل بالتيسير
بأنوار فضل الحق
ومن اكتسب ملابس
نور القرب بروح دائمة
المكوف محبة عن

فيقولون إلينا خوتهم شيئا يخافوه وشوتهم إلى شيء فاشتقوا إليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف
لو آتاني عبادي لكانوا أشد اجتهادا . وقال الحسن : أدركت أقواما وصحت طوائفهم ما كانوا
يفرجون شيء من الدنيا أبول ولا يتأسفون على شيء منها أدر ولهم كانت أهون في أنفسهم من هذا
التراب الذي تملؤونه بأرجلكم إن كان أحدهم يعيش عمره كله ماطوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة
طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا قط وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جنهم
الليل قيام على أطرافهم يفتشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يتاجون ربهم في فسكاه
رقابهم إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة
أحزنتهم وسألوا الله أن يفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك واهلها مسامحة الذنوب ولا يخو
إلا بالنفرة . وهكذا أن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يودونه في مرضه وإذا قيم شاب
ناحل الجسم فقال عمر له يا بني ما الذي بلغ بك ما ترى فقال يأمر للؤمنين أسقام وأمراض فقال
سألتك بالله لإصديقي فقال يأمر المؤمنين ذمت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصفر عندي زهرتها
وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحبرها وكان أنظر إلى عرشه وبني الناس يساقون إلى الجنة والنار
فاظلمات تلك نهاري وأسهرت ليلي وقليل حبيب كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه . وقال
أبو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الحزن قليل له في ذلك قال بين منفع الحزن وشرب
الفتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال إن في منقب بيتك جدها كسورا فقال يا ابن
أخي إن لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى القيقب وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون
فضول الكلام . وقال محمد بن عبد العزيز : جلسنا إلى أحمد بن رزيق من غدة إلى الغد فالتفت
بينة ولا يسرة قليل له في ذلك فقال إن الله عز وجل خلق النبيين لينظر بهم العبد إلى عظمة الله تعالى
فكسل من نظر غير اعتبار كتيب عليه خطيئة . وقالت امرأة مسروق : ما كان يوجد مسروق
إلا وساقاه متفتختان من طول الصلاة وقالت والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكي رحمة له . وقال
أبو الدرداء : لولا ثلاث ما أحببت النبي يوما واحدا الظلمة له الهواجر والسجود لله في جوف الليل
وبجالة أقوام ينتقون أطياب الكلام كما ينتقى أطياب الثمر وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة
ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول
كرامتها أريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن
فقالا له إن الله عز وجل لم يأمر بك بكل هذا فقال إنما أنا عبد مملوك لأبغ من الاستكانة شيئا إلا جنت
به ، وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أقدم من رجليه فكان يصلي جالسا ألف ركعة
فاذا صلى الصبح احتج ثم قال هببت للخلق كيف أرادت بك بدلائلك هببت للخلق كيف أنست
بسواك بل هببت للخلق كيف استنارت قلوبها بذكر حوائك . وكان ثابت البناني قد حببت إليه
الصلاة فكان يقول اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي لك في قبره فآذنني أن أصلي في قبري .
وقال الجنيد : ما رأيت أعبد من السرى أمت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعا إلا في علة
لموت . وقال الحرث بن سجد : مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فسلموه في ذلك
فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقة الأوهال وهم فاقلون قد اعتكفوا على حظوظ أغصم
وسموا جظهم الأكبر من ربهم فسكن القوم عن آخرهم ، وعن أبي محمد النازلي قال جاور أبو محمد
الطبري بمكة سنة فلم يمت ولم يتكلم ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يعد رجليه فسير عليه
أبو بكر السكاني فسلم عليه وقال له يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني

الطواقي والصروف
لا يزعجه طلب ولا
يوحشه سلب فازهد
والتوكل والرضا كأن
فيه وهو ضيق كأن
فيها على معنى أنه كيف
تقلب كان زاهد لو أن
يرضى لأنه بالخلق لا
يقهر وإن رؤى منه
الافتقار إلى الأسباب
فهو يتوكل وإن وجد
منه السكراة فهو
راض لأن سكراته
لنفسه ونفسه للخلق
وكرامته للخلق أعبد
إليه نفسه بدواعيا
وصفاتا مطهرة
موهوبة محسوسة
ماطوف بها صارعين
الداء دواء وصار
الاعمال شفاء وتاب
طلب الله له مناب كل

فأعاني على ظاهري فأطرق السكتاني ومشى مفكرا ، وعن بعضهم قال دخلت على فتية للوصلى
فرايته قد مد كفيه يكي حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه فدنوت منه فإذا دموعه قد
خالطها صفرة فقلت ولم بالله يا فتى بكيت الدم فقال لولا أنك أحلفني بالله ما أخبرتك ، نعم بكيت دما
فقلت له على ماذا بكيت الدموع ؟ فقال على تخافى عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع
لئلا يكون ما صحت لي الدموع قال فرايته بعد موته في المنام فقلت ما صنع الله بك ؟ قال فغفرت فقلت
له لماذا صنع في دموعك ؟ فقال قربي ربي عز وجل وقال لي يا فتى الدمع على ماذا ؟ قلت يارب على
تخافى عن واجب حقك فقال والدمع على ماذا ؟ قلت على دموعي أن لا تصح لي فقال لي يا فتى
ما أردت بهذا كله وعزى وجلالى قد صدقتك حافظك أربعين سنة بصيغتك ما فيها خطيئة ، وقيل
إن قوما أرادوا سفرا لحادوا عن الطريق فأتوا إلى راهب منفرد عن الناس فنادوه فأشرف عليهم
من منومته فقالوا ياراهب إنا قد أضلنا الطريق فكيف الطريق فأومأ برأسه إلى الباب فعلم القوم
ما أراد فقالوا ياراهب إنا ببائوك فهل أنت مجيبنا ؟ قال سلوا ولا تسكروا فإن التهارن رجع والعمر
لا يعود والطالب حيث ضيغ القوم من كلامه فقالوا ياراهب علام الحاق غدا عند مليككم فقال
على نياتهم فقالوا أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما بالغ النية ثم أُرشدهم إلى الطريق
وأدخل رأسه في صومعته . وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين
فناديته ياراهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فأشرف على وقال يا هذا ما أنا
براهب إنما الراهب من رهب الله في سبائه وعظمته في كبريائه وصبر على بلائه ورضى بفضائه وحده
على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لمعلمته أودل لزمته واستسلم لقدرته وخضع لمهاجته وفكر
في حساباته وعتابه فتهارر صائم ولله قائم قد أسهره ذكر النار ومساءلة الجبار فلذلك هو الراهب وأما أنا
فكلك عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعظمهم فقلت ياراهب لما الذى قطع
الحلق عن الله بعد أن عرفوه ؟ فقال يا أخى لم يقطع الحلق عن الله إلا حب الدنيا وزينتها لأنها محل
للغنى والذنوب والمنازل من رضى بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقرب من
ربه . وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال إني إذن أمارح ، وكان أويس القرني يقول هذه
ليلة الركوع فيجي الليل كله في ركعة وإذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيجي الليل
كله في سجدة ، وقيل لما تاب حبة الغلام كان لا يتهاى بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رقت بنفسك
قال الرقى أطلب دعنى أئتب قليلا وأتعم طويلا ورجع مسروق لما نام قط إلا ساجدا . وقال سيفان
الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى وعند المات يحمد القوم التقي . وقال عبد الله بن داود :
كان أحدم لما بلغ أربعين سنة طوى فراشه أى كان لا ينام طول الليل ، وكان كهسى بن الحسن
يسكن كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا مأوى كل شر فما ضحك انتصر لي خبائثكم كان
يكي ويقول ذهب نصف عملى وكانت ابنة الريح بن خيثم يقول له يا أبت مالي أدري الناس بامون
وأنت لا تنام ؟ فيقول يا ابتاه إن أباك بخلف البيات ولما رأت أم الريح ما يلقي الريح من البكاء
والسرور ناداته يا بنى لمك فقلت قليلا قال نعم يا أمك قالت فمن هو حق نطلب أهله فيضو عنك نواته
لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك وغفوا عنك فيقول يا أمه هي نفسي ، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الحارث قال سمعت خلى بشر بن الحرث يقول لأخي يا أخى جوفى وغواصرى تغرب على قالت له
أخي يا أخى أنا أنزل على حق أصلي لك قليل حماء بكف دقيق عندي تتعصاه بزم جوفك فقال لها
وبكك أخاف أن يقول من أين لك هذا الدقيق فلا أدري إني أقول له فيك أنت وبكك منها

طالب من زهد وتوكل
ورضا أو صار مطلوبه
من الله ينوب عن كل
يطلوب من زهد
وتوكل ورضا . قالت
راية : حب الله لا يمكن
أنه وحده حتى
يسكن مع محبوبه .
وقال أبو حنيفة الله
القرشي حقيقة الهبة
أن تهب لمن أحببت
كله ولا يبقى لك منك
شيء . وقال أبو الحسن
الوراق : السرور بالله
من عدة الهبة والهاجة
في القلب نار تحرق كل
دنس . وقال يحيى بن
مختار صير المحبين أشد
من صبر الزاهدين
واحبها كيف يصبر
الإنسان من حبيبه .
وقال بعضهم من آدمى

وبكى معهم . قال عمر ورأت أمي ما يبشر من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضيقا فقالت له أمي يا بني ليت أمك لم تلهني فقد والله تقطعت كبدي عما أرى بك فسمعت يقول لها وأنا فليت أمي لم تلهني ولقد والله لم يبدئني بها على . قال عمر وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار . وقال الريح: أتيت أويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر ثم جلس فجلست قلت لا أخذه عن التسبيح فكشك مكانه حتى صلى الظهر ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى المشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فقلت غيابه قال اللهم إني أعوذ بك من عين نائمة ومن بطن لا تسبيح فقلت حسبي هذا من ثم رجعت ونظر رجل إلى أويس فقال يا أبا عبد الله مالي أراك كأنك مريض فقال وما لأويس إلا أن يكون مريضا يطعم المريض وأويس غير طاعم ويأكل المريض وأويس غير نائم . وقال أحمد بن حنبل : يا أيها لمن يعرف أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسمر تحته كيف ينأى بينهما ، وقال رجل من النسابة أتيت إبراهيم بن آدم فوجدته قد صلى المشاء فعددت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم يتقلب من جنب إلى جنب الليل كله حتى طلع النجى وأذن للؤذن فوثب إلى الصلاة ولم يحدث وضوءا فذاك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجد وضوءا فقال كنت الليل كله جائلا في رياض الجنة أحيانا وفي أودية النار أحيانا فهل في ذلك نوم . وقال ثابت البناني : أدركت رجلا كان أحدهم يصل فيصير عن أن يأتي فراشه إلا حياء ، وقيل مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة لا يضع جنبه على فراش وتزل للناء في إحدى عينيه فكشك عشرين سنة لا يعلم به أهله وقيل كان ورد صنون في كل يوم لحسانة ركة ، وعن أبي بكر الطوحي قال كان وردى في شيق كل يوم وليلة أقرأ فيه : قل هو الله أحد إحدى وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوي ، وكان منصور بن العتير إذا رأيته قلت رجل أضيق بمسكة الطرف من خفض الصوت فزبط العينين إن حركته جارت عيناه بأربع . ولقد قالت له أمه ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي الليل فامته لانسكت لعلك يا بني أصبت نسا لملك فقلت تبيلا ؟ فيقول يا أمه أنا أعلم بما صنعت بنفسي ، وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على شهر الليل وظما المواجز فقال هل هو إلا أن صرفت طعام النهار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطير أمر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة تأنم طالها ولا مثل النار تأنم هاربا وكان إذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم لها ينأى حتى يصبح فإذا جاء النهار قال أذهب حر النار النوم لها ينأى حتى يصبح فإذا جاء الليل قال من خاف أدعج وعند الصباح يحمد القوم السرى . وقال بعضهم : صحبت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر فما رأيته نام بليل ولا نهار . ويروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : صليت خلف علي رضى الله تعالى عنه الفجر فلما سلم اقتبل عن يمينه وعليه كآبة فكشك حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما أرى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصنعون شعثا غيرا صفرا قد باتوا لله سجدوا وقاموا يتلون كتاب الله يراوون بين أقدامهم وجباههم . وكلوا إذا ذكروا الله مادوا كما يجيد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا خائفين حتى من كان حوله وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لأزحفن بك زحفا حتى يكون السكل منك لاني فإذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالشرب من دابتي وكان يقول أظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا كلا والله إننا نراهم عليهن حيا حتى يملوا أنهم قد جفوا وارتاح رجالا . وكان صفوان بن يحيى قد تقاعدت ساقه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد

عبادة الله من غير توبع
عن حارثه فهو كذاب
ومن ادعى حية الجنة
من غير إشتاق ملكه
فهو كذاب ومن ادعى
حب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غير
حب القرآن فهو كذاب
وكانت زانية تنشد:
تطشى - الإله وأنت
تظلم حبه
هذا لعمري في الفصال
يبيع
لو كان حبك صادقا
لأطعته
إن الحب لمن يحب
مطبخ
وإذا كان الحب
للأحياء كالسوبة
للمقاييم فمن ادعى
ملا - يعتبر حبه ومن
ادعى حبه تعتبر قوته

ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد مزايده ، وكان إذا جاء الشتاء اضطلع على السطح ليضربه البرد وإذا كان في الصيف اضطلع داخل البيوت ليجد الحر فلينام وأنه مات وهو ساجد وأنه كان يقول : اللهم إني أحب لقاءك فأحب قاتلي . وقال القاسم بن محمد غدت يوما وكنت إذ غدت بدأت بمائسة رضى الله عنها أسلم عليها فغدوت يوما إليها فإذا هي على صلاة الصلوة وهي تقرأ - فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم - وبنيكي وتدعو وتردد الآية فقتت حتى مقلت وهي كاهي فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثم أرجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كاهي تردد الآية وبنيكي وتدعو . وقال محمد بن إسحاق لما ورد علينا جندال بن محمد بن أسود حاجا اعتلت إحدى قدميه فقام يمشي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء . وقال بعضهم : ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل . وقال طي بن أبي طالب كرم الله وجهه سبنا الصالحين سفرة الأنوار من السمر وعمقى الدون من البكاء وذبول الشفاء من الصوم عليهم غيرة الحاشدين . وقيل للحسن : ما بال التبهجين أحسن الناس وجوها فقال لهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره ، وكان طاهر بن عبد القيس يقول : إلهي خلقتني ولم تؤامرني وعميتي ولا تملق خلقت معي عدوا وجعلته يجرى مني مجرى الدم وجعلته يراني ولأراه ثم قلت لي استمسك إلهي كيف استمسك إن لم تمسكني إلهي في الدنيا المحوم والأحزان وفي الآخرة العذاب والحساب فأبى الراحة والفرح ، وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات كان إذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يشكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يشكر فإذا مضى الثلث صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يشكر فإذا مضى السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدثت به بعض البصريين فقال لا تنظر إلى صياحه ولكن انظر إلى ما كان فيه بين الصبحين حتى صاح . وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا بالحبس . وكان له أهل وبنات ، وكان يقول ليلى طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الزكبي المرسون أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا بك ومن ههنا داع ومن ههنا قاري ومن ههنا متوضئ ، فإذا طلع فجر نادى بأعلى صوته عند الصباح بحمد القوم السرى . وقال بعض الحكماء : إن لله جابدا أنتم عليه غفرونه وشرح صدورهم فأطاعوه . وتوكلوا عليه فسلوا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوايت العظيمة وخزائن لقدرة فهم بين الخلق مقبولون ومدبرون وقلوبهم تحول للسكرات وتولد بمحبوب النجوم ثم ترجع طوائف من لطائف القوافل وما لا يمكن واصفا أن يصفه فهم في باطن أمورهم كالدياج حسنا وهم في الظاهر منازل ميلولون لمن أرادهم تواضعا ، وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالكسوف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء . وقال بعض الصالحين : بينا أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ سمعت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تعجبه لها دوى عال فأبغت الصوت فإذا أنا بروضة عليها قصر مكتف إذا أنا رجل قائم فيها يردد هذه الآية - يوم تجد كل نفس ماعملت من خير فحضر إلى قوله وسر هل لكم الله فله - قال فنبلس خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خروفتها عليه فقلت وأسماء هذا الشقي - ثم انتظرت إفاقة فأفاق بعد ساعة فسمعت وهو يقول أعوذ بك من أن يقع المكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من إعراس الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الحاشدين وإليك فزع آمال العصير ولعظمتك ذلت قلوب المارقين ثم قضى بدمعته إلى وفاته

فإن التوبة غالب روح
الحب وهذا الروح
قيامة بهذا القلب
والأحوال أغراض
قوامها بجزء الروح
وقال سمون : ذهب
المسيون قد شرف
الدينا والآخرة لأن
التي صلى الله عليه وسلم
قال والله مع من
أحبهم فهم مع الله
عالم يقول أبو يعقوب
السوسي لا يصح الهبة
حتى تخرج من رؤية
الهبة إلى رؤية
المحبوب فبناء على
الهبة من حيث كان
له المحبوب في القلب
ولم يكن هذا الهبة
فإذا خرج الحب إلى
هذه الدنيا كان
هنا من حظ الهبة

ومال الدنيا ولي عليك يا دنيا بآباء جنسك وآلاف نعمك إلى محبك فأذهي وإياهم فأخذهي ثم قال
أي القرون الماضية وأهل الدهور الساقطة في التراب يملون وعلى الزمان يقنون فناديت يا عبد الله أنا منذ
اليوم خلقتك أنظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادر بها فسبقها بالموت إلى نفسه
ثم كيف يفرغ من ذهب أيامه وقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع زوالها ثم لها عن
ساعة اقرأ - وبدلهم من الله ما لم يكونوا يحبسون - ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر
مشيا عليه قلبت قد خرجت روحه فذنوب منه فإذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما خاطري

هبي لي إساءة من فضلك وجللي بسترلك وأعف عن ذنوبي بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك قلبت
له بالذي ترجوه لنفسك وتنتي به إلا كنتي فقال عليك بكلام من يفعلك كلامه ودع كلام من أوقفه
ذنوبه إن لي هذا الوضع مذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدني فلم يجد عونا علي ليخرجني مما أنا فيه
غيرك قال لك عن يا خديع قد عطلت لي لساني وميلت إلى حديثك عمة من قلبي وأنا أعوذ بالله
من شركك ثم أرجو أن يبيدني من سخطه ويغفل عني برحمته قال قلبت هذا ولي الله أخاف أن أشغله
فأعاقب في موضعي هذا فأنصرفت وتركته . وقال بعض الصالحين بينا أنا أنسى في مسير لي إذ علمت إلى
شجرة لأستريح تحتها فإذا أنا بشيخ قد أشرف علي فقال لي يا هذا قم فإن الموت لم يمت ثم هاجم علي وجهه
فابتغته فسمعت وهو يقول - كل شي ذائقة الموت - اللهم بارك لي في الموت فقلت وقلها بعد الموت
فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لو جهه عنت
الوجوه يبيس وجهي بالنظر إليك ولعل قلبي من الهبة لك وأجرتي من ذل التوسيع فذا بعبدك فقد
آن لي الحياء منك وحان لي الرجوع عن الأعراس عنك ، ثم قال لولا حلك لم يسبحي أجلى وتولا
عقولك لم ينسبط فيها عندك أمل ثم مضى وتركني ، وقد أنشدوا في هذا المعنى :

تحمل الجسم مكتئب الفؤاد تراه بقعة أويطن وادي
ينوح على معاصي فاضحات يذكر ثقلها صبغ الرقاد
فان هاجت حوافره وزادت فدصوبته أغشى يا مصابي
فأنت عيا الأتية عليم كثير الضحك عن زلل العباد
وقيل أيضا : أنه من التسليد بالتواني
منيب فر من أهل ومال يسبح إلى مكان من مكان
ليحمل ذكره ويبش فردا ويظفر في الجسادة بالإمان
تلقذه التسلاوة أين ولي وذكر بالتسواد وبالسمان
وعبد الموت يأتسه بشير يشر بالنسجاة من الهوان
فيستدرك ما أورد وما عسى من الراحة في غريف الجنان

وكان كرز بن وبرة يظم القرآن في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات فابة المجاهدة قيل له
قد أجهدت نفسك فقال كم همم الدنيا قليل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة قليل خمسون
ألف سنة فقال كيف يسجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعني أنك لو عشت عمر الدنيا
وأجهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان رجلك
كثيرا وكنت بالرفقة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لا فائدة لها فهكذا كانت صيرة السلف
الصالحين في مراعاة النفس ومراقبتها فهما تمرت نفسك عليك واستمتت من اللواظية على العبادات
فتطالع أحوال هؤلاء فإنه قد عز الآن وجود مثلهم ولوقد تريت على مشاهدة من اقتدى بهم فوالله

نك الخبيد عن
الهبة قال : دخول
صانته المحبوب على
البسول من صفات
المحب . قيل هذا على
معنى قوله تعالى « فإذا
أحبته كنت له سمعا
وبصرا » وذلك أن
الهبة إذا صفت وكلت
لا تزال تجذب بوصفها
إلى محبوبها ، فإذا
انتهت إلى غاية تبهدها
وقفت والرابطة متصلة
حتى كدة وكما وصف
الهبة أوائل اللواتي من
المحب وبكامل وصف
الهبة تجذب صفات
المحبوب فتعلقا على
المحب الخالص من
سوانح كالدخول في صدق
المحب ونظرا إلى
قصوره بعد استيفاد

في القلب وأبحث على الاقتداء فليس الخبر كالمانية وإذا عجزت عن هذا فاعقل عن سماع أحوال هؤلاء
 فإن لم تسكن لابل فمزمى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والسكون في زميرهم وغمار هموم القلاد والحسك
 وذوو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجملة العاقبين من أهل عصرك ولا ترش لها من تضرطك سلك الحق
 وتفتح بالتشبه بالأضياد وتؤثر بخلافه القلاء فإن حدثت نفسك بأن هؤلاء رجال أنوباد يطاق الاقتداء
 بهم فطالع أحوال النساء المجنحات وقل لها يا ضئلا تستكفي أن تكوني أقل من امرأة فأخس رجل
 يقصر عن امرأة أم أير دنيا ودنياها ، ولذا ذكر الآن نبذة من أحوال المجنحات قد دروي عن حبيبة
 العدوية أنها كانت إذا صلت الخصة قامت على سطح لها وحدث عليها درعها وخمارها ثم قالت إلى قده
 غارت النجوم ونامت العيون وغلت للوك أبوابها ، وخلا كل حبيب حبيبه وهذا مقام بين يديك ثم
 تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت إلى هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت
 مني ليل فأهنا أم رددتها على فأعزى وعزتك لهذا داني ودائك ما يقيني وعزتك لو اتهمتني عن دائك
 ما برحت لما وقع في نفسي من وجودك وكرمك ، وبروي عن حمراتها أنها كانت تحب الليل وكانت تكفوفة
 البصر فإذا كان في السحر نادت بصوت لها عزون إليك تطعم العابدون دجى الليل يسبقون لي رحمتك
 وفضل مغفرتك فبك إلى المي أسألك لا بغيرك أن تجعلني في أول زمرة السابقين وأن ترفعني إليك في عشرين
 في درجة للقرين وأن تلحق بعبادك الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء
 يا كريم ثم نهر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر . وكان يحيى بن بسطام :
 كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو أتيناها إذا دخلت
 فأمرنا بالرفق بنفسها يقال أنت وذلك قال فأتيناها فقلت لها لو رقت بنفسك وأقصرت عن هذا البكاء
 شيئا فكان لك أقوى على ما تريد ين قال فكنت ثم قالت والله لو دعت أني أتي حتى تنفذ معي ثم أتيك دما
 حتى لا يبقى قطرة من دم في جرحه من جوارحي وأتي لي بالبكاء وأتي لي بالبكاء ثم تزدوان لي بالبكاء
 حتى غشى عليها . وقال محمد بن معاذ حدثني امرأة من التجيدات قالت رأيت في منامي كأنني أدخلت
 الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم فقلت ما شأن أهل الجنة قيام فقال لي قال خرجوا ينظرون إلى هذه
 المرأة التي زخرفت الجنان قد دوما فقلت ومن هذه المرأة فقلت لمن أسودا من أهل الأبيكة قال لها شعوانة
 قالت فقلت أخوتي والله قالت فيينا أنا كذلك إذ أقبل بها على نجيبة فلعن بها في الهواء فلما رأيتها ناديت
 يا أخوتي أما عيون مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فألحق بك قالت تبسمت لي وقالت لها بأن
 قد دوما ولكن احفظي عن الثنتين الزمى الحزن قلبك وقدمي حبة الله على هؤلاء لا ضرر لك مني ،
 وقال عبد الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت في بعض الليالي نائمة إلى جنب
 فالتفت فالتفتها فلم أجدها فقمعت أطلبها فإذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي إلا ما غفرت لي ذنوب
 فقلت لها لا تقول بحبك لي ولكن تخولي بحبي لك فقالت يا مولاي بحبي لي أخرجني من الشرك إلى
 الاسلام وحببي لي أقطع حبي وكثير من خلقه نيام . وقال أبو هاشم القرشي قدمت علينا امرأة من
 أهل اليمن يقال لها سريفة فزلت في بعض ديارنا قال فمكنت أصعب لها من الليل أنها وشيئا فقلت يوما
 لحاكم لي : أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع قال فأشرف عليها فلما رآها تصنع شيئا غير أنها لا ترد
 طرفها من البكاء وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سريفة ثم غديتها بضمك من حال إلى حال وكل
 أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسطعك بالتوب على معاصيك
 فلما بعد فلتة أترها تظن أنك لا ترى سوء غيها وأنت عليم بخير وأنت على كل شيء قدير . وقال
 ذو النون للصرى خرجت ليلة من وادي كتمان فلما علوت الوادي إذا سواد مقبل على وهو يقول

جهدته فيعود الحب
 بضوالة الكتاب
 الصفات من المحبوب
 فيقول عند ذلك
 أنا من أهوى
 ومن أهوى أنا -
 نحن روحان حللنا دنا
 فإذا أبصرني أبصره
 وإذا أبصرته أبصرنا
 وهذا الذي عبرنا عنه
 حقيقة قول رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 « يخلقوا بأخلاق آباءهم »
 لأنه بزراعة النفس
 وكال الزكية يستمد
 للمحبة والمحبة موهبة
 غير معللة بالزكية
 ولكن سنة الله
 جارية أن يزكي نفوس
 أحواله بحسن توفيقه
 وتأنيده وإذا منح
 زراعة النفس وطهارتها

- وبنا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - ويكفي فلما قرب من البوادى اذاهى امرأ عليها جبة صوف
ويدها ركوة فقالت لي من أنت غير فرقة منى قلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع
الله غربة قال فسكنت لتولمها فقالت لي ما الذى أبكاك قلت قد وقع السوء على داء قد فرح فأسرع
في نجاهه قالت فان كنت صادقا فلم يكبت قلت برحمتك الله والصادق لا ييكى قالت لا قلت ولم اذ لك قالت
لأن البكاء راحة القلب فسكت متعجبا من قولها - وقال أحد من على استأذنا على غيرة خبيثا فلما رأينا
الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول اللهم إني أعوذ بك ممن جاء يشغلى
عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا أمة الله ادعى لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي
للفترة ثم قالت لنا مكث عطاء السلى أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء لحانت منه نظرة غمر فغصا
عليه فأصابه فتى في بطنه فبالت غيرة إذا رفعت رأسها لم تمش وباليها إذا عصمت لم تعد - وقال بعض
الساطين خرجت يوما إلى السوق ومضى جارية حبشية فاحتسبته في موضع ناحية السوق وذهبت في بعض
خواجهى وقلت لا يرحى حتى أنصرف اليك قال فأنصرفت فلم أجدها في اللوح فأنصرفت إلى
منزلى وأنا عديد الغضب عليها فلما أتت عرفت الغضب في وجهي فقالت يا مولاي لا تسجل على إنك
أجلسنى في موضع لم أرفه ذا كر الله تعالى غفت أن يحسف بذلك للوضع فصبت تولمها وقلت لها
أنت حرة - فقالت ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لي أحران وأما الآن قد ذهب عنى أحدها -
وقال ابن الملاء السعدي كانت لي ابنة عم قال لها بيدة تعبدت وكانت كثيرة القراءة في للصنف فكلمنا
أيت على آية فيها ذكر النار بكى فلم تزل بكى حتى ذهبت عينها من البكاء فقال بنوهم انطلقوا بنا
إلى هذه القرية حتى نعلمها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا يا برة كيف أصبحت قالت أصبحت
أضيافا منيخين بأرض غربة تنتظر متى ندمي فحبيب قلنا لها كم هذا البكاء تذهبت عينك منه فقالت
إن يكن لعمري عند الله خير لما يفرها مذهب منها في الدنيا وإن كان لها عند الله شرفين يدها بكاء
أطول من هذا ثم أعرضت - قال فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه - وكانت مائة
الصدوق إذ جاء التبار تقول هذا يومى الذى أموت فيه ما أطمع حتى تمس فإذا جاء الليل تقول هذه الليلة التى
أموت فيها فصل حتى تسبح - وقال أبو سليمان الداراني بث ليلة عند رابعة فقامت إلى حراب لها وقت أنا
إلى ناحية من البيت فلم تزل قائمة إلى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قواني على هذه الليلة قالت
جزاؤه أن تصوم له غدا وكانت شعوانة تقول في دعائها إلى ما أشفقنى إلى قاتلك وأعظم رجائي لجزائك
وأنت الكريم الذى لا يغيب عليك أمل الآملين ولا يسل عندك عقوق الشقائق إلى إن كان دنا أجل
ولم يقربى منك حمل قد جعلت الاعتراف بالذنوب وسائل على فان عفوت فمن أولى منك بذلك
وإن عذبت فمن أهدل منك هنالك إلى قد جرت على نفسي في النظر لها وبقى لها حسن نظرك
فالويل لها إن لم تسبها إلى إنك لم تزل في برا أيام حياتي فلا تقطع عني ريك بدمعائي ولقد رجوت
من تولاني في حياتي بإحسانه أن يسقني عند مماتي بفرانه إلى كيف أبأس من حسن نظرك بعد
مماتي ولم تولني - إلا لجيل في حياتي إلى إن كانت ذنوبي قد أخافتنى فان عفى بك فقد أجارتني تقول من
أمرى ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله إلى لو أردت إهائي لما هدبتني ولو أردت فضيحي
لم تسترني فمتنى بجماله هديتى وأمد لي ما به سترتنى إلى ما أظنك تردني في حاجة أنيت فيها عمرى
إلى لولا ما قارب من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفتنى من كرمك ما رجوت ثوابك -
وقال الحراس دخلنا على ربيعة العابدنة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عمت وصلت
حتى أتدت وكانت تسمى قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها فثبتا من الصغوليين عليها الأمر قال فضمت

جذب روحه مجاذب
الحبة خلع عليه خلع
الصفات والأخلاق
ويكون ذلك عنده
ربة في الوصول فتارة
ينبت الشوق من
باطنه إلى ما وراء ذلك
لكون عطاي الله
غير متناهية
وتارة يسلى بما منع
فيكون ذلك وصوله
الذى يستحسن نيران
هوقه ويأبى الشوق
تستمر الصفات اللو هوبة
الحقيقة ربة الوصول
عند الحب ولولا بآب
الصوق رجع القهقري
وظهرت صفات نفسه
الحالة بين البرد وقلبه
ومن ظن من الوصول
غير ما ذكرناه وتخابل
ه غير هذا القدر فهو

ثم قالت على نفسي فرح فؤادي وكلم كبدى والله لو ددت أن الله لم يخلقنى ولم أك شيئا مذكورا
ثم أقبلت على صلاتها . فعليك إن كنت من الرابطين للراقيين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء
من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فانك إن تطعم أكثر
من في الأرض يشاك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمتبرون
أردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الأولياء فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة
والتابعين ومن يسدم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين فان
حدثك نفسك بالنظر إلى أهل زمانك وقالت إنما تيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الأعداء
والآن فان خالفت أهل زمانك رأك مجنونا وسخرأ بك فواقهم فيما هم فيه وعليه فلا يمر عليك
إلا ما يمر عليهم وللصية إذا عمت طابت فإياك أن تتلى بحل غرورها وتتخمد بزورها وقيل
لما رأيت لوهم سبيل جارف يفرق أهل البلد وفتنوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم
بحقيقة الحال وقد رت أنت على أن ضارقيهم وتركى في سفينة تتخلصن بها من الفرق فهل يخرج
في نفسك أن الصية إذا عمت طابت أم تركين موافقتهم وتستجعليهم في صيغهم وتأخذين حذرهم
كما دهالك فإذا كنت تركين موافقتهم خوفا من الفرق وعذاب الفرق لا تسمى إلا ساعة فكيف
لأنهرين من عذاب الأبد وأنت متعرضة له في كل حال ومن أين تطيب للصية إذا عمت ولأهل
النار شغل شاغل عن الالتفات إلى الصوم والحسوس ولم يهلك الكفار إلا عاقبة أهل زمانهم
حيث قالوا - إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون - فعليك إذا اشتغلت بمعاينة نفسك
وحملها على الاجتهاد فاستنت أن لا تترك معانيها وتويعتها وتقريرها وعرضها سوء نظرها لنفسها
فساها تنزجر عن طغيانها .

(للرابطة السابعة في توبيخ النفس ومعانيها)

اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبك وقد خلقت أمانة بالسوء مائلة إلى الشر فرارة من الخير
وأمرت بتزيينها وتخويبها وقودها بسلامل القهر إلى عبادة ربها وخالقتها ومنتها عن شهواتها وفطامها
عن لذاتها فان أهملتها جمحت وشردت ولم تنظر بما بعد ذلك وإن لازمها بالتوبيخ والماتية والمذل
وللأمانة كانت نفسك هي النفس الواهمة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس للطمعة للدعوة
إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تنفلن ساعة عن تذكيرها ومعانيها ولا تشغلن
بوعظ غيرك مالم تشغل أولا بوعظ نفسك أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ
نفسك فان امتلقت فخط الناس وإلا استحي منى وقال تعالى - وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين -
وسيلك أن تعجل عليها فقرر عندها جهلها وغياوتها وأنها أبدا تمتاز بفطنها وهدايتها يرشدتها
واستكانها إذا نسبت إلى الحق فتقول لها يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة
وأنت أهد الناس خباوة وحقا أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وأنت سائرة إلى إحداهما على
القرب لما لك من حريصين وتحسينين وتشغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الحطب الجسيم وعسالك اليوم
تختطفين - أو غدا فأراك تترين اللوت بعيدا ويراه الله قريبا . أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن
البيد ما ليس بآت أما تعلمين أن اللوت يأتي بقة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطة
وأنه لا يأتي في شيء دون شيء ولا في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل
دون نهار ولا يأتي في الصبا دون الشباب ولا في الشباب دون السبايل كل نفس من الأناس يمكن أن يكون
فيه اللوت فبأن لم يكن اللوت فبأن يكون للرض فجاءهم رضى إلى اللوت فبأن لا تستمدن لللوت

معرض الذهب
التصارى في اللاهوت
والناسوت . وإعبارات
الشيوع في الاستغراق
والقناء كلها حادثة إلى
تحقيق مقام الحية
باسيلاء نور اليقين
وخلاصة الذكر على
القلب وتحقيق الحق
اليقين بزوال الأعوجاج
القبا وأمنت اللوث
الوجودى من بقاء
صفات النفس وإذا
جئت الحية تربيت
عليها الأجل والو بتميتها .
سئل الشيخ عن الحية
فقال كاس لها وهي
إذا استقر في الخواص
وسكن في النفوس
تلافت . وقيل للحية
ظاهر وباطن ظاهرها
اتباع رضا المحبوب

وهو أقرب إليك من كل قريب أما تدبرين قوله تعالى - اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم - ويحك يا نفس إن كانت جرائدك على مصيبة الله لا اعتقادك أن الله لا يراك فما أعظم كفرك وإن كان مع علمك بإطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حيائك . ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من إخوانك بما تسكره فيه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأي جسارة تترصدين لقت الله وغضبه وهدمه وعقابه أفظننك أنك تطيقين عذابه هيهات هيهات جبري نفسك إن الهالك البطر عن أليم عذابه فاحتسبي ساعة في الشمس أوفى بيت الحرام أوفى أصعبك من النار ليتبين لك قدر طاعتك ثم تترصدين بكرم الله وفضله واستغفله عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تنولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستطيعين الحيل في دفعه ولا تسكينه إلى كرم الله تعالى وإذا أرهقتك حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا بما لا ينقض إلا بالدينار والدرهم فما لك تزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الخيل فلم لا تنولين على كرم الله تعالى حتى يثر بك على كثر ويسخر عبدا من عبيده فيجعل إليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب أحسنين أن الله كرم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت أن سعة الله لا تبدل لها وإن رب الآخرة والدنيا واحد وإن ليس للإنسان إلا ما سعى . ويحك يا نفس ما هي هفواتك ودعائك البطالة فانك تدعين الإيمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولوك - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - وقال في أمر الآخر - وإن ليس للإنسان إلا ما سعى - فقد تسكلك بأمرك الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذلك به بأفلاك وأصبحت تسكابين على طلبها تسكالب للدهوش المستر وكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراضا للفرور وللستر مما هدام من علامات الإيمان لو كان الإيمان باللسان فلم كان للناس قوف في الدرك الأسفل من النار . ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين أنك إذا مت اقلقت وتخلصت وهيات أجسبين أنك تركين سدى ألم تكوني نطفة من مقيي ثم كنت علقة غلقى فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الوترى فإن كان هداما من إضمارك فما أكرهك وأجهلك أما تذكرين أنه ماذا خلقك من نطفة خلقك فقد تركك ثم السبل يسرك ثم أما لك فأفكره أفسكتك بينه في قوله ثم إذا شاء أضررك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تأخذين حذررك ولو أن يهوديا أخبرك في أنه أطمعك بأنه يضررك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه أفكان قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه للفرقة أقل عندك تأثيرا من قول يهودي يضررك عن حدس وتخمين وظن مع قصان عقل وقصور علم والسبب أنه لو أخبرك طفل بأن في ثوبك عقرا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأنبياء أم صار حرجهم وأغلغلهم وأسكلهم وزفومهم ومقامهم وصديدها ومعوها وأفاعها وعقاربها أمقر عندك من عقرب لا تحسب بألمها إلا يوم أو أقل منه ماهدا أفعال العقلاء بل لو انكشفت لأبصارهم حالك لفشكوا منك وسخروا من قلقك فان حسنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وأمنت به فما لك تسوفين العمل ولتوت لك بالمرصاد ولعلك يخطئك من غير مهلة . فما إذا أمنت استعجال الأجل وهيك أنك وعدت بالإمهال مائة سنة أفظننك أن من يطعم النسيئة في حضيض العقبة يطلع ويهدى على قطع النسيئة بهلوان ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرايت لو سافر رجل ليقتني في التربة فأقام فيها سنين يتسطل لا يبالا به نفسه بالتفقه في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه أن تقفيا النفس مما يطعم فيه عدة قريبة أو حسانه أن مناصب التقهيم تتال من غير غفلة أعبادا على كرم الله سبحانه وتعالى

وباظنا أن يحسبون مفتونا بالحبيب عن كل شيء ولا يلقى فيه بنية لغيره ولا لنفسه فمن الأحوال السنية في الهبة الشوق ولا يكون الحب إلا مشتاقا أبدا لأن أمر الحق تعالى لإنهاية له فما من حال يأنسها الحب إلا ويمل أن ما وراء ذلك أوفى منها وأهم حزن يحسبك لا إذا

يحيى إليه ولا إذا أمد ثم هذا الشوق الجاديب عنده ليس كسبه وإنما هو مؤلمية خص الله تعالى بها المحبين . قال أحمد ابن أبي الخوارى دخلت على أبي سليمان

ثم حتى أن الجهد في آخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرجات العلى فلما لم لا تشتغل
فيه بذلك فإن أوصى إليك بالامهال لما للنافع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب
إلا هزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والشقة أفنتظرون يوما يأتيك لتعصر فيه مخالفة
الشهوات هذا يوم لم يخلق الله قط ولا يخلق فلا تكون الجنة قط إلا عذوبة بالمسك ولا تكون النار
قط خفيفة على النفوس وهذا حال وجوده أما تتأملين مذكم تمدنين نفسك وتهللين غدا غدا قد
جاء الغد وصار يوما فكيف وجدته أما علمت أن الغد الذي جاء وصار يوما كان نسيم الأمن لا بل
تعمزين عنه اليوم فأنت غدا عنه أهجر وأهجر لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التي تقيد العبد بقلعها
فإذا هجم العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن هزم عن قلع شجرة وهو شاب قوي فأخرها إلى سنة
أخرى مع العلم بأن طول اللذة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع ضغاضوخا فلا يقدر عليه في
الشباب لا يقدر عليه قط في للشيب بل من العناء رياضة الحرم ومن التذنب تذهب الديب والفتشيب
الربط يقبل الانحاء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فإذا كنت أيها النفس لا تهمين هذه
الأمر الجلية وتركنين إلى التسويف فما بالك تدعين الحكمة وأية حكمة تزيد في هذه الحقاقة وللك
تقولين ما ينعني عن الاستقامة إلا حرصى على لذة الشهوات وقلة صبرى على الآلام وللشقات فما أهد
غيبوتك وأتبع اعتذارك إن كنت صادقة في ذلك فاطلبي التمتع بالشهوات الصافية عن الكدورات
الدائمة أهد الآداب ولا مطمح في ذلك إلا في الجنة فإن كنت ناظرة لجهنمك فالنظر لما في مخالفتها قرب
أكله تمنع أكلات وما فوقك في عقل مريض أثار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح
ويهدأ يشير به طول عمره وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضا مزمنًا وامتنع عليه شربه طول
العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة أصبر ثلاثة أيام ليقيم طول العمر أم يقضى شهوته في
الجال خوفًا من ألم المخالفة ثلاثة أيام حتى يفرغ ألم المخالفة ثلاثة أيام وثلاثة آلاف يوم وجميع عمره
بالإضافة إلى الأبد الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالإضافة إلى
جميع العمر وإن طال مدة ، وليت شعري ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم
النار في درجات جهنم فمن لا يطبق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطبق ألم عذاب الله ما أراكم تتوانين
عن النظر لنفسك إلا لكفر حتى أو ملحن جلي . أما الكفر الحق فهو ضعف الإيمان يوم الحساب وقلة
معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب . وأما الحق الجلي فاعتدالك على كرم الله تعالى وغفوه من غير
التفات إلى مكروه واعتدراج واستغناؤه عن عبادتك مع أنك لا تعتمدين على كرمه في لثمة من الخبز
أو حبة من البلب أو كلة واحدة تسمعنيها من الخلق بل تتوصلين إلى غرضك في ذلك بجميع الحيل
وهذا الجهل تستحين قلب الحقاقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « الكسبي من دان
نفسه وحمل لما بعد الموت والأحق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان » ويحك يا نفس
لا يبين أن شرك الحياة الدنيا ولا يترك بالله التورود فانظري لنفسك فما أمرك بهم لئلا تلغى
أو فأنك فالأفاس معدودة فإذا مضى منك نفس قد ذهب بفسك فاعتنيت بالصحة قبل السقم والفرغ
قبل الشغل والنفى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستندى للأخرة على قدر
بقائك فيها يا نفس أما تستمدنين للشتاء بقدر طول مدته فتجسسين له القوت والكسوة والخطب وجميع
الأمسيات ولا تسكين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولينحط
وغير ذلك فإنه قادر على ذلك أفنتظنين أيها النفس أن زمهرير جسم أخف بردًا وأقصر مدة من
زمهرير الشتاء أم تظنين أن ذلك دون هذا كلاً أن يكون هذا كذلك أو أن يكون بينهما مناسبة

الداركن لرايته يبكى
قلقت ما يبكيك رحمتك
الله قال ويحك يا أحمد
إذا جن هذا الليل
افترقت أهل المحبة
أقدامهم وجرت
دموعهم على خدودهم
وأعسرف الليل
جل - جلالة - عليهم
يقول : يبيح من تلكه
بكلاسي واستراح إلى
مناجاتي وإلى مطلع
عليهم في خلواتهم أسمع
أنيهم وأرى بكاهم
يا جبريل ناد فيهم
ما هذا البكاء الذي
أزاه فكم هل خبركم
غير أن حبسنا يذهب
أحبابه بالنار كيف
يجعل في أن أعذب
قوما إذا جن عليهم
الليل تعلقوا إلى في

في الشدة والبرودة أظظين أن العبد يشجو منها بغير سعي هيات كما لا يندفع برد الشتاء إلا بالجلية والنار
وسائر الأسباب فلا يندفع حر النار وبردها إلا بحسن التوحيد وخندق الطاعات وإنما كرم الله تعالى
في أن هرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لافي أن يندفع عنك العذاب دون حصنه كأن كرم
الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهذا الطريق استخر اجها من بين حديد و حجر حتى تدفع
بها برد الشتاء عن نفسك وكان أن شراء الحطب والجلية مما يستغنى عنه خالقك ومولوك وإنما اشتريته
لنفسك إذ خلقه سبيلا لستراحتك فطاعتك وعجابهاتك أيضا هو مستغن عنها وإنما هي طريقك إلى
نجاتك فمن أحسن فلفسه ومن أساء فظلمها والله غنى عن العالمين . ويحك يا نفس ازعجي عن جهمك
وقبسي آخرتك بدنياك فسا خلقك لا يشكرك إلا كنفس واحدة وكما بدأنا أول خلق نعيده . وكما
بدلناكم مودود وسنة الله تعالى لا يغير لها شيئا ولا يحيد لها شيئا ولا يبدل ولا يحول . ويحك يا نفس ما أراك إلا التفت إلى الدنيا
وأنت بها فسر عليك مفارقتها وأنت مقيلة على مقاربتها وتؤكدين في نفسك مودتها فأحسني أنك
ظالمة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها أنت مؤمنة بالموت للفرق بينك وبين محابك
أقرين أن من يدخل دار ملك يخرج من الجانب الآخر فمد بصره إلى وجه ملبس يعلم أنه يستغرق ذلك
قلبه ثم يضطر لاحتالة إلى مفارقتها فهو ممدود من القلاء أم من الحق . أما تصلين أن الدنيا دار الملك
للكوك ومالك فيها إلا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ، ولذلك قال سيد البشر صلى الله
عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقتها ومحمل ما شئت فانك مجزى
به وعش ما شئت فانك ميت ^(١) » . ويحك يا نفس أتعلمين أن كل من يلتفت إلى ملاذ الدنيا وأيا نفس
بها مع أن اللوت من وراءها فأنما يستكثرون الحسرة عند الفراق وإنما يترو من اسم الملك وهو لا يدري
أو ما تنظرين إلى الذين مضوا كيف بنوا وعولوا ثم ذهبوا وخلاوا كيف أورت القفار ضرم وديارهم أعداءهم
أما ترينهم كيف يجمعون مالا يأكلون وبينون مالا يسكنون ويؤمرون مالا يدركون بين كل واحد
قصرا مرفوعا إلى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الأرض فهل في الدنيا حق وانتكاس أعظم من
هذا يصر الواحد دنياء وهو مرتحل عنها شيئا وغرب آخر ثم وهو صائر إليها قطعاً ، أما تستعين يا نفس
من مساعدة هؤلاء الحق على حماقتهم وأحسني أنك لست ذات بصيرة تهدي إلى هذه الأمور وإنما تبيلين
بالطبع إلى التشبه والاعتداء قبيسي عقل الأنبياء والعلماء والحكماء بمقل هؤلاء للتسكين على الدنيا
واقتردي من الترفيقين بمن هو أعدل عندك إن كنت تتقدين في نفسك العقل والدكاء يا نفس ما أعجب
أمرك وأشد جهلك وأظهر ظفيا نك ، هيبالك كيف تعمين عن هذه الأمور الواضحة الجليلة ولعلك يا نفس
أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها ، أو ما تفكرين أن الجاه لا معنى له إلا ميل القلوب من بعض
الناس إليك فأحسني أن كل من على وجه الأرض سجد لك وأطاعك ، أقبصا فحين أنه بعد خمسين سنة
لا يتبين أنت ولا أحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر
من ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا
فكيف تبين يا نفس ما يتي أيد الأياد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة إن بقي هذا إن كنت ملكا
من ملوك الأرض سلم لك الشرق والغرب حتى أذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الأسباب كيف وبأي
إدبارك ومقتواتك أن يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلا عن محلتك فإن كنت يا نفس لا تحركين
الدنيا رغبة في الآخرة لمهلك وعسى بصيرتك فما لك لا تحركينها فرضا عن خسة شركائها وترضا عن
كثرة عنائها ونوبها من سرعة فناءها أم مالك لا تزهددين في قليلها بعد أن زهدت في كثيرها ومالك

حلفت . إذا وردوا
القيامة على أن أسفر لهم
عن وجبي وأيهم
رياض قدسي وهذه
أجوال قوم من المحبين
أقبصوا مقام الشوق
والشوق من المحبة
كالرغبة من التوبة
إذا استقرت التوبة
ظهر الإرشاد وإذا
استقرت المحبة ظهر
الشوق . قال الواسطي
في قوله تعالى وهجت
إليك رب ترضى قال
هوفا واستانة من
وراءه . قال م أولاً
على أخرى . من شوقه
إلى بكالة الله ورمي
بالأنوار لما فاته من
وقته . قال أبو حنن
الشوق غيرة الهبة في نفسه
أحب الله اشتاقوا إلى
لصاحبه

تفرحين بدنيا إن ساعدتك فلا تخلو بملك من جماعة من اليهود واليهوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فأفـ .. الدنيا يسبقك بها هؤلاء الأحماد لها أهلك وأخص همتك وأسقط رأيك إذا رغبت عن أن تكون في زمرة المذنبين من النبيين والصديقين في جوراب الملائين أباد الأبدن لتكون في صف النعمان من جملة الحق الجاهلين أياما قلائل يا حصرة عليك إن خسرت الدنيا والدين ، فبادري وبحك يا نفس قد أشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد الذرير من ذاصلك منك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يرضى عنك ربك بعد الموت . وبحك يا نفس مالك إلا أيام معدودة هي بشاعتك إن أجرت فيها وقد ضيبت أكثرها فلو بكت بقية عمرك على ضيبت منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف إذا ضيبت البقية وأصررت على عادتك . أما تلمين يا نفس أن الموت موعدهك والقيز بينك والقتاب فراشك والدود أنيسك والقرع الأكبرين يديك ، أما علمت يا نفس أن عسكر الموت عندك في باب البلى ينتظرونك . وقد آلاوا على أنفسهم كلهم بالأيام للفظلة أنهم لا يرحون من مكاهم مالم يأخذوك معهم ، أما تلمين يا نفس أنهم يمتنون الرحمة إلى الدنيا يوما ليستفلوا بتدارك ما فرط منهم وأنت في أمثمتهم ويوم من عمرك لويص منهم في الدنيا عذابيها لا تحترقوا لو قدروا عليه وأنت تضعين أيامك في التفة والخطالة . وبحك يا نفس أما تستحيين زينين ظاهرك للخلق وتبازين الله في السر بالمعظم أفستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق . وبحك أهو أهون الناظرين عليك أأمرين الناس بالخير وأنت مطلعة بالذال تدعين إلى الله وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية ، أما تلمين يا نفس أن للذنب أنف من العذرة وأن العذرة لا تظهر غيرها فلم تعلمين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك . وبحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس ما يصيهم بلاء إلا بئسوا . وبحك يا نفس قد جعلت نفسك حمارا للإبل يسوقوك إلى حيث يريد ويسخر بك ، ومنع هذا تصحين بملك وفيه من الآفات ما لو نجوت منه رأسا برأس لكان الربح في يديك وكيف تصحين بملك مع كثرة خطاياك وزللك وقد لدن الله إبليس بخطيئة واحدة بعد أن عبده مائتي ألف سنة وأخرج آدم من الجنة خطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه . وبحك يا نفس ما غدرتك وبحك يا نفس ما أوقعتك وبحك يا نفس ما أجعلك وما أجزأك على العاصي وبحك كم تصفين وتصفين وبحك كم تصدين وتصدين وبحك يا نفس أفستخفين مع هذه الخطايا بصارة دنياك كأنك غير مرتعة عنها أما تنظرون إلى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيرا أو بنوا مشيدا وأما بوا بعيدا فأصبح معهم يورا وبنيتهم قبورا أو ملأهم غرورا وبحك يا نفس أما لك بهم عزة أم لك إليهم نظرة أنظنين أنهم دعاوا إلى الآخرة وأنت من الخلدن هيات هيات ساء ما توهمين ما أنت إلا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك قاضى على وجه الأرض فصرخ قائ بطها عن قليل يكون قبرك أما تخافين إذا بلغت النفس منك التراقى أن تدور سدا ربك متعذرة إليك بسواد الأوان وكلح الوجوه وبهرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم أو يقل منك الحزن أو يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدعين البصرة والقلعة ومن فطنتك أنك تضحكين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزينين بقصاي عمرك وما تنع ماله يزيد وهمر ينقص . وبحك يا نفس تهرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك ، فكس من تستقبل يونا لا يستكمل وكس من يؤمل لند لا يلبثه فانتت تشهددين ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك قرين تهرم عند الموت ثم لا ترجعين هن جهالك فاحذرى أيها النفس للمكينة يوما آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبادا أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلائقه

تقاه . وقال أيضا في قوله تعالى - فإن أجل الله لات - تهربة للجناتين منه أن أعلم أن هو كسك إلى غالب وأنا أجلت للقالكم أجلا . وعن قريب يكون وصولكم إلى من تستاقون إليه وقال ذو النون: الشوق إلى الدرجات . وألم للقباب إذا بلغها الإنسان استطاع الموت شوقا إلى ربه ورجاء . وقاله والنظر إليه . وعندي أن الشوق البكا في الهيبين إلى رعب يتوقونها في الدنيا غير الشوق الذي يتوقون به ما بعد الموت والله تعالى يكشف أهل وده بمطاي يحدونها

فانظري يا بني بدن تقفين بين يدي الله وبأى لسان تجيبين. وأعدى للسؤال جوابا ولجواب
 سوابها وأحمل بقية حمرتك في أيام تصار لأيام طوال وفي دار زوال الدار مقامه وفي دار حزن ونصب دار نعيم
 وخلاود اعملى قبل أن لا تسلمى اخرجى من الدنيا اختيارا خروج الأحرار قبل أن تخرجى منها على
 الاضطراب ولا تفرحى بما يساعدك من زهرات الدنيا فريد مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فوز
 لمن له الول ثم لا يشعر بضمك وضره ويلهو ويحمر ويأكل ويشرب وقد حق له في كتاب الله أنه
 من وقود النار فليكن نظرك يا بني إلى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرابا ورفضك لها اختيارا وطلبك
 للأخرة ابتدارا ولا تكونى ممن يجز عن عكر مألوف وينسى الزيادة فيا بنى وبني الناس ولا ينسى
 وأعلمى يا بني أنه ليس لدين عوض ولا لإعانة بدل ولا لجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار
 فانه يساره وإن لم يسر فانطى يا بني بهذه للوعظة وإقبل هذه النصيحة فان من أعرض عن
 للوعظة قد رضى بالنار ومأواه بها راضية ولا لله للوعظة واعية فان كانت التساوة تمنحك عن
 قبول للوعظة فاستبني عليها بدولم التجد والقيام فان لم تزل فيالواظبة على الصيام فان لم تزل فيقوة
 الخاطلة والكلام فان لم تزل فيصلة الأرحام والطف بالأيتام فان لم تزل فاعلمى أن الله تدطيع على قلبك
 وأقل عليه وأنه قد تراكت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطى نفسك على النار قد خلق الله
 الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فكل ميسر لما خلق له فان لم يق فيك جهال بالوعظ
 فانطى من نفسك والقنوط كبيرة من الكبار فعوذ بالله من ذلك فلا تبيلك إلى القنوط ولا تبيل
 لك إلى الرجاء مع اسداد طرق الخير عليك فان ذلك اعتقار وليس برجاء فانظري الآن هل يأخذك
 حزن على حسنة الصبية التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمنة رحمة منك على نفسك فان
 سمعت لتستقي الدمع من بحر الرحمة قد جنى فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستبني
 بأرحم الراحمين واشتكي إلى أكرم الأكرمين وأدنى الاستغاثة والاعلى طول الشكاية لله أن يرحم
 نفسك ويشك فان مصيبتك قد عظمت ولبنتك قد ضاقت وتباديك قد طال وقد اقطعت منك
 الحبل وراحت منك الطل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستأث ولا مهرب ولا مآج ولا منجا إلا إلى مولاه
 فانزعى إليه بالتضرع وانضمى إلى تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لأنه يرحم للتضرع
 الدليل ويثبت الطالب للتلطف ويحب دعوة المضطر وقد أصبحت إليه اليوم مضطرة وإلى رحمته
 محتاجة وقد ضاقت بك السبل والبسدت عليك الطرق واقطعت منك الحبل ولم تنجع فيك العظات
 ولم يكسر التوبيخ فالطوب منه كريم والسئول جواد والمستأث به برءوف والرحمة واسعة
 والكرم قاض والفوق عامل وقوى يا أرحم الراحمين يا رحيم يا حليما يا عظيم يا كريم أنا للذنب
 لصر أنا الجرم الذى ألقى أنا للتأذى الذى لأستحي هذا مقام للتضرع للسكين والبالى الفقير
 والضعيف الخير والمالهاتى الرقيق فيسبل إغاثتى وفرجى وأرى أن تار رحمتك وأذنى برحمتك وبمغفرتك
 وارزقنى قوة عظمتك يا أرحم الراحمين اتجدا بأبيك آدم عليه السلام قد قال هو بن منبه لما أحبط
 الله آدم من الجنة إلى الأرض مكث لا رقا له دمنة فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو عزون
 كتيب كظيم منكس رأسه فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ما هذا الجهد الذى أرى بك قال يارب عظمت
 مصيبتى وأحاطت بى خطيئى وأخرجت من ملكوت ربى فصرت فى دار الحزن بعد الكرامى وفى دار
 الشقاء بعد السعادة وفى دار النصب بعد الراحة وفى دار البلاء بعد الغافة وفى دار الزوال بعد الثبات
 وفى دار اللوث والقناء بعد الخلود والبقاء فكيفه لا أبكى على خطيئى فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ألم
 أسعيتك نفسى وأحلتك دارى وخضعتك بكرامتى وحذرتك بسخطى إلى أخلقك يدي وتختصرتك

علما ويطلبونها فلو
 فكذلك يكون هو قهم
 لصير القم ذوقا وليس
 من خضورة مقام الشوق
 استبطاء للوث وزجما
 الأصحاء من الغيبين
 يتلذذون بالحياة لله
 تعالى كما قال الجليل
 لرسوله عليه الصلاة
 والسلام قل إن صلاتى
 ونسكى وهبى وهبى
 لله رب العالمين فمن
 كانت حياته لله منته
 الكريم لله للناجاة
 والمجبة فتحتل عينه
 من القدر ثم يكافئه من
 اللع والطالب فى الدنيا
 ما يتحقق مقام الشوق
 من غير الشوق إلى
 ما بعد للوث وأنكر
 بضمهم مقام الشوق
 وقال تعالى يكون الشوق

من رضى وأسجدت لك ملائكتي فصيت أمري ونسيت عهدي وتعمست لستعطي فخرني وجلالي
لو ملأت الأرض رجلا كلهم مثلك يبدوني ويسبحوني ثم عصفوني لأزلفتهم منازل العاصين فيكي آدم
عليه السلام عند ذلك ثلثائة عام . وكان عبيد الله الجبلي كثير البكاء يقول في بكائه طول ليلة: إلهي أنا
الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي أنا الذي كلما همت بترك خطيئة عرضت في شهوة أخرى وأعيدها
خطيئة لم تبيل وصاحبها في طلب أخرى وأعيدها إن كانت النار لك مقبلا ومأوى وأعيدها إن كانت
للقامع لراسك تنها وأعيدها ففتنت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى . وقال منصور بن عمار سمعت
في بعض الليالي بالكوفة عابدا ينادي: وهو يقول يا رب عزك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك
إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا لقوتك متعرض ولا نظرك مستخف ولكن سؤلت لى نفسى
وأعاني على ذلك حقوقى وغرتى سترتك للرخى على فصيتك بجعلى وخالفتك بقول لمن عذابك
الآن من يستغنى أو يحل من اعتصم إن قطعت حبلك عني وإسواناه من الوقوف بين يديك عدا
إذا قيل للمغنين جوز وأقيل للمتلين حطوا مع الغنمين أجوز أم مع التقلين أحطوي كما كبرت سنى كثرت
ذنوبي وبلى كلما طال عمري كثرت معاصي قالى متى أتوب وإلى متى أعود ما أنى أن استغنى من رضى
فهذه طرق القوم في مناجاة مولايم وفي مناجاة نفوسهم وإنما مطلبهم من المناجاة الاستمرار . ومقصودهم
من العاجبة التنبيه والامتراء فمن أهل العاجبة والمناجاة لم يكن نفسه مراعى وبوشك أن لا يكون
الله تعالى عنه راضيا والسلام . تم كتاب الحاسبة والراقية . وتلوه كتاب التفكير إن شاء الله تعالى
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .

(كتاب التفكير)

(وهو الكتاب التاسع من ربيع التجليات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لم يقدّر لانهاء عزه نغوا ولا قطرا ولم يجعل لى أقدام الأوهام ومرسى سنام الأفهام
إلى حمى عظمته جرى بل ترك قلوب الطالبين فى بيداء كبرياته والهة جبرى كما بعزت ليل
مطلوبها ردتها سيجات الجلال قبرا وإذا همت بالأصراف آتية توديت من سراقبات الجلال صبرا
صبرا ثم قيل لها أجبلى فى ذلة البودية منك فكرا لأنك لو تفكرت فى جلال الربوبية لم تقدرى
له قدرا وإن طلبت وزاد الفكر فى صفاتك أمرا فالنظرى فى نعم الله تعالى وآيابه كيف تواتر عليك
تترى ويجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتأملى فى عمار القادر كيف فاضت على الطالبين خيرا
وشرا ونفعا وضرا وصبرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطبا وقسرا وإيثارا وكفرا وعرفانا
ونكرا فان جاوزت النظر فى الأفعال إلى النظر فى الذات فقد حاولت أمرا أمرا وخاطرت بنفسك
بمجازرة حد طاقة البشر ظما وجورا قد انهرت العقول دون مبادئ إشراقه وانقضت على أعقابها
اضطرا وأهرا والصلاة على محمد سيد ولد آدم وإن كان لم يعد سيادة غرا صلاة تبقى فى
عرصات القيامة عمة وذخرا وعلى آله وأصحابه الدين أصبح كل واحد منهم فى جملة الذين بقرا
وطواف السنين صدرا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] قد وردت السنة بأن «تفكير ساعة خير من عبادة سنة» وكثيرا لحث فى كتاب

(كتاب التفكير)

(١) حديث تفكير ساعة خير من عبادة سنة ابن حبان فى كتاب الطمعة من حديث: أبى هريرة

لغالب . ومعنى يتبين
إلحبيب عن . إلحبيب
حق يشتاق ولها سائل
الأطلس عن الشوق
قال إعيا يشتاق إلى
القاب وما غبت عنه
منذ وجدته وإن كان
الشوق على الإطلاق
لا أرى له وجها لأن
ربيب العطار وللشيخ
من أنصبة القرب إذا
كانت غير متناهية
كيف يشكر الشوق
من الحب فهو غير غالب
وغير مشتاق بالنسبة
إلى ما وجد ولكن
يكون مشتاقا إلى عالم
بعد من أنصبة القرب
فيكيف يمنع حال
الشوق والأمر هكذا .
وجه آخر أن الإنسان
لا يد له من أمور يردّها

الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة للعارف والقيوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقة وعمرته ومصدره ومورده ومجره ومسرحه وطريقه وكيفية ولم يعلم أنه كيف يتفكر وفيذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به أهو مراد ليه أم لفرة استفاد منه فإن كان لفرة فما تلك لفرة أهو من العلوم أو من الأحوال أو منها جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكير ثم حقيقة التفكير وعمرته ثم مجارى الفكر ومسارحه إن شاء الله تعالى.

(فضيلة التفكير)

قد أمر الله تعالى بالتفكير والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا يحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما «إن قوما تشكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تشكروا في خلق الله ولا تشكروا في الله فانكم لن تقدرُوا قدره» وعن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تسكعون؟ فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فاضلوا تشكروا في خلقه ولا تشكروا فيه فان بهذا القرب أرضا يضاء نورها يضيئها ويضيئها سيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يارسول الله فأين الشيطان منهم؟ قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم؟ قال لا يدرون خلق آدم أم لا» وعن عطاء قال «انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضى الله عنها فكلمنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال قول رسول صلى الله عليه وسلم زر غبا تردد حيا قال ابن عمر فأخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل أمره كان عجبا أنا في ليل حتى مس جلده جلدي ثم قال ذري أئبد لربي عز وجل قدام إلى القرية فتوضأ منها ثم قام يصلى فسكى حتى بل لحيت ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال وعحك يا بلال وما يعننى أن أبكى وقد أزل الله تعالى عني في هذه الليلة - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار - ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» وقيل

حكم الحال لموضع بشرته وطيبته وعدم وقوفه على حد العلم الذي يقتضيه حكم الحال ووجود هذه الأمور مثير ل نار الشوق ولا نفس بالشوق إلا مطالبته بتمت من الباطن - إلى الأولى والأهل من أفضية القرب وهذه للطلبة كافة في المهين فالشوق إذن كائن لأوجه لانكاره وقد قال قوم شوق المشاهدة والبقاء عند من شوق البعد والضيوبة فيكون في جلال الضيوبة مشتاقا للقاء البقاء ويكون في جلال البقاء والشاهدية مشتاقا إلى زواله ومسار من الحبيب

بلفظ ستين سنة باسناد ضيف ومن طريقه ابن الجوزى في الموضوعات ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ ثمانين سنة وإسناده ضيف جدا ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ خبر من قيام ليلة (١) حديث ابن عباس إن قوما تشكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تشكروا في خلق الله ولا تشكروا في الله فانكم لن تقدرُوا قدره أبو نعيم في الحلية بالرفع منه باسناد ضيف ورواه الأصبهاني في التزيين والتزهيد من وجه آخر أصح منه ورواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا إسناد فيه نظر قلت فيه الوازع بن نافع متروك (٢) حديث خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تسكعون فقالوا نتفكر في خلق الله الحديث رويناه في جزء من حديث عبد الله بن سلام (٣) حديث عطاء انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة الحديث قال ابن عمر فأخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في نزول - إن في خلق السموات والأرض - وقال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها تقدم في الصبر والشكر وأنه في صحيح ابن حبان من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء

للأوزاعي ما غاية التفكير فهن قال يقرؤهن ويمقلهن. وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر. وعن الحسن قال : تفكر ساعة خير من قيام ليلة. وعن الفضيل قال : الفكر امرأة تربك حداثتك وسيتأك ، وقيل لأبراهيم إنك تغليل الفكرة فقال الفكرة مع العقل ، وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يمثل بقول القائل :

إذا لره كانت له فكرة ففي كل شيء له صبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لميسى بن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك ؟ فقال نعم من كان منطقته ذكرا وصمته فكرا ونظره صبرة فانه مثلي . وقال الحسن : من لم يكن كلامه حكمة فهو لئو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو ضهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لئو وفي قوله تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - قال أمنع قلوبهم التفكير في أمري. وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال النظر في الصحف والتفكير في الاعتبار عند محابيه (١) » ، وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت . لو تطالعت قلوب للتبين بفكرها إلى ما قد ادخر لها في حجب التيب من غير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقرر لهم في الدنيا عين. وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاة فيقول يا لقمان إنك تديم الجلوس وحده فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان إن طول الوحدة أفهم للتفكير وطول التفكير دليل على طريق الجنة. وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم امرؤ قط إلا العمل . وقال عمر بن زيد العزيز : الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة . وقال عبد الله ابن المبارك يوما لسهل بن علي وراه ما كنا متفكرين أين بلغت ؟ قال الصراط . وقال بشر بن بكر : تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل . وعن ابن عباس ركتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب . وبينما أبو شريح عيسى إذ جلس فقتن بكسائه فجعل يكي قيل له يكيك ؟ قال تفكرت في ذهاب حمري وقلة عمل واقتراب أجل . وقال أبو سليمان عودوا أعينكم السكا وتوكلوا بكم التفكر . وقال أبو سليمان الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وغفوة لأهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويهيئ القلوب . وقال حاتم من العبادة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف . وقال ابن عباس : التفكير في الخير يدعو إلى العمل به والتدبر في الشر يدعو إلى تركه . وروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه إنني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى همدوه فإذا كان همدوه همدوا جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وإن لم يتكلم . وقال الحسن إن أهل القل لم يزالوا يودون بالذكر على الفكر والتفكير على الذكر حتى استمطعوا قلوبهم فتنطقت الحكمة . وقال اسحاق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله تعالى على سطح في ليلة فقرأ تفكرا في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويكي حتى وقع في دار جارية له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريا يابسه سيف وظن أنه لمس فلما نظر إلى داود رجوع ووضع السيف وقال لمن ذا الذي طرحك من السطح قال ما شئت بذلك . وقال الجنيدي أشرف المجانس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتفكير بنسيم للبرقة والشر بكماس الحبية من بحر الوداد والنظر بحسن الظن لله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما أقدسه وفيها من رزقه

(١) حديث أبي سعيد الخدري أعطوا أعينكم حظها من العبادة الحديث ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الصلوة فيمينا ضعيف .

وأنفذوا هذا والذي
أراه وأختاره . وقال
فارس : قلوب الشائقين
منورة بنور الله فإذا
تحركت اشتبها أشباه
النور ما بين للشرق
والغرب فيعرضهم الله
على اللاتكة فيقول
هؤلاء للشائقين إلى
أشبهكم أي إلى اسم
أشوق . وقال أبو يزيد :
لو أن الله حجب أهل
الجنة عن رؤيته
لاستغاثوا من الجنة
كما يستغيث أهل النار
من النار . سئل ابن
عطاء الله عن الشوق
فقال هو احتراق الحشا
وتلهب القلوب وقطع
الأكباد من البعد
بعد القريب . سئل
بعضهم هل الشوق

وقد الشافعي رحمه الله تعالى استنبأوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر في الأمور نجة من الضرر والعزم في الرأي سلامة من التفریط والندم والروية والفكر كشفاً عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة فتفكر قبل أن تهجم وتذكر قبل أن تهجم ومشاور قبل أن تقدم . وقال أيضا الفضائل أربع : إحداها الحكمة وقوامها الفكرة . والثانية العفة وقوامها في الشهوة . والثالثة القوة وقوامها في الغضب . والرابعة العدل وقوامها في اعتدال القوى النفس فهذه أقاويل الطاء في الفكرة وما شريح أحد منهم في ذكر حقيقتها ويان مجاربها .

(يان حقيقة الفكر وعمره)

اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة . ومثاله أن من مال إلى الحاجة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالإيثار من الحاجة فله طريقان : أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار من الدنيا فيقبله ويصدق من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتقاداً على مجرد قوله وهذا يسمى تقليداً ولا يسمى معرفة . والطريق الثاني أن يعرف أن الأبي أولى بالإيثار ثم يعرف أن الآخرة أبهى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين فأحضر المعرفتين السابقتين في القلب لتتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكيراً واعتباراً وقد كرا ونظراً وتأملاً وتدبراً . أما التدبر والتأمل والتفكير فبإرات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة وأما اسم التدكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وإن كان أصل للمسمى واحداً كما أن اسم الصارم والهند والسيف يتوارى على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع وللهند يدل عليه من حيث نعتت إلى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير إعمار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على إحضار المعرفتين من حيث إنه يعبر عنهما إلى معرفة ثالثة وإن لم يقع العبور ولم يمكن إلا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التدكر لا اسم الاعتبار . وأما النظر والتفكير فيقع عليه من حيث إن فيه طلب معرفة ثالثة فلا ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظراً فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكر . وبإفادة التدكر تكرار المعارف في القلب لترسخ ولا تتمنى عن القلب ، وقائدة التفكير تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فيها هو الفرق بين التدكر والتفكير والمعارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى فالمعرفة تناج المعرفة فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا يشاخي النتاج وتشاخي العلوم وتشاخي الفكر إلى غير نهاية ، وإنما تنفسد طريق زيادة المعارف بالموت أو بالوفاة . هذا لمن يقدّر على استتار العلوم ويهتدى إلى طريق التفكير . وأما أكثر الناس فأغما متوا إلى زيادة في العلوم فلقد هم رأس اللال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالتى لا بضاعة له فانه لا يقدّر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا عمن صناعة التجارة فلا يربح شيئاً فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس بحسن استثمارها وتأليفها وإيقاع الازدواج القضي إلى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستثمار والاستتار تارة تكون بتور إلى في القلب يحصل بالفطرة كما كان للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك عزيز جداً وقد تكون بالتلم والممارسة وهو الأكثر ثم التفكير قد تحضره هذه المعارف وتحصل له التجربة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدّر على التعبير عنها قللة ممارسته لصناعة التعبير في الإبداع فكم من إنسان يعلم أن الآخرة أولى بالإيثار جداً حقيقياً ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدّر على إبدائه والتعبير عنه مع أنه لم يحصل معرفته إلا عن المعرفتين السابقتين وهو أن الأبي أولى

أجل أم الحبة ؟ قال الحبة لأن الصوق يتولد منها فلا مشتاق إلا من عليه الحب فالحب أصل والشوق فرع وقال النصر ابداً : فخلق كلهم مقيام الشوق لا مقام الاعتقاد ومن دخل في حال الاعتقاد هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار . ومنها الأنس وقد سئل الجند عن الأنس فقال : ارتفاع الحصة مع وجود الحية . وسئل ذو النون عن الأنس فقال : هو انبساط الحب إلى المحبوب قبل معناه قول الخليل - أدنى كيف هي الوفاء وقول موسى - أدنى

بالإشارة وأن الآخرة أبقى من الدنيا فتصل له معرفة ثلاثة وهو أن الآخرة أولى بالإشارة فجمع حاصل حقيقة التفكير إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة ثلاثة . وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لاخير ، نعم إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع الفكر ، فالتفكير إذن هو المبدأ ، وللفتح للخبرات كلها وهذا هو الذي يكشفنا عن فضيلة التفكير وأنه خير من الذكر والتذكر لأن التفكير ذكر وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر ، فإذن التفكير أفضل من جملة الأعمال ولذلك قيل فسر ساعة خير من عبادة سنة ، وقيل هو الذي ينقل من المنكاره إلى المحاب ومن الرقة والحرص إلى الزهد والقناعة ، وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى - أعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا - وإن أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالتفكير فمثلا ما ذكرناه من أمر الآخرة فإن الفكر فيه يمرقنا أن الآخرة أولى بالإشارة فإذا رُسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرقة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما اعتناه بالحال إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة وليل إليها والذرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته ورغبته ثم أعمر تغير الإرادة أعمال الجوارح في طراح الدنيا والأفعال على أعمال الآخرة فهنا خمس درجات : أولاها التذكر وهو إحضار للمعرفتين في القلب ، وثانيها التفكير وهو طلب للمعرفة المقصودة منهما . والثالثة حصول المعرفة المطلوب واستئثار القلب بها . والرابعة تغير حال القلب مما كان بسبب حصول نور المعرفة . والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكلما يقرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها للوضع فتصير العين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتنشئ الأعضاء للعمل فكذلك زاد نور المعرفة هو التفكير فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تألفا مخصوصا كما يقرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كأن ثبنت النار من الحديد وتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل إلى ما لم يكن يميل إليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنشئ الأعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينشئ العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند إدراك البصر ما لم يكن يصبره ، فإذن ثمرة الفكر العلوم والأحوال والمعلوم لا نهائيا بل هو الأفعال التي تصور أن تتقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو أراد مرید أن يحصر فنون الفكر وعجائبها وأنه فيها ذائفة فكر لم يقدر عليه لأن مجاری الفكر غير محصورة وثمراته غير منتهية ، نعم نحن نختص في ضبط مجاريها بالإضافة إلى سمات العلوم الدنيوية وبالإضافة إلى الأحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جليا فإن تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالتحصيل لبعضها فاتها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من أئسكار مخصوصة فلنصر إلى ضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجاری الفكر .

(بيان مجاری الفكر)

اعلم أن الفكر قد يجري في أمر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وإجماعنا ما يتعلق بالدين فلتترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع أفكار العبد إيمان تتعلق بالبعد وصفاته وأحواله وإما أن تتعلق بالمبود وصفاته وأفعاله لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين ونما يتعلق بالبعد إيمان يكون نظرا فيها هو محبوب عند الرب تعالى أو فيها هو مكروه ولا حاجة إلى التفكير في غير هذين القسمين ، وما يتعلق بالرب تعالى إيمان يكون نظرا في ذاته وصفاته وأفعاله الحسنى وإما أن يكون في أفعاله ومسلكه وملكوته وجميع ما في السموات والأرض وما بينهما فيستكشف

أنظر إليه وأند

لروحه

خلفت قلبه بالديك فلا

ينطق بطول الحياة

من فكر

أستنى منك بالوداد قد

أوحشني من جميع

ذا البشر

ذكرك لي مؤلى

يعارضني

يودعني هناك منك

بالفكر

وحيدا صحت

يأبدي حامي

فأنت متى عويع الطر

وروى أن مطرف

ابن الصخير كتب إلى

عمر بن عبد العزيز

يكن أنسك بالله

واقطعك إليه فلن

له عبادا يستأبوا

الله وكانوا في وجههم

لك انحصار الفكر في هذه الأقسام بمثل وهو أن حال السائر إلى الله تعالى والمستقرين إلى لقائه يضاهي حال العاشق فلتتخذ العاشق السهتر مثلاً ، فنقول : العاشق المستغرق في المحبة يشقه لا يدور فكره من أن يتعلم بمشوقه أو يتعاقى نفسه فان تفكر في معشوقه فاما أن يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتمتع بالفكر فيه وبمشاهدته وإما أن يتفكر في أضالئه اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضغاً لذته ومقرباً له وإن تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تستلهم من عين محبوبه حتى يتزده عنها أولى الصفات التي تفرجه منه وتغيبه إليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج عن هذه الأقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لأن العشق التام الكامل ما يستغرق في العاشق ويستولى القلب حتى لا يترك فيه مقصداً لغيره لمحب الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا بد من نظره وتفكره بحبوه وبمهما كان تفكره محصوراً في هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجاً عن مقتضى المحبة أصلاً فلنبدأ بالقسم الأول وهو تفكره في صفات نفسه وأفعال نفسه ليعز الجيوب منها عن اللكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعلمة الذي هو المقصود بهذا الكتاب وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم للكشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله أو محبوب يتقسم إلى ظاهر والطاعات والمعاصي وإلى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي عملها القلب وذكرنا تفصيلها في ربيع للمهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي تنقسم إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى جميع البدن كالقرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكير في ثلاثة أمور : الأول التفكير في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا فربما لا يظهر كونه مكروهاً بل يدركه بديق النظر . والثاني التفكير في أنه إن كان مكروهاً فطريق الاحتراز عنه . والثالث أن هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه أو هو متعرض له في الاستقبال فيجتزئ عنه أو قاربه فيما مضى من الأحوال فربما يحتاج إلى تدبره وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم إلى هذه الانقسامات فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجاري التفكير في هذه الأقسام على ما تلو البسملة فتدفع إلى الفكر إما في جميعها أو في أكثرها وشرح آحاد هذه الانقسامات يطول ولكن انحصر هذا القسم في أربعة أنواع الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثلاً ليقبس به المرید سائر ما هو يشتمع له باب الفكر وينسج عليه طريقه [النوع الأول المعاصي] ينبغي أن يغشى الايمان صبيحة كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلاً ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها أو لا يسبها بالأس فيتداركها بالترك والندم أو هو متعرض لها في نهاره فيستمد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول إنه متعرض لغلبة والكذب وتزكية النفس والاحتشام والتأثير والممارسة والمأزجة والحوش فبالإيمان إلى غير ذلك من المكاره فيقرر أولاً في نفسه أنها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في أحواله أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر أنه كيف يحترق منه ويعلم أنه لا يتم له ذلك إلا بالزلة والانفراد أو بأن لا يجالس إلا الصالحات فينكر عليه معها بحكم عيا بكرهه الله وإلّا فضع حجراً في فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكراً له فيكذب يكون التفكير في حيلة الاحتراز ويتفكر في معصية أنه ينبغي به إلى التوبة والكذب وفصول الكلام وإلى اللهو والبدعة وأن ذلك إنما يسببه من زيد وعمرو وأنه ينبغي أن يحترق زعده بالاعتزال والبالهي عن الناسك فحينما كان ذلك فينكر في بطنه أنه إنما يسببه الله تعالى فيه بالأكل والشرب إما بكثرة الأكل من الحلال فإن ذلك مكروه عند الله ومقو للهوه التي هي سلاح الشيطان عدو الله وإمّا بكل الحرام أو الشبهة فينظر من أين مطعمه ولبسه ومسكنه ومكسبه ومأمكسبه ويتفكر في طريق الحلال ومداخلته ثم

أبعد استنباطاً من الناس في كثيرهم وأوحش ما يكون الناس لمن ما يكونون وأنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون . قال الواصفين : لا يصل إلى محبة الأنس من لم يستوحش من الأكل والشراب . قال أبو الحسن الزرقاني : لا يكون الأنس بالله إلا بتميمه العظم . لأن كل من استأنس به من خلقه من خلقه . لا يملكه إلا الله تعالى فذلك لا يفرق بيننا إلا ازدادت منه حمية وصلياً . قال راجعاً : كل مطيع سأنسى وأشدت : وقد جعلت في القواد عهدي

يتفكر في طريق الحلية في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها مأمورة
مع اكل الحرام وأن اكل الحلال هو أساس العبادات كلها وأن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن توبه درم
حرام (١) كما ورد الخبر به فهكذا يتفكر في أعضائه في هذا القدر كفاية عن الاستعانة بهم حصل بالتفكر
حقيقة المعرفة بهذه الأحوال اشتغل بالمرآة طول النهار حتى يحفظ الأعضاء عنها وأما النوع الثاني وهو
الطاعات [فينظر أولاً في الفرائض المكتوبة عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير
أو كيف يجب شحانها بكثرة النوافل ثم يرجع إلى عضو عضو فيتفكر في الأعمال التي تتعلق بها بما يجب
الله تعالى فيقول مثلاً إن العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والأرض عبرة ولتستعمل في طاعة
الله تعالى وتتنظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنا قادر على أن أشغل العين بمطالعة
القرآن والسنة فلم لأفعله وأنا قادر على أن أنظر إلى فلان للطبع بين التنظيم فأدخل السرور على قلبه
وأنظر إلى فلان الفاسق بين الازدراء فأزجره بذلك عن مصيئته فلم لأفعله وكذلك يقول في سميه
إني قادر على استماع كلام مملو أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكر فإني أعطيه وقد أمر الله تعالى
به وأودعني لأشكره فما لي أكره نعمة الله فيه بتضييعه أو تعطيله وكذلك يتفكر في اللسان
ويقول إني قادر على أن أتدرب إلى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد إلى قلوب أهل الصلاح وبالأسئلة
عن أحوال الفقراء وإدخال السرور على قلب زيد الصالح وعمره العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فلانها
صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول أنا قادر على أن أصدق بالمال الفقار فإني مستغن عنه ومهما
احتجت إليه رزقي الله تعالى مثله وإن كنت محتاجاً الآن فأنا إلى ثواب الأجر أحوج مني إلى ذلك
للبال وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وحملته بدنه وأمواله بل عن دوابه وبغله ما أولاده فان كل ذلك
أدواته وأسبابه ويقدر على أن يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة
بها ويتفكر فيما يرضى في البدار إلى تلك الطاعات ويتفكر في إخلاص النية فيها ويطلب لها مظان
الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات [وأما النوع الثالث فهي الصفات الهلكنة
التي يحملها القلب [فيعرفها بما ذكرناه في ربيع الهلكنة وهي إتياء الشهوة والغضب والبخل والكبر
والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والفتنة والغرور وغير ذلك ويتقدم من قلبه هذه الصفات فان ظن
أن قلبه بمنزلة عنها فيتفكر في كيفية امتناعه والاجتهاد بالعلامات عليه فان النفس أبداً تعد بالحيرة
من نفسها وتخلج فإذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي أن تجرب بمحمل حزمة حطفي في
السوق كما كان الأولون يجرعون به أنفسهم وإذا ادعت الحلم تعرض لغضب يئاه من غيره ثم يجربها في
كظم البغض وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في أنه هل هو موصوف بالصفة المذكورة أم لا وكذلك
علامات ذكرناها في ربيع الهلكنة فإذا دلت العلامة على وجودها فكر في الأسباب التي تضيغ تلك
الصفات عند وتبين أن منشأها من الجهل والفتنة وخيب النخلة كما لو رأى في نفسه بها بالمثل فيتفكر
ويقول إنما حملي بيدي وجارحتي وخلق قدرتي وإرادتي وكل ذلك ليس مني ولا إلهي وإنما هو من خلق الله فوضعه
على قهري الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وإرادتي وهو الذي حرك أعضائي بقدرته وكذلك
قدرتي وإرادتي فكيف أحجب بعملي أو بنفسي ولا أقوم لنفسي بنفسى فإذا أحس في نفسه بالكبر قرر على
نفسه ما فيه من الخلة ويقول لها لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبر وذلك ينكشف
بعد اللوث وكمن كافر في الحال يموت مقرباً إلى الله تعالى بترفعه عن الكبر وكمن مسلم يموت شقيفاً

وأعت جنسي من
أراد جلوس
فأجلس من الجلوس
والنسي
وحبيب قلبي في الفؤاد
أنيسي
وقال مالك بن دينار
من لم يأمن بمعادته
الله عن هادئة الخواص
قد قل عليه وعيني
قلبه وضع عمره
قبل بعضهم من معك
في الدار قال الله تعالى
من لا يستوحش من
الله أنسى بره وقال
الحارثي: الأنس هادئة
الأرواح مع محبوب
في مجالس القرب
وصف بعض البارفين
صفة أهل الجنة
الواصلين فقال بنجد
لهم الوعد في كل طرفة

(١) حديث إن الله لا يقبل صلاة عبد في ثمن توبه درم حرام أحمد من حديث ابن عمر بنسند فيه
مجهول وقد تقدم .

بتغير حاله عند الموت بسوء الحظا فذا عرف أن السكر مهلك وأن أهله الحظا فيتنكر في علاج إزالة ذلك بأن يتعاطى أعمال التواضع وإذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشهره تنسك في أن هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقوع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات للانسكة كالمم والقدره ولما انصف به البهائم ومهما كان الثمره عليه أغلب كان بالبهائم أحبه وعن للانسكة القربين أبعد وكذلك يقرر على نفسه في النضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد أن ينسك في طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب [وأما النوع الرابع وهو للتبقيات] فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهدي في الدنيا والإخلاص والصدق في الطاعات وعبادة الله وتعظيمه وإرضاء أهله والشوق إليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا النوع وذكرنا أسبابه وعلاماته فليتنكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يورثه من هذه الصفات التي هي للقرية إلى الله تعالى فإذا افتقر إلى شيء منها فليعلم أنها أحوال لا يثمرها إلا علوم وأن العلوم لا يثمرها إلا أفكار فإذا أراد أن يكتب لنفسه أحوال التوبة والندم فليقتن ذنوبه أولا وليتنكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق عند نفسه أنتم مرض لقت الله تعالى حتى يثبت له حال الندم وإذا أراد أن يستبصر من قلبه حال الشكر فلينظر في إحسان الله إليه وبأديه عليه وفي إرساله جميل ستره عليه في ما شرعنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك وإذا أراد حال المحبة والشوق فليتنكر في جلال الله وجهاله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجايب حكمته وبدائع صنعته كما سنشير إلى طرف منه في القسم الثاني من الفكر وإذا أراد حال الخوف فلينظر أولاً في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في اللوث وسكراته ثم في ما يورثه من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقابه وديداته ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول الحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في اللانقطة في الحساب والضايقة في التنفير والقليد ثم في الصراط وطود تنويمه ثم في خطر الأمر عنده أنه يصرف إلى الشمال فيكون من أصحاب النار أو يصرف إلى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر بسد أحوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامها وأهلها وسلاسلها وأغلالها وزقوفها وحديداتها وأنواع العذاب فيها ويقع صور الزبانية الموكلين بها وأنهم كلما نصبت جلودهم بدلوها جلوداً غيرها وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيديا فيها وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد جمعوا إليها تقيظاً وفزيراً وهم جبراً إلى جميع ما ورد في القرآن من شرعها وإذا أراد أن يستعجل حال الرياء فلينظر إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدها ونعيمها والقيم وملسها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو الفزع من صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الأحوال كتاباً مفرداً يستعان به على تفصيل الفكر أما بذكر مجاميعه فلا يوجد فيه أشنع من قراءة القرآن بالتفكر فإنه جامع لجميع للتبقيات والأحوال وفيه هفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال وفيه ما ينجز من سائر الصفات للنسوة فينبغي أن يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج إلى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة قراءة آية يتفكر وفهم خير من ختمه بغير تدبر وفهم فليستوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة فإن تمت كل كلمة منها أمراً لا تنحصر ولا يتوقف عليها إلا بتدقيق الفكر من صفات القلب يند صدق للعامة وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله فإنه قد أوتي جوامع الكلم (١) وكل كلمة من كلماته بهز من يجوز الحكمة ولو تأملها

يدوم الاتصال وأوامر في سكنته بعتائق البكون إليه حتى أنت قلوبهم وحببت أرواحهم خوفاً وكان الحب والشوق منهم إغارة من ألقى إليهم عن حقيقة التوحيد وهو الوجود بسود الله فيذهب مناهم وانقطع آمالهم عنده لما بان منه لهم ولو أن اجبى تعالى أمر جميع الأنبياء يسألون بحسب ما سألوهم بعض ما أريد لهم من قديم وحدثه فيهم وجزم أنزيهه وما يليق به وكان نصيبهم معرفته به وفرحهم عليه ولجئهم أهوائهم فيه فصار يحسنهم من جسدته العموم أن

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم تقدم

العالم حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات والأخبار يطول ناظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس ثقت في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة وعسى ما عشت فانك ميت واعمل ما عشت فانك مجزي به» (١) فان هذه الكلمات جامعة حكم الأولين والآخرين وهي كافية للتأملين فيها طول العمر إذ لو وقفا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لا سترقهم وحال ذلك بينهم وبين التفتت إلى الدنيا بالكيفية فهذا هو طريق الفكر في علوم العمالة وصفات الصيغين حيث هي محبوبه عند الله تعالى أومكرهه وللبتدي يبين أن يكون مستغرق الوقت في هذه الأفكار حتى يعمر قلبه بالأخلاق المحمودة وللقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن البكاره وليعلم أن هذا مع أنه أفضل من سائر العبادات فليس هو له غاية الطلب بل للخنول به محبوب عن مطلب الصديقين وهو التتم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه أي ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الملم بالمحسوب كالماحق للستر عند لقاء الحبيب فإنه لا يفرغ للنظر في أحوال نفسه وأوصافها بل يبقى كالنبوت الناقل عن نفسه وهو منتهى لغة الشواق . فأما ما ذكرناه فهو يفكر في عمارة الباطن ليصلح القرب والوصال فإذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه ففي بتميم بالقرب ولتلك كان الحواص يدور في البوادي فلقية الحسين بن منصور وقال في أنت قال أدور في البوادي أصلح حال في التوكل قال الحسين أنيت عمرك في عمران باطنك فإن الضامق التوحيد فالتقاء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نيم الصديقين . وأما التزهد عن الصفات للهلكات فيجري مجرى الخروج عن الهدى في النكاح . وأما الانكفاف بالصفات للنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى تهية المرأة جهازها وتطييفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك لقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرة الرمح وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب . وهكذا يبين أن منهم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة وإن كنت كالسيد السوء لا يتحرك إلا خوفا من العطب وطمعا في الأجرة فدونك وإتباع الدين بالأعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيرا فاذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للجالسة أقوام آخرون وإذا عرفت جمال الفكر في علوم العمالة التي بين العبد وبين ربه فينبغي أن تتخذ ذلك عادتك وديندك صباحا ومساءم فلا تنفل من نفسك وعن صفاتك الحميدة من الله تعالى وأحوالك للقرية إليه سبحانه وتعالى بل كل مر يد فينبغي أن يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات للهلكات وجملة الصفات للنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ، ويكتفي من للهلكات النظر في عشرة فانه إن سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والحب والرياء والحسد وحشة القصب وشراء الطعام وشراء الوقوع وحب المال وحب الجاه . ومن للنجيات عشرة : التمسك على التقويم ، والصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر على التمام ، واعتدال الخوف والرجاء ، والزهو في الدنيا والاخلاص في الأعمال ، وحسن الخلق مع الخلق ، وحب الله تعالى ، واشتغور له . فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فهما كفي من اللبومات وائمة فينشط عليها في جريده . وينبع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته إلهها وتنزيه قلبه عنها ويعلم أن ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو لو كنه إلى نفسه لم يقدر على عو أقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يجعل حتى يخط على الجميع ، وكذا يطالب نفسه بالانكفاف بالنجيات ، فلذا انصف بواجبة منها كالكتابة والتسم ملاحط عليها . واشتغل بالباقي ، وهذا يحتاج إليه المرید للشمس .

(١) حديث إن روح القدس ثقت في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة للحديث بتقديم غيره

رفع عن قلوبهم جميع
القصوم . والتسند في

معناه :

كانت قلبي أهوا
مفرقة

فاستجبت إذ نادى بك

النفس أهواني

فصار يحدثني من

كنت أحسنه

وصرت مولى الوري

مدصرت مولاني

تركت للناس دنياهم

ودنياهم

هعلا يد كركه ياديني

ودنياي

ويد يكون من الأنس

الأنس بطاعسة الله

وذكره وتلاوة كلامه

وسائر أبواب القربات

وهذا القدر من الأنس

نفسه من الله تعالى

وضحة عنه . ولكن

وأما كثر الناس من المدودين من الصالحين فينبغي أن يبتوا في جرائدهم للعاصي الظاهرة كآكل
الشبهة وإطلاق اللسان البتية والنية والراء والتناء على النفس والأفراط في معاداة الأعداء وموالاة
الأولياء وللداهنة مع الخلق في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أكثر من يجد نفسه من
وجوه الصالحين لا يفتك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما يظهر الجوارح عن الأثام لا يمكن
الاشتغال بصيانة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يطلب عليهم نوع من العصية فينبغي أن يكون
تقدمها لها وتشكرهم فيها لا في معاصيهم بمنزل عنها. مثاله العالم الورع فإنه لا يخلو في غالب الأمر عن إظهار
نفسه بالمع والطلب الشهرة وانتشار الصيت إماما للتدريس أو بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة
لا ينجو منها إلا الصديقون فإنه إن كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم يفتك عن الإعجاب
والخيلاء والترين والتصنع وذلك من الهلكات وإن رد كلامه لم يخل من غيظ وأقفة وحقد على من
يرده وهو أكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول إن غيظك من
حيث إنه رد الحق وأنكره فإن وجد هزيمة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور
وضمك الشيطان ثم مهاكك له ارتباط بالقبول وفرح بالتناء واستكفاف من الرد أو الإعراض لم يخل
عن تكلف وتصنع لتحسين القفط والإيراد حرصا على استجلاب التناء والله لا يحب للتكلفين والشيطان
قد يلبس عليه ويقول إما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيما يلتصق الحق وبخس موقعه في
القلب إعلاء دين الله فإن كان فرحه بحسن ألقائه وتناء الناس عليه أكثر من فرحه بشيء الناس على
واحد من أقرانه فهو غرض وعذوب وإما يدورون حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين ومهما
استلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للموقر له للقد لفضلا أكثر احتراما
ويكون بقاءه أحد فرحا واستبشارا بمن يخالق في موالاته وإن كان ذلك الغير مستحقا للموافقة بما
ينتهي الأمر بأهل العلم إلى أن يتأثروا بتأثير النساء فيشقى على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره
وإن كان يعلم أنه متفجع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل ذلك رشح الصفات للهلكات المستكة في سر
القلب التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور بها وإما ينكشف ذلك بهذه العلامات فتنته العالم
عظيمة وهو إماما لك وإماما لك ولا مطمع له في سلامة العوام فمن أحس في نفسه بهذه الصفات فالواجب
عليه العزلة والانفراد وطلب الحول والمدافعة لفتنات ومهازل فقد كان المنجد يحوي في زمن الصحابة
رضي الله تعالى عنهم جمعا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون
الفتوى وكل من كان يخفى كان يؤد أن يكفيه غيره وعند هذا ينبغي أن يتحلى شاطئ الناس إذا قالوا
لا تقبل هذا فإن هذا الباب لو فتح لاندثرت العلوم من بين الحق وليلحقهم إن دين الإسلام مستثنى
عن فاته قد كان مغفورا قبلي وكذلك يكون بعدى ولومت لم تنهم أركان الإسلام فإن الدين مستثنى
عن وأما أنا فلست مستثنا من إصلاح قلبي ، وأما أداء ذلك إلى اندراس العلم غيالا يدل على غاية
الجهل فإن الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرياسة
والعلم يحلهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم
لا يندرس مادام الشيطان يحجب إلى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتخر عن عمله إلى يوم القيامة بل يتهنئ
لنشر العلم أقول لا نصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يؤيد هذا الدين
بأنفوس لا يخلق لهم» (١) و «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (٢) فلا ينبغي أن يفتخر العالم بهذه
التلبسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتردى في قلبه حب الجاه والتناء والتعظيم فإن ذلك بذرا أفتاق

ليس هو حال الأنس
الذي يكون للمحبين
والأنس حال شريف
يكون عند طهارة
الباطن ولكنه يبدى
الزهد وكال التقوى
وطلع الأسباب
والعلائق وهو الخواطر
والمواجس وحقائقه
عندي كمن الوجود
يقول لأعظم العظمة
واقتدار الروح في
مبادئ القسوس وله
استقلال بنفسه يستعمل
على القلب فيجمعه به
عن الهبة وفي الهبة
اجتماع الروح ورسوبه
إلى محل النفس وهذا
الذي وصفناه من
أسباب الداء وهيبة
الذات يكون في مقام
القيام بعد العبور على

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأنفوس لا يخلق لهم (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر تديم العلم

قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه والمال يثبت التفاف في القلب كأيّنت لئلا البقل ^(١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ذئبان ضاريان أرسلاني زريبة غنم بأكثر إفساداً فهما من حب الجاه والمال في دين للراء للمل ^(٢) » ولا يتقلم حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن العالم في التفطن لحفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم التي فأما أمثالك فينبغي أن يكون تحسركنا فيما يقوى إيماننا يوم الحساب إذ لو رأينا السلف الصالحون لتألموا قطعاً إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فأعماناً أعمال من يؤمن بالجنة والنار فإن من خاف شيئاً هرب منه ومن رجا شيئاً طلبه وقد علمنا أن الحرب من النار ترك الشبهات والحرام وترك للمعاصي ونحن منهمكون فيها وأن طلب الجنة بتسكير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من غرة العلم إلا أنه يقتدى بنافي الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مدموماً لكان السقاء أحق وأولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام إذ امتنا ماتت معنا ذنوبنا فما أعظم القتة التي تمرعنا لها لو تفكرنا فسال الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ويوقننا للتوبة قبل أن يتوفانا إنه الكريم اللطيف بنا التميم علينا فبه عماري أنكار المعاصي والصالحين في علم العالمة فإن فرغوا منها انقطع انتباههم عن أنفسهم وارتقوا منها إلى التسكر في جلاله وعظمته والتمتع بمشاهدته بعين القلب ولا ين ذلك إلا بعد الانشكاك من جميع اللملكتات والانتصاف بجميع الذنبيات وإن ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولاً ملاماً لا مكدراً مقطوعاً وكان ضعيفاً كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالسابق الذي خلا بمشوقه ولكن ثيابه حيات وعقارب تلده صبرة بعد أخرى فتعص على لغة للشاهدة ولا طريق له في كمال التمتع إلا بإخراج العقارب والحيات من ثيابه وهذه الصفات للذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد ألم لدنيا على لغز العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على عماري فكر البصير في صفات نفسه المحبوبة والكرهية عند ربه تعالى . القسم الثاني التسكر في جلال الله وعظمته وكبريائه ، وفي مقامان اللام الأمل الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أسمائه وهذا مما يمنع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله تعالى ولا تحسروا في ذات الله وذلك لأن المقول تحسره فلا يطق مد البصر إليه إلا الصديقون ثم لا يطيقون دواول النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى كحال بصير الحفاح بالإضافة إلى نور الشمس فإنه لا يطيق البتة بل يخفى نهاراً وإعما يتردد ليلاً ينظر في جية تور الشمس إذا وقع على الأرض وأحوال الصديقين كحال الإنسان في النظر إلى الشمس فاته يحد على النظر إليها ولا يطيق دواوله ويخفى على بصيره لو أمام النظر ونظيره المحتفظ إليها يورث العمى ويغرق البصر وكذلك النظر إلى ذات الله تعالى يورث الحيرة والذهي واضطراب العقل فالصواب إذن أن لا يتعرض لعماري الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته فإن أكثر المقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الإقطار والجهاث وأنه ليس داخل الباطن ولا خارج جواهره ولا هو متصل بالعام ولا هو منفصل عنه قد حير عقول أقوام حتى أنكروه إذ لم يطبقوا سماعه ومعرفة بل صفت طائفة عن احتمال أقل من هذا إذ قيل لهم إنه يتماثل ويتعالى عن أن يكون له رأس وجذوب وعين وعضو وأن يكون جسماً بمخصاً له مقدار وحجم فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدس في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحق من العوام إن هذا بوصف بطيخ هندي لا وصف إلا لئن لم يكن أن الجلالة

(١) حديث حب المال والجاه يثبت التفاف في القلب الحديث تقدم (٢) حديث ما ذئبان ضاريان

أرسلاني زريبة غنم بالجديث تقدم

محر الفناء وما غير
الأنس والهية الذين
يلهبان بوجود الفناء
لأن الهية والأنس
قيل الفناء ظهراً من
مطالعة الصفات من
الجلال والجمال وذلك
مقام التأويل وما ذكرناه
بعد الفناء في مقام
التسكين والبقاء من
مطالعة الذات ومن
الأنس خضوع النفس
للطيشة ومن الهية
خضوعها والخضوع
والخشوع يتحاربان
ويقتربان بفكر لطيف
يذكر بإعلاء الروح
ومنها (القريب) قال الله
تعالى لئيبه عليه الصلاة
والسلام - واستجد
واقرب - وقد وزد
« أقرب ما يكون البعد

والعظمة في هذه الأعضاء وهذا لأن الانسان لا يعرف إلا نفسه ولا يستعظم إلا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه ، نعم غاية أن يقدر نفسه جميل الصورة بالساعى سريره وبين يديه غلمان يتشاور أمره فلا جرم غاية أن يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل ليس خالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لأنكر ذلك وقال كيف يكون خالق أنجب من أفىكون متصوص الجناح أو يكون زمنا لا يقدر على الطيران أو يكون نلى أو لوقدرة لا يكون له مثله وهو خالق ومصورى وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل وإن الانسان لجوهر غلام كفار . ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تخبر عبادى بصفائى فيفكرونى ولكن أخبرهم عنى بما يضرهم . ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته خطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمهاوى الفكر فيه لئلا نعدل إلى اللقائم الثانى وهو النظر في أفعاله وعجائرى قدره وهمايت سنه وبدائع أمره في خلقه فاتها تدل على جلالة وكبريائه وتقدسه وتعالى وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى تهاذ مشيئته وقدرته فينظر إلى صفاته من آثار صفاته فأن لا نطبق النظر إلى صفاته كما أننا نطبق النظر إلى الأرض مهما استتارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور القمر وسائر الكواكب لأن نور الأرض من آثار نور الشمس والنظر فى الآثار يدل على اللزوم دلالة ما وإن كان لا يقوم مقام النظر فى نفس اللزوم وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته بل لاظلمة أشد من الملم ولا نور أظهر من الوجود ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس إذ قوام وجود الأشياء به أنه القيوم بنفسه كأن قول نور الأجسام بنور الشمس الحقيقة نفسها ومهما انكشف بعض الشمس قد جرت العادة بأن يوضع طشت ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر إليها فيكون للباد واسطة ينش قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر إليها فكذاك الأفعال واسطة نتشاهد فيها صفات الفاعل ولا نبر بأثار الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفعال فهذا سر قوله **تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله تعالى** .

(بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى)

اعلم أن كل ما فى الوجود مما سوى الله تعالى فهو خلقه وكل خرق من الدرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته وإسماء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مدادا لحد البحر قبل أن ينفد بحر عشرة ولكنه انشبر إلى جملته لىكون ذلك ككثال لما عداه . فتقول للوجودات المخلوقة منسقة إلى ما لا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكير فيها وكَم من اللوجودات التى لا نلها كما قال الله تعالى **سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون** . وقال **وننشك فى ما لا علمون** وإلى ما يعرف أصلها وجهتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا أن تفكر فى تفصيلها وهى منسقة إلى ما در كناه بحس البحر وإلى ما لا ندركه البصر أما الذى لا ندركه البصر فكما لا ندركه العين والشياطين والعرش والكرسى وغير ذلك وجمال الفكر فى هذه الأشياء بما يضيق ونفهم فلنعدل إلى الأقرب إلى الأفعال وهى الدركات بحس البحر وذلك هو السموات والسمج والأرض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكونها ومحسها وقهرها وجبركتها ودوراتها فى طلوعها وغروبها والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها وماءاتها وأنهارها وعجائرها وحجراتها ونباتها وما بين السماء والأرض وهو الجو مذكور فيومها وأبطارها وظلوعها ورعفها وبرقها ودموعها وأصفيها وأصفيها وأصفيها وأصفيها **والأرض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع وكل نوع ينقسم إلى أقسام وينقسم كل قسم**

من ربه في مجوده
فالباسج إذ أذيق طعم
السجود يقرب لأنه
يسجد ويطوى
يسجوده بساط السكون
ما كان وما يكون
ويسجد على طرف
رجاء العظمة يقرب
قال بعضهم إلى لأجد
المشهور فأقول بالله
أو يارب فأجد ذلك
على أتدل على الخيال
قيل ولم قال لأن النداء
يكون من وراء حجاب
وهل رأيت جليسا
ينادى جليسه وإنيما
هى إشارات وملاحظات
ومتابعة وملاحظات
وهذا الذى هو صفته مقام
حيز متحقق فيه
القرب ولكنه مشعر
عجود ومؤذن يسجد

إلى أصناف ولا نهاية لانتساب ذلك وإتسامه في اختلاف صفاته وهياته ومعانيه الظاهرة والباطنة
وجميع ذلك بحال الفكر فلا تحرك ذرة في السموات والأرض من جماد ولانبات ولا حيوان ولا
ذلك ولا كوكب إلا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة وحكمتان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك
شاهد لله تعالى بالوجدانية ودال على جلالة وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه ، وقد ورد القرآن بالحث
على التفكير في هذه الآيات كما قال الله تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
لآيات لأولي الأبصار - وكما قال تعالى - ومن آياته - من أول القرآن إلى آخره فلقد كرر في الفكر
في بعض الآيات ، فمن آياته الإنسان المخلوق من النطفة وأقرب شيء إليك تتسكع وفيك من العجائب
الدالة على عظمة الله تعالى مانقضى الأعمار في الوقوف على عشر عشره وأنت طفل عنه ، فيا من هو قائل
عن نفسه وجاهل بما كيف تطمع في معرفة غيوك وقد أمرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه
العزیز فقال - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وذكر أنك مخلوق من نطفة قدرة فقال - قل الإنسان
ما أكفره من شيء خلقه ، من نطفة خلقه قدره ، ثم السيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا نشأ
أنشأه - وقال تعالى - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تبشرون - وقال تعالى - ألم
يك نطفة من منى - يعني ثم كان علقه غلق فسوى - وقال تعالى - ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه
في قرار مكين إلى قدر معلوم - وقال - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فأنا هو خصم مبين - وقال
- إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج - ثم ذكر كيف جعل النطفة علقه والعلقة مضغة والضمغة عظاما
قال تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة
علقه - الآية ، فذكر في الكتاب العزیز ليس ليعلم لفظه وترك التفكير في معناه فانظر
الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء قدرة لو تركت ساعة ليضربها المولود فسدت وأنت كيف أخرجه
رب الأرباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الله كرواثنى وألقى الألفه والحببة في قلوبهم وكيف
قادم بسلسلة الحببة والشهوة إلى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الولاغ وكيف
استجلب دم الحيض من أعماق الروق وجمعه في الرحم ، ثم كيف خلق للولود من النطفة وسقاء عماء
الحيض وعذاه حتى يماوروا بكبر ، وكيف جعل النطفة وهي يضاه مشقة علقه جفء ثم كيف جعلها
مضغة ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية إلى العظام والأعصاب والروق والأوتار والجمع
ثم كيف ركب من اللحم والأعصاب والروق الأعضاء الظاهرة خدور الرأس وشق السمع والبصر
والأنف والأذن وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رءوسها بالأصابع وقسم الأصابع بالأظفار ثم كيف
ركب الأعضاء الباطنة من القلب واللمدة والكبد والطحال والرئة والرحم والفتة والأنعام كل واحد
على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لصل مخصوص ، ثم كيف قسم كل عضو من هذه الأعضاء
بأقسام آخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهذه عضو صلت قدت طبقة
منها أوزالت صفة من صفاتها جعلت العين عن الإبصار فلماذا هذا إلى أن تصف ما في أحاديثه الأعضاء
من العجائب والآيات لا تقضى فيه الأعمار فانظر الآن إلى السظام وهي أجسام صلبة قوية كيف خلقها
من نطفة شقية رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بتقارير مختلفة وأشكال مختلفة
فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف وممتلئ وعريض ودقيق ، ولما كان الإنسان محتاجا
إلى الحركة بجسمه بدنه وبعض أعضائه مفترقا لتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل
عظاما كثيرة بينها مفصلات حتى تتيسر بها الحركة وقد شكل كل واحدة منها على وفق الحركة
المطلوبة بها ثم وصل مفصلها وربط بعضها ببعض أو تار أنبتها من أحد طرف النظم والصلبة بالنظم

يكون ذلك لمن غاب
نفسه في نور روحه
نطفة مكرهه وقوته
فإذا صاوأ في شخصه
الروح من النفس
والنفس من الروح
ويود كل من البدن
إلى علوه ومقاه فيقول
يا الله وإارب بلسان
النفس الطمئنة العالمة
إلى مقام حاجتها وهل
ميسوديتها والروح
تستقل فتوحه وبكال
الحال عن الأقوال
وهذا أتم وأقرب من
الأول لأنه وفي حق
القرب استقلال الروح
بالفتوح وأقام رسم
المسبوبة بربود حكم
النفس إلى عمل الانقذار
وحظ القرب لا يزال

الأخر كالرباط له ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حفرًا مغلقة فيه موازية لشكل الزوائد لتدخل فيها وتطبق عليها فصار البدن إن أراد تحريك جزء من بدنه لم يتعثر عليه ولولا القواصل لتضرر عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمها وربها وقدر كمها من خمسة وخمسين عظام مختلفة الأشكال والصور فألف بعضها إلى بعض بحيث استوى بكرة الرأس كما تراه فيها ستة نخس القحف وأربعة عشر للمخ والأذن واللسان والأسفل والبقية هي الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الأنياب والأضراس واللتيا ثم جعل روية من كبري الرأس وربها من سبع خرزات عجوات مستديرات فيها خريجات وزوائد ونقشانات لتطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه السمكة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وربك الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خزيمة وربك عظم العجز من ثلاثة أجزاء عناقلة فيقتصل به من أسفله عظم الصنص وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليادين وعظام المانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين ، فلان طول يذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وأمانية وأربعمائة عظم سوى العظام الصغيرة التي حصى بها خلل القواصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نقطة صغيرة رقيقة ، وليس للتصود من ذكر أعداد العظام أن يسرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الألباء وللشراحون وإنما افترض أن ينظر منها في مدبرها وخالقها أنه كيف قدرها وادبرها وخالف بين أشكالها وأقدارها خصصها بهذا العدد المخصوص لأنه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج إلى قلبه ولو نقص منها واحدا لكان قصصا يحتاج إلى جبره فالعيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومعسورها فشتان بين النظرين ، ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات خلق في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية ، وهي مختلفة للقادر والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجتها فأربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدة العين وأجفائها لو قصت وأدخمت جعلتها تداخل العين وهكذا لكل عضو عضلات يمدد مخصوص وقدر مخصوص وأمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرائيب وعددها ومناياها وانما ياتها أهدب من هذا كله وشرحه يطول ، فلفسك في مجال في آحاد هذه الأجزاء ثم في آحاد هذه الأعضاء ثم في جملة البدن فكل ذلك نظر إلى هجاب أجسام البدن وهجاب للعاني والصفات التي لا يترك بطور من أعظم ، فانظر الآن إلى ظاهر الانسان وبطنه وإلى بدنه وصفاته فترى بمن السجائب والصفة ما يقضي به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قدرة ترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما جعلته في أوصافها وأشكالها وقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقتها ومفارقتها فلا تظن أن قوة من ملكوت السموات تفك عن حكمة وحكم بل هي أحكم خلقا وأقن صنعا وأجمع لسجائب من بدن الانسان بل لاسية لجميع مافي الأرض إلى هجاب السموات والله قال تعالى أقم آياتي فبد خلق الله العالم بناها رفع حكمها فيهاها ، وأفضى إليها وأخرج ضجائها - فاربع الآن إلى الطلقة وتأمل سلها ولا وما حارت إليه غايها وتأمل أنه لو اجتمع الجن والانس على أن يخلقوا لخلقوا صلا وبسرا أو عللا أو قدرة أو طنا أو روجا أو خلقوا فيها عظميا أو زمرقا أو بصيا أو نجها أو همرها بل قدرون على ذلك بل لو أن ذواتا يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقه ببدن خلق الله تعالى ذلك لم يزدوا على العجب منك لو نظرت إلى صورة

بؤر فَنَصَبِ الرُّوحِ
 بِأَقَامَةِ رَحْمِ الْعَبودية
 مِنَ النَّفْسِ . وَقَالَ
 لِنُحْيِدَ إِنْهُ عَلِيٌّ
 شَرِبَ مِنْ قُلُوبِ
 عِبَادِهِ عَلَى حَسْبِ
 مَا يَرَى مِنْ قُرْبِ قُلُوبِ
 عِبَادِهِ مِنْهُ فَانْظُرْ مَاذَا
 يَجْرِبُ مِنَ قَلْبِكَ .
 وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ
 السُّنُوسِيَّ مَا دَامَ الْيَدُ
 يَكُونُ بِالْقُرْبِ لَمْ يَكُنْ
 قَرِيبًا حَتَّى يَجِبَ مِنْ
 رُؤْيَا الْقُرْبِ بِالْقُرْبِ
 فَلَمَّا خَهِبَ عَنْ رُؤْيَا
 الْقُرْبِ بِالْقُرْبِ فَذَلِكَ
 قُرْبٌ وَقَدْ قَالَ قَائِلُهُمْ:
 قَدْ حَقَّقْتُكَ فِي اللَّهِ
 فَجَاجَكَ كُنْزِي
 فَاجْتَمَعَا لِحُكْمِ
 وَافْتَرَقَا لِحُكْمِ

إنسان مصور على حائط تأتى النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الإنسان وقال الناظر إليها كأنه إنسان عظيم تصيحك من صنعة النقاش وحذته وخطه يده وتماح فطنته وعظم في قلبك معه مع أنك تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصنع والقلم واليد وبالخط والقدرة وبالعلم وبالارادة وشئ من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وإنما انتهى فعله إلى جمع بين الصنع والحائط على ترتيب مخصوص فيذكر تصيحك منه وتستعظمه وأنت ترى النقطه القدره كانت معدومة غلفتها خالقها في الأصلاب والترائب ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدرها فأحسن تقديرها وتصويرها وقسم أجزائها للتشابه إلى أجزاء مختلفة فأحكم المقام في أركانها وأحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها وأعصابها وجعلها تجري لتدفقها ليكون ذلك سبب بقائها وجعلها ميمه بصيرة عالة ناطقة وخلق لها الظفر أماما ليدنها واليطن حاويا لآلات غذائها والراس جامعاً لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهيئاتها ثم حماها بالأبصار لتسترها وعظفها وتصلبها وتدفع الأقداء عنها ثم أظهر في مقدار عذبة منها صورة السموات مع امتناع أكثافها وتباعد أنظارها فهو ينظر إليها ثم شق أذنيه وأودعها ماء مرا ليحفظ سمها ويدفع الحوام عنها وحوطها بسدة الأذن لتجمع الصوت قرده إلى حاشتها ولتحمس بدبيب الحوام إليها وجعل فيها تحريغات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيقتنيه من النوم صاحبها إذا قصدها دابة في حال النوم ثم رفع الألف من وسط الوجه وأحسن شكله وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطامحه وأغذيتة وليستنفق بمنفذ للتحريش روح الحوام غذاء قلبه وترويحاً لحرارة باطنه وفتح القم وأودعه اللسان ناطقا وترجما ومعربا معاً في القلب وزين القم بالأسنان لتكون آلة الطحن والكسر والقطع فأحكم أصولها وحدد رؤوسها ويض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب كأنها الدر للنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتتطابق على القم فتسد منفذه وليمنعها حروف الكلام وخلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت وخلق لسان قدره للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت في عارج مختلفة تختلف بها الحروف لتتبع بها طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة واللينة وصلابة الجواهر ورواوتها والطول والقصر حتى اختلفت بسببها الأصوات فلا يشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقا حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الرأس بالشعر والأصماغ وزين الوجه بالجلود والحاجبين وزين الحاجب برقة الشعر واستقرت في الشكل وزين العينين بالأهداب ثم خلق الأعضاء الباطنة وسخر كل واحد لعل مخصوص فسخر للعدة لتضج الغذاء والكبد لإحالة الغذاء إلى الدم والطحال والبرازة والسكبة لخدمة الكبد فالطحال يخدمها يحطب السوداء عنها والبرازة تخدمها يحطب الصفراء عنها والسكبة تخدمها يجذب اللآية عنها وللثلاثة خدم السكبة فيبول للآية عنها ثم خرجها في طريق الإحليل والعروق تخدم الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن ثم خلق الأيديين وطولها لتد إلى التماسد وعرض الكف وقسم الأصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أظفار ووضع الأربعة في جانب الإبهام في جانب لتدوير الإبهام على الجميع ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستبطلوا بدقيق التفكير وجها آخر في وضع الأصابع شوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربع وشاوت الأربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه إذ هبتا الترتيب صلت اليد لتقبض والإعطاء فإن بسطها كانت له طبقا يمس عليها ما يريد وإن جمعها كانت له آلة للضرب وإن ضمها

إن يكن فيك الله
عظيم عن لحظ عياني
فقد صدقك الوجه
مد من الأحشاء داني
قال ذو النون ما زادني
أجد من الله قرينة إلا
ازدادت هينة . وقال
سويل أدنى مقام من
مقامات القريب الخيال
وقال الصرا بادي
بانيح السفة تال
للسرفة . وبأدب
القرائن تال القرينة
وبالمواظبة على التواكل
تال الهبة . ومنها
الحمام والحمام على
الوصف العام والوصف
الخاص فأما الوصف
العام فما أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في قوله واستحيوا من
الله حتى الحياء قالوا

خما غير تام كانت معرفة له وإن بسطها وضم أصابها كانت معرفة له ثم خلق الأقطار على رءوسها
زينة للأنازل وجماد لها من ورائها حتى لا تنقطع وليتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها
الأنازل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو أخس الأضياء لو عدمه الإنسان وظهر به
حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ولم يبق أحد مقامه في حكة بدنه ثم هدى البديلى موضع الحك حتى
تعد إليه ولو في النوم والفتلة من غير حاجة إلى طلب ولو استعان بغيره لم يضر على موضع الحك
إلا بعد تسب طويلا ثم خلق هذا كله من النطفة وهى في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف
الغطاء والشفاء وامتد البصر إليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى
الصور ولا آتة فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آتته ومصنوعه ولا يلاقه وهو يتصرف فيه
فبصانته ما أعظم غائته وأظهر برهانه ، ثم انظر مع كمال قدرته إلى تمام رحمة فانه لما خلق الرحم عن
الصبي لما كبر كيف هداه السبل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك الضيق وطلب للفرد كانه
عاقل يصير بما يحتاج إليه ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى التقام الثدي ثم لما كان
بدنه ضعيفا لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين
الفرث والدهم سائما خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وأبنت منهما حلتين على قدر
ما ينطبق عليهما ثم قص في حلة الثدي قنبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه إلا بعد الصلص
تدريجيا فان الطفل لا يطبق منه إلا القليل ثم كيف هداه للانتماس حتى يستخرج من ذلك الضيق
اللبن الكبير عند شدة الجوع ثم انظر إلى عطفه ورحمته وراقته كيف أخرج خلق الإنسان إلى تمام
الحولين لأنه في الحولين لا يتنذى إلا باللبن فيستغنى عن السن وإذا كبر لم يواقه اللبن السخيف
ويحتاج إلى طعام غليظ ويحتاج الطعام إلى اللغز والطنين فأبنت له الأسنان عند الحاجة لأقبالها
ولا يدها فبصانته كيف أخرج تلك العظام الصلبة في تلك الثابتة اللينة ثم حثى قلوب الأولاد
عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلم الله الرحمة على قلوبهم
لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه ، ثم انظر كيف رزقه القدرة والقيز والعقل والمهداية
تدريجيا حتى بلغ وتكامل فصار مرافقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا إما كفورا أو شكورا أمطعا أو عاصيا
مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا
خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه ميمما بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما
كفورا - فانظر إلى اللطف والكرم ثم إلى القدرة والحكمة تبرك بهما على الحضرة الربانية والعجب
كل العجب عن ربي خطا حسنا أو نقسا حسنا على حائط فيستحسنة فيصرف جميع همه إلى التفكير
في النقاش والحطاط وأنه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدس عليه ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول
ما أحذته وما أكل صنمته وأحسن قدرته ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يفكر في
صانته ومصوره فلا تدعشه عظمتة ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجائب بديك التي لا يمكن
استقصاؤها فهو أقرب مجال لتفكيرك وأجلى شاهد على عظمة خالقك وأبث قائل عن ذلك مشغول
يطنك وفرجك لا يعرف من تنسك إلا أن مجموع قنأ كل وتبشع فتنام وتنتهى فتجامع وتضرب
فتنازل والبهائم كلها تشاركك في معرفة ذلك وإنما خاصية الإنسان التي حجبت البهائم عنها معرفة
الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض وعجائب الأفاق والأفئس إذا جاء يدخل البعد في
زمرة لللائكة القريبين وعشر في زمرة النبيين والصدقين مقربا من حضرة رب العالمين وليست
هذه الزمرة للبهائم ولا لإنسان رضى من الدنيا شهوات البهائم فانه شئ من البهائم بكثير إذا قدره

إنا ننسخه يا رسول الله
قال ليتني ذلك ولكن
من استخيه من الله
حق الحياء فليحفظ
الراس وماوعى والبطن
وماحوى وليذكر الموت
والبلى ومن أراد الآخرة
ترك زينة الدنيا فمن
فيل ذلك قد استخيا
من الله حق الحياء
وهذا الحياء من
للنساء وأما الحياء
لخاص من الأحوال
وهو ماثل من عيان
رضى الله عنه فإنه إني
لا غفيل في البيت للظلم
فأنطوى حياء من
الله أخيرا أوزرعة
عن ابن خلف عن
أبي عبد الرحمن قال
صمت أبا العباس
البخداوى يقول
صمت أحد السقطى

للبيضة على ذلك وأما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فأولئك الكلاب
 بل هم أصل سيل . وإذا عرفت طريق التفكير في قسك فكفر في الأرض التي هي مقره ثم
 في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها إلى ملكوت السموات . أما الأرض : فمن
 آيات أن خلق الأرض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتتشوقا منها كبتها وجعلها
 قارة لا تتحرك وأرسى فيها الجبال أوتادا لها تمنعها من أن تهبط ثم وسع أكنافها حتى هز الأسيون
 عن بلوغ جميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى - والسبل بيننا بأيد وإنا
 لموسعون والأرض فرشناها فنعم للهادين - وقال تعالى هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا
 في مناكبها - وقال تعالى - الذي جعل لكم الأرض فراشا - وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر
 الأرض ليتفكر في هجابها فظهرها مقر للأحياء وبطنها مرقد للأموات قال الله تعالى - ألم يجعل
 الأرض كنفانا أحياء وأمواتا - فانظر إلى الأرض وهي مينة فإذا أزل عليها الماء اهتزت وربت
 وانضرت وأنبتت هجائب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب
 الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف أودع للماء تحتها صخر الميون وأسفل الأنهار
 تجري على وجهها وأخرج من الحجارة الباسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا لا لاجل
 به كل شيء حتى فأخرج به فنون الأشجار والنبات من حب وعنب وقصب وزيتون ونخل ورمان
 وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والأرياس بفضل بعضها على
 بعض في الأكل تسقي بماء واحد وتخرج من أرض واحدة . فان قلت إن اختلافها باختلاف بذورها
 وأصولها فحق كان في التوبة نعمة مطوقة بتأقيد الربط ومتى كان في حبة واحدة تسبق سبيل في كل
 سبيلة مائة حبة ثم انظر إلى أرض البوادي وقش ظاهرها وباطنها تراها ترابا متشابها فإذا أزل عليها
 الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ألوانا مختلفة ونباتا متشابهة وغير متشابهة لكل واحد
 طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر إلى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها من اختلاف
 طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقاقير النافعة لهذه النبات يلهي وهذا يوهي
 وهذا يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا إذا حصل في السنة قطع الصفراء من أعماق المروق
 وهذا يستحيل إلى الصفراء وهذا يجمع البلم والسوداء وهذا يستحيل إليها وهذا يصبى الدم وهذا يستعمل
 دما وهذا يفرح وهذا ينوم وهذا يقوى وهذا يصفى فم تثبت من الأرض ورقة ولا تلبث إلا وقها منافع
 لا يقوى البشر على الوقوف على كلها وكل واحد من هذا النبات يحتاج القلاح في تربته إلى عمل
 مخصوص فالنخل تؤثر والسكرم يكسح والزرع ينقى عنه الحشيش والبصل وبعض ذلك يستتبت
 يثبت البشر في الأرض وبضه يفرس الأغصان وبضه يركب في الشجر ولوارثنا أن نذكر اختلاف
 أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله ومهماته لا تحصى الأيام في وصف ذلك فيكتبك من كل
 جلس نية يسيرة تذكر على طريق الفكر فهذه هجائب النبات [ومن آياته الجواهر اللودعة تحت
 الجبال وللعادن الحاصلة من الأرض] ففي الأرض قطع متجاورات مختلفة فانظر إلى الجبال كيف
 يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والنوروزج واللؤلؤ وغيرها بعضها منتظمة تحت
 للطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالقير وزج واللؤلؤ وكيف
 هدى الله الناس إلى استخراجها وتنقيتها وإغدا الأواني والآلات والتقود والحلي منها ثم انظر
 إلى معادن الأرض من النفط والكبريت والقطر وغيرها وأقلمها للبحر ولا يحتاج إلى الطبيب الطعام
 ولو خلقت منه بحة للبحر لهلك إليها فانظر إلى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأضامى سبيحة
 بموهبها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من الطر فيستحيل ملحا ملحا محرقا لا يمكن تناوله لمقالته

ابن صالح يقول سمعت
 محمد بن صديق يقول
 سمعت أبا العباس
 للزبد يقول قال لي
 سري : احفظ عني
 ما أقول لك إن الحياء
 والأنس بطبوفان
 بالقلب فإذا وجد فيه
 الزهد والورع حط
 والإرحاء والحياة
 إطراق الروح إجلالا
 لعظم الجلال والأينس
 التذاذ الروح بكال
 الجسمل فإذا اجتمعا
 فهو التائق لله الحياة
 في العطاء وأنشد
 شيخ الاسلام :
 أشتاقه فإذا بدا
 أطرق من إجلاله
 لاخفة بل هبة
 وساعة لجمله
 اللوت في إداره
 والعيش في إقباله

ليكون ذلك تطييباً لطعامك إذا أكلته فبينما عيشك وامن جراد ولاجوان ولا نبات إلا وفي حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيء منها عينا ولا لبا ولا لاهز لا بل خلق السكل الحلق كالبغى وعلى الوجه الذى يبنى وكالبلى بجلاله وكرمه ولطفه وذلك قال تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عيين ما خلقناها إلا بالحق - ومن آياته أصناف الحيوانات وانقسامها إلى ما يطير وإلى ما يمشى وانقسام ما يمشى إلى ما يمشى على رجلين وإلى ما يمشى على أربع وعلى غيرهما على ما يشاهد في بعض الحشرات ثم انقسامها إلى النافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع فانظر إلى طيور الجوارح وإلى وحوش البر والبهائم الأهلية ترى فيها من العجائب ما لا يشك معه في عظمة خلقها وقدرتها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا أن نذكر عجائب البق والخملة والنحلة أو العنكبوت وهى من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفى جمعها غذاءها وفى إلها لقوجها وفى ادخارها لنفسها وفى خلقها فى هندسة بيتها وفى هدايتها إلى حاجتها لم تقدر على ذلك ترى العنكبوت يبنى بيته على طرف نهر فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بقدر ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالحيط بين طرفيه ثم يتنهد - وبقى اللعاب الذى هو خطه على جانب التلصق به ثم يندو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الحيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويحفل بعد ما بينهما متساويا تناسبا هندسيا حتى إذا أحكم معاقده القمط وربت الحيط كالسدى اشغل باللحمة فيضع الجملة على السدى ويضيف بعضه إلى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء الجملة بالسدى ويراعى في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة تقع فيها البق والذباب وتقع فى زاوية مترصدا لوقوع الصيد فى الشبكة فإذا وقع الصيد بادى إلى أخذه وأكله فإن يحجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط أو وصل بين طرفي الزاوية شيطم علق نفسه فيها غيطا آخر وبقى منسكفا في الهواء ينتظر ذباة تطير فإذا طارت رمتى بنفسه إليه فأخذه ولف خطه على رجله وأحكمه ثم أكله وامن حيوان صغير لو كبر إلى الأوفى من العجائب ما يصحى أقرى أنه تمل هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمى أو جيلة أو لاهدا له ولولم لا أفشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضيف عاجز بل القيل العظيم شحسه الظاهر عتقته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وهجائته صنعة قاطرة الحكيم وخالفه القادر الملم بالصبر يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق للذبح وجلاله وكما قدرته وحكمته متحيز فيه الأبواب والقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضا لا حصر له فإن الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنسم بالكرة للشاهدة ، ثم إذا رأى حيوانا غريبا ولودودا مجدج تصببه وقال سبحان الله ما عجيبه والانسان أعجب الحيوانات وليس تعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي ألقاها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافسها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأعضائها التي جعلها الله لباسا لخلقها وكانهم في ظلمتهم وإقامتهم وآتية لأثر ربهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأقاليم قاطعة للبادى وللقارات البعيدة لأكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها إلا ليتم حيط بجميع منافسها سابق على خلقه إياها سبحانه من الأمور مكتشفة في علمه من غير تفكير ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو الطبع الحخير الحكيم القدير فقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب المارقين توجيده فما لخلق إلا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بروبيته والقرار بالجزع عن معرفة جلاله وعظمته فمن ذا الذى يحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وإعما غاية معرفتنا الاعتراف بالجزع عن

وأصد عنه إذا بدا
وأروم طيف خياله
قال بعض الحكماء
من تكلم في الحياة
ولا يصحى من الدنيا
يتكلم به فهو مستدرج
وقال فخر النون: الحياة
وجود الحياة في القلب
مع حشمة سابقة منك
إلى ربك . وقال ابن
عطاء : العلم الأكبر
الحياة والحياة فإذا
ذهب عنه الحياة
والحياة قلاخير فيه .
وقال أبو سليمان : إن
العباد حملوا على أربع
درجات على الخوف
والرجاء والتسليم
والحياء وأشر فهم منزلة
من حمل على الحياء
لما أيقن أن الله تعالى
يراه على كل حال

معرفة فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته عنه ورايته . ومن آياته البحار العميقة للكشفة لأقطار الأرض التي هي قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض حتى إن جميع للكشفة من البوادي والجبال من الماء بالإضافة إلى الماء بجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستوية بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم « الأرض في البحر كالإسطبل في الأرض ^(١) » فأنسب إسطبل إلى جميع الأرض . واعلم أن الأرض بالإضافة إلى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الأرض وما فيها تأمل الآن عجائب البحار فإن عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر أضفاف عجائب ما تشاهده على وجه الأرض كأن كان محتة أضفاف سعة الأرض ولعلمك البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فظن أنها جزيرة فيزل الركاب عليها فرمما نحس بالثوران إذا اشتعلت فتتحرك ويعلو منها حيوان وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو طير أو بقر أو إنسان إلا وفي البحر أمثاله وأمنهاته وفيه أجناس لا يسدها نظير في البر وقد ذكرت أو صافها في مجلدات وجميع أقواله عن ركوب البحر وجميع عجائبه ثم انظر كيف خلق الله الثؤلث ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف نبت للرجان من صم الصخور تحت الماء وما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تأمل ما عده من الصبر وأصناف الثنائس التي يتدفقها البحر وتنبثق منه ثم انظر إلى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسيرها في البحار وطلاب الأموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتعمل أفعالهم ثم أرسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحة من موارد الرياح ومهايا وموائتها ولا يستغنى على الجلة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات وأجيب من ذلك كله ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف يسال منشفة متصل الأجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للقطيع كأنه منفصل مسخر لتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات فلو احتاج البند إلى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك ثم لو شربها ومنع من إخراجها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا في إخراجها فالسبح من آدمي مكسب يستعظم الدنار والدرهم وثقائس الجواهر وينفل عن نعمة الله في شربة ماء إذا احتاج إلى شربها أو الاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها تأمل في عجائب اللياء والآهار والأبار والبخارفة بما تنسج فيسكرو بها وكن ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفعضة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكته فيها منادبة أرباب القلوب بنفحاتها قائمة لكل ذي لب أماترافي وترى سورتي وتركيبي ومفاتي ومناقي واختلاف حالاني وكثرة فوائدني أنظن أني كوت نفسي أو خلقني أحد من جنسي أو ما استحي أن تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف قطع بأنها من صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر إلى عجائب الخطوط الإلهية للرقومة على صفحات وجهي بالقلم الإلهي الذي لا تدرك الأبصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بحمل الخط ثم ينك قلبك عن غلالة صانعه ويقول النطفة لأرباب السمع والقلب لا الذين هم عن السمع معزولون توهم في ظلمة الأحشاء مغموسة في دم الحوض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينشق النقاش جذقي وأجفاني وجيقي وخدي وشفتي تترى النفوس يظهر عينا فقيشا على التدريج ولا ترى داخل النطفة ناعسا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجة ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم إنما هذا النقاش أعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرة أو مرتين لعلته فهل تهدر على أن تتلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير

(١) حديث الأرض في البحر كالإسطبل في الأرض تقدم ولم أجده .

استحيا . من حسنه
أكثر مما استحيا
العاصون من سيئاتهم .
وقال بعضهم : الغالب
على قلوب المستحيين
الاجل والتمظيم دأما
عند نظر الله إليهم .
ومنها : الاتصال . قال
النوري : الاتصال
مكاشفات القلوب
وشاهدات الأسرار .
وقال بعضهم الاتصال
وصول السر إلى مقام
الدهول وقال بعضهم
الاتصال أن لا يشهد
البعد غيب خالقه
ولا يتصل بسره خاطره
لتسري صانعه . وقال .
سهل بن عبيد الله
حزكوا بالبلاد فحزكوا
ولو سكنوا الصلوات .
وقال يحيى بن معاذ

اتصال بها لآمن داخل ولا من خارج فان كنت لاتتجيب من هذه العجائب ولا تفهم بها أن الذي صور
 وتشق وقد لا تظهر له ولا يساويه تقاض ولا مصور كما أن تشه وصنعه لا يساويه تشق وصنع فبين
 القاطنين من البانية والتابعه ما بين الفاعل فان كنت لاتتجيب من هذا تتجيب من عدم تتجيب فانه
 أعجب من كل عجب فان الذي أسمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنك من التبيين مع هذا البيان
 جدير بأن تتجيب منه فسيحان من هدى وأمنل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وقسم بصائر أسيا به
 فتباهوه في جميع ذرات العالم وأجزائه وأسمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بزمه وعلاؤه الخلق
 والأمر والامتنان والفضل والطف. والتهر لاراد حكمه ولا مقب لفضائله ومن آياته الهواء اللطيف
 المحسوس بين مقر السماء ومجدب الأرض [لا يدرك بحس اللبس عند هبوب الريح جسمه ولا يرى
 بالعين شخصه وجمته مثل البحر الواحد والطيور عجلة في جو السماء ومستقرة مساجه فيه بأجنحتها
 كما تسبح حيوانات البحر في الباء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الريح كما تضطرب أمواج
 البحر فإذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هبابة فان شاء جعله نيرا بين يدي رحمة كالقاسم سبحانه وأرسلنا
 الريح لواقع - فصل بحركته روح الهواء إلى الحيوانات والنباتات فتستعد للبناء وإن شاء جعله عذابا
 على العصاة من خلقه كما قال تعالى - إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستعز نزع الناس
 كأنهم أعجاز نخل منقعر - ثم انظر إلى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما مضطط للساء فأنظر للنفوخ
 يتجامل عليه الرجل القوي ليفسده في الماء فيجبر عنه والحديد الصلب قسسه على وجه الماء فيرسب فيه
 فانظر كيف يقبض الهواء من الماء بقوة مع لطافته وهذه الحسكة أمسك الله تعالى السفن على وجه
 الماء وكذلك كل جوف فيه هواء لا ينفس في الماء لأن الهواء ينقبض عن القوس في الماء فلا تنفصل
 عن السطح الداخل من السفينة تبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة في الهواء اللطيف
 كالذي يقع في بث فيتعلقه بذيل رجل قوي تمتنع عن الهوى في البثر فالسفينة بمقرها تثبت بأذيال
 الهواء القوي حتى تمتنع من الهوى والقوس في الماء فسيحان من علق للركب الثقيل في الهواء اللطيف
 من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر إلى عجايب الجوامع والمظفر فيمن القوم والوعود والبروق
 والأقطار والشوارع والشباب والصواعق فهي عجايب ما بين السماء والأرض وقد أشار القرآن إلى جملة
 ذلك في قوله تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عين - وهذا هو الذي بينهما وأشار إلى
 تفصيله في مواضع حتى حيث قاله تعالى - والسحاب للسبحين بين السماء والأرض - وحيث - تعرض لمرعد
 والبرق والسحاب والطرر فإذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة إلا أن ترى للطرر بينك وتسمع الرعد بأذلك
 فالجملة تشاركك في هذه المعرفة فارفع من حضيض عالم البهائم إلى عالم اللاأطع قد قصص عينيكَ
 فأدر كنه ظاهرها فتمن عيناك النظاهرة وانظر بصورتك الباطنية ترى عجايب باطنها وغرائب
 أسرارها وهذا أيضا باب بطول التفكير فيه فلا تطعم في استقصائه فأمل السحاب الكثيف للظلم كيف
 تراه يجمع في جو ساف لا كدورة فيه وكيف خلقه الله تعالى إذا شاء ومضى شاء وهو مع رذاؤه حامل
 لواء الثقل وعمله له في جو السماء إلا أن يأذن الله في إرسال الباء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدرة
 التي أودع الله تعالى وحل الشكل الذي شاءه قدر السحاب يرش للباء على الأرض ويرسله قطرات
 متضامة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة بأخرى بل تترك كل واحدة في الطريق الذي رسم
 لها لا يجهل عنه فلا يجمد للتأخر ولا يتأخر للتقدم حتى يسبب الأرض قطرة قطرة فلما اجتمع الأولون
 والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عسلها ما يؤخذ منها في بقعة واحدة أو قوتها واحدة
 ليسر حساب الجن والانس عن ذلك فلا يلم عليها إلا الذي أو جدها ثم كل قطرة منها عينت

الرازي في المال أربعة
 تأيب وزاهد ومشتاق
 وواصيل. فالتأيب
 محبوب بتوحيده
 والرازي عجب بزهده
 والشتاق محبوب
 عاهه والواصل لا يحبه
 عن الحق شيء. وقال
 أبو سعيد القرشي :
 الواصل الذي يسهله
 فلا يغنى عليه القطع
 أبدا. والتأيب الذي
 محبوب بتوحيده
 القطيع وكان هذا
 الذي - ذكره حال
 الزيد والرازي لكون
 أجسدها متبدا
 بالكسوف. وكون
 الآخر مردودا إلى
 الاختفاء. وقال
 أبو يزيد : الواصلون
 في جملة أحرفهم

لكل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة غلط إلى لا يدرك بالبصر الظاهر أنها رزق الدودة القلانية التي في ناحية الجبل القلاني تصل إليها عند غطشها في الوقت القلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وتوار التلوج كالطين للندوف من العجايب التي لا يحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخالق القاهر ما لأحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا لعينين المجاهدتين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلة يقول الجاهل للفرور إنما ينزل الماء لأنه ثقيل بطبعه وإنما هذا سبب نزوله ويظن أن هذه معرفة انكشفت به وخرج بها ولو قيل له ما معنى الطبع وما التقى خلقه ومن التقى خلق الماء الذي بطبعه الثقل وما التقى رقى الماء السبوب في أسافل الشجر إلى أمالي الأغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى إلى أسفل ثم راضع إلى فوق في داخل تجاويف الأشجار شيئاً فشيئاً بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق فيغذي كل جزء من كل ورقة ويجري إليها في تجاويف عروق شجرة صغار يرويه العرق الذي هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير للندوف في طول الورقة عروق صغار فكان الكبر نهروما انتصب عنه جداول ثم ينصب من الجداول عروق أصغر منها ثم ينتشر منها خطوط عكوبية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تتسبط في جميع عرض الورقة فيصل للماء في أرجائها إلى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميتها وزينتها وتبقى طراوتها ونضارتها وكذلك إلى سائر أجزاء الفواكه فكان كان للماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق فإن كان ذلك عجيباً جاذباً لما التقى سحر ذلك الجاذب وإن كان ينتهي بالآخر إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والملكوت ظل لأجله عليه من أول الأمر فنهاية الجاهل بداية العاقل [ومن آياته ملكوت السموات والأرض وما فيها من الكواكب] وهو الأمر كله ومن أدرك الكل وقاته عجائب السموات قد فاته الكل تحقيقاً فالأرض والنبهار والهواء وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات قطرة في بحر وأصغر ثم انظر كيف غظم الله أمر السموات والنجوم في كتابه فأمّن سورة لا وتشتمل على فضيلتها في مواضع وكمن قسم في القرآن بها كقوله تعالى - والساء ذات البروج - والساء والطارق والساء ذات الحيك والساء وما بناها - وكقوله تعالى - والشمس وضحاها والقمراً إذا تلاها - وكقوله تعالى - فلا تأمّن بأحسن الجوار السكنى - وقوله تعالى - والنجم إذا هوى - فلا تأمّن بجوارح النجوم وإن تقسم لو تعلمون عظيم - قد علمت أن عجائب النطفة القدرية عجز عن معرفتها الأولون والآخرون وما أقسم الله بها فما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الأرزاق عليه وأضافها إليه فقال تعالى - وفي الساء رزقكم وما توعدون - وأيضاً على للتفكير فيه فقال - ويبتكرون في خلق السموات والأرض - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته» (١) أي تجاوزها من غير تفكير ومن اللعين عنها فقال - وجعلنا الساء سقافاً فظاوم من آياتها معشرون - فأى نسبة لجميع البعاري والأرض إلى الساء وهي منبتات على القرب والسموات صلاب شداد صفوطات عن التبر إلى أن يبلغ المكاتب أجدها لله سبحانه الله تعالى محفوظاً فقال - وجعلنا الساء سقافاً محفوظاً - وقال سبحانه - ويبتأ فوقكم سبعاً سمداً - وقال تعالى - ثم أشد خلقاً أم الساء بناها فرفع محكماتها فساها فظاوم للملكوت ترى عجائب الفز والجبروت ولا تظن أن معنى النظر إلى الملكوت بأن تمد البصر إليه ترى زينة الساء وضوء الكواكب وضربها فإن الساء

(١) حديث وويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته أي قوله تعالى - ويبتكرون في خلق السموات والأرض - فجمع.

له وهنظم في الله
ورجعهم إلى الله .

وقال الجباري الوصول

مقام جليل وذلك

أن الله تعالى إذا أحب

عبداً أن يوجه

اخضر عليه الطريق

ويقرب إليه العبد .

وقال الحكيم الواسل

هو الحاصل عند ربه

وقال روم أهل

الوصول أوصل الله

إليه قلوبهم فهم

صفوة القوي

متمنعون من الخلق

أبداً . وقال ذواتون

مارجع من رجع إلا

من الطريق وما وصل

إليه أحد فرجع عنه .

واعلم أن الاتصال

والواسطة أشار إليه

الشيوخ وكل من

تشاركك في هذا النظر فإن كان هذا هو اللراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله - وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يبرهنه بالملك والشهادة وما ناب عن الأيسار فيعرفه بالتيب والملكوت والله تعالى عالم التيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وهو عالم التيب فلا يظهر على شيء أحد إلا من ارتقى من رسول فأجل أيها المائل فكره في الملكوت فسي يختلج للأبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها إلى أن تقوم قلبك بين يدى عرش الرحمن فتندلك به ما يبرج لك أن تبلغ رتبة من الخطاب رضى الله عنه حيث قال : رأى قلبى ربي . وهذا لأن بلوغ الأقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شيء إليك نفسك ثم الأرض التي هي مركز ثم الهواء المكتشف لك ثم النباتات والحيوان وما على وجه الأرض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والأرض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملكة التي هي حمة العرش ووزان السموات ثم منه تجاوز إلى النظر إلى رب العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما فينك وبين هذه المقادير العظيمة والمسافات الشاسعة والقياسات الشاهقة وأنت بعد لم تفرغ من الثبوت القريب التنازل وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعى معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه فقيا ذا أنشكر وإلى ماذا تطلع فأرفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دوراتها وطوايعها وغروبها ونفسها وقررها واختلاف مشارقتها ومغاربها ودورها في الحركة على الهواء من غير فيوز في حركتها ومن غير قعر في سيرها بل تجري جميعا في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطوبها الله تعالى على السجدة للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فيضها يميل إلى الحررة وبضها إلى البياض وبضها إلى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكلها فيضها على صورة القرب وبضها على صورة الجل والورود والأسود والإنسان وما من صورة في الأرض إلا ولها مثال في السماء ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع على كل يوم وتغرب سير آخر سفرها له خاتمتها ولولا طوايعها وغروبها لمختلف الليل والنهار ولم تعرف للواقيت والأطباق الظلام على الهواء أو الضياء على الهواء فكان لا يتميز وقت للنهار عن وقت الاستراحة فالنظر كيف جعل الله تعالى الليل لئلا يأسوا والنوم لمصائب النهار معاشا وانظر إلى إبلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر إلى ما لتسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فاذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ وإذا كانت قبا بينهما اعتدل الزمان وعجائب السموات لا تطمح في إحصاء عشر عشر جزء من أجزائها وإنما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على طريق الخلق أنه ما من كوكب من الكواكب إلا والله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقر به من الكواكب التي تحته وجهه وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك إذ ما من جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لائسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لافي كبر جسم ولا في كثرة ما بينه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فأنت تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر أن يمس على أن يدركها ويدور حولها وقد اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة وثلاثين مرة وفي الأخبار ما يدل على عظمها (١) ثم الكواكب

وصل إلى صفو الثيق
بطريق الذوق
والوجدان فهو من
رئيسة الوصول ثم
يتفاوتون بينهم بعد
الله بطريق الأفعال
وهو رتبة في التحلي
فيض فيه وفصل غيره
لوقوفه مع فعل الله
وشرح في هذه الحالة
من التدبير والاختيار
وهذه رتبة في الوصول
ومهم من يوقف مقام
الهيئة والأنس بما
يكشف قلبه به من
مطالعة الجمال والجلال
وهذا مجلى طريق
الصفات وهو رتبة
في الوصول ومنهم من
ترى في مقام القناء مقتلا
على باطنه أنوار الثيق
وللشاهدة متبعا في

(١) الحديث الباقى على عظم الشمس أحمد من حديث عبد الله بن عمر رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس حين غربت فقال في نار الله الحامية لولا ما زعموا من أمر الله لأهلكت

التي تراها أصفرها مثل الأرض متى مرأت وأكبرها يتنهي إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض وبهذا تعرف ارتفاعها وببدها إذ لجمد صارت ترى صفارا ولذلك أشار الله تعالى إلى بدها فقال - رفع صمكتها فسواها - وفي الأخبار أن ما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام (١) فإذا كان مقدار كوكب واحد مثل الأرض أصغارا فانظر إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى السماء التي الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لأعجب بحركتها فضلا عن أن تدمرك سرعتها لكن لا تشك أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت فاعل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم «هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لانهم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت نعم صارت الشمس خمسمائة عام (٢) فانظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ثم انظر إلى قذرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورته مع اتساع أكتافها في حدة الدين مع صفوها حتى تجلس على الأرض وتفتح صنيك نحوها ترقى جميعا فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تلتفت إليها بل انظر إلى بارئها كيف خلقها ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل عالم كبيت واحد والسماء سقفه فالسبب منك أنك تدخل بيت خفي فتراه مزوفا بالصبح نحوها بالذهب فلا يقطع تصديقك منه ولا تزال تدكر موصفا حسنة طول حركه وأنت أبدا تنظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى هوائه وإلى صلابته إلى متنته وخرائب حيواناته وبدائع قوته ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه لما هذا البيت دون ذلك البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضا جزء من الأرض التي هي أخص أجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر إليه ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي ائتمد بيناته وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشغلت بطنك وفرجك ليس لك ثم إلا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن عملا بطنك ولا تخدع على أن تأكل عشر مائتا كلة جمعة فتكون البيمة فوقك بشر درجات وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فيناقون بالسهم بين يديك ويضربون خباثت الاعتقادات عليك وإن صدقوك في مودتهم إلا فلا يملكون لك ولا لأحسهم ضما ولا خيرا ولا مونا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون في بلد من أقبية اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهه وقد اشغلت بهذا القروو وغفلت عن النظر في جلال ملكوت السموات والأرض ثم غفلت عن التمتع بالنظر إلى جلال مالك الملكوت ولللك وما ملكك ومثل عبقك إلا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حين الأركان مزينة بالجواهر والنفان وأنواع النخائل ماطي الأرض وللعطشان في الكيز من حديث أبي أمامة وكل بالشمس تسعة أملاك رمونها بالثلج كل يوم لولا ذلك ما أمت على شيء إلا آخرته (٣) حديث بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام الترتبي من رواية الحسن بن أبي هريرة وقال غريب قال وروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلى ابن زيد قالوا ولم يسمع الحسن من أبي هريرة ورواه أبو الشيخ في العظمة من رواية أبي نصره عن أبي ذر ورواه هات إلا أنه لا يعرف لأبي نصره سماع من أبي ذر (٤) حديث أنه قال لجبريل هل زالت الشمس فقال لانهم فقال كيف تقول لانهم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت نعم صارت الشمس مسيرة خمسمائة عام لم أجده له أصلا .

شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تحيل الذات لخواص القرين وهذا للقيام رتبة في الوصول وغروفي هذا حق البين ويكون من ذلك في الدنيا لخواص لم وهو سران نور للشهادة في كلية البند حتى يحظى به روحه وقبلة وقسه حتى قاله وهذا من أعلى رتب الوصول فإذا غشقت الحقائق علم البند مع هذه الأجنال الشريفة أنه بعد في أول للزل فإين الوصول هيئات منازل طريق الوصول لا تقطع أبدا الأباد في حصار الآخرة الأبدى فكيف في السر القصور المتنوعة ومنها

والنفاس فاتها إذا خرجت من جعرها وقيمت صاحبها لم تتحدث لو قدرت على التلويح إلا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فأما حال التصبر وللك الذي في التصبر فهي بمنزلة عن وعن التفكير فيه بل لا قدرة لها على الجأزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبينها في غيره وكما غفلت الخلة عن التصبر وعن أرضه وصفته وحيطانه وما ربيانه وغفلت أيضا عن مكانه فأنت أيضا غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه الخلة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكته السموات إلا ما تعرفه الخلة منك ومن سكان بيتك ، نعم ليس للخلعة طريق إلى أن تعرفك وتعرف عجائب قصره وبيئات صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك قدرة على أن تجول في السموات وتعرف من عجائب ما الخلق غافلون عنه ولتقبض عنان الكلام عن هذا الخط فانه مجال لا آخر له ولو استقمينا أعمارنا طويلا لم ندر على شرح ما فضل الله تعالى علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والأولياء وما عرفوه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وجملة ما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه محمد نبينا صلى الله عليه وسلم وما عرفه الأنبياء كلهم قليل بالإضافة إلى ما عرفته للملائكة للربوب كإسرافيل وجبريل وغيرهم جميع علوم الملائكة والجن والأنس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمى علما بل هو إلى أن يسمى دهشا وحيرة وقسورا وعجزا أقرب فسيحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - فهذا بيان معاقلة الخلق التي تجول فيها فكر للتفكير في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لإحالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكما استكرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم ، وهذا كما أنك تتعلم علما بسبب معرفتك بملكه فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه أو شعره فترى به معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى إن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره يزيدك هملا من قلبك يستدعي التعظيم له في نفسك فكذلك تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والتفكير فيه لا ينتهي أبدا وإنما لكل عبد منهما قدر مازق ، فلنقتصر على ما ذكرناه ولننصف إلى هذا ما فضلناه في كتاب الشكر فانا نظرناف في ذلك الكتاب في قول الله تعالى من حيث هو إحسانا إلينا وإنعام علينا ، وفي هذا الكتاب نظرناف فيه من حيث إنه قول الله تعالى وكل ما نظرناف فيه فإن الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره بسبب ضلالة وشقاوته وللوقفي ينظر فيه فيكون بسبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والأرض إلا والله سبحانه وتعالى يصل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء ، فإن نظر في هذه الأمور من حيث إنها قول الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى به ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بسبب الأسباب قد شقي وارتنى بعبود بالله من الضلال ونسأله أن يهتينا منزلة أقدم الجبال بينه وكرمه وفضله وجوده ورحمته .

(تم الكتاب التاسع من ربيع للنبجات والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلامه)
يشكو كتاب ذكر الموت وما بعده وبه كل جميع الديون لله سبحانه وتعالى وكرمه .

القبض والبسط وما
حلال شريفان قال الله
تعالى - والله يقض
وينبط - وقد تكلم
فيما ليسوع وأشاروا
بإشارات هي علامات
القبض والبسط وفي
أجيب بحسنا من
حقيقة ما ألهمنا كتبوا
بالإشارة والإشارة
تفتح الأهل وأجيب
أن نشجع الكلام فيهما
لهما يشوق إلى ذلك
طالبه . وجب بسط
القول فيه والله أعلم .
والمسلم أن القبض
والبسط لهما موسم
معلوم ووقت محتم
لا يكونان قبض ولا
يكونان بسط ووقتهما
وموهمهما في أوائل الخال
الهيئة الخاصة في نهايتها

(كتاب ذكر الموت وما بعده)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع النجيات ، وبه اختتام كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي قسم بالموت رقاب الجبابرة ، وكسر به ظهور الأكابر ، وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة ، حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم في الحافرة ، فنفوا من التصور إلى القبور ، ومن ضياء الهمود إلى ظلمة العود ، ومن ملاحة الجواري والفتان إلى مقاساة الحوام والديبدان ، ومن التتم بالطعام والشراب إلى التبرغ في القرب ، ومن أنس الشربة إلى وحشة الوحدة ، ومن الضجج الوثير إلى الصرع الويل ، فانظر هل وجدوا من الموت حسنا وعزا ، واتخذوا من دونه حجابا وحرزا ، وانظر - هل خمس منهم من أحد أو تسع لم ركز في سجان من أقرم بالقر والامتلاء ، واستأثر باستحقاق البقاء ، وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من القناء ، ثم جعل الموت عذبا للأقياء وموعدا في حقهم لقاء وجعل القبر سجنا للأقياء وجسائنا عينا عليهم إلى يوم الفصل والقضاء فله الاحكام بالنم للتظاهرة ، وله الانتقام بالنم القاهرة ، وله الشكر في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة ، والصلاة على محمد في السموات والظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فبعد من الموت مصرعه هو القرب محضه ، والدود أنثيه ، ومبكره ونكيره طيبه ، والقبر مقره وبطن الأرض مستقره ، والقيام بعدده ، والجنة والنار مورد ، أن لا يكون له فكر إلا في الموت ولا ذكر إلا لله ، ولا استمداد إلا لأجله ، ولا تدبير إلا فيه ، ولا تطلع إلا إليه ، ولا تخرج إلا عليه ، ولا اهتمام إلا به ، ولا حول إلا حوله ، ولا انتظار وتربس إلا بالله ، وحقيق بأن بعد نفسه من الموت وبراها في أصحاب القبور ، فإن كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت ، وقد قال صلى الله عليه وسلم «التكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» ولن يتيسر الاستعداد لك في إلا بعد تجد ذكره على القلب ولا يتجد ذكره إلا بعد التذكر بالاصناف إلى اللذكريات له والنظر في الشبهات عليه ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ونواحيته وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد لعبد من تذكره على التكرار وملازمته بالابتكار والاستبصار ، ليكون ذلك مستحشا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فابق من البصر إلى القليل والخلق عنه غافلون - اقرب فتناس حسابهم وهم في غفلة معرضون - ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين :

(الشرط الأول في مقدماته وتوابعه إلى شعبة الصور ، وفيه ثمانية أبواب :

الباب الأول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه . الباب الثاني في ذكر طول الأمل وقصره . الباب الثالث في سكرات الموت وعذته وما يستجب من الأحوال عند الموت . الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده . الباب الخامس في كلام المحضرين من الخلفاء والأمراء والصلحاء . الباب السادس في أظاول المارقين على الجنائز واللقاء وحكم زيارة القبور . الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى شعبة الصور . الباب الثامن في ما عرف من أحوال الموتى بالمسكفة في التلم .

(كتاب ذكر الموت وما بعده)

(١) حديث البكري من دان نفسه وعمل لما بعد الموت تقدم غير مرة

ولا قبل حال الحياة
الحاصية فمن هو
في مقام الحياة العلية
الثانية بحكم الإيعان
لا يكون له قبض ولا
يسط وإنما يكون له
خوف ورجاء وقد يجد
فيه حال القيني وشبه
جاء البسط ويطن
ذلك قبضا ويسطا
وليس هو ذلك وإنما
هو ثم يتربس فيظنه
قبضا وإعترازا تنسأف
وتشيط طبعي يظنه
يسطا والهم والنيحاط
يصنذان من عمل
النفس ومن جوهرها
لبقاء صفاتها وما دامت
حياة الأمانة فيها جنة
على النفس يكون منها
الاعتزاز والتشاط والهم
وهو ساجد النفس

(الباب الأول في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره)

اعلم أن التزك في الدنيا للسكبة على ضرورها المحب لشهواتها يفضل قلبه لاهماله عن ذكر الموت فلا يذكره وإذا ذكر به كرهه وكره منه أولئك هم الذين قال الله فيهم - قل إن الموت الذي تحذرون منه فانه ملائكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون - ثم الناس إمامتهم وإماماتهم مبتدئ أوطاف منته أمانتهم فلا يذكر الموت وإن ذكره فيذكره التأسف على دنياه ويشغل بعمته وهذا يزيد ذكر الموت من الله بدا ، وأما التائب فانه يكثر من ذكر الموت لينبت به من قلبه الخوف والخشية فينبئ تمام التوبة ودعما يكره الموت خيفة من أن يخطئه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم «من كره لقاء الله كره الله لقاءه»^(١) فان هذا ليس بكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقاءه على وجه رضاه فلا بد كراهه لقائه ، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا يغفل له سواء والإلتفات بالمحرم في الدنيا وأما العارف فانه يذكر الموت دائماً لأنه موعده لقاؤه لحبيبه والمحبة لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الأمر يستقطب محبة الموت ويحب مجيئه ليخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لأفزع ، من ندمناهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلى من الثنى والسقم أحب إلى من الصحة والموت أحب إلى من المعيشة فسئل على الموت حتى أقاله ، فأذن التائب معذوري كراهة الموت وهذا معذوري حب الموت وتجنبه وأعطى منهما رتبة من فوض أمره إلى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتاً ولا حياة بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه فهذا قد انتهى بغرط المحبة والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى ، وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفصل فإن التيمم أيضاً يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا إذ ينص عليه نعيه ويذكر عليه صفو قلبه وكل ما يكثر على الإنسان الذات والشهوات فهو من أسباب النجاة .

(بيان فضل ذكر الموت كيفما كان)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثرُوا من ذكر هادم اللذات»^(٢) معناه تنصوا بذكره اللذات حتى يقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم «لو تعلم البهائم من الموت ما علم ابن آدم ما أكلتم منها حيناً»^(٣) وقالت عائشة رضي الله عنها «إرسول الله هل يخبر مع الشهداء أحد ؟ قال نعم من يذكر الموت في اليوم واليلة عشرين مرة»^(٤) وأما من حب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار النور ويتقاضى الاستعداد للأخرة والتمتع من الموت تدعو إلى الإهمالك في شهوات الدنيا ، وقال صلى الله عليه وسلم «تحفة المؤمن الموت»^(٥) وأما قال هذا

(الباب الأول في ذكر الموت والترغيب فيه)

(١) حديث من كره لقاء الله كره الله لقاءه متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أكثرُوا من ذكر هادم اللذات الترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث لو تعلم البهائم من الموت ما علم ابن آدم ما أكلتم منها حيناً البيهقي في الشعب من حديث أم حبيبة الجنيبة وقد تقدم (٤) حديث قالت عائشة هل يخبر مع الشهداء أحد قال نعم من ذكر الموت في اليوم واليلة عشرين مرة تقدم (٥) حديث تحفة المؤمن الموت ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني والحاكم من حديث عبد الله بن عمر مرسلًا بسند حسن .

والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فإذا ارتقى من حال المحبة المعلقة إلى أوائل المحبة الخاصة يصير ذاهلاً وذو قلب وإذا نص لوامعة ويعتصم بواب القبح والبسط فيه عند ذلك لأنه ارتقى من رتبة الإيمان إلى رتبة الإيثار وحال المحبة الخاصة فيفضله الحق فارة ويبسطه أخرى قال الواحلي يقضك حمالك ويبسطك فيها له وقال النوري يقضك بملك ويبسطك لإياه وإعلم أن وجود النفس لظهور صفة التوكل وغلبها وظهور التسلط لظهور صفة التواكل وغلبته

لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في عاء من مقاساة نفسه ورياضة شهوته ومداعة شيطانه
 قالت إطلاق له من هذا العذاب والأطلاق تخفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم «للموت كفارة لكل
 مسلم» (١) «وأراد بهذا السلم حقاً للمؤمن صدقاً الذي يسلم للسكون من لسانه ويده ويتحقق فيه
 أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا بالهم والضرر فالموت يطهره منها ويكفرها بهاجتباها
 السكابر وإقامته التراض. قال عطاء الخراساني «مر رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس قد استل
 فيه الضحك فقال شربوا مجلسكم بذكر مكر اللذات قالوا وما مكر اللذات قال الموت» (٢) وقال
 أنس رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثر ما من ذكر الموت فانه يمسي القلوب
 وزهد في الدنيا» (٣) «وقال صلى الله عليه وسلم «كني بالموت مفرقا» (٤) وقال عليه السلام «كني
 بالموت واعظا» (٥). «وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فاذا قوم يتحدون ويضحكون، قال: اذكروا
 الموت أما والذي نفسي بيده لو تظنون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيتم كثيرا» (٦). «وذكر عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا التاء عليه، قال: كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد
 نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هناك» (٧) «وقال ابن عمر رضي الله عنهما «أثبت النبي صلى
 الله عليه وسلم حشر عشرة قال رجل من الأنصار من أكرس الناس وأكرم الناس يا رسول الله قال:
 أكرسهم ذكر الموت وأعدهم استداده لأولئك هم الأكرس ذهبوا جرف الدنيا وكرامة الآخرة» (٨)
 وأما الآثار: فقد قال الحسن رحمه الله تعالى فضع الموت الدنيا فلم يترك لدى لب فرح. وقال الربيع
 ابن خثيم ما غالب ينظره المؤمن خيرا له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي أحدوا سواي إلى رب سلا
 وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه: يا أخى احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تستحق فيها
 الموت فلا تجده. وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز
 يصيح كل ليلة الفقهاء فينادون الموت والقيامة والآخرة ثم يكون حتى كأن بين أيديهم جنازة. وقال
 إبراهيم النخعي شيئا قطعا عن لغة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل. وقال كعب

(١) حديث الموت كفارة لكل مسلم أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب والخطيب في التاريخ ومن
 حديث أنس قال ابن العري في سراج الريدن إنه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزي وقد جفت طرقة
 في جزء (٢) حديث عطاء الخراساني مر النبي صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استل الضحك فقال
 شربوا مجلسكم بذكر مكر اللذات الحديث ابن أبي الدنيا في الموت هكذا مرسل وروناه في أمالي
 الخلال من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث أنس أكثر ما من ذكر الموت فانه يمسي القلوب
 وزهد في الدنيا ابن أبي الدنيا في الموت بإسناده ضعيف جدا (٤) حديث كني بالموت مفرقا الحديث ابن أبي
 أسامة في مسنده من حديث أنس وعروة بن مالك بإسناده ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في البر الوصلة
 من رواية أبي عبد الرحمن الحبلي مرسل (٥) حديث كني بالموت واعظا الطبراني والبيهقي في الشعب
 من حديث عمار بن ياسر بإسناده ضعيف وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد
 (٦) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فاذا قوم يتحدون ويضحكون فقال
 اذكروا الموت الحديث ابن أبي الدنيا في الموت من حديث ابن عمر بإسناده ضعيف (٧) حديث ذكر
 عند رسول الله ﷺ رجل فاحسنوا التاء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت الحديث ابن أبي
 الدنيا في الموت من حديث أنس بإسناده ضعيف وابن المبارك في الزهد قال أنا مالك بن نمير قد كره
 بلافا زيادة فيه (٨) حديث ابن عمر أثبت النبي صلى الله عليه وسلم حشر عشرة قال رجل من
 الأنصار من أكرس الناس الحديث ابن ماجه مختصرا وابن أبي الدنيا بكامله بإسناده جيد.

والنفس مادامت لومة
 فتارة مغالبة وتارة
 غالبة والقبض والبسط
 باعتبار ذلك منها
 وصاحب القلب تحت
 حجاب نوراني لوجود
 قلبه كما أن صاحب
 النفس تحت حجاب
 ظاهري لوجود نفسه
 فاذا ارتقى من القلب
 وخرج من حجاب
 لاقيده الحال ولا
 يصرفه فيه فيخرج
 من تصرف القبض
 والبسط حيث لا
 يقبض ولا يبسط مادام
 متخلصا من الوجود
 النوراني الذي هو القلب
 ومتحققا بالقرب من
 غير حجاب النفس
 والقلب فاذا عاد إلى

من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهو مسمو . وقال مطرف رأيت فابري النائم كأنه قال يقول في وسط مسجد البصرة : قطع ذكر الموت قلوب الحائنين فوالله ما رام إلا والهمين . وقال أعمش كنا ندخل على الحسن فأنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت . وقالت سفير رضى الله تعالى عنها إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها قالت أكثرى ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها . وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما . وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تتخلع أوصاله فإذا ذكر الراحم رحبت إليه نفسه . وقال الحسن . ما رأيت قاطلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظمي قال ألسنت أول خليفة تموت قال زدني قال ليس من آياتك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فيك عمر لذلك . وكان الريح بن خنم قد حفر قبراً في داره فكان ينام فيه كل يوم مراراً يستدبر بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارقت ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لقد . وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نصص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نيا لأموت فيه . وقال عمر بن عبد العزيز لمنسبة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت شيق العيش وسعه عليك . وقال أبو سليمان الداراني قلت لأمر هرون : آهين للموت ؟ قالت لا ، قلت لم ؟ قالت لو عصيت آدميا ما اشتيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته (بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب)

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغضبه التمس عنه ثقة فسكرم فيود كرم وهو من يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه أن يفرغ القلب قبله عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة خطيرة أو يركب البحر فإنه لا يتسكّر إلا فيه فإذا بشر ذكر الموت قلبه غرغره أن يؤثريه وعند ذلك يقول فرحه وسروره بالدين . وينسكّر قلبه وأجمع طريق فيه أن يذكر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيندكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف حال التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاءهم في قبورهم وكيف أزيلوا من ألسانهم وأينما أولادهم وضيموا أموالهم وخلبت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فهما تذكر رجل رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وبؤسه . صورة وقد ذكر نشاطه وتبرده وقامه العيش والبقاء ونسيانه الموت وانخداعه بمواتة الأسباب وركوته إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللغو . وغفلته عما بين يديه من الموت الدريع والمهلك السريع وأنه كيف كان يتردد والآن قد تمتمت درجته ومفاصله وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك . وقرع صه النداء إما بالجنة أو بالنار فند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبتهم كعاقبتهم . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : إذا ذكر ربك الموت قد تسك كآدم . وقال ابن مسعود رضى الله عنه السيد بن وعظ بنيرة . وقال عمر بن عبد العزيز لا ترون أناسكم يجهزون كل يوم غداً أو ربما إلى الله عز وجل تضعونه في جعب من الأرض قد توبوا التراب وخلف الأحياء وقطع الأسباب فلاز منهذه الأفكار وإنما لمجامع دخول المقابر وبشاهدة المرص هو الذي يجد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه عند ذلك يوشك أن يستمد له ويتخلى عن دثار التور والافان كرتظار القلب وحذرة اللسان

الوجود من القناء والبقاء يسود إلى الوجود النوراني الذي هو القلب فيموت القلب والبسط إليه عند ذلك ومهما أغلقت إلى القناء والبقاء فلا قبض ولا بسط قال فارسي أول القبض ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لأن القبض والبسط يقع في الوجود فألم مع القناء والبقاء فلا ثم إن القبض قد يكون عقوبة الأفعال في البسط وذلك أن الوارد من الله تعالى يرد على القلب فيمتد القلب منه روحاً وروحاً واستبشاراً فتسترق النفس السبع عنه ذلك ويأخذ نصيبها فإذا وصل أثر الوارد

قليل الجدوى في التحذير والتنبية ومهما طاب قلبه بشئ من الدنيا يبقى أن يترك في الحال أنه لا بد له من مفارقتها ، نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسناتها ثم بكى وقال والله لو لا اللوت لكنت بك مسرورا ولو لا ما نصير إليه من شيق القبور لفررت بالدنيا أعيانا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارضع صوته .

(الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته)

(فضيلة قصر الأمل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر « إذا أصبحت فلا تحدث شكك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث شكك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن شكك لسمكك فانك يا عبد الله لا تدرى ما أصحك غدا » (١) وروى علي كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن أهدأ أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فإنه يسد عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ثم قال : إلا أن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويضن وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان إلا أن لله ابن أبناء والدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا إلا أن الدنيا قد أرحتكم مولية إلا أن الآخرة قد أرحتكم مقبلة ألا وإنكم في يوم حمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون في يوم حساب ليس فيه حمل » (٢) وقالت أم للنضر « اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية إلى الناس فقال : أيها الناس أمانتسون من الله قالوا وما ذلك يا رسول الله ؟ قال تجمعون ما لا تاكلون وتأكلون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون » (٣) وقال أبو سعيد الخدري « اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليلة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الأصحبون من أسامة للشرى إلى شهر إن أسامة أطول الأمل والذي قسى يده ما طرفت عيناه إلا ظننت أن عفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روصي ولارفت طرفي فلظننت أني وامنه حتى أقبض ولا تقم إلا ظننت أني لا أميتها حتى أقبض بها من اللوت ثم قال يا بني آدم إن كنتم متفولون فسدوا أقسكم من اللوق والذي قبض يده - إن ما يوهدون لآت وما لم يجهزين » (٤) ومن ابن عباس رضي الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهرق للآء فيتمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله إن للآء منك قريب فيقول ما يدري لعل لا أبلغه » (٥) وروى « أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فترز عودا

(الباب الثاني في طول الأمل)

(١) حديث قال لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تحدث شكك بالمساء الحديث ابن جبان ورواه البخاري من قول ابن عمر في آخر حديث كثر في الدنيا كأنك غريب (٢) حديث طي ابن أحمد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل الحديث بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل ورواه أيضا من حديث جابر بن شيوخه وكلامه ضيف (٣) حديث أم للنضر أيها الناس أمانتسون من الله تعالى قالوا وما ذلك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتأكلون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون الحديث ابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب إسناد ضيف وقد فهم (٤) حديث أبي سعيد اشترى ابن زيد من زيد بن ثابت وليلة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الأصحبون من أسامة الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والطبراني في مسند الشاميين وأبو عيسى في الخلية والبيهقي في الشعب بسند ضيف (٥) حديث ابن عباس كان يخرج يهرق للآء فيتمسح بالتراب فأقول للآء منك قريب فيقول ما يدري لعل لا أبلغه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل وابن المبارك بسند ضيف .

إلى النفس شئت بطمها
وأفرطت في البسط
حتى تشاكل البسط
نشاطا فتقابل القبح
عقوبة وكل القبح
إذا قضى لا يكون إلا
من جرعة النفس
وظهورها بصفها ولو
تأديت النفس وعدلت
ولم تخر بالظلمان تارة
والصبيان أخرى
ما وجد صاحب القلب
التيقن وما دام روحه
وأسسه ورعاية
الاعتدال الذي يسد
باب القبح متلقى من
قوله تعالى - لكيلا
تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما
آتاكم - فوارد الفرح
ما دام موقوفا على
الروح والقلب لا يكف

بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الثالث فأبده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله وسو له أعلم قال هذا
الإنسان وهذا الأجل وذلك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويغلبه الأجل دون الأمل ^(١) وقال عليه السلام
«مثل ابن آدم وإلى جنبه سبع وتسعون مئة إن أخطأته الناياء وقع في الحرم ^(٢)» قال ابن مسعود هذا
الحرم وهذه الختوف حوله عوارج إليه والحرم وراء الختوف والأمل وراء الحرم فهو يؤمل وهذه
الختوف عوارج إليه فأبها أمر به أحسنه فإن أخطأته الختوف قتله الحرم وهو ينتظر الأمل قال
عبد الله «خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا إلى جنب
الخط وخط خطا خارجا وقالوا تدرون ما هذا قلنا الله وسو له أعلم قال هذا الإنسان الخط الذي في الوسط
وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض هي خطوط التي حوله تهش إن أخطأته هذا تهش هذا وذاك الأمل
يبنى الخط الخارج ^(٣)» وقال أنس «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي ابن آدم ويقتى معه اثنتان
الحرس والأمل ^(٤)» وفي رواية وثقت به اثنتان الحرس على المال والحرس على العمر وقال رسول
الله ﷺ «يأكل أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل ^(٥)» وقبل بيننا
عيسى عليه السلام جالس وعيسى يعمل بمسحاة يشير بها الأرض قال عيسى اللهم أنزع منه الأمل فوضع
الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة قال عيسى اللهم اردد إليه الأمل فقام فعمل يعمل لسأله عيسى
من ذلك قال بينا أنا عمل إذ قالت لي قسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت
ثم قالت لي قسي والله لا يدلك من عيسى ما بقيت فمضت إلى مسحاة وقال الحسن قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «كلكم يجب أن يدخل الجنة أو انه يارسل الله قال قصر وامن الأمل وئيتوا آجالكم
بين أيسارك واستحيوا من الله حق الحياء ^(٦)» «وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : اللهم إني
أعوذ بك من دنيا تنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تنع خير للمات وأعوذ بك من أمل يمنع
خير العمل ^(٧)» الآثار : قال مطرف بن عبد الله لوعلى متى أجلى لحشيتي على لهاب عقلي ولكن
الله تعالى من على عباده بالشفقة عن الموت ولولا الثقة ما تنهتوا ببغى وأقامت بينهم الأسواق. وقال
الحسن السبوي والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما شئ المسلمون في الطرق. وقال الثوري
يلتني أن الإنسان خلق أحق ولولا ذلك لم يهتأ العيش. وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن إنما

ولا يستوجب صاحبه
القبض سببا إذا لطف
بالفرح بالوارد بالأبواء
إلى الله وإذا لم ينحس
بالأبواء إلى الله تعالى
تملكت النفس وأخذت
عظما من الفرح وهو
الفرح بما آتاه المنوع
منه فمن ذلك القبض
في بعض الأحيان
وهذا من اللطف
الذنوب الموجبة للقبض
وفي النفس من حركاتها
وصفاتها وبنيات متعددة
موجبة للقبض ثم
الختوف والرجاء
لا يسميها صاحب
القبض والبسط ولا
صاحب الأسى والحمية
لأنهما من ضرورية
الآيمان فلا يضمنان
وأما القبض والبسط

(١) حديث أنه أخذ ثلاثة أعواد ففرز جودا بين يديه الحديث أحمد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل
واللفظ له الزاهر مزي في الأمثال من رواية أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري وإسناده
حسن ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا أيضا من رواية أبي المتوكل مرسل (٢) حديث
مثل ابن آدم وإلى جنبه سبع وتسعون مئة الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن الشيخير وقال
حسن (٣) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا
الحديث رواه البخاري (٤) حديث أنس يرمي ابن آدم ويقتى معه اثنتان الحرس والأمل وفي رواية
ويشبهه لثتان الحرس على المال والحرس على العمر ورواه مسلم بلفظ الثاني وابن أبي الدنيا في
قصر الأمل باللفظ الأول بإسناد صحيح (٥) حديث نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد وهلك آخر هذه
الأمة بالبخل والأمل ابن أبي الدنيا فيه من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
(٦) حديث الحسن أكلكم يجب أن يدخل الجنة قالوا نعم يارسل الله قال قصر وامن الأمل الحديث
ابن أبي الدنيا فيه هكذا من حديث الحسن مرسل (٧) حديث كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه اللهم إني
أعوذ بك من أمل يمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير للمات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل
ابن أبي الدنيا فيه من رواية حوشب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي إسناده ضعف وجاهل ولا أدري من حوشب.

عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها . وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ثلاث أعجبتني حتى أضحتني مؤملا
الدنيا ولوت يطبله وغافل وليس يفطن عنه وصاحك مله فيه ولا يدري أما خاطرب العالمين عليه
أم راض وثلاث أحزنتني حتى أبكتني فراق الأحبة عهد وحزبه وهول الطلوع والوقوف بين يدي الله
ولا أدري إلى الجنة يؤمرني أو إلى النار . وقال بعضهم رأيت زلزلة من أبي أوفى بدموت في المنام
قلت أي الأعمال أبلغ عنكم قال التوكل وقصر الأمل . وقال التوري الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس
بأكل التلطيظ ولا لبس النباعة وسأل الفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الأمل فذهبت عنه شهوة الطعام
والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الأمل فرجع إلى الطعام والشراب . وقيل للحسن بن أبي سعيد ألا تتسل
قديك فقال الأمر أبجل من ذلك . وقال الحسن اللوث مقود بنو اميكم والدنيا تطوى من وراءكم
وقال بعضهم أنا كرجل ماد عنقه والسيوف عليه ينتظر متى تضرب عنقه . وقال داود الطائي لو أملت
أن أعيش شهرا لأرغيت قد أتيت عظميا وكيف أوئلت ذلك وأرى الفجائع تضي الخلائق في ساعات الليل
والنهار . وحكى أنه جاء شقيق البلخي إلى أستاذه يقال له أبو هاشم الرمانى في طرق كراهة شيء بمصرور
فقال له أستاذه إيش هذا معك فقال لوزات دفعا إلى أعلى وقال أحب أن تظفر عليا فقال يا شقيق
وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل لا تنكك أبدا قال غافقي في وجهي الباب ودخل . وقال عمر
ابن عبد العزيز في خطبته إن لكل سفر زادا لا يحاله فيزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التي توى
وكونوا كمن جاب ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطلون عليكم الأمد فتفسد قلوبكم
وتتقادوا لعدوكم فاته والله ما يسط أمل من لا يدري له لا يصبح يدم مساهلا يسمى يدم صاحب حور بما
كانت بين ذلك خطافات الناياء وكما رأيت ورأيت من كان بالدنيا مقفرا وإنما تفر عين من وثق بالنباعة
من عذاب الله تعالى وإنما يفرح من أمن أهوال القيامة فأما من لا يدأوى كلما إلا أصابه جرح من
ناحية أخرى فكيف يفرح أعود بالله من أن أمرك بما لا تهوى عنه حتى تقتصر صفقت وتظهر
عيبك وتبدو مسكنك في يوم يبدو فيه النقي والفقر واللوازين فيه منصوبة لقد عنيتم بأمر وعنيتم به
النجوم لانكسرت ولو عنيتم به الجبال لاديات ولو عنيتم به الأرض لتشققت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة
والنار منزلة وأنكم صائرون إلى إحداها وكتب رجل إلى أخيه له أما يبدفان الدنيا نالها والآخرة شقة
وللتوسط بينهما للوث ونحن في أضناث أحلام والسلام وكتب آخر إلى أخيه له إن الحزن على الدنيا طويل
وللوث من الإنسان قريب ولانقص في كل يوم منه نصيب وليلاء في جسمه يديب فإد قول أن تتدأى
بالرجل والسلام . وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل أن يخطى بأمله خلف ظهره وأجله بين عينيه
فما أصاب الخليفة حول فجعل أمله بين عينيه وأجله خلف ظهره . وقال جده الله بن حبيب صممت أن يقول
أيها للقر بطول صمته أما رأيت ميتا قط من غير مقامها للقر بطول الله ما رأيت مأخوذا فطعن من غير
عدة إنك لو فكرت في طول عمرك لتسيت ما قد تهم من لداك أبالصحة تترون . أم بطول العافية
تمرحون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترون إن ملك الموت إذا جاء لا يمنعه منك رثوة عاك
ولا كثرة احتشاك أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغمص وندامة على التريط ثم خال الدم
الله عبدا حمل ما بعد الموت رحم الله عبدا نظر نفسه قبله تزول الموت ، وقال أبو بكر بن أبي التيمي بينا
سلمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتى بحجر مقود فطلب من يقرؤه فأتى يوهب من منبه فاذا
فيه ابن آدم إنك لو رأيت قرب ما جني من أجلك لرحمت في طول أملك ولوعبت في الزيادة من عمالك
ولتصرت من حركك وجعلك وإنما يقال غدا ندمك لو قد نلت بك نفسك وأسلكت أهلك وحنك
وقارتك الوالد والقريب ورضك الولد والتسبب فلا أنت إلى دنياك والى دنياك ولا إلى حسناك ولا إلى قبحك

فيندمان عند صاحب
الإيمان نقصان الحظ
من القلب وعند صاحب
الفناء والبقاء والقرب
لتخلصه من القلب
وقد ورد على الباطن
قبض وبسط ولا
يعرف سيديما ولا
يغنى سبب القبض
والبسط إلا على قليل
الحظ من العلم الذي
لم يحكم علم الحال ولا
علم المقام . ومن أحكم
علم الحال والمقام لا يغنى
عليه سبب القبض
والبسط وربما يشته
عليه سبب القبض
والبسط كما يشته عليه
الهم بالقبض والنشاط
والبسط وإنما علم
ذلك لمن استقام قلبه
ومن عدم القبض
والبسط وارتضى منهما

ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فيكسر سليمان بكاء شديدا وقال بضمها رأيت كتابا من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فإني أخذ الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني أحذرك متخولاك من دار مهلكك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك فتصير في قرار باطن الأرض بمنظأها رها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك ويشرانك فإن يكن الله منك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقوت وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله وإياك من سوء مضرع وضيق مضجع ثم تبليخك صحيفة الحشر وتضع الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها فإتاحت الأسرار وأسعرت النار ووضعت اللوازم وجيء بالبين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مقتضع ومستور وكم من هالك وناج وكم من مغلوب ومرحوم فيألتب شمرى ماحلى وحالك يومئذ في هذا ما هدم اللذات وأسلم عن الشهوات وقصر عن الأمل وبأقطا النعيم وحذر الغافلين أمانا لئلا يواكب على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبه وقلبه موقه من قلوب التقيين قائما عن بؤله والسلام . وخطب عمر بن عبد العزيز لعهد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا حتى وإن لكم مغادا يجمعكم الله فيه للحكم والنص في ما بينكم غلاب وشقي غدا عيدا أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجته التي عرضها السموات والأرض وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف وأثنى وبلغ قليلا بكثير وقائيا ياتي وشقوة بسمادة الآتروا إنكم في أسلاب الهالكين وسيختلف بدمكم الباقون الآتروا إنكم في كل يوم تضيئون غايدا ويرى إلى الله عز وجل قد قضى غيبوا قطع أمه قضونه في بطن صدم من الأرض غير موسى ولا محمد قد قطع الأسباب وفارق الأجباب وواجه الحساب وإيم الله إني لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من تقى ولكنك سئيت من الله عالة أمر فيها بطاعته وأتبع فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كفه على وجهه وجعل يديه حتى يلت دموعه لحيت وما جاد إلى جلسته حتى مات وقال القطيع بن حكيم قد استمددت الموت منذ ثلاثين سنة فإني ما أحببت تأخير شيء من شيء وقال التوزي رأيت شيئا في مسجد الكوفة يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن يزل بي ولو أنا في ما أمرت به شيء ولايته من شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء وقال عبد الله بن فضالة تضحك لولم أكن ذاك فخرجت من عند القصار ، وقال أبو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج قهباد الطائي فالتفت فقدم ناحية وهي تدعى جفت فقلت قريبا منه فسلم قال : من خلف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمه ضحك عنه وكل ما هو آت قريب . واعلم يا أخي أن كل شيء يشكك عن ربك فهو عليك مشوم واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إما ينعمون على ما خلقتهم وغر حون ما يخدمون لما ندبهم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يفتنون . وروى أن معروفا الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبي توبة قال قلت تقدمت قلت إني إن سليت بك حنة الضلالة لم أصلي بك غيرها قال معروفا وأنت تحدث نفسك أن تعلى صلاة أخرى ثموة بالله من طول الأمل فانه غش من خير الصلوات وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته إن الدنيا ليست بدار قرار كم دار كسبت الله عليها القناء وكتب علي أهلها الظعن عنها فكم من حاسر موقف عما قليل يخر بكم من مخيف مقبض عما قليل يطفئ فأحسنتوا رحمكم الله منها الرحمة بأحسن ما حضركم من الفتنة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى وإما إلهيا كفى غلالا قلبي قلبي بينا ابن آدم في الدنيا ينافي وهو قمر الزمان إلا دعا الله بقلته ورماء يوم حنة قلبه آثاره وديناه وصير قوم آخر من مصائبهم ومغنا إن الدنيا لا تستحق أن يشرها فلا تشر فلا تشر فلا تشر . وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

ففسد مطهشة
لا تفسد من جوهرها
نار توجب القبض ولا
يتألم بحر طبعها من
أهوية الهوى حتى
يظهر منه البسطور بما
صار مثل هذا القبض
والبسط في نفسه لأم
نفسه فتكون نفسه
المطهشة بطبع القلب
فيجبرى القبض
والبسط في نفسه
للمطهشة وما قلبه قبض
ولا بسط لأن القلب
متصنن بشعاع نور
الروح مستقر في دعة
القرب فلا قبض ولا
بسط (ومنها القناء
والبقاء) قد قيل
القاء أن يفي عن
الخطوط فلا يكون له
في شيء حظ بل يفي

أنه كان يقول في خطبته أين الوضاعة الحسنة وجوهمه العجيبون يشابهون أين للولاء الذين بنوا للدائن وحسنوها بالخيطان أين الذين كانوا يملكون القلبة في مواطن الحرب قد تضعف بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوخا والوحاشم النجا الدنيا .

(بيان السبب في طول الأمل وعلاجه)

اعلم أن طول الأمل له سببان : أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو إذا أنس بها وبشواتها ولذاتها وعلاهاها أهل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الصكر في اللوت الذي هو سبب مغفقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالأمانى الباطلة فيمن نفسه أبدأ بما يوافق مراده وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهم ويقدره في نفسه ويقرر توابيع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيقصر قلبه كما على هذا الصكر موقوفاً عليه فيلهو عن ذكر اللوت فلا يشعر قرب به فإن خطر له في بعض الأحوال الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوف ووعده نفسه وقال الأمل بين يديك إلى أن تكبرتم تتوب وإذا كبر فيقول إلى أن تصرعينا فإذا صار شيخاً قال إلى أن تضرع من بناء هذه الدار ومصارعة هذه الشبهة أو ترجع من هذه السفرة أو تخرج من تدبير هذا الولد وجهانه وتدبير مسكن له أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشتبك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يغوص في فعل إلا يرتبط بأعمال ذلك الشغل عشرة أشغال أخرى وهكذا على التدرج يؤخر يوماً بعد يوم ويقضى به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن غشقه لثية في وقت لا تحسبه فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف يقولون وأحرنا من سوف والسوف المسكين لا يدري أن الذي يدعو إلى التسوف اليوم هو بعه غداً أو بما زاد بطول اللذة قوة وروسخا ويظن أنه يتصور أن يكون الخائف في الدنيا والحافظ لما فرغ تطوهمات فليفرغ منها إلا من أطرحها :

فأقصى أحد منها لباته ومالتهى أرب إلا إلى أرب

وأصل هذه الأمانى كلها حب الدنيا والأنس بها والتفقه عن معنى قوله **ع** «أحب من أحببت فانك مفارقة **ع**» . وأما الجهل فهو أن الانسان قد يعود على شيا به فيستبعد الموت مع الشباب وليس يشكر للسكين أن مشايخ بله لودعوا لكانوا أقل من عشر رجال البهوا عما قالوا أن الموت في الشباب أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألب صبي وعاب وقد يستبعد الموت لصبته ويستبعد الموت فجاءت ولا يدري أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيداً فالارض فجأة غير بعيد وكل مرض فاجأ فجأة وإذا مرض لم يكن الموت بعيداً ولو تفكر هذا الشاغل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف ورياح من ليونتهما لمعلم استعماروا غفلت بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل إلى التفقه عن تهمير الموت القريب فهو أبداً يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر زوجه بموقعه فهو أبداً يظن أنه يشيع الجنائز ولا يقدر أن تتسبح جنازته لأن هذا قد تكرر عليه وآله وهو مشاهدة موت غيره فقامت نفسه فلم يأنه ولم يتصور أن يأنه فأنه لم يقع وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الأول وهو الآخر وبسببه أن يفتن نفسه بغيره ويعلم أنه لا بد وأن يحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل الذين ينطى به لحمة قد ضرب وقرع منه وهو لا يدري قسوة جهل محض ، وإذا عرفت أن سبب الجهل وحب الدنيا فلا حجة فيه سببه أما الجهل فيدفع بالتفكير الصافي من القلب الحاضر وبسبب الحكمة

عن الأبناء كملها
عخلا بمن في فيه
وقد قال طاهر بن
عبد الله لا بألى
امرأة رأيت أنما حائطا
ويكون عفوفاً فيما
له عليه مصروفاً
عن جميع الخالقات
والبقاء يقبه وهو
أن يفر عما له ويقب
بما له تعالى . وقيل
الباقى أن نصير
الأبناء كلها له شيئاً
واحد فيكون كل
حركته في موافقة
الحق دون مخالفة
نفسه فأنما عن
الخالفات باقياً في
المواقفات . وعندى
أن هذا الذي ذكره
هذا القائل هو

(١) حديث أصيب من أحبه فانك مفارقة الحديث بخدم غير مرته

الباقية من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج في إخراجها من القلب شديد وهو الداء العصال الذي أنيا الأولين والآخرين علاجه ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الحطير هو الذي يعو عن القلب حب الحقير فإذا رأى حقارة الدنيا وقامة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطى ملك الأرض من الشرق إلى الغرب وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منصف فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب حبها مع الإيمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقدير اللوت في القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران والأشكال وأنهم كيف جاءم اللوت في وقت لم يحسبوا أماناً كان مستعداً قد فاز فوزاً عظيماً وأماناً كان مغروباً بطول الأمل قد خسر خسراً مينا فلينظر الإنسان كل ساعة في أطرانه وأعضائه وليندبر أنها كيف تأكلها الديدان لاحاله وكيف تفتت عظامها وليتذكر أن الدود يبدأ بحديثه النبي أولاً واليسرى لها على بدنه شيء إلا وهو قطعة الدود وماله من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتذكر فيها سنوره من عذاب القيرو سؤال المنكر ونكير ومن الحشر والنشر وأحوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر فأمثال هذه الأنكار هي التي تجدد ذكر اللوت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له .

(بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره)

اعلم أن الناس في ذلك يتفاوتون ففهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك أبدأ الله تعالى بيوم أحدكم لو يمر ألف سنة - ومنهم من يأمل البقاء إلى المهرم وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حباً شديداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الشيخ ذاب في حب طلب الدنيا وإن التفت ترقوته من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل مأم» (١) ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجوداً في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف لشتاء وفي الشتاء للصيف فإذا جمع ما يكتفيه لسته اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمه إلى يوم وليلة فلا يستعد إلا للتهارة وأما لندف فلا قال عيسى عليه السلام : لا تهتموا برزق غد فإن يكن غد من آجالكم فستأني فيه أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز أمه ساعة كما قال نبينا ﷺ «يا عبد الله إذا أصبحت فلا تعثرت فكل بالمساء وإذا أمسيت فلا تعثرت فكل بالصباح» ومنهم من لا يقدر البقاء أيضاً ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعل لأبلغه ومنهم من يكون اللوت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الإنسان هو الذي يسلى صلاة موعده وفيه ورد ما قل عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه قال ما خلوت خطوة إلا ظننت أني لأبسيها أخرى (٢) وكما قل عن الأسود وهو حبشي أنه كان يسلى ليلاً ويلتفت بعينه وشمالاً قال له قال ما هذا قال أنظر ملك اللوت من أي جهة يأتي فيضنه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من

مقام صحة التوبة
التسويح وليس نين
الفناء والبقاء في شيء
ومن الإشارة إلى الفناء
ما روي عن عبد الله
ابن عمر أنه سلم عليه
إنسان وهو في الطواف
فلم يرد عليه ففكاه
إلى بعض أصحابه فقالا
له كنا نراي الله في
ذلك المكان . وقيل :
الفناء هو الصية عن
الأشياء كما كان فناء
موسى حين رأى ربه
الليل . وقال الحرّاز :
الفناء هو التلاشي
بالحق والبقاء هو
الحضور مع الحق .
وقال الجنيد : الفناء
استجماع الكل عن
أوصافك واشتغال
الكل منك بكنيته .

(١) حديث الشيخ شاذي في حب الدنيا وإن التفت ترقوته من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل مأم لم أجده بهذا اللفظ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قلب الشيخ شاذي في حب اثنتين طول الحياة وحب المال (٢) حديث سؤاله لماذا عن حقيقة إيمانه قال ما خلوت خطوة إلا ظننت أني لأبسيها أخرى أبو نعيم في الحلية من حديث أبي نعيم وهو ضعيف .

أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فإن الله لا يقلم بمقال ذرة - ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - ثم يظهر أثر قصر الأمل في البادرة إلى العمل وكل إنسان يدعى أنه تصير الأمل وهو كاذب وإنما يظهر ذلك بأعماله فانه يفتنى بأسباب وربما لا يحتاج إليها في سنة فيقل ذلك على طول أمله وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا ينفل عنه ساعة فليس بعد الموت الذي يرد عليه في الوقت فإن عاش إلى الساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف منه إلى الصباح وهكذا إذا أصبح ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه قتل هذا إذا مات سعد وغتم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة للناجاة فالوقت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على يالك يامسكين فإن السرحان بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قارب التزلز وقطعت المسافة ولا تكون كذلك إلا ببادرة العمل اغتناما لسكل نفس أمهلت فيه .

(بيان البادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير)

اعلم أن من له أخوان غائبان وينتظر قدوم أحدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بمدة شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أو سنة وإنما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فلا استعداد نتيجة قرب الال انتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اغتسل قلبه بالماء ونسى ما وراء الله ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكاملها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك عنده من مبادرة العمل أبدا فانه أبدا يرى نفسه مستعيا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال **عليه السلام** « ما ينظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطعيا أو قنار مناسيا أو مرضا مقصدا أو هراما مقيدا أو موتا محجزا أو ألدجالا فالجال شر فابتنظر أو الساعة أدهى وأمر **(١)** » وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يسقه « اغتشم خبثا قبل خمس شبائك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفرحك قبل شغلك وحياتك قبل موتك **(٢)** » وقال صلى الله عليه وسلم « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ **(٣)** » أي ألا يتنهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم « من أتى أديج ومن أديج بلغ التزلز ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة **(٤)** » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الرابضة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه **(٥)** » « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أستمك المنية رانية لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة **(٦)** » وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا النذير والموت المخير والساعة الوعد **(٧)** »

(١) حديث ما ينظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطعيا أو قنار مناسيا الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ هل ينتظرون إلا غناء الحديث وقال حسن ورواه ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بلفظ للصنف وفيه من لم يسم **(٢)** حديث ابن عباس اغتشم خبثا قبل خمس شبائك قبل هرمك الحديث ابن أبي الدنيا فيه بإسناد حسن ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأزدي مرسل **(٣)** حديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ الحديث البخاري من حديث ابن عباس وقد تقدم **(٤)** حديث من خاف أديج ومن أديج بلغ التزلز الحديث من حديث أبي هريرة وقال حسن **(٥)** حديث جاءت الرابضة تتبعها الرادفة الحديث الترمذي وحسنه من حديث أبي بن كعب **(٦)** حديث كان إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أستمك المنية الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث زيد السلمي مرسل **(٧)** حديث أبي هريرة أنا النذير والموت المخير والساعة الوعد ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وأبو القاسم البغوي بإسناد فيه لين .

وقال إبراهيم بن
شيبان علم القناء
والبقاء يدور على
إخلاص الوجدانية
وصحة العبودية وما
كان غير هذا
فهو من المغالط
والزندق . وسئل
الحراز ما علامة
الفاني ؟ قال علامة من
أدعى القناء ذهب
حظه من الدنيا
والآخرة إلا من الله
تعالى . وقال أبو سعيد
الحراز : أهل القناء
في القناء سحيم أن
يصحهم علم البقاء
وأهل البقاء في البقاء
سحيم أن يصحهم
علم القناء .

واعلم أن أقاويل
الشيوخ في القناء

وقال ابن عمر «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السف قال ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه (١) وقال صلى الله عليه وسلم «مثل الدنيا كمثل ثوب بشق من أوله إلى آخره ففيه متعلق خيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن يتقطع (٢) وقال جابر «كان رسول الله ﷺ إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صحبتكم ومصيبتكم بنت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه (٣) وقال ابن مسعود رضي الله عنه «تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - فقال إن النور إذا دخل الصدر اتسع قليل يا رسول الله هل ذلك من علامة تعرف قال نعم التحافي عن دار القبر والالتفات إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله (٤) . وقال السدي - الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا - أي أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن له ابتعادا وأجده منه خوفا وحذرا وقال حنيفة مامن صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي أيها الناس الرجل الرجل وتصديق ذلك قوله تعالى - إياي أحدى الكبر نذرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر في الموت وقال سبحانه مولى بن عبد الله جئت إلى عامر بن عبد الله وهو يصلي فأوجز في صلاته ثم أقبل عليّ فقال أرخصي عما جئت فإني أأدر قلت وما تبادر قال بلك الموت رحمت الله قال قممت عنه وقام إلى صلاته ومردودا الطائي فسأله رجل عن حديث قال دعني إنما أأدر خروج نبي قال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير إلا في أعمال الخير للأخرة ، وقال للذر صمت مالك بن دينار يقول لنفسه وعلمك بادري قبل أن يأتيك الأمر وعلمك بادري قبل أن يأتيك الأمر حتى كرر ذلك ستين مرة أحسنه ولا يراني . وكان الحسن يقول في موعظته للبادرة للبادرة فاقما هي الأنفاس لو حست انحطت عنكم أعمالكم التي تتشربون بها إلى الله عز وجل رحم الله امرأ نظر إلى نفسه ويحك على عدد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية - إنما نعد لهم عذابا - يعني الأنفاس آخر العدد بخروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد خوفا في قبرك واجتهد بوموسى الأشعري قبل موته اجتهدا شديدا قليله لو أمسكت أو رقت بنفسك بعض الرفق فقال إن الخليل إذا أرسلت تقارب رأس جبراهة أخرجت جميع ما عندها والذي بي من أجل أنل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات ، وكان يقول لأمرائه شدى رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الحكماء على منزه: عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكوونا قوما صريح بهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد أطلقكم ورحلوا قد جد بكم وإن غاية تنقصها البهجة وتهجمها الساعة لجديرة بقصر للذة وإن غايها نجد به الجديدان الليل والنهار لحرق بسرعة الأوبة وإن قادما يحمل بالفوز أو الشوق لتستعق لأفضل العدة فالقني عند ربه من ناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به عينه التوبة ليسوقها ويزين إليه النصية ليرتكبها حتى تهجم ميتته عليه أغفل ما يكون عنها وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا اللوت أن ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة

والبقاء كثيرة في بعضها
إشارة إلى فناء الخلق
وبقاء اللواتق وهذا
تخصيص التوبة النصوح
فهو ثابت بوصف التوبة
وبعضها يشير إلى
زوال الغضب والحرس
والأمل وهذا يقتضيه
الزهد وبعضها إشارة
إلى فناء الأوصاف
للذمومة وبقاء
الأوصاف الحمودة
وهذا يقتضيه تركية
النفس وبعضها إشارة
إلى حقيقة الفناء
للاطلاق وكل هذه
الإشارات فيها معنى
الفناء من وجه وليكن
الفناء للطلاق هــ
ما يستولى من أمر الحق
سحانه وماله على
الصيد فقلب كون

(١) حديث ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السف قال ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه ابن أبي الدنيا في عبادنا حسن ولتزمى نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه (٧) حديث مثل الدنيا مثل ثوب بشق من أوله إلى آخره الحديث ابن أبي الدنيا في من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث جابر كان إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه الحديث مسلم وابن أبي الدنيا في قصر الأمل والفقهاء (٤) حديث ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - فقال إن النور إذا دخل القلب اتسع الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والحال في المستور وقد حتم .

أن يكون عمره عليه حجة وأن ترديه أيامه إلى شقوة جعلنا الله وإياكم بمن لا يبطره لعدم لا تقصربه
عن طاعة الله مجيبة ولا يخل به بعد الموت حسرة إنه صيغ الدعاء بأنه يبدء الخير دائماً فقال لما يشاء وقال
بعض المفسرين في قوله تعالى - فنتنم أتعسكم - قال بالشهوات والذات وتربصتم - قال بالتوب بعد وارتبتم -
قال شككم - حتى جاء أمر الله - قال الموت - وغيركم بالله الفرور - قال الشيطان - وقال الحسين
تصبروا وتشددوا فأما هي أيام قلائل وإما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب
ولا يلتفت فانتقلوا بصلح ما يحضركم وقال ابن مسعود ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله
عارية والضيف من رحل والعارية مؤداة وقال أبو عبيدة الباجي : دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات
فيه فقال مرحبا بكم وأهلاً بكم الله بالسلام وأهلاً بكم دار اللقاه هذه عناية حسنة إن صبرتم
وصدقتم واتقبرتم فلا يكن حظكم من هذا الخير رحمكم الله أن تسموه بهذه الأذن وتخرجوا من هذه
الأذن فإن من رأى محمداً صلى الله عليه وسلم فقد رآه عادياً ورأى محمداً يرضع لبنه على لبنوة لا تصب على قضية
ولكن رفع له علم فشمع إليه الوحا الوحا النجا النجا بعلاء تخرجون أئمتهم ورب السكينة كأكسكم والأمر
مما رحم الله عبداً جعل النبي عيشاً واحداً فأكل كسرة وليس خلقاً فرق الأرض واجتمع في العبادة
وبكى على الحظيفة وهرب من العقوبة وتابنى الرحمة حتى يأتيه أجله هو على ذلك (١) وقال ماضم الأحوال
قال لي فضيل الرقاشي وأنا سائله بإهدا لا يشفلك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر خلص إليك
دونهم ولا تقل أذهب ههنا وههنا فيقطع عنك النار في لاشئ فإن الأمر محفوظ عليك ولم ترحبنا
قط أحسن طلباً ولا أسرع إصراراً من حسنة حديثة لادبت قديم .

(الباب الثالث في سكرات الموت وهدته وما يستحق من الأحوال عند)

اعلم أنه لو لم يكن بين يدى العبد السكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمنزلة هالكان
جديراً بأن يتغنص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويغارقة سنوه وظلته وحقيقاً بأن يطول فيه
فكره ويعظم له استعداده لاسياً وهو في كل نفس يصنعه كما قال بعض الحكماء كرب يبدى الإنسان
مضى يشاك . وقال لقمان لابنه يا بني أمر لا تدرى متى يلقاك استبد له قبل أن يفجأك والعجب أن
الإنسان لو كان في أعظم الذلات وأطيب العالين الهو فانتظر أن يدخل عليه جندي فيقتربه حتى
خفيته لتكدرت عليه ثمته وفقدت عليه عيشه وهو في كل نفس يصنعه أن يدخل عليه ملك الموت
بسكرات التزع وهو عنه غافل لما لحذا سبب الإلجاء والفرور . واعلم أن هذه الألف في سكرات
الموت لا يبرئنا بالحقيقة إلا من ذاتها ومن لم يدققها فأما يعرفها إما بالقناس إلى الآلام التي أقر كراولما
بالاستدلال بأحوال الناس في التزع على حدة ماضم فيه فأما القناس الذي يشهد له فهو أن كل عضو
لأرواح فيه فلا يحسن بالألم فإذا كان فيه الروح فالتدرك للألم هو الروح فيها أصاب الموضع جرح
أو خرق سوى الألف إلى الروح فيقدر ما يبرى إلى الروح يتألم وللؤلؤ شروق على العجز والنمو وسائر
الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بسبب الألم فإن كان في الآلام ما يباشر تفتت الروح ولا يلاق غيره فمما أعظم
ذلك الألم وما بعده . والتزع عبارة عن مؤلم ترك نفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق
جزء من أجزاء الروح المنتشر في أوصاف البدن إلا وقد حصل به الألم فهو أجا به شوكة فالألم الذي
يحدث إنما يجري في جزء من الروح يلاق ذلك الموضع الذي أصابه الشوكة وإنما ينظم أثر
الاجترار لأن أجزاء النار تنص في سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المختبر ظاهراً

(١) حديث أبي عبيدة الباجي : دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم والحدث
إن أن الدنيا في قصر الأمل وابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحظيفة من هذا القريب .

الحق سبحانه وتعالى
على كون القياد وهو
يقسم إلى فتاة طاهر
وفتاة باطن فأما الفتاة
الظاهرة فتعز أن
يخرج الحق سبحانه
وتعالى بطريق الأنفال
ويستل عن القسمة
اختياره وإرادته فلا
يرى نفسه ولا غيره
فصلاً إلا بالحق ثم
بأجتهل في الماشية
مع الله تعالى عيشه
حتى حسنت أن يفتن
من أفتن في ههنا
المقام عن الفتاة كانت
يقين أفتان لا يفتان
الطعام والشراب حتى
يخبروه في فتنة
الحق فتنة ويحس
الله تعالى له من

وإما لا توصيه النار فتحصه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم . وأما الجراحات فإما تصيب للوضع الذي منه الحديدي . قط فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فألم الزرع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فانه للزروع المجهذب من كل عرق من العروق وعصبين الأعصاب ويجزء من الأجزاء ويصل من اللقائل ومن أصل كل شجرة وبشرة من الفرق إلى القدم فلا تسأل عن كربه والله حتى قالوا إن اللوت لأحد من ضرب بالسيف ونشر بالناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان للتناول المباشر نفس الروح وإنما يستثبت للضروب ويصح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وإنما انقطع صوت اللوت وصياحه مع هذه أنه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاد على قلبه وبلغ كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جراحة فلم يترك له قوة الاستغاثة . أما العقل قد غشي وهو وه أما اللسان قد أكله وأما الأطراف قد ضغها ويؤذ لو قدر على الاستراحة بالأعين والصباح . والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند تزع الروح وجذبها خوارجا وفرغرة من حلقة وصدره . وقد قيل لو نه واربذ حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته وقد جلب منه كل عرق على حياله فألم منتشر في داخله وخارجيه حتى ترزع الحدقتان إلى أعالي أفجانه وتقلص الشفتان وينقلص اللسان إلى أصله وترضع الأنياب إلى أعالي موضعها وتضجر أنامله فلا تلتصق عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجهذب عرقا واحدا لكان الله عظيما فكيف والمجهذب نفس الروح للثأل من عرق واحد بل من جميع اللزوق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا تدريجا ولا قدماء ثم يغذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحاقوم فتند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويطلق حوته باب التوبة ويهيئ له الحسرة والندامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تقبل توبة العبد ما لم يفرغ » وقال مجاهد في قوله تعالى - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم اللوت قال إني تبت الآن - قال إذا عاين الرسل فتند ذلك بدوله صنعته وجعلك اللوت فلا تسأل من طعم حمولة اللوت وكرهه عند ردف سكراته وذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم هو ن على محمد سكرات اللوت » والناس إنما لا يستغيثون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من اللوت حتى قال عيسى عليه السلام يا مشركي الخواريين ادعوا الله تعالى أن يكون على هذه السكرة يعني اللوت قد خفت اللوت عتاة أو اتقى خوفا من اللوت على اللوت . وروى أن غرام بن يئاسراييل سمى بأعيرة فقال بعضهم لبعض لودعوا الله تعالى أن يخرج لكم من هذه القبرة ميتا تسألونه فدعوا الله تعالى فأذاهم ببرجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما أردتم مني لقد دفت اللوت منذ خمسين سنة ما كنت مرارة اللوت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لأبسط أحدا يهون عليه اللوت بعد الذي رأيته من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنه عليه السلام كان يقول « اللهم إنيك تأخذ الروح من بين الصب والصب والأنامل اللهم فأخني على اللوت وهو ن على » وعن الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر اللوت وخصته وألم فقال

يطعمه ويسقيه كيف شاء . وأحب وهذا لعمري فانه لأنه في عن نفسه وعن الغير نظرا إلى قتل الله تعالى ببناء قبل غير الله والفتاء الياطين أن يكشف عارفة الصفات وتارة بمعاينة آثار عظيمة الذات فيستولى على باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له حاجس ولا موصول ولا يبرهن ضرورة القضاء أن يضيء إحساسه وقد يتفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص وليس ذلك من ضرورة القضاء على الإطلاق وقد سألت الشيخ أبي محمد بن عبد الله البصري

- (١) حديث إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر
- (٢) حديث كان يقول اللهم هو ن على محمد سكرات اللوت فتند (٣) حديث كان يقول اللهم إنيك تأخذ الروح من بين الصب والصب والأنامل الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب اللوت من حديث صعبة ابن غيلان الحنفي وهو مختل منقطع من الصحاح والتأني

هو قدر ثلثائة ضربة بالسيف^(١) . « و سئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدة فقال إن أهون الموت بمنزلة
حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومهما صوف^(٢) . « ودخل صلى الله عليه وسلم على
مريض ثم قال إني أعلم مايتقى مامته عرق إلا ويألم للموت على حدته^(٣) . « وكان على كرم الله وجهه بعض
على القتال ويقول إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على
فراش وقال الأوزاعي بلغنا أن البيت يجد ألم الموت مالم يمت من قبره وقال سعد بن أوس الموت أقطع
هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر الباشير وفرض بالقاريس وخلى في القدر ولولأن
البيت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما اتفقوا بهيش ولا لتواينوم . وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا بقي
على المؤمن من درجاته شيء لم يسلها بعمه شدد عليه الموت ليبلغ سكرات الموت وكر به درجته في الجنة
وإذا كان للكافر معروف لم يجزه هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار وعن
بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من الرضى كيف تجدون الموت فها مرض قيل له فأت كيف تجده فقال
كان السموات مطبقة على الأرض وكان نفسي يخرج من حجب إبرة وقال صلى الله عليه وسلم « موت
النجاة راحة للمؤمن وأسف على القاجر^(٤) » وروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
« لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لما توارى الله تعالى لأن في كل
شعرة الموت ولا يقع للموت شيء إلا مات^(٥) » وروى « لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال
الدنيا كلها لذابت^(٦) » وروى أن إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى « كيف وجدت الموت
يا خليلي قال كنفود جبل في صوف رطب ثم جذب فقال أما إنا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه
السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي
كالصوفور حين يقلى على اللقى لا يموت فيستريح ولا ينبو فيطير . وروى عنه أنه قال وجدت نفسي
كشاة حية تسلمع بيد القصاب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه كان عنده قح من ماء
عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت^(٧) »

(١) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وضخته وأله فقال هو قدر
ثلثائة ضربة بالسيف ابن أبي الدنيا فيه هكذا مرسلًا ورجاله ثقات (٢) حديث سهل عن الموت
وشدته فقال إن أهون الموت بمنزلة حسكة الحديث ابن أبي الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب
مرسلًا (٣) حديث دخل على مريض فقال إني أعلم مايتقى مامته عرق إلا ويألم للموت على حدته
ابن أبي الدنيا فيه من حديث سلمان بنسند ضعيف ورواه في الرضى والكنفارات من رواية عبيد
ابن حمير مرسلًا مع اختلاف ورجاله ثقات (٤) حديث موت النجاة راحة للمؤمن وأسف على القاجر
أحمد من حديث عائشة بإسناد صحيح قال وأخذت أسف ولأبي داود من حديث خالد السلمي موت
النجاة أخذت أسف (٥) حديث مكحول لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض
لما توارى الحديث ابن أبي الدنيا في الموت من رواية أبي مسيرة رفعه وفيه لو أن ألم شعرة ، وزاد
وإن في يوم القيامة لتسعين هولاً أدناها هولاً يضاعف على الموت سبعين ألف ضعف وأبو مسيرة هو
عمرو بن شرحبيل والحديث مرسل حسن الإسناد (٦) حديث لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على
جبال الدنيا كلها لذابت لم أجده أصلاً ولعل النصف لم يورده حديثاً قاله وروى (٧) حديث
إنه كان عنده قح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم
هون على سكرات الموت متفق عليه من حديث عائشة .

وقلت له هل يكون
بقاء التخييلات في السر
ووجود الوسواس من
الشرك الحفي وكان
عندي أن ذلك من
الشرك الحفي فقال لي
هذا يكون في مقام
القضاء ولم يذكر أنه
هل هو من الشرك
الحفي أم لا ثم ذكر
حكاية سلم بن يسار
أنه كان في الصلاة
فوقعت أسطوانة في
الجامع فارتفع هذتها
أهل السوق فدخلوا
السجد ففسرأوه في
الصلاة ولم يمس
بالأسطوانة ووقعها
فبينما هو الانحناء
والقضاء باطنياً ثم
قيد . يتبع وظأوه
صحتي له يكون

وفاطمة رضي الله عنها تقول واكره لكرك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أهلك بعد اليوم (١) وقال عمر رضي الله عنه لسكب الأخبار يا كعب حدثنا عن الموت قال نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كنصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة برق ثم جذب رجل شديد الجذب فأخذنا أخذ وأبى ما أبى . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن العبد لمعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسم بضها على بعض تحول عليك السلام تفارقتي وأفارتك إلى يوم القيامة (٢) فهدى سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه ، فما حالنا ونحن للتمكون في اللحاحي وتوالى علينا مع سكرات الموت بقية السواهي فان دواهي الموت ثلاث . الأولى : هدة النزاع كاذكرناه . الهادية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والحروف منه على القلب فلو رأى صورته التي قبض عليها روح العبد للذب أعظم الرجال قوة لم يلق رؤيته ، قد روى عن إبراهيم الحليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تربى صورتك التي قبض عليها روح الفاجر ؟ قال لا تطيق ذلك . قال بلى . قال فأعرض عن فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر منق الرخ أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لحب النار والسخان قضى على إبراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى قال ياملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه ، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان إذا خرج أغلق الأبواب فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأة فإذاهي رجل في الدار فقات من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليقبض منه عناه فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب للموت ولا يمنع مني الحجاب فقال فأنت والله إذن ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه (٣) وروى أن عيسى عليه السلام مر بحمجة فضر بها برجله فقال تسكمني باذن الله قالت يا روح الله أنا ملك زمان وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سر رملي إذ بدا لي ملك الموت فقال مني كل عضو على حياله ثم خرجت فتس إلى فياليت ما كان من تلك الجوع كان فرقة وإلئت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة ، فهذه داهية يلقاها العاصاة ويكفهاها للطغيان ، قد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزاع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه لية لتنفس عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال . وأما الطبع فانه يراه في أحسن صورة وأجلها ، قد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتهد فيه فإذا خرج أشغله فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك دارى قال أدخلتها ربه قال أنا قال ربه قال أدخلتها من هو أمك بها مني ومنك قال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تربى الصورة التي قبض فيها روح المؤمن ؟ قال نعم فأعرض عن فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب قد كرم من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ربه قال ياملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة للمسكين الحافظين . قال وهيب : بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراه له مسكنا

متصفا بالثناء ومناه روحا وقلبا ولا يشيب عن كل ما جرى عليه من قول وفعل ويكون من أقسام الفناء أن يكون في كل فعل وقول مرجعه إلى الله وينتظر الآذن في كليات أموره ليكون في الأشياء بالله لا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لتسليم الحق فإن وصاحب الإيتار لا يظن الحق في كليات أموره راجع إلى الله باطنه في جزئياتها فإن ومن ملك الله تعالى اختياره وأطلعه في التصرف يختار بحسب شأن وأراد لا منتظرا للقول ٧٠ . لا لاخذ الحق في مقام

(١) حديث إن فاطمة قالت واكره لكرك يا أبت الحديث البخاري من حديث أنس بلفظ واكره أبتاه وفي رواية لابن خزيمة واكرهه (٢) حديث إن العبد لمعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسم بضها على بعض الحديث رويناه في الأربعين لأبي هدية إبراهيم بن هدية عن أنس وأبو هدية هالك (٣) حديث أبي هريرة إن داود كان رجلا غيورا الحديث أحمد باسناد جيد نحوه وابن أبي الدنيا في كتاب الموت بلفظه

الكايتان عمله فان كان مطيعا قال له جازاك الله عنا خيرا قرب مجلس صدق اجلسنا وعمل صالح
 احضرنا ، وإن كان فاجرا قال له لاجزالك الله عنا خيرا فذلك هفتوس بسر الليت إليهما ولا يرجع إلى
 الدنيا أبدا . الهادية الثالثة : مشاهدة الصلوة ومواضعهم من النار وخوفهم قبل الشاهدة قائم في حال
 السكرات قد تخالفت قوام واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم بالمسمو التمسك ملك
 اللوت بأحد البشريين إما أجبر بإعده الله بالنار أو أجبر بأولى الله بالجنة ، ومن هذا كان خوف
 أرباب الألباب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره
 وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «من أحب لقاء الله أحب لقاء الله
 ومن كره لقاء الله كره لقاء الله فقالوا كلنا نكره اللوت قال ليس ذلك بذاك إن المؤمن إذا فرج له
 عما هو قائم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه (٢)» وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود
 وهو لما به من آخر الليل قم فانظري ساعة هي قيام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمار فقال
 حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار ، ودخل مروان على أبي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه
 فقال أبو هريرة اللهم اشد ثم بكى أبو هريرة وقال والله ما أبكي حزنا على الدنيا ولا جلا حزنا فراقكم
 ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربى الجنة أم النار ، وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال «إن الله إذا رضى عن عبد قال يملك اللوت الذهب إلى فلان فأتى بروحه له روحه حسى
 من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك اللوت ومعه خمسين من الملائكة ومعهم قضبان
 الزبحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه يقوم للملائكة صفين
 لخروج روحه معهم الزبحان قاذفانظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده
 مالك يا سيدنا فيقول أمانون ما أعطى هذا العبد من السكرامة أين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به
 فكان معصوما (٣)» وقال الحسن لأرواح المؤمنين إنا لله لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى
 فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وجزه وشرفه ، وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشئى قال
 نظرة إلى الحسن فدا دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرغ طرفه إليه ثم قال يا أخوانا الساعة
 والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة ، وقال محمد بن واسع عند الموت يا أخوانا عليكم السلام إلى النار
 أو ينفو الله ونحى بعضهم أن يبقى في التزبع أبدا ولا يمت ثواب ولا عقاب . خوف سوء الحاقق قطع

(١) حديث لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار
 ابن أبي الدنيا في الموت من رواية رجل لم يسم عن علي موقوف لا يخرج نفس ابن آدم من الدنيا
 حتى يعلم أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار وفي رواية حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من
 أهل الجنة هي أم من أهل النار وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ما جله الله إن المؤمن
 إذا حضرته الموت بشر برضوان الله وكرامته وإن الكافر إذا حضر بشر بدذاب الله وعقوبته والحديث
 (٢) حديث من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كره لقاء الله الحديث متفق عليه
 من حديث عبادة بن الصامت (٣) حديث إن الله إذا رضى عن عبد قال يملك اللوت الذهب إلى
 فلان فأتى بروحه لأبيه الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث مجهم الهادي بإسناد
 ضيف زيادة كثيرة ولم يصح في أول الحديث برهه وفي آخره ما دل على أنه مرفوع ولقناني
 من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح إذا حضر الميت أتمه ملائكة الرحمة بهريرة أيضا فيقولون اخرجه
 راضية مرضية عنك إلى روح الله وريحان ورب راض غير غضبان الحديث .

لا يحبه الحق عن
 الحق ولا الخلق عن
 الحق وإقناع محبوب
 بالحق عن الخلق
 وإقناع الظاهر لأرباب
 القلوب والأحوال
 وإقناع الباطن لمن
 أطلق من وقال
 الأحوال وصار بالله
 لا بالأحوال وخبر
 من القلب فصار مع
 مقبله لأمع قلبه .
 [الباب الثاني والستون]
 في شرح كلمات مشيرة
 إلى بعض الأحوال
 اصطلاح الصوفية
 أخبرنا الشيخ الثقة
 أبو القاسم محمد بن
 عبد الباقي بن سليمان
 إجازة قال أنا أبو القاسم
 أحمد بن أحمد قال أنا
 الحافظ أبو نعب

قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الحاشية وشدة خوف المارقين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لا تقي هذا الوضع ، ولكننا لانطول بذكره وإعادته .
(بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت)

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى . أما الصورة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رفع جبينه ودمعت عيناه ويشتد فشهاده في من رحمة الله قد تزلت به وإذا غط غطيت الخنوق واحمر لونه وارتدت فشهاده فهو من عذاب الله قد تزل به (١) » وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله (٢) » وفي رواية حذيفة « فاتها تهديم ما قبلها من الخطايا (٣) » وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة (٤) » وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ما من عبد يحتم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة . وقال عمر رضي الله عنه احتضر وموتاهم وكروهم فاتهم يرون ما لا يرون ولقنوم لا إله إلا الله . وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حضر ملك الموت رجلا يموت فظن في قلبه فلم يجد فيه شيئا فذكك عليه فوجد طرف لسانه لاصقا بمنكبه يقول لا إله إلا الله ففكر له بكلمة الإخلاص (٥) » وينبغي للملقن أن لا يلبس في التلقين ولكن يتلفظ فرجا لا ينطق لسان المريض فيشوق عليه ذلك ويؤدي إلى استئذان التلقين وكراهيته للكلمة ويغني أن يكون ذلك سبب سوء الحاشية ، وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وإن كان القلب مشغولاً بالله لما ملأنا من شأنها على قلوبها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطق القلب على تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن بفضل الله تعالى بالقبول . وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله ، دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله قال أفرقتني ذنوب لي وأشرفت على هلكة ولكن أرجو رحمة ربي فسكب واثلة وكر أهل البيت يتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء (٦) » ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا

الأصفياء قال تاجهم ابن إبراهيم قال ثنا أبو مسلم الكشي قال ثنا مسود بن عيسى قال ثنا القاسم بن يحيى قال ثنا ياسين الزيات عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من مصادق التقوى يميلك إلى ما قد علمت علم ما لم تعلم والتمس فيما علمت قوة الزيادة فيه وإنما يرهده الرجل في علم ما لم يعلم قوة الابتغاء بما قد علم في ما لم يعلم الصوفية أحكموا أساس التقوى وتعلموا العلم لله تعالى وصلوا بما علموا لموضع تقواهم فليعلم الله تعالى ما لم

- (١) حديث ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رفع جبينه وذرفت عيناه الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح (٢) حديث لقنوا موتاكم لا إله إلا الله (٣) حديث حذيفة فاتها تهديم ما قبلها تهتم (٤) حديث من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة تهتم .
- (٥) حديث أبي هريرة حضر ملك الموت رجلا يموت فظن في قلبه فلم يجد فيه شيئا فذكك عليه فوجد طرف لسانه لاصقا بمنكبه يقول لا إله إلا الله ففكر له بكلمة الإخلاص (٦) حديث دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله وفيه يقول الله أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ابن حبان بالرفع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقي في الشعب به جميعا .

للوطن إلا أعطاه الله الذي يرجو وأمنه من الذي يخاف (١) وقال ثابت البناني كان شاباً بمحدد وكان له أم تمطه كثيراً ويقول له يابن إن لك يوماً فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكتب عليه أمه وجعلت تقول له يابن قد كنت أحذر لك مصرك هذا وأقول إن لك يوماً فقال يا أمه إن لي رباً كثير المعروف وإنني لأرجو أن لا يمدني اليوم بعض مروهة ، قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه به . وقال جابر بن وداعة كان شاب به هرق فاحتضر فقالت له أمه يابن توصي بشي قال نعم خاتمي لاسلبيني فإن فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمي فلما دفن رؤي في المنام فقال أخيراً وأمي أن السكعة قد تفتت وأن الله قد غفر لي . ومرض أعرابي قبيل له إنك تموت فقال ابن يذهب بن قالوا إلى الله قال لها كراهي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه . وقال أبو اللخمر بن سليمان قال لي لما حضرته الوفاة يا معتمد حدثني بالخير لي إلى ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به وكانوا يستحبون أن يذكروا لعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه به .

(بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بمحركات يرب لسان الحال عنها)

قال أشعث بن أسلم سألت إبراهيم عليه السلام ملك الموت وأمه عزرائيل وله عيان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يملك الموت ما صنعت إذا كان تمس بالشرق وتفس بالغرب ووقع الوباء بأرض والتقي الزحمان كيف صنعت ؟ قال أَدْعُو الأرواح بأذن الله فتكون بين أصبعي هاتين وقال قد دحبت له الأرض فتركت مثل الطشت بين يديه يتناول منها ما يشاء قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل . وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام مالي لأرأى تصدق بين الناس فأخذ هذا وتبع هذا قال ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هي محض أو كتب تلقى إلي فيها أسماء ، وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى الأرض فدعا ثياب ليليسا فلم يلبسها فلم يلبسها فطلب غير حاجي ليس ما أصعبه بدمرات وكذلك طلب دابة فأتى بها فرأى تصبغ حتى أتى بدواب فركب أحسنها فقامه إبليس ففزع في منخره فنفخ ففلاه كبراً ثم سار وسارت منه الخو لو هو لا ينظر إلى الناس كبراً فقامه رجل رث الهيئة فسلم ففرده عليه السلام فأخذ باجم دابته فقال أرسل العجاج فقد تعاطيت أمراً عظيماً قال إن لي إليك حاجة قال اصبر حتى أزل قال لا الآن فقهره على الجام دابته فقال أذكرها قال هو سر فأدنى له رأسه فسار وقال أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال ذهني حتى أرجع إلى أهلي وأهلي حتى أودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وتملك أبداً قبض روحه غرقاً كانه خشية ثم مضى فلقى عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك قال دعها فسار وقال أنا ملك الموت فقال أهلاً ومرحباً بمن طالبت غيبته طي فو الله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك فقال ملك الموت أقم حاجتك التي خرجت لها فقال مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختار طي إلى أبي شعث أن أقبض روحك فقال تعذر على ذلك قال نعم إنني أمرت بذلك قال فدعني حتى أتوضأ وأصل ثم أقبض روحي وأنا ساجد قبض روحه وهو ساجد . وقال أبو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبيته أروني أصنافاً مولى إلى فأتى بشي كثير من الحبل والأبل والرقبي وغيره فلما نظر إليه بكى بكاء شديداً فأملاك الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك فو الذي خولك ما أنا خارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبينك قال فالمهلة حتى أفرق قال هي هبات انشطت عنك المهلة فلما كان ذلك قيل حضور أجلك قبض روحه . وروى أن رجلاً جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفاً من المال إلا اختاره وأبغى قصره وجعل عليه بائناً وثيقين وجمع عليه حرساً من قلمانه ثم جمع أهله وصنع لهم طعاماً وقصد إلى سريره ورفض إحدى رجله على الأخرى وهم يأكلون .

(١) حديث دخل على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي الحديث نعم .

يلعوا من غرائب
العلوم وديق الإشارات
واستنبطوا من كلام
الله تعالى غرائب العلوم
وهجائب الأسرار
وترسخ قلوبهم في العلم
قال أبو سعيد الخزاز
أول الفهم الكلام الله
اليعلى به لأن فيه العلم
والفهم والاستنباط
وأول الفهم لقاء السمع
والمشاهدة لقوله تعالى
- إن في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شفيق .
وقال أبو بكر الواسطي
الراستخون في العلم هم
الذين رزقوا بآثار واهم
في غيب الغيب وفي
سر السر ففرهم
معارفهم وأراد منهم
من مقتضى الآيات

فما فرغوا ، قال يا بنى انسى لسنين قد جمعت لك ما يذكرك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب وفي عنقه حمالة يشبه الماسا كبن قمرع الباب بشدة عظيمة فرما أفرعه وهو على فراشه فوثب إليه الضمان وقالوا ما شأنك فقال ادعوا إلى مولانا كم فقالوا وإلى مثلك يخرج مولانا قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا ضلتم به وفلتم قمرع الباب فرعة أحد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أنى ملك الموت فلما جمعوهم أتى عليهم الرعب ووقع على مولاهم اللثام والتشيع فقال قولوا له قولنا لنا وقولوا هل تأخذ به أحدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما أنت صانع فاني لست بخارج منها حتى أخرج روحك فأمر بحالته حتى وضع بين يديه فقال حين رآه هناك الله من مال أنت هفتلى عن عبادة ربى ومنعتى أن أدخل لربى فأطلق الله اللثام فقال لم تصفى وقد كنت تدخل على السلاطين في ويرد للفقير عن باهمم وكنت تسكع للتصامات في وتجلس مجالس الملوك في وتتفقى في سبيل الضر فلا أنتع منك ولو أنفقتى في سبيل الخير نعمتك خلقت وابن آدم من تراب فنطلق وير ومنطلق باهم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله ثم عرج إلى السماء وقالت للاملكة لمن كنت أحد رحمة عن قبضت روحه قال أمرت قبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأثبتا وقد ولدت مولودا فرحمها لتربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا تمتعه له بها فقالت للاملكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك الولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء قال عطاء بن يسار إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فإن العبد ليرى القراس وينسكح الأزواج وبنى البنيان وإن أحمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري . وقال الحسن مامن يوم إلا وملك الموت يصنع كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانفض أجله قبض روحه فإذا قبض روحه أقبل إليه بركة وبكاء فيأخذ ملك الموت بضادى الباب فيقول والله ما كنت له رزقا ولا أنفقت له عمرا ولا انتصت له أجلا وإن لي فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشي بينا جبار من الجبابرة من بنى اسرائيل جالس في منزله قد خلا ببيض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فرما مغضبا فقال له من أنت ومن أدخلك على داري فقال أما الذي أدخلني الدار فربها وأما أنا فوالذي لا يمنع مني الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف سؤلة للتسلطين ولا يتنعم مني كل جبار عني ولا شيطان مريد قال فسقط في يد الجبار وأرعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستجديا متذلا له فقال له أنت إذن ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت مجمل حتى أحدث عهدا قال هيأت اضطربت مدنتك وانقضت أقاسك وقد تمت سعادتك فليس لي تأخيرك سبيل قال فإلى أين تذهب بي قال إلى علك الذي قدمته وإلى بيتك الذي مهدت قال فإني لم أقدم عملا صالحا ولم أسعد بيتا حسنا قال فإلى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله فمن بين صانع وبك قال يزيد الرقاشي لو يملكون سوء القلب كان المولى على ذلك أكثر وعن الأحمسي عن خيمشة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل لمن هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيتته ينظر إلى كانه يريدني قال فلهذا تريد قال أريد أن تخلصني منه فتأمر الربيع حتى تحملني إلى أقصى الهند فقامت الربيع فخرجت ثم قال سليمان لملك الموت يريد أن أمناه ثانيا رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائي . قال نعم كنت أتسبب منه لأنى كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند في ساعة قرية وكان عندك فعبيت من ذلك.

ما لم يرد من ضيرهم
وخاضوا بحر العلم
بالفهم لطالب الزيادة
فانكشف لهم من
سدخور الحزان
وانحسرون تحت كل
حرف وآية من الفهم
وهجاب النقص
فاستخرجوا الدرر
والجواهر ونطقوا
بالحكمة . وقد ورد
في الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه سفيان بن
حسين عن ابن جريج
عن عطاء عن أبي
هريرة أنه قال إن من
العلم كبرية المسكون
لا يعلم إلا العلماء بالله
فإذا انطقوا به لا ينكره
إلا أهل الفترة بالله .
أخبرنا أبو زرعة قال

فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لأأخذه في أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجاً من الأرض إذا بمثوا وسيدم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته فقال الآن قُرت عيني ﴿١﴾ وقالت عائشة رضي الله عنها وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننسك بسبع قرب من مبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فضلي بالناس واستغفر لأهل أحدودنا لهم وأوصى بالأنصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيتهم التي هي عليها اليوم وإن الأنصار عيني التي أوتيت إليها فأكرموا كريمي يعني عسكهم وتجاوزوا عن مستيهم ثم قال إن عبداً خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن أنه يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر سيدنا وهذه الأبواب الشوارع في المسجد الأبواب أبي بكر فاني لا أعلم امرأة أفضل عندي في الصلابة من أبي بكر ﴿٢﴾ قالت عائشة رضي الله عنها «قبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومى وبين معمرى ونخري وجمع الله بين ربيتي وريثه عند الموت فدخل على أخى عبد الرحمن ويده سواك فحصل ينظر إليه ففرقت أنه يمسجه ذلك فقلت له أخذه لك فأومأ برأسه أن نعم فحاولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت ألبسه لك فأومأ برأسه أن نعم فلبسته وكان بين يديه ركة ماء فحصل يدخل فيها يده ويقول لا إله إلا الله إن الموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرقيق الأملئ الرقيق الأملئ فقلت إذن والله لا يغتارنا ﴿٣﴾ وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأيت الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد تقلباً أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمهم بمكاتهم وإشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه على رضي الله عنه فأعلمه بمثل ذلك يده وقالها فتناولوه فقال ماتوا قولوا غشي أن موتاً تصاح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله ﷺ فخرج متوكفاً على يده والفضل والعباس أمامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم مصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من الثبر وغط الناس إليه لحفد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون في الموت كأنه استنكار منكم للموت وماتسكرون من موت نبيكم ألم أعني إليكم وتتم إليكم أنفسكم هل خلدني قبلي فممن بعث فأخذه فيكم إلا أني لاحق بربي وإنكم لاحقون به وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصي بالمهاجرين فيما بينهم فإن الله عز وجل قال - والعصر إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا - إلى آخرها وإن الأمور تجري بأذن الله فلا يحزنكم استبطاء الأمر على استجابه فإن الله عز وجل لا يسجل لجلسة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه - فهل عسى إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم - وأوصيكم بالأنصار خيراً فانهم الذين تبوءوا الدار والأيمان من قبلكم

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لأمتي يبدى فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لأأخذه في أمته الحديث الطبراني من حديث جابر وابن عباس في حديث طويل فيه من لأمتي للصفحة من يبدى قال أهدى بأحبب الله فإن الله عز وجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أمت وأمتك قال الآن طابت نفسي وإسناده ضيف (٢) حديث عائشة أمرا أن تنسك بسبع قرب من نبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فضلي بالناس واستغفر لأهل أحدودنا لهم وأوصى بالأنصار الحديث الباري في مسنده وفيه إبراهيم بن الحنظل مختلف فيه عن محمد ابن إسحق وهو مدلس وقد رواه بالسنن (٣) حديث عائشة قبض في بيتي وفي يومى وبين معمرى ونخري وجمع الله بين ربيتي وريثه عند الموت الحديث متفق عليه ..

ينطقون وقد قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم «يُنطق» وهو العلم اللدني الذي قال الله تعالى فيه في حق الخضر - أتيتناه رحمة من عندنا وعلما من لدنا قلنا له ما ندونه ألسنتهم من الكلمات تفهمون بعضهم لبعض وإشعار منهم إلى أحوال يجدونها ومما يلات قلبية يعرفونها قولهم الجمع والتفرقة قليل أصل الجمع والتفرقة قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو - فهذا جمع ثم فرق فقال وللأسفة وأولوا العلم وقوله تعالى - آمنا بالله - جمع ثم فرق بقوله - وما أنزل إلينا - والجمع أصل والتفرقة

أَنْ تَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ أَلَمْ يَشَاطِرُوكُمْ أَلَمْ يَسْعَوْا عَلَيْكُمْ فِي الْبَيْتِ أَلَمْ يُؤْثِرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِهِمُ الْخِصَاصَةُ
 الْآفِئْنَ وَلِيَّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَيَقِيلَ مِنْ حَسَنِهِمْ وَلِيَّتْ جَاوِزَ عَنْ مَنَاسِكَتِهِمْ أَلَا وَلا تَسْتَأْذِنُوا عَلَيْهِمْ
 أَلَا وَإِنْ فَرَطَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِحَاقُونَ فِي الْآ وَإِنْ مَوْعِدُكُمْ الْحَوْضُ حَوْضِي أَعْرَضَ عَمَّا بَيْنَ بَصَرِي الشَّامِ
 وَصَنَاعَةِ الْيَمَنِ يَصُبُّ فِيهِ مِزَابُ السَّكُورِ مَاءٌ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الْبَلْبَلِ وَأَلْيَنُ مِنَ الزَّيْدِ وَأَحْلَى مِنَ الصَّهْدِ
 مِنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَطْمَأْ أَبَدًا حِصَابُهُ الْوَلُؤُ وَبَطْحَاؤُهُ لِلْسَّكَنِ مِنْ حَرَمِهِ فِي الْوَقْتِ غَدَا حَرَمُ الْحَرَكَةِ
 أَلَا لَنْ أَحِبَّ أَنْ يَرِدَهُ عَلَى غَدَا فَيَكْفُفَ لِسَانَهُ وَيَدُهُ إِلَّا مِمَّا يَبْنِي فَقَالَ الْبَاسُ يَا بَنِي أَوْسٍ بَقَرِيشُ
 قَالَ إِنَّمَا أَوْصَى بِهَذَا الْأَمْرَ قَرِيشًا وَالنَّاسَ تَبَعَ لِقَرِيشٍ بِرَمٍّ لَبِزَمٍ وَفَاجَرَمَ فَاجَرَمَ فَاسْتَوْصُوا
 آلَ قَرِيشٍ بِالنَّاسِ خَيْرًا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ الذَّنُوبُ تَغَيَّرَ النِّعَمُ وَتَبَدَّلَ الْقِسْمُ فَذَا بَرِ النَّاسِ بِرَمٍّ لَبِزَمٍ
 وَإِذَا فُجِرَ النَّاسُ عَقُومٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - وَكَذَلِكَ نَوَلَّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا مِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١)
 وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا بِيَّ بَكْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَلَامًا يَا أَبَا بَكْرٍ
 فَقَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ دَنَا الْأَجَلَ فَقَالَ قَدْ دَنَا الْأَجَلَ وَتَدَلَّى لِيَنَّكَ يَا بَنِي اللَّهِ مَعْنَدَهُ اللَّهُ قَلْبَتِ مَعْرَى
 عَنْ مَنَقَلَيْنَا فَقَالَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى سِدْرَةِ الْلُتْهِمْ ثُمَّ إِلَى جَنَّةِ الْآوَى وَالْفَرْدُوسِ الْأُطَى وَالْكَأْسِ الْأَوْفَى
 وَالرِّيقِ الْأَطَى وَالْحَلِطِ وَالْمَيْشِ لَهْمَا فَقَالَ يَا بَنِي اللَّهِ مَنْ بِيَّ غَسْلُكَ؟ قَالَ رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ بِيَّ الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى
 قَالَ فِيمَ نَكْفَنُكَ؟ قَالَ فِي ثِيَابِي هَذِهِ وَفِي حِلَّةٍ بِمِثَالِهَا وَفِي بَيْضِ مِصْرٍ فَقَالَ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مَنَا
 وَبَكِينًا وَبِيَّ ثُمَّ قَالَ مَهْلًا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نِيَّكُمْ خَيْرًا إِذَا غَسَلْتُمُونِي وَكَفَفْتُمُونِي فَضَوْنِي
 عَلَى سِرِّي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ثُمَّ أَخْرَجُوا عَنْ سَاعَةِ فَأَنَّ أُولَئِكَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ
 الَّذِي يَصِلُ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ - ثُمَّ بَازَنَ لِلْمَلَائِكَةِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى فَأُولَئِكَ مِنْ يَدْخُلُ عَلَى مَنْ خَلَقَ اللَّهُ
 وَيَصِلُ عَلَى جِبْرِيلَ ثُمَّ مِيكَائِيلَ ثُمَّ إِسْرَائِيلَ ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ مَعَ جُنُودِ كَثِيرَةٍ ثُمَّ لِلْمَلَائِكَةِ بِأَجْمَعِهَا صَلَوَاتُ
 اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَتَمَّ فَادْخَلُوا عَلَى أَقْوَابِهَا صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَتَمَّ فَادْخَلُوا عَلَى أَقْوَابِهَا صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ
 بِزُكِّيَةٍ وَلَا صِيحَةٍ وَلَا رَفَةٍ وَلِيْلِدًا مِنْكُمْ الْإِمَامُ وَأَهْلُ بِيَّ الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى ثُمَّ زَمَرُ النِّسَاءِ ثُمَّ زَمَرُ الْبُشَيْرِيَّاتِ
 قَالَ لَمَنْ يَدْخُلُكَ التَّبَرُّ؟ قَالَ زَمَرُ مَنْ مِنْ أَهْلِ بِيَّ الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ لَارُزْنِهِمْ وَهُمْ بِرُؤُسِهِمْ
 قَوْمُوا فَأَوْدُوا عَنْ إِلَى مِنْ بَعْدِي (٢) وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمْعَةَ جَاءَ بِلَالٌ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَيْجِ الْأَوَّلِ فَأَذَّنَ
 بِالصَّلَاةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَرُوا أَبَا بَكْرٍ يَصِلُ بِالنَّاسِ غُرَجَتْ فَلَمْ أَرْ حَضْرَةَ الْبَابِ إِلَّا عَمْرِي
 رَجُلًا لَيْسَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ قُلْتُ قَدْ يَأْمُرُ فَصَلَّ بِالنَّاسِ قَامَ عَمْرٌ فَكَبَّرَ وَكَانَ رَجُلًا ضَعِيفًا مَعَ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتُهُ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ يَا بَنِي اللَّهِ ذَلِكَ وَلِلَّسُونِ قَالَهُنَّ ثَلَاثُ
 مَرَّاتٍ مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَصَلَّ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ ثَالِثَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَارَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ
 الْقَلْبُ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ غَلِبَهُ الْهَيْكَاءُ فَقَالَ إِنَّكَ نَصْرِي صَوْبِي يَوْسُفُ مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَصَلَّ بِالنَّاسِ

(١) حَدِيثُ عَبْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا رَأَتْ الْأَنْصَارُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَزْدَادُ تَهْلًا أَطْفَانًا بِالْمَسْجِدِ فَدَخَلَ الْبَاسُ فَأَعْلَهُ بِكَانِهِمْ وَإِشْفَاقِهِمْ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي خُرُوجِهِمْ تَوَكُّفًا
 مَعْصُوبِ الرُّأْسِ يَخْطُرُ رَجُلِيهِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى أَسْفَلِ مَرْقَاةٍ مِنَ التَّبَرِّ قَدْ كَرَّ حَلْبَتُهُ يَطْوِيهَا هُوَ حَدِيثُ
 مَرْسَلٍ ضَعِيفٍ وَفِيهِ نَكَارَةٌ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلًا وَأَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ضَرَارٍ بْنُ الْأَزُورِ تَابَعِي. رَوَى عَنْ
 ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ أَبُو حَتَمٍ فِيهِ وَفِي أَبِيهِ سَعِيدٌ لَيْسَ بِالْقَوِي (٢) حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا بِيَّ بَكْرِي سَلَامًا يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ دَنَا الْأَجَلَ فَقَالَ قَدْ دَنَا الْأَجَلَ الْحَدِيثُ فِي
 سَوَائِهِ لَمْ يَنْ يَلِ غَسْلُكَ وَفِيهِ نَكْفَنُكَ وَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ عَنْ مُحَمَّدِ
 ابْنِ عَمْرِوهُ الْوَاقِدِيِّ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ إِلَى ابْنِ عَوْفٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ مَرْسَلٌ ضَعِيفٌ كَأَهْلِهِمْ.

فَرَعَ فَكَلَّ جَمْعُ

بَلَا تَفَرُّقَةً زَنْدَقَةً

وَكُلُّ خُرْقَةٍ بِلَا جَمْعُ

تَعَطُّلٌ. وَقَالَ الْجَنْبُ

الْقَرِيبُ بِالْوَجْدِ جَمْعُ

وَعَيْنُهُ فِي الْبُشَيْرَةِ

تَفَرُّقَةً وَقِيلَ جَمْعُهُ فِي

الْعُرْفَةِ وَفَرَّقَهُمْ فِي

الْأَحْوَالِ وَالْجَمْعُ إِصْطِلَ

لَا يَشَاهِدُ صَاحِبَهُ إِلَّا

الْحَقُّ فَمَنْ شَهِدَ غَيْرَهُ

فَاجْمَعُوا وَالتَّفَرُّقَةُ تَشْهَدُ

لِمَنْ شَاءَ بِالْبَيِّنَةِ

وَعِبَارَتُهُمْ فِي ذَلِكَ

كَثِيرَةٌ وَلِلْمَقْصُودِ أَنَّهُمْ

أَشَارُوا بِالْجَمْعِ إِلَى

تَجَرِيدِ التَّوْحِيدِ

وَأَشَارُوا بِالتَّفَرُّقَةِ إِلَى

الْاِكْتِسَابِ قُلَى هَذَا

لَا جَمْعُ إِلَّا بِتَفَرُّقَةٍ

وَيَقُولُونَ فَلَا فِي عَيْنِ

الْجَمْعِ يَتَوَكَّلُ اسْتِثْلَاءُ

قال فضلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر يقول لعبد الله بن زمة بعد ذلك وحجك ماذا صنعت في والله لولا أني ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ما ضلت فيقول عبد الله إنى لم أر أحدا أولى بذلك منك قالت عائشة رضى الله عنها وما قلت ذلك ولا صرفته عن أبي بكر إلا لرغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من الخطارة والمهلكة إلا من سلم الله وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي أبدا إلا أن يشاء الله فيجسدونه ويعفون عليه ويتشاممون به فأذن الأمر أمر الله والقضاء ضاؤه وعصبة الله من كل ما تخوف عليه من أمر الدنيا والدين (١) وقالت عائشة رضى الله عنها قضا كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول التبرأ فخرق عنه إلجال إلى منازلهم وحوالهم مستبشرين وأخوارا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرني أن لا أتبعك حتى تأمرني فإذا أمرتك قلت كعب عنى حتى يأمرني جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضى الله عنها فاستبقينا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجئنا وكأما ضربنا بصاحبه ما هب إليه شيئا وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته فسلم فرفعت حسه خارج أهل البيت فدخل قال إن الله عز وجل قرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذي تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرfk على الخلق وأن يكون سنة في أمتك قال أجدنى وجما قال أشر فان الله تعالى أراد أن يملكك ما عدك قال بجبريل إن ملكك اللوت استأذن على وأخبره الخبر قال جبريل يبعثك إن ربك إليك مشتاق ألم يملك الذى يريدك لا والله ما استأذن ملك اللوت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا إلا أن ربك معتم شرفك وهو إليك مشتاق قال فلا تبرح إذن حتى يجمى وأذن لقنانه فقال بإفاطة ادنى فأكبت عليه فتاجها فرقت رأسها وعينها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال أدنى منى رأسك فأكبت عليه فتاجها فرقت رأسها ومضى تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا منها عجبا فسألتا بعد ذلك قالت أخبرنى وقال لى ميت اليوم فبكيت ثم قال لى دعوت الله أن يهلكك بى فى أول أهلى وأن يهلك معى فضحك وأدنت أجنها منه ففهمها قالت وجاء ملك اللوت فسلم واستأذن فأذن له فقال لك ما تأمرنا يا محمد قال ألقى برى الآن قال لى بى يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده منك

(١) حديث عبد الله بن زمة جاء به بلال فى أول ربيع الأول فأذن بالصلاة قال الذى صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصك بالناس فخرجت فلم أر حضرة الباب إلا عمر فى رجال ليس بينهم أبو بكر الحديث أبو داود باسناد جيد نحوه مختصرا دون قوله قالت عائشة إن أبا بكر رجلا رقيق لى إلى آخره ولم يقل فى أول ربيع الأول وقال مروا من يسلى بالناس وقال يابى الله ذلك والؤمنون مرتين وفى رواية له قال لا لا ليس للناس ابن أبى صفاة يقول ذلك مضطربا وأما فى آخره من قول عائشة فى المسيحين من حديثها قالت عائشة يا رسول الله إن أبا بكر رجلا رقيق إذا قامك لم يسمع الناس من البكاء قال إنك سواحيات يوسف مروا أبا بكر فليصك بالناس .

مراقبة الحق على عباده
 فإذا حاد إلى شيء من
 أعماله عاد إلى التفرقة
 فصحة الجمع بالتفرقة
 وصحة التفرقة بالجمع
 فهذا يرجع حاصله
 إلى أن الجمع من العلم
 بالله والتفرقة من العلم
 بأمر الله ولا يد منهما
 جميعاً قال الزن
 الجمع عين الفناء بالله
 والتفرقة الصبودية
 متصل بعضها ببعض
 وقد غلط قوم وادعوا
 أنهم في صين الجمع
 وأشاروا إلى صرف
 التوحيد وعطلوا
 الأكسباب فتدبروا
 وإما الجمع حكم الروح
 والتفرقة حكم الطالب
 وما دام هذا التركيب
 باقياً فلا بد من الجمع

ولم ينه عن الدخول على أحد إلا بأذن غيره ولكن ساعدتكم أمامكم وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليكم يا رسول الله هذا آخر ما نزل فيه إلى الأرض أبدأطوى الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الأرض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موثني لا والله يمشي محمد بالحق ماني البيت أحد يستطيع أن يغير إليه في ذلك كفة ولا يمشي إلى أحد من رجاله لفظم ما يسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا قالت فمضت إلى النبي ﷺ حتى أضع رأسه بين يدي وأمسكت صدره وجعل يمسى عليه حتى ينقلب وجهه ترشح رشحاً ما رأيته من إنسان قط فجعلت أسأت ذلك المرق وما وجدت راحة شيء أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بأبي أنت وأمي ونسبي وأهلي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدة كنفس الحمار فصد ذلك ارتعنا وبشنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهد أخى يمشي إلى أبي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجمي أحد وإنما صدم الله عنه لأنه ولاء جبريل وميكائيل وجعل إذا أغمى عليه قال بل الرقيق الأعلى كان الحيرة تعاد عليه فإذا أطلق الكلام قال الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متأسكين ما صليت جيباً الصلاة الصلاة كان يومى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة (١) قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضمى وانصاف النهار يوم الاثنين (٢) قالت فاطمة رضي الله عنها ما قيت من يوم الاثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بمظجمة (١) حديث عائشة لما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا من خفة في أول النهار تفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحواسهم مستبشرين وأخلاقهم رسول الله ﷺ باللقاء فينا نحن على ذلك لم يكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجني عنى هذا الملك يستأذن على الحديث بطوله في جمى ملك اللوت ثم ذهابه ثم جمى جبريل ثم جمى ملك اللوت ووفاته صلى الله عليه وسلم الطيراني في الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف في حديث طويل قيسه فلما كان يوم الاثنين اشتد الأمر وأوحى الله إلى ملك اللوت أن اهبط إلى جبي وصفي محمد صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة وارق به في قبض روحه وفي دخول ملك اللوت واستئذنه في قبضه فقال يا ملك اللوت أين خلفت جيلي جبريل قال خلفته في معاء الدنيا وللألمة يزونه فيك فما كان بأسرع أن أتاه جبريل فهد عند رأسه وذكر بشارة جبريل له بما أعد الله له وفيه أدن يا ملك اللوت فاته إلى ما أمرت به الحديث وفيه فدننا ملك اللوت يصلح قبض روح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر كربه لذلك إلى أن قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل في ورقتين كبار وهو منكر وفيه عبد الله بن إدريس ابن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد كان يكتب على وهب بن منبه وأبوه إدريس أيضاً متروك قاله الدار قطنى ورواه الطبراني أيضاً من حديث الحسين بن علي بن جبريل جاءه وألقاه قاله عن ربه كيف تحبك ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك اللوت وملك الهواء إسماعيل وأن جبريل دخل أولاً فساله ثم استأذن ملك اللوت وقوله امض لما أمرت به وهو منكر أيضاً قيسه عبد الله بن ميمون القداس قال البخاري ذهاب الحديث ورواه أيضاً من حديث ابن عباس في جمى ملك الموت أولاً واستئذنه قوله إن ربك يترك السلام فقال أين جبريل فقال هو قريب مني الآن يأتي فخرج ملك الموت حتى نزل عليه جبريل الحديث وفيه المختار بن نافع مشكر الحديث (٢) حديث عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضمى وانصاف النهار يوم الاثنين رواه ابن عبد البر .

والفسرة : وقال الواسطي إذا نظرت إلى نفسك فزقت وإذا نظرت إلى ربك جمعت وإذا كنت قائماً بفرك فأتت فان بلا جمع ولا فقرة . وقيل جمعهم بذاته وفرقهم في صفاته وقد يريدون بالجمع والتفرقة أنه إذا أثبت لنفسه كسباً ونظراً إلى أعماله فهو في التفرقة وإذا أثبت الأشياء بالحق فهو في الجمع ومجموع الاشارات بنى أن الكون يفرق والمكون يجمع فمن أفرد المكون جمع ومن نظراً إلى الكون فرق فالتفرقة مبدئية والجمع توحيد فإذا

وقالت أم كلثوم يوم أصيب على كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل أبي فمأقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم للأكفكة شوبه فاختلقوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا ببنا البعد وخلط آخرون فتلوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت ولم يرجمه الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يتعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم للوث وإنما واعد الله عز وجل كما واعد موسى وهو أنتم^(١) وفي رواية أنه قال : يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يمت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته يسقني هذا .. وأما على فإنه أقعد فلم يروح في البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجأ به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والهدى وإن كان الناس لم يرمعوا إلا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله البلى لإله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم للوث ولقد قال وهو بين أظهركم - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فظفر إليه ثم أكب عليه قبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يريد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يريد رباً محمد فانه حتى لا يموت قال الله تعالى - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أقلبتم على أعقابكم -^(٢) الآية فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ وفي رواية : أن أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهلجان وغصصه ترتفع كقص الجرة وهو في ذلك جده القمل والقال فأكعب عليه فكشف عن وجهه وقيل جبينه وخديبه ونسج وجهه وجعل يبكي ويقول : بأبي أنت وأمي ونفسى وأهلى طابت

أثبت طاعته نظرا إلى كسبه فرق وإذا أممها بالله جمع وإذا تحقّق بالقاء فسو جمع الجمع ويمكن أن يقال رؤية الأفعال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع . سئل بعضهم عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام فقال : أفنى موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من موسى ثم كالم فكان للكلم والكلم هو وكيف كان يطبق موسى حمل الخطاب وردة الجواب لولا إله جمع ومعنى هذا أن الله تعالى منحه قسوة بتلك

(١) حديث عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ للأكفكة شوبه فاختلقوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بالبعد وخلط آخرون فتلوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت ولم يرجمه الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يتعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم للوث وإنما واعد الله عز وجل كما واعد موسى وهو أنتم^(١) وفي رواية أنه قال : يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يمت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته يسقني هذا .. وأما على فإنه أقعد فلم يروح في البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجأ به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والهدى وإن كان الناس لم يرمعوا إلا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله البلى لإله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم للوث ولقد قال وهو بين أظهركم - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فظفر إليه ثم أكب عليه قبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يريد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يريد رباً محمد فانه حتى لا يموت قال الله تعالى - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أقلبتم على أعقابكم -^(٢) الآية فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ وفي رواية : أن أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهلجان وغصصه ترتفع كقص الجرة وهو في ذلك جده القمل والقال فأكعب عليه فكشف عن وجهه وقيل جبينه وخديبه ونسج وجهه وجعل يبكي ويقول : بأبي أنت وأمي ونفسى وأهلى طابت

حيا وميتا انقطع موتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبيوة عظمت عن الصفة وجلت عن البكاء وخصمت حتى صارت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا لأن موتك كان اختيارا منك لجذبا لجذرك بالفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأشدنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع فيه عنا فكمد وادكار محلفان لا يرخان اللهم فأبانه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عندك ولتكن من يالك فولا ما خلفت من السكنة لم يتم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نيك عنا واخفظه فينا (١) . وعن ابن عمر أنه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى على أهل البيت عجبا سمع أهل الصلي كلها ذكر شيئا ازدادوا لما سكن عجبهم إلا تسليم رجل على الباب حيث جله قال السلام عليكم بأهل البيت - كل نفس ذائقة الموت - الآية إن في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل عناية فآله فارجوا وبه تقوا فاستمعوا له وأنكروه وقطعوا البكاء فقام قطع البكاء قد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المحاصن إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فآله فأطيعوا وبأمره قاعوا قال أبو بكر هذا الحضر والبسع عليها السلام حضرا النبي صلى الله عليه وسلم (٢) واستوفى التقاع بن عمرو حكاية خطبة أبي بكر رضى الله عنه فقال قام أبو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخيلة جلبها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه

(١) حديث إن أبى بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعينه تهملان وغصصة ترفع كقصع الجيرة وهو في ذلك جلد الفمل والقال فأكب عليه فكشف الثوب عن وجه الحديث إلى قوله واحفظه فينا ابن أبي الدنيا في كتاب الزراء من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف جاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فكشف الثوب عن وجه الحديث إلى آخره (٢) حديث ابن عمر في صحاح الترمذية به صلى الله عليه وسلم إن في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل عناية فآله فارجوا وبه تقوا ثم سموا آخر بعده إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فآله فأطيعوا وبأمره قاعوا قال أبو بكر هذا الحضر والبسع لم أجد فيه ذكر اليسع وأما ذكر الحضر في الترمذية فأنكر النووي وجوده في كتب الحديث وقال إنما ذكره الأصحاب قلت بلى قد رواه الحاكم في المستدرک في حديث أنس ولم يصححه ولا يصح رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الزراء من حديث أنس أيضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يكون فدخل عليهم رجل طويل شعر للتسكين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ يضادق باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتبل على أصحابه فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فاقمت وخلفا من كل حال قال النبي صلى الله عليه وسلم فأتبلوا ونظروا إليكم في البلاد فانظروا فان للصاب من لم يجره الثوب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر على الرجل فظفروا بينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر لعل هذا الحضر أخونا عليه السلام جاء يزيينا ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث علي بن أبي طالب لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أت سمع حسه ولا ترى شخصه قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عوضا من كل مصيبة وخلفا من كل حال وذكرنا من كل فاقمت فبانه تقوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي بن تدرن من هذا هو الحضر وفيه محمد بن جعفر الصادق تتكلم فيه وفيه أقطاع بين بن الحسين وبين جده على وال معروف عن علي بن الحسين مرسل من غير ذكر على كابر رواه الثاقبي في الأموليس في ذكر الحضر

التسوية مع ولده

تلك القوة ما قدر

على السمع ثم ألتشد

القال مثملا

وبدا له من بعد

ما اندمل الموى

بري فألقى موهنا

لما

يدو كاشية الرداء

ودونه

صب البرى متنع

أركان

قبدا لينظر كيف لاح

فلم يطق

نظرا إليه وزده

أشجانه

فالتار ما اشتملت عليه

ضلوه

والله ما سمعت به

أشجانه

ومنها قولهم التخل

والاستئثار قال الجند

على كل حال وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الأحراب وحده فقه
الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهادن الكتاب كأنزل وأن الدين كاشع
وأن الحديث كاحدث وأن القول كاقال وأن الله هو الحق للبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك
ونيك وحبيك وأمينك وخيرتك وصفوك بأفضل ماصليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل
صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المؤمنين محمد فادنا خير
وإمام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابشه مقام محمود أيضا بطله به
الأولون والآخرون وافضنا بمقامه المأمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلنه الدرجة
والوسيلة في الجنة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك على آل محمد كاصليت وباركت على
إبراهيم إنك حميد مجيد أيها الناس إنه من كان يبيد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يبيد الله فإن
الله حي لم يموت وإن الله قد هدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعا فإن الله عز وجل قد اختار لانيه صلى الله
عليه وسلم ماضيه على ما عندكم وقبضه إلى نوابه وخلف فيكم كتابه ونبه نبيه صلى الله عليه وسلم
فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشفلكم
الشیطان بموت نبيكم ولا يفتنكم عن دينكم وما جاول الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستظنوه فليحرق
بكم ويشتكنكم . وقال ابن عباس لما فرغ أبو بكر من خطبته قال يا عمر أنت الذي بلغي أنك تقول
مامات نبي الله صلى الله عليه وسلم أما ترى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا وكذا أو يوم
كذا : كذا وكذا وقال تعالى في كتابه - إنك ميت وإنهم ميتون - فقال والله لك أني لم أصع بها في كتاب
الله قبل الآن لما نزل بنا أشهد أن الكتاب كأنزل وأن الحديث كاحدث وأن الله حي لا يموت
- إنا لله وإنا إليه راجعون - وصار الله على رسوله وعند الله حُجب رسوله صلى الله عليه وسلم
ثم جلس إلى أبي بكر . وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا تسله قالوا : والله ما ندرى كيف
نفسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أجبره من ثيابه كما نضع جونا أو نفسه في ثيابه قالت فأرسل
الله عليهم النوم حتى ما بق منهم رجل إلا واضح لحيته على صدره ناعما ثم قال لا يدري من هو عسوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فاشبهوا ففعلوا ذلك . فنفسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قميصه حتى إذا فرغوا من غسله كفن وقال على كرم الله وجهه أزدنا خلق قميصه فزودنا لخلعوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فأقرروا أنه فضلناه في قميصه كما نفسل مواتنا مستلقيا ما نشاء
أن يلقب لنا منه عضو لم يالغ فيه إلا قلب لنا حتى تفرغ منه وإن معنا لحفياء في البيت كالريح الرخاء
وصوت بنا أفرقوا رسول الله ﷺ فانكم مستكفون فكذلك كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يترك سبدا ولا لبدا إلا دفن معه قال أبو جعفر فرش لحده بغيره وقطيفة وفيه قم يترك بعد وفاته مالا ولا يني في حياته
يلبس يقظان على القطيفة والفرش ثم وضع عليها في أكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا يني في حياته
لبنة على لبنة ولا وضع قصبه على قصبه (١) ففي وفاته عرة تامة وللمسلمين به أسوة حسنة .

(وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه)

لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فحملت بهذا البيت :

(١) حديث أبي جعفر فرش لحده بغيره وقطيفة وفيه قم يترك بعد وفاته مالا ولا يني في حياته لبنة
على لبنة ولا وضع قصبه على قصبه أما وضع للقرعة والقطيفة فألقى وضع القطيفة فخران مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا وأما كونه لم يترك مالا فقد تقدم
من حديث عائشة وغيرها وأما كونه ما بق في حياته فقد تقدم أيضا .

إنما هو تأديب
وتهديب وتذويب
فالتأديب هو الاستتار
وهو للعوام والتذيب
للخوفا وهو التجلي
والتذويب للأولياء
وهو المشاهدة وحاصل
الاهارات في الاستتار
والتجلي راجع إلى
ظهور صفات النفس .
(ومنها الاستتار) وهو
إشارة إلى غيبة صفات
النفس بكمال قوة
صفات القلب (ومنها
التجلي) ثم التجلي قد
يكون بطريق الأفعال
وقد يكون بطريق
الصفات وقد يكون
بطريق الذات والحق
تعالى أي على
الخصوص موضع
الاستتار رحمة منه

لمسرك ما يضي التراء عن التقى إذا حشرت يوما وشاق بها الصدر
فكشف عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولي - وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
تحيد - انظروا ثوبي هذين فاعساوهما وكفوني فيهما فان الحق إلى الجديده أحوج من الليث .
وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ريح التمام عسة للأرامل

قال أبو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا ألا ندعوك طيبا ينظر إليك؟
قال قد نظر إلى طيبني وقال إني ضال لما أريد . ودخل عليه سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه
بعوده فقال يا أبا بكر أوصنا فقال : إن الله طامع عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلائكم ، واعلم أن
من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تضرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ، ولما تجل
أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخاف فاستخلف عمر رضي الله عنه فقال الناس
له استخلفت علينا فظا غليظا فإذا يقول لربك فقال أقول استخافت على خلقك خير خلقك ثم أرسل
إلى عمر رضي الله عنه فجاء فقال إني موصيك بوصية . اعلم أن الله حقا في النهار لا يقبله في الليل وإن
الله حقا في الليل لا يقبله في النهار وأنه لا يقبل النافقة حتى تؤدي القرصة وإنما قلت موازين من قلت
موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وقوله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يقبل
وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفت عليهم وحق لميزان لا يوضع
فيه إلا الباطل أن يخف وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وبجوارح عن سيئاتهم فيقول القائل
أنا دون هؤلاء . ولأبلى بلغ هؤلاء فإن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم وورد عليهم صالح الذي عملوا
فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون للؤمن من رغباء رابها
ولا يلقى يديه إلى التهلكة ولا يئس على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحب
إليك من الموت ولا بذلك منه وإن ضيعت وصيتي فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت . ولا بذلك
منه . ولست بمعجزة ، وقال سعيد بن المسيب لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أتاه ناس من الصحابة
فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فانا نراك لما بك . فقال أبو بكر من قال هؤلاء
الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق اللبن قالوا وما الأفق اللبن ؟ قال قال بين يدي العرش
فيه رياض الله وأنهار وأشجار يشاء كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه في هذا
اللكان : اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فرقتين فرقا للثيم وفرقا
للسعير فأجعلني للثيم ولا تجعلني للسعير . اللهم إنك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت
منهم شقيا وسعيدا وغويا ورعيذا فلا تشقني بمصائبك . اللهم إنك طعت ما تنكسب كل نفس قبل
أن تخلقها فلا تجعل لها ما عملت فأجعلني ممن تستعمله بطاعتك . اللهم إن أهدأ لا يشاء حتى تشاء
فاجعل مشيئتك أن أماء ما يقربني إليك . اللهم إنك قد قدرت حركات العباد فلا تحرك شيء
إلا بإذنك فاجعل حركاتي في حقك . اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما ما مالا
يعمل به فأجعلني من خير التامين . اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحد منهما أهلا
فاجعلني من سكان جنتك . اللهم إنك أردت بجوم الضلال وضيق به صدورهم فأخرج صدرني
للإيمان وزينه في قلبي . اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك فأجني بعد الموت حياة
طيبة وقربني إليك زلفي . اللهم من أصبح وأمسى تحته ورجاؤه غيرك فأنت حتى ورجاؤه ولا رسول
ولا قوة إلا بالله قال أبو بكر هذا كله في كتاب الله عز وجل .

لهم ولتبرم فأما لهم
فلائهم به يرجعون
إلى مصالح النفوس وأما
لتبرم فلا تلووا مواضع
الاستعداد لم ينتفع بهم
لاستراقهم في جمع
الجمع وبروزهم لله الواحد
القهار . قال بعضهم
علامة تجلي الحق
للأشراوهوان لا يشهد
السر ما يتسلط عليه
التصير وهو به الفهم
فمن عبر أوفهم فهو
صاحب استدلال لا ناظر
اجبال . وقال بعضهم
التسجل رفع حجة
البشرية لأن يتلون
ذات الحق عز وجل
والاستحار أن تكون
البشرية حائلة بينك
وبين شهود القيب .
(ومنها التجربة بدو التبريد)

(وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه)

قال عمرو بن ميمون كنت قائماً غداة أصيب عمر ما بين وبينه إلا عبد الله بن عباس وكان إذامراً بين الصنفين قام بينهما فإذا رأى جلاً قال استبوا حتى إذا لم يفرهم خلا فقدم فسكر وقال وبعثوا سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فها هو إلا أن كبر فسمعه يقول قتلني أو أكلني السكب حين طعنه أبو لؤلؤة وطار الملح بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد عينا أو عملاً إلا طعنه حتى طعن ثمانين رجلاً فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما رأى ذلك كل رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما طعن الملح أنه مأخوذ بغير نفسه ، وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه فأما من كان يلى عمر فقد رأى ما رأيت وأما نواحي المسجد ما يدرون ما الأمر غير أنهم قد دوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فطلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن البأس انظر من قتلني قال فشاب ساعة ثم جاء فقال غلام النيرة بن شعبة فقال عمر رضي الله عنه قاله الله لقد كنت أمرت به معروفا ، ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل مني يدا رجل مسلم قد كنت أمت وأبولك عجان أن يكثر الملوح بالمدنية وكان العباس أكثرهم رقيقاً فقال ابن عباس إن شئت فعلت : أي إن شئت قتلنا قال بعد ما تكلموا بلسانك وصلوا إلى قبلكم وجوا صاحبكم فاحتمل إلى بيته فانطلقا معه قال وكان الناس لم تصهم مصيبة قبل يومئذ قال فقال يقول أخاف عليه وقائل يقول لأبأس فآني بنييد فشر به فخرج من جوفه ثم آني بلبن فشر به منه فخرج من جوفه فصرفوا أنه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس ينتون عليه وجاء رجل شاب فقال أشرت يا أمير المؤمنين بشي من الله عز وجل قد كان لك حصبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم في الإسلام ما قد علمت ثم ولت فصدت ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان كفاهاً لاطي ولأني فلما أدير الرجل إذا إزاره عس الأرض فقال ردوا على الغلام فقال يا ابن أخي ارفع يوك فانه أنقى لوك وبك أنقى لك ثم قال يا عبد الله انظر ما لي من الدين غسبوه فوجدوه سنة وثمانين ألفاً أو نحوه فقال إن وفي به مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فصل في بني عدي بن كعب فان نف أموالهم فصل في قريش ولا تقدم إلى غيرهم وأدعني هذا النال انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل عمر يقرأ عليك السلام ولا نقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميراً وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فذهب عبد الله فلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدتها قاعدة تنبكي فقال اقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى ولأولاده اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال انصرفي فأسندته رجل إليه فقال مالك قال الذي تحب يا أمير المؤمنين قد أذنت قال الحمد لله ما كان عني أم إلى من ذلك فإذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستأذن عمر فان أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يستقرن بها فلما رأيناها قلنا فولجت عليه فينكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت داخل فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا أوس يا أمير المؤمنين واستغلف فقال ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء التفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وجعفر وعبد الرحمن وقال يغفر الله لعمر ولايس له من الأمر شيء كهيئة التوبة له فان أضابت الإمامة سعداً فذلك والإفليس من به أكرم أسرفاني لم أعزل من محزون ولا ضيعة قال أو صهي خليفتي من بيتي بالمهاجرين الأربعة أن يعرف لهم غلهم ويحفظ لهم حرمهم وأوصيه بالأصغار الذين تروءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقل من محبتهم وأن ينفون عن مسيئتهم وأوصيه بأهل الأمسا وخير فانهم زددوا الإسلام

الإشارة منهم في التجريد والتفريد أن البسبب يتجرد عن الأغراض في نفسه لا يأتي بما يأتي به نظراً إلى الأغراض في الدنيا والآخرة بل ما كوهف به من حق العظمة يؤديه جنب جهده يهودية وإعتادا والتفريد أن لا يرى نفسه فيما يأتي به بل يرى منة الله عليه فالتجريد بنى الأغيار والتفريد يعني نفسه والابتغائه فرؤية نعمة الله عليه وفيه من عصبه (ومنها الوجه والتسواجد والوجود) قالوا جمارد على الباطن من الله يكسبه فربما أوحنا ويظهره عن هيبته

وجباة الأموال وغيظ العدو وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضا منهم وأوصيه بالأعراب خيرا فانهم أصل العرب ومادة الإسلام وأن يأخذ من حوائش أموالهم ويرد على فقرائهم وأوصيه بدمه الله عز وجل وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بمهدم وأن يقاتلهم من وراءهم ولا يكافهم إلا طاقهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نحمل فسلم عبد الله بن عمر وقال يسأذن عمر بن الخطاب فقاتل أدخلوه فأدخلوه في موضع هناك مع صاحبيه الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال لي جبريل عليه السلام ليك الإسلام على موت عمر ^(١) » وعن ابن عباس قال « وضع عمر على سريره فكشفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فهم فلم يرعنى إلا رجلا قد أخذ بمنكبى فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب إلى أن ألقى الله بثل عمله منك وإيم الله إن كنت لأظن ليجهنك الله مع صاحبك وذلك أني كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ذهب أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ^(٢) » فاني كنت لأرجو أو لأظن أن يحبك الله معهما .

(وفاة عثان رضي الله عنه)

الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام أتيت أخى عثان لأسلم عليه وهو محصور وقد خلت عليه فقال مرحبا يا أخى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهى خوخة في البيت فقال يا عثان حصرك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فأدلى إلى دلو ماء فيه شربة حتى رويت حتى إنى لأجد رده بين يدي وبين كفى . وقال لى إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه . وقال عبد الله بن سلام لمن حضر : تشحط عثان في اللوت حين جرح ماذا قال عثان وهو يتشحط ؟ قالوا سمعناه يقول : اللهم اجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والقتى تسمى بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثان رضي الله عنه فقال اتوني بصاحبك الذين ألباكم على قال بغيري بهما كأنهما هما حملان أو حماران فأشرف عليهم عثان رضي الله عنه فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستغذب غير يثر رومة فقال من يشتري رومة يحمل دلوه مع دلاء المسلمين غير له منها في الجنة فاشترتها من صلب مالى فأتمم اليوم يتمون أن أشرب منها ومن ماء البئر ؟ ذلوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالى ؟ قالوا نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن للسجدة كان قد ضاعى بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيريها في السجدة غير منها في الجنة فاشترتها من صلب مالى فأتمم اليوم يتمون أن أسلم فيها ركعتين ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على شير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا تحرك الجبل حتى تساقطت حجاراته بالحبيش قال فركبته برجله وقال اسكن شير . فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان ؟ قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لى ورب الكعبة أتى شهيد ^(٣) . وروى عن شيخ من متبة أن عثان حين

(١) حديث قال لي جبريل عليه السلام ليك الإسلام على موت عمر أبو بكر الأجرى في كتاب الشريعة من حديث أنى بن كعب بسند ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى في اللوحات (٢) حديث ابن عباس قال وضع عمر على سريره فكشفه الناس يدعون ويصلون قد كر قول على بن أبي طالب كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهب أنا وأبو بكر وعمر الحديث متفق عليه (٣) حديث ثمامة ابن حزن القشيري شهدت الدار حين أشرف عليهم عثان الحديث الترمذى وقال حسن والنسائي .

ويطلع إلى الله تعالى وهو فرحة بحبها القلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها إلى الله تعالى والتواجد استعجاب الوجد بالذكر والتفكير والوجود اسم فرجة الوجد بالخروج إلى قضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع البيان فالوجد بمرئىة الزوال والوجود ثابت بثبوت الجبال وقد قيل : قد كان بطريق وجدى فأصدق عن رؤية الوجد من في الوجد موجود والوجد يطرب من في الوجد راحته والوجد حد حضور الحق مقفود

ضرب والدماء تسيل على لحيتيه جعل يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم إني أستعذك عليهم وأستعينك على جميع أمورى وأسألك الصبر على ما ابتليتنى .

(وفاة علي كرم الله وجهه)

قال الأصمغ الحنظلي لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي كرم الله وجهه أنما ابن التياح حين طالع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متماثل فصاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام على عيشه وهو يقول:

اشدد حيازيمك للموت فإن للوثة لاقبكا

ولا تجزع من اللوثة إذا غسلت بوادبكا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضر به فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه فجلست تقول مالي ولصلاة الضادة قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الفداء وقل أبي صلاة الفداء وعن شيعة من قريش أن علياً كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي أنه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق إلا بـ لا إله إلا الله حتى قبض ولما قتل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين رضي الله عنه فقال يا أخى لأى شيء تجزع تقدم على رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب وهما أبو الولى على خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أمك وعلى حمزة وجعفر وهما عمك قال يا أخى أقدم على أمر لم أقدم على مثله وعن محمد بن الحسن رضي الله عنهما قال لما نزل القوم بالحسين رضي الله عنه وأيقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً حمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل من الأمر ما ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتكررت وأدير معروفاً وانتشرت حتى لم يبق منها إلا كصباة الإناء الأحصي من عيش كالمري الويل لألارون الحق لا يعمل به والباطل لا يتكاهى عنه ليرغب للؤمن في لقاء الله تعالى وإنى لأرى للوثة الإسعاده والحياة مع الظالمين الإجرما .

(الباب الخامس في كلام المختصرين من الخلفاء والأمراء والصالحين)

لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال أقمدوني فأقعد جعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال ثم تذكر ربك يا معاوية بعد الحرم والأعطاط ألا كان هذا وضمن الشباب نصر ديان وبكى حتى علا بكاءه وقال يارب أرحم الشيخ المامى ذا القلب القاسى اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بهلك على من لم ينزع فترك ولم يبق بأحد سواك . وروى عن شيعة من قريش أنه دخل مع جماعة عليه في مرضه فراءوا في جلده غصونا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فبذل الدنيا أجمع إلا ما جربنا ورأينا أما والله لقد استقبلنا زهرتها بحدتنا وباستقلنا ذاتنا ببيننا فما لبثنا الدنيا أن قضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلفتنا واستألمت إلينا أف لدينا من دار ثم أف لها من دار . وروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس إن من ذرع قد استحصد وإنى قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدى إلا وهو شر منى كما كان من قبلى خيراً منى وبإيزيد إذا ولى أجلي قول غسلى رجلاً ليلاً فإن الأيب من الله بكان فليتم التسلى وليجبر بالتكبير ثم اصعد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم فقرأه من عمره وأطافه فاستودع القراصة أنقى ولقى وأذى وعين واجعل الثوب على جلهى دون أكفانى وبإيزيد احتفظ وصية الله في الوالدين فإذا أدرجتونى في جديدى ووضعتونى في حفرى خلوا معاوية وأرحم الراحمين . وقال محمد بن عتبة لما نزل معاوية للوثة قال يا ليتنى كنت رجلاً من قريش بذى طوى . وإنى لم أله من هذا الأمر شيئاً . ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلقى ثوباً بيده ثم يضرب به الفسحة فقال عبد الملك ليتنى كنت غسلاً آكل من كسب يدي يوماً يوم

(الباب الخامس في كلام جماعة من المختصرين)

(ومنها الغلبة) الغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة كتلاحق السبرق وتواتره يشيب عن التميز فالوجد ينطفئ سريعاً والغلبة تبقى للأسوار حزامينها . (ومنها السامرة) وهى تغرد الأرواح بحسنى مناجاتها ولطيف مناجاتها فى سر السر بلطيف إدراكها للقلب تغرد الروح بها فتلتد بها دون القلب (ومنها السكر والصحو) فالسكر استيلاء سلطان الحال والصحو العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال قال محمد بن حنفية

صلى الله عليه وسلم أن تكون بنة أحدنا من الدنيا كراد الراكب (١) فقامت سلمان نظري جميع ماترك فأذا نيتة بضمة عشر درهما ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته واحزنه فقال بل واطرباه غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه وقيل فصح عبدالله بن المبارك عنه عند الوفاة وشجك وقال لكل هذا فليعمل العالمون - ولما حضر إبراهيم النخعي الوفاة بكى قائل له ما يبكيك قال أتظن من الله رسولا يشرني بالجنة أو بال نار ولما حضر ابن النكدر الوفاة بكى قائل له ما يبكيك فقال والله ما أبكي لذنب أعلم أني أئتمته ولكن أخاف أني أئمت شيئا حسبت هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر عامر بن عبد القيس الوفاة بكى قائل له ما يبكيك قال ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن أبكي على ما غفوتني من غدا المواجه وعلى قيام الليل في الشتاء ولما حضرت فضيلا الوفاة فغشى عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفراه واثقه زاداه ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاة أجعل رأسي على التراب فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعم وأنت هو ذا تموت فقيرا غريبا قال أمتك فاني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الأغنياء وأن يمتني موت الفقراء ثم قال له لقي ولانصد على ما لم أنكمم بكلام ثان . وقال عطاء بن يسار يئدي إليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما أنتك بعد وبكى بعضهم عند الموت قائل له ما يبكيك قال آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل - إنما يتقبل الله من المتقين - ودخل الحسن رضي الله عنه على رجل يعود نفسه فقال إن امرأه إذا أوله لجدير أن يفتي آخره وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهق في أوله . وقال الجبري كنت عندا لجديد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم التبروز وهو يقرأ القرآن فحتم فقلت له في هذه الحالة يا أبا القاسم قال ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى صفيقي . وقال ربيع حضرت وفاة أبي سعيد الخزاز وهو يقول:

حين قلوب العارفين إلى الذكر وتنسكارهم وقت الحاجة لرس
أدبرت ككؤوس الدنيا عليهم فأغفوا عن الدنيا كغفاد ذي الشكر
هو مهمو جواره بمسك به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم في الأرض قتلى بجبه وأرواحهم في الحجب نحو الملائكي
لما قرءوا لا يسرب جبينهم وما عزجوا من مس يؤس ولاضر

وقيل للجديد إن أبا سعيد الخزاز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بهجب أن تطير روحه اشتياقا وقيل لقي النون عند موته ما تشهى قال أن أعرفه قبل موتي بلحظة وقيل لبعضهم وهو في التربع قال الله قال إلى متى تقولون الله وأنا محترق بالله . وقال بعضهم كنت عند مشاهد البنوري فقدم فقير وقال السلام عليكم هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه قال فأعزوا إليه فكان وكان ثم عين ماء فجعد الفقير الوضوء وركع ماشاء الله ومضى إلى ذلك المكان ومدرجه ومات وكان أبو العباس البنوري يتكلم في جلسته فصاحت امرأة تواجدا قال لها موني فقامت للرافلما بلغت باب الدار التفت إليه وقالت قد مت ووقت ميتة . ويحك عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري قالت لما قرب أجل أبي علي الروذباري وكان رأسه في حجرني فتح عينيه وقال هذما أبو اب الساء قد فحمت وهذه الجنان قد زفت وهذا قائل يقول يا أبا علي قد بلغناك الربة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول:

وحقك لا نظرت إلى سواك بسين مودة حتى أراك
أراك معذبي فتور لحظ وبالحد للورد من سياك

هو رسوم الأفعال
بنظر الفناء إلى نفسه
وإمانته والاثبات
إثباتها بها أنفا الحق
له من الوجود به
فهو بالحق لا بنفسه
باليات الحق إليه
مستقفا بسعد أن
عاه عن أوجاهه
قال ابن عطاء يحو
أوصافهم ويثبت
أسرارهم (ومنها علم
اليقين وعين اليقين
وحق اليقين) فلم
اليقين ما كان
من طريق النظر
والاستدلال وعين اليقين
ما كان من طريق
الاستحشوف والنوابع
وحق اليقين ما كان
يتحقق الانسبال
عن لوث السلصال

(١) حديث لما حضرت سلمان الوفاة بكى وفيه عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بنة أحدنا من الدنيا كراد الراكب أحمد والحاكم وصحبه وقد تقدم .

وقيل الجند قل لا إله إلا الله فقال ما نسيت فأذكره وسأل جعفر بن نصر بكر أن الدينوري خادم الشبل ما الذي رأيت منه فقال قال عليّ درهم مظلة وتصدق عن صاحبه بألف لما عليّ قلب شغل أعظم منه ثم قال وضئ الصلاة فقلت فنسيت تحليل لحية وقد أمسك على لسانه فبض على يدي وأدخلني في لحية ثم مات فبكي جعفر وقال ماتوا في رجل لم يغت في آخر عمره أدب من آداب الشرير يقول بلسان الحرث لما احتضر وكان يشق عليه كأنك تحب الحياة فقال القوم على الله شد يدو قيل لصلاح بن مسبار ألا توصي بانيك وعيالك فقال إني لأستحي من الله أن أوصي بهم إلى غيره ولما احتضر أبو سليمان الداراني أتاه أصحابه فقالوا أبشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسب بالصبر ويمابق بالكبر ولما احتضر أبو بكر الواسطي قيل له أوصنا فقال احفظوا أمراد الحق فيكم احتضر بضخم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك قالت عليك أبكي فقال إن كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة وقال الجند دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت كيف تهلك فأنتأ يقول :

كيف أشكو إلى طيبي ماي والدي في أصابي من طيبي
فأخذت الروح لأروحه فقال كيف يجد ريح الروح من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول :
القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مغترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق
يارب إن يك شيء في له فرج فامتنن على به مادام في رمق
وحكى أن قوما من أصحاب الشبل دخلوا عليه وهو في اللوت فقالوا له قل لا إله إلا الله فأنشأ يقول :

إن يبتأ أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج وجهك للأموال حجتنا
يوم يأتي الناس بالحجج لا أتاح الله لي فرجا يوم أددو منك بالفرج
وحكى أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجند في وقت زعه فلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بدساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولي وجهه إلى القبلة وكبر ومات وقيل للسكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب أجلى ما أخبرتكم به وقفت على باب فاني أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حبسته عنه وحكى عن المعتز قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات اللوت فانه كان وكان قد ذكرت محاسنه فألقى فقال من التكم أقلت أنا فقال إن ملك اللوت عليه السلام يقول لي إن بكل سخي رفيق ثم طفي ولما حضرته يوسف بن أسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلعا فقال يا أبا محمد هذا أو انطلق والجزع فقال يا أبا عبد الله وكيف لا ألقى ولا أجزع وإني لا أعلم أني صدقت الله في شيء من عملي فقال حذيفة وأهمل هذا الرجل الصالح خلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله وعن المازلي قال دخلت على شيخ على من أصحاب هذه الصفة وهو عليل وهو يقول يمكنك أن تعمل ما تريد فارقني بي . ودخل بعض الساج على عمشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى ومنع من باي الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما أعزتها طرفي . وقيل لرويم عند اللوت قل لا إله إلا الله فقال لا أحسن غيري ولما حضرته الثوري الوفاة قيل له قل لا إله إلا الله فقال أليس ثم أمر . ودخل الزني على الشافعي رحمه الله عليهما في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلا ولا أخوان مقاربا ولسوء عمل ملقيا وليكأس للنية شاربيا وعلى الله تعالى واردا ولا أدرى أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزها ثم أنشأ يقول :

بورود رائد الوصال
قال فارس : علم اليقين
لا اضطراب فيه
وعين اليقين هو
السلم الذي أودعه
الله الأسرار والعلم
إذا انفرد عن نعمت
اليقين كان علما
بشبهة فإذا انضم
إليه اليقين كان علما
بلا شبهة وحق اليقين
هو حقيقة ما أثار
إليه علم اليقين وعين
اليقين . وقال الجنيد
حق اليقين ما يتحقق
باليد بذلك وهو
أن يشاهد التسبب
كما يشاهد الرميات
مشاهدة غيبان
وهكم على القلب فيخير
عنه بالصدق كما أخبر
الصدوق حين قال لما

ولما قسا قلبى وضاعت مذاهبى جلت رجائى نحو عفوك مسلما
تصاطفى ذنبى فلما قرئت به عفوك ربي كان عفوك أعظما
فلما زلت ذا عفوعن الذنب أنزل تجود وتغفو مشة وتكرما
ولولاك لم ينوى بإليس هابدة فكيف وقد أعزى صفيك آدماء

ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة مثل عن مشقة قدمت عيناه وقال يا بنى باب كنت أدته حسنا
وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لى لأدرى أفتح بالسعادة أو الشقاوة فكان لى وأوان الجواب فهد
أقاويلهم وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فقلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى
بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة إلى أحوالهم.
(الباب السادس فى أقاويل المارفين على الجنائز واللقابر وحكم زيارة القبور)

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة فأنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة لأنهم
يظنون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لأعمالهم على الجنائز يحملون أو يحسبون
ذلك ولكمهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون
فيطل حسابهم واقربش على القرب زمانهم فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولا عليها
فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولله في غدا أو بعد غدا . وروى عن أبى هريرة أنه كان إذا
رأى جنازة قال امضوا فانا على الأثر . وكان مكحول المشقى إذا رأى جنازة قال اغدوا فانا راحون
موعظة بلينة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لا عقل له . وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة
لقد تنقى نفسى بشئ سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه ولم أمتأخروا لك بن دينار خرج مالك
فى جنازته يسكى ويقول والله لا تفر عني حتى أعلم إلى ما صررت إليه ولا أعلم ما مدت حيا وقال الأعمش
كنا نشهد الجنائز فلا ندرى من نمرى لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا
متنعما بما كنا فيه فكنا كان خوفهم من الموت وأن لا تنظم إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثروا
بضعفكون ويلهون ولا يشككون إلا فى ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكرون أقراننا وأقربه إلا فى الحيلة
التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله فى جنازة نفسه وفى حاله إذا حمل
عليها ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة للمصائب والنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر
والأحوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونفعل ونشتغل بما لا ينينا فنسأل الله تعالى القطة من هذه
الغفلة فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكادهم على الليث ولو عقوا بالسكوا على أنفسهم لاطى الليث
نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الليث قال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم إنه
نجا من أهوال ثلاثة : وجهه ملك للوت وقد رأى ، وممرارة للوت وقد ذاق ، وخوف الحامة وقد
أمن . وقال أبو عمرو بن الصلاء : جلست إلى جرير وهو على كتفه شعرا فأطلمت جنازة
فأمسكت وقال شيتى والله هذه الجنائز وأنشأ يقول :

ترونا الجنائز مقبلات وتلهو حين تذهب مديرات

مكروعة ثلة لخار ذئب فلما ظاب عادت راقعات

فإن آداب حضور الجنائز التفكير والتنبه والاستعداد وللى أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا
آدابها وسنته فى فن القبه ومن آدابها حسن الظن بالميت وإن كان قاصفا وإساءة الظن بالنفس وإن
كان ظاهرها الإصلاح فإن الحامة خطرة لا تدرى حقيقتها ، ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه ما ند

(الباب السادس فى أقاويل المارفين على الجنائز واللقابر)

قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« ماذا أحببت لعمالك
قال الله ورسوله وقال
بعضهم : علم اليقين
حال التفرقة وعين
اليقين حال الجمع وحق
اليقين جمع الجميع
بلسان التوحيد وقيل
اليقين اسم ورسم
وعلم وحسين وحق
قال اسم والرسم للموت
وعلم اليقين للأولياء
وعين اليقين لخواص
الأولياء وحق اليقين
للائبهاء عليهم الصلاة
والسلام وحقية اليقين
اختص بها نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم .
(ومنها الوقت) والبراد
بالوقت ما هو غالب
على السبب وأغلب

واحد من جيرانه وكان مسرفاً على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبتك عمرتك بالثوبين وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذهب وذو خطايا فمن منا غير مذهب وغير ذي خطايا. ويحك أن رجلاً من التهمكيني في القسامات في بعض نواحي البصرة فلم يجد أحداً من بينها على حمل جنازته إذ لم يدبرها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملوها إلى الصلي فاصلى عليه أحد حملتها إلى الصحراء لدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها فالتفت الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلىوا عليه وتبج الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام أنزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تبج الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في اللأخور مشغولاً بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيئاً من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء : كان كل يوم يفق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح في جماعة ثم يهوى إلى اللأخور ويشتل بالقسق ، والثاني أنه كان أبداً لا يخلو بيته من نعيم أو يبتغيه وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التقصد لهم ، والثالث أنه كان يفق في أثناء سكره في ظلام الليل فيسكى ويقول يارب أى زاوية من زوايا جهنم تريد أن أعملها بهذا الحبيب يعني نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره . وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره :

فان تخرج منها تخرج من ذى عطية ولا فاني لإخالك ناجيا
(بيان حال القبر وآفة ويلهم عند القبور)

قال الضحاك قال رجل « يا رسول الله من أزهدهم الناس قال من لم ينس القبور والى وترك فضل زينة الدنيا وأثر ما يلقى على ما يلقى ولم يعد غداً من أيامه وعدّ نفسه من أهل القبور (١) . وقيل لم ينس كرم الله وجهه لما شأنتك جاورت للقبرة قال إلى أجدم خير جيران إلى أجدم جيران صدق يكونون الألسنة ويدكرون الآخرة وقال رسول الله ﷺ « ما رأيت منظرًا إلا والقبور أقطع منه (٢) » وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القابر فيجلس إلى قبره وكنت أذن القوم منه فيسكى ويكبت وبكوا فقال ما يكيكم قلنا بكينا لك قال هذا قبر أمي أمانة بنت وهب استأذنت ربى في زيارتها فأذن لي فاستأذنته أن أستغفر لها فأبى حتى فأدركته ما يدرك الولد من الرقة (٣) »

(١) حديث الضحاك : قال رجل يا رسول الله من أزهدهم الناس؟ قال من لم ينس القبور والى والبلى الحديث هدم (٢) حديث : ما رأيت منظرًا إلا والقبور أقطع منه هدم في الباب الثالث من آداب السجدة (٣) حديث عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القابر فيجلس على قبره وكنت أذن القوم الحديث وفيه هذا قبر أمته بنت وهب استأذنت ربى في زيارتها فأذن لي الحديث وهدم في آداب السجدة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث ابن مسعود وفيه ذكر لعمر بن الخطاب وآخره عند ابن ماجه مختصراً وفيه أيوب بن هاني ضمه ابن معين وقال أبو حاتم صالح .

ما على اليد وقت
قانه كاليف
الوقت يحكمه ويقطع
وقد يراد بالوقت
ما بهج على اليد
لا يكسبه فيتصرف
فيه فيكون يحكمه
يقال فلان يحكمكم
الوقت يسى مأخوذاً
عما منه بما لحق.

(ومن القية والشهود)

فالشهود هو الحضور
وقتا بنت الرابطة
ووقتا بوصف
للشاهدة لبادام العبد
موصوفاً بالشهود
والرعاية فهو حاضر
فاذا قد حال
للشاهدة والراقية
خروج من دائرة
الحضور فهو غائب
وقد ينون بالنية

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر يبكي حتى ييل لحيته فستل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وبكى إذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد» وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى للقبرة فزول وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصفه فقال ذكرت أهل القبور وباحيل بينهم وبينه فأجبت أن أقبر إلى الله بهما وقال مجاهد أول ما يبكيك ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت التربة وبيت الظلمة هذا ما أعدت لك فما أعدت لي . وقال أبو ذر الأنخري يوم قبرى يوم أوضع في قبري وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فقيل له في ذلك فقال أجلس إلى قوم يذكرون معادى وإذا قلت لم يفتأ بونى وكان جعفر بن محمد يأتي القبور ليلا ويقول بأهل القبور مالى إذا دعوتك لا تجيبونى ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوانى وكأنى بى أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر . وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد أرقت الليلة أضغرك في القبر وساكه إنك لو رأيت لبيت بعد ثلاثة في قبره لاستوحشت من قبره بعد طول الأنى منك به ولو رأيت بيتا يحول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وغترقه الدواب مع قعر الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح وبقاء الثوب قال ثم شق شقة خر منشبا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول أيا للقبور في حفرته وللتنخل في القبر ووحده للسناسي في بطن الأرض ليت شعري بأى أعمالك استبشرت وبأى اخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى ييل عمامته ثم يقول استبشر بالله بأعماله الصالحة واغتبط بالله بأخوانه التعاونين على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الأصم من من بالمقابر فلم يفسكر لنفسه ولم يدع لهم قد خان نفسه وخاتهم وكان بكر العابد يقول يأماما لبيتك كنت بى عفا إن لبيتك في القبر جسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دماك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيئه إن أجبته من دنياك واشغلت بالرحلة إليه دخلتها وإن أجبته من قبرك منمتها وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول ما أحسن ظواهرك إنما الدواهي في بواطنك وكان عطاء السلمي إذا جن عليه الليل خرج إلى للقبرة ثم يقول يا أهل القبور متى فواموتاه وما بتم أعمالكم فواعملاه ثم يقول غدا عطاء في القبور غدا عطاء في القبور فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح وقال سفيان من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبرا فسكان إذا وجد في قلبه فساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول رب ارجعون لى أعمل صالحا فإني تركت- يرددها ثم يرد على نفسه ياربيع قد رجعتك فاعمل وقال أحمد بن حرب تستجب الأرض من رجل يعبد مضجعه ويسوى فراشه لئلا تنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء . وقال يمين بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى للقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل على فقال يا ميمون هذه قبور آباءى بنى أمية كأنهم لم يشاركو أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم أما إني صرعى قد حلت بهم الثلاث واستحك فيهم البلى وأصابني الهوام مقيلا في أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنتم بمن صار إلى هذه القبور وقد آمن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت القابر فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائلى يقول يا ثابت لا يضررك صوت أهلها فكم

(١) حديث عثمان كان إذا وقف على قبر يبكي حتى ييل لحيته وفيه إن القبر أول منازل الآخرة الترهلى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه وتقدم في آداب الصلاة .

القيمة عن الأشياء
بالحق فيكون على
هذا المعنى حاصلا ذلك
رأجا إلى مقام الفناء
(ومنها الذوق والشرب
والرى) فالذوق إيمان
والشرب علم والرى
حال فالذوق الأرباب
الوادع والشرب لأرباب
الطوالج واللبسوايح
والوامع والرى لأرباب
الأحوال وذلك أن
الأحوال هي التي تستغفر
لها لم يستغفر فليس
يهاى وإنما هي لوامع
وطوالج وقيل الحال
لا تستغفر لأنها تحسول
فإذا استغفرت يكون
مقاما (ومنها المجاهرة
والكاشفة والشهادة)
فالمجاهرة لأرباب
التسوين والشهادة

من نفس مغمومة فيها ، وروى أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فظننت وجهها وقالت :

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلموا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ماقتضوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يشعروا فاقبلوا . وقال أبو موسى التميمي : توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفهم الحسن فقال له الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله متلستان سنة فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافني أشد من القبر التهابا وأضيقا

إذا جاني يوم القيامة قائدا عفيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مثني إلى النار مغلول القلاعة أزرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور :

قف بالقبور وقل على ماحاتها من منكم القومور في ظلماتها

ومن للحكم منكم في قبرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها

أما السكون لدى السيون فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها

لو جابوك لأخبروك بألسن نصف الحقائق بعد من حالاتها

أما للطبع فتأزل في روضة يغشى إلى ما شاء من دوحاتها

والجبرم الطافى بها متقلب في حفرة يأوى إلى حياتها

وعقارب تسمى إليه فروحه في حدة التصديب من لفتاتها

ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول :

عدمت الحياة ولا نلتها إذا كنت في القبر قد ألدوكا

فكيف أذوق طعام الكرى وأنت يمينك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابنه بأى خديك بدأ السود فضعي داود مكانه وخر مفشيا عليه . وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فأنشأت أقول :

أتميت القبور فتأديتها فأين للعظم والحقير

وأين للذل بسلطانه وأين للزكي إذا ما اضطر

قال فتوديت من بينها أصمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول :

فأنا جيمما لما غير وماتوا جيمما ومات الجبر

تروح وتندونيات الثرى فسمعوا من تلك الصور

فيألسالى عن أناس مضوا أما لك فيها ترى مضرب

قال فرجعت وأنا باك .

آيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد مكتوبا على قبر :

تأجيك أجدات وهن صوته وسكانها تحت القراب خفوت

أيا جامع الدنيا تفسر بلاغة لمن تصعب الدنيا وأنت تحوت

لأرباب التمكن

وللكاشفة بينهما إلى

أن تستقر فالمشاهدة

والخاضرة لأهل العلم

وللكاشفة لأهل الدين

وللمشاهدة لأهل الحق

أى حق اليقين (ومنها)

الطوارق والبوادي

والبساده والواقع

والقادر والطوالع

والقواسم واللوايح

وهذه كلها ألساظ

مقاربة للثنى ويمكن

بسط القول فيها

ويكون حاصل ذلك

راجعا إلى معنى واحد

يكسر بالبارة فلا فائدة

فيه وللتقصود أن هليم

الأسماء كلها مبادئ

الحال ومقدماته وإذا

سح الحال استوجب

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

أي غاتم أما ذراك فولسح . وترك معمور الجوانب حكم
وما ينفع للقبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه يهدم

وقال ابن السكك مرت على للقبائر فاذا على قبر مكتوب :

بمر أقاري جنيت قبرى كان أقارى لم يعرفوني
ذوو اليراث يقتسمون مالى وما يألون أن جعدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فبالله أسرع ما نسوني

ووجد على قبر مكتوبا :

إن الحبيب من الأحباب عتلى لا نضع اللوت يواب ولا حرس
كيف تفرح بالدنيا ولدتها يامن يد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافل في النقص متعسا وأنت دهرلك في اللذات متعسا
لا يرحم اللسوت ذا جهل لفرته ولا ألقى كان منه العلم يقتبس
كم أخرس اللوت في قبر وقتت به عن الجسواب لسانا ما به غرس
قد كان قصرك معمورا له شرف قفرك اليوم في الأجداد مندرس

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

وقفت على الأوبة حين سفت قبورهم كأفراس الرهان
فما أن يكنت وقاض دمعى رأت عيناى بينهم مكانى

ووجد على قبر طيب مكتوبا :

قد قلت لما قال لي قائل صار لقمان إلى رسمه
فأين ما يوصف من طبه وحذقه في اللاء مع جسده
هيات لا يدفع عن خيره من كان لا يدفع عن نفسه
ووجد على قبر آخر مكتوبا :

يا أيها الناس كان لي أمل قصر في عن بلوغه الأجل
فليتقى الله ربه رجلا أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدي قلت حيث ترى كل إلى مثله سيمقل

فهذه آيات كتبت على قبور لتفسير سكانها عن الاعتبار قبل اللوت والبصير هو الذى ينظر إلى
قبر غيره قبرى مكانه بين أظهرهم فيستمد للحقوق بهم وعلم أنهم لا يرحون من مكانهم ما لم يلحق
بهم وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذى هو مضى له لكن ذلك أحب إليهم من
الدنيا بخلافها لأنهم عرفوا قدر الأعمار وانكشف لهم حقائق الأمور فأنما حسرتهم على يوم
من العمر ليتدارك للتصبر به تصيره فيخلص من العقاب وليستزيد للوفى به رتبته فيضاعف له
الثواب فأنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك
الساعة وأملك تقدر على أمثالهم ثم أنت مضى لها فوطن نفسك على التصبر على تضيقها عند
خروج الأمر من الاختيار إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك لعل عيلى لا يتدارك قد ل بعض الصالحين
رأيت أخا لي في الله فيما يرى النائم قتلت يا غافل غشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أتوفا
بني الحمد لله رب العالمين أحب إلي من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يفتنونني فلان فلانا

هذه الأسماء كلها
ومعانيها .

(ومنها التلوين
والفكك)

فالتلوين لأرباب
القلوب لأنهم تحت

حجب القلوب وللقلوب
تخلص إلى الصفات

وللصفات تعدد بتعدد
جهاتها فظهر لأرباب

القلوب بحسب تعدد
الصفات تلوينات ولا

تجاوز للقلوب وأربابها
عن عالم الصفات وأما

أرباب التصكك
فخرجوا عن مشائم

الأحوال وخرقوا
حجب القسواب

وبشرت أرواحهم
سطوح نور اللات

فارتفع التلوين لمد
فارتفع التلوين لمد

قد قام فصولي ركتين لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلى من الدنيا وما فيها .
(بيان أقويلهم عند موت الولد)

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن يزله في تهنئه عليه في اللوت منزلة بالوكان في سفر فسيبته الولد إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فإنه لا ينظم عليه تأنيفه لئلا يحل به على القرب وليس بينهما إلا تهنئ ولا تهنئ وهكذا اللوت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يباحق للآخر وإذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لأسباب وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يترى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم مقاتل في سبيل الله» وإنما ذكر السقط تنبيها بالأذى على الأهل وإلا فالثواب على قدر عمل الولد من القلب وقال زيد بن أسلم توفي ابن لوداد عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقبل له ما كان عليه عندك قال سلمة الأرض ذهباً قيل له فإن لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ولا عوت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحسبهم إلا كانوا له جنة من النار» قالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم «أرأيت أن قال أوتانان» وليخلص الولد الله ما لوداد عند الموت فإنه أرجى دعاء وأقرب إلى الإجابة . وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحق رجائي وأمن خوفي ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال اللهم إني قد غفرت له ما وجب له عليه فأغفر له ما وجب لك عليه فانك أجود وأكرم ، ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه من ربي فهب له ما قصر فيه من طاعتك . ولما مات ذر بن حمزة بن ذر قال أبوه عمر بن ذر بعد ما وضعه في لحده فقال يادر لقد غشنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متني به مات متني ووفيت أمله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت أؤتمته طاعتك وطاعتك اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبي قد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبني فأبكي الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بسلك من خاصة يادر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة فاند ميثينا وبركناك ولواقنا ما تعناك . ونظر رجل إلى امرأة البصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذلك إلا من قلة الحزن قالت يا عبد الله إني لفي حزن ما يشركي فيه أحد قال فكيف قالت إن زوجي ذبح شاة في يوم عيد الأضحي وكان لي صبيان ملحان بابان فقالا أكرهما للآخر أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخذه وذبحه وما شعرنا به إلا امتشط في دمه فلما ارتفع الصراع هرب الغلام فلجأ إلى جبل فرقه ذبح فأكله وخرج أبوه يطلبه فبات عطشاً من شدة الحر قالت فأرأيت النهر كما ترى فأمثال هذه الصاب يبنى أن تذكر عند موت الأولاد ليتسل بها عن شدة الجزع لثمان مصيبة إلا لا تصور ما هو أعظم منها وما يدغمه الله في كل حال فهو الأكثر .

(بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به)

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبركع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد .

(١) حديث لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم مقاتل في سبيل الله لم أجد فيه ذكر مائة فارس وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة لسقط أقدمه يدي أحب إلى من فارس أخلفه خاني (٢) حديث لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحسبهم الحديث تقدم في النكاح (٣) حديث نهى عن زيارة القبور ثم إذنه في ذلك مسلم من حديث بريدة وقد تقدم .

روى عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها فإنها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرا » (١) وزار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقنع فلم يركبها أكثر من يومئذ (٢) وفي هذا اليوم قال أذن لي في الزيارة دون الاستغفار (٣) كما وردنا من قبل وقال ابن أبي مليكة أقيمت عائشة رضي الله عنها يوما من القابر فقلت يأم المؤمنين من أين أتيت قلت من قبر أخي عبد الرحمن قلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسهي عنها قالت نعم ثم أمرها (٤) ولا ينبغي أن يتمسك بهذا يؤذن للنساء في الخروج إلى القابر فانه يكثر المنجرور به وس القابر فلا ينبغي خير زيارتهن شرها ولا يغفلن عن الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظام والزياره سنة فكيف يحتمل ذلك لأجلها ، نعم لأبأس بخروج المرأة في ثياب بنية تردعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « زر القبور تذكر بها الآخرة واخلل للوئي فان معالجة جسدخاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين في ظل الله » (٥) وقال ابن أبي مليكة قال رسول ﷺ « زوروا موتاكم وسلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة » (٦) وعن نافع أن ابن عمر كان لا يرحل أبدا إلا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الأيام فصل وتبكي عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برًا » (٧) وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل لم يموت والداه وهو حيا لحما فيدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين » (٨) وقال النبي صلى الله عليه وسلم

أن ما كوشف له من الحقيقة لا يتوانى عنه أبدا ولا ينقص بل يزيد وصاحب التسليم قد يتناقص الشيء في حقه عند ظهور صفات نفسه وتقيب عنه الحقيقة في بعض الأحوال ويكون نبوته على مستقر الإيمان وتلوينه في زوائد الأحوال (ومنها النفس) وقسالة النفس للنسبي والوقت للمبتدي والحال للمتوسط والكافة إشادة منهم إلى أن المبتدي يعارقه من الله تعالى طارق لا يستقر وللتوسط صاحب حال غاب حاله عليه وللتنهي صاحب نفس

(١) حديث علي كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها فانها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرا رواه أحمد وأبو يعلى في مسنده وابن أبي الدنيا في كتاب القبور والفظله وأبو يعلى غير أن لا تقولوا هجرا وفيه على بن زيد بن جدهان عن ربيعة بن النابغة قال البخاري لم يصح ربيعة ذكره ابن حبان في الثقات (٢) حديث زار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقنع فلم يركبها أكثر من يومئذ ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث بريدة وشيخه أحمد بن محمد بن عمران الأحنس ، وتروك ورواه بنحوه من وجه آخر كنا مع قريمان ألفراك وفيه أنه لما أذن له في الاستغفار لها (٣) حديث وقال في هذا اليوم أذن لي في الزيارة دون الاستغفار تقدم في الحديث قبله من حديث بريدة أنه لم يؤذن له في الاستغفار لها ورواه مسلم من حديث أبي هريرة استأذنتني أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي (٤) حديث ابن أبي مليكة أقيمت عائشة يوما من القابر فقلت يأم المؤمنين من أين أتيت قالت من قبر أخي عبد الرحمن قالت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسهي عنها قالت نعم ثم أمرها ابن أبي الدنيا في القبور بإسناد جيد (٥) حديث أبي ذر زر القبور تذكر الآخرة واخلل للوئي فان معالجة جسدخاو موعظة بليغة الحديث ابن أبي الدنيا في القبور وإسناد جيد (٦) حديث ابن أبي مليكة زوروا موتاكم وسلوا عليهم وصلوا عليهم الحديث ابن أبي الدنيا فيه هكذا مرسل وإسناده حسن (٧) حديث من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برًا الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا في القبور من رواية محمد بن النعمان يرفعه وهو معضل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبراني يحيى بن المعلى البجلي متروك (٨) حديث ابن سيرين أن الرجل لم يموت والداه وهو حيا فيدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل صحيح الإسناد ورواه ابن عدي من رواية يحيى بن عتبة بن أبي العزاز عن محمد بن جعدة

« من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من زارني بالهدية محسبا كنت له شيعيا ويشهدا يوم القيامة (٢) » وقال كعب الأجار: مامن خير يطلع الزائر لمسلمون أقامن لللالة حتى يحفوا بالقر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصعدوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من اللالة يوقرونه. ويستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه لليت وأن يسلم ولا يصيح القبر ولا يصه ولا يقبله فإن ذلك من عادة النصارى. قال نافع كان بن عمر رأيت ما لم أسمع وأأمر كثير عجي إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام على أبي بصير. وعن أبي أمامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى طالت أنما اقتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف. وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « مامن رجل يزور قبر أخيه يجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » (٣) وقال سليمان بن مسجم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأثونك ويسلمون عليك تخفف عليهم قال نعم وأرد عليهم وقال أبو هريرة إذا مر الرجل بقبر الرجل يسرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل حاتم الجندري رأيت عاصبا على منامي يمد يده بيديني فقلت أليس قد مت قال بلى فقلت أين أنت فقال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا وفي من أصحابي نتمتع كل ليلة جمعة وصيحتي إلى أبي بكر بن عبد الله الذي فتلك أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيئات بليت الأجسام وإنما تتلقى الأرواح قال قلت فهل تملكون زيارتنا إذا يك قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الأيام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه. وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة قبيل ليلته لو أخرت إلى يوم الاثنين قال بلغني أن اللواتي يملكون زيارتهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك: من زار قبر أبا قبل طلوع الشمس يوم السبت علم اليك بزيارته قبل وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة. وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الحياطة فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب القابر فقال آسئ الله وحشتكم ورحم غريبتكم ونجاؤن عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأسميت ذات ليلة فاضرعت إلى أهلي ولم ألت للقابر فأدعوا كما كنت أدعو فيبين أنا نائم إذا غلق كثير قد جادوني فقلت ما أتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل القابر قلت ما جاءكم بهم قالوا إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو لنا بها قلت فاني أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك. وقال بشر بن غالب الجعري رأيت رابعة الصديقة العابدية في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشر بن غالب هديك ألتأني على أطباق من نور عذرة بتبادل الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء فإذا دعوا للوحي فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بتبادل الحرير ثم أتى به باليت قبيل هدية فلان إليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما لليت في قبره إلا كالتعريق القنوت ينتظر دعوة تلتحمن آية

عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن ابن جعدة عن قتادة عن أنس وبهي عن عقبه والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف (١) حديث من زار قبري فقد جبت له شفاعتي تقدم في أسرار الحج (٢) حديث من زارني بالدينة عتقها كنت له شفيعا وشهد ايام القيامة ضعيف (٣) حديث عائشة امان من وجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يثوم أي أن الله ينال القبول ووفيه عبد الله بن معمر ولم أظف على حاله ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الأشعيلي .

متمسك من الخصال
 لا يتناول عليه الخصال
 بالنية والحضور بل
 تكون للواجب
 مقرونة بأهاضه مقبلة
 لا يتناول عليه وهذه
 كلها أحوال لأركانها
 ولهم منها ذوق وشرب
 والله ينفع ويركهم
 آمين

[الباب الثالث
والسئون في ذكر
شئ من البدايات
والتايات ومنها]
حدثنا هـيخاشيخ
الاسلام أبو العجيب
السهروردي قال أنا
الشريف أبو طالب
الحسين بن محمد الزبي
قال أخبرنا كرمية
الروزية قالت أخبرنا
أبو الهيثم محمد بن مكي

أخيه أوسديق له فلذا لحفته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الأحياء للأموال
الدعاء والاستغفار (١). وقال بعضهم مات أخ لي فرأيت في المنام قلت ما كان حاله حيث وضعت
في قبره قال أمانى آت يشاهب من نار فلو أن دعايا دعالي لرأيت أنه يسيرني به ومن هذا يستحب
تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الأزدي «شهدت بأمامة الباهلي وهو في
الترغ فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم
فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب
ثم ليقول يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوي قاعدا ثم ليقول يا فلان ابن فلانة الثالثة فإنه يقول أرحمنا
يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله وأنت رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالقرآن
إماماً فان منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا فقد كنا عند هذا وقد لقن حجة
ويكون الله عز وجل حبيبه دونهما فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه قال فلينسب إلى
حواء (٢) ولا بأس بقراءة القرآن على القبور روى عن علي بن موسى الحدا قال: كنت مع أحمد بن
حبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير فقرأ عند القبر فقال له
أحمد يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلا خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد يا أبا عبد الله
ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال أخبرني بمبشرين
اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن الجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة
البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له أحمد فارجم إلى الرجل قل له يقرأ. وقال محمد
ابن أحمد للروزي سمعت أحمد بن حبل يقول إذا دخلتم المقابر فاقروا وباتحة الكتاب والعلو ذين وقل
هو الله أحدواصلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل اليهم وقال أبو قتادة أقبلت من الشام إلى البصرة
فزلت الحندق فظهرت وصليت ركعتين ببليل ثم وضعت رأسي على قبر فتمت ثم نهبت فإذا صاحب القبر
يشكيني يقول قد أذيتني منذ الليلة ثم قال إنكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان
اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزي الله عنا أهل الدنيا خير أقرهم السلام فإنه قد يدخل
علينا من دعائهم نور أمثال الجبال فالقصد من زيارة القبور الزائر الاعتبار بها وللزور الانتفاع بدعائه
فلان ينبغي أن ينفذ الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وإنما يحصل الاعتبار بأن يصور
في قلبه للميت كيف خسرته أجزاؤه وكيف يبعث من قبره وأنه على القبر سيلحق به كما روى
عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكان إذا جاء الليل
تخزمت ثم قامت إلى المهراب وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور فليفتي أنها عوتبت في كثرة آياتها للمقابر

الكشميشي قال أنا
أبو عبد الله محمد بن
يوسف القريري قال
حدثنا أبو عبد الله محمد
ابن اسمعيل بن إبراهيم
البخاري قال حدثنا
الحسين بن علي بن أحمد
بن عيسى قال
حدثنا يحيى بن سعيد
الأصمري قال أخبرني
محمد بن إبراهيم التيمي
أنه سمع علقمة بن
وقاص قال سمعت عمر
ابن الخطاب رضى الله
عنه يقول على النبر
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
«إنا الأعمال بالنيات»
وإما ليكل إبراهيم
مانوي فمن كانت
حسنة إلى الله
ورسوله فحسنة إلى
الله ورسوله ومن

(١) حديث ما ليت في قبره إلا كالتريق للثوب ينتظر دعوة تتلحه من أبيه أو من أخيه أو وصيق له
الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس وفيه الحسن بن علي بن
عبد الواحد قال أذهب حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل (٢) حديث سعيد بن عبد الله الأزدي
قال شهدت بأمامة الباهلي وهو في الترع فقال ياسعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول
يا فلان ابن فلانة الحديث في تلقين الميت في قبره الطبراني هكذا بأسناد ضعيف ..

قالت إن القلب القاسى إذا جف لم يابنه إلا رسوم البلى وإلى لآلى القبور فكأنى أنظرو قد خرجوا من بين أطباقها وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه التفرقة وإلى تلك الأجسام للتفرقة وإلى تلك الأوجان الدفعة فيألفها من نظرة لوائسرها العباد قلوبهم مأسكل مرارتها للأشقى وأشد تلفها للأبدان بل ينبى أن يحضر من صورة لثيت مذكركه عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه قبة تصعب من تنير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يافلان لورأيتى بعد ثلاث وقد أدخلت قبرى وقد خرجت الحدقتان فسألتى الحددين وتقلصت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم وتأت البطن فلا الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من الناخر رأيت أعجب مما تراه الآن ويستحب التناء على الليث والأيذكر لإبائليل قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا مات صاحبك فدعوه ولا تقعوا فيه» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تذكروا موتاكم إلا بخيرا فانهم إن يكونوا من أهل الجنة تأمنوا وإن يكونوا من أهل النار نخسبهم مأم» فيه (٣) وقال أنس بن مالك «مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها شرا فقال عليه السلام وجبت ومروا بأخرى فأتوا عليها خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت فسأله عمر عن ذلك فقال إن هذا أنفتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أنفتم عليه شرا فوجبت له النار وأنتم شهداء لله في الأرض» (٤) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن البعد لم يوت فئتي عليه القوم التناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى ملائكته أشهدكم أنى قد قبلت شهادة عبيدى على عبيدى ونجاوزت عن عفى في عبيدى» (٥)

(الباب السابع في حقيقة اللوت وما يقابله الليث في القبر إلى تحفة الصور)

(بيان حقيقة اللوت)

اعلم أن للناس في حقيقة اللوت ظنوننا كاذبة قد أخطأوا فيها فظن بعضهم أن اللوت هو الدم وأنه لا حشر ولا نسر ولا عاقبة للحيز والنسر وأن موت الانسان كوت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأى الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم أنه ينصدم بالهوت ولا يتألم بعقاب ولا ينتم شواب مادام في القبر إلى أن يماد في وقت الحشر وقال آخرون إن الروح باقية لاتنعدم بالهوت وإنما الثاب والمغاب هي الأرواح دون الأجساد وإن الأجساد لا تبث ولا تحشر أصلا

(١) حديث إذا مات صاحبك فدعوه ولا تقعوا فيه أبو داود من حديث عائشة بأسناد جيد (٢) حديث لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا البخارى من حديث عائشة أيضا (٣) حديث لا تذكروا موتاكم إلا بخيرا الحديث ابن أبي الدنيا في الموت هكذا بأسناد ضعيف من حديث عائشة وهو عند النسائي من حديث عائشة جيد مقتصر على ما ذكر منه هنا لفظه هلكا كما وذكره بإضافة صاحب مسند الفردوس وعلم عليه علامة النسائي والطبراني (٤) حديث أنس مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها شرا فقال وجبت الحديث متفق عليه (٥) حديث أنى هريرة إن البعد لم يوت فئتي عليه القوم التناء يعلم الله منه غيره ذلك الحديث أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم برويه عن ربه عز وجل ما من عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث آيات من جيزاته الأدين بخير لإلقال الله عز وجل قد قبلت شهادة عبيدى على ما علموا وغفرت لهم ما علم.

(الباب السابع في حقيقة اللوت وما يقابله الليث في القبر)

كانت هجرة إلى دنيا
يسبها أو إلى امرأة
يتبعها هجرة إلى
ما عاجر إليه النية
أول السبل ومحسبها
يكون العمل وأهم
المسير في اشتد
أمره في طريق القوم
أن يدخل طريق
الصوفية ويتزيا
يزيم ويخالس طائفتهم
ش تعالى فان دخوله
في طريقهم هجرة
جاءه وقت. وقد ورد
«للهاجر من حجر
ما جاء الله عنه» وقد
قال الله تعالى ومن
يخرج من بيته
مهاجرا إلى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد
وقع أجره على الله
فالمسير ينبى أن

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن اللوت معناه تغير حال قط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إمامة و إمامة و إمامة ، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء آلات لروح تستعملها حتى أنها تبتلى باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب والقلب هنا عبارة عن الروح والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكسد ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الأعضاء فيمتلئ بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث والله أعلم بحكمه على كل عبد من عباده وإنما تمتلئ الجسد بالموت يضاهي تمتلئ أعضاء الزمن ففساد مزاج يقع فيو يشددة تقع في الأعصاب تمنع خوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة للروح كآلة مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بضها وللوت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات الروح هي للمستعملة لها وأغنى بالروح للعنى الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام العلوم وذات الأفراح ومهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ولا بطل منها الأفراح والعلوم ولا بطل منها قبولها للآلام والذات والانسان بالحقيقة هو للعنى للدرك للعلوم وللآلام والذات وذلك لا يموت أى لا يمتنع معنى اللوت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كأن نعت الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة فاللوت زمانة مطلقا في الأعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهى باقية . ثم تفسير حاله من جهتين : إحداها أنه منبسط منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيه ودوايه وغفاته ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الانسان وبين أن يسلب الانسان من هذه الأشياء فإن اللؤلؤ هو الفرق والفراق يحصل تارة بأن يسلب مال الرجل وتارة بأن يسلب الرجل عن الملك واللؤلؤ هو الفرق والفراق يحصل تارة بأن يسلب الانسان عن أمواله بازعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فإن كان له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح إليه ويتعبد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد اللوت ويصعب شقاؤه في مفارقتها بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به عظم تربيته وتبتم مساعدته إذ دخل بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العواطف والشواغل إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله ، فهذا أحد وجهي المخالفة بين حال اللوت وحال الحياة ، والثاني أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفاً له في الحياة كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفاً له في النوم والناس ينام فإذا ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فإذا انقطع الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئه إلا ويحصر عليها تحسراً يؤثر أن يحسب همرة النار فيخلص من تلك المحسرة وعند ذلك يقال له - كفى بنفسك اليوم عليك حسياس - وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران التراق أغنى راق ما كان يطعن إلى من هذه الدنيا القانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبنية فإن من طلب الزاد لليلة فإذا بلغ المقصد فرح

يخرج إلى طريق القوم لله تعالى فإنه إن وصل إلى نهايات القوم فقد لحق بالقوم بالمثل وإن أدركه للوت قبل الوصول إلى نهايات القوم فأجره على الله ويكمل من كانت بدايته أنكم كانت نهايتكم أنتم أخبرنا أبو زرعة إننا عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن عن أبي العباس القنداري عن جعفر الحلي قال سمعت الجليلي يقول أكثر العواطف والجواهر التي لا توافر من فساد الاستعداد فالمراد في أول تنبؤة هيناً المتنبئ في حجاج

بغافرتة بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان
يود أن تنقطع ضرورته ليستخى عنه فقد حصل ما كان يوده واستخى عنه وهذه أنواع من العذاب
والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب
وقد يعني عنه ويكون حال التتم بالدنيا للطمأن إليها كحال من تتم عند غيبة ملك من الملوك في داره
وملكه وحرمة اعتادها على أن الملك يساهل في أمره أو على أن الملك ليس يدرى ما يتطعمه من قبيح
أفاله فأخذه الملك بقتة وعرض عليه جريمة قد دوت فيها جميع فواشسته وجانياته ذرذرة وخطوبة
خطوة ولللك قاهر متسلط وغيور على حرمة ومتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت إلى من يرفع
إليه في النصاة عليه فانظر إلى هذا للأخذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك بمن الخوف
والخجلة والحياء والتجسس والنميمة فهذا حال البيت الفاجر للفقير بالدنيا للطمأن إليها قبل نزول عذاب
القر به بل عند موته لمعذ بالله منه فإن الخزي والافتضاح وهتك السر أعظم من كل عذاب يحمل الجسد
من الضرب والقطع وغيرها فهذه إشارة إلى حال البيت عند الموت شاهداً وأول البصائر مشاهدة باطنة
أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف النطاء عن كنه
حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك
ماهية ذاتها « ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول الروح من أمر ربى (١) »
فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن أطلع عليه وإنما للأذن فيه ذر حال
الروح بعد الموت ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار
كثيرة : أما الآيات فما ورد في الشهداء إذ قال تعالى - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل
أحياء عند ربهم يرزقون فرحين - ولما قتل صناديق قريش يوم بدر نادى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال « يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فلو وجدتكم مواعديكم حقاً قبل
يا رسول الله أتأديهم وهم أموات فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام
منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب (٢) » فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفة
الآية نص في أرواح الشهداء ولا يخفى للبت عن سعادة أو شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم « القبر
إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (٣) » وهذا نص صريح على أن الموت معناه
تغير حال قبض وأن ما سيكون من شقاوة أو سعادته يتبع حال الموت من غير تأخر وإنما
يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله . وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
« الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات أحدكم عرض عليه
مقعد ذو ثود وعشبة إن كان من أهل الجنة فمن الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار ويقال لهذا
مقعدك حتى تبت إليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة للتقدين من عذاب ونعيم في الحال (٥) »

(١) حديث إنه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم في الروح متفق عليه من حديث
ابن مسعود في سؤال اليهود له عن الروح ونزول قوله تعالى - ويشتلونك عن الروح - وقد تقدم
(٢) حديث ندائه من قتل من صناديق قريش يوم بدر يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً الحديث
منلم من حديث عمر بن الخطاب (٣) حديث القبر إما حفرة من حفر النار وروضة من رياض الجنة
الترمذي من حديث أبي سعيد وتقدم في الرجاء والخوف (٤) حديث أنس الموت القيامة من مات
قد قامت قيامته ابن أبي الدنيا في الموت باسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث إذا مات أحدكم
عرض عليه مقعده بالثداة والعشي الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

إلى إحكام النية وإحكام
النية تنزيهاً من
دواعي الهوى وكل
مكان للنفوس فيه حظ
عاجل يحق أن يكون
خروجها خالصاً بقى تعالى .
وكتب سالم بن عبد الله
إلى عمر بن عبد العزيز
اعلم يا عمر إن عيون الله
ليعد بقدر النية فمن
تمت نيته تم عيون الله
ومن قصرت عنه نبهه
قصر عيون الله
بقدر ذلك . وكتب
بعض الصالحين إلى
أخيه أخلص النية في
أعمالك سيحكك قليل
من العمل ومن لم يهتد
إلى النية نفسه يصح
من يله جن النية .
قال سهل بن عبد الله
التستري أول ما يفر به

وعن أبي قيس قال كنا مع عاقمة في جنازة فقال أما هذا فقد قامت قيامته . وقال على كرم الله وجهه حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات غريبا مات شهيدا ووقى فتانات القبر وضدى وريح عليه برزقه من الجنة (١) » وقال مسروق ما غلبت مؤمنا في الجحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن عذاب الله تعالى . وقال يعلى بن الوليد كنت أمشى يوما مع أبي الدرداء فقلت له ما غيب لمن تحب قال اللوت قلت فإن لم يمت قال يمل ماله وولده وإنما أحب اللوت لأنه لا يحب إلا للؤمن وللوث إطلاق المؤمن من السجن وإنما أحب قلة المال والولد لأنه فتنة وسبب للناس بالدين والانس من لا يد من فراقه غاية الشقاء فكل ماسوي الله وذكره والانس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو : إنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو روحه مثل رجل بات في سجن فأخرج منه فهو يتفصع في الأرض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من يخاف من الدنيا ويترجم بها ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبس عن محبته وبمقاساة الصلوات تؤذيه فكان في اللوت خلاصه من جميع اللذات واغتراده بمحبته الذي كان به أنسه من غير فائق ولا دافع وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعيم واللذات وأكل اللذات لانهاء الذين تناولوا في سبيل الله لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين لتفاهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر إلى الدنيا قد باعها طوعا وبالآخرة والبايع لا يفتق قلبه إلى البيع وإن نظر إلى الآخرة قد اشتراها وتطوق إليها فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه وما أقل التفاته إلى ما باعه إذا فارقوه وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الأحوال ولكن لا يدركه اللوت عليه فيفتير والقتال سبب للموت فكان سببا لإدراك اللوت على مثل هذه الحالة فلماذا عظم النعيم إذ معنى النعيم أن ينال الإنسان ما يريد قال الله تعالى - ولهم ما يشئون - فكان هذا أجمع عبارة لمعانى لذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى - وحيل بينهم وبين ما يشئون - فكان هذا أجمع عبارة لمقوبات أهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كاشط نفسه من غير تأخير وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التصير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر « ألا أشرك يا جابر وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال بلى يشرك الله بالجبر فقال إن الله عز وجل قد أحيا بالو أقدمه بين يديه وقال تبين على عبيى ما شئت أعطيك قال يارب ما عبادتك حق عبادتك أتني عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى قال له إنه قد سبق مني أنك إلا إلى الرجوع (٢) » وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وأنت في الجنة قال أبكي لأنى لم أقتل في الله إلا قتلة واحدة فكنت أشبهني أن أزد فأقتل فيه قتلات . وأعلم أن المؤمن ينكشف له غيب اللوت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والضيق ويكون مثاله كالحبوس في بيت مظلم فتح له باب

للريد للبتدى التبرى
من الحركات للمدومة
ثم النقل إلى الحركات
المحمودة ثم التفرّد
لأمر الله تعالى ثم
التوقّف في الرضا ثم
القبّات ثم البيان ثم
القرّب ثم التناجى ثم
المصافاة ثم الموالاة
ويكون الرضا والتسليم
مراده والتفويض
والتوكّل حاله ثم ين
الله تعالى بسند هذه
بالعروة فيكون مقامه
عند الله مقام للتبرّين
من الحول والقيوة
وهذا مقام حمة العرش
وليس بمسند مقام
هذا من كلام سهل
جمع فيه ما في البداية
والنّابة ومضى بمسك
الريد بالصديق

(١) حديث أبي هريرة من مات غريبا مات شهيدا ووقى فتانى القبر ابن ماجه بسند ضيف وقال فتنة القبر . وقال ابن أبي الدنيا فتان (٢) حديث عائشة ألا أجبرك يا جابر الحديث وفيه أن الله أحيا أباك فأقيم بين يديه الحديث ابن أبي الدنيا في اللوت باسناد فيه ضعف وللمزنى وحسنه وابن ماجه من حديث جابر ألا أجبرك بما لقي الله به أباك قال بلى يا رسول الله الحديث وفيه فقال يا عبيدى تمن على أعطك قال يارب تخينى فأقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه إنه سبق مني أنهم لا يرجعون .

إلى بستان واسع الأكناف لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور فلا يشتهي العود إلى السجن للظلم وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً قال لرجل مات وأصبح هذا مرحلاً عن الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضى فلا يرمى أن يرجع إلى الدنيا كما لا يرمى أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه ^(١) فعرفك بهذا أن نسيه سعة الآخرة إلى الدنيا كنسيه سعة الدنيا إلى ظلمة الرجم وقال صلى الله عليه وسلم «إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على عرجه حتى إذا رأى الضوء وضع لم يحسان يرجع إلى مكانه ^(٢) وكذلك المؤمن يجمع من اللوث فإذا أفضى إلى رب لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فلان قد مات قال مستريح أو مستريح منه ^(٣)» أمار بالمستريح إلى المؤمن وبالمستريح منه إلى القاهر إذ يستريح أهل الدنيا منه وقال أبو عمر صاحب الشيا مرينا ابن عمر ونحن صبيان فنظر إلى قبر فإذا جمجمة بادية فأمر رجلاً فوارها ثم قال إن هذه الأبدان ليس بضرها هذا الثرى هيئاً وإنما الأرواح التي تعاقب وتتاب إلى يوم القيامة، وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإنهم ليسوا به ويكفونونه وإنه لينظر إليهم وقال مالك بن أنس بلغني أن أرواح المؤمنين مرسة تلعب حيث شادت وقال النعمان بن بشير «سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول لا إله إلا الله لم يبق من الدنيا إلا مثل الباب بمور في جوفها قاله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم ^(٤)» وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «ولا تفضحوا موتاكم بسينات أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ^(٥)» وقد قال قال أبو الدرداء اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً آخرى به عند الله بنوا حوا وكان قد مات وهو خاله وسئل عبدالله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هي ؟ قال في حواصل طير يس في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض السابعة . وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله

(١) حديث قال لرجل مات أصبح هذا قد خلا من الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضى فلا يرمى أن يرجع إلى الدنيا كما لا يرمى أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلًا ورواه ثقات (٢) حديث إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على عرجه حتى إذا رأى الضوء وضع لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه ابن أبي الدنيا فيه من رواية بقرية عن جابر بن قاتم السلفي عن سليم بن عامر الجنائزي مرسلًا هكذا (٣) حديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلان قد مات قال مستريح أو مستريح منه متفق عليه من حديث أبي قتادة بلغني مر عليه مجازة قال ذلك وهو عند ابن أبي الدنيا في اللوث باللفظ الذي أوردته الصنف (٤) حديث النعمان بن بشير إلا أنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الباب بمور في جوفها قاله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم ابن أبي الدنيا أبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدي عن النعمان من قوله الله ورواه بكاه الأزد في الضماء وقال لا يصح إسناده وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل بكاه في ترجمة أبي اسمعيل السكوني رواية عن مالك بن أدي ونقل عن أبيه أن كلا منهما مجهول قال الأزد لا يصح إسناده وذكر ابن جبان في الثقات مالك بن أدي (٥) حديث أبي هريرة لا تفضحوا موتاكم بسينات أعمالكم فانها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ابن أبي الدنيا والمجاهلي بإسناد ضعيف ولا يحد من رواية من سمع إنساناً عن أنس أن أعمالكم تعرض على أنبياءكم وعشائركم من الأموات الحديث .

والإخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا يعق صدته وإخلاصه شيء مثل يتبأسه أمر التبرع وقطع النظر عن الخلق فكل الآفات التي دخلت على أهل الديارات لموضع نظرهم إلى الخلق . وبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يكمل إيمان للره حتى يكون الناس عنده كالأعرج» يرجع إلى نفسه فبرها أصغر صاغر وإشارة إلى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وتبرك التمسك بما دأبهم . قال أحمد بن حنبل خضره : من أحب أن يكون الله تعالى معه على حاله فليعلم .

صلى الله عليه وسلم يقول «إن الميت يعرف من نفسه ومن عمله ومن بدله في قبره» (١). وقال صالح
 للري يفتني أن الأرواح تتلاقى عند الموت فتقول أرواح اللواتي تخرج إليهم كيف كان مأواك
 وفي أي الجسد كنت في طيب أو خبيث . وقال عبيد بن عمر أهل القبور يترقبون الأخبار فإذا أتاهم
 الميت قالوا ما فعل فلان ؟ فيقول ألم يأكلكم أو ما قمتم عليكم فيقولون إن الله وإنا إليهم راجعون سلك به
 خير سبيلا . وعن جعفر بن سعيد قال إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل القاصي . وقال مجاهد :
 إن الرجل ليبتسر بصلاح ولده في قبره وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
 قال «إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون أنظروا
 أحاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت
 فلانة فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال ميتي قالوا إن الله وإنا إليهم راجعون ذهب به إلى أمه المحاورة» (٢).

(بيان كلام القبر للميت)

وكلام للوحي إما بلسان اللقال أو بلسان الحال التي هي أوضح في تفهيم للوحي من لسان اللقال في تفهيم
 الأحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول القبر للميت حين يوضع فيه وهاكك إن آدم ما غرك في
 ألم تعلم أي بيت الفتنة . وبيت الظلمة . وبيت الوجعة . وبيت الدود ما غرك في إذ كنت تحري فذاذا
 فان كان مسلحا أجاب عنه عيب القبر فيقول أأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول
 القبر إن إذا أمحول عليه خضرنا وسعد جسد نورا وتصد روحه إلى الله تعالى (٣) . والفتاد هو
 الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فيبره الراوي . وقال عبيد بن عمر الليثي ليس من ميت يموت
 إلا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوجعة والافراد فان كنت في حياتك لله مطيعا
 كنت عليك اليوم كرامة وإن كنت طامعا فانا اليوم عليك قعة أنا الذي من دخلني مطيعا خرج
 مسرورا ومن دخلني طامعا خرج مشورا . وقال محمد بن صحيح بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فغضب
 أو أصابه بعض ما يكره ناداه خيراته من اللواتي أياها للتخلف في الدنيا بعد إخوانه فجزاها ما كان لك
 فيها مترا ما كان لك في متقدمنا ذلك ففكره أمارأت اقطاع أعمالنا عناوات في الهمة فلا تستدركت
 ما فات إخوانك وتناديه بجاج الأرض أياها للقتل بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن
 الأرض بمن فرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أجبت إلى اللز الذي
 لا بد له منه . وقال يزيد الرقاشي يفتني أن الميت إذا وضع في قبره احتوته أعماله ثم أنطقها الله ؟ فقالت
 أيا البعد للفرغ في حفرته اقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا تيس لك اليوم عدنا . وقال كعب : إذا
 وضع اليد الصالح في القبر احتوته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والجهاد والصدقة قال فجاءه
 ملائكة المذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عند فلا تبديل لكم عليه قد أطال في القيام لله

(١) حديث أبي سعيد الخدري إن الميت يعرف من نفسه ومن عمله ومن بدله في قبره ورواه أحمد
 من رواية رجل عنه اسمه معاوية وأبو معاوية نسبة عبد الملك بن حسن (٢) حديث أبي أيوب إن
 نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير يقولون أنظروا أحاكم حتى
 يستريح إن أي الدنيا في كتاب الموت والطبراني في مسند الشاميين بإسناد ضعيف ورواه ابن المبارك
 في الزهد موقوفا على أبي أيوب بإسناد جيد ورفعه ابن مساعد في الزوائد على الزهري في سلام الطويل
 ضعيف وهو عند الثقات وإن جاب نحوه . من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٣) حديث يقول
 القبر للميت حين يوضع فيه وهاكك إن آدم ما غرك في ألم تعلم أي بيت الفتنة الحديث إن أي الدنيا في كتاب
 القبور والطبراني في مسند الشاميين وأبو أحمد الحاكم في الكافي من حديث أبي الحجاج النخعي بإسناد ضعيف

الصدق فان الله تعالى
 مع الصادقين وقد ورد
 في الخبر عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 «الصدق يهدي إلى
 البر» ولا بد للريد
 من الخروج من اللقال
 والجهاد والخروج عن
 الخلق بقطع النظر
 عنهم إلى أن يحكم
 أمامة فيعلم دقائق
 الجوى وخفايا شهوات
 النفس . وأضح شئ
 للمريد مفرقة النفس
 ولا يقوم بواجب حتى
 معرفة النفس من له
 في الدنيا حاجة من
 طلب الفضول
 والزيادات أو عليه
 من المزدحم بقية . قال
 زيد بن أسلم : خصلتان
 هما كمال أمره : تصحيح

عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لاسئيل لكم عليه قد أطال ظمأه في دياره ياغلا
سئيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه قد أصعب تسبوا أصعب
بدنه وحج وجهه فيأتونه من قبل يديه فيقول الصدقة ككوا عن
صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتداء وجهه فلا سئيل
لنكم عليه قال فيقال له هنثا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأنيبه ملائكة الرحمة تغرش له فراخامن
الجنة ودعاهن من الجنة ويضع له في قبره مد بصره ويرثي بتعديله من الجنة فيستغفره بوجهه إلى
يوم يمشيه الله من قبره . وقال عبد الله بن عبيد بن حمير في جنازة بلقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
عليه وسلم قال « إن الميت يسمع وهو يسمع خطو مشيه فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول وحك ابن
آدم أليس قد حذرني وحذرتني وتقي وهولي ودودي فإذا أعددت لي (١) » .

(بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير)

قال البراء بن عازب : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكباً رأسه ثم قال « اللهم إني أبوء بك من عذاب القبر
ثلاثاً ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم
حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى الله عليه وسلم على كل ملك بين السماء والأرض
وكل ملك في السماء ونحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه فإذا صدر بوجهه
قبل أي رب عبيدك فلان فيقول أرجعوه فأروهم ما أعددت لهم من الكرامة قالوا وعدهتموها خلقناكم
وفيها نعيدكم - الآية وإنه ليسمع خلق ناعلم إذا ولوا مديرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك
ومن نبيك ؟ فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد ﷺ قال فيقترهات انهاراً شديداً وهى آخر
فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهى معنى قوله تعالى - ثبت الله
الذين آمنوا بالقول الثابت - الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول يا هذا
برحمة ربك وجنت فيها نسيم مقبم فيقول وأنت فيشرك الله غير من أنت ؟ فيقول أنا عمالك الصالح
والله ما صلت إن كنت لرسولاً إلى طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجاءه الله خيراً قال ثم نادى
مناد أن افرشوا له من فرش الجنة واخصوا له باباً إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويضع له باب
إلى الجنة فيقول اللهم حمل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى . قال وأما الكافر فإنه إذا كان
في قبل من الآخرة واقطع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرايل
من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لمنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء
وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فإذا صدر بوجهه نذ وقبل
أي رب عبيدك فلان لم تقبله ساء ولا أرض فيقول الله عز وجل أرجعوه فأروهم ما أعددت له من
النار إني وعدتكم منها خلقناكم وفيها نعيدكم - الآية وإنه ليسمع خلق ناعلم إذا ولوا مديرين حتى يقال
يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فيقال لا أدريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه متشنج
الريح قبيح الثياب فيقول أشر بسخن من الله وبمذاب أليم مقبم فيقول جرك الله خبر من
أنت فيقول أنا عمالك الحديث والله إن كنت لرسولاً في معصية الله بطيئاً عن طاعة الله فجاءه الله شراً

(١) حديث عبد الله بن عبيد بن حمير يلقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يسمع
وهو يسمع خطو مشيه فلا يكلمه إلا قبره يقول وحك ابن آدم الحديث ابن أبي الحديد في القبر
هكذا مرسل ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك في الزهد إلا أنه قال يلقى ولم يرضه .

لهم في عصفوني
ولا لهم في عصفونا
أحكم الزهد والتقوى
انكشفت له النفس
وخرجت من عصبها
وعلم طريق حركتها
وخفى شهبائها
ودساها وتليساتها
ومن تمسك بالصدق
قد تمسك بالبروة
الوئقي قال ذوالنون
له تعالى في أرضه
شيف ما وضع على شيء
إلا قطع وهو الصدق
وقل في معنى الصدق
أن طابا من يحيى
إسرائيل راوده
ملكه عن نفسه
تقال اجبالوا إلى ما دق
الحلاد انتظف به ثم
سعد على موضع في
القصر فرسوا بنسه

فيقول وأنت جزاءك الله شرأتم يقض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها
 الثقلان أن أن يلقوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضرب بها ضربة فيضرب ترابا ثم
 تعود فيه الروح فيضرب بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الأرضين ليس الثقلين قال ثم ينادى
 مناد أن افرشوا له لوحين من نار واجتصموا له يابا إلى النار فيفرش له لوحان من نار. ويفتح له باب
 إلى النار (١) . وقال محمد بن علي بامان بيت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله
 السيئة قال فيشخص إلى حسنة ويطرق عن سيئاته . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم « إن المؤمن إذا احتضر أتته ثلاثة حمرة فيها مسك وضئائر الرمان فقلل روحه بكائيل
 الشجرة من العيين ويقال : أيتها النفس للطعنة اخرجي راضية ومرضا عنك إلى روح الله وكرامته
 فإذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والرمان وطويت عليها الحمرة وبهت بها إلى عليين
 وإن السكافر إذا احتضر أتته ثلاثة حمرة بمسح فيه حمرة فتزج روحه أنزاعا هديدا ويقال : أيتها النفس
 الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا أخرجت روحه وضعت على تلك
 الحجر وإن لها نفيشا ويطوى عليها للسم ويدهب بها إلى سبعين (٢) » وعن محمد بن كعب القرظي
 أنه كان يقرأ قوله تعالى - حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لمثل ما عملت صالحا فبارك
 قال أي شيء تريد في أي شيء ترضى أن ترجع لتجمع المال وتقرس الفراس وتبنى البنين
 وتحقق الأنهار قال لا لمثل ما عملت صالحا فبارك قال فيقول الجبار - كلا إنها كلمة هو قائلها أي
 ليقولها عند الموت . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « المؤمن في قبره في روضة خضراء
 ويرحب له في قبره سبعون ذراعا وضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيها إذا أزلت - فإن
 له ممشية شوكا - قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره يسقط عليه تسعة وتسعون مثينا
 هل تدرون ما التين ؟ تسعة وتسعون حبة لكل حبة سبعة رؤوس مخدونه ويطحنونه وينفخون
 في جسمه إلى يوم يبعثون . ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فإن أعداد
 هذه الحيات والقاربات بسدد الأخلاق للنمو من الكبر والراء والحسد والقتل والحد وسائر
 الصفات فإن لها أصولا معدودة ثم تنشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها إلى أقسام وتلك
 الصفات بأعيانها هي للهلكات وهي بأعيانها تغلب عقارب وحيات فالتوى منها يبلغ لبغ التين
 والضعيف يبلغ لبغ القرب وما بينهما يؤذي إذهاب الحية وأرباب القلوب والصابر يشاهدون بنور
 البصيرة هذه للهلكات وانشعب فروعها إلا أن مقدار عذابها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة (٣)
 فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أبواب البصائر واضعة فمن لم
 تكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم . فإن
 قلت فمن نشاهد الكافر في قبره مدة وراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على
 خلاف للشهادة ؟ فأعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا [أحدها] وهو الظاهر والأصح

فأوحى الله تعالى إلى ملك الهواء أن ارم صديي قال فلو سمعته ووضعته على الأرض وضعا رفيقا لقبيل لا إبليس إلا أغويته فقال ليس لي سلطان على من خالف هواه وبطلت نفسه لله تعالى وبني للمريد أن يكون له في كل شيء نية لله تعالى حتى في أكله وشربه وملبوسه فلا يبس إلا لله ولا يأكل إلا لله ولا يشرب إلا لله ولا ينام إلا لله لأن هذه كلها أرقاق أدخلها على النفس إذا كانت لله لا تبتمنى النفس ونعيم إلى ما يرام منها من المعاملة لله والإخلاص وإذا

(١) حدث البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسرا رأسه ثم قال اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر الحديث بطوله أبو داود والحاكم بكامله وقال صحيح على شرط الشيخين وضعه ابن حبان ورواه النسائي وابن ماجه مختصرا (٢) حديث أبي هريرة إن المؤمن إذا احتضر أتته ثلاثة حمرة فيها مسك وضئائر الرمان الحديث ابن أبي الدنيا وابن حبان مع اختلاف والبراء يلقب بالنصف (٣) حديث أبي هريرة المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا الحديث ورواه ابن حبان

والأسلم أن تصدق بأنها موجودة وهي تلغى البت ولكنك لا تشاهد ذلك فإن هذه العين لا تصلح
لشاهدة الأمور للكونية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم للكونيات أما ترى السعيا بقرضى الله عنهم
كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده فإن
كنت لا تؤمن بهذا فصحيح أصل الأيمان باللائكة والوحى أم عليك وإن كنت آمنته به وجوزت
أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة فكيف لا يجوز هذا في الميت وكان الملك لا يشبه الأئمة
والحيوانات والحيات والمقارب التي تلغى في القبر ليست من جنس حيات عالما بل هي جنس آخر وقد ورد
بخاصة أخرى [للقام الثاني] أن تذكر أمر الناس وأنه قد يرى في نوم محبة لله في نومه أو يراه في
تراه يصيح في نومه ويسرق جبينه وقد يزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى
القطبان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى خواله خفيو الحية موجودة في حقو العذاب
حاصل ولكنه في حقا غير مشاهد وإذا كان العذاب في ألم اللغ فلا فرق بين حية تتجلى أو تشاهد [للقام
الثالث] أنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاها منها وهو السم ثم السم ليس هو الأبل عذابك في
الأثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك للأثر من غير سم لكان العذاب قد تفرق وكان لا يمكن
تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في المادة فإنه لو خلق في الإنسان
لذة الواقع مثلا من غير مباشرة صورة الواقع لم يمكن تعريفها إلا بالإضافة إلى تكون الإضافة لتعريف
بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وإن لم تحصل صورة السبب والسبب يراد فخر تلاقحه وهذه الصفات
للمساكنات تغلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كالآلام لبع الحشرات من غير
وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية مضاهي انقلاب الشق مؤذيا عند موت المشوق فإنه كان لذبا
فطرات حالة صار اللذبة بنفسه مؤلما حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يتبعه أن لم يكن قد تمت
بالشق والوصول بل هذا بينه هو أحد أنواع عذاب الميت فإنه قد سلط الشق في الدنيا على نفسه
فصار يشقى ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولو أخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو
استرجاعه منه فإذا ترى يكون حاله أليس يعظم شقاؤه ويشد عذابه ويثقل عليه ما كان له مال
قط ولا جاه قط فكنت لا تأذى براقه فالوت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة:

ما حال من كان له واحد شيب عنه ذلك الواحد

فما حال من لا يرضى إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ثم يضاف إلى هذا العذاب تحصره
على مفاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله عز وجل فإن حب غير الله يحبه عن لقاء الله التمتع
به فينوالى حله ألم فراق جميع محبوباته وحسره على مفاته من نعيم الآخرة أبدا لا يبدى ذلك الرد
والحجاب عن الله تعالى وذلك هو العذاب الذي يندب به إلا يبع نار القراق إلا نار جهنم قال تعالى
- كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم - وأما من لم يأمن بالدنيا ولم يحب
إلا الله وكان مشتاقا إلى لقاء الله فقد تخلى من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقد تم على محبوه
واقطعت عنه العوائق والهوارف وتوفر عليه النعم مع الأمن من الزوال أبد الآباد ومثل ذلك
فليفضل العاملون والقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلغى
عقرب آخر الصبر على لدغ العقرب ، فإذا ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس
هو الذي يلهيه إذا أخذ منه فرسه فليستد لهه الدفات فإن لوت بأخذ منه فرسه مكره كبره
وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه وأخذ منه جاهه وثوبه بل يأخذ منه ماله وبصره وأعضاءه
ويأس من رجوع جميع ذلك إليه فإذا لم يحب سواء وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه

دخل في شيء من رفق
النفس لأنه يغير نية
صالحة صار ذلك وبالاً
عليه وقد ورد في الخبر
«من تطيب لله تعالى
جاء يوم القيامة ورجه
أطيب من لسلك الأذفر
ومن تطيب لغير الله
عز وجل جاء يوم
القيامة ورجه أثقل
من الجيفة» . وقيل
كان أنيس يقول طيبوا
كفى عسك فإن ثابجا
يسألني وقبل يدي
وقد كانوا يحسنون
الباس للصلاة فيقربون
بذلك إلى الله فيتم
فالمردي بنى أن يتقرب
جميع أحواله وأعماله
وأنسأه ولا يسمع
نفسه أن تتحرك
بحركة أو تسلم
بكلمة إلا أنه تسأل

من المقارب والحيات وكما لو أخذ ذلك منه وهو حيّ قطع عقابه فكذلك إذا مات لأنا قد بينا أن
الحي الذي هو للدرك للألام والذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لأنه في الحياة يتسلى بأسباب
يشغل بها حواسه من عجالة ومعادلة ويتسلى برجاء العود إليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلاوة
بعد الموت إذ قد انسدت عليه طرق التسلى وحصل اليأس ، فأذن كل قبيح له ومنديل قد أحبه بحيث
كان يشقى عليه لو أخذ منه فإنه يبقى متأسفا عليه ومملها به فإن كان محضا في الدنيا سلم وهو للحيّ
يقولهم بما اتفقون وإن كان مثقال عظم عذابه وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من
يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو الذي يقول
صلى الله عليه وسلم «صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين» (١) ومامن شيء من الدنيا
يتخلف عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت فإن شئت فاستكثر وإن شئت فاستقل
فإن استكثر فاستكثر والامن الحسرة وإن استقلت فاستقل فاستكثر فاستكثر فاستكثر فاستكثر
الحيات والمقارب في ثوب الأغنياء الذين استجوا الحياة الدنيا على الآخرة فروحوا بها وطأوا نواحيها
فهذه مقامات الإيمان في حيات القبر وعقابه وفي سائر أنواع عذابه . رأى أبو سعيد الخدري
ابنائه قد مات في المنام فقال له يا بني عظمي قال لا تخاف إنما تعالى فيا يريد قال يا بني زدني قال بآب
لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قيما فاليس قيما ثلاثين سنة . فإن قلت فما الصبر
من هذه اللغات الثلاث . فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده ومنهم من أنكر
الأول وأثبت الثاني ومنهم من لم يثبت إلا الثالث وإنما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار
أن كل ذلك في حيز الأيمان وأن من ينكر بعض ذلك فهو لتفريق حوصلة وجهه بإسراع قدراته
سبحانه وعجائب تدبره فينكر من أفعال الله تعالى ما لم يأسن به وبأفقه وذلك جهل وقصور بل
هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه
الأنواع ورب عبد يجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة ثمود بالله من عذاب الله قليلا وكثيرا ، هذا
هو الحق فصدق به تقليدا فيزطى بسط الأرض من يعرف ذلك تحقيقا والذي أوصيك به أن
لا تنكر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشغل بمرقبه بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كقما كان
فإن أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذ سلطانا وحسبه لقطع يده
ويجمع أنه فأخذ طول الليل يشكر في أنه هل يقطعه بسكين أوبسيف أوبعوس وأعمل طريق
الحية في دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل قد علم على القطع أن البس لا يخلو بعد
الموت من عذاب عظيم أو تميم مقيم فينبغي أن يكون الاستعداد له . فأما البحث عن تفصيل
العقاب والبواب فتصوّل وتضيّع زمان .

(بيان سؤال منكر وكثير وصورتها ومنطقة القبر وبقية القول في عذاب القبر)

قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يخال
أحدهما منكر ولآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فإن كان مؤمنا قال هو عبد الله
ورسوله أمهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فيقولان إن كنا نعلم أنك تقول ذلك ثم نسمع
في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له ثم فيقول دعوني أروح إلى أهلي
فأخبرهم فيقال له ثم فينام كنومة العروس التي لا يوقظه إلا أحب أهل إليه حتى يبعث الله من مضجعه
ذلك وإن كان منافقا قال لأهري كنت أجمع الناس يقولون عينا وكنت أقوله فيقولان إن كنا نعلم

(١) حديث . صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين لم أجده إلا في نسخة .

وقد رأينا من أميعاب
شيخا من كان ينوي
عند كل لقمة ويقول
باسم الله أيضا أكل
هذه اللقمة لله تعالى
ولا ينفع القول إذا لم
تسكن النية في القلب
لأن النية حمل القلب
وأما اللسان فمرجان
فإن لم يشغل قلبه
عنزعة القلب في
لا تكون نية وتؤدي
رجل أمراته وكان
يسرح شعره فقال
هات للذي أراد
للبل ليفرق شعره
فأنت له امراته أجن
بالسدرى والراة
فصكت ثم قال ثم
فقال له من سمعتك
وتوقفت عن الراة
ثم قلت ثم قال إن

أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض التثني عليه فقلت عليه حتى تختلف فيها أصلاعه فلا يزال المذبح حتى يسه الله من مضجعه ذلك (١) وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه « يا عمر كيف بك إذا أتت ميت فأنطلق بك قومك تقاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وهب ثم رجسوا إليك قبسوك وكفونك وجنطوك ثم احتماوك حتى يصعوك في قبرهم يوا عليك التراب ويدفونك فإذا أصرقوا عنك أنك فانا القبر منك ونكبر أصواتهما كالرعد القاصف ويصارحها كالبرق الخطاب يجران أشمارها ويحنان القبر بأثابهما فتلذذ وترترك كيف بك عند ذلك يا عمر ؟ قال عمر ويكون ممي مثل عقي الآن ؟ قال نعم قال إذن أكفيكما (٢) وهذا لمن صرع في أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون الميت عاقلا مكراما بالآلام والأذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل للدرك هذه الأعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا يتقسم في نفسه هو للدرك للأشياء ولو تأثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء للدرك الذي لا يتجزأ ولا يتقسم لكان الإنسان العقل بأكمله قائما بقاء وهو كذلك بدلت وكان ذلك الجزء لا يحل للوث ولا يطأ عليه الدم . وقال محمد بن السكندر يفتي أن الكافر يسقط عليه في قبره دابة عمياء صاه في يدها سوط من حديد في رأسه مثل غرب الجمل تضربه به إلى يوم القيامة لا تراه تنقيه ولا تسمع صوته تفرحه . وقال أبو هريرة إذا وضع الميت في قبره جاءت أمه الصالحة فاحتضت فغان أنام من قبل رأسه جاء قراءته القرآن وإن أنام من قبل رجله جاء قيامه وإن أنام من قبل يده قالت الديان والله لقد كان يسقطني للصدقة والنفاء لاسيل ليكم عليه وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك تغيب الصلاة والصبر ناحية يقول أما إني لو رأيت خلا لكتبت أنا صاحبه . قال سفيان ثماح عن أمه الصالحة كما يحاشي الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم قاله عند ذلك بارك الله لك في مضجعتك فتم الأخلاء أخلاقهم والأصحاب أفعالهم . وعن حذيفة قال « كتابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة يفلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال « يستغلثون في هذا مضجلة ترد منه حمالة (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن القبر مضجلة ولو سلم أو نجح منها أحد ثوبا سعد بن معاذ (٤) » وعن أنس قال « توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقاة فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسادنا حاله ، فلما انتهينا إلى القبر فدخله النفع وجهه صفرة ، فلما خرج أسفر وجهه قلنا يا رسول الله رأينا منك شأنا ثم ذلك ؟ قال ذكرت مضجلة أبنتي وشدة عذاب القبر ، فأبنت فأخبرت أن الله

(١) حديث أبي هريرة إذا مات الميت أتاه نلسكان أسودان أزرقان قال أحدهما منكرك وللآخر نكير الحديث الترمذي وحسنه وابن جبان مع اختلاف (٢) حديث عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك إذا أتت ميت فأنطلق بك قومك تقاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وهب ، الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب القبور حكاهما ملا ورجاله هات قال البيهقي في الاعتقاد برواه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلا . قلت ورواه ابن بطه في الإبانة من حديث ابن عباس ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب جدا الاستناد يترد به مفيد . ولأحمد وابن جبان من حديث عبد الله بن عمر قال عمر أريد أن اغتسلوا فقال لهم كيتمكم اليوم فقال عمر فيه الحجر (٣) حديث حذيفة كذب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة ففلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ، الحديث ترواه أحمد بسند ضعيف (٤) حديث عائشة إن القبر مضجلة لو سلم أو نجح منها أحد ثوبا سعد بن معاذ رواه أحمد بإسناد جيد .

قلت لها هات للدرى
بنية فلما قالت والمرأة
لم يكن لي في المرأة نية
تزوجت حتى حيا الله
تعالى لي نية فقلت
نعم . وكل ميت يده
لأحكام أسان بدايته
عاجزة الألف
والأصدقاء والمعارف
وتمسك بالوحدة
لا تستقر بدايته ، وقد
قيل من قلة الصدق
كثرة الخطاء وأشنع
ماله لزوم الصمت وأن
لا يطرئ منه كلام
الناس فإن باطنه يتغير
وتأثر بالأقوال المختلفة
وكل من لا يعلم حال
زهده في الدنيا وتسك
عناقيق القوي
لا يترك أبداً فإن عدم

قد خفف عنها ولقد منقطعت منقطعة مع صوتها ما بين الحاققين (١) .

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال اللقي بالمكاشفة في المنام)

اعلم أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تمرقا أحوال اللقي على الجملة وانضمامهم إلى سعداء وأتقياء ولكن حالهم دؤورهم وبينه فلا يتكشف أصلا فإنا إن عولنا على إيمان زيد وحمرو فلا ندرى على ماذا مات وكيف ختم وإن عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى على القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى - إنما يتقبل الله من المتقين - فلا يمكن معرفة حكم زيد وحمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه وإذا مات قد تحول من عالم الملك والشهادة إلى عالم التيب ولللكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وإنما يرى بين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان ولكن الإنسان جل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأفئدة الدنيوية فصار لا يصر بها ولا يتصور أن يصر بها حيث من عالم لللكوت عالم تنقطع تلك الغشاوة عن عين قلبه، ولما كانت الغشاوة بمنقشة عن عين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظرنا إلى لللكوت وشاهدوا بهما بهو اللقي في عالم لللكوت فمشاهدوم وأخبروا ، ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منقطعة اتقربى حتى سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته (٢) وكذلك حال أبي جابر لما استشهد إذ أخبره أن الله أقدم بين يديه ليس بينهما ستر ، ومثل هذه المشاهدة لا مطع فيها لتب الأنبياء والأولياء الذين تهرب درجاتهم منهم وإنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة إلا أنها أيضا مشاهدة نبوتوا على بها للمشاهدة في المنام وهي من أنوار النبوة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الرويا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة» (٣) وهو أيضا انكشاف لا يحصل إلا بالانشراح الغشاوة من القلب فذلك لا يوفق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثرت كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر فساده ومعاصيه أعظم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام ، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا (٤) وهو إشارة إلى طهارة الباطن أيضا فهو الأصل وطهارة الظاهر بمنزلة التمسك والتسكك لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول ملكا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى - لقد صدق الله رسولا الرؤيا بالحق - (٥) وقدنا يحلو الإنسان عن منامات دلت على أمور فوجدناها هيبة والرؤيا ومعرفة التيب في النوم من هجاب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الأدمى وهو من أوضح الأدلة على عالم لللكوت والحقا فالنوم عنه كفتهم عن سائر هجاب القلب وهجاب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره

(١) حديث أنس توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقاة الحديث وفيه قد منقطعت منقطعة مع صوتها ما بين الحاققين ابن أبي الدنيا في الموت من رواة سليمان الأحمر عن أنس ولم يسمع منه .

(الباب الثامن فيما عرف من أحوال اللقي بالمكاشفة)

(٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منقطعة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال أبي جابر لما استشهد تدمت الثلاثة أحاديث في الباب الذي قبله (٣) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة تقدم (٤) حديث أمره بالطهارة عند النوم متفق عليه من حديث البراء إذا أتيت مضجعتك فوضوءك فليصلك الحديث (٥) حديث انكشف دخول ملكا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ابن أبي حاتم في تحف من رواية مجاهد مرسلا .

معرفة لا يفتح عليه خيرا ووطن أهل الاجتهاد كالشمع يقبل كل قضي وربما استمر المبتدئ بمجرد النظر إلى الناس ويستمر بمضبول النظر أيضا وقبول المضي فيقف من الأشياء كلها على التفسير فينظر ضرورة حق لو مشى في بعض الطريق فيجد أن يكون نظره إلى الطريق الذي يسلكه لا يلتفت بينه وبينه وساره ثم يتقى موضع نظر الناس إليه وإحساسهم منه بالرايق والاحتراز فان صلب الناس منه بذلك أضر عليه من فعله ولا يستحضر فقول

علاوة على علم العامة ولكن القدر الذي يمكن ذكره هنا مثال فهمك المقصود وهو أن حلم أن القلب مثله مثال مرآة تراهي فيها الصور وحقائق الأمور وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور وثبت في خلق خلقه الله تعالى يمر عنه تارة بالروح وتارة بالكتاب اللين وتارة بإمام مبين كما ورد في القرآن لجميع ما جرى في العالم وما يسيرى مكتوب فيه وقوس عليه تعميلا يشاهد هذه العين ولا تظن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم وأن الكتاب من كاغد أو ورق بل ينبغي أن تفهم قطعا أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل إن كنت تطلب له مثلا يقر به إلى فهمك فاعلم أن ثبوت التقدير في اللوح ضاهي بثبوت كليات القرآن وحررفته في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرؤه ينظر إليه ولو قشقت دماغه جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا وإن كان ليس هناك خط يشاهد ولا حرف ينظر فمن هذا الخط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله تعالى وقضاء اللوح في اللال كمرآة ظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرآة تراهي في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم واللوح مرآة رسوم العلم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته ومتى حواسه حجابا سرحل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم للسكرت ، فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب وزففته تلالا في مرآة القلب شيء من عالم للسكرت كالبرق الحاطف وقد ثبتت ويدوم وقد لا يدوم وهو القالب ومادام متيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم للسكرت والشهادة وهو حجاب عن عالم للسكرت ، ومعنى النوم أن تركد الحواس عليه فلا تورده على القلب فاذا غلص منه ومن الخيال وكان صاعيا في جوهه ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كاتع الصورة من مرآة في مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما إلا أن النوم مانع سائر الحواس من العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يتدبره الخيال فيحاكيه بمثل يقاربه وتكون التخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انقبه لم يتذكر إلا الخيال فيحتاج للبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع إلى المعاني بالنسبة التي بين التخيل والمعاني وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير وبكيفية مثال واحد وهو أن رجلا قال لابن سيرين رأيت كأن يدي تاحتما أحتم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان قال صدقت فانظر أن روح الحتم هو المنع والأجهر يراد الحتم وإنما يكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مائلا فانس من الأكل والشرب ولكن الخيال ألف المنع عند الحتم بالحتم فتشبه بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ إلا الصورة الخيالية ، فهذه بذلة بسيرة من يمر علم الرؤيا الذي لا تنحصر بحجاب وكيف لا وهو أخو الموت وإنما الموت هو هجب من الجباب وهذا لأنه يشبهه من وجه ضيف أثر في كشف الغطاء عن عالم القيب حتى صان التام يعرف ما سيكون في المستقبل فاذا تری في الموت الذي يفرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الإنسان عند اقطاع النفس من غير تأخير عنه إما محنوقة بالانسكال والجأزي والتضامع نحو ذبائه من ذلك وإما كنوقا بنعم ومملك كبير لا آخره وعند هذا يقال للأشقياء وقد انكشف الغطاء - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فيصيرك اليوم حديد - ويقال - أفسح هذا أم أتم لا تبصرون أصلاها فاصبروا أولا وتصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون - وإليه الإشارة بقوله تعالى - وبدلهم من الله ما لم يكونوا يحسبون -

الشيء فإن كل شيء من قول وفعل ونظر وسامع خرج عن حد الضرورة جز إلى القبول ثم يمر إلى قضيع الأصول. قال سفيان : إنما حرموا الوصول بشييع الأصول فشكل من لا يحسك بالضرورة في القول والفعل لا يقدر أن يقب على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم وبق تصدق الضرورة تداعت عزائم قلبه وأغليت شيئا بدنيته قال سهل بن عبد الله من لم يبدله اختيارا يبد الخلق اضطرابا وينفتح على البعد أبواب الرخص

فأعلم العلماء وأحكم الحكماء بتكشيفه عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا يتخيل به ضميره فلو لم يكن للعالم ثم وغم إلا الفكرة في خطر تلك الحال أن الحجاب عما ذنوب وضع وما الذي يتكشف عنه القلاء من شفاوة لازمة أم سعادة دائمة لكان ذلك كافياً في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظام بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وأسياننا وفرد يقابل بأعضائنا وممنا وبصرنا مع أننا لم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن أين من نبث روح القدس في روعه يقول ما قال لسيد التبيين وأحجب من أحببت فانك مفارقة وعنى ما عشت فانك ميت وما عمل ما عشت فانك مجزي به (١) فلا جرم لما كان ذلك مكشوفاً له بين اليقين كان في الدنيا كما برسييل لم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة (٢) ولم يخلف ديناراً ولا درهما (٣) ولم يتخذ حبيلاً ولا خيلاً ثم قال ولو كنت متخذاً لئلا لا أخذت أبأكراً خيلاً ولكن صاحبك خليل الرحمن (٤) فينب أن خلة الرحمن تخلت باطن قلبه وأن حبه تمكن من حبه قلبه فلم يترك فيه متسعاً لحليل ولا حبيب وقد قال لأمته - إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله - فانما أمته من أتبعه وماتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فانه مادام إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والخطوط الماجلة فيفقد ما عرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة قد سلكك سبيله الذي سلكه أبو بكر وقد سلكك سبيله قد أتبعته وبكر ما أتبعته قد صرت من أمته وبكر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعتها والتجفت بالدين قال الله تعالى فيهم - فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى - فلو خرجت من مكن الضرور وأصفت نفسك يارب رجل وكلنا ذلك الرجل لعنت أنك من حين تصبى إلى حين تمسى لا تسمى إلا في الخطوط الماجلة ولا تتحرك ولا تسكن إلا الماجل الدنيا ثم تطمع أن تكون غدا من أمته وأتباعه ما أبدت لك وما أبدت لمعك - أفجعل للمسلمين كالجبريين ما لم يكن كيف تحكون - ولترجع إلى ما كنا فيه وبصده قد امتد غنان الكلام إلى غير مقصده ولذكّر الآن من المنامات الكاشفة لأحوال اللوق ما يعظم الانتفاع به إذ ذهبت النبوة وبقيت البشريات وليس ذلك إلا اللامات.

(بيان منامات تكشف عن أحوال اللوق والأعمال النافعة في الآخرة)

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام ومن رأى في المنام قدراً آتى خفاً فان الشيطان لا يمثل في (٥) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فرأته لا ينظر إلى قهت يارسل الله ما يأتي فالتفت إلى وقال ألسنت القيل وأنت صائم قال والذي نفسي بيده لا أقبل امرأة وأنا صائم أبداً - وقال العباس رضي الله عنه كنت وداً لعن قاضيت أن أراهم في المنام فما رأته إلا عند رأس الحول فرأته يسبح العرق عن جبينه وهو يقول هذا أدب فرائض إن كان عرشى ليدلوا أني لقيته بروفا رحياً - وقال الحسن بن علي قال في رضى الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم منح لي الليلة في منامي قهت يارسل الله ملقبت من أمك قال ادع عليهم قهت اللهم أبدلي بهم من هو خير لي منهم وأبدلهم بي من هو شرهم من عرج فصر به ابن ملجود قال بعض الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قهت يارسل الله استغفر لي فأعرض عني قهت يارسل الله إن

والانتفاع وبهالك مع
المالكين ولا ينبغي
المبتدئ أن يعرف
أحد من أرباب
الدنيا فان معرفته لهم
سم قابل وقد ورد
والدنيا مفوضة الله
لهم تمسك بحبل منها
قادته إلى النار وما
حبل من حبالها إلا
كأبنائها والطالين
لها والمحبين فمن
عرفهم أعجب إليها
شاء أو أبى وهتزاز
المبتدئ عن جمالة
الفقراء الذين لا يقولون
قيام الليل وصيام
النهار فانه يدخل عليه
منهم أكثر ما يدخل
عليه بمجالسة أئام
الدنيا وربما يشرون
إلى أن الأعمال شغل

- (١) حديث إن روح القدس هت في روعي أجب من أحببت فانك مفارقة الحديث تقدم.
- (٢) حديث لم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة أيضاً (٣) حديث لم يخلف ديناراً ولا درهما تقدم أيضاً (٤) حديث لو كنت متخذاً لئلا لا أخذت أبأكراً ولكن صاحبك خليل الرحمن تقدم أيضاً (٥) حديث من رأى في المنام قدراً آتى خفاً فان الشيطان لا يمثل في مخفى عليه من حديث أبي هريرة.

سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن لشكر عن جابر بن عبد الله إنك لم تسأل شيئا قط قلت لا
 فأقبل علي فقال غفر الله لك ^(١) وروي عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لأبي لحب
 مصاحبه له فقامات وأخبر الله عنه بما أخبر حزنه عليه وأمنى أمره فسألت الله تعالى حولاً أن يرني
 إياه في المنام قال فرأيتني يلتهب ناراً فسأته عن حاله فقال صرت إلى النار في الدنيا لا تخفف عني ولا
 يروح إلا ليلة الاثنين في كل الأيام واليالي قلت وكيف ذلك قال وله في تلك الليلة محمد صلى الله عليه
 وسلم فجاءني أمية ففترني بولادة أمته إياه ففترحت به وأخضت ولينته في فرطه فأباني الله بذلك
 أن رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين . وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حلياً فبصني رجل كان لا يقوم
 ولا يقد ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبي ^(صلى الله عليه وسلم) فسأته عن ذلك قال أخبرك عن ذلك خرجت
 أول مرة إلى مكة ومعى أبي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينما أنا نائم إذ أتاني آت فقال لي قم
 فقد أمات الله أباك وسود وجهه قال قممت مدفوراً فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت أسود
 الوجه فدخلني من ذلك رعب فبينما أنا في ذلك التم إذ غلبتني مني قممت فإذا على رأس أبي أرملة
 سودان معهم أعمدة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم تنحوا لسمع
 وجهه يده ثم أتاني فقال قد قم يمين الله وجهه أيك قلت له من أنت يا فأنتم أسمى قال أنا محمد قال
 قممت فكشفت الثوب عن وجهه أبي فإذا هو أبيض لما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم . وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر
 رضي الله عنهم جالسين عنده فسلمت وجلست فيبيناً أنا جالس إذ أتني بمل معاوية فأدخلنا بيتاً
 وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر لما كان بأسرع من أن تخرج علي رضي الله عنه وهو يقول فني
 لي ورب الكعبة وما كان بأسرع من أن يخرج معاوية لي أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة
 واستقطب ابن عباس رضي الله عنهما مرة من ثوبه فاسترجع وقال قتل الحسين وآله وكان ذلك
 قبل قتله فأفكره أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زوجة من دم فقال ألا
 تلم ما صنعت أمي بدي فتلا ابن الحسين وهذا دم أصحابه أرفسها إلى الله تعالى فبما الحريد
 أربعة وعشرين يوماً بقته في اليوم الذي رآه ورؤي الصديق رضي الله عنه فقيل له إنك كنت
 تقول أبداً في لسانك هذا أوردني للوارد فإذا فعل الله بك قال قلت له لا إله إلا الله فأوردني الجنة
 (بيان منامات الشايع رحمة الله عليهم أجمعين)

قال بين الشايع رأيت منما الله وروى في المنام قلت يا سيدي ما فعل الله بك فقال بدري في الجنان فقيل
 لي يا سيدي هل استحسنيت فيها شيئا قلت لا يا سيدي فقال لو استحسنيت منها شيئاً لو كنتك اليوم أو شئت
 إلى ورؤي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي قبل ما إذا قال ما خلطت جدا
 بهزل وعن منصور بن إسماعيل قال رأيت عبد الله الزبارة في النوم قلت ما فعل الله بك قال أوتقني بين
 يدي ففكر لي كل ذنب أقدرت به إلا ذنباً واحداً فاني استحييت أن أقربه فأوتقني في العرق حتى سقط
 لحم وجهي قلت ما كان ذلك الذنب قال ففكرت إلى غلام جيل فاستحييت فاستحييت من الله أن ذكره
 وقال أبو جعفر الصديقي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من القراء
 فينبأهم كذلك إذ انفتحت السماء فزل ملكان أحدهما بيده طشت ويد الآخر يريق فوضع الطشت
 بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسل يده ثم أمر حتى غسلوا ثم وضع الطشت بين يدي

(١) حديث ابن عيينة عن محمد بن لشكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قلت
 فقال لا . ورواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

التعبد بن وأن أرباب
 الأحوال ارتقوا عن
 ذلك . ويثنى للغير
 أن يقتصر على الفرائض
 وصوم رمضان حسب
 ولا يثنى أن يدخل
 هذا الكلام منه رأياً
 فانا اختبرنا وما رنا
 الأمور كلها وبجالسنا
 القسراء . والصالحين
 ورأينا أن الدين يقولون
 هذا القول وبرون
 التسرائض . دون
 الأوقات والنواقل
 تحت التصور مع كونهم
 أصحاء في أحوالهم فقل
 البعد التمسك بكل
 فرصة وغنيتها في ذلك
 حيث قدمه في بدايته
 ورامى يوم الجمعة
 خاصة ورحمة الله تعالى
 بخاصة لا يخرج به

قتال أحدهما للأخر لا تصب على يده فانه ليس منهم قتلت يارسول الله اليس قد روى عنك أنك
 قلت «الرد مع من أحب» قال بلى قلت يارسول الله فاني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله
 عليه وسلم حب على يده فانه منهم وقال الجنيدي رأيت في المنام كأنني أتكم على الناس فوقف على
 ملك فقال أقرب ما تقرب به للثغريون إلى الله تعالى ماذا قلت عمل خفي بيزان وفي قولي لللك
 وهو يقول كلام منوفي والله وروى في الجمع في النوم قيل له كيف رأيت الأمر قال رأيت أني أهدن
 في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة . وقال رجل من أهل الشام للامام بن زياد رأيتك في النوم كأنك
 في الجنة فنزل عن مجلسه وتقبل عليه ثم قال لعل الشيطان أراد أمرا فصمت منه فأشخص رجلا
 يقتل . وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر للؤمن ولا تهره وقال صالح بن بدير رأيت عطاء السلي في النوم
 فقلت له رحمك الله قد كنت طويل الحزن في الدنيا قال أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلا وفرحا
 دائما فقلت في أي الدرجات أنت . فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين . الآية . وسئل
 زرارة بن أبي أنس في المنام أرى أعمال أفضل عندكم فقال الرضا وقصر الأمل وقال يزيد بن مذكور
 رأيت الأوزاعي في المنام فقلت يا أبا عمرو دلي على عمل أشرب به إلى الله تعالى قال ما رأيت هناك درجة
 أرفع من درجة العلماء ثم درجة الخزوين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى طلعت عيناه
 وقال ابن عيينة رأيت أخي في المنام فقلت يا أخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه فغفرت
 وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلمي رأيت في المنام امرأة لانشبه نساء الدنيا فقلت من أنت
 فقلت حوراء فقلت زوجي فقلت فقلت يا سيدي ومهرني فقلت وما مهرك قالت حبس فقلت
 عن آفاتهما وقال إبراهيم بن اسحق الحارثي رأيت زينة في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت غفرت لي
 فقلت لها بما أغفقت في طريق مكة قالت أما التفقات التي أشققتها رجعت أجورها إلى أربابها وغفرت لي
 بنيت ولما مات سفيان الثوري روى في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال وضعت أول قدمي على الصراط
 والثاني في الجنة وقال أحمد بن أبي الخوارى رأيت في المنام جارية مارية أحسن منها وكان
 يتلأأ وجهها نوراً فقلت لها ماذا صوّه وجهك قالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها فقلت نعم قالت
 أخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم صوّه وجهي كما ترى وقال السكتاني رأيت الجنيدي في المنام
 فقلت له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا إلا على ركبتين
 كنا نسلهما في الليل ورويت زينة في المنام فقلت لها ما فعل الله بك قالت غفرت لي بهذه الكلمات
 الأربع لا إله إلا الله أنى بها عمري لا إله إلا الله أدخل بها نبيي لا إله إلا الله خلج بها وحدي لا إله إلا الله
 التي بها ربي وروى جبر في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال رحمني في عز وجل وقال يا بشر أما استحييت
 مني كنت تخافني كل ذلك الخوف وروى أبو سلمان في النوم فقلت له ما فعل الله بك قال رحمني وما كان
 شيء أضر علي من إشارات القوم إلى وقال أبو بكر السكتاني رأيت في النوم شابا لم أرا حسنه فقلت له
 من أنت قال الفتوى قلت فأين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فإذا امرأته قد قتلت من أنت
 قالت أنا السقم قلت فأين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فأتيتي وعما هدت أن لا أحبك إلا غيلة
 وقال أبو سعيد الخزاز رأيت في المنام كأن إبليس وثب على فأخذت الصلابة لأضربه فلم ينزع منها
 فنهض في هاتف إن هذا لا يخاف من هذه وإنما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحى رأيت
 إبليس في النوم عشي عريانا فقلت ألا تستحي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس
 ما كنت ألب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسفوا
 جسمي وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية وقال أبو سعيد الخزاز كنت في دمشق فرأيت في المنام كأن النبي

من أحواله نفسه
 وما كرها ويسكر إلى
 الجامع قبل طلوع
 الشمس بعد الضل
 للجمعة وإن اغتسل
 قريبا من وقت الصلاة
 إذا أمكنه ذلك فغن
 قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم «يا أبا
 هريرة اغتسل للجمعة
 ولو افترقت السماء
 بمسالك وما من
 نبي إلا وقد أمره
 الله تعالى أن يغتسل
 للجمعة فإن غسل
 الجمعة كفارة للذنوب
 ما بين الجمعتين» ويشتمل
 بالصلاة والصوم
 والدعاء الثلاث وأما أنواع
 الأذكار من غير شور
 إلى أن يصل إلى الجنة
 ويجلس متكئا في

صلى الله عليه وسلم جاءني متكئا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فجاء فوقت على وأنا أقول شيئا من الأصوات وأدق في صدري قال شريفاً أكثر من غيره. وعن ابن عينة قال رأيت سفيان الثوري في النوم كأنه في الجنة يطير من شجرة إلى شجرة يقول لكل هذا فليعمل العاملون فقلت له أوصني قال أقلل من معرفة الناس وروى أبو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رأيت سفيان الثوري فقلت ما فعل الله بك فقال:

نظرت إلى ربي كفاحا فقال لي
هنيئا رضاءي عنك يا ابن عميد
تقد كنت قوماً إذا أظلم الهدى
بصرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر أردته
ووزني فاني منك خير عميد

وروي الشبل بعد موته ثلاثة أيام قيل له ما فعل الله بك قال ناقضني حتى أيسر فلما رأى بأسى تمدني برحمته وروى جهمون بن حاص بعد موته في المنام قيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وجعلني حجة على المحبين وروى الثوري في المنام قيل له ما فعل الله بك قال رحمني قيل له ما حال عبد الله بن المبارك قال هو بمن بلغ على ربه في كل يوم مرتين وروى بعضهم فقتل عن حاله قال: حاسبوا نافعاً وقائموا منوا فأثقفوا وروى مالك بن أنس قيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بكلمة قال يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجارية سبحان الحى الذى لا يموت وروى في الليلة التى مات فيها الحسن البصري كان أبواب السماء مفتحة وكان منادياً ينادى ألا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه براى وروى الملاحظ قيل له ما فعل الله بك قال :

ولا تكتب خطك ضريئى يسرك في القيامة أن تراه

ورأى الجليلد إلياس في المنام عرياناً قال ألا تستحي من الناس فقال وهو لا فاس الناس أتوام في مسجد الشونيزية قد أشتوا جسدى وأحرقوا كبدى قال الجليلد فلما انتهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتسكرون فلما رأوني قالوا لا يغرنك حديث الحبيب وروى الصراباذى بكه بعد وفاته في النوم قيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الأشراف ثم نوديت يا أبا القاسم أبعد الاتصال اتصالاً فقلت لا إذا الجلال فما وضعت في العبد حتى لحقت برى ورأى عتبة النعام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة أأنا لك عاشقة فأنظر لاتصل من الأعمال شيئاً فيحال بيني وبينك فقال عتبة طامت الدنيا ثلاثاً لا رجعة لى عليها حتى ألتأك فويل رأى أيوب السخيتاني جنازة حاص فدخل الهابز كيلاً صلى عليها فرأى لبيت بعضهم في المنام قيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وقال قل لأيوبيس قد لوانتم تملكون خزائن رحمتي وإذا المسك خشيعة الاثاق وقال بعضهم رأيت في الليلة التى مات فيها داود الطائي وقد زخرقت الجنة تقدم روحه وقال أبو سعيد الشحام رأيت سهلاً الصلوكي في المنام فقلت أيها الشيخ قال دع التشيع قلت تلك الأحوال التى شاهدتها فقال لم تكن هنا فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بمسائل كان يسأل عنها المجز وقال أبو بكر الرشيدي رأيت محمداً الطوسي للملح في النوم فقال لي قل لأبي سعيد السفر الموثق :

وكنا على أن لا نعمل عن الهوى فقد وحياة المحب حلم وماحلنا

قال فالتفت فذكرت ذلك له فقال كنت أؤور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت أليس قد مات قال بل قامت فاصنع الله بك قال غفر لي مغفرة أعاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال خرج مع ذلك من الذين آمن الله عليهم من النبيين والعديدين سأل الآب وقال الربيع بن سليمان رأيت الشاهي رحمة الله عليه بعد وفاته في المنام فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك

الجامع إلى أن يصل
فرض الصبر وبقية
النهار يشغله بالتسبيح
والاستظهار والصلاة
على النبي صلى الله عليه
وسلم فانه يرى بركة
ذلك في جميع الأسبوع
حتى يرى ثمرة ذلك
يوم الجمعة وقد كان من
الصادقين من ضبط
أحواله وأقواله وأعماله
جميع الأسبوع لأنه يوم
المزيد لكل صانع
ويكون ما بعده يوم
الجمعة ميامراً يتخير به
سائر الأسبوع الذي
مضى فانه إذا كان
الأسبوع سلباً يكون
يوم الجمعة فيه مزيد
الأنوار والبركات وما يجد
في يوم الجمعة الظلمة
وسكينة النفس وقلة

وإيدانه ثم لشكر وسؤالهما ثم لمذاب القبر وخطره إن كان مضويا عليه وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من قبح الصور والبعث يوم التشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونسب الزمان لمرقة اللقادر ثم جواز الصراط مع وقته وحده ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسماء وإما بالألقاب فهذه أحوال وأهوال لا بد لك من معرفتها الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطهير الفكر في ذلك لينت من قلبك دواعي الاستعداد لها وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يحسبوا من سويدها أفئدتهم يدل على ذلك عدة شعورهم واستعدادهم على الصيف وبرد الشتاء وتهادنهم بحر جهنم وزمهرير هاتغ ما تكشفه من الصاحب والأهوال بل إذا استلوا عن اليوم الآخر انطلقت به السهم ثم خففت عنه قلوبهم ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسوم قال لصاحبه الذي أخبره صدقت ثم مذهبنا ولاه كان مصداقاً لمصداقاً وكذباً بصدق وكذب المولى بلوغ من تكذيب الإنسان وقد قال النبي ﷺ « قال الله تعالى خشي ابن آدم وما ينبغي له أن يفتي وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما غشاه إني يقول إن لي ولها وأما تكذيبه قوله لن يدين كابداني (١) » وإنما قور اليراطن عن قوة الثيق والتصديق بالبعث التشور لثقل القوم بهذا المأثمثال تلك الأمور ولو لم يشاهد الإنسان نواله الحيوانات وقيله إن صامنا يمنع من النطفة القدر مثل هذا الأسمى للصور المائل للتكلم للتصرف لا هند قور باخته عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى « وأولم ير الإنسان أنا خلقنا من نطفة فإذا هو خصيم مبين - وقال تعالى أحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مئى ثم يمي ثم كان علقة خلق نسوي جعل منه الزوجين الذكر والأنثى في خلق آدمي مع كثرة حجابيه واختلاف تركيب أعضائه أعجيب زيد على الأعاجيب بشه وإعادته فكيف يشكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في منتهى وقدرته فإن كان في إيمانك ضعف فتو الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثلها وأسهل منها وإن كنت قوي الإيمان بها فأعز قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها الفكر والاعتبار لتسلب عن قلبك الاحتراق فتشتل بالتمسك بعرض على الجبار وتضكر وأولا فما يشرع منع سكان القبور من هذه قبح الصور فانها ضيعة واحدة تفرج بها القبور عن ردوس الموتى فيثرون دجلة واحدة قوم ضحك وقد وثيت مشهرا وجهك مغبرا يدنك من فركك إلى نفسك من راب قبرك ميتون من هذه السمعة غاشي العين نحو البداء وقد ثار الجلق ثور تواحدهم من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزهيم الفزع والرب مضاعف إلى ما كان عديم من المعلوم والنمو وهذه الانتظار لثانية الأمر كما قال تعالى - وتنع في الصور فضعت من في السموات ومن في الأرض إلا من هاد ثم ضاع إليه أخرى فلما هم قيام ينظرون - وقال تعالى - فإذا قر في الناظر فلنك ومثل يوم عسر على الكافرين غير يسر - وقال تعالى - ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون وتنع في الصور فذا هم من الأحداث إلى ربهم يسألون قالوا يا مؤمن من يشأ من مرقبنا هذا ما وعد الرحمن وسئلوا من سئلوا فلم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك السمعة لكن ذلك جديرا بأن يبقى فانها صفة وصحة يصق بها من في السموات والأرض يحيى يموتون بها إلا من شاء الله وهو بين الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أتم وصاحب الصور قد أتم القرن وحس الحجة

(١) حديث قال الله تعالى خشي ابن آدم وما ينبغي له أن يفتي وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني

الحديث البخاري من حديث أبي هريرة

من القرآن من السبح إلى المجمع إلى أفضل أو أكثر كيف أمكن ولا يفتي إلى قول من يقول ملازمة ذكر واحد أفضل من ثلاثة القرآن فانه يجد تلاوة القرآن في الصلاة وفي غير الصلاة جميع ما ينبغي يتوفيق الله تعالى وإنما اختار بسن للشايع أن يديم الريد ذكرها واحدا ليجمع المم فيه ومن لازم التلاوة في الخلوة وتمسك بالوحدة تفيد التلاوة والسلاة أو في ما يجيد الذكر الواحد فإذا سبى في بين الأمايين صانع النفس على الذكر جماعة وينزل من التلاوة

وأصنى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينبغ ^(١) قال مقاتل : الصور هو القرن وذلك أن إسرائيل عليه السلام وضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كبرض السموات والأرض وهو شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينبغ النفخة الأولى فإذا نفع صفق من في السموات والأرض أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرائيل وملك اللوت ثم يأمر ملك اللوت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرائيل ثم يأمر ملك اللوت فيموت ثم يابث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله إسرائيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى : ثم نفع فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون - على أرجلهم ينظرون إلى البعث وقال صلى الله عليه وسلم « حين يبعث الله إلى يثرب إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة ^(٢) » فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصفة وانظروا لما يقضى عليهم من سعادة أو عقوبة وأنت فيها منهم منكسر كانكسارهم متحير كمتحيرهم بل إن كنت في الدنيا من الترفهين والأغنياء للتصميم لمهلك الأرض في ذلك اليوم أفذل أهل أرض الجمع وأمرهم وأحقرهم يوطنون بالأقدام مثل الدار وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤوسها غنظلة بالخلق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنس بها ولكن حشرتهم شدة الصفة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الحرب من الخلق والوحوش منهم وذلك قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - ثم أبلت الشياطين للردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاضعة من هبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى - فو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا - فتفكر في حالك وحال قلبك هناك .

(صفة أرض المحشر وأهل)

ثم النظر كيف يساقون بعد البعث والنشور فحارة عذرا إلى أرض المحشر أرض يضاء قاع مصصف لا ترى فيها عوجا ولا أمنا ولا ترى عليها روبة تخفى الإنسان وراهها ولا وهدة ينخسف عن الأعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إلى زمرا فسيحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالرافضة تبعها الرادقة والرافضة هي النفخة الأولى والرادقة هي النفخة الثانية وحقيق تلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة وتلك الأبصار أن تكون خاضعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء عفرها كقصر النقي ليس فيها معلم لأحد ^(٣) »

(١) حديث كيف أتم وصاحب الصور قد التزم القرن وحن الجبهة الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجه بلفظ إن صاحب القرن يأبدهما أو في أيديهما قرناك يلاحظان النظر متى يؤمران وفي رواية ابن ماجه الحجاج بن أرطاة مختلف فيه (٢) حديث حين يبعث الله إلى يثرب إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى الحديث لم أجده هكذا بل قد ورد أن إسرائيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخاري في التاريخ وأبو الشيخ في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرائيل فهو وأرضه على فيه شاخص بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال البخاري ولم يصح وفي رواية لأبي الشيخ ما طرف صاحب الصور مذ وكل به مستند بنظر نحو العرش حافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عليه كوكبا يهوي وإيمانها جهنم (٣) حديث يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء عفرها كقصر النقي ليس فيها معلم لأحد

إلى الله كره فاته أخف على النفس وينسى أن يعلم أن الاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يجتمع به كل الاعتماد فاته عمل نال ولا يحقر الوسواس وحديث النفس فاته مضروبا عذاب فيطالب نفسه أن تصبر في تلاوة معنى القرآن مكان حديث النفس من يباطنه فكما أن التلاوة على اللسان هو متشفرل بها ولا يترجى بكلام آخر هكذا يكون معنى التيسر أن في القلب لا يترجى به حديث النفس وإن كان أجمعا لا يجمع

قال الراوي : والفرقة يابض ليس بالناسخ والتي هو التي عن القشر والنخلة ومعلى لا بناء يستر ولا تفاوت ردة البصر ، ولا تظن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لاسواها إلا في الاسم قال تعالى : يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات . قال ابن عباس : يزداد فيها وينقص وتنهب أشجارها وجبالها وأوديتها ومافيها وتمدد الأديم المكافئ أرض يضاء مثل القضة لم يسبق عليها دم ولم يسجل عليها خطية والسماوات تنهب فمسها وقرها ونجومها فانظر يامسكين في هول ذلك اليوم وهدته فانه إذا اجتمع الخلائق على هذا المعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض فثود سراجها فينابض كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشتت مع غلظها وعديتها خمسة عايم واللائكة قيام على حافاتها وأرجائها فياهول صوت الشقايا في صمك وباهية ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وعديتها ثم تنهار وتصل كالقضة للذابة تغلظها سفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كاللؤلؤ وصارت الجبال كاللبن واشتبك الناس كالفراس للثبوت وهم حفاة عرلة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يبعث الناس حفاة عرلة غرلا قد ألجمهم الرقي وبلغ شعوم الأذان . قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رواية الحديث قلت يارسول الله واسواته ينظر بضنا إلى بضى فقال خفل الناس عن ذلك بهم - لكل امرئ منهم يومئذ شأن بضيه - (١) فأعظم يوم تكشف فيه المورثات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والاتفات كيف وبضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أسناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال الذي أنشأهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (٢) في طبع الأدمى إنكار كل مالم يأمن به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها كالرق الحائط لأنكر تصور لك على غير رجل ولكي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإلّا أن تبرك شيئا من حجاب يوم القيامة تخافته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت حجاب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنك أشد إنكارا لها فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف طاريا كشوفا ذليلا مدحورا متجريا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضاء بالمعادة أو بالشقاوة وأعظم هذه الحال فانها عظيمة .

(صفة الرقي)

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على لائق أهل السماوات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير فأشرفت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدبنت من رؤوس الملائك كقاب قوسين ظم يق على الأرض ظل لا يظلل عرش رب الملائك ولم يمكن من الاستقلال به إلا القويون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضطج لحر الشمس قصدهم تهجرها واشتد كرههم من وجعهم من وجعها ثم تدافعت الخلائق ودفع متفق عليه من حديث سهل بن سعد وفصل البخاري قوله ليس فيها معمل لأحد فيعمل ما يقول سهل أوضف وأدرجها مسلم فيه (١) حديث يبعث الناس حفاة عرلة غرلا قد ألجمهم الرقي وبلغ شعوم الأذان قالت سودة رواية الحديث واسواته الحديث التعلبي والبقوي وهو في الصحيحين من حديث عائشة وهي القاطلة واسواته ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أم سلمة وهي القاطلة واسواته (٢) حديث أبي هريرة يحشر الناس يوم القيامة ركبانا ومشاة على وجوههم الحديث رواه الترمذي وحسنه وفي الصحيحين من حديث أنس أن رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكفار على وجعهم قال أليس ألقى أمشاه على الرجلين في الدنيا قائد على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة .

معنى القرآن يكون
لمراقبة حلية باطنه
فيضل باطنه بطلانة
نظر الله إليه مكان
حديث النفس فإن
بالدول على ذلك يصير
من أرباب الشاهدة.
قال مالك : قساوب
الصدقين إذا سمعت
القرآن طربت إلى
الآخرة فليتمسك
الرب بهذه الأصول
وليسكن بدوام
الافتقار إلى الله بذلك
ثبات قدسه . قال
سهل : على قدر لزوم
الالتجاء والافتقار إلى
الله تعالى يعرف البلاء
وعلى قدر معرفته
بالبلاء يكون الافتقار
إلى الله فالدول الافتقار
إلى الله أصل كل خير

بعضهم بضاً لشدة الزحام واختلاف الأقدام وإضافة إلى شدة الحجلة والحياة من الافتضاح والاختراء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهيج الشمس وحرّ الأتاس واحتراق القلوب بنار الحياة والخوف ففاض العرق من أصل كل شجرة حتى سالت على صعيد القيامة ثم ارضع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فيعظم بلغ العرق ركبته وبعضهم حقويه وبعضهم إلى شجرة أذنيه وبعضهم كاه ينيب فيه . قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوم يقوم الناس لرب العالمين - حتى ينيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه (١)» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرى العرق الناس يوم القيامة حتى يذهب ررقهم في الأرض سبعين باعاً يلجمهم ويلعج أذانهم (٢)» كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث آخر «قياماً شاحسة أيسارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب (٣)» وقال عقبه بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ غلظه ومنهم من يبلغ خصره ومنهم من يبلغ قامه وأشاريده فألجمها فاه . ومنهم من ينطيه العرق ، وضرب يده على رأسه هكذا (٤)» فتأمل بإمكانك في عرق أهل المحشر وعدة كربهم وفهم من ينادى فيقول رب أرحني من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حساباً ولا عقاباً فانك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق . واعلم أن كل عرق لم يخرج التيب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر معروف ونهى عن منكفر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولوسلم ابن آدم من الجهل والغرور لم أن تيب العرق في تحمل مصائب الطاعات أمون أمراً أقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة فانه يوم عظيمة شدته طويلة مدته .

(صفة طول يوم القيامة)

يوم تنف فيه الخلائق شاحسة أيسارهم متفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظرون في أمورهم يقفون ثلثائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يهجون فيه روح نسيم . قال كعب وقادة - يوم يقوم الناس لرب العالمين - قال قومون مقدار ثلثائة عام بل قال عبدالله بن عمر وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال «كيف يك إذا جمعكم الله كما يجمع التيل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم (٥)» وقال الحسن ما ظنك يوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة

(١) حديث ابن عمر يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى ينيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة يرق الناس يوم القيامة حتى يذهب ررقهم في الأرض سبعين ذراعاً الحديث أخرجه في الصحيحين كما ذكره اللفظ (٣) حديث قياماً شاحسة أيسارهم أربعين سنة إلى السماء يلجمهم العرق من شدة الكرب ابن عدى من حديث ابن مسعود وفيه أبو طيبة عيسى ابن سليمان الجرجاني ضعفه ابن معين وقال ابن عدى لا ظن أن كان تصد الكذب لكن له تشبه عليه (٤) حديث عقبه بن عمر تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ عرقه عقبه الحديث رواه أحمد وفيه ابن لهيعة (٥) حديث ابن عمرو تلا هذه الآية يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال كيف يك إذا جمعكم الله كما يجمع التيل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم قلت إنما هو صيد الله بن عمرو رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة قوله كره أن يأتي جاثم بأولاً غير ابن وهب ولهم عبد الرحمن بن ميسرة المحضمي أربعة هذا أحدهم مصري والثلاثة الآخرون هليون .

ومفتاح كل علم دقيق في طريق القسوم وهذا الافتضاح كل الأتاس لا يثبت حركة ولا يستقل بكلمة دون الافتضاح إلى الله فيها وكل كلمة وحركة خلت عن مراجعة الله والافتضاح فيها لا تقب خسراً قطعاً علنا ذلك وتحققناه . وقال سهل من انتقل من نفس إلى نفس من ضير ذكر قصد ضيق حاله وأذى ما يدخل على من ضيق حاله دخوله لها لا ينيب وتركة ما ينيب . ولبننا أن حسان بن سنان قال فأت يوم لمن هذه النار ثم رجس إلى

لأباً كلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة حتى إذا غطمت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً
انصرف بهم إلى النار فشقوا من عين آنية قد آن حرها واعتد لخبها فلما بلغ الجهد منهم الماطاة
لم به كلم بعضهم بشيء في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يعلقوا بنبي إلا دفنهم وقال
دعوني نفسي نفسي شغلني أمري عن أمر فيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال
قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه
وسلم لمن يؤذن له فيه - لا يمكن الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً - فدخل في طول
هذا اليوم وعدة الانتظار فيه حتى يغضب عليك انتظار الصبر عن المصاع في عمرك المختصر . واعلم
أن من طال انتظاره في الدنيا الموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنه يحصر انتظاره في ذلك
اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم قال والذي نفسي بيده إنه
ليختلف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يسليها في الدنيا ^(١) عاجته أن تكون
من أولئك المؤمنين فيأدم يبق لك نفس من عمرك فالأمر إليك والاستعداد بيدك فاعمل في أيام قصار
لأيام طوال تربع رحماً لامتني لسورده واستقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فإنك
لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلاً لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفاً لكان ذلك كثيراً عليك يسيراً .

(صفة يوم القيامة ودواحيه وأساميهِ)

فاستعد بإمكانك لهذا اليوم العظيم شأنه للعبد زمانه القاهر سلطانه القريب وأوانه ، يوم ترى السجاء
فيه قد انطمرت ، والسكاكب من هولاء قد انتثرت ، والنجوم الزواهر قد انكسرت ، والشمس
قد كورت ، والجبال قد سيرت ، والشار قد غطت ، والوحوش قد حشرت ، والبيهار قد سحرت
والنفوس إلى الأبدان قد زوجت ، والحجج قد سيرت ، والجنة قد أزلت ، والجبال قد نسفت ،
والأرض قد مدت ، يوم ترى الأرض قد زلزلت فيزلزلها ، وأخرجت الأرض أهلها ، يومئذ يصدر
الناس اثنتان ليروا أحماهم ، يوم تحمل الأرض والجبال قد كتبت دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة
وانشقت السماء فمضى يومئذ واهية ، ولللك على أرجائها ، وعمل غرش بك فقوم يومئذ غماية
يومئذ تمرضون لآخني منكم خافية ، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة ، يوم ترج الأرض فيه
رجاً وتيس الجبال بساً فكانت هباء منبثاً ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ويكون الجبال
كالهين للنفوس ، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبزوا
فه الواحد القهار ، يوم تنسف فيه الجبال نسفاً فتركها قاعاً مفضفاً لا ترى فيها عرجاً وأليماً ، يوم ترى
الجبال تحسباً جامدة وهي تمر مر السحاب ، يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالأبهان ، فيومئذ
لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ، يوم يمنح فيه المصاع من الكلام ولا يسأل فيه عن الإجماع بل يؤخذ
بالنواصي والأقدام ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها
وبينه أمداً بعيداً ، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تحرس فيه الألسن

(١) حديث سئل عن طول ذلك اليوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه ليختلف على المؤمن حتى يكون
أهون عليه من الصلاة المكتوبة يسليها في الدنيا أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أبي سعيد الخدري
وفيه ابن لهجة . وقد رواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث بدل ابن لهجة وهو حسن ولا يفي بطل من حديث
أبي هريرة بإسناد جيد جهون ذلك على المؤمن كشدلى الشمس للغروب إلى أن تحرب ورواه البيهقي في
الشعب إلى أن قال أظنه رضى بلفظ إن الله ليختلف على من يشاء من عباده طوله كوقت صلاة مفروضة .

نفسه وقال ما لي وهذا
السؤال وهل هذه
الإكالة لاثنين وهل
هذا إلا لاستبلاء
نفسى وقتاً أدبها إلى
على نفسه أن يصوم
سنة كفارة لهذه
الحكمة فيا لصديقنا
ما نالوا وبقوة العزائم
عزائم الرجال بلغوا
ما بلغوا . أخبرنا
أبو زرعة بإجازة قال
أنا أبو بكر بن خلف
قال أنا أبو عبد الرحمن
قال سمعت منصوراً
يقول سمعت أبا عمرو
الأنصاري يقول سمعت
النبي يقول لو أقبل
صادق على الله الفاسنة
ثم أعرض عنه لحظة
لكان ما قاله من الله
أكثر مما قاله وهذا

وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصديق رضى الله عنه : اراك قد شبت يا رسول الله قال وشيئني هو وأخواتي^(١) وهى الواقعة والرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت؛
فيا أيها القاريه العاجز إنما حظك من قراءة كتابك أن تجميع القرآن وتحريكه باللسان ولو كنت متفكرا
فيا تفرقه لكنت جديرا بأن تنشق مرارتك مما غاب منه شعريد المرسلين وإذا قمت بحركة اللسان
قد حرمت ثمرة القرآن فالقيامه أحد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثرت أسمائها
ليثقف بكثرة أسمائها على كثرة معانيها فليس للسود بكثرة الأسماء تكرير الأسماء والألقاب بل
الغرض تنبيه أولى الألباب فتمت كل اسم من أسماء القيامة سر وفي كل نستمن نعمتها معنى فاحرص
على معرفة معانيها ونحن الآن نجعل لك أسمائها . وهى : يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم
المجاسة ويوم السادة ويوم السابعة ويوم الناقشة ويوم الناقصة ويوم الزلزلة ويوم السدمة ويوم
الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجعة ويوم الرادفة ويوم الفاشية ويوم الدهاية ويوم
الآخرة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاحفة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم الساق ويوم القصاص
ويوم التناد ويوم الحساب ويوم اللآب ويوم العذاب ويوم القرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم
البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاد ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض
ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم النشور ويوم الخرى
ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم اللصير ويوم النفخة
ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الترجة ويوم السكرة ويوم القزع ويوم الجزع
ويوم للنهى ويوم للأوى ويوم للقيات ويوم للبلاد ويوم للرصاد ويوم للقلق ويوم للرقق ويوم
الافتقار ويوم الانكسار ويوم الانتشار ويوم الانشفاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود
ويوم الثنائين ويوم عيوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لأرب فيه ويوم تبلى
السرائر ويوم لأبحرى نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الأبصار ويوم لا ينفى مولى عن مولى
شيئا ويوم لأملك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا ويوم يسحبون فى النار على
وجوههم ويوم قلب وجوههم فى النار ويوم لا يحصى والد عن ولده ويوم يفر للره من أخيه وأمه
وأبيه ويوم لا يطقون ولا يؤذن لهم فيعتدون يوم لأمره له من الله يوم هم بارزون يوم هم على النار
يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم الأمانة ولهم سوء الدار يوم رده فيه
للمآذر وتبلى السرائر وتظهر الضيائن وتكشف الأستار يوم تخضع فيه الأبصار وتسكن الأصوات
ويقل فى الانفئات وتبرز الخفيات وتظهر الخبيثات يوم يساق العباد ومعهم الأشهداء ويشيب الصغير
ويسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الحجج وأغلج الحميم وزفرت
النار وبس الكفار وسعرت النيران وقصرت الألوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الإنسان
فيا أيها الإنسان ما فركك برك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخت الستور واستترت عن
الخلق قمارفت النجور فإذا فعلت وقد شهدت عليك جوارحك قالوبل كل الويل لنا معاشر
العاقلين يرسل الله لنا سيد المرسلين ويزل عليه الكتاب للبين ويخبرنا بهم الصفات من نبوت
يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول - اقرب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر
من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ساء لهم عرفنا قرب القيامة فيقول اقربتم الساعة

الجملة يحتاج للتدبر
أن يحكمها والتدبر
عالم بها حامل عقابها
فالمبتدئ صادق
والتدبر صادق قال
أبو سعيد القرظي
الصادق الذي ظاهره
مستقيم وباطنه ميل
أحيانا إلى حظ النفس
وعلامته أن يجد
الجلالة فى بعض
الطاعة ولا يجدها فى
بعض وإذا اشتغل
بالذكر نور الروح
وإذا اشتغل بحفظ
النفس يهبط عن
الأذكار والصديق
الذى استقام ظاهره
وباطنه يمد الله تعالى
بتسليو الأحوال
لا يصبه من الله
وعن الأذكار أكل

(١) حديث شيبني هود والواقعة والرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت الترمذي وحسنه
والحاكم وصححه وقبلاهم .

وانشق القمر - إنهم يرونه بعيدا وراه قريبا - وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملا فلا تدبر معانيه ولا تنظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأسمايه ولا تستعد للتخلص من دواهيه فتعوذ بالله من هذه النقلة إن لم يدركنا الله بأوسع رحمة.

(صفة للمساهلة)

ثم تشكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فما يتوجه عليك من السؤال شفاه من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والفقير والقطيع فينبأ أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظامها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المهجرين إلى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله عز وجل ملكا ما بين شفرى عينيه مسيرة مائة عام (١) » فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك يأخذوك إلى مقام العرض وترامى على عظم أشخاص منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدأ من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبق في ولا صديق ولا صالح إلا وخرن لأذنانهم خوفا من أن يكونوا هم المأخوذون فهذا حاله للقرين فما ظنك بالصاة المهجرين وعند ذلك يدار أقدام من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفيناكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتزعج للملائكة من سؤالهم إجلالا لخالقهم عن أن يكون فيهم فتادوا بأصواتهم مزهين ليليكهم عما نوهه أهل الأرض وقالوا سبعان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم للملائكة صفاعدتين بالخلق من الجواب وعلى جميعهم شعار الله والحضور وهيئة الخوف وللهاية لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله - فلنسلأن الذين أرسل إليهم ولنسلأن للرسل فلنقصن عليهم بعلم وما كنا خائفين - وقوله - فوريك لنسلهم أجمعين عما كانوا يصدون - فيبدأ سبحانه بالأنبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجيبت قالوا لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب - فيالشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنمحي علومهم من شدة الحمية إذ يقال لهم ماذا أجيبت وقد أرسلتم إلى الخلاق وكانوا قد علموا قدهم عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الحمية لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم إلى أن يوجه الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمتك هل بلغت فيقولون ما أناأنا من نذير وبؤى ييسى عليه السلام فيقول الله تعالى له أنت قلت للناس اتخذوني وأسى الهين من دون الله فيبقى متسحطا تحت هيئة هذا السؤال سئلا فيالعظم يوم تمام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال ثم قبل للملائكة فينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلانة هل إلى موقف العرض وعند ذلك ترجمد الرسل وتضطرب الجوارح وتبتهت العقول ويشتت أقدام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبايح أعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملا الخلاق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرض - وأشرق الأرض بنور ربها - وأيقن قلب كل عبد بأقبال الجبار لمساهلة العباد ووطن كل واحد أنه ما يراه أحد سواه وأنه للقصود بالأخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك يا جبريل انقضي بالنار فيجىء لها جبريل ويقول يا جبريل أجيبي خالقك ومليكك فماذا أجبريل على غيظها وغضبها لم يلبث بعد ندائه أن ثارت وفارت وزفرت إلى الخلاق وشبهت وصم الخلاق تغطيا وزفرها وانقضت خزنتها متولبة إلى الخلاق غضبا على من غشى الله تعالى وماتل أمره فأخطر بيالك وأحضر في قلبك حالة غيوب العباد وقد امتلأت فزعا ورجعا فاستأطوا جياطي الركب

(١) حديث إن لله عز وجل ملكا ما بين شفرى عينيه مسيرة خمسمائة عام - أره بهذا اللفظ .

ولا نوم ولا شرب
ولا طعام والصديق
يريد نفسه لله وأقرب
الأحوال إلى النبوة
الصدقية . وقال
أبو يزيد : آخر
نهايات الصديقين أول
درجة الأنبياء . واعلم
أن أرباب النهايات
استقامت بواطنهم
وظواهرهم لله
وأرواحهم خلعت
عن ظلمات النفوس
ووصلت بساط القرب
ونفسهم منقاد
مطوعة صالحة مع
القلوب محبة إلى كل
ما تحب إليه القلوب
أرواحهم منطوقة
بالمقام الأعلى الطقات
فيهم نيران الموعود
وتحمر في بواطنهم

وولوا مدبرين - يوم ترى كل أمة جاثية - وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادى الصائت والظالمون بالويل والثبور وينادى الصديقون نفسى نفسى قبيها هم كذلك إذ زفرت النازر فزفرتها الثانية تضاعف خوفهم وتخاذلت قوام وظنوا أنهم مأخوذون ثم زفرت الثالثة قد ساقط الخلاق على وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفى خاشع وانهمضت عند ذلك قلوب الظالمين فلبست الحناجر كاظمة من وذهلت العقول من السعداء والأحقياء أجمعين وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجبت فلذا رأوا ما قد أقبح من السياسة على الأنبياء اشتد الفزع على الصائت ففر الوالد من ولده والآخر من أخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا لأمره ثم يؤخذ واحد واحد فيأله الله تعالى شفاهها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلايته وعن جميع جوارحه وأعضائه قال أبو هريرة « قالوا يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحب قالوا لا قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحب قالوا لا قال فوالذي نفسى بيده لا تضارون في رؤية ربكم فليقل البعد فيقول له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الحيل والابل وأذرك رأسا وترعب فيقول البعد بلى فيقول أظننت أنك ملائقي فيقول لا فيقول فانا أنساك كما نسيتي (١) » فتوم قسك بالمسكين وقد أخذت للالكسة بضديك وانت واقفين بدي الله تعالى يسألك شفاهها فيقول لك ألم أتم عليك بالشباب فنيا ذا أبليت ألم أمهل لك في العمر فقيا ذا أفيتيه ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيا ذا أفقتك ألم أكرمك بالعلم فإذا حملت فباعلت فكيف ترى حياذك وخجلتك وهو يد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساوئك فان أنكرت شردت عليك جوارحك . قال أنس بن مالك رضي الله عنه « كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال أتدرون من أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من غطاة البعد ربه يقول يارب ألم تخرجني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا أجزى على نفسى إلا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا بالكرام السكاكين شيوذا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى قال تنطق بأعماله ثم يخفى بينه وبين السلام فيقول لأعضائه بدا لكن وسحقا فمكن كنت أنا حل (٢) » فنمود الله من الانقضاح على ملائحته في شهادة لأعضاء إلا أن الله تعالى وعد المؤمنين بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره . سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال قال رسول الله ﷺ « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إني سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم (٣) » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة (٤) » فهذا أعيا رجي لبيد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساوئهم ولم يذكرهم في قبيتهم عما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بأن يجازى بثقه في القيامة وهب أنه تستر عن غيرك ليس قد قنع بصمتك النداء إلى الغرض فيكفك تلك الروعة جزاء من ذنوبك إذ يؤخذ بناصيتك فتأذونك مضطرب ولبك طائر وفراسك مرتدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم تقدر

صرح الملم وانكشف لهم الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق أبي بكر رضي الله عنه « من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على وجه الأرض فليتنظر إلى أبي بكر » إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى ما كسوف به من صرح السلم الذي لا يصل إليه غوام المؤمنين إلا بدلولوت حيث قال فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فأرأيت النهاية ما بين أخوتهم وخلفت أرواحهم . قال يحيى بن معاذ وقد سئل عن وصف العارف فقال رجل

- (١) حديث أبي هريرة هل ترى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحب الحديث متفق عليه دون قوله فيقول البعد الخ فانقردها مسلم (٢) حديث أنس بن مالك من أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من غطاة البعد ربه يقول يارب ألم تخرجني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا أجزى على نفسى إلا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا بالكرام السكاكين شيوذا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى قال تنطق بأعماله ثم يخفى بينه وبين السلام فيقول لأعضائه بدا لكن وسحقا فمكن كنت أنا حل (٣) حديث سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى الحديث رواه مسلم (٤) حديث من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة تقدم .

نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتغرق الصفوف وتقاد كما تقاد القرس الجنوب وقد رفع
الجلاني إليك أصدارهم قوم نفسك أنك في أيدي للوكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى
عرش الرحمن فمروك من أيديهم. وبذلك الله سبحانه وتعالى يعظم كلامه بإذن آدم ابن مقي دونوت منه
بقلب خائف عزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر وأعطيت كتابك الذي لا ينادر صغيرة
ولا كبيرة إلا أصحاه فكم من فاحشة نسبها تذكركتها وكم من طاعة غفلت عن آلتها فأنكشفت لك
عن مساوئها فكم لك من خجل وجبن وكم لك من حصر وهجر فليت شعري بأي قدم تقف بين يديه
وبأي لسان تحيى وبأي قلب تعقل ما تقول ثم تنسرك في عظم حيائك إذا ذكر لك ذنوبك شفها إذا
يقول يا عبيدي أما استحييت مني فبارزني بالقيس واستحييت من خلق فأظهرت لهم الجمل أ كنت
أهون عليك من سائر عبادي استغففت بنظري إليك فلم تكثرت واستعظمت نظر غيبي أم أنتم
عليك فإذا غرك في أظننت أني لا أراك وأنت لا تلتفتاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما منكم
من أحد إلا وبساه الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان» وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «ليفتن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له أم أنتم عليكم أم
أوتك ملا فيقول بلى فيقول أم أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم
ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليفتن أحدكم النار ولو بشرق عرقان» محمد بن كسرة طيبة وقال ابن
مسعود ما منكم من أحد إلا سيخلفه الله عز وجل به كما يخلف أحدكم بالقرينة البدر ثم يقول يا ابن آدم
ما غرك في يا ابن آدم ما عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أحببت للرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيقا على
حيثك وأنت تنظر بها إلى ملا عمل لك ألم أكن رقيقا على أذنيك وهكذا حتى عسا أراضاه وقال
بجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره
فيا أفاه وعن عمله ما عمل فيه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفماذا فقه فأعظم
بأنسكين بحيالك عند ذلك ويخطر لك فأنك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك
اليوم فتند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويضطك الأولون والآخرون وإمان قال للملائكة خذوا هذا
العبد السوء فقلوه ثم ألقوه صاه وعند ذلك لو يكثرت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديرا يعظم
مصيبتك وغدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما يبت آخرتك من دنيا دنيتك لم يبق معك.

(صفة لليزان)

ثم لا تظفر عن السكر في اليزان وتطير الكتب إلى الأيمان والتقاليد فان الناس بهذا السؤال ثلاث
فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عني أسود فيلتطمع قط الطير الحب وضوى عليهم
ويلتهم في النار فيضلمهم النار ويضاد عليهم فتأوة لامعاده بعدها وقسم آخر لا يبتغيهم فينادي مناد
ليتم المحادون له على كل حال فيقومون ويسرحون إلى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم علم
لغمة التجارة الدنيا ولا يبعها عن ذكر الله تعالى ويضاد عليهم سمادة لاشفاة يندها ويشتي قسم ثالث
وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد غنى عليهم ولا يفتي على الله تعالى أن القالب
حسانهم أو ميثاتهم ولكن بأي الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فضلهم عند الخوف وعنده عند القالب فتطير
الصحف والكتب منطوية على الحسنات والميثات ويضرب اليزان وتضرب الأبصار إلى الكتب
أضغ في العين أو في القالب ثم إلى لسان اليزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات

(١) حديث ما منكم من أحد إلا وبساه الله رب العالمين الحفث متفق عليه بن حديث ابن عدي
عن أبي حاتم يلفظ إلا سيكلمه الحديث (٢) حديث ليقن أحدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه
وبينه ترجمان الحديث البخاري من حديث عدي بن حاتم.

منهم بأن منهم وقال
مرة عبد كان قبان
فأرأب النهايات م
عند الله عقيتهم
موقوف بتوقيت الأجل
جعلهم الله تعالى من
جنوده في خلقه بهم
يؤدى وجه يرشيد
وبهم يجذب أهل
الارادة كلهم دواء
ونظرم ذواء ظاهرهم
عقوبه بالحكم وباطنهم
معمور بالصلم قال
ذو النون علامة
المأر في ثلاثة لا يظلم
نور معرفته نور دوحه
ولا يتقد باطنا من
العلم ينقض على ظاهرا
من الحكم ولا يحسه
كثرة نعم الله وكراته
على هناك استار علمهم
الله فأرأب النهايات

وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق . وروى الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنفس قد كرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فتقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتبه فقال ما يبكيك يا عائشة ؟ قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذي نفسي بيده في ثلاثة مواطن فإن أحدا لا يذكر إلا نفسه : إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أخف ميزانه أم يثقل ، وعند الصحف حتى ينظر أسيئته يأخذ كتابه أو شبهه ، وعند الصراط (١) » . وعن أنس « يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الليزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى للملك بصوت يسمع الخلائق سجد فلان سعاده لا يشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاؤه لا يسعد بعدها أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار يأخذون نصيب النار إلى النار » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة « إنه يوم ينادى الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فأبست بئس النار فيقول وكم بئس النار فيقول من كل ألف تسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أبسوا حتى ما وضحو بأصحاكهم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده إن معكم لحقيقتين ما كنتم مع أحد قط إلا كثرتم مع من هلك من بني آدم وبئس إبليس قالوا وما هما يا رسول الله ؟ قال يأجوج ومأجوج قال فسرى عن القوم فقال اعملوا فأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقعة في ذراع الهابة (٢) »

(صفة الحصى ورد للظالم)

قد عرفت هول الليزان وخطره وأن العين شاخصة إلى لسان الليزان - فأما من هلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمة حاوية وما أدراك ما هي نار حامية - واعلم أنه لا ينجو من خطر الليزان إلا من حابى في الدنيا نفسه ووزن فيها بجزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولخطاته كما قال عمر رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنها قبل أن توزنوا وإعنا حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل اللوت توبة نصوحا ويستدرك ما فرط من قصيره في فراغ الله تعالى ويرد للظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطلب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وإن مات قبل رد للظالم أحاط به خصاؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقضى على ناصيته وهذا يتلقى بلبيه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في التوبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأسأت جوارتي وهذا يقول جاملتني فغشمتني وهذا يقول ابتغيت نصيبتني وأخفيت عني عيب سلطانك وهذا يقول كذبت في سر

كلما ازدادوا نعمة
ازدادوا عبودية وكلما
ازدادوا دنيا ازدادوا
قربا وكلما ازدادوا
جها ورفعة ازدادوا
تواضعا ذلك أدلة على
التواضع أعزة على
الكافرين وكذا تناولوا
شهوة من شهوات
النفس استخرجت
منهم شكرا صافيا
يتناولون بالشهوات تارة
يقف بالنفوس لأنها
مهم كاللؤلؤ الذي
يلطف بالي ويهدي
له شهوة لأنه مقهور
تحت النسيابة مرحوم
ملطوف به وبارة
عنون قوسهم
للشبهات تأسيا بالأنبياء
واختيارهم التقليل من
الشبهات الله ينو يقال

- (١) حديث الحسن أن عائشة ذكرت الآخرة فبكت الحديث وفيه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكر أهليكم يوم القيامة الحديث أبو داود من رواية الحسن أنها ذكرت النار فبكت فقال ما يبكيك دون كون رأسه صلى الله عليه وسلم في حجرها وأنه نفس وإسناده جيد
(٢) حديث يقول الله يا آدم قم فأبست بئس النار فيقول وكم بئس النار فيقول من كل ألف تسعة وتسعون الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ورواه البخاري من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم.

متاعك وهذا يقول رأيي محتاجا وكنت غنيا فما أطمعتي وهذا يقول وجدتي مظلوما وكنت
 قادرا على دفع الظلم عن فداهنت الظالم وما راعيتي ، فينا أنت كذلك وقد أنشب الحياء فيك
 محالهم وأحكوا في تلابيك أيدهم وأنت مبهوت متعير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد
 عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلة بغية أو خيانة أو نظر بين
 استحقاق وقد ضغفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من
 أيدهم إذ قرع صمك نداء الجبار جل جلاله - اليوم تجزي كل نفس عما كسبت لآلظم اليوم -
 فقد ذلك ينزع قلبك من الحية وتوقن نكسك بالوار وتذكر ما أقدرك الله تعالى على لسان
 رسوله حيث قال - ولا تحسبن الله كافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه
 الأبصار منهم لعين مقنى ردهم لا يزد إليهم طرفهم وأقدهم هو أم أنذر الناس - الآية - أشد
 فحرك اليوم بتضعفك بأعراض الناس وتناوك أموالهم وما أشد حسراتك في ذلك اليوم إذا
 وقب ربك على بساط العدل وشوقته لخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مزين لا قدر على
 أن ترد حقا أو تظهر عنذرا فقد ذلك تؤخذ حسراتك التي تبت فيها عمرك وتنتقل إلى خصامك
 عوضا عن حقوقهم . قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون من
 للفلس قلنا الفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال للفلس من أمق من يأتي
 يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم
 هذا وضرب هذا فيمطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيته حسناته قبل أن يقضى
 ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » ، فانظر إلى مصيبتك في مثل
 هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الزام ومكاييد الشيطان ، فإن سلمت حسنة واحدة
 في كل مدة طويلة أبدعها خصاؤك وأخذوها ، ولعلك لو حابيت نفسك وأنت مواظب على صيام
 التمار وقيام الليل لعلت أنه لا ينقصك عنك يوم إلا ويجري على لسانك من غية المسلمين ما يستوفى
 جميع حسناتك فكيف يبقية البينات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف
 نرجو الخلاص من الظالم في يوم يقص فيه للجماء من القراء ، قد روى أبو ذر « أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر أتدري فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن
 الله يدري وسيقضى بينهما يوم القيامة » . وقال أبو هريرة في قوله عز وجل - وما من
 دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - إنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة
 البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القراء ثم يقول
 كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكنت أنت يا مسكين في يوم ترى صفيتك
 خالية عن حسنات طال فيها تمسك فتقول أين حسناتي فيقال قلت إلى صبيفة خضائك وترى
 صفيتك مشحونة ببينات طال في الصبر عنها نصيبك واقتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول
 يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه عيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء
 وظلمتهم في الباطنة والمجاورة والخفية والناظرة ولذا كره للدارسة وسائر أصناف العامة .

(١) حديث أبي هريرة : هل تدرون من الفلس ؟ قالوا الفلس يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع
 الحديث تقدم (٢) حديث : يا أبا ذر أتدري فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدري
 وسيقضى بينهما أحمد من رواية أبي عبيد الله لم يسموا عن أبي ذر .

يحيى بن معاذ الدنيا
 عروس تطلبها ما شطتها
 والزاهد فيها يستحم
 وجهها وينتف شعرها
 وخرق ثوبها والعارف
 بالله مشغل بسنده
 ولا يلتفت إليها .
 واعلم أي النبي مع
 كمال حاله لا يستغنى أيضا
 عن سياسة النفس
 ومنها الشهوات وأخذ
 الحظ من زيادة الصيام
 والقيام وأنواع البر
 وقد خلط في هذا
 خلق وظنوا أن النبي
 استغنى عن الزادات
 والثواب ولا على قلبه
 من الاسترسال في
 تناول اللذات والشوات
 وهذا خطأ لا من ج
 إنه يحب العار
 عن معرفته ولـ

قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قد يشق أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيعرض منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي اللوقات فانقروا الظلم واستطعتم فإن العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيزى أنهم سينجيه فما يزال عبد يجيء فيقول رب إن فلانا ظلمي عظيمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وإن مثل ذلك مثل سفر نزولاً فبلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم مخطوباً فلم يلبثوا أن أعظموا ندمهم ووصفوا ما أرادوا (١) » وكذلك الذنوب « ولما نزل قوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - قال الزبير : يا رسول الله أ تكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال : نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه (٢) » قال الزبير والله إن الأمر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه خطوة ولا يتجاوز فيه عن خطوة ولا عن كلمة حتى ينتقم المظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « عشرين العباد عراة غراباً قال : قلنا ما بها قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا لك أنا الدين لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار عليه مظلة حتى أتخصه منه ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا لأحد من أهل الجنة عنده مظلة حتى أتخصه منه حتى المظلة قلنا وكيف وإنما تأتي الله عز وجل عراة غراباً فقال بالحسنات والسيئات (٣) » فاقضوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استجلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليس ببعض الحسنات بينه وبين الله بكال الإخلاص بحيث لا يطاع عليه إلا الله فسادق به ذلك إلى الله تعالى فيقال به لعقه الذي ادخره لأجابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأينا يضحك حتى بدت ثناياه فقال ممر ما يضحك يا رسول الله باني أنت وأمي قال الرجلان من أمي جيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يارب خذ لي مظلي من أخى فقال الله تعالى أعطاك مظلة فقال يارب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى لظالم كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يارب يحمل عني من أوزاري قال وفاشت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكاه ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للظالم ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرني مدائن من فضة

يوقف عن مقام للزبد
ونوم لما رأوا أن هذه
الأشياء لا تؤثر فيهم
فسوقوا لنورهم حجة
ركنوا إليها واستقرسوا
فيها وقتعنوا بأداء
القرائن والسوا في
لأكل والشرب وهذا
الانسياط منهم بنية
من سكر الأحوال
وتقيد بنور الحال
وعسب التخليص
بالكلية إلى نور الحق
ومن تخلص من نور

(١) حديث ابن مسعود إن الشيطان قد آيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيعرض منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي اللوقات الحديث وفي آخره وإن مثل ذلك مثل سفر نزولاً فبلاة الحديث رواه أحمد والبيهقي في الشعب مقتصر إلى آخره إماكم ومحقرات الذنوب قاتنهم يجتمعن على الرجل حتى يهلكه وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لمن مثلاً الحديث وإسناده جيد فأما أول الحديث فرواه مسلم مختصراً من حديث جابر إن الشيطان قد آيس أن يعبد الصلوات جيداً في جزيرة العرب ولكن في التحريض بينهم (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أ تكرر علينا ما كان بيننا الحديث أحمد واللفظ له والترمذي من حديث الزبير وقال حسن صحيح (٣) حديث أنس بعشر العباد عراة غراباً قلنا ما بها قال ليس معهم شيء الحديث قلت ليس من حديث أنس وإنما هو حديث ابن أنس رواه أحمد بإسناد حسن وقال غرلاً مكان غراباً .

مرقعة وقصورا من ذهب مكالمة للؤلؤ لؤلؤي هذا أولى صدق هذا أولى فيه هذا قال لمن أعطاني
الغن قال يارب ومن علك منه قال أنت تملكه قال وما هو قال فضلك عن أخيك قال يارب إن قد عفوت
عنه قال الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله
وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين (١) وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق
الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتفكر الآن في نفسك إن خلت بصيغتك من الظن أو تملط
لك حتى عفاك وأجنت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلج
عليك خلة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها عقاء وبعيم لا يدور بحواشي القضاء وعند ذلك طار
قلبك سرورا وفرحا وبش وجهك واستنار وأشرق كاشرق القمر ليلة البدر فتقوم بترك بين الخلق
رافيا رأسك خاليا عن الأوزار ظهر لك ونصرة نسيم النسيم وبرد الرضا تلامن بينك وخلق الأولين
والآخرين ينظرون اليك وإلى حالك ويضطربونك في جنك وجمالك وللأسف يحشون بين يديك ومن
خافك وينادون على ربوس الأشرار هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقبسه مسعدة لا يشقى
بعدها أبدا أقرى أن هذا النصب ليس بأعظم من السكينة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا برباك
ومدهانتك وتصنعك وتزيك فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لانسية له إليه فوصل إلى إدراك هذه
الربة بالإخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله قلن تترك ذلك إلا بواجب سكن الأخرى
والعباد بالله بأن خرج من ضيقك جيرة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فتمتلك لأجلها فقال
عليك لفتى بإهد السوء لأجل منك عبادتك فلا تمنع هذا النداء إلا بسوء وجهك ثم تنصب
للكللك تنصب الله تعالى فيقولون عليك لفتنا ولنة الخلق أجمعين وعند ذلك تنال اليك الريانية
وقد غشيت لنصب خالقها فأقدمت عليك بظافتها وزرعتها وصورها للسكره فأخذوا بناصيتك
يسحبونك على وجهك على ملاء الخلق وهم ينظرون إلى امودام وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت
تنادى بالويل واليبور وهم يقولون لك لا تنزع اليوم ثوبوا واحدا وادع ثوبورا كثيرا وتنادى للكللك
ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه وعازبه ولونه قباغ عساويه لفتى عفا ولا يسعد
بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمساكنة في قلوبهم أو خوفهم من
الافتضاح عندهم لما أعظم جهلك إذ تخرز عن الافتضاح عند طاعة يسيرة من عباد الله في الدنيا
للتفرضة ثم لا تخفى من الافتضاح العظيم في ذلك للآل العظيم مع الترض لسطط الله وعفا بالألم والسباق
بأيدي الريانية إلى سواء الجميع فهذه أحوالك وأنت لم تشمر بالخطر الأعظم وهو خطر الصراط .

(صفة الصراط)

ثم تفكر بعد هذه الأحوال في قوله الله تعالى - يوم نحشر للتقين إلى الرحمن وفدا ونؤتي المجرمين
إلى جهنم وردا - وفي قوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقومهم إنهم مسئولون قالوا بس هذه
الأحوال يتناولون إلى الصراط وهو جسر محدود على متن النار أحد من السفوف أو من الصرافين
استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ويحيا من عدل عن الاستقامة في الدنيا
واجتهل ظهره بالأوزار وجسى شرفي أو لفتهم من الصراط لم يردى فتفكر الآن فيما علم من القوم بعد ذلك
إذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على نواذ جهنم من تحت ثم قرع صمك شريق النار وتيقظا
(١) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجلان من أمي جيا بين يدي رب العالمين الحديث بطوله
ابن آدم الدنيا في حسن الظن بالله والحاكم في الاستدراك وقد تقدم .

الحال إلى نور الحق
ينحب منه جانا
السكر ويوقف نفسه
مقام السيد كأحمد
عوام للؤمنين يقرب
بالسلا والصور وأنواع
البر حتى يلمطة الأذى
عن الطريق ولا
يستكر ولا يستكف
أن يصود في صور
عوام المؤمنين من
إظهار الإرادة بكل
بر وصلة فيتناول
الصبوات وقفا رقا

وقد كانت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وتقل ظهرك بالأوزار
للصائفة لك عن الكلى على بساط الأرض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك إذا وضعت عليه
إحدى رجليك فأحسست يحدته واضطرت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلق بين يديك يزولون
ويتشرون وتقلعهم زبانية النار بالخطايف والكلايب وأنت تنظر إليهم كيف يتسكعون فتسفل
إلى جهة النار رهوسهم وتعلو أرجلهم فياله من منظر ما أنظفه وصرته ما أصعبه ومجاز ما أضيقه فانظر
إلى حالك وأنت تحرف عليه وتصد إليه وأنت تقل الظهر بأوزارك لتلفت بيننا وشمالا إلى الخلق
وهم يثابتون في النار والرسول عليه السلام يقول «إرب سلم سلم» والزعماء بالويل والثبور قد
ارفعت إليك من قمر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلق فكيف بك لو زلت قدمك
ولم ينفعك ندمك فخاديت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت أخافه فياليتني قدمت لحياي باليتني
أخفنت مع الرسول سيلا بإوليتا ليتني لم أخذ فلانا خيلا باليتني كنت ترابا باليتني كنت نسياما نسيا
بأيت أمتي لم تلقي ، وعند ذلك تخطفك النيران والياذباله وينادي النادى اخسئوا فيها ولا تسكعون
فلايتني سبيل إلا الصياح والأنين والنفث والاستغاثة فكيف ترى الآن عتلك وهذه الأخطار
بين يديك فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع السكفار في دركات جهنم وإن كنت
به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له متهونا فما أعظم خسارتك وطفانك وماذا ينفعك إيمانك إذا
لم يبعثك على السعى في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلم يكن بين يديك إلا هول الصراط
وإرتياح قلبك من خطر الجواز عليه وإن سلمت فذهابك به هولا وفزواور عبالرسول الله صلى الله
عليه وسلم «ضرب للصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يخرج بأمتي من الرسل ولا يتكلم يومئذ
إلا بالرسول ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل رأيتم
شوك السعدان قالوا نعم يارسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعمد روعظها إلا الله تعالى
تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوق بعلمه ومنهم من يخرط ثم ينجو^(١) وقال أبو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرى الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلايب وخطايف
تخطف الناس بيننا وشمالا على جنبتي ملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق
ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالقرس المجرى ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يسعى مشيا ومنهم من
يجو حيا ومنهم من يزحف زحفا فاما أهل النار الذين هم أهلها فلا يعوتون ولا يحيون واما الناس
فيؤخّلون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون غصنا ثم يؤذّن في الشفاعة^(٢) وذكر إلى آخر
الحديث . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «يجمع الله الأولين والآخرين
لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاحسة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وذكر الحديث
إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال «ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رؤسكم فترفعون رهوسهم فيعطى
نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسمى بين يديه ومنهم من
يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره أصغر من
ذلك حتى يتسكعون آخرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه فيضي مرة وعجوبة مرة فإذا أضاء
قدم قدمه فمشى وإذا أظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من

بالنفس للظهر الزكاة
للقادة للطوعة لأهلها
أسيرته وبعثها
الجهنم وقتا لأن
في ذلك صلاحها
واعتبر هذا سواء
بحال الصبي فانه إن
جاوز حد الاعتدال
من إعطاء السداد
وقتا ومنه وقتا
انقصد طبعه لأن
الجليلة لا بد من العمل
بسياسة العلم ومادامت
الجليلة بالية لا بد من

(١) حديث ينسب للصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يخرج بأمتي من الرسل ولا يتكلم يومئذ إلا بالرسول ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم في جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يارسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعمد روعظها إلا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوق بعلمه ومنهم من يخرط ثم ينجو^(١) وقال أبو سعيد الخدري
(٢) أثناء حديث طويل (٢) حديث أبي سعيد بخسار النسان على جسر جهنم وعليه حسك وكلايب
بخطايف الحديث متفق عليه مع اختلاف الفاظ .

بمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانهضاض السكوا كب
ومنهم من يمر كشدة القوس ومنهم من يمر كشدة الرجل حتى يمر الذي أعطى نوره على إلهام قدمه يهجو
على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجبر أخرى وتصيب جوانبه النار
قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يسط
أحد إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيقتبل (١) وقال أنس بن
مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كشد السيف أو كشد الصخرة وإن لللائكة
ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام يأخذ بحجزتي وإن لأقول بإرباب سلم سلم طائر الون
وإزالات يومئذ كثير (٢) » فهذه أحوال الصراط وعظائم غفول فيه فسكران أسلم الناس من أحوال
يوم القيامة من طال فيها فسكرة في الدنيا فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد من خاف هذه الأحوال
في الدنيا أمنها في الآخرة ولست أعني بالحوف رقة كربة النساء تنم عن عينك ويرق قلبك حال الباع
ثم تنفس على القرب وتعود إلى هوك ولبك لهاذا من الخوف في شيء بل من خاف شياطينه بمنه
ومن رجا شيئا طلبة فلا ينجي إلا خوف ينم عن معاصي الله تعالى ويحك على طاعته وأبعد من
رقة النساء خوف الحق إذا سمعوا الأحوال سبق إلى الستم الاستماعة فقال أحدهم استعت بالله لعود
بالله اللهم سلم سلم وسلم مع ذلك مضرون على العاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضعك من
استعانتهم كما يصنعك على من يقصده سبب ضار في هراء ووراء حسن فاذا رأى أنياب السبع ووصله
من بعد قال بلسانه أعوذ بهذا الحسن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وإحكام أركانه فيقول ذلك
بلسانه وهو قاعد في مكانه فأنى ينفي عن ذلك من السبع وكذلك أحوال الآخرة ليس لها حسن إلا يقول
لا إله إلا الله صادقا ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا محبوب غير من أخذ إليه
هواه فهو بعيد من الصديق في توحيد وأمره مخاطر في نفسه فإن هجرت عن ذلك كلفه فكيف يحال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حرصا على تعظيم سنته ومتشوقا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتركا
بأدعيتهم فساله أن تمال من شفاعة أو شفاعتهم فتجرو بالشفاعة إن كنت قليل البضاة .

(صفة الشفاعة)

اعلم أنه إذا حق دخول البار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى فضله قبل فهم شفاعة الأنبياء
والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جلد وحسن معاملة فإن له شفاعة أهل
وقرائه وأصدقائه ومعارفه فسكن حرصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بأن
لا تحقر أدنيا أصلا فإن الله تعالى خبا ولايته في عباده فعمل الذي تدر به عليك هو على الله لا تستعصر
محبية أصلا فإن الله تعالى خبا غيبه في معاصيه فعمل مقت الله فيه ولا تستعصر أملا طاعة فإن الله تعالى
خبا رضاه في طاعته فاجل رضاه فيه ولو البكلاء الطيبة أو اللطمة أو البية الحسنة أو ما يجرى مجرا
وهو واحد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة - قال الله تعالى - ولعلكم ينظرون -

(١) حديث ابن مسعود يجمع الله الأولين والآخرين لمقام يوم معلوم قريبا أربعين سنة شاختة
أيسارهم إلى السماء ينظرون فيها القضاء قال وذكر الحديث إلى ذكر سجود المؤمنين الحديث
بطوله رواه ابن عدي وإمامه وقد تقدم منه مختصرا (٢) حديث أنس الصراط كشد السيف أو
كشد الصخرة الحديث البيهقي في الشعب وقال هذا إسناد ضعيف قال ودرويش بن زياد الهذلي عن
أنس بن مرقط الصراط كشد الصخرة أو كشد السيف قاله وهي رواية صحيحة انتهى ودرواه أحمد بن
حديث عائشة وفيه إن لمحة .

ساعة العلم وهذا
باب فاعلم
في النهايات على الله
من ذلك واخلط ووقع
الركون وانس به
باب للزيد فالنتهي
ملك ناصية الاختيار
في الأخذ والتروك ولا بد
له من أخذ وترك
في الأعمال والمخطوط
في الأعمال لا بد له من
أخذ وترك فاعلم
بأن الأعمال كالأعمال
الصادقة وعناية بتركها

روى عمرو بن العاص «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام رب إنهم أضللتني كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنه كفور رحيم - وقول عيسى عليه السلام إن تعذبهم فإنهم عبادك - ثم رفع يديه وقال أمي أمي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد فقله يا ميكائيل آناه جبريل فسأله فأخبره والله أعلم به فقال يا جبريل اذهب إلى محمد فقله إننا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أعطيت خصالا بسطن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحل لي القاتل ولم يحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجدا ورايا مطهرا فأما رجل من أمي أذكره الصلاة فليصل وأعطينا الشفاعة وكل مني بث إلى قومه خاصة وبث إلى الناس عامة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير غر » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر وأنا أول من تنشق الأرض عنه وأنا أول شافع وأول شفيع يدي لوا الحمد تحت آدم فمن دونه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختي ودعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة (٤) » وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ « ينصب للأضياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويثني منبري لا أجلس عليه فأما بين يدي ربي منتصبا عاكفا أن يبعث بي إلى الجنة ويثني أمي يدي فأقول يا رب أمي يقول الله عز وجل يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب حمل حسابهم لما أزال أخضع حتى أعطى مكاكا رجالا قد بث بهم إلى النار حتى إن مالا كان خزائن النار يقول يا محمد ما تركت النار لنتب ربك في أمتك من قبتي (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما طي وجه الأرض من حجر ومدر (٦) » وقال أبو هريرة « ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلهم فرفع إليه القدرع وكانت تحببه فتبش منها نشة ثم قال أنا سيد المرسلين يوم القيامة وهل تدرون من ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسبحونهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من التهم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس

زيادة الأعمال رقعا بالنفس وتارة يأخذ الحظوظ والشهوات رقعا بالنفس وتارة يتركها اقتفادا للنفوس حسن السياسة فيكون في ذلك كله مختارا بين ما كن ترك الحظوظ بالكلية فهو زاهدا

(١) حديث عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه وسلم - رب إنهم أضللتني كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنه كفور رحيم - وقول عيسى صلى الله عليه وسلم - إن تعذبهم فإنهم عبادك - ثم رفع يديه . ثم قال أمي أمي ثم بكى الحديث وفيه يا جبريل اذهب إلى محمد فقله إننا سنرضيك ولا نسوءك في أمتك قلت ليس هو من حديث عمرو بن العاص وإنما هو من حديث ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه مسلم ولعله سقط من الإحياء ذكر عبد الله من بسط التسليح (٢) حديث أعطيت خصالا بسطن أحد قبلي الحديث وفيه وأعطينا الشفاعة متفق عليه من حديث جابر إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير غر الترمذي وابن ماجه من حديث أبي بن كعب قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر الحديث الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث أبي سعيد الحمدي (٤) حديث لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة متفق عليه من حديث أنس ورواه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث ابن عباس ينصب للأضياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويثني منبري لا أجلس عليه فأما بين يدي ربي منتصبا الحديث الطبراني في الأوسط وفي إسناده محمد بن ثابت البناني ضعيف (٦) حديث إنني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما طي وجه الأرض من حجر ومدر أحمد والطبراني من حديث بريرة بسند حسن .

ترك بالكلية ومن استرسل في أخذها فهو راجع بالكلية وللنهي عمل الطرفين فإنه على غاية الاعتدال

بهم بعض الآتون مآقد بانكم ألا تتظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده وھضع فيك من روحه وأمر للانكسة فجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه الآتري ما قد بلغنا فيقول لهم آدم عليه السلام إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإن قدغتهانى عن الشجر قصصته نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد حماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإن قد كانت لى دعوة دعوتها لى قومى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون أنت نبى الله وخليفه من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول لهم إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات وبذكرها نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون ياموسى أنت رسول الله فضلك برسائه وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قلت قسماً لأمر جعلها نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكنته ألقاها لى مريم وروح منه وكنت الناس فى الهدى اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى عليه السلام إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكروا نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ثم يفتح الله لى من حمائه وحسن التناء عليه حيث لم يفتح على أحد قبلى ثم يقال يا محمد ارفع رأسك لى تقعدوا اشفع لشفع فأرفع رأسى فأقول أمضى أمضى يارب يقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسى بيده إن بين العمرين من مصاديع الجنة كابين مكة وحجيرة أو كابين مكة وبصرى (١) وفى حديث آخر هذا السباق بينهما مع ذكر خطايا إبراهيم وهو قوله فى السكوا كب هذا لربى وقوله لأهلهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله لى سقيم فيه فشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد أمتهم من العلماء والصالحين شفاعة أيضاً حق فاك رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعته جمل من أمتى أكثر من ريمة ومضر (٢) وقال صلى الله عليه وسلم قال لرجل قم يا فلان فاشفع فقوم الرجل فيشفع للقبيلة

(١) حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بلعم فرغفغ إليه القرام وكان سجده قهقرياً فيها عيشة ثم قال أنا سيد الناس الحديث بطوله في الشفاعة قال وفي حديث آخر هذا السباق مع ذكر خطايا إبراهيم متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجها مسلم (٢) حديث يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمي أكثر من ربيعة ومضر ورواه في جزء أبي عمر بن السالك من حديث أبي أمامة إلا أنه قال مثل أحد الحيين ربيعة ومضر وفيه فكان للشيخة يرون أن ذلك الرجل ضئان بن صفان وإسناده حسن ولا ترمي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن أبي الجذعاء يدخل الجنة بشفاعة الرجل من أمي أكثر من بني تميم قالوا سواك قال سواي قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح قبل أراد بالرجل أويسا .

واقف على الصراط
بين الأرقام والتفريط
ثمن ردت إليه
الأكسجين في النهاية
فأخذها زاهدا في
الزهد فهو جث قهر
الحال من ترك الاختيار
تارك الاختيار الواقف
مع فضل الله تعالى مقيد
بأطال وكان أن الزهد
وقيد بالرقع غارق
الاختيار فسدلك
الزهد في الزهد الأخذ
من الدنيا ما بقي إليه

ولأهل البيت والرجل والرجلين على قدر عمله (١) « وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول
 يا فلان هل تعرفني ؟ فيقول لا والله ما أعرفك من أنت ، فيقول أنا الذي مررت بفي الدنيا فاستسقيتني
 شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره ويقول إني
 أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال هل تعرفني ؟ فقلت لا من أنت ؟ فقال أنا الذي
 استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من
 النار (٢) « وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجا إذا بشوا
 وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا بشوا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرمهم وله أخم على ربي
 ولا نفر (٣) « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أقوم بين يدي ربي عز وجل فأكسي حلة
 من حلك الجنة ثم أقوم عن عيني العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك اللقائم خشي (٤) «
 وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه
 فخرج حتى إذا دنا منهم معهم يتنادون فسمع حديثهم فقال بعضهم هيا إن الله عز وجل أخذ من
 خلقه خليلا أخذ إبراهيم خليلا ، وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كله تكليفا ، وقال آخر فبعث
 كلمة الله وروحه ، وقال آخر آدم الحطفاة الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فسلم وقال قد سمعت
 كلامكم وتبجحكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نبي الله وهو كذلك وعيسى روح الله
 وكنته وهو كذلك وأدم اسطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا نفر وأنا حامل لواء الحمد
 يوم القيامة ولا نفر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا نفر وأنا أول من يحرك خلق
 الجنة فيفتح الله لي فأدخلها ومعي قراء للؤمنين ولا نفر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا نفر (٥) «
 (صفة الحوض)

أعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الأخبار على وصفه
 ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فإن من صفاته أن من شرب منه
 لم يظم أبدا . قال أنس « أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة قرع رأسه متبها فقالوا له
 يا رسول الله لم ضحككت ؟ فقال آية أنزلت على آتاه وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك
 السكوتر - حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما السكوتر ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال إنه نهر وعذبة

(١) حديث قال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم يشفع للقبيلة ولأهل البيت والرجل والرجلين على
 قدر عمله الترمذي بن حديث أبي سعيد إن من أمم من يشفع للقبائل ومنهم من يشفع للقبيلة
 الحديث وقال حسن والبرار من حديث أنس إن الرجل يشفع للرجلين والثلاثة (٢) حديث أنس
 إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول
 يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما أعرفك من أنت فيقول أنا الذي مررت بفي الدنيا فاستسقيتني
 شربة فبقيتك الحديث في شفاعته فيه وإخراجه من النار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس
 بسند ضعيف (٣) حديث أنس أنا أول الناس خروجا إذا بشوا الحديث الترمذي وقال حسن غريب
 (٤) حديث فأكسي حلة من حلك الجنة ثم أقوم عن عيني العرش الحديث الترمذي من حديث
 أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح (٥) حديث ابن عباس جلس ناس من أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم معهم يتنادون فسمع حديثهم فقال بعضهم
 هيا إن الله أخذ من خلقه خليلا أخذ إبراهيم خليلا الحديث رواه الترمذي وقال غريب

لرؤيته فعل الله مقيدا
 بالأخذ وإذا استقرت
 النهاية لا يشيد بالأخذ
 ولا بالترك بل يترك وقتا
 واختياره من اختيار الله
 وبأخذ وقتا واختياره
 من اختيار الله وهكذا
 صومه النافلة وصلاته
 النافلة يأتي بها وقتا
 ويسمع للنفس وقتا لأنه
 مختار صحيح في الاختيار
 في الحالين وعندها هو
 الصحيح ونهاية النهاية
 وكل حال يستقر

رى عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمضى يوم القيامة أتيته عدد نجوم السماء (١) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بيننا أنا أسير في الجنة إذا نهر حاقناه قباب اللؤلؤ المجوهر قلت ماهذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فضرِبَ اللك بيده فإذا طينه مسك» (٢) وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما بين لابني حوض مثل ما بين المدينة ومنعاه أو مثل ما بين المدينة وحمّان» (٣) وروى ابن عمر «أنه لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حاقناه من ذهب شرا به أشدّ يا ضامن اللبّين وأحلى من الصل وأطيب رجا من اللك يجري على جناب اللؤلؤ والمرجان» (٤) وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حوض ما بين عدن إلى حمّان البقاء ماؤه أشدّ يا ضامن اللبّين وأحلى من الصل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً أوّل الناس وروداً عليه قراء للهاجرين قال عمر بن الخطاب ومن ثم يارسول الله؟ قال هم الثمث رموسا الذين ثيابا الذين لا ينسكحون للثياب ولا تفتح لهم أبواب السدد» (٥) وقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نسكحت للثياب فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي أبواب السدد لأن ربحني الله لاجرم لأدعن رأسي حتى يمشي ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسحق وعن أبي ذر قال «قلت يارسول الله ما آية الحوض؟ قال والذي نفسي محمد بيده لأينته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة الظلمة للضربة من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طول ما بين حمّان وأيلة ماؤه أشدّ يا ضامن اللبّين وأحلى من الصل» (٦) وعن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل نبي حوضاً وإمام يتباهون بهم أكثر واردة وإنّي لأرجو أن أكون أكثرهم واردة» (٧) فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين وليحذر أن يكون متنبهاً ومفتراً وهو يظنّ أنه راج فان الراعي للحصاد من الثبديروهي الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوّان الحصاد فأما من ترك الحرّاة أو الزراعة وتنفق الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة

(١) حديث أنس أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرقع رأسه متنبهاً فقالوا له يارسول الله لم ضحكك فقال آية نزلت على آتفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر برواه مسلم (٢) حديث أنس بينا أنا أسير في الجنة إذا نهر حاقناه قباب اللؤلؤ المجوهر الحديث الترمذي وقال حسن صحيح ورواه البخاري من قول أنس لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء الحديث وهو مرفوع وإن لم يكن صريح به عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) حديث أنس ما بين لابني حوضي مثل ما بين المدينة ومنعاه أو مثل ما بين المدينة وحمّان رواه مسلم (٤) حديث ابن عمر لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حاقناه من ذهب شرا به أشدّ يا ضامن اللبّين وأحلى من الصل وأطيب رجا من اللك يجري على جناب اللؤلؤ والمرجان الحديث (٥) حديث ثوبان إن حوض ما بين عدن إلى حمّان البقاء الحديث الترمذي وقال حريب وابن ماجه (٦) حديث أبي ذر قلت يارسول الله ما آية الحوض قال والذي نفسي بيده لأينته أكثر من عدد نجوم السماء الحديث رواه مسلم (٧) حديث مرة إن لكل نبي حوضاً وإمام يتباهون بهم أكثر واردة الحديث الترمذي وقال حريب قال وقديروى الأعمش بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم برسلا ولم يذكر فيه من صحروه أو أصح

ويستقيم يشاكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل ولا يقوم الليل كله ويصوم من الشهر ولا يصوم الشهر كله غسبر رمضان ويتناول السموات ولما قال الرجل إنني عزمت أن لا آكل اللحم قال خذني آكل اللحم وأحبه ولو سألته

فهذا مقر ومتن وليس من الراجين في شيء وهكذا رجاءاً أكثر الحاق وهو غرور الحقى نموذجاً لله
من النور والفضة فان الاعتقاد بالله أعظم من الاعتقاد بالدنيا قال الله تعالى - فلا تنسكم الحياة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور -

(القول في صفة جهنم وأهلها وأنكلماتها)

يا أيها النافل عن حشر الغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا للشرقة على الاضواء والواديح
التفكير فيها أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فانك أخبرت بأن النار نور لجميع اذيقيل -
وان منكم إلا وادها كان على ربك حتماً مقضياً ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جحاشاً - فأت
من الورود على يمين ومن النجاة في شك فاستعمر في قلبك حول ذلك المورد فمسك تستمدد للنجاة منه
وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فيها في كربها وأهلها وقوفاً ينتظرون
حقيقة أنبأها وتشفيح غشائها إذ أحاطت بالجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لمب
وصحوا لها زفيراً وجربارة فصعق عن هذه التلظ والنصب ففند ذلك أيقن المجرمون بالمطب وجشت
الأم على الركب حتى اشفق البراء من سوء القلب وخرج للناس من الزبانية قائل : أين فلان
ابن فلان للبرق نفسه في الدنيا بطول الأمل الضيغ عمره في سوء العمل فيأبدونه بمقانع من
حديد ويستبيلونه بظلمة التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، ويشكسونه في قعر الجحيم
ويقولون قد ذق إنك أنت العزيز الكريم - فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء مظلمة السالك مبهمة للمالك
يخلد فيها الأمير ويوقد فيها السعيد شرايبهم فيها الجحيم ومستقرهم الزبانية تضعهم والمأوية
تضعهم أنابيبهم فيها المهلك والمبهم منها فسكك قد شدت أقدامهم إلى النواصي وأسودت وجوههم
من ظلمة الناصي ينادون من أكثافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها : يمالك قد حق علينا
الوحيد يمالك قد أقتلنا الحديد يمالك قد نصبت منا الجلود يمالك أخرجننا منها فانا لانا لاندوتقول
الزبانية هيئات لات حين أمان ولا خروج لكن من دار الموان فاستوفيا ولا تسكمون ولو أخرجتم
منها لسنتم إلى ما نبيتم عنه تمودون فند ذلك ينفطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يأسفون ولا
ينجهم الندم ولا ينفيهم الأسف بل يكون على وجوههم مغلول النار من فوقهم والنار من تحتهم
والنار عن أعينهم والنار عن لسانهم فهم غرق في النار طعمهم نار وشرايبهم نار ولسانهم نار
ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرايل القطران وضرب القامع وقفل السلاسل فهم يتجملجون
في مضائقها ويضطعمون في دركاتيا ويضطربون بين فواشيا تغل بهم النار كغلي القدور ويهتفون
بالويل والويلون ومهباً دعوا بالويل صوب من فوق رؤوسهم الجحيم يصبر به مافي بطونهم والجلود
ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فتشخر الصديد من أفواههم وتقطع بين العظمى كبادهم
وتسيل على الجلود أصدأتهم ويسقط من الوجنات لحوها وتضعطن الأطراف مشورها بل جلودها
وكبا نصبت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها قد غرت من اللحم عظامهم فقيت الأرواح منومة
بالبرق وعلاق الصب وهي تنفي في قعر تلك النيران وهم مع ذلك يمتنون للوئ فلاءونون فكيف
بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أهد سواداً من الجحيم وأعميت أبصارهم وأبكت ألسنتهم
وقصبت ظهورهم وكسرت عظامهم وجذعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم إلى أعناقهم
وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم عثون على النار بوجوههم ويطنون جنبك الحديد بأحذاقهم
قلوب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات المأوية وعقاربها متشعبة بظواهر أعضائهم هذا بعض

(القول في صفة جهنم)

رد أن يطمئن كل يوم
لأطمئن وذلك بذلك
على أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان
يخاف في ذلك إن شاء
أكل وإن شاء يأكل
وكان يشك الأكل
اختياراً وقد دخلت
الجنة على قوم كذا
فيلهم إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فعل كذا يقولون كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم مشرباً وهذا إذا

جملة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أحوالهم وتذكر أيضا في أودية جهنم وشعابها فقد قال صلى الله عليه وسلم « إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شبيب وسبعون ألف ثيبان وسبعون ألف عقرب لا يبتسى الكافر وللتافق حتى يواقع ذلك كله ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تؤذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل يا رسول الله وما وادي أوجب الحزن قال واد في جهنم تؤذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعد الله تعالى للقرناء المرائين ^(٢) » فله سعة جهنم وانشعب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشعبها واعد أبوابها بعدد الأعداء السبعة التي بها يصي البعد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجميع ثم الهاوية ، فانظر الآن في حق الهاوية فإنه لا حد لصعها كما لا حد لصع شهبوات الدنيا فسكا لا يبتسى أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنهى هاويهم من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمنا جوية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أندرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجير أرسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى إلى قعرها ^(٣) » ثم انظر إلى ثواب البركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فلكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالنريق فيها ومن خائف فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار فكيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبيه إلا أن ألقاهم عذابا لم تعرضت عليه الدنيا بهذا غيرها لا تندي بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة يتمثل بنملين من نار ينل دماغه من حرارة نعليه ^(٤) » فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار فحرب أصعبك من النار وقس ذلك به ثم اعلم أنك أخفأت في القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذابا في الدنيا لعذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيات لو وجد أهل الجميع مثل هذه النار لحاطوا طائفتين برهايم لا يوعن هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل « إن نار الدنيا تسفل سبعين مائة من مياه الرحمة أطاقتها أهل الدنيا ^(٥) » بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال وأمر الله تعالى أن يوقد على النار الفحم حتى احمرت ثم أوقد عليها الفحم حتى اسودت ففهي سوداء مظلمة ^(٦) » وقال ^(٧) « اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بضي بضاضا فأنزلها في سبعين

(١) حديث إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شبيب وسبعون ألف ثيبان وسبعون ألف عقرب لا يبتسى الكافر وللتافق حتى يواقع ذلك كله ما جده هكذا جعلت نيرانا بعده ما ورد في ذكر الحيات والعقارب (٢) حديث على تؤذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن الحديث ورواه بن عدى يلفظ وادي الحزن وقال باطل وأبو نعيم والأسهباني يستدعيان نور واد القرمزى وقال عزرب بن ماجة من حديث أبي هريرة يلفظ جب الحزن وضعفه ابن عدى وتقدم في فم الجاه والراء (٣) حديث أبي هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمنا جوية الحديث وفيه هذا حجير أرسل في جهنم الحديث مرثاه مسلم (٤) حديث إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة من يتمثل بنملين من نار الحديث متفق عليه من حديث النخعي بن بشير (٥) حديث إن نار الدنيا تسفل سبعين مائة من مياه الرحمة حتى أطاقتها أهل الدنيا ذكر ابن عبد البر من حديث ابن عباس وهذه النار قد خربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك لما انتفع بها أحد ولذا روى حديث أنس وهو ضعيف وما وصلت إليه حتى أحبه فقال فضحت بالماء ففضى عليكم (٦) حديث أمر الله أن يوقد على النار الفحم حتى احمرت الحديث تقدم

قاله صلى الله عليه وسلم
لا يفرحهم الناس به
جهنم بعض قبان
الخصبة الوقوف على
جده قوله والعزيم
الناس بفصله وقول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأرباب الرخص
وفله لأرباب العزائم
ثم إن للناس عاكي
حاله حال رسول الله
عليه الصلاة والسلام
في دعاء الخلق
إلى الخلق فكل

نفس في الشتاء وتفس في الصيف فأشد ما يجدونه في الصيف من حرها وأشد ما يجدونه في الشتاء من زمهريرها (١) « وقال أنس بن مالك يؤتى بأنهم الناس في الدنيا من الكفار يقال اغمسوه في النار خمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس ضرا في الدنيا يقال اغمسوه في الجنة خمسة ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا . وقال أبو هريرة لو كان في السجدة مائة ألف أو يزيدون ثم تفس رجل من أهل النار لما نوا وقد قال بعض العلماء في قوله - تفس وجوههم النار - إنها فحتم قطعة واحدة فلما أقيمت لحا على عظم إلا آفته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في تنق الصديق الذي يسيل من أبدانهم حتى يفرقون فيه وهو النفاق ، قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ « لو أن دلو من غساق جهنم ألقى في الدنيا لألثق أهل الأرض » (٢) فهذا شرابهم إذا استقاثوا من العطش فيسقي أحدهم من ماء صديد يجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وإن يستقيشوا يشاؤا بجمه كالبلبل يشوى الوجوه بفس الشراب وساءت مرتعا . ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم قال قال الله تعالى - ثم إنكم أيها الضالون الكذوبون لا تكونون من جحر من زقوم فالتلون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الحميم - وقال تعالى - إنها عجرة نخروج في أهل الجحيم طلعها كأنه ردوس الشياطين فاتهم لا تكون منها لتلون منها البطون ثم إن لهم عليها الشوبان من حميم ثم إن مرجعهم إلى الجحيم - وقال تعالى - تصلى نارا حامية تسقى من عين آية وقال تعالى - إن لنا أنسكا لا رجعا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - وقال ابن عباس قال رسول الله ﷺ « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في حمار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف من يكون طعامه ذلك » (٣) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارضوا فيما رغبكم الله واحذروا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فاته لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبيثها عليكم » (٤) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يلقي على أهل النار الجوع حتى يمدل مامهم فيمن العذاب فيستقيشون بالطعام فيثاقون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يفي من جوع ويستقيشون بالطعام فيثاقون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كما كانوا يحزرون النقص في الدنيا شراب فيستقيشون بشراب فيفرق إليهم الحميم بكلايب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون ولم تك تأتيناكم رسلكم بالبينات قالوا بل قالوا فادعوا مدعاة الكافرين إلى إفق ضلال قال فيقولون ادعوا مالكم فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيئهم إنسكم ما يكون » (٥) قال الأصمعي أنبت أن

ما كان يعتمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى أن يعتمد فكان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيامه الزاد لا ينحو . إما أنه كان يقتدى به وإما أنه كان لمزيد كان يحد بذلك فإن كان يقتدى به فالنتهى أيضا مقتدى به ينهى أن يأتي بتل ذلك والصحيح الحق أن رسول الله صلى الله

(١) حديث اشكتك النار إلى ربها فقال يا رب أكل بعضي بعضا فذن لها بنفسين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي سعيد الخدري لو أن دلو من غساق ألقى في الدنيا لألثق أهل الأرض الترمذي وقال إنما نرفه من حديث رشد بن سعد وفيه ضعف (٣) حديث ابن عباس لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا أفسدت على أهل الأرض مناشيهم الحديث الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه (٤) حديث أنس ارضوا فيما رغبكم الله واحذروا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه من جهنم الحديث لم أجده إلا نادا (٥) حديث أبي الدرداء بقي على أهل النار الجوع حتى يمدل مامهم فيمن العذاب فيستقيشون بالطعام الحديث الترمذي من رواية حمزة ابن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال الدارمي والباقر لا يعرفون هذا الحديث وإنما روى عن الأصمعي عن حمزة بن عطية عن شهر بن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله .

بين دعامهم وبين إجابة مالك أيام ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا حقوتنا وكنا قوما صالحين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيهم اخشوا فيها ولا تسكبن قال فبند ذلك يشعروا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل قال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه - قال «يُغْرَبُ إليه فيشكره فإذا أدنى منه شوى وجهه فوقعت فروق رأسه فإذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من ذرره يقول الله تعالى - وسقوا ماء حميمًا قطع أمعاءه - هو قال تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه - فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم (١) فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى عدة مومنها وعظم أعضائها وقظاظه منظرها ونسبها على أهلها وأقربتهم فهي لا تخرج عن النش والبلغ ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ ومن آتاه الله المال فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبنتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزيمه يلقى الله فيقول أنا مالك أنا كزكته ثم تلا قوله تعالى - ولا يحسن الدين يخافون بما آتاهم الله من فضله الآية - (٢) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم «إن في النار لحيات مثل أعناق البغايا يسمن الائمة فيجعد حوتها أربعين خريفا وإن فيها لعقارب كالبحال للوكفة يسمن الائمة فيجعد حوتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وفى ذلك وفى هذه الحيات فلم يمثل له (٣) ثم شكر بعدهما كلفه تعظيم أجسام أهل النار فإن الله تعالى يزيد في أجسامهم طولًا وعرضًا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بالنار والبلغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «ضرس الكافر في النار مثل أحد وظل ظله مسيرة ثلاث (٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هفتة الصغرى ساقطة على صدره والبلبا قاصة قفصت وجهه (٥) وقال عليه السلام «إن الكافر ليبرلسانه في سبعين يوم القيامة يتطاوذه الناس (٦) ونع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تعالى - كما نصبت جلودهم بدلناهم جلودًا أخرى - قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا - ثم شكر الآن في بقاء أهل النار وشقيقتهم ودعائهم بالويل والويل فإن ذلك يسقط عليهم في أول إقامتهم في النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى مجهم يومئذ لها سبعون ألف زمل مع كل زمام سبعون ألف ملك (٧) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يزل على أهل النار البكاء فيكون حتى تنقطع الدموع ثم يكون الدم حتى يرى في وجوههم كثرة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت ومادام يؤذون لهم في البكاء

(١) حديث أبي أمامة في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه - قال يقرب إليه الحديث الترمذي وقال غريب (٢) حديث أبي هريرة من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث جابر نحوه (٣) حديث إن في النار لحيات مثل أعناق البغايا يسمن الائمة الحديث أحمد من رواية ابن جرير عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء (٤) حديث أبي هريرة ضرس الكافر في النار مثل أحد الحديث رواه مسلم (٥) حديث هفتة الصغرى ساقطة على صدره والبلبا قاصة قفصت وجهه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن صحيح غريب (٦) حديث إن الكافر ليبرلسانه في سبعين يوم القيامة يتطاوذه الناس الترمذي من رواية أبي الحارث عن ابن عمر وقال غريب وأبو الحارث لا يعرف (٧) حديث يؤتى مجهم يومئذ لها سبعون ألف زمام الحديث مسلم من حديث عبد الله بن مسعود

عليه وسلم لم يفعل ذلك لجهنم الاقتراب بل كان يحذر بذلك زيادة وهو ما ذكرناه من تهذيب الجيلة قال الله تعالى خطايا له - واعد ربك حتى يأتيك اليقين - لأنه بذلك ازداد استمدادا من الحسرة الإلهية وقرع باب الكرم والنهي عليه الصلاة والسلام منتقرا إلى الرحمة من الله تعالى خير مستحق

والشوق والفرق. والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكمهم عنعون أيضا من ذلك (١) قال محمد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون - ربنا أمتنا الذين وأحييتنا الذين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل - فيقول الله تعالى جيبا لهم - ذلك بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن شركت به قوموا فالجسم لله العلى الكبير - ثم يقولون - ربنا أبصرنا ومقتلنا نعمل صالحا - فيجيبهم الله تعالى - وألم تكروا أن أقسم من قبل ما لكم من زوال - فيقولون ربنا أخرنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل - فيجيبهم الله تعالى - وألم نصمركم ما تذكرون فيه من تذكركم وجاءكم التذبر فذوقوا لها لظالمين من نصير - ثم يقولون - ربنا غلبت علينا دعوينا وكنا قومًا ضالين ربنا أخرنا منها فلن عدنا فانا ظالمون - فيجيبهم الله تعالى - أحضوا فيها ولا تلبسكمون - فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس الله رضى عنه: قال زيد بن أسلم في قوله تعالى - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص - قال صبروا ما تسنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالوت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلودوا ولا موت ويا أهل النار خلودوا بلاموت (٢) » وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتني كنت ذلك الرجل وروى الحسن رضى الله عنه جالسا في زاوية وهو يبكي فيقول لم تبكي أقوال أخرى أن يطرحني في النار ولا يبالي بهذه أصناف عذاب جهنم على الجلة وتفصيل غمومها وأجزائها وغمها وحسرتها لانهاية له فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من هذه العذاب حسرة فوات نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع عليهم بأنهم باعوا كل ذلك بشمن دهرهم معدودة إذا لم يواذك إلا شهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منصفة فيقولون في أنفسهم واجبرته كيف أهلكتنا أنفسنا بصبيان ربنا وكيف أنكفأ أنفسنا الصبر أياما قليل ولوصبرنا لكنا قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متسعين بالرضا والرضوان في الحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلاؤه بما يلوأه ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولا آلتها ثم لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله ﷺ «يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستشفقوا راحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة مارجع الأولون والآخرون يمثلها فيقولون بار بنا لو أدخلتنا النار قبل أن تربنا غاريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأولائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كثرتم إذا خلوتهم بارزتموني بالعظام وإذا قيمت الناس فقتلتمهم غبتين تراءون الناس خلاف ما تطوبون من قولكم هبتم الناس ولم يهابوني وأجلتم الناس ولم يحلوني وكرهتم للناس ولم تركوا لي فالיום أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب للقيم (٣) » قال أحمد بن حنبل إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صحيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح وقال داود لم يأسر لي على حرمته بك - كيف صبري

من ذلك ثم في ذلك
مر قرب وذلك أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرباطة
جنسية . النفس كان
يدعو الخلق إلى الحق
ولولا رباطة الجنسية
ما وصلوا إليه ولا
اتفقوا به وبين قسه
الطاهرة . ونفسوس
الأمياع رباطة التأليف
كأين ربحه وأرواحهم
رابطات التأليف ورباطة
التأليف أن النفوس

(١) حديث أنس يرسد على أهل النار البكاء فيكون حتى تنقطع الدموع الحديث ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس والرقاشي ضعيف (٢) حديث يؤتى بالوت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح البخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستشفقوا راحتها والحديث رواه في الأربعين لأن هبة بن أنس وأبو هبة إبراهيم بن هبة هالك .

على حر نارك ولا صبر على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الأحوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهولها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا يتقصون وأن هذا آخر قدر قضي وقرع منه قال الله تعالى - وأندبرهم يوم الحسرة إذ نضى الأمر وفيهم علة يوم لا يؤمنون ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة بل في أول الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء والعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمعقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حلك ؟ فان قلت فليت عسرى ماذا موردي وإلى ماذا مآلى ومرجى وما الذى سبق به القضاء حتى فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهي أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فانك بعدد عن النار وإن كنت لا تصدح إلا لخطبك بالموافق قد دفعه ولا تصدح شرا إلا وتيسر لك أسبابه فاعلم أنك عفى عليك فان دالة هذا على العاقبة كدلالة النظر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى - إن الأبرار لى نعيم وإن الفجار لى جحيم - فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقر كل من الفارين والله أعلم .

(القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها)

اعلم أن تلك الدار التي عرفت هو ما هو غومها ما لها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فان من بعد من أحدها استقر لأجله إلى الأخرى فاستراحوا من قايك بطول السفر في أهوال الجحيم واستراحوا بطول السفر في النعيم للقيم للعواد لأهل الجنان وسقى نفسك بسوط الحرف وقدها بزم الرباء إلى الصراط المستقيم فبذلك تال لللك العظيم وتسلم من العذاب الأليم فتسكن في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعم يسقون من رحيق غنوم جالسين على منابر الياقوت الأحمر في نجام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من الصقري الأخضر مسكنين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالحر والصل عذوقة بالبلسم والوردان مزينة بالمحور العين من الحيرات الحسان كانهن الياقوت والرجان لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان عيش في درجات الجنان إذا استأثرت إحداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الوردان عليها من طرائف الحرير الأبيض ماصعة فيه الألبان مكلمات بالتيحان للربصة باللؤلؤ والرجان شكلت خجعات عطرates آمنت من الحر والبرد والبؤس مقصورات في الحيام في تصور من الياقوت نيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين من عطف عليهم زعنبن بأكواب وأباريق وكأس من معين يضاء لثة لقاريين وطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ للكنون جواز بما كانوا يصلون في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعم لا يرهقهم شر ولادة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من رزقهم يصلحون فهم قيا اجتهت أنفسهم خادون لا يهاقون فيها ولا يحزنون وهم من ذب الثن آمنون فهم فيها يتكلمون وبأكلون من أطعمتها ويحرمون من أنهارها لبنا وحما وعسلا في أنهار أرائعها من فضة وجوهرها من مرجان وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران وعطرون من مطابيحها من ما جال النسر على كنان الكافور ويحرمون بأكواب وأي أكواب من فضة مرسومة بالدر والياقوت والرجان كواب فيه من الرحيق الغنوم ممزوج به السلسيل الذهب كواب يقرق نور من صفاء جوهره يبدو الشراب من وراءه رفته وحرته لم يصبه آدمي يقتصر في شربها فتصنعون حين صنعته كيف شامخ يحكي ضياء وجهه الشمس في إشراقها ولكن من أن الشمس حلاوة مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه

(القول في صفة الجنة)

أنت آلهما كما أن
الأرواح أنت أولا
ولكل روح مع
نفسه تأليف خاص
والسكون والتأليف
والامتزاج واقع بين
الأرواح والنفوس
وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتبع
العمل لصفته فيه
ونفوس الأرباع فإ
أحتاج إليه نفسه من
ذلك فله وما فضل من
ذلك وصل إلى نفوس

وملاحة أحداه فياغبها لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا عوت أهلها ولا عمل الفاعل عن
 نزل بختائها ولا تنظر الأحداث بين التغير إلى أهلها كيف يأتي بدار قد أذن الله في خرابها وبنتها
 يعيش دونها والله لو لم يكن فيها الإحلام الأبدان مع الأمن من اللوث والجوع والعطش وسائر أصناف
 الحدائن لكان جذرا بأن يجر الله نيا يسبها وأن لا يؤش عليها ما لتصرم والتقص من ضرورته
 كيف وأهلها مملوك آمنون وفي أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم ببناء العرش
 يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعم
 الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم بترد دونهم من زوالها آمنون قال أبو هريرة
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم
 أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تجموا فلا تبأسوا أبدا
 فذلك قوله عز وجل - وتودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون -^(١) ومهما أردت أن
 تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراءه بيان الله تعالى وإن قرأ من قوله تعالى - ولن خاف مقام
 ربه جنتان - إلى آخر سورة الرحمن وقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وإن أردت أن تعرف
 تفصيل صفاتها من الأخبار فامل الآن تفصيلها بعد أن اطلمت على جملتها وتأمل أول أعداد الجنان
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - ولن خاف مقام ربه جنتان - قال لا جنتان من فضة
 آتينها وما فيها وجنتان من ذهب آتينها وما فيها وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء
 الكبرياء على وجهه في جنة عدن^(٢) ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة بحسب أصول الطاعات كأن
 أبواب النار بحسب أصول للماصي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أشق زوجين
 من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها ولجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعى
 من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب
 الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد فقال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحد من
 ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها ؟ قال نعم وأرجوان تكون منهم^(٣) وعن حاصم بن
 ضمرة عن علي كرم الله وجهه أنه ذكر النار فظلم أمرها ذكر لا أخطفه ثم قال - سبب الدين اتقوا
 ربهم إلى الجنة زمرا - حتى إذا اتوا إلى باب من أبوابها وجدوا عندم شجرة يخرج من تحت ساقها
 عيران تجريان فسدوا إلى إحداها كما أمروا به ففروا منها فأذهبت ماني بطونهم من أذى وأبأس ثم
 عمدوا إلى الأخرى فقطروا منها فحرت عليهم فصره النعم فلم تغد أشعارهم بعدها أبدا ولا تشمت
 ردوسهم كأنما دعوا بالبهان ثم اتوا إلى الجنة فقال لهم خزنها سلام عليكم طينها فادخلوها
 خالدين ثم قالهم الولدان يطيقونهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة
 يقولون له أجزأ أعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض
 أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول أنت رأيت فيقول
 أنا رأيت وهو يأمر فيستغنى الترح حتى تقوم إلى أسكفة بابها فإذا اتى إلى منزله نظر إلى أساس
 بنيانه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم رفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا

الامة وهكذا انتهى
 مع الأصحاب والأتباع
 على هذا المعنى فلا يختلف
 عن الزوائد والنوافل
 ولا يسترسل في الشبهات
 والذلات إلا بدلالة
 تحبس النفس ولا يحطى
 الاعتدال حقه من
 ذلك إلا بأيد الله تعالى
 ونور الحكمة وكل
 من يحتاج إلى صحة
 الجلالة للفسر لا بد له
 من خسارة صحيحة
 بالحق حتى تكون

- (١) حديث أبي هريرة ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا الحديث مسلم من حديث
 أبي هريرة وأبي سعيد (٢) حديث جنتان من فضة آتينها وما فيها وجنتان من ذهب آتينها وما فيها
 الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أبي هريرة من أشق زوجين من ماله في سبيل
 الله دعى من أبواب الجنة الحديث متفق عليه .

مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدره لأم أن يذهب بصره ثم يطأ رأسه فإذا أزواجه وأكواب موضوعة ونمازق مصفوفة ووزابي مبثوثة - ثم انكأ فقال - الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله - ثم ينادى مناد نعيمون فلا تحوتون أبدا وتقيمون فلا تموتون أبدا وتصحون فلا تمضون أبدا - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «آتي يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أقصح لأحد قبلك (١)» ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكان بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة الحمودة تفاوتا وناظرها فكذلك فيها مجازون به تفاوتا وناظرها فكانت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمر الله بالسماحة والتواضعة فقال تعالى - سابقوا إلى مغفرة من ربكم - وقال تعالى - وفي ذلك لعلنا نفنس المنافسين - والعجب أن هؤلاء هم عليك أقرانك أوجبائك زيادة درهم أو يعول بناء قل عليك ذلك وشاق به صدرك وتقصي بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقول يسبقونك بل طاق لا توازيها الدنيا بمجازيها فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجنة ليزادون أهل الغرف فوقهم كما تزادون الكوكب الثائر في الأفق من الشرق إلى الغرب لفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يليها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين (٢)» وقال أيضا «إن أهل الدرجات العلى ليرام من تحمهم كثيرون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء وإن أبأكبر وعمر منهم وأنعم (٣)» وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «الآحاد تنكم برف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وأمتنا قال إن في الجنة غرفا من أصناف الجواهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنهما من ظاهرها وفيها من النعم والذات والسرور ما لا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولعل هذه الغرف قال لمن أفضى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطبق ذلك قال أمي تطبق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه وأورد عليه صدق في شهر ثلاثة ومن أدام الله وعياله من الطعام حتى يضيحهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى النداء في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام (٤)» يعني اليهود والنصارى والمجوس - «ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله - ومساكن طيبة في جنات عدن - قال : قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا ومن باقوت أحمر في كل دار سبعون بيتان زهر أحضر في كل بيت ممرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الخمر البين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوانا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك أجمع (٥)».

(١) حديث آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد الحديث مسلم من حديث أنس (٢) حديث أبي سعيد إن أهل الجنة ليرادون أهل الغرف فوقهم كثيرون الكوكب الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث إن أهل الدرجات العلى ليرام من تحمهم كثيرون النجم الطالع رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد (٤) حديث جابر ألا أحدثكم برف الجنة قلت يا رسول الله بأيتنا أنت وأمتنا قال إن في الجنة غرفا من أصناف الجواهر الحديث أبو نعيم من رواية الحسن بن جابر (٥) حديث سهل عن قوله تعالى - ومساكن طيبة في جنات عدن - قال قصور من لؤلؤ الحديث أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة والأجر في كتاب التضيعة

جاولته في حماية خلوته ومن يترادى له أن أوقاته كلها خلوة وأنه لا يجيبه شيء وإن أوقاته بالله والله ولا يرى نقصا لأن الله ما يفيته حقيقة الزيد فهو صحيح في حاله غير أنه تحت تصور لأنه ما فيه لسياسة الجيلة وما عرف سر تملك الاختيار وما وقف من البيان على البيضاء الثقية وقد نقلت عن الشارح كلمات

(صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها)

تأمل في صورة الجنة وتحكم في خبطة سكانها وفي حسرة من حرما لقناعتها بالدنيا عوضا عنها قد قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطيبها مسك» (١). «وَسئل عليه السلام عن ثوبة الجنة فقال درهمك يضاعف مسك خالص» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يسقيه الله من أجل الحر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا» (٣) «أنهار الجنة تنفجر من تحت ثلاث أوتعت جبال للمسك» (٤) «ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعا لكان ما عليها الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعا» (٥) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها القردوا إن شئتم - وظل محمود -» (٦) وقال أبو أمامة : «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إن الله عز وجل ينفخ بالأعراب ومسالهم أقبل أعرابي فقال يارسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أدري أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي قال السدر فإن لها شوكا فقال قد قال الله تعالى - في سدر مخضود - يخشد الله لون يشبه الآخر» (٧) «وقال جرير بن عبد الله : نزلنا الصفاح فإذا رجل قائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تجلعه قتلت قتلام إنطلق بهذا الطع فأظله فأنطاق فأظله فلما استيقظ فإذا هو سلمان فأبشيه أسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لأدري قال ظلم الناس بعضهم بعضا ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه من

فيها موضع اعتياد
قد يسمها الإنسان
ويبنى عليها والأولى
أن يفكر إلى الله تعالى
في أي كلمة يسمها
حتى يسمها الله من
ذلك الصواب . قل
عن بعضهم أنها مثل
عن كمال المعرفة فقال :
إذا اجتمعت للتفرقات
وايتوت الأحوال
والأماكن وسقطت
رؤية التميز ومثل
هذا القول يوم أن

من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال سألت أبا هريرة وعمران بن حصين في هذه الآية ولا يصح
والحسن بن خليفة لم يعرفه ابن أبي حاتم والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة على قول الجمهور
(١) حديث أبي هريرة : إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطيبها مسك
الترمذي بلفظ وبلاطها للمسك وقال ليس إسناده بذلك القوى وليس عندي بمتمثل ورواه البزار
من حديث أبي سعيد بإسناده فيه مقال ورواه موقوفا عليه بإسناد صحيح (٢) حديث : سئل
عن ثوبة الجنة فقال درهمك يضاعف مسك خالص من حديث أبي سعيد أن ابن حبيد سأل
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فذكره (٣) حديث أبي هريرة : من سره أن يسقيه الله الحر في الآخرة
فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير فليتركه في الدنيا الطبراني في الأوسط بإسناد حسن
والنسائي بإسناد صحيح : من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا
لم يشربها في الآخرة (٤) حديث : أنهار الجنة تنفجر من تحت ثلاث أوتعت جبال للمسك الثقيل
في الضفاد من حديث أبي هريرة (٥) حديث : لو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل
الدنيا جميعا لكان ما عليها الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا الطبراني في الأوسط
من حديث أبي هريرة بإسناد حسن (٦) حديث : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة
عام لا يقطعها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث أبي أمامة أقبل أعرابي قال
يارسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية قال ما هي قال السدر الحديث ابن المبارك في الزهد
عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر مرسل من غير ذكر لأبي أمامة .

صفه فقال يا جبريل لو طليت مثل هذا في الجنة لم تجده قلت يا أبا عبد الله فابن النخل والشجر قال أسولها لؤلؤ والذهب وأعلها النمر .

(صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسرورهم وأرائكهم وخيامهم)

قال الله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير - والآيات في ذلك كثيرة وإنما تفصيله في الأخبار فقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفتن شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (١) . وقال رجل يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة - أخلق خلقاً أم نسج نسج فسكت رسول الله ﷺ وضعك بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم م تصحكون من جاهل سأل عالماً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ينشق عنها محر الجنة سرتين (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يصنون فيها ولا يخطون ولا يتخطون أنثيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة وورشهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية (وفي رواية) على كل زوجة سبعون حلة » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب - قال « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها نفس ما بين للشرق والغرب » (٤) وقال ﷺ « الحيلة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للؤمن أهل لا يراهم الآخرون » (٥) ورواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الحيلة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصرع من ذهب وقال أبو سعيد الخدري « قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : وفرش مرفوعة قال ما بين القراشين كما بين السماء والأرض » (٦)

(صفة طعام أهل الجنة)

بيان طعام أهل الجنة مذكور في القرآن، نالتوا كدوا الطيور والسمان ولئن والسواي والعسل والبن وأصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى - كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها - ، وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة ،

(١) حديث أبي هريرة : من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس لا تبلى ثيابه الحديث رواه مسلم دون قوله : في الجنة ما لا عين رأت الخ فاتفق عليه الشيخان من حديث آخر لأبي هريرة : قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت الحديث (٢) حديث : قال رجل يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق خلقاً أم نسج نسج الحديث النسائي من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث أبي هريرة : أول زمرة تدخل الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر الحديث متفق عليه (٤) حديث : في قوله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب - قال ابن عباس عليهم التيجان أدنى لؤلؤة فيها نفس ما بين للشرق والغرب الترمذي من حديث أبي سعيد دون ذكر الآية وقال لا تعرفه إلا من حديث رعد بن سعد (٥) حديث : الحيلة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا الحديث عزاه الصنف للبخاري وهو متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري (٦) حديث أبي سعيد في قوله تعالى - وفرش مرفوعة - قال ما بين القراشين كما بين السماء والأرض الترمذي بلفظ : ارتفاعها لكما بين السماء والأرض سمائة سنة وقاله غريب لا تعرفه إلا من حديث رعد بن سعد .

لا يبقى تمييز بين الخلوة والجلوة وبين القيام بسور الأعمال وبين تركها ولم يفهم منه أن القائل أراد بذلك معنى خاصا يعني أن حظ العرفة لا يتغير حال من الأحوال وهذا صحيح لأن حظ العرفة لا يتغير ولا ينتقل إلى التمييز وتستوى الأحوال فيه ولكن حظ السعيد يتصور ويحتاج إلى

وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فجاءه خبر من أبحار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال فن أول إجازة يعنى على الصراط ؟ فقال قراء
 المهاجرين ، قال اليهودى فأتهمتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال زيادة كبد الجوت ، قال فما غداؤهم
 على أرضها ؟ قال ينحرفهم ثور الجنة الذى كان يأكل فى أطرافها . قال فاشربهم عليه ؟ قال من عين
 فيها تسمى سلسيلا . فقال صدقت (١) وقال زيد بن أرقم «جاء رجل من اليهود إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا القاسم أليس تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لأصحابه
 إن أنزل بها خصصته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على والذى نفسى بيده إن أحدم يعطى
 قوة مائة رجل فى العلم والشرب والجماع ، فقال اليهودى فإن الذى يأكل ويشرب يكون له الحاجة
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل للسك فإذا البطن قد
 شبع (٢) وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنك لتتظر إلى الطير فى الجنة
 فتشبهه فيخر بين يديك مشويا (٣) وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فى
 الجنة طيرا أمثال البخاى . قال أبو بكر رضى الله عنه إنها لناعمة يارسول الله . قال أئتم منها من
 يأكلها وأنت ممن يأكلها ياأبى بكر (٤) وقال عبد الله بن عمر فى قوله تعالى - يعاف عليهم - صحاف -
 قال يظاف عليهم بسبعين مسقة من ذهب كل مسقة فيها لون ليس فى الأخرى مثله . وقال عبد الله
 ابن مسعود رضى الله عنه - ومزاجه من تسنيم - قال يمزج لأصحاب الجن وشربه للقرىون
 صرطا . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : فى قوله تعالى - ختامه مسك - قال هو شراب أبيس
 مثل القصة يخمونه به آخر شرابهم لوأن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق
 ذروص إلا وجد ربح طيبها .

(صفة الجور العين والودان)

قد تكرر فى القرآن وصفهم ووردت الأخبار زيادة شرح فيه ، روى أنس رضى الله عنه أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال «غدة فى سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدم
 أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولوأن امرأة من نساء أهل الجنة طاعت إلى الأرض
 لأضاعت وللات ما بينهما راحة ولنصفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها (١) » يعنى الحمار وقال

(١) حديث ثوبان جاء خبر من أبحار اليهود فذكر سؤاله إلى أن قال فن أول الناس لإجازة يعنى
 على الصراط فقال قراء المهاجرين قال اليهودى فأتهمتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد الجوت
 الحديث رواه مسلم - زيادة فى أوله وآخره (٢) حديث زيد بن أرقم جاء رجل من اليهود فقال
 ياأبا القاسم أليس تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون الحديث وفيه حاجتهم عرق يفيض
 من جلودهم مثل للسك البخاى فى الكبرى بإسناد صحيح (٣) حديث ابن مسعود إنك لتتظر إلى
 الطير فى الجنة فتشبهه فيخر بين يديك مشويا البزار بإسناد فيه ضعف (٤) حديث حذيفة إن فى
 الجنة طيرا أمثال البخاى الحديث غريب من حديث حذيفة ولأحمد من حديث أنس بإسناد صحيح
 إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة قال أبو بكر يارسول الله إن هذه الطير لناعمة قال
 أكلها أنهم منها قالها ثلاثا وإنى أرجو أن تسكون عن يأكل منها وهو عند الترمذى من وجه آخر
 ذكر فيه نهر الكوثر وقال فيه طير أعناقها كأعناق الجزر قال عمر : إن هذه لناعمة الحديث وليس
 فيه ذكر لأبى بكر وقال حسن (٥) حديث غدة فى سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها الحديث
 البخارى من حديث أنس .

الخير وليس فى هذا
 الكلام وأمثاله ما ينفى
 ما ذكرناه . قيل لعمد
 ابن القيسيل حاجة
 العازفين إلى ماذا قال
 حاجتهم إلى الحصة التى
 كانت بها المائتين
 كلها الأوهى الاستقامة
 وكل من كان أنتم
 معرفة كان أنتم استقامة
 فاستقامة أرباب النهاية
 على الإقام والعبد فى
 الاستعداد مأخوذ فى
 الأصحاب محبوب بها

أبو سعيد الحدرى «قال رسول الله صلى الله عليه و. لم في قوله تعالى - كأنهن الباقوت والرجان - قال ينظر إلى وجهها في خدرها أسنى من للآرة وإن أدركت لؤلؤة عليها لضى ما بين الشرق والغرب وإنه يكون عليها سبعون ثوبا يغفلها بصره حتى يرى مع ساقها من وراء ذلك (١) » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما أسرى في دخلت في الجنة موضعا يسمى اليبس على خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والباقوت الأحمر قلن السلام عليك يا رسول الله قتلن يا جبريل ما هذا النداء قال هؤلاء للتصورات في الخيام استأذن ربهن في السلام عليك فأنذنهن فلففن قلن نحن الراضيات فلا نخط أبدا ونحن الخالدات فلا نلتن أبدا » وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - حور مقصورات في الخيام - (٢) » وقال مجاهد في قوله تعالى - وأزواج مطهرة قال من الحور المطهرات والبول والبصاق والنخامة والني والولد . وقال الأوزاعي - في شغلها كهيون سقال شغلهم اقتضاض الأبتكار . وقال رجل يا رسول الله «أيا صنع أهل الجنة ؟ قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك (٣) » وقال عبد الله بن عمر إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسى معه ألف خادم كل خادم على حمل ليس عليه صاحب ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وخمسة آلاف ثيب يعاق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا (٤) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها المجتمع الحور العين يرفرن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلهن قلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له (٥) » وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حدث أبو سعيد الحدرى في قوله تعالى - كأنهن الباقوت والرجان - قال ينظر إلى وجهها في خدرها أسنى من للآرة الحديث أبو يعلى من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد بإسناد حسن ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة ورواه ابن المبارك في الزهد والرفعة عن رواية أبي الهيثم عن النبي ﷺ مرسل دون ذكر أبي سعيد ولترمذى من حديث ابن مسعود إن للآرة من نساء أهل الجنة ليرى يابض مع ساقها من وراء سبعين حلة الحديث ورواه عنه موقوف قال وهذا أصح وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة لكل امرئ منهم زوجتان إقتان يرى مع سوتهما من وراء الحسم (٢) حديث أنس لما أسرى في دخلت في الجنة موضعا يسمى الصرح على خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والباقوت الأحمر الحديث وفيه أن جبريل قال هؤلاء للتصورات في الخيام وفيه نطفن قلن نحن الراضيات فلا نخط لم أجبه هكذا تصامه ولترمذى من حديث علي بن في الجنة مجتمع الحور اللين يرفرن أصواتا لم تسمع الخلائق مثلهن قلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له وقال غريب وأبو الشيخ في كتاب العظمة حديث ابن أبي أوفى يمتد سبعين خيما من في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات الحديث (٣) حديث قال وجبريل يا رسول الله أيا صنع أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك الترمذى وصححه ابن حبان من حديث أنس يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قليل أو يطبق ذلك قال يعطى قوة مائة (٤) حديث إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وخمسة آلاف ثيب يباقي كل واحد منهن مقدار عمره في الدنيا أبو الشيخ في طبقات المحدثين وفي كتاب النظم من حديث ابن أبي أوفى إلا أنه قال مائة حوراء ولم يذكر فيه عناقتهن وإسناده متعيب وقد تقدم قبله حديث (٥) حديث إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء الحديث الترمذى فرقه في موضعين من حديث علي وقد تقدم بيانه قبل هذا الحديثين .

عن الأحوال في
التوسطه عرفت
بالأحوال قبله
عن الأحكام في الأتيام
لأهية الأهل من
الأحوال والأحوال
عن الأهل وذلك هو
التسل العظيم . مثله
الجنيد بن النباهة قال
هي الرجوع إلى البداية
وقد غرر بعضهم قوله
الجنيد فقال معناه أنه
كان في نابلهم أمره
جبل ثم وصل إلى

« إن الحور في الجنة يتخفن نحن الحور الحسن خبثاً لأزواج كرام ^(١) » وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى - في روضة يجرون - قال السباع في الجنة وقال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يدخل الجنة إلا يجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الحور العين يفتيان به أحسن صوت سمعه الإنس والجن » وليس بمزار الشيطان ولكن بتعبد الله وتقديسه ^(٢) .
(بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار)

روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا هل مشمر لجنة إن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلأأ ورمانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكة كثيرة تنضج وزوجة حسناء جميلة في حيرة وضعة في مقام أبدا ونضرة في دار طالية بنية سليمة قالوا نحن للشمرين لها يا رسول الله قال قولوا إن شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحسن عليه ^(٣) » وجاء رجل إلى رسول الله ^(٤) وقال هل في الجنة خيل فأتها تصيبي قال إن أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء قطير بك في الجنة حيث شئت له وقال رجل : إن الأبل تسمى أهل الجنة من أبل قال لا يا عبد الله إن أدخلت الجنة فلك فيها ما شئت نفسك وأنت عيناك ^(٥) » وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كآبته هي يكون حملوه وفصاله وشبابه في ساعة واحدة ^(٦) » وقال رسول الله ^(٧) « إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتقيان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا أخى تله كبروم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فنفرنا ^(٨) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة جرد مرد يضج جهاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم تون ذراعا في عرض سبعة أذرع ^(٩) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم

للمفرقة ثم رد إلى التحير والجمل وهو كالطوقية يكون جهل ثم علم ثم جهل قال الله تعالى لا كيلا يعلم بعد علم شيئا - وقال بعضهم : أعرف الجلق بالله أقدم تحسيرا فيه ويجوز أن يكون معنى ذلك ما ذكرناه أنه يادى الأعمال ثم يرقى إلى الأحوال ثم يجمع له بين الأحوال والأحوال وهذا يكون للتمهي

(١) حديث أنس إن الحور في الجنة يتخفن فيقلن نحن الحور الحسن خبثاً لأزواج كرام الطبراني في الأوسط وفيه الحسن بن داود للشكدي قال البخاري يتكلمون فيه قال ابن عدى أرجو أنه لا بأس به (٢) حديث أبي أمامة ما من عبد يدخل الجنة إلا يجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الحور العين يفتيان به أحسن صوت سمعه الإنس والجن وليس بمزار الشيطان ولكن بتعبد الله وتقديسه الطبراني بإسناد حسن (٣) حديث أسامة بن زيد ألا هل من مشمر لجنة إن الجنة لا خطر لها الحديث ابن ماجه وابن حبان (٤) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل في الجنة خيل فأتها تصيبي الحديث الترمذي من حديث بريدة مع اختلاف لفظ وفيه للسعدي يختلف فيه ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ الصنف من رواية عبد الرحمن بن سابط من إسناد الطبراني الترمذي وهذا أصح وقد ذكر أبو موسى الدين عبد الرحمن بن سابط في ذيله على ابن منده في الصحابة ولا يصح له محبة (٥) حديث أبي سعيد إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كآبته هي ويكون حملوه وفصاله ونشأته في ساعة واحدة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب وقد اختلف أهل العلم في هذا قال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد انتهى وأحمد من حديث لأبي رزق بن يله ولم مثل قد اتكف في الدنيا ويتلفظ بك غير أن لا تولد الله (٦) حديث إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا البراز من رواية الربيع بن صبيح عن الحسن بن عيسى عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الاستعداد فخر به أنس انتهى والربيع بن صبيح ضعيف جدا ورواه الأصفهاني في التزيين والتهذيب منزلا دون ذكر أنس (٧) حديث أهل الجنة جرد مرد يضج جهاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين الحديث الترمذي من حديث معاذ بن حنيفة عن قوله يضج جهاد دون قوله على خلق آدم إلى آخره

وثنان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد ويقوت كل حين الجاية إلى صنعاء وإن عليهم النيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين الشرق والغرب (١) وقال صلى الله عليه وسلم «نظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها ككثف البعر اللثيب وإذا طيرها كالبيث وإذا فيها جارية تقتل بإجارية لمن أنت؟ قالت يزيد بن حارثة وإذا في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٢)» وقال كعب: خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده وكتب التوراة بيده وخرس الجنة بيدهم قال لها تسكمني فقالت «قد أفلح المؤمنون - فهدى صفات الجنة ذكرناها جملة ثم قلناها تفصيلا - وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جعلها فقال: إن رمانها مثل الدلاء وإن أنهارها لمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه إل جال وأنهار من خمر فستلشاربين لا تسمنه الأحلام ولا تصدع منها الروعوس وإن فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ما لك أعيون أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كل جرد ممد قد آمنوا العذاب وأطاعت بهم الدار وإن أنهارها الحمري على زخراش من ياقوت وزبرجد وإن عروقتها داخلها وكرمه اللؤلؤ ونهارها لا يعلم عليها إلا الله تعالى وإن ريعها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة وإن لم فيها خللا ولا هفاة رجالها وأزمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وأزواجهم الحور العين كآهن ينش مكون وإن المرأة تأخذ بين أصبعيها سبعين حبة فليسها فيرى مغبساتها من وراء تلك البعينة حبة قد غطى الله الأخلاق من السود والأجساد من اللؤلؤ لا تتخطون فيها ولا يولون ولا يتفوطون وإنما هو جسد وروح مسك لم يرقم فيها بكرة وعصيا أما إنه ليس ليل بكر التدو على الراح والراح على الندو وإن آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ليله في بصره وملسكه مسيرته ما تطعم في قصور من الذهب والنقوش خيام اللؤلؤ ويضع له في بصره حتى ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه يمدى عليهم سبعين ألف صفعة من ذهب ووراح عليهم بمثابة في كل صفعة لون ليس في الأخرى مثلهو يمد لهم آخره كما يمد لهم أوله وإن في الجنة القوة فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدق ولا تقب وقال مجاهد: إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ورفقه الذي ينظر إلى ربّه بالعداة والعشى - وقال مجاهد بن السيب: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أساور من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة - وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن في الجنة حوراء يقال لها البهاء إذا امتشيت عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول أين الأمر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال يحيى بن معاذ: ترك الدنيا شديد وقوت الجنة أشد ترك الدنيا من الآخرة، وقالوا يتألف طلب الدنيا والنفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس فياجها لمن يختار الذلة في طلب ما يغنى ويترك العز في طلب ما ينقص (صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى)

قال الله تعالى - الذين أحسنوا الحسن وزيادة - وهذه الآية تدعي النظر إلى وجه الله تعالى وهي الذة ورؤاه أيضا من حديث أبي هريرة عن عاصم أهل الجنة جرد مرد كحل وقال غريب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن صورة أديم آدم ستون ذراعا (١) حديث أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد متفقان من أدنى قوله وإن عليهم النيجان ومن هنا باسند أيضا وقال لا تعرف إلا من حديث رشدين سمع (٢) حديث نظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها ككثف البعر اللثيب وإذا طيرها كالبيث الحديث رواه الترمذي في تفسيره من رواية أبي هريرة البصري عن أبي سعيد وأبو هريرة اسمه حمارة بن حرب صيف جذام في الصحيحين من حديث أبي هريرة يقول الله أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

الراه للأخوة في طريق
المحبين تجذب
روحه إلى الحضرة
الالهية وتفتح
القلب والقلب يفتح
النفس والنفس تفتح
القلب فيكون بكائه
قائما بالله صاحبنا
بين يدي الله تعالى
كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
«سجد لك سواي
وخيلي» وقال الله تعالى
- والله يمدد من في

الكبرى التي ينسب فيها نعيم أهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يفتقد أهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ - وسبح حمدا ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - (١) وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صيب قال « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - ولذين أحسنوا الحسنى وزيادة - قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد ؟ ألم يتقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويخرجنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل لما أعطوا ههنا أحب إليهم من النظر إليه (٢) » وقد روى حديث الرؤيا جماعة من الصحابة وهذه هي فاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فضلناه من التمتع عند هذه النعمة ينسب وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لانسبة لدى من لدات الجنة إلى لغة اللقاء ، وقد أوجزنا في الكلام هنا لما فضلناه في كتاب المحبة والشوق والرضا فلا ينبغي أن تكون همه البعد من الجنة بشئ سوى لقاء اللولى . وأما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البهجة السرحة في الرعى .

(ختم الكتاب باب في سنة رحمة الله تعالى على سبيل التناؤل بذلك)

فقد « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب القائل (٣) » وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدى برسول الله ﷺ في التناؤل ونرجو أن نهم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى - إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء - وقال تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - وقال تعالى - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - ونحن نستغفر الله تعالى من كل مازلت به القدم أو طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفر من أئواننا التي لا نوافقها أعمالنا ونستغفر مما ادعينا وأظهرناه من العلم والبصيرة بدن الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفر من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفر من كل وعد وعدهاته به من آسفنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفر من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في مصيئة ونستغفر من كل تصريح وتعمير بقصان ناقص وتقصير مقصر كنا نتصفيين به ونستغفر من كل خطرة دغتنا إلى تصنع وتكلف نزين للناس في كتاب سطرناه أو كلام نطقناه أو علم أقدناه أو استفدناه ، ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولبن طالع كتابنا هذا أو كنيه أو جمعه أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا .

(١) حديث جرير : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال إنكم ترون ربكم الحديث هو في الصحيحين كما ذكره للسنن (٢) حديث صيب في قوله تعالى - ولذين أحسنوا الحسنى وزيادة - رواه مسلم كما ذكره للسنن .

(باب في سنة الرحمة)

(٣) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التناؤل متفق عليه من حديث أنس في أثناء حديث : ويصحب القائل الصالح والكلمة الحسنة ولهذا من حديث أبي هريرة : وغيرهما القائل قالوا وما القائل ؟ قال الكلمة الصالحة يسميها أحذكم .

السموات والأرض
طوعا وكرها وظلالهم
بالغدير والأسال -
والظلال القلوب تسجد
بسجود الأرواح وعند
ذلك تبرز روح المحبة
في جميع أجزائهم
وأيمانهم فيتلذذون
ويتنعمون يذكر
الله تعالى وتلاوة
كلامه هيبة ووداد
فيهم الله تعالى

فان السكر عقيم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلاق فائض ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه فقد قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى ما تفرحة أزل من أفرحة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والمواليم فيها يتماطفون وبها يتراحمون وأخر تساو تسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (١)» وروى أنه «إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه إن رحمى سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلاً أهل الجنة (٢)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أضر وامشعل للسلين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا (٣)» وقال النبي ﷺ «يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف عشرة آلاف ألف (٤)» وقال ﷺ «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للؤمنين هل أحببتكم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول ألم يقلوا نحن جونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم مغفرتي (٥)» وقال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام (٦)» وقال رسول الله ﷺ «إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للسلين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر بأخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (٧)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشقيقة بولدها (٨)» وقال جابر بن عبد الله

(١) حديث إن الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وسلمان (٢) حديث إذا كان يوم القيامة أخرج الله كتابا من تحت العرش فيه إن رحمى سبقت غضبي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش إن رحمى سبقت غضبي لفظ البخاري وقال مسلم كتب في كتابه على نفسه إن رحمى تلعب غضبي (٣) حديث يتجلى الله لنا يوم القيامة ضاحكا فيقول أضرأوا مشعل للسلين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار ولأبي داود أمي أمة رحومة لا عذاب عليها في الآخرة الحديث وأما أول الحديث فرواه الطبراني من حديث أبي موسى أيضا يتجلى الله ربنا لنا ضاحكا يوم القيامة حتى ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رءوسكم فليس هذا يوم عبادة وفيه على بن زيد ابن جعدان (٤) حديث يشفع الله آدم يوم القيامة من ذريته في مائة ألف ألف عشرة آلاف ألف الطبراني من حديث أنس بسناد ضيف (٥) حديث إن الله تعالى يقول يوم القيامة للؤمنين هل أحببتكم لقائي فيقولون نعم الحديث أحمد والطبراني من حديث معاذ بسند ضيف (٦) حديث يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٧) حديث إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للسلين ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذا أنتم معان في النار الحديث في إخراج أهل القبلة من النار ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين - النسائي في الكبرى من حديث جابر نحوه بسناد صحيح (٨) حديث لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشقيقة بولدها متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وفي أوله قصة للراءة من النبي إذ وجدت صبي في السبي فأخذته فألمسته يطهها فأرضعته .

ويحبهم إلى خلقه
نعمه منه عليهم وفضلا
على ما أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي رحمه الله
قال أنا أبو طالب
الزبي قال أخبرتنا
سكينة السروزي
قالت أنا أبو الهيثم
الكشمي قال أنا
عبد الله القريري قال
أنا أبو عبد الله البخاري

من زادت حسنته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسنته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وإنما خلاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوتي نفسه وأثقل ظهروه ويروي أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام يا موسى استأثرت بك قارون فلم تقتله وعزى وجلالى لو استأثرت لأقتلته وضوت عنه وقال نبيذ بن بلال : يؤمر يوم القيامة بأخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد ويأمر بردهما إلى النار فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يتوجهها ويتلصقا الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدل إلى النار قد جذرت من وبال لصية فلم أكن لأعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلصقا حسن ظني بك كان يشرى أن لا تردني إليها بعد ما أخرجتني منها فيأمر بهما إلى الجنة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينادى من تحت العرش يوم القيامة يأمة محمد أما ما كان لي قبلكم قد وهبته لكم وحببت الثببات فتواهبوها وادخلوها الجنة رحمي » (١) . وروى أن أعرابيا مع ابن عباس يقرأ - وكنتم على هفافة من النار فأخذكم منها - فقال الأعرابي والله ما أخذكم منها وهو يريد أن يؤتكم فيها قال ابن عباس خذوها من غير قبته وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فيكيت قتال مهلا من نبيك أفواها ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحبط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار » (٢) . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ « إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاكل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتشكر من هذا شيئا أظلمت لك كتيبتي المحفوظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم قال فوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وهلت البطاقة فلا يقبل مع اسم الله شيء » (٣) . وقال رسول الله ﷺ في آخر حديث طويل يصف فيه

قال حديثي إسحق قال حدثنا عبد الصمد قال حدثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله

القيامة والصراط إن الله يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فآخروه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم ندر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقولون أرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فآخروه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم ندر فيها أحدا ممن أمرتنا به فكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقوا في هذا الحديث فاقروا إن شئتم - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما

(١) حديث ينادى من تحت العرش يوم القيامة يأمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد هففته لكم وحببت الثببات فتواهبوها ينيكم وادخلوها الجنة رحمي رويته في سابعيات . أبي الأسود التميمي من حديث أنس وفيه الحسين بن داود البلخي قال لمخيط ليس بقصة - (٢) حديث الصنابحي عن عبادة بن الصامت من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرمه الله على النار مسلم من هذا الوجه وإتفق عليه من غير رواية الصنابحي بلفظ آخر (٣) حديث عبد الله بن عمرو إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشره تسعة وتسعون سجلا فذكر حديث البطاقة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب .

قال فيقول الله تعالى صنعت لللائكة وشفع المؤمنين وشفع المؤمنين ولم يبق إلا الرحمة بالرحمن فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حملا فيلقينهم في نهر في أقوله الجنة يقال لنهر الحياة فيخرجون منها كما يخرج الحبة في حبل السيل الآخرونها تكون مما يلي الجبر والنجس كما يكون إلى الشمس أسفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل أيضا فالويل لرسول الله كأنك كتبت ترعى بالبادية قال فيخرجون كالؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء معتقنا من الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل معلوم ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فإني أقيم فقولكم فيقولون ربنا أعطينا ما لم نعط أحدا من العالمين فيقول الله تعالى إن لكم عندى ما هو أفضل من هذا فيقولون ربنا إني شيء أفضل من هذا فيقول رضى عنكم فلا تسخط عليكم بعده أبدا ^(١) ورواه البخارى ومسلم في صحيحهما وروى البخارى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال وخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت على الأمم عمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجل والنبي ليس معه أحد والنبي معه الزهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون أمتي قبيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الأفق قبيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا قبيل لي هؤلاء أمك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فغرق الناس ولم يبق لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذا كرك ذلك الصعابة قالوا أما نحن فلو كنا في الشرك ولكن قد آمننا بالله ورسوله هؤلاء أم أبائنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال م الذين لا يكونون ولا يسترقون ولا يخطبون وعلى زهم يتوكلون قام مكاشفة فقال ادع الله أن يصلى منهم يارسول الله فقال أنت منهم ثم قام آخر فقال مثل قول مكاشفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة ^(٢) وعن عمرو بن حزم الأنصاري قال «تعب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج إلا الصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا قلنا يارسول الله احتسبت عنا حتى قلنا أنه قد حدث حدث قال لم يحدث إلا خير إن ربى عز وجل وعدي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لأصحاب عليهم وإن سألت ربى في هذه الثلاثة لم يلزم ينفجرت ربى ماجدا واجدا كريما فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سمعت أبا قال قلت يا رب بولع أمتي هذا قال أكل لك الله من الأعراب ^(٣) وقال أبو ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر أمتك أنه من مات لأشرك بالله حيث دخل الجنة قلت يا جبريل

(١) حديث إن الله يقول للآلئكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون متفقا كثيرا الحديث في إخراج اللوخذين وقوله تعالى لأهل الجنة فلا تسخط عليكم بعده أبدا أخرجه في الصحيحين كما ذكر الصنف من حديث أبي سعيد (٢) حديث ابن عباس مرض على الأمم عمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجل والنبي ليس معه أحد الحديث إلى قوله سبقك بها عكاشة ورواه البخارى (٣) حديث عمرو بن حزم الأنصاري تعب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج إلا الصلاة مكتوبة ثم يرجع وفيه إن ربى وعدي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لأصحاب عليهم وفيه أعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سمعت أبا السبيعي في البيت والنشور وأحمد وأبي يعلى من حديث أبي بكر فزادني مع كل واحد سبعين ألفا وفيه رجل لم يسم ولا أحمد والطبراني في الأوسط من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال عمر فلا استزده فقال قلستزدت فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فلا استزده قال قد استزده فأعطاني هكذا وفرج عبد الله بن أبي بكر في حديثه قال عبد الله وبسط باضيه وحش عليه وفيه موسى بن صيدة الرندي ضيق

تعالى إذا أحب عبدا
نادى جبريل إن الله
تعالى قد أحب فلانا
فأجبه فيجبه جبريل
ثم ينادى جبريل
في السماء إن الله قد
أحب فلانا فأجبه
فيجبه أهمل السماء
ويوضع له القبول في

فهرس

- ١١٥ الطرف الخامس في نعم الله تعالى في الأسباب الموصلة للألمة اليك
- ١١٦ الطرف السادس في إصلاح الألمة
- الطرف السابع في إصلاح الصلح
- ١١٧ الطرف الثامن في بيان نعمه الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام
- ١٢٠ بيان السبب الصادق لخلق عن الفكر
- ١٢٤ الركن الثالث من كتاب الصبر
- بيان وجه اجتماع الصبر والفكر على شيء واحد
- ١٣١ بيان فضل النعمة على البلاء
- ١٣٧ بيان الأفضل من الصبر والفكر
- ١٣٨ (كتاب الخوف والرجاء)
- ويعتدل على خطر أن الفطر الأول يقتصر ما
- بيان حقيقة الرجاء الخ
- ١٣٩ بيان حقيقة الرجاء
- ١٤١ بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه
- ١٤٢ بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء وينقلب
- ١٥٧ الفطر الثاني من الكتاب في الخوف
- بيان حقيقة الخوف
- ١٥٤ بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف
- ١٥٥ بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه
- ١٥٧ بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه
- ١٦١ بيان أن الأفضل هو طلب الخوف أو غلبه الرجاء أو اعتدالهما
- ١٦٤ بيان الذي به يستجلب حال الخوف
- ١٧٠ بيان معنى سوء الخاتمة
- ١٧٧ بيان أحوال الأتقياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف
- ١٨٠ بيان أحوال الصالحين والأتقيين والسلف والصالحين في شدة الخوف
- ١٨٥ (كتاب الفقر والفقير)
- الفطر الأول من الكتاب في الفقر
- ١٨٦ بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسبابه
- ١٨٩ بيان فضيلة الفقر مطلقاً
- ١٩٥ بيان فضيلة خصوص الفقراء من الرانين والفاقرين والصادقين
- ١٩٦ بيان فضيلة الفقر على الغنى
- ٢٠١ بيان آداب الفقير في فقره
- ٢٠٢ بيان آداب الفقير في قبول المساء الخ
- ٢٠٥ بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه
- ٢٠٩ بيان مقدار النفي المحرم للسؤال
- (كتاب التوبة)
- ٢ الركن الأول في نفس التوبة الخ
- بيان حقيقة التوبة وهدفها
- ٤ بيان وجوب التوبة وفضلها
- ٧ بيان أن وجوب التوبة على الفور
- ٩ بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا يفتك عنه أحد البتة
- ١٢ بيان أن التوبة إذا استجبت شرعياً فهي مقبولة لأعماله
- ١٥ الركن الثاني فيها عن التوبة وهي الذنوب
- بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات البعد
- ٢٢ بيان كيفية توزيع الدرجات والفكرات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا
- ٣٢ بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب
- ٣٤ الركن الثالث في تمام التوبة الخ
- ٤٣ بيان أقسام البعاد في دوام التوبة
- ٤٦ بيان ما ينبغي أن يباعد إليه التائب الخ
- ٤٩ الركن الرابع في دواء التوبة الخ
- ٥٩ (كتاب الصبر والشكر)
- ٦٠ الفطر الأول في الصبر
- بيان فضيلة الصبر
- ٦١ بيان حقيقة الصبر ومناه
- ٦٥ بيان كون الصبر نصف الإيمان
- ٦٦ بيان الأساليب التي تتجدد لصبر الخ
- ٦٦ بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف
- ٦٧ بيان مظان الحاجة إلى الصبر الخ
- ٧٣ بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه
- ٧٨ الفطر الثاني من الكتاب في الفكر
- الركن الأول في نفس الفكر
- بيان فضيلة الفكر
- ٧٩ بيان حد الفكر وحقيقته
- ٨٣ بيان طريق كشف الظواهر عن الفكر في حق الله تعالى
- ٨٧ بيان تمييز ما يحبه الله تعالى مما يكرهه
- ٩٦ الركن الثاني من أركان الفكر الخ
- بيان حقيقة النعمة وأقسامها
- ١٠٦ بيان وجه الاعتود في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وغروبها من الحصر
- ١٠٧ الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك
- ١٠٨ الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الإرادات
- ١٠٩ الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القدرة والآلات المحركة
- ١١٣ الطرف الرابع في نعم الله تعالى في الأصول التي تحصل فيها الألمة الخ

- صفحة
٢١٠ بيان أحوال السابقين
٢١١ الفصل الثاني من الكتاب في الوعد
بيان حقيقة الزهد
٢١٤ بيان فضيلة الزهد
٢٢٠ بيان درجات الزهد وأقسامه
٢٢٤ بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة
٢٢٦ بيان علامات الزهد
٢٢٨ (كتاب التوحيد والتوكل)
بيان فضيلة التوكل
٢٤٠ بيان حقيقة التوحيه التي هو أصل التوكل وهو
٢٥٣ الفصل الأول من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله
وفي بيان حال التوكل الخ
بيان حال التوكل
٢٥٧ بيان ما عليه السويح في أحوال التوكل
٢٥٨ بيان أعمال التوكلين
٢٦٥ بيان توكل الليل
٢٦٨ بيان أحوال التوكلين، التعلق بالأسباب، بغير مثال
٢٧٤ بيان آفات التوكلين إذا عرفوا معانيهم
٢٧٩ بيان أن ترك البداوى قد يمدد - بئس الأحوال
ويصل إلى قوة التوكل الخ
٢٨٣ بيان الرد على من قال ترك البداوى أفضل بكل حال
٢٨٥ بيان أحوال التوكلين في إظهار الرغز وكسبه
(كتاب المحبة والبرق والأنس والرضا)
٢٨٦ بيان شواهد الصريح في حب العبد لله تعالى
٢٨٨ بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى عبة العبد
الله تعالى
٢٩٣ بيان أن المستحق للمحبته هو الله وحده
٢٩٩ بيان أن أجل الثبات وأجلها معرفة الله تعالى الخ
٣٠٣ بيان السبيل في زيادة النظر في الله الآخرة على المعرفة
في الدنيا
٣٠٧ بيان الأسباب التي يجب لله تعالى
٣١١ بيان السبيل في تفاوت الناس في الحب
٣١٢ بيان السبيل في قصور أنفسهم الخلق عن معرفة الله
سبحانه وتعالى
٣١٤ بيان معنى الشوق إلى الله تعالى
٣١٨ بيان عبة الله تعالى للعبد ومساها
٣٢٠ القول في علامات عبة العبد لله تعالى
٣٢٩ بيان معنى الأُسُوف لله تعالى
٣٣١ بيان معنى الأسباط والإدلال الذي يشره
خليفة الأُسُوف
٣٣٣ القول في معنى الرضا بفضاء الله الخ
٣٣٤ بيان فضيلة الرضا
٣٣٧ بيان حقيقة الرضا ونصوره فيما عانف الهوى
٣٤١ بيان أن الرضا غير منافق للرضا
- صفحة
٢٤٤ بيان أن الحرار من البلاد التي هي مطلق الدمار
ومقتضاها لا يدخل في الرضا
٢٤٥ بيان عبة من عكبات الهوى وأحوالهم ومكاشفتهم
٢٤٩ عامة الكتاب بكمات متفرقة تنطق بالحكمة
يقض بها
٢٥٠ (كتاب التوبة والإخلاص وإصلاح)
٢٥١ الباب الأول في التوبة
بيان فضيلة التوبة
٢٥٣ بيان حقيقة التوبة
٢٥٥ بيان سر قول صل الله عليه وسلم : توبة المؤمن
خير من جهنم
٢٥٧ بيان تفصيل الأعمال المتصلة بالتوبة
٢٦٢ بيان أن التوبة فيه طائفة تحت الأختار
٢٦٤ الباب الثاني في الإخلاص وفضيلته وحقيقته
وفوائده
فضيلة الإخلاص
٢٦٧ بيان حقيقة الإخلاص
٢٦٩ بيان أفاضل الصيغ في الإخلاص
٢٧٠ بيان درجات الثواب والآيات للسكره
للإخلاص
٢٧٢ بيان حكم العمل بالشوب واستحقاق الثواب به
٢٧٤ الباب الثالث في الصدق وفضيلته وسبيلته وفوائده
فضيلة الصدق
٢٧٥ بيان حقيقة الصدق ومساها وبرائته
٢٨١ (كتاب المراقبة والمحاسبة)
المقام الأول من المراقبة والمقابلة
٢٨٤ المراقبة الثانية المراقبة
٢٨٥ بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها
٢٩١ المراقبة الثالثة عماسية النفس الخ
فضيلة المحاسبة
٢٩٢ بيان حقيقة المحاسبة بعد الفشل
٢٩٣ المراقبة الرابعة في تمامية النفس على تصهيرها
٢٩٥ المراقبة الخامسة المجاهدة
٤٠٣ المراقبة السادسة في توبيخ النفس ومساها
(كتاب التفكير)
٤٠٩ فضيلة التفكير
٤١٠ بيان حقيقة التفكير وبمرته
٤١٢ بيان مجازي التفكير
٤٢٠ بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى
(كتاب ذكر الموت وما بعده)
٤٢٣ الفصل الأول في مقتضاها وتوابعه الخ
٤٢٤ الباب الأول في ذكر الموت الخ
بيان فضل ذكر الموت كثيرا كان
٤٣٦ بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب
٤٣٧ الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل
وسبب طول وكيفية حالته

صفحة	موضوع
٤٨٦	بيان سؤال تنكر وتكبير صورتهما وضفة القبر
	وحية القول في عذاب القبر
٤٨٨	الباب الثامن في بيان من أحوال الموتى بالكشفة في الإنعام
٤٩٠	بيان منامات تمسكف من أحوال الموتى والأعمال النافعة في الآخرة
٤٩١	بيان منامات الفراعحة رحة الله عليهم أجمعين
٤٩٤	الفصل الثاني من كتاب ذكر الموت في أحوال البيت من وقت نفضة الصور إلى آخر الاستمرار في الجنة أو النار وتبصيل ما بين يديه من الأجر والاشتغال وفيه بيان نفضة الصور الخ . صفة نفضة الصور
٤٩٦	صفة أرض المحضر وأجله
٤٩٧	صفة العرق
٤٩٨	صفة طول يوم القيامة
٤٩٩	صفة يوم القيامة ودوابه وأجابه
٥٠١	صفة المساواة
٥٠٣	صفة الميزان
٥٠٤	صفة المنهية ورد العالم
٥٠٧	صفة الصراط
٥٠٩	صفة الشفاعة
٥١٢	صفة الحوض
٥١٤	القول في صفة جهنم وأحوالها والمساكنة
٥١٩	القول في صفة الجنة وأصناف تنبها
٥٢٢	صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها
٥٢٣	صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسرورهم وأرائكهم وخيامهم
٥٣٤	صفة طعام أهل الجنة
٥٣٤	صفة الخمر والعين والورقان
٥٢٦	بيان جبل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردة بها الأجبار
٥٢٧	صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى . تحم الكتاب باب في صفة رحة الله تعالى في سبيل المتنازل بذلك
٥٢٨	باب في صفة رحة الله تعالى
٤٨٦	نفضة عصر الأمل
٤٤١	بيان البهت في طول الأمل وعلاجه
٤٤٢	بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره
٤٤٣	بيان البهتة إلى الصل وجذر آفة التأخير
٤٤٥	الباب الثالث في سكرات الموت وحديثه وما يستحب من الأحوال عنه
٤٥٠	بيان ما يستحب من أحوال المحضر عند الموت
٤٥١	بيان المسرة عند لقاء ملك الموت بمكافات يرب لسان الحال منها
٤٥٣	الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهد الراحمين من بعده
	وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٦٠	وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
٤٦٢	وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
٤٦٣	وفاة عثمان رضي الله تعالى عنه
٤٦٤	وفاة علي كرم الله وجهه
	الباب الخامس في كلام المحضرين من الخلق والأصهار والصالحين
٤٦٥	بيان أقويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف رضي الله عنهم أجمعين
٤٦٨	الباب السادس في أقويل المارفين على الجائز والفاير وحكم زيارة القبور
٤٦٩	بيان حال القبر وأقويلهم عند القبور
٤٧٣	بيان أقويلهم عند موت الولد
	بيان زيارة القبور . والدعاء للبت الخ
٤٧٧	الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفضة الصور
	بيان حقيقة الموت
٤٨٢	بيان كلام القبر للبت وكلام الموتى لما يلسان للقال أو يلسان الجبال
٤٨٣	بيان عذاب القبر وسؤال تنكر وتكبير

فهرس

قبة حوارف الماروف للسهروردي الذي بالمانش

صفحة	موضوع
٢٥٧	الباب السابع والخمسون في سرقة الخواطر وتخصيلها
٢٥٨	وغيرها
٢٨١	الباب الثامن والخمسون في شرح الحلال والحرام
٢٩٨	وغيرها
٣٣٥	الباب التاسع والخمسون في الإشارات إلى المقامات على الاختصار والإيجاز
٣٨٣	الباب العاشر والخمسون في ذكر الأحوال وشرحها
٤٤٩	الباب الحادي والخمسون في شرح كلمات مشفرة إلى بعض الأحوال في اصطلاح الصوفية
٤٧٥	الباب الثالث والستون في ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها
٢	الباب التاسع والأربعون في استقبال التهانج والأجوب
٣٧	الباب الحادي والخمسون في ذكر المسأل في جميع التهانج وتوزيع الأوقات
٧٨	الباب الثاني والخمسون في آداب الريد مع الصيغ
١١٧	الباب الثاني والخمسون في آداب الصيغ وما يتبعه مع الأصحاب والخلقة
١٣٨	الباب الثالث والخمسون في حقيقة الصفة وما فيها من الخير والشر
١٦٥	الباب الرابع والخمسون في آداب حقوق الصفة والأخوة في الله تعالى
١٨٠	الباب الخامس والخمسون في آداب الصفة والأخوة
١٩٧	الباب السادس والخمسون في معرفة الإنسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك

بمجد الله تعالى ثم بحمد كتاب [إحياء علوم الدين] لمجد الإسلام الإمام التتالي . ومنه كتاب [التفصيل من حل الأسفار في الأسفار في تجميع ما في الإحياء من الأخبار] لحافظ الإسلام زين الدين العراقي .

وبهاشاه ثلاثة كتب :

الأول : تعريف الأحياء بفضل الإحياء للشيخ عبد القادر البغدادي باعلوي .

الثاني : الإيماء من إمكانات الإحياء تصنيف الإمام التتالي .

الثالث : حوارف الماروف للإمام السهروردي .



Bibliotheca Alexandrina



0695967